

ارشيدو نشریات

کتابخانه تخصصی دارالحديث

۲۰۴۱۵

کتاب

المود

مجله تراشیده فصلیه . تصدیق و اداره الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع العدد الثاني ۱۳۹۵ - ۱۹۷۵





العدد الثاني

صيف ١٩٧٥

المجلد الرابع

المورد

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

دار الحرية للطباعة - بغداد

خِدْمَةُ الْأُمَّةِ نَتِيجَةُ لِلْفَائِدَةِ الْمُتَوَخَّاةِ مِنَ الْكُتُبِ
الَّتِي تَحْفَظُ التُّرَاثَ وَتُبْعَثُ بِمُحَمَّدٍ الْأَجْدَادِ .

احمد حسن البكر



مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الأعلام - الجمهورية العراقية



مركز بحوث وتوثيق العلوم الإسلامية

رئيس التحرير : عبد الحميد العلوجي
مدير التحرير : حارث طه الراوي
سكرتير التحرير : منذر الجبوري

المشرف العام
محمد جميل شلش

التراثيون والنقد

بقلم

حارث طه الراوي

ترد الى «المورد» ، بين الفينة والفينة ، ردود في غاية التشسّج والانفعال ، لو سمحنا بنشرها كما هي ، من غير حذفٍ وتشذيبٍ ، لأسأنا الى أبسط قواعد النقد الموضوعي "اساءة" بالغة تخدش الذوق الرفيع وتجعل من «المورد» العذب حلبة «ملاكمة» أو ميدان «مصارعة حرّة» !!

وقد لاحظنا ، ببالغ الأسف ، ان الموقف النفسي من صاحب البحث المنقود هو الذي يملئ على بعض النقاد التراثيين نقدهم فتأتي عباراتهم جارحة أو لاذعة ، كأن المنقود قد ارتكب إثماً بحق الناقد يوجب هذا الهياج ويبيح هذا الاعتداء ويبرّر هذه القسوة ... ، ولا اثم هناك ولا جريمة . وقد لا تكون بين الناقد والمنقود معرفة سابقة لا من بعيد ولا من قريب ، ولكنه الحق المتأمل المتحفّز يترصد فرصته الذهبية في خطأ هذا الباحث وتوهم ذاك المحقّق أو تعثر مترجم من المترجمين ، فتنتلق هذه المكونات النفسية المتأجّجة ليرتاح صاحبها من وطأتها ، حتى ولو كان ذلك على حساب مجلة متزنة ، رزينة ، كالمسورد ...

ثم انها فرصة ذهبية للظهور على حساب الغير . فما دام هذا التراثي المغموّر يستطيع أن يقدم قائمة طويلة بأخطاء ذاك التراثي المشهور ، فهو أجدر منه بالشهرة والتألق وهو أحق بالظهور من ذاك الذي يليق به الانزواء والابتعاد عن الأضواء ، فهو في منطلقه النفسي هذا لا يصحح خطأ في اللغة أو وهماً في التحقيق وحسب وإنما يصحح خطأ آخر في القيم يفترضه طموحه ويختلقه هو !!

* * *

ان "ميدان" التراث "فسيح" وعصوره بعيدة" ودهاليزه مظلمة" كثيرة الالتواء ،
فلا بُدّ - والحالة هذه - من العثرات ، رغم الأفراط في التأنّي وحمل الفوائيس .
والتراثي الذي لا يعثر هو تراثي "بالاسم لا بالفعل" . . . ، فهل يحقّ لهذا
التراثي أن يجعل من عثرة زميله في الحلبة التراثية سقوطاً ما بعده سقوط
وجهاً ما بعده جهل . . . الى آخر هذه الاتهامات التي لا داعي لها ولا مبرر ، وهل
النقد ، في حقيقته السامية إقالة عثرات أم تجسيم هفوات ؟

انني لا أبرئ أيّ ناقد ، مهما كان موضوعيّاً ، من العاطفة ، قلت أو
كثرت ، ظهرت أم اختفت ، لأنّ الناقد انسان والانسان ينفع . ولأنّ الناقد
كاتب والكاتب ينفع أو لا ثم يكتب بعد هذا الانفعال . والانفعال هنا هو الباعث
المحرك وليس المقال المكتوب . فالناقد الذي يعرف مهمته ويحرص على أدائها على
الوجه الصحيح لا يمضي مع الانفعال الى نهاية الشوط فيشوّه وجوه حججه
الناصعة . . .

ثم ان الاختلاف في القضايا التراثية وهي قضايا علمية محسومة في الغالب -
هو غير الاختلاف في القضايا الأدبية النوقية المزاجية المتروك حسمها الى الزمن .
والاختلاف في هذه قد يأخذ شكلاً عنيماً مألوفاً . أما الأسلوب الملتهب في القضايا
التراثية المحسومة فهو غير مألوف في الردود ذات الوزن العلمي الثقيل . . .

لقد تطوّر النقد في العالم وأصبح علماً يتفق الانسان عمره في دراسة مداخله
ومخارجه ، ولكن هل يكفي أن نلمّ بالجانب العلمي من هذا العلم ونهمل جانبه الأخلاقي
في حين ان الجانبين يكونان وحدة عضوية متماسكة ؟

فالى الاقلاع عن المنطلقات النفسية والأغراض الشخصية في النقد أدعوكم
يا نقّادنا التراثيين الأعزّاء راجياً لكم المزيد من التوفيق في النقد الموضوعي البريء
من الأهواء . . .



الْبَحْثُ وَالدراسَات

مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

من قضايا النقد الأدبي

في العصر العباسي

بقلم

الدكتور جلال الخياط

السالفة . وهناك قضايا نقدية كثيرة يطورها أو يثيرها العباسيون ، اخترت منها ما يمكنني أن اتناوله تناولا معاصرا قد يكشف عن جوانب ، ما زالت غير واضحة ، ومن تلك القضايا :

النقد القاعدي :

حاول النقاد القدامى والمحدثون ، قبل ارسطو وبعده ، أن يضعوا اسسا وقواعد للنقد ثابتة ، وكان هاجسا يؤرقهم ويدفعهم الى تحديد الذوق الادبي بشروط ودوائر ، يلتزم بها القارئ فيما يستوعب من نصوص مختلفة ، فيعطل بذلك قدرته على التذوق والفهم ، ولا يكون طرفا ثانيا متلقيا في عملية الابداع والخلق ، بحرية واختيار .

ونجد الرغبة في الحصر والتحديد تصاحب البشر فيما يصدر من آراء وما يقومون من اعمال لان العقل محدود مهما كشف وابدع ، ومهما قطع مراحل من الحضارة طويلة واوغل في مفازات واسعة ، تنحصر عنه ابعاد كثيرة ، تبقى غامضة ومجهولة ، فتولدت في نفس الانسان تلك الرغبة في الحصر ليدرك المجهول ويوضح الغامض ويخضع مظاهر الحياة كلها للقاعدة والتعريف ، وان نجح في مجالات متنوعة كالعلوم ، فهو ما زال يتعثر في تحديده لبعض قضايا الانسان والتعبير عنه ، ومنها الادب ، ومن الادب النقد ، فليس بمقدور الناقد ، وان بذل جهدا ، ان يحول الادب الى مسألة علمية ، يمكن ان يزاولها من يتقن قوانينها ، لان التذوق الادبي جزء من ممارسيه ، يتكون طبقا لمسببات منها : البيئة والثقافة والتجربة والموهبة ، وعوامل أخرى فاعلة في حياة الانسان مؤثرة في مجراها منفعة بطاقاته واعماله .

ويدرك النقاد العباسيون صعوبة وضع قوانين

منذ ان وقف الشاعر الجاهلي يبكي على الطفل ، ويفصح عن مواجده وهمومه ، في قصائد واشعار ، والدهشة تحكم ردود افعال المصفيين اليه ، يتلقون انتاجه بحيرة واعجاب ، ويفسرون بواعثه بالجن والشياطين ، ويتبعونه بتعقيب او ملاحظة سريعة . وتكثر القصائد ويزداد الشعر اهمية سنة بعد سنة ويتطور وينمو ويكتسب مواقع جديدة ، وتقاسم للشاعر في القبائل ، حين ينبغ ، طقوس واحتفالات ، وتؤطر كلماته العصر وقضاياها ، وتدور عليها حياة الجاهليين ، في حلهم وترحالهم ، ومفاخرهم وغزواتهم ، وتتمثل فيها احساس الفرد وتطلعاته ونوازع الخاصة . وتبدأ احاديث عن الشعر واصحابه ، ويتكون لدى الناس ذوق ادبي عام يخشاه الشعراء ، فيبقي زهير قصائده حولا ، يغير ويحذف ويضيف ، وتستحيل ردود الافعال الى ملاحظات ادبية تأتي مجردة مطلقة حيناً ومقتربة بتحليل وتعليل احيانا ، وتتضمن اعجابا واستهجانا وقبولا ورفضاً ، ويتحول الذوق الفطري الى وعي ادبي يشكل النواة الاولى للنقد ، وتشيع مقاييس ، فيما تقبل وترفض قريش من اشعار ، وفي احكام النابغة بعاظ ، وفي غير هذا وذاك .

ويولد النقد الادبي ، في اشكاله البسيطة ، ويلاحق الشعراء بالتوجيه والتفسير والموازنة . وينتضي العهد الجاهلي ، وتنكشف عوالم في صدر الاسلام ، ومظاهر فكرية غير معهودة . ويمر الشعر في مراحل تتفاوت فيها اهميته ، حتى اذا ما جاء العهد الاموي كان له تأثير كبير ، يخفض ويرفع ويدني ويبعد ، ويلعب دوره الكبير في عالم الحكم والسياسة والفكر والاجتماع . ويرث العصر العباسي العبود الثلاثة الماضية ، ويعيد النظر فيما قدمته من تراث شعري ، وينسق ويحدد ، ويجترح اقوالا ونظريات ، ويحفظ لنا جزءا مما ابدعه رواد القرون

فأحبوا ان تصبح المبادرة طوع ايديهم في تعليم الناس الكشف عن النصوص الجيدة، وحصر ذوقهم الادبي بما يرتأون في تلك النصوص ، من مواطن ضعف او قوة ، وما يوطئون للادباء والشعراء من اساليب ومضامين ليجودوا ويبدعوا فاثروا الحياة الادبية بما قدموا من محاولات وراء ودراسات ومصادر ولكنهم لم يتوصلوا الى قواعد ثابتة غير خاضعة للتطور والتغيير والنماء .

ويدفع النقد القاعدي ، والهاجس الذي طوح بالنقاد الى التصنيف والتحديد ، ابا عبدالله محمد ابن سلام الجمحي البصري (ت ٢٣١ هـ) الى تقسيم الشعراء طبقات ، مستوحيا المقولة المشهورة : (كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنايفة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وامروء القيس اذا ركب) ، والملاحظات النقدية القديمة ، والمفاضلة بين الشعراء التي شاعت واتسعت في عصره وتقديم شاعر على اخر ، وما يقوم حول هذا وذاك من نقاش ، فيؤلف كتابه طبقات الشعراء وقيل طبقات فحول الشعراء ، وقيل انه كتابان ضمما معا (٥) ، فيأتي بأربعين شاعرا جاهليا ، يرى انهم من الفحول ، ويضعهم في عشر طبقات متتالية في المكانة ، تحظى الاولى بالتفوق والفضل ، وتتدنى الثانية عنها وهكذا ، ولا يقوم بذلك التقسيم اعتباطا ، ولكنه يعتمد اسسا وسمات ويقدم اسبابا ويعلل نتائج ، وبهذا يفتح صفحة جديدة في المنهجية او ما يشبه الموضوعية في البحث ، ويطوى عالما من الملاحظات النقدية الشخصية التي قدمها العصر الجاهلي ، وتطورت فيما بعد بتعليل او تحليل عرفتهما الاندية والمجالس الادبية ، ويأتي ايضا بأربعين شاعرا اسلاميا ويضعهم في طبقات ، ويهمل المحدثين كبشار ومسلم بن الوليد وابي نواس وغيرهم .

ومن الاسس التي وضعها ابن سلام ليتبوا الشاعر مكانة متقدمة في طبقاته : جودة اشعاره وكثرتها وتنوع اغراضه ، ولا يضع مقاييس للجودة ، يمكن ان تقتنع بها ، وكثرة الاشعار لا تصح لدينا مؤشرا حقيقيا للابداع ، فهو يقدم من له عشرون قصيدة على من له خمس قصائد مثلا ، فما ذنب الشاعر ان ضاعت قصائده ، ولم يحفظها الرواة وما ذنبه ان كان مقللا لا يصدر الا عن عاطفة حقيقية صادقة ، ولا ينظم الا بوحى منها ، ومتى كان عدد

(٥) اراجع : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لطف احمد ابراهيم ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٢١ . وتاريخ النقد الادبي ، ل محمد زغلول سلام ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ ، والفهرست لابن النديم ، ص ١٦٥ .

ثابتة للادب ولكنهم يحاولون مندفعين بتأثير نزعة لا تقاوم الى التحديد ، ونجدهم يعرفون الشعر ، فقدماء بن جعفر مثلا يعرفه بانه القول الموزون المقفى الدال على معنى (١) ، ويورد المرزباني بان احسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبهه ، واحسن منه ما اصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب ، وعدل فيه عن الافراط (٢) ، ويحدده ابن طباطبا بانه كلام منظوم ، ويرى ابن سينا انه كلام مخيل مؤلف من اقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة ، ولعل اردا ما ورد من تعريفات للشعر قول العامري : انه كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعان معادة ومقاطع موزونة ومتون معروفة (٣) ، فليس الشعر كلاما ، ولا تختص الحروف الساكنة والمتحركة بالشعر ، ومعاني الشعر ومضامينه ليست تكرارا واعادة ، ففي ذلك الغاء للابداع والابتكار ، وهناك من يرى ان الشعر يصدر عن عاطفة معينة مؤثرا في عاطفة ثانية ، فيعرف الشعر بكلمة غامضة غير محددة تتطلب تعريفا اخر ، ومنذ ان ابدع الشاعر الجاهلي معلقاته وقصائده ومقطوعاته الشعرية ، حاول النقاد ان يعرفوا الشعر فلم يفلحوا ، وفاتهم ان في كل قصيدة تنظم وفي كل بيت يقال تفسيرها وتعريفها له (٤) .

وحاول النقاد ان يضعوا تعريفا للنقد ايضا ، وما زالت عملية وضع ذلك التعريف مستمرة ، ويتعذر الوصول الى تعريف جامع مانع نهائي ، فمسألة نقد النصوص وادراك مدى الروعة والابداع فيها نسبية تختلف باختلاف الابداع وتلقيه ، والثقافة والظروف والعصر والحضارة ، ولا يمكن حصرها في قاعدة ثابتة لا تتغير .

وتطلع النقاد العرب الى اخضاع ما ليس من طبيعته الخضوع ، للتقنين والتحديد ، وارادوا ان يقودوا جمهور القراء الى العوالم الادبية بارشادهم ورعاية وتوجيه ، واسهموا في مسيرة النقد قديما وحديثا ، للعمل من اجل النقد القاعدي ، فقد عمت النقد فوضى شاملة وتضاربت الاراء وتعددت الاهواء

- (١) قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، بتحقيق كمال مصطفى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١١ .
- (٢) المرزباني ، الوشح ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨٠ .
- (٣) ينظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣٤ ، ٢٣٩ .
- (٤) ينظر للكتاب : الشعر العراقي الحديث ، مرحلة وتطور ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١١٨ .

ولا يهمننا مدى توقيفه وأصابته فيها ، بقدر ما نعتى
بانه في طليعة الكتاب الذين اختاروا منهجاً معيناً ،
أو ما يشبه المنهج فيما يكتبون ويصدرون من
احكام .

ويرفض ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تقسيم
الشعراء الى طبقات ويرى ان الشعر انواع واضرب ،
منها ما حسن لفظه وجاد معناه ، ومنها ما حسن
لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في
المعنى ، ومنها ما جاد معناه وقصرت الفاظه عنه ،
ومنها ما تأخر معناه ولفظه (٩) ، ونلاحظ في هذه
الاضرب ان ابن قتيبة يفصل الشكل عن المضمون
« وان احكامه ذوقية بدليل قوله حسن وجاد وحلا
وقصر وتأخر ، وهي احكام مطلقة اذ لم يعلقها على
توافق بين لفظ ومعنى او بين قائل ومقول او بين

قصائد الشاعر معياراً تقديماً يومئ الى اجدادته
وابداعه ، ولو صح هذا لتفوق كثير من الشعراء
المقلدين في الفترات المتأخرة باكداس من القصائد
تناولت موضوعات متنوعة ، اكثرها لا يمت الى
روح الشعر بصلة ، على شعراء عباسيين كالتنبي
وابي العلاء مثلاً ، وتبعاً لما ارتآه في كثرة الشعر
حكماً على الشعراء وضع طرفة بن العبد ، وهو
من اصحاب المعلقة ، في الطبقة الرابعة ، لقلة ما
يروى من شعره ، ووضع الاسود بن يعفر في الطبقة
الخامسة الجاهلية : « وكان الاسود شاعراً فحلاً ..
وله واحدة طويلة رائعة لاحقة باجود الشعر ، ولو
كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي :

نام الخلي فما احس رقادي

والهم محتضر لدي وسادي (١)

ومما يقدم الشاعر لدى ابن سلام تنوع اغراض
الشعر عنده وكثرتها ، فان اقتصر على غرض واحد
او غرضين ، عده متأخراً ، وهكذا فضل كثير عزة
على جميل بن معمر ووضع الاول في الطبقة الثانية
الاسلامية لتنوع اغراضه والثاني في الطبقة السادسة
لاقتصار اكثر نماذج شعره على النسيب ، مع
اعترافه بانه مقدم على كثير فيه ، وكان جميل قد
مارس المديح ايضا (٧) ، ولا شك ان الشاعر الذي
يبدع بمستوى واحد في اغراض الشعر المختلفة
كالمديح والهجاء والفرل والرثاء ... الخ ، يحظى
بتقدير واعجاب ، وان عرف عن شعراء انهم يجيدون
في غرض واحد او غرضين ، ولكن تنوع الاغراض
لا يصح مقياساً دقيقاً لمعرفة مدى ما تصل اليه
مواهب الشعراء ، ولا نستطيع ان نفرض عليهم
مضامين اشعارهم ، باشاعة ذلك المقياس ، ولهم
ان يختاروا تلك المضامين بوجي من وجدانهم
وتجربتهم واحساسهم الصادق ، ولا يعاب على
شعراء انهم لم يهجووا او لم يرثوا او لم يمدحوا ،
والمديح والتكسب بالشعر ، مثلاً ، يحط من قيمة
الشاعر في الجاهلية وعند بعض الشعراء في العصور
الاخرى ، فترفع عنه كثيرون (٨) ، اعني ذلك طبقاً
لمقاييس ابن سلام عجزاً عن النظم في اغراض الشعر
المختلفة يضعهم دون غيرهم مكانة ومنزلة ؟ ويعتمد
ابن سلام أساساً اخرى ، في طبقاته ، غير هذه وتلك ،

(٩) يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح
احمد محمد شاكر ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ،
ص ٦٤ وما بعدها : تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب :
١ - ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ويستشهد بابيات
منها :

يفضي حياء ويفضي من مهابة
فما يكلم الا حين ينتسم
ومنها :

والنفس راغبة اذا رغبها
واذا ترد الى قليل تنزع

ب - وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم
تجد هناك فائدة في المعنى ويستشهد بابيات منها :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا
ولا ينظر الفادي الذي هو رايح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح
والايات التالية :

بان الخليط ولو طومت ما يانا
وقطعوا من جبال الوصل اقرانا
ان العيون التي في طرفها حور
قتلنا نسم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبحتى لا تحاذيه
وهن اضعف خلق الله انسانا

ج - وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول
القائل :

ما عاتب المرء الكريم كنفه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

د - وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ويستشهد بابيات
منها :

وقد غدت الى الحائوت يتبعني
شاو مثل شلول شلل شول

(٦) ابن سلام ، طبقات الشعراء اعداد اللجنة الجامعية لنشر
التراث العربي ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٣٣ .

(٧) ينظر : وفيات الاعيان لابن خلكان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٨ ،
ص ٣٢١ .

(٨) ينظر للكاتب : التكسب بالشعر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١١
وما بعدها .

النفسية المؤدية الى مضامين يفرغها في قوالب تستقيم عنده قصائد وابياتا ، وان ذهب بعض الشعراء الى ان هذه الدواعي هي التي تبعث حقا فيهم الرغبة في النظم وتحثهم عليه (١٥) .

ويشتد تأثير المنطق عند قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ويحاول ان يطور اضرب الشعر التي جاء بها ابن قتيبة الى تقسيمات اخرى تقوم على الانسجام بين عناصر الشعر : اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، بائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ، وائتلاف المعنى والقافية (١٦) ، ومتى يحسن ذلك ومتى يتم ، وكيف يضعف وينفرط ، وفي كل هذا وذلك يصدر عن عقلية منطقية ، تحاول مرة اخرى ، اخضاع الذوق للقاعدة وتحليل الشعر الى عناصر ، وتقسيمه الى اصناف بتوافق تلك العناصر ، وبإدراك ذلك التقسيم يستطيع القارئ ان يكشف عن مواطن الابداع ، كما يرى قدامة الذي يضيف اسهاما جديدا الى تلك المحاولات التاريخية المستمرة الدائمة التي يسعى اليها النقاد ، مرتدين مسوح المعلمين والمرشدين يعوضون ، بما يضعون من قواعد ، عن ضعفهم ازاء الاستحواذ التام على عملية التذوق الادبي وتوجيهها .

وان كان ابن قتيبة قد ذكر دواعي للشعر وبين قسما منها تحت الشعاع على النظم ، فان قدامة بن جعفر قد ارجع الاغراض جميعا ، ما عدا الوصف ، الى المديح (١٧) ، فهو القطب الذي تدور عليه رحي الشعر ، فالرثاء مديح الهالكين ، والغزل مديح النساء ، والهجاء مديح معكوس : « رأى قدامة ان اغراض الشعر اما ان يكون موضوعها الانسان المدح - المهجو - المرثي - المتغزل به - الموصوف ، واما ان يكون موضوعها الشيء الموصوف ، وقد يجيء موضوع سادس يجمع بين هذين بالرابطية الصورية ، التشبيه ، وفكر قدامة اننا اذا استثنينا الوصف وهو موضوع مشترك بين الناس والاشياء فان الاربعة الاولى ليست الامح للصفات او سلبا لها ، فالمدح يتطلب صفات ايجابية تسلب في الهجاء ، وتحول الى المضي في حال الرثاء ، وتحور عن قاعدتها الاصلية في الحديث عن النساء » (١٨) .

الشاعر وعصره » (١٠) ، وأنه يحاول ان يضع مقاييس للجودة والرداءة في الشعر معتمدا رايه المنطقي الصرف ، باجتهد شخصي خاص ، فلا يمكننا ان نقسم الشعر الى تلك الاضرب ، لانه اوسع واشمل من انواع واشكال محددة معينة ، والابيات التي اوردها تختلف فيها الاذواق ، فالبيت الثاني « والنفس راغبة » حكمة تافهة لا تصح في كل الاحوال ، فالنفس قد تقنع او لا تقنع اذا رددتها الى قليل ولا هي راغبة واقعة تحت طائلة الاغراء دائما ، وهناك من يرفض ويرهد وينحسر عما يرغب فيه ، ولنفرض صحة مضمونه ، فأية قيمة شعرية ابداعية يحملها في غصونه؟ وهو لا يرقى تحت ضوابط اي متذوق ، الى مستوى الابيات الواردة في الضرب الثاني ومن عجب ان يعتبر ابداع بيت قالته العرب (١١) ، وتقسيم ابن قتيبة ، أولا واخيرا ، محاولة لوضع قواعد ثابتة للنقد ، وظاهر ان هذه الاضرب الاربعة نتيجة حصر علمي ، فالشعر عنصران اثنان عند ابن قتيبة : لفظ ومعنى. وكلاهما يجيء حسنا حيناً ، ورديثا حيناً ، وتألف هذه النوعت بعضها مع بعض فتتوافر عنها في الشعر هذه الاضرب » (١٢) .

ولا يكتفي ابن قتيبة بتقسيم الشعر الى اضرب ولكنه يحصر اغراضه بأطر معينة ويذكر البواعث التي تدفع الشاعر الى نظم قصائده : « وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب » (١٣) ، الا ان الشعر اعمق واغزر واوسع واشمل من هذه الدواعي التي يذكرها ابن قتيبة ، حين يعبر الشاعر عن تجربته واحساسه ومواجهته وتطلعاته ، وموقفه ازاء الموت والحياة ، وتمثله وتمثيله للانسانية ، كفرد من خلال النوع ، ولا يليق به ان ينبعث فيما ينظم ويبدع عن طمع ، وان افتعل بعض الشعراء الاماديح ليحصلوا على المال (١٤) ، ولكن القياس هنا خاطيء ، او انه يصدر فيما ينظم عن حالات الشرب والطرب والغضب ، بعيدا عن التأملات الفكرية الهادئة ، وكأنه يستجدي الحالات

(١٠) محمد مندر ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٩ .

(١١) حدث الرياشي عن الاصمعي قال : « هذا ابداع بيت قالته العرب » ، ينظر : الشعر والشعراء ، ص ٦٥ ، والرياشي هو العباس بن الفرج اللغوي النحوي ، قتله الرنج بالبصرة سنة ٢٥٧ هـ .

(١٢) طه احمد ابراهيم ، ص ١٢٤ .

(١٣) الشعر والشعراء ، ص ٧٨ .

(١٤) ينظر : التكميل بالشعر ، ص ١٨ وما بعدها .

(١٥) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

وينظر : الموشح للمرزباني ، ص ٣٧٧ .

(١٦) ينظر : قدامة بن جعفر ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(١٧) المصدر السابق ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٨) احسان عباس ، ص ١٩٥ .

للخلفاء والملوك والوزراء والكتاب وغيرهم ، فما يصح لهذا لا يصح لذلك ... الخ (٢١) ، ويحدد للشعراء مضامين قصائدهم وأبياتهم ، وليس لهم سوى ان يستمدوا منه تلك المعاني وان يضعوا لها الكلام الموزون المقفى لتستقيم شعرا ، ويلغي ، في عمله هذا ، شخصية الشاعر والفروق بين المواهب الشعرية ، ولا يعترف بالتجربة الخاصة ، ويحصر المعاني ويشجع الشعراء على المديح ، وكان الشعر وجد لخدمة المدوحين ، ويقتل روح الابتكار والتجديد عند الشعراء ، ويعطي لنفسه دورا أكثر مما يستوعبه ناقد ، ولا يرى تفاوتاً بين المدوحين وأعمالهم وإنجازاتهم .

ومن آراء ابن سلام وابن قتيبة وقدامة وغيرهم نتمسك الاتجاهات الكثيرة التي سادت عالم النقد ، في العصر العباسي ، ودفعت النقاد ، تحت وطأة فوضى الأذواق ، واجترأ النظريات الأدبية الثابتة ، إلى وضع أصول للنقد القاعدي القائم على أسس موحدة ، كالعلم ، مع معرفتهم بصعوبة الأمر وتعذره ، ولكن النزعة إلى التحديد ما زالت تحكم آراء النقاد وتمتد ، أحيانا ، العوالم الأدبية بفيض من الدراسات والبحوث ، ويبقى الأدب يرفض جوانب من النقد القاعدي ويتأبها ولا يصدر عنها في تطوره وأزدهاره .

الصراع بين القديم والحديث :

يبدو أن الصراع بين القديم والحديث والتقليد والتجديد والماضي والحاضر سمة تبرز في الحياة الفكرية حين تتطلع الأمة إلى إنجاز حضاري جديد وتطمح إلى تطوير تجارب الماضين والاستفادة من القدرات المعاصرة ، ولا تتضح تلك السمة إلا في أدوار معينة تحكمها التحولات الاجتماعية والسياسية ، ويتخذ ذلك الصراع أحيانا جانبا سلبيا سقيما ، وقد يضع جهد وتبذد طاقات وتهدر كلمات ، ولكن القرار يومي في النهاية إلى نواحي إيجابية ودراسات جديدة وآراء مغايرة ، أو إلى ما هو أبعد من ذلك : بحث دائم عن عوالم غير معهودة وكشف مستمر لما يظني البشر من تساؤلات لا متناهية عن الغامض والمجهول ، وتحريك الأفكار والعقول ، وفهم حديث للتراث وإضافة جديدة إليه وترسيخه وامتداده إلى المستقبل بشكل يبقى على تطوره وحيويته وقدرته على الصيرورة والمعاصرة .

ويتخذ الصراع بين القديم والحديث انصارا

(٢١) ويرى حازم القرطاجني الرأي نفسه فيقسم معاني المديح للحناء والأمراء والوزراء والقضاة ، ص ١٧٠ وما بعدها .

ونجد الرغبة في النقد القاعدي قد أدت بقدامة ، كما فعلت بابن قتيبة ، أن يلغي ، باعتباره المديح أساس الشعر ، موقف الشاعر وشخصيته ومكوناته الثقافية والحضارية ، ويمكننا أن ندرك بسهولة أن التجربة الشعرية تختلف في حالة المديح الحقيقي ، أي الإعجاب بعمل بطولي أو إنجاز عظيم يقوم به شخص يستأهل الأشادة والاطراء ، عن الغزل وموقف الشاعر من امرأة أحبها ، ووصف الأحاسيس التي أثارتها في نفسه ، ومدى الاندماج الروحي والنفسي بينهما ، ومعنى الوحدة والتفرد .. الخ ، وبين المديح والرثاء بون شاسع ، فحزن الشاعر لأن الموت طوى أنسانا أحبه يختلف عن إعجابه بشخص معين ، لعمل جيد قام به ، وقد يتطور الرثاء إلى تأمل فلسفي في قضايا الموت والحياة والفناء والخلود ، والهجاء الذي تحتمه طبيعة الدفاع عن النفس أو القبيلة أو الأمة أو المعتقد يتحول إلى سلاح ماض يدفع به الشاعر غائلة المتأولين والأعداء ويوطد عن طريقه دعائم ما آمن به فرديا أو جماعيا ، ليس من السداجنة والرغبة العارمة في التحديد أن يذهب ناقد كقدامة بأن المديح أساس الشعر ؟ فإذا ذكر شاعر بأن فلانا عظيم ، فهذا مديح ، وإن قال بأنه كان عظيما ، فذاك هو الرثاء ، وإن حور المعنى ووجهه إلى امرأة فقد تغزل ، وإن سلب أحدا صفة إيجابية فقد هجاه (١٩) ، إلا نجد في هذا الرأي تعنتا وحصرنا وأصرارا على النقد القاعدي « ولو صح ما يقوله قدامة لنضب الشعر في جيل واحد ، ولا استحال نظما ، ولو صح لخاض الشعراء جميعا في كل الأغراض ، ولما كان من تعليل ممكن لأن يجيد شاعر كالفرزدق المديح ، ويتخلف تخلفا زريا في الرثاء ولأن يتأخر زهير والبحثري في الهجاء ويأتي بالمبدائع الفاخرة ، ولو صح لكان الهجاء صورة واحدة في كل العصور ، واحدة عند كل الشعراء ، ولكن تاريخ الأدب يفند ذلك ويقرر أن لكل عصر في الهجاء معاني ومناحي وأساليب خاصة ، فالهجاء في العصر الإسلامي غيره عند المحدثين ، والهجاء عند جرير غيره عند بشار ... » (٢٠) .

ويوغل قدامة في غرابة آرائه فيصنف المديح ، أساس الشعر وقطبه الأكبر كما يرى ، إلى معان

(١٩) ينقل حازم القرطاجني رأيا مماثلا للملاحظ : « ليس شيء إلا وله وجهان وطريقان . فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين وإذا ذموا ذكروا أقبحهما » ، ينظر : منهاج البلقاء وسراج الأدياء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن النجوة ، تونس ١٩٦٦ ، ص ٧٤ .

(٢٠) طه أحمد إبراهيم ، ص ١٢٣ .

من فريقين ، يلتزم الاول بالقديم ويهيء مواقع الدفاع المستميت عنه ، ويتجه الثاني الى الحديث ، محاولا النيل مع تلك المواقع ، مبررا الحداثة بأسباب وعوامل كثيرة ، ويطلع احيانا فريق توفيق ثالث ، يتوسط بين هؤلاء وأولئك ، يظهر خير ما توصلوا اليه وما قدموه من نظريات وآراء ، وقد يقوم ذلك الصراع احيانا تحت وطأة فراغ فكري ووجداني عند جيل من الاجيال حين يشغل بالجدل تلهية وتأكيدا للذات ، ويشمل الصراع مظاهر فكرية متعددة ويتبلور في اكثرها عرضة للجدل والنقاش ، حين لا تحكمه قوانين ثابتة كالادب الذي يعتمد الموهبة والقدرة والثقافة والتذوق .

وبدا صراع بين القديم والحديث ، في العصر العباسي ، بتأثير التحولات العامة وتبدل النمطية المتوارثة في الفكر والحياة ، وبهمنا منه الجسائب الادبي الذي اثرى الاجيال المتعاقبة بمصادر ثقافية متعددة واحتدمت فيه اقوال وآراء .

ولا يعدم العصر الجاهلي ، من قبل ، لونا من اللون ذلك الصراع ، فزهر يشكو بانه ينظم معاني مكرورة معادة ، وامرؤ القيس يريد ان ينهج طريق شاعر قديم في الوقوف على الاطلال ، وعنترة يرى ان الشعراء السابقين لم يتركوا له مجالا في عالم الشعر ومضامينه يتحدث عنه (٢٢) ، وفي ذلك بحث عن معاصرة جاهلية مفارقة لما جاء به شعراء الجاهلية القدماء الذين لا نعرف عنهم شيئا ، وما مجالس الادب والنقد في سوق عكاظ وغيره الا مظهر للتفوق والمنافسة وتجاوز النموذج القديم ، وقد تجد ثورة ابي نواس ، فيما بعد ، على افتتاح القصائد بالوقوف على الطلل ، صدى صامتا في مطلع معلقة عمرو بن كلثوم : « ألا هبي بصحنك فاصبحينا » وغيره من الجاهليين الذين لم يفتتحوا قصائدهم بالطلل كامية بن ابي الصلت : (غذوتك ماولدا ...) وتابط شرا : (ان بالشعب الذي دون سلع) ، والحارث بن ولة : (قومي هم قتلوا اميم أخي) ، والمنخل الشكري : (ان كنت عاذلتني فسيري) وعشرات القصائد الاخرى .

(٢٢) يقول زهير :

ما اوانا نقول الا ممسارا
او معادا من قولنا مكرورا

ويقول امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لاننا
نبيكي الديار كما بيكي ابن حدام

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

وحين ظهر الاسلام وتبدل وجه الحياة واجتاحت الجزيرة العربية قيم جديدة ، ارتد بعض الناس الى الماضي مدافعين عن مواقفه متشبثين بانسيابيته ، فلخصت الآية الكريمة موقف السردة الفكرية عندهم : (بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) ، وحين توطدت اركان الاسلام وشارف العصر الثاني على الانتهاء قام العهد الاموي ، وريث العصرين السابقين ، وبدأت مظاهر الصراع تتخذ اوجها عديدة ، واتسعت المسألة في العصر العباسي ، ولو سادت فكرة ان يحيا الجديد الى جانب القديم ، وان مقومات الجودة تشبها صفات القدم ، والا تجديد بلا تقليد ، وان لكل عصر اساليب في التعبير خاصة ، لما قام ذلك الصراع ، ولكن اسبابا اخرى ساعدت على تكوينه منها : انهيار جمهرة المتأدبين بالنموذج الجاهلي ، ومكانة الرواة ، فحاكى بعض الشعراء الاساليب القديمة ، وآمنوا ان ليس بالامكان احسن منها ، والا تجديد تحت الشمس الاموية والعباسية ، متطلعين الى استقطاب درجة من الاعجاب توازي ما حظيت به تلك الاساليب ، واندفع اخرون الى نحل الجاهليين قصائد ينظمونها ، مترسمين خطاهم ، حين وجدوا ان تقديس القديم ، ألغى دور الحاضر ، ولم يأبه لقريحة ابنائه ، واللغويون ، طليعة المدافعين عن القديم بحثا عن الشاهد ، يضمون ضوابط وقواعد للغة ، فلا يليق الاستشهاد بمحدث ، ولا تقوى الحجة به .

ومما اسهم في التعصب للقديم اشارة الركود الفكري عند فريق من الناس اعتادوا انماطاً من التعبير ثابتة ، وليس لهم ان يعكروا صفو امزجتهم الادبية بأساليب مفارقة ومعان مبتكرة ومناح جديدة في القول . والانسان اذا ما تلبسته مواقف فكرية معينة عدو لما يجهل ، وليس له القدرة على الكشف ، يكتفي بما عرف واتقن ، يتحصن به ، ويقيم من حوله الاسوار ، ويفلق المنافذ دون الحاضر والمستقبل ، تشبها بمواقفه .

ومن اسباب الانتصار للقديم ، رفض الحياة القائمة ، وتمويه هذا الرفض ، في لا وعي الانسان ، بالفاء اي انجاز حديث ، والتطلع باحترام يبلغ حد التأليه ، الى النماذج القديمة ، وشغل قدرات المعاصرين ، بالايحاء اليها ، كنهايات لا يمكن ان يتجاوزها مهما بلغوا من ثقافة او موهبة ، وقد تكون اسباب هذا الرفض اجتماعية او سياسية او عقائدية . ولا يقر الاباء والاجداد ، احيانا ، لابنائهم واحفادهم ، مهما اوغلوا في مجالات الابداع والعبقرية ان يتفوقوا عليهم ، والغيرة والحسد من الاجيال

الجديدة وما تحظى به من اعجاب واقبال قد يولدان موقفا سلبيا عنيفا ازاء اي تجديد وابتكار .

وحين يتأصل الفعل والامتداد الى الماضي يأتي رد الفعل والانطلاق الى المستقبل ، وهكذا قام الصراع بين القديم والحديث ، في العصر العباسي ، واغنى في اتجاهه الايجابي ، الحياة الفكرية والادبية ، فظهر من يرى ان الابداء يجب ان يؤدي دورهم كابائهم وان يعبروا عن احساسهم وان يصدروا عن معطيات عصرهم ، وان يمثلوا زمنهم ، وان تشرق عليهم الشمس المتجددة كل يوم ، وكما فعلت من قبل ، وان العبقريه ليست سمة عصر بذاته ، وعوالم الابداع مشرعة ، ترحب بالقدامين الموهوبين ، وابواب الاجتهاد مفتوحة دائما امام الانسان ، وياخذ رد الفعل قوة وتطرف الفعل فيظهر من يرفض القديم ونماذجه ، وفي ذلك قطع لسنة التطور الدائبة مع الحياة ، والغناء لفضل الابداء والاجداد في الريادة والكشف ، وفي الرايين حدة وخطأ ، وانكار للذوق الادبي وللنوازع الخاصة ، ولدور القارئ والمتلقي في عالم الادب ، يمكن ان يعجب بقديم وحديث ويطرب لجاهليسي وعباسي ، ويجمع بين هذا وذاك ، اعني قيام ابي تمام والمنتبي الا فضل للنايفة وليد؟ اليس التعصب لشاعر او عصر مردودا ومرفوضا طبقا لاسط القيم الحضارية والادبية ؟

والجاحظ من الكتاب العباسيين الذين حاولوا التوفيق بين القديم والحديث ، وفضل قصيدة لابي نواس على اخرى جاهلية ، وقال عن احد الرواة : « ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي اي زمن كان » (٢٣) ، ووقف ابن قتيبة موقفا وسطا بين القديم والحديث : « ... ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين واعطيت كلا حظه ، ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجة في اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخلط وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت

بروايته » (٢٤) ، فقد رأى ابن قتيبة طغيان التعصب للقديم على بعض المظاهر الادبية ، فابن سلام الجمحي ، يولي اهتماما كبيرا بالشعراء الجاهليين والاسلاميين دون المحدثين ، وتشيع اراء وتطغى مواقف ، ويصبح القدم معيارا نقديا وتستحيل الحدائنة مقياسا للحكم على النص بالرداءة ، وكأن الادب اثر من الآثار ، تزداد قيمته بتقدمه ، وليس تعبيراً عن الانسان في كل العصور ، يبقى الخالد منه حديثا في كل الازمنة والعهود .

ويمكن ان نشير الى بدايات المحدثين ببعض الامويين وبشار ورهطه من الشعراء العباسيين الذين حاولوا ان يخرجوا قليلا على التأثير الكلي للقدماء ، ولكنهم جوبهوا برفض وصل حد الازدراء والتجريح والاهمال ، في بعض الاحيان ، فابو عمرو بن العلاء يقول « او ادرك الاخلط يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه احدا » (٢٥) ، ويرى ابن الاعرابي : « انما اشعار هؤلاء المحدثين - كابي نواس وغيره - مثل الريحان يشم يوما ويدوي فيرمى به ، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا وانشده رجل شعرا لابي نواس احسن فيه ، فسكت ، فقال له الرجل : اما هذا من احسن الشعر ؟ قال بلى : ولكن القديم احب الي » (٢٦) ، وذكر الاصمعي : « حضرنا مأدبة وابو محرز خلف الاحمر وابن منذر معنا ، فقال له ابن منذر : يا ابا محرز ، ان يكن امرؤ القيس والنايفة وزهير ماتوا فهذه اشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمى بها عليه » (٢٧) ، وغير الاصمعي رايه في هذين البيتين :

**هل الى نظرة اليك سبيل
فيروى الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي
وكثير ممن تحب القليل**

عندما قال لراويهما : لمن تنشدني فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا الديباج الخسرواني ،

(٢٤) ابن قتيبة ، ص ٦٣ ، ٦٢ . ولحازم القرطاجني راي مماثل ايضا : « فاما من يذهب الى تفصيل المتقدمين على المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة ، لانه قد يتأخر اهل زمان عن اهل زمان ثم يكونون اشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من اقتناص المعاني بسفوره لهم عن اشياء لم تكن في الزمان الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له » ، ص ٣٧٨ .

(٢٥) طه احمد ابراهيم ، ص ١٠٢ .

(٢٦) المرزباني ، ص ٣٨٤ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٤٥٣ .

(٢٣) احسان عباس ، ص ٩٥ .

فقال الراوي انهما لليلتهما فرد عليه الاصمعي :
لا جرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما (٢٨).

وقيل لابي تمام : يا فتى ما اشد ما تنكيء على نفسك ، فليس للموهبة ان تبعد بحرية دون اقتباس ومحاكاة وتقليد ، وخاطب شاعر راوية : « اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ، ولا تقل ذاك جاهلي وهذا اسلامي ، وذلك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصريين ، ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية » (٢٩) .

ولكن ما الذي فعله اولئك المحدثون ، ليشروا نعمة المتعصبين للقديم ، وليكونوا موضع رفض وازدراء ، هل استطاعوا ان يغيروا من اساليب الشعر واوزانه وقوافيه ، وهل تخلصوا من المعاني والاخيلة القديمة ، وتمكنوا من ابتكار اشكال ومضامين مغايرة ؟ حين نستعرض هذا الصراع بين القديم والجديد والخصومة التي قامت حوله والنصوص الادبية المختلفة ، لا نجد شيئا من ذلك ، والمسألة لا تعدو ضرورة لغوية حتمت الاستشهاد بالقديم وانهارا بالتمودج الجاهلي لم يترك ، عند بعض الناس ، مجالا لابداع آخر ، وتغييرا في بعض الموضوعات ، تبعا لمتطلبات العصر ، واغراقا في المحسنات البديعية والاغراض البلاغية احيانا ، محاكاة للقديم وتفوقا عليه وتأثرا بالمنطق والفلسفة .

ووجد بعض الشعراء العباسيين ، ومنهم ابو نواس ، ان الوقوف على الاطلال امر لا ينسجم وحياتهم المتحضرة الجديدة ، فحاولوا ان يتخلصوا من هذا التقليد لانهم لا يستطيعون ان يستوعبوا مشاعر الجاهلي واحاسيسه الصادقة الحقيقية حين يمر بالطلل ، تحت تأثير تنقله الدائم في الصحراء وحنينه الى وطن ثابت وشوقه الى ذكريات ذاهبة وازمنة ضائعة ، فاختص بذلك الغرض الانساني الرائع وانفرد به الادب العربي دون اداب الامم الاخرى ، ولكن هذا لا يعني ان يشوّهه الشاعر العباسي او المتأخر بالمتابعة والمحاكاة ، والمسألة طبيعية ، ولكن المتعصبين للقديم ، وجدوا في افتتاح القصيدة بغير الطلل امتهانا للنموذج المألوف ، وان كان التغيير الذي طرأ على افتتاح القصائد ضئيلا ، فأبو نواس نفسه الذي هاجم بعنف افتتاح القصائد بالوقوف على الاطلال يعود فيبدأ به أماديحه ، ويسير على ذلك التقليد احيانا تحت تأثير طلب لا يستطيع الا تلبيةه :

(٢٨) الامدي ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحري ، تحقيق

احمد صقر ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٣ .

(٢٩) طه احمد ابراهيم ، ص ١٠٣ .

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا
فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطلول مسلط
تضيق ذراعي ان ارد له امرا
فسمعا امير المؤمنين ، وطاعة
وان كنت قد جشمتني مركبا وعرا

فهل نعتبر ابا نواس في افتتاح بعض قصائده بالخمريات وغيرها مجددا ؟ لقد حاول ان يجري تغييرا على مطالع بعض القصائد ، لا يستتبع صراعا ورفضاً واصراراً وانكاراً .

وبقي افتتاح القصيدة بالطلل سائدا ، في اكثر النماذج ، ولم يستطع الشعراء التخلص منه حتى في الاندلس فترسم كثير من الشعراء الخطي التي دأب عليها زملاؤهم في المشرق ، فهلال البياضي ، احد شعراء غرناطة ، مدح ابن حمدين ، قاضي قرطبة ، بقصيدة اولها :

عرج على ذاك الجنب العالي
واحكم على الاموال بالامال
فيه ابن حمدين الذي لنواله
من كل ارض شد كل رحال

فقال له القاضي : « ما هذا التوب الى المدح من اول وهلة ! الا تدري انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا ، وان الاولى التوسط » (٣٠) .

والشعر الجاهلي الذي عبر بقوة وصلابة ووضوح وروح بدوية عن احداث وتجارب معينة لا يمكن ان يأتي بأسر جملة الشعرية العباسي المترف الذي اعتاد حياة جديدة ومارس تجارب مغايرة ، فلانت عبارته وتبدل شظف العيش عنده نعيما والتنقل في الصحراء ، تحت ظروف صعبة ، سكنا وارفا ، لا يضنيه بحث عن ماء او كلاً ، ولا يدفع عن نفسه غزوا او غارة او وحوشا ضارية ، فكيف يتأتى للشاعر العباسي ان يحتفظ بالروح الجاهلية في قصائده ؟ ولا نرى غرابة ان كان قد خرج عن هذا وذاك قليلا .

واكثر شعراء عباسيون من المحسنات البديعية والاغراض البلاغية الاخرى ، بشكل يوحي انها الغاية المتوخاة من نظم الشعر ، تحت تأثير الدراسات العقلية والتفوق على النماذج القديمة ، ابتداء من بشار وانتهاء بأبي تمام وامتدادا الى العصور المتأخرة ، فقد بحثوا عن اسرار الابداع في

(٣٠) بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاندلس وعصر

الانبعث : بيروت ١٩٥٨ ، ص ٤١ .

القيم الثابتة ، ومهما اشتد الصراع بين قديم متوارث وحديث متجدد ، اثراء واثارة للحياة الادبية ، يظل الشعر ، في اروع نماذجه فوق هذا وذلك ، ضربا من ابداع متغير مع الزمن ، باستمرارية وتطور وتنوع . ولكن طبيعة الشعر المتمردة على القاعدة الثابتة لا تبرر ركودا في دنيا النقد ، ولا تستقيم حجة لمن يؤثر الصمت ويتعبد عن الروح النقدية التي تحاول دائما الكشف والتحليل والاستيعاب .

وقامت في العصر العباسي ، وفي العصور الاخرى ، مناقشات دائبة ، ومحاولات مستمرة ، لتقسيم الشعر الى اضرب وانواع ، بسمات خاصة ، وكان من نتيجة الصراع بين القديم والحديث ان ظهرت قضية نقدية اثارت نقاشا طويلا وسفح الادباء فيها محابر وسودوا صفحات ، حين راوا ان من الشعر : المتكلف ومنه المطبوع ، ووضعوا لهذا وذاك دلائل وعلامات ، وانبعوا في محاولة وضع قواعد للذوق الادبي طريقة التحديد والتصنيف واقحام الروح العلمية على الادب والشعر .

وقضية الشعر المتكلف والمطبوع تبدأ منذ العصر الجاهلي ، وتبرز عند زهير بن ابي سلمى ورهطه ، ويشيرها الاصمعي ، فيما بعد ، حين يصفهم بانهم عبيد الشعر (٢٢) ، فقد تدارسوه وبحثوا فيه وعنوا باخراجه وخافوا من الخطأ ، وابقوا القصيدة مدة طويلة ينقحون ويعبدون ، ويعيدون النظر ويتأملون ، فاتهموا بالتكلف ووصموا بالافتعال . واول ما يلاحظ في هذا الامر غرابة النقد الذي ينصب على طريقة نظم الشعر والوقت الذي يستغرقه ، دون النظر في الشعر نفسه وفي قيمته ومدى ابداعه ، وزهير نفسه يخبرنا عن طريقته في نظم الشعر ، ولو لم يكشفها لما عرفنا عنها شيئا ، ولما قام ذلك النقاش الذي ادى الى الاعتقاد بانه متكلف في شعره ، وماذا نعرف عن الشعراء الجاهليين الاخرين وغير الجاهليين ؟ هل اذاعوا اشعارهم بين الناس بعد نظمها مباشرة ، ام اعادوا النظر فيها وازافوا وعدلوا وغيروا ؟ ابعدهم جهلنا بطريقة نظمهم الشعر عن التكلف ؟ وفي هذه المسألة بالذات ، وبحدود زهير ورهطه ، وحكم الاصمعي الصارم ، هل يمكن ان نحتج على الشاعر الذي يهدف الى ان يكون شعره اقرب الى الجودة والكمال فنتهمه بانه عبد لموهبته وانها ليست طوع بانه ، بوجهها كيف يشاء ، وفي أي موضوع يريد ؟

لم يخرج زهير عن كونه شاعرا اراد ان يدرس

النص القديم ، واسباب الاعجاب والانبهار به ، ولم يدركوا الا جزءا يسيرا منه منحصر بالاغراض البلاغية ، وحين يؤدي الشاعر معنى بطريقة مغايرة ، فارادوا المحاكاة ، واحبوا لاشعارهم ان يكون لها الاسر القديم ، فتطرفوا ، ولقي عملهم نفورا من المتعصبين للقديم ، وكان البلاغة وقف على عصر دون آخر ، وبرزت مسألة نقدية جديدة هي الطبع والتكلف في الشعر ، وادى اغراقهم في استعمال المحسنات البلاغية الى ان يكون للقضية وجهان ، اولهما : مبعثه محاكاة اسرار الابداع في النص القديم ، للوصول الى اعجاب مماثل ، وثانيهما : اندهاشهم بما فعلوا فتوهموا انهم جددوا وابتكروا وجاءوا بما لم تعهده اصول الشعر القديمة الثابتة ، وانبرى اخرون يسفهون ما يعملون ، وألف ابن المعتز كتاب البديع ليجرد ابا تمام من فضل ابتكار المعاني والاختيلة والتعبير عنها بالاساليب البلاغية ، لانها وجدت قبل ابي تمام في الشعر الجاهلي والاسلامي ، والفى ابن الاعرابي شعر ابي تمام كله بقوله : « ان كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل » (٢١) .

واذا عدنا ندرس ذلك الصراع بين القديم والحديث بتفصيلاته الدقيقة لا نخرج سوى اثارة للحياة الادبية وراء واقوال ، ونقاش دائم ، فليس هناك تجديد تام ، ولا نجد اساليب خاصة ولا اوزانا وفواقي مغايرة ، ولا معاني تنفصل ، الانفصال الكلي ، عما اتى به الجاهلي بالرغم من محاولات ابي العتاهية وابي نواس وغيرهما في الازان والقوافي ، وبالرغم من الجملة الشعرية التي انسجمت والحياة الجديدة وعبرت عنها .

وما لبث جديد العباسيين ان اصبح قديما ، وقام الصراع حول ما استجدت عليه من محاولات ، لا تحاكيه ، وليست المسألة قدما وحداثة ، في عالم الادب والنقد ، فالنص الجيد الرائع يثبت وجوده ويفرض نفسه على المتذوقين ، سواء اكان جديدا ام قديما ، فان اقتضت الروعة على الجديد ، فما معنى الخلود الادبي ، وان كان الابداع حكرا على القديم ، ففي ذلك تعطيل لقابليات ومواهب الاجيال المتعاقبة ، واي معنى يبقى للمثابرة الانسانية والكشف والريادة .

الطبع والتكلف :

مهما اوغلنا في النقد القاعدي ، بحثا عن

(٢١) اخبار ابي تمام للصولي ، تحقيق خليل مسافر وجماعته ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٢٤٤ .

(٢٢) ابن قتيبة ، ص ١٤٤ .

الشعر وان يكون ناقدا له ، بحدود معرفة ومعطيات عصره ، وعلينا ان ننسى كيف نظم الشعر وان نحكم على قصائده بما تحويه من قوة وشاعرية وإبداع ، فمن الناس من يعجب بابياته ويراه أشعر الجاهليين ، وهناك من يعجب بشاعر آخر دون ان يدري كيف نظم الشعر وهل اعاد فيه النظر « وما يقال عن طفيل الغنوي وزهير بن ابي سلمى والحطيئة من انهم كانوا اصحاب اناة وروية في الشعر ، وانهم كانوا عبيدا له ، وانهم شقوا به ، ليس معناه التكلف او الصنعة . كان زهير حريصا على الا يخرج شعره للناس الا بعد تهذيبه ، وما كان هذا التهذيب الا ابعاد ما لا يحتاج اليه المعنى ، او ابعاد معنى لاجلال له ، او تغيير عبارة بأختها او لفظة بغيرها اتم واكمل » (٢٢) .

ولكن القضية تتطور في العصر الاموي والعباسي وتتشعب الى مسارب نقدية متنوعة ، ويعني الطبع عند بعض النقاد والشعراء القدرة على الارتجال ونظم الشعر عفويا دون اطالة تأمل او تفكير واشاعته بين الناس دون اعادة نظر او تعديل ، فهل يهمننا كيف ينظم الشاعر قصيدته والوقت الذي يستغرقه ذلك النظم ، وهل له قدرة على الارتجال ؟ ام اننا نعنى بقيمة القصيدة الجمالية وشاعريتها وابتعادها عن التقليد وابتكارها للمعاني ، والقصيدة الرائعة تحمل معها عناصر جودتها وبقائها وخلودها ولا قيمة للوقت الذي تم فيه نظمها ، يقول ابن قتيبة : « ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف وتقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة . وكان الاصمعي يقول زهير والحطيئة واشباههما عبيد الشعر لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات ... والتكلف من الشعر وان كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه ... » (٢٤) ، فلم اعتبر ابن قتيبة تقويم الشعر وتنقيحه واعادة النظر فيه عيبا ؟ وهل يمكن ان نرى في شعر زهير والحطيئة كثرة الضرورات ؟ وما الامثلة الدالة على ذلك ؟ وهل حذف هذان الشاعران ومن شابههما ما بالمعاني حاجة اليه ؟ واين

الايات التي نجد فيها زيادة ما بالمعاني غنى عنه ؟ ولم نمنع عن الشعراء طول التفكير والتأمل ، وننشد في النظم السهولة واليسر ؟ وقد تعترى الشاعر معاناة في تمثله التجربة والتعبير عنها ، ولا يهمننا رشح جبينه بقدر ما يرفض عنه ذلك الجبين من اشعاع وإبداع . ويقول ابن قتيبة : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي واراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيتيه وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزجر » (٢٥) فهل ان زهير ورهطه لم يقتدروا على القوافي ... الخ ، واي تحديد للشاعر المبدع ان يسمح بالشعر واي مقياس يمكن ان نضع لذلك السماح ؟ ولم يكون مكن الروعة في البيت ان يرينا صدره عجزه ونذكر قافيته من فاتحته ؟ وما ذنب الشعراء الذين لا يستجيبون لاهواء الناس في نظم الشعر الفوري المرتجل ، ويصدرون في نظمهم عن تجارب حقيقية مروا بها واحسوا بابتعادها ؟ ولنفرض ان شاعرا لا يقدر على الارتجال ، ولنتصور اخر اصيب بلثغة في لسانه ، ايعيب هذا وذاك الشعر الرائع الذي يتقدمان به ؟

وتتخذ القضية شكلا مغايرا حين يقتصر التكلف بالمحسنات البديعية والتطرف في استعمالها بكد وعناء ، ولان بعض النقاد يتقبلون ما جاء منها عفو الخاطر وفيض القريحة مالوا الى اعتبار البديعيين من الشعراء متكلفين : « وقد نجد في كلام المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع بين اقسام البديع في بيت فلا ضرر ان يقع ما عناه في عيباء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده ، كمن ثقل العروس باصناف الحلبي ، حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها » (٢٦) ، وهنا تبرز امامنا حقيقة ان شعر شاعر لم يخل من البديع والافغراض البلاغية المتنوعة ، ولكن تفاوتت النسب بما جاء عرضا وما افتعل واصطنع ، وقارئو الشعر ومتذوقوه يختلفون في رؤيتهم للاصطناع والعفوية في المعاني التي تضمنتها القصائد . وقامت في العصر العباسي ، نتيجة ثنائية الطبع والتكلف ، مدرستان ، اولاهما : مدرسة المطبوعين ، وعلى رأسهم البحتري ، والاخرى ، مدرسة المتكلفين ، وفي مقدمتهم ابو

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢٦) عبدالقاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ، ص ٦٠ .

(٢٣) طه احمد ابراهيم ، ص ٩٩ .

(٢٤) ابن قتيبة ، ص ٨٨ ، ٧٨ .

مصطنعة لاثارة المارك الادبية وهي متكلفة اصلا ولا تستدعي عناءا كبيرا وان استمر الحديث عنها احقابا طويلة .

وحدة الموضوع :

كثر الحديث عن وحدة الموضوع ووحدة البيت في القصيدة العربية وعن الوحدة العضوية في النص الادبي ، كمصطلح نقدي حديث ، وعن شروط تلك الوحدة (٤٢) ، وظهرت كتب تناولت الموضوع بالتفصيل (٤٣) ، ونشرت بحوث ومقالات (٤٤) ، ولعل كثرة ما كتب يومي الى صعوبة ايجاد رأي ثابت لاختلاف النصوص الشعرية في ابتعادها واقتربها من وحدة الموضوع وتماسكها وتفككها في موضوعها الواحد او موضوعاتها المتعددة ، وعدم وضوح الوحدة احيانا في روابط خفية بين الموضوعات المتنوعة في القصيدة لا ندرکها الا بعد الكشف عن تجربة الشاعر والاطار الذي تدور فيه ، وكان القصيدة لوحة ذات الوان متباينة تتداخل فيها مشاهد عديدة ، تبدو متنافرة ، ولا يتسنى لنا بسهولة فهم مراميها وتوضيح الصلة الوثيقة بين اجزائها وعلاقتها بظروف قائلها ومعطيات حياته ومفاهيم عصره والذوق الادبي السائد فيه .

واختلفت آراء الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين في وحدة الموضوع ، فمنهم من ينفي وجودها في القصيدة العربية القديمة ، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « فليست القصيدة الجاهلية وحدة عضوية في شكل من الاشكال لانه لا صلة فكرية بين اجزائها فالوحدة فيها خارجية

تمام ، وطال النقاش حول الشاعرين واتجاههما ، وعناصر الطبع والعضوية عند البحري ، واسباب التكلف وادخال المنطق والاقيسة العقلية في الشعر عند ابي تمام ، وقامت الدراسات والاف الامدي كتاب الموازنة بين الطائيين ، ومما قاله فيه : « انا اذكر باذن الله الان في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر في ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبني ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايها اشعر عندي على الاطلاق فاني غير فاعل ذلك ... وانا ابتديء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشعارين على الفرقة الاخرى عند تخصمهم في تفضيل احدهما على الاخر » (٢٧) ، ومما قاله ايضا : « فان كنت - ادام الله سلامتك - ممن يفضل سهل الكلام وقربه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري اشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على ما سوى ذلك ، فأبو تمام عندك اشعر لا محالة » (٢٨) ، وبالرغم من منهجية الامدي وموضوعيته (٢٩) ، وان اتهم بميله الى البحتري (٤٠) ، استمر النقاش حول التكلف والطبع في الشعر ، ومهما اوغلنا فيه ، تبقى لابي تمام والبحري قصائد جيدة واخرى لا تماثلها مستوى وثالثة ما بين بين ، ويقرأ الناس لهذا وذاك ويعجبون ويرفضون ، ولم يتغير الذوق الادبي والمفاهيم الشعرية السائدة ايام المعتصم عنها ، في ايام المتوكل ، والقضية نوع من التقسيم والتصنيف والتحديد ، وهيمنة النقاد على الذوق الادبي ، وهناك شعر جيد صادر عن تجربة وتأثر وصدق وموهبة عالية ، لا تملك الا ان تعجب به وتطرب ، وهناك شعر اخر مصطنع بارد ، عوامل الضعف فيه لا تخفى على القارئ ، ولا يخلو شعر شاعر من قوة وضعف ، وصدق وافتعال ، وهذا ينسحب على ابي تمام والبحري والشعراء الذين وصفوا بالمطبوخين والمتكلفين ، وكان البحتري نفسه يسقط من شعره ما يراه ضعيفا فيعيد سيرة زهير ويلقي رأي النقاد في الطبع والتكلف ، يقول العسكري : انه « كان يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به » (٤١) ، فمسألة الطبع والتكلف

(٣٧) الامدي ، ص ٧ .

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) مندور ، ص ٩٣ وما بعدها .

(٤٠) احسان عباس ، ص ١٦٢ وما بعدها .

(٤١) ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق البجادي وابراهيم ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١٤١ . وتنظر :

مصطلحات نقدية ، رسالة ماجستير لخيرالله علسي السعداني ، تقدم بها الى جامعة بغداد ، اذار ١٩٧٤ ، ص ٤٤ وما بعدها .

(٤٢) مما دعاني في دراسات سابقة الى تجاوز وحدة الموضوع والتأكيد على وحدة التكامل الادبي في دراسة ونقد النصوص الادبية القديمة والتطلع الى ذلك التكامل في ابداع ادباء هذا العصر والعصور المقبلة ، انظر مقالة الادب : « الاداء المسرحي والعمل المتكامل » ، العدد ١ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٨ وما بعدها . والشعر والزمن ، سلسلة الكتب الحديثة ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥ .

(٤٣) منها : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، للدكتور نوري القيسي ، الموصل ١٩٧٤ . ووحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، للسيدة حياة جاسم ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ ، ووحدة القصيدة في الشعر العربي ، للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي ، القاهرة ١٩٥٢ .

(٤٤) احصت السيدة حياة جاسم قسما كبيرا من تلك البحوث والمقالات ، ينظر كتابها ، ص ٩٣ وما بعدها .

لا رباط فيها الا من ناحية خيال الجاهلي وحالته النفسية في وصف الرحلة لدح المدوح » (٤٥) ، وبما ان التماسك العضوي او الدرامي في النص الشعري مفهوم حديث فاننا نثقل على الشاعر الجاهلي حين نطالبه به ، ونرى بالرغم من ذلك الصلة الفكرية قوية بين اجزاء القصيدة الجاهلية ، وخيال الشاعر وحالته النفسية لا تتباعد في وصف الرحلة الى المدوح فقط ، لان قصائد المديح لا تشكل الا جزءا يسيرا من الشعر الجاهلي (٤٦) ، وهناك قصائد جاهلية كثيرة فيها وحدة موضوع (٤٧) ، ويبقى التماسك العضوي امرا متباين وتختلف فيه الاراء بالنسبة الى الشعر الجاهلي . ويرى الدكتور محمد مندور : « ان الادب العربي ادب جزئيات ، وحدتها البيت لا الفكرة ولا الاسطورة ولا الموقعة التاريخية » (٤٨) ، ولا ننكر ان تجزئة في فهم النص الشعري وفي نظمه ايضا وردت عند فريق من الشعراء ومتلقي الشعر (٤٩) ، فوحدة الموضوع يجب ان تتوافر في النص الادبي وفي ذهن من يقرأ ذلك النص لتتم عملية فهمه بصورة متكاملة ، وان من شروط هذه الوحدة عند الشاعر ان يعبر عن تجربة معينة او موقف محدد وعند القارئ ان يلم بالظروف النفسية التي احاطت بالشاعر حين نظم قصيدته ، ووحدة البيت لا تعني انفراط الصلة مع البيت الذي يليه ، ولم تعد افكار المتابعة في ابیات تصف ظللا او خمرة او تمدح شخصا او ترثي آخر ، وقد نجد شيئا من الاسطورة والموقعة التاريخية في شعر ابي تمام مثلا ، ونرى العلاقة واضحة بين ابیات قصيدة للمتنبى (٥٠) ، او لابي العلاء او لغيرهم من الشعراء .

وللمستشرقين اراء في وحدة الموضوع تميل الى افتقار القصيدة العربية اليها ، يقول ديزموند ستوروت : « في اللغة العربية ، الوحدة ليست

(٤٥) محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٤٦) ينظر : التكسب بالشعر ، ص ١٠ وما بعدها .

(٤٧) منها ما ذكرت في معرض حديثي عن الصراع بين القديم والحديث ، ومنها ما تدرجه السيدة حياة جاسم في كتابها ، ص ٣٥٩ وما بعدها .

(٤٨) مندور ، ص ١٤٩ .

(٤٩) تنظر للكتاب مقالته في الاداب : « الادب العربي ليس مقروءا » ، العدد ٦ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١١ وما بعدها . وللدكتور حسام الالوسي : « طبيعة القصيدة العربية الكلاسيكية ومسائل اخرى » الاداب ، العدد ٩ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٥٠) ينظر للكاتب : بحثه في مجلة الجامعة المستنصرية عن حكم المتنبي ، العدد ٢ ، بغداد ١٩٧١ .

للقصيدة ككل ولكن للبيت . كل بيت قائم بذاته ، القافية واحدة في الابيات جميعا ، هذا صحيح ولكن تبقى القصيدة اجزاء متفرقة كجيات الخرز ، ينتظمها سلك واحد ، يمكن ان نرفع ايا منها ونضعه في مكان الاخر » (٥١) ، ويصح طبقا لذلك ان نضع بيت امرى القيس : « وان تك قد ساءت منك مني خليقة » مكان مطلع قصيدته : « قفا نبك ... » ، وهذا رأي تعوزه الدقة والتركيز ، ويرى آخر : « ان القصيدة التي تعد نموذج الشعر القديم خالية تماما من الوحدة وتسير من غير نظام لانها تتكون من الاطلاات والتوسعات المقرون بعضها ببعض من غير رابطة منطقية » (٥٢) ، ولا اود ان اناقش هذا الرأي باستعراض القصائد التي تتناول موضوعا واحدا ، وقد ذكرت قسما منها ، ولكنني اريد ان استشهد بقصيدة معروفة قال اكثر دارسيها انها تضم موضوعات عديدة وهي معلقة امرى القيس : الانجد فيها شيئا يشبه تداعي المعاني ، فالوقوف على الاطلال يجر الى الغزل ، والغزل يثير موقف الحبيبة وجفاءها ، فيطول الليل على الشاعر وتنتابه هموم العاشقين ولا يستطيع بلوغ نهايته فيخرج « والطير في وكناتها » قبيل الفجر الى الصحراء ، فيصف الصيد والوحش ... الخ . ان القصيدة التي تفتقد وحدة الموضوع حقا ، ان كانت من الشعر الجيد ، ينتظمها اطار من مشاعر صاحبها ومن نوازعه ودوافعه وتطلعاته وحالته النفسية ، وفهم هذا الاطار يعوض عن تلك الوحدة ، وما ذنب الشاعر اذا لم تتبعت قصيدته في ذهن الناقد وحدة ما فيجزئها ابياتا ويفهمها كما يشاء ، ولا يكون بمقدوره ان يستوعب رؤيا الشاعر كاملة على الاطلاق .

ومن الباحثين من يثبت الوحدة الموضوعية في القصيدة العربية ، ويرى الدكتور طه حسين ان دراسة الابيات منفردة والاهتمام بوحدة البيت دون وحدة القصيدة امر حتمته نزعة بعض النقاد الى فهم القصيدة بيتا بيتا : « ومن اخص العيوب التي يؤخذ بها النقاد الذين نقدوا ابا تمام والبحري والمتنبي انكم لا تجدون احدا من هؤلاء النقاد ينقد القصيدة من حيث هي قصيدة ، فهم اذا قرأوا اجمل قصائد ابي تمام والبحري والمتنبي لا ينظرون اليها جملة ، كيف استقامت الفاظها ومعانيها واسلوبها ، وانما يقفون عند البيت او البيتين ، اجاد الشاعر في هذا التشبيه ام لم يجد ؟ اوفق في

(٥١) ديزموند ستوروت ، بابل الجديدة (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٦ ، ص ١٢٦ .

(٥٢) جوتيه ، ينظر : حسام الالوسي ، ص ٦٨ ومصادره .

هذا التعبير ام لم يوفق ؟ وما هكذا نتصور المثل الاعلى للنقد الادبي » (٥٢) ، فبعض النقاد كانوا يفتحون جزءا ضئيلا من الضوء على النص الادبي ويدرسون فقط ذلك الجزء المضاء ثم ينتهون منه فيسلطون الضوء على جزء اخر وهكذا .

ان اعتبار وحدة الموضوع شرطا من شروط نجاح النص الشعري في العصور المتعاقبة يستدعي وقفة قد تطول ، فاذا تجاوزنا سمات الابداع في النصوص الادبية وعلاقتها الوثقى بالوحدة العضوية في القصيدة نجد ظروفنا تحتتم وجود هذه الوحدة او انحسارها او اختفاءها ، منها طبيعة الموضوع وظرف الشاعر النفسي ومفهوم العصر للوحدة الموضوعية ، ففي العصر الجاهلي كانت احسن القصائد ما تناولت موضوعات متعددة ، وابن سلام ، كما مر بنا ، يضع تعدد الموضوعات واجادة الشاعر الجاهلي فيها اساسا للتقدم على اقرانه ، سواء اكان ذلك في قصيدة ام في اثار الشاعر كلها ، والقاء الشعر في محفل او مجلس يستدعي التوطئة بايات تمهد للغرض الرئيس ، ولكن هذا لا يعني ان القصائد جميعا فيها مقدمات تفقدها وحدة الموضوع ، ودرج شعراء الا يبدؤا قصائدهم بالمديح ، قبل التمهيد له بايات تتناول غرضا اخر ، وان كان بعض الشعراء قد قلدوا الجاهليين في الوقوف على الاطلاق ليصلوا بعد ذلك الى الغرض المراد فلا يمكننا ان نعتبر الطلل دائما مقدمة لغيره من الاغراض ، وقد يكون اروع ما تأتي به قصيدة جاهلية من صور شعرية ومعان عميقة (٥٤) .

ان النقاد العباسيين بالرغم من رأي الدكتور طه حسين اولوا وحدة الموضوع في القصيدة العربية اهتماما كبيرا ولكنهم لم يستطيعوا ان يعبثوا سيطرة الشراح على الاذهان في تناول القصائد مجزأة بيتا بعد بيت (٥٥) ، فالجاحظ يقول : « ... اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا ، كان على

اللسان عند انشاد ذلك مؤونة . واجود الشعر ما رايت متلاحم الاجزاء ، سهل الخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان » (٥٦) ، ويذكر شاعر انه قال لآخر : « انا اشعر منك ، قال : بم ذلك ؟ قال : لاني اقول البيت واخاه وانت تقول البيت وابن عمه » (٥٧) ، ويدعو ابن طباطبا الى وحدة الموضوع : « ينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاوزها او قبحه فيلائم بينها لتنظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها » (٥٨) . ومن نصوص شعرية كثيرة ذات موضوع واحد ، ومن اراء هؤلاء النقاد وغيرهم ندرك ان وحدة الموضوع لم تغب عن ذهن الشاعر والناقد العباسيين ، وانما ساعدت عوامل على تفككها منها القاء الشعر في محفل وما يستتبع ذلك من روح خطابية مباشرة ، والطقوس التي فرضها المدحجون على قصائد المديح والتوطئة لها بمقدمات ، ونظم الشاعر لقصيدته في اوقات متفاوتة وتحت تأثير تجارب عديدة وشعور مغاير .

وهناك من يدعو الى استقلال البيت الشعري ، فابن سلام يرى انه : « المستغني بنفسه ، المشهور ، الذي يضرب به المثل » (٥٩) ، ويمكننا ان ندرك بسهولة انه يعني الحكمة والامثال السائرة ، وليس الشعر جميعا حكمة او مثلا سائرا ، وليست الشهرة معيارا نقديا للحكم على الايات ، « وقيل لابي المهوش : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : لم اجد المثل النادر الا بيتا واحدا ، ولم اجد الشعر السائر الا بيتا واحدا » (٦٠) ، ويقول ابن رشيق : « انا استحسن ان يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده » (٦١) ، ولعله يقصد الاستقلال اللغوي او التركيبي ، فلا يصح في القصيدة القديمة ان ينتهي بيت بمبتدا او فاعل ، خبره او مفعوله في البيت التالي ، ولكن يجب ان ينسجم والايات الاخرى لتتم وحدة الموضوع ويجب ان يفهم البيت من خلال القصيدة والاستعانة بظروف واحاسيس صاحبها وقت ابداعها ليتضح

(٥٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٦٧ ، ٦٦ .
وارداد علة بنو رجل واحد من امهات شتى .

(٥٧) ينظر : الكامل للمبرد ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥٠٧ .

(٥٨) المرزباني ، ص ٣٠٧ .

(٥٩) طبقات الشعراء ، ص ١٢١ .

(٦٠) الجاحظ ، ص ٢٠٧ . وابو المهوش شاعر مخضرم .

(٦١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٠٧ ، ص ١٧٥ .

(٥٣) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٧٨ .

(٥٤) تنظر للكاتب مقالته في الاداب : « الغربة بين الشاعرين الجاهلي والمعاصر » ، العدد ٣ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٥٥) درست في البحث المنشور في مجلة الجامعة المستنصرية قصيدة للشعبي وخطل فهم الشراح لها بيتا بيتا كالمكبري والبرقوقي وغيرهما .

ان ينطبق هذا الحكم على الشعر العربي ، على معلقة
ليبد مثلاً ، او قصائد العذريين ، او أشعار عمر بن
ابي ربيعة ، او اهاجي جرير ، او انتاج بشار وابي
نواس وابي تمام وابن السرومي والمتنبي
المعري ... الخ .

ادى شرح الشراح للقصيدة بيتا بيتا دون
اكتشاف الرابط بين الابيات ومحة فريق من الناس
للايجاز واختصار التجارب بكلمات قليلة وراي بعض
النقاد في استقلال البيت الواحد الى فهم النص
الشعري المتكامل مجزأ الى قطع مبعثرة تمثلها
الابيات التي تستقل في الازهان قائمة بذاتها في حين
انها متماسكة مع الابيات الاخرى . ان وحدة
الموضوع تتمثل بوضوح في بعض النصوص القديمة
والحديثه او تنحصر في قسم اخر منها لاضطراب
يصيب الشاعر وقت النظم ، ولها علاقة كبرى
بمدى واتساع التجربة والموهبة ، تتناسب معها
طرديا ، وتتوقف أولا واخيرا على ارادة الشاعر
وطبيعة موضوعه وظروفه وقدرته على التماسك
الدرامي في النظم .

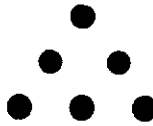
معناه فيها ، لا ان تعتبر القصيدة دوما مجموعة
حكم او حقائق او صور منفصلة او تجارب
مختصرة ، نجزئها كما نشاء ، فابن رشيق نفسه
يرى في موضع اخر ان ابيات القصيدة يجب ان
تكون متماسكة كاعضاء الانسان في ترابطها وتكاملها:
« ان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال
بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن
الآخر ، وباتنه في صحة التركيب غادر بالجسم
عاهة ... » (٦٢) ، ويعود المرزباني فيرى : « خير
الشعر ما لم يحتج بيت فيه الى بيت آخر » (٦٣) ،
ولو طبقنا هذا الراي تطبيقا علميا دقيقا على الشعر
العربي لرأينا معظمه ليس من خير الشعر ، ولا اظن
ان المرزباني ذهب الى ذلك ، وانما هو تأثير وجنابة
الشراح والفهم السريع للنص الشعري وطبيعة
القرار الذي تنتهي به القوافي ، فان كان كل بيت
منفردا لا يحتاج الى البيت التالي ، فما الذي دعا
الشعراء ان يجمعوا ابياتهم في قصائد ؟ وهل يمكن

(٦٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٦٣) المرزباني ، ص ٣٦ .



مركز تحقيقات کاتویر علوم اسلامی



تاريخ فن العمارة العربية الاسلامية

مدارس هذا الفن والفترات الكبرى لتطوره

بقلم

شريف يوسف

المقدمة :

عند بناء المساجد والجوامع ، او رغبة في التفاخر وتخليد مآثرهم وامجادهم . فالمساجد والقصور والمدارس ودور الشفاء والقلاع الحصينة وغيرها كانت كلها تشيد بامر هؤلاء الحكام وتحسب اشرافهم . فيعنى بزخرفتها وجمالها لتحمل اسمهم في الحياة ونفس رفاتهم بعد المات احيانا . وهكذا كان فن البناء دوما في خدمة الامراء والسلاطين وحاشيتهم المقربين ، وتبعاً لمستوى ثقافتهم كان هذا الفن يأخذ اتجاهه ، وتتطور اساليبه ، وتنوع زينته وزخرفته .

تطور فن العمارة العربية الاسلامية :

حين بدا العرب حياتهم الحافلة بعظائم الامور وجلال الاحداث كان فن البناء عندهم لم يزل وليدا ، فلم يكن في بلادهم اي فن في ذلك الوقت خلا اثر مجذب تخلف عن الماضي السحيق ، ولم يظهر في شبه الجزيرة العربية فن بناء قومي ظاهر الا في البقاع الخصبة التي كان يسكنها شعب يعيش في رخاء واستقرار كاليمن التي تختلف ظروفها كل الاختلاف عن تلك الظروف التي تضطر القوم الرحل الذين يضربون في الصحراء ويعيشون في عزلة وركود .

لقد نشأ فن العمارة العربية الاسلامية في المساجد أولا وفيها ولد وفي رحابها نما وترعرع ، فكانت المساجد والجوامع الاولى ابنية عادية اقيمت للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ، وليس فيها نزوع الى اتقان في العمارة ، فالول مسجد بني في الاسلام مسجد المدينة المنورة ، بناء الرسول الاعظم (ص) ووضع حجر اساسه بيده الكريمة سنة ٦٢٢ م . ويعتبر النموذج الاول لسائر المساجد الاخرى . وكان هذا المسجد مساحة من الارض مربعة الشكل ، تحيط بها جدران من الحجر والحجر ، وكان هناك سقف على جزء من اجزاء هذا المربع سقيفة صنعت من جريد النخل .

في مثل هذا البناء البدائي لم تكن ثم ضرورة الى استعارة اساليب معمارية من مكان ما ، اذ لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الاساليب ، وقد ظلت المساجد بالرغم من التغيرات التي طرأت على بنائها بيتا للعبادة ورمزا للوحدة الدينية والدنيوية .

انتقل العرب بعد ذلك من القناعة بالضرورة اللزوم الى الابنية الضخمة الفاخرة انتقالا سريعا ، فلم يمض على وفاة النبي الكريم (ص) عشرون سنة حتى اعيد بناء مسجده بالمدينة ، واقيمت له جدران ودعائم من الحجر . وبعد ستين قليلا

من المعلوم ان العرب الذين اندفعوا من الجزيرة العربية حاملين راية الاسلام استطاعوا في خلال نصف قرن ان يفتحوا ممالك كانت لها حضارة راسخة ومدنية عريقة ، وقد اسسوا خلال هذه الفترة القصرية امبراطورية تزيد في سعتها على سعة الامبراطورية الرومانية في ايام عظمتها واتساعها .

لقد احتوت هذه الامبراطورية العربية امما كثيرة ، وقد شملت كلا من سوريا وجزءا من ارمينية وشمال افريقية واسبانيا من الجهتين الشمالية والغربية ، كما شملت العراق وايران وتركستان وافغانستان والهند من الجهة الشرقية . وكانت المسيحية والوثنية منتشرة في هذه البلاد ، فوجد المسلمون فيها كنائس ومعابد عامرة عديدة وابنية وقصور ذات طراز واسلوب متقدم في فن العمارة ، ووجدوا من اهل هذه البلاد رجالا ذوي خبرة ومهارة فائقة في فن البناء والانشاء والزخرفة ، كما وجدوا مواد انشائية وافرة فيها ، فليس من العسير عليهم بعد هذا ان يبدأوا في اقامة المباني التي تلائم طبيعة معاشهم وتتفق مع متطلبات شمائرهم الدينية .

وبعد ان تم للعرب الاستقرار في البلاد التي رفعوا فوقها رايتهم توجهوا بكل همة ونشاط الى الناحية العمرانية ، فاستعانوا برجال الفن والصناعة من اهل البلاد التي خضعت لحكمهم وبرجال فنيين من البلاد التي بقيت خارج هذا الحكم ، وبدأت عماراتهم تظهر للعيان هنا وهناك ، واصبح لهذه العمارات شخصية معروفة ظاهرة ، تختلف كل الاختلاف من حيث الاسلوب والطراز عن تلك التي وجدوها قائمة في البلاد التي تم لهم فتحها . ان معظم العمارات والمنشآت التي شادها المسلمون في بداية حكمهم كانت في الغالب مساجد او قصور « دور امارة » ، ثم توسعوا في البناء واخذوا يشيرون المدارس والتكايا والجسور والقناطر ، وينتفنون في تخطيط مدن جديدة فيها الشوارع الواسعة والبرك الجميلة والحدائق الفناء التي تشهد بتقدمهم الفني واتساع خيالهم وتذوقهم لكل شيء جميل .

لقد كان للفنون بصورة عامة وللفن المعماري بصورة خاصة مكانة كبيرة عند حكام المسلمين وامرائهم وملوكهم ، وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بالتقدير والمكافاة من الحكام الذين يحلو لهم استغلال مواهب هؤلاء الفنانين في تشييد المباني وتزيينها وزخرفتها وتانيشها ، متفقيين عليها المال بكل سخاء وكرم ، يدفعهم الى ذلك طلب رضى الله سبحانه وتعالى

ان امتدت امبراطوريتهم واتسعت وشملت جميع البلاد المعمورة في العالم اذ ذاك .

وليس باستطاعتنا أيضا نكران مقدار استعانة العرب في اوائل نهضتهم برجال الفن والصناعة من أهل البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة في ذلك العهد ، فالعمارات الاسلامية القائمة في العالم الاسلامي الممتد من الصين شرقا الى الاندلس غربا اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم التي اتخذت الاسلام دينا وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود واتراك ونصارى ومغول وبربر .

الادوار التاريخية التي مرت بها فن العمارة الاسلامية :

بدأ الطراز الاسلامي يظهر عندما أخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديد ويظهرونها للعالم فنا معماريا جديدا متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم . فالطراز الاموي الذي هو اقدم الطرز الاسلامية جمع بين الطراز والاساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية) وبين المقاصد التي توخاها المسلمون لابنتهم ومنشآءاتهم ، ومن هذا الامتزاج ظهر طراز اموي بدیع انتشر في شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

وعندما دالت دولة الامويين وآلت الخلافة الى العباسيين وانتقلت العاصمة الاسلامية من دمشق الى بغداد ظهر طراز جديد كان فيه لاساليب الفن المعماري الساساني تأثير كبير ، كما انه تأثر بالاساليب الفنية الموروثة عن البابليين والاشوريين والبارثيين وشيء من الفن الافريقي الذي جاء الى الشرق عند فتح الاسكندر لهذه البلاد . ولما ضعفت الدولة العباسية واخذت الاقاليم الاسلامية تستقل عن عاصمة الخلافة العباسية ظهرت في كل اقليم صور واساليب جديدة للفن المعماري الاسلامي مع المحافظة على الروح الاسلامية الاصلية .

ان اكبر دولة قامت في الشرق في ظل الدولة العباسية هي الدولة البويهية التي أسسها (بويه) الملقب ب (آل شجاع) ، ولما آلت السلطنة الى (عضد الدولة) لقب بالملك ، وهو أول من لقب بهذا الاسم ، ودامت السلطنة البويهية من سنة ٣٢٠هـ الى ٤٢٧هـ . وكانت معاصرة للدولة الفاطمية في مصر .

وعندما فويت شوكة الاتراك في الدولة العباسية طمع بعض قوادها في الولايات وظهرت فروع تركية عديدة للدولة العباسية منها الطولونية في مصر والابليكية في تركستان والاشييدية في مصر والفرنوية في افغانستان والهند . ثم ظهرت الدولة التركية الكبرى (السلجوقية) في اواسط القرن الخامس الهجري ودام حكمها نحو ثلاثة قرون . ثم جاء المغول الى غرب آسيا واكتسحوا الدولة السلجوقية ، ما عدا السلجوقيين في بلاد الروم الذين ظلوا سائدين في سلطة الامراء حتى مجيء العثمانيين الذين استولوا على دولتهم واسسوا الدولة العثمانية في اوائل القرن الثامن . اسس المغول في العراق الدولة (الايلخانية) التي استمر حكمها حتى سنة ١٣٣٦م ، ثم جاءت الموجة المغولية الثانية بقيادة (تيمورلنك) بعد القضاء على حكم خلفاء (هولاكو) في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي .

اما في ايران فقد ظهرت الدولة الصفوية وحكمت من سنة ١٥٠٢ الى سنة ١٧٢٦م . وعندما دب الضعف في هذه

ادخلت المقصورة في عمارة المساجد ، وظهرت المآذن ، ودخلت زيادات ثانوية كاليوانات والاروقة التي تحيط بصحن المسجد ، رفعت فوقها اقواس وعقود متنوعة الاشكال من مدبة الاطراف الى مسطحة الى مفصصة وغيرها من الاشكال ، وقد رفعت السقوف على اعمدة او دعائم من الرخام والحجر او الاجر ، واستخدم الحراب في تحديد اتجاه القبلة ، وهكذا نرى عمارة المساجد تتطور في زمن قصيرة حتى أصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسية الهامة في بناء المساجد .

لقد أظهر المسلمون رأيا صائبا في اتخاذ القبلة عنصرا مميزا لابنية المساجد ، وان كان بناء القبلة معروف عند اليونان والرومان من قبل ، ففي سنة ٦٩١م . شيد الخليفة عبدالملك ابن مروان الاموي قبة الصخرة في بيت المقدس وجعلها من ادوع الابنية الاسلامية واضخمها ، وباني بعدها من حيث الاهمية والترتيب التاريخي المسجد الجامع الاموي في دمشق . ومما يمتاز به هذا المسجد من حيث الفن المعماري الاقواس التي تشبه حدوة الفرس والذي قدر له ان يكون مميزا لفن العمارة العربية في سوريا والمغرب ، ثم بنيت المآذن ، وكان أول مثال لاستعمالها في الاسلام في دمشق ، والغرض من بنائها غير غامض ، اذ انها بنيت لتكون مكانا مشرفا يدعو منه المؤذن المؤمنين الى الصلاة ، ولعل المسلمين عمدوا الى استحداث هذا ليكون مقابلا لعادة المسيحيين في الدعوة الى العبادة بدق المقرعة وذلك قبيل استخدام النواقيس .

وهناك فوق الظواهر المعمارية التي ذكرناها عناصر أخرى مميزة للفن المعماري الاسلامي يمكن اعتبارها كزخرفة او زينة في البناء ، منها الكتابات بمختلف أنواع الخط العربي وحفرها في الخشب أو الحجر أو الاجر ، ففي هذه الكتابات يتجلى الذوق والمهارة والجمال في استخدام الحروف لاغراض الزينة . ومن العناصر الجديدة أيضا الزجارف الملونة والبارزة ، كما دأبت طريقة الزخرفة بالنقاشني الزجج البراق المختلف الالوان والنقوش . ومن عناصر البناء الاسلامي أيضا المقرنصات تلك الظاهرة المعمارية العربية الفريدة التي تبعت المسلمين اني ذهبوا ، واصبحت طابعا يميز عماراتهم من الهند الى اسبانيا ، وقد فاق العراقيون غيرهم في هذا النوع من الزخرفة حتى ان العلماء يعتقدون ان أصلها عراقي محض ، وكذلك الشرفات المسننة او المضرسة التي يرجع أصلها الى طراز البناء العراقي الاشوري والبابلي .

تأثير العرب بالمدينيات والحضارات القديمة :

قلنا ان العرب قد تأثروا بحضارات ومدينيات البلاد التي اكتسحتهم جيوشهم الظافرة ، وكان تأثرهم بالاساليب الفنية التي كانت زاهرة في كل من سورية ومصر والعراق وايران والهند وغيرها من البلاد شيئا واضحا وجليا، ولكنهم ما لبثوا ان افرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسقة لها طابع خاص وميزة بارزة ، فاطهروا للعالم فنونا اثرت بدورها في فنون الغرب بعد ذلك تأثيرا ظاهرا حتى اليوم . فاذا قارنا الفنون العربية بالفنون التي سبقتها لوجدنا ان هذه يعوزها التنوع والابتكار ، وان العالم كان قد سئمها فتطلع الى تقاليد واساليب فنية اعظم ابهة واكثر حرية في الزخارف والموضوعات ، لا يعدل ما فيها من خيال وجاذبية الا ما تمتاز به من اسرار في مزج الالوان وجعلها تملأ البصر وتبهج النفس ، تلك الاساليب الفنية المتشودة التي وجدها العالم في الفنون الاسلامية بعد

الدولة نار عليها الافغان وظلوا يحكمون في مازندران نحو عشرين عاما . وبعده ظهر (نادر شاه) وطرد الافغان من ايران ولكنه قتل سنة ١٧٤٧ م . وفي الاقاليم الواقعة غرب ايران نجسد السيادة العثمانية أصبحت تشمل آسيا الصغرى وقسم من شمال افريقية .

هذا ما كان في الشرق الأدنى ، اما في شمال افريقية فان الفاطميين تم لهم فتح مصر سنة ٩٦٩ م . وبنوا القاهرة ، وعلى انقاض الدولة الفاطمية أسس صلاح الدين الايوبي الدولة الايوبية واستمر حكمها من سنة ٥٤٢ هـ الى سنة ٦٤٨ هـ حين غلبهم مماليكهم الاتراك .

وفي المغرب الأقصى تم للمغرب فتح جميع اسبانيا تقريبا سنة ٧١١ م ، وظلت الاندلس تابعة للخلافة الاموية مدة تسع وثلثين سنة . وقد بلغت الاندلس في أيام (عبدالرحمن الناصر) وابنه (الحكم) أوج مجدها . وبعدها أضمحت الدولة وأخذت بالانحلال حتى اقتسمها الولاة البربر وصاروا دولا صغيرة متفرقة وسموا بـ (ملوك الطوائف) . اتحد المغرب والاندلس تحت حكم المرابطين ، وعندما خلفهم الموحدون سنة ١١٤٧ م . بسطوا نفوذهم على الاندلس وظلوا يدافعون عنها تجاه حملات الاسبان حتى سنة ١٢٢٥ م . ولما حكم (بنونصر) الاندلس اقتصر حكمهم على مملكة غرناطة ، وهذه استطاعت ان تقاوم الاسبان حتى سنة ١٤٩٢ م وبعدها سقطت وبسقوطها زال حكم العرب من الاندلس ولكن آثارهم المعمارية ظلت شاخصة فيها تدل على مقدار ما بلغه الفن المعماري العربي الاسلامي من رفعة وعظمة .

لقد حصل نتيجة تبدل الحكم هذا وانتقال السلطة من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد من البلدان الاسلامية العديدة شيء كثير من التطور في فن العمارة ، الا انه ظل محافظا على الاسس العامة لهذا الفن في كل دور من تلك الادوار التي بينها بصورة مختصرة ، ونحن حين نتتبع تاريخ الاقطار الاسلامية حسب تسلسلها التاريخي لنمس بوضوح آثار وحدة حضارية قديمة تمتد من أقصى المغرب العربي الى أقصى بلاد الهند .

مدارس الفن المعماري الاسلامي :

بالرغم من وحدة الفن المعماري الاسلامي النسبية في كل دور من الادوار التاريخية السالفة الذكر فان هذا الفن تأثر بتغيرات محلية مرتبطة بتقاليد الشعوب التي دخلت الاسلام وتنوع بتنوع المواد الانشائية الموجودة في كل بلد من البلدان الاسلامية ، كما تأثر بحدوى الجوار للامم التي لم يستطع الاسلام السيطرة عليهم . ولهذا نرى هناك بعض الاختلاف في المظاهر العامة للمنشاءات الاسلامية بين بلد وآخر مما حدى بالعلماء الى تقسيم الفن المعماري الاسلامي الى عدة مدارس . وقد حدد العالم (هـ . سلاطان) هذه المدارس بما يأتي :-

- المدرسة السورية - المصرية .
- المدرسة المغربية وتشمل تونس والجزائر والمغرب واسبانيا وصقلية .
- المدرسة الفارسية وتضم بلاد الرافدين وايران .
- المدرسة العثمانية .
- المدرسة الهندية .

ان هذا التقسيم لا يعني وجود حدود حقيقية بين مدرسة واخرى ، وعلينا الا نتخذ بالاطار الظاهري لكل مدرسة

من هذه المدارس ، بل الافضل ان نجعل هذا التصنيف أكثر مرونة وان نزيح كثيرا من الفروق الظاهرية الموجودة بينها ، فالبلاد الاسلامية التي تربطها علاقات روحية ثابتة لم تقف المسافات الشاسعة التي تبعد بعضها عن بعض حائلا دون تبادل الافكار وسريان الازدهار الفني الذي قد يظهر في احداها الى الاطراف الاخرى من البعثات الاسلامية ، وطالما ظهرت ضرورات سياسية كثيرة اوجبت التضامن بين الحكام المسلمين المتباعدين ، فقد تبادل هؤلاء البعثات الثقافية وسعوا لتوثيق عرى الروابط بالمصاهرة والتعامل ، كل ذلك ساعد رجال الفن على الانتقال من بلد الى آخر لتبادل الصيغ الفنية والتباهي في التفوق الفني عند كل منها .

لهذه الاسباب يجب علينا عدم اعطاء أهمية كبرى لفهوم المدرسة حسب التقسيم الجغرافي المار الذكر ، بل يجب ان يكون اهتمامنا بالتقسيم التاريخي للتطور الطويل لهذا الفن .

الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي :

لقد قسم العلماء الادوار التي مر بها الفن المعماري الاسلامي الى اربع فترات أساسية كبرى فيجعلوا الفترة الاولى تبدأ منذ انتشار الاسلام وتأسيس الامبراطورية العربية الى زمن ضعف الدولة العباسية ، أي من منتصف القرن السابع للميلاد الى نهاية القرن التاسع . ففي هذه الفترة انتقلت عاصمة الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد . وقد أصبحت الامبراطورية العربية تشمل بلاد الرافدين وفارس وسوريا وقسم من البلدان التي تحيط بالبحر الابيض المتوسط ومصر وشمال افريقية والاندلس . ثم امتد حكم العرب شرقا ووصل كاشغر في الصين الغربية كما وصل قلب فرنسا الى بواتية غربا .

اما الفترة الثانية فقد بدأت من بداية القرن العاشر واستمرت زهاء مائتين وخمسين سنة ، وفيها كانت الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر في أوج عظمتها ، كما قامت في العراق الدولة البويهية ثم الدولة السلجوقية . وقد خرج الفن المعماري في هذه الفترة من مرحلة التقليد واغتنى بتأثيرات جديدة ، فتنوعت اتجاهاته واساليبه مع المحافظة على الروابط الاساسية التي تربطه بمصادره الاصلية .

والفترة الثالثة امتدت من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وفيها انحلت سلطة الخلفاء في بغداد وأخذت الممالك الاسلامية تسليخ الواحدة بعد الاخرى عن الامبراطورية مما ادى الى تعرضها الى أخطار خارجية عنيفة . أضاع المسلمون في هذه الفترة الاندلس واشتعلت الحروب الصليبية وأخذ الغول يعيشون في البلاد الاسلامية فتعددت العروش وكان هذا التعدد من الاسباب الداعية لزيادة التنافس والتفاخر في المباني والمنشآت واساليب تزيينها وزخرفتها .

والفترة الرابعة التي دامت نحو أربعة قرون توحدت فيها البلاد الاسلامية تحت الحكم العثماني وأصبحت القسطنطينية عاصمة الخلافة الاسلامية وامتد نفوذ الاتراك على جميع البلاد العربية من المغرب الى الخليج العربي ، وعلى بلاد البلقان وجنر اليونان فبرز في هذه الفترة طراز بناء تركي استوحى اسلوبه من الطراز البيزنطي والسلجوقي . الا ان ايران في هذه الفترة تابعت تطورها المعماري القومي ولم تتأثر كثيرا بالطراز العثماني ومثلها بلاد الهند .

دراسة فن العمارة الإسلامية :

ان كل منصف لا يستطيع ان ينكر فضل علماء الغرب في دراسة الفن العربي الاسلامي ، فقد عنى الغربيون عناية كبيرة في دراسة آثار هذا الفن في مختلف الادوار التاريخية وفي مختلف الاقطار الاسلامية ولم يتركوا زاوية من الزوايا الانثريسة الا وتناولوها بحثا وتنقيبا ودونوا نتائج دراساتهم هذه في كتب واسفار عدة . ونحن اصحاب هذا التراث مدينون لهؤلاء العلماء بما اخرجوه لنا من ابحاث ودراسات وما جمعوه من وثائق وما نشره من صور ومخططات ورسومات . فمن الواجب الاعتراف بفضلهم وتقدير مجهودهم الضائع وتضحياتهم من مال ووقت في التأليف والتنقيح والاخراج والطبع ، ولاشك ان كل ما نشره يعتبر ذخرا ثميناً في هذا الباب .

اما نحن العرب فعنيتنا في هذا الموضوع لاتزال قليلة نسبيا وان كانت هناك بوادر مفرحة للنهوض في هذا البحث أخذت تظهر بوادرها عند المثقفين من الجيل الجديد ، فقد صار البعض منهم يترجم بعض المؤلفات الاجنبية او يدون ما يعثر عليه من معلومات في مصادر عربية قديمة وينشرها بشكل مقالات في الصحف والمجلات ، كما انه من دواعي الفخر ان نرى دوائر الآثار القديمة والجامعات في مختلف البلاد العربية قد نشطت نشاطا ملحوظا في هذا المضمار ، وصار الاهتمام بما بقي من الآثار الاسلامية من واجبات هذه الدوائر وشعرت الجامعات بضرورة التوسع في دراسة التراث العربي الاسلامي والكشف عن جوانبه الفاضلة المتعددة الفروع والشعب .

ان العمارات الاسلامية التي لايزال بعضها قائما والمنتشرة من الصين الى بلاد المغرب والتي اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم كلها تحتاج الى دراسة واكتشاف ما فيها من دقة وجمال ، فهذه العمارات هي احدى الشواهد الدالة على مقدار ما وصلت اليه الحضارة المستفيضة على يد العرب في مختلف البلاد التي مرت بها او استقرت فيها الحضارة والمدنية العربية . هذا وساحاول الآن استعراض اهم الآثار العمرانية في كل قطر من الاقطار الاسلامية حسب الفترات الكبرى التي ذكرناها .

الفترة الاولى لتطور فن العمارة العربية الاسلامية :

في هذه الفترة نرى الابنية والمنشاءات العربية الاسلامية في عهد الراشدين تتمثل فيها كل البساطة المبررة عن بساطة الدين الاسلامي الحنيف ، فقد امتنع هؤلاء الخلفاء عن البذخ والاسراف في اموال المسلمين وتقيدوا كثيرا في الصرف لهذه الاغراض ، وانحصر مهمهم في تقوية جيوشهم الظاهرة وتأسيس مدن جديدة بسيطة البناء في البلاد التي تم لهم فتحها لتكون معسكرات لجنودهم .

بنى العرب (البصرة) سنة ١٦هـ / ٦٣٥م بعد فتح العراق وكان مؤسسها الاول (عتبة بن غزوان المازني) عامل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . خططها وفقا للقبائل التي سكنتها وجعل فيها الشوارع الرئيسية والفرعية ورحبات فسحة لرباط الخيل ، وكانت المنازل متلاصقة فيها ، وجعل المسجد الجامع ودار الامارة وبيت المال في وسط المدينة وانتشرت الاسواق حولها .

ثم بنى العرب (الكوفة) بعد عامين او ثلاثة من بناء البصرة

وجاء بناؤها على غرار مدينة البصرة . اسسها (سعد بن أبي وقاص) على الجانب الغربي من نهر الفرات بالقرب من الحيرة ، واول ما اختط فيها المسجد ودار الامارة .

وعندما فتح (عمرو بن العاص) مصر سنة ٦٤١م اختط مدينة (الفسطاط) وجعلها معسكرا لجنوده ، وتقاسمت القبائل خططها وبنى مسجدها ودار الامارة في وسطها .

لقد كان البناء بسيطا في جميع هذه المدن واغلب موادها الطين والقصب والمواد الاولية المتوفرة محليا ، وكانت البساطة ظاهرة في البناء ولم يحاول الولاة والحكام الاسراف على الزخرفة والبذخ على الرياش والالوان .

كان مسجد الرسول الاعظم (ص) في المدينة المنورة النموذج الاول لبناء المساجد في المدن الاسلامية الجديدة ، وهي عبارة عن مساحة من الارض مربعة الشكل تقريبا . مسودة بسور من الطين والحجارة ، اقيمت ظلة للمصلين في الضلع المتجه الى القبلة وخلفها صحن مكشوف واسع .

اما الكعبة الشريفة في مكة المكرمة فبعد ان نزع منها المسلمون ما يحيط بها من اصنام وحطوها بغيت قائمة في وسط ساحة تسمى (براحا) خال من كل بناء ، وكانت دور فريش متواضعة البناء شيدت من حجارة مكة (الدبش) ذات دور واحد ، وابوابها شائعة الى الكعبة . وفي زمن عمر بن الخطاب (رض) توسع الحرم الشريف واحيط بجدار يزيد ارتفاعه عن قامة الرجل ، وجعل له ابواب . وقد زادت مساحة هذا الحرم مرة اخرى في زمن عثمان بن عفان (رض) ، وجعل له اروقة يستظل بها المسلمون .

فتح المسلمون بلاد الشام على يد (خالد بن الوليد) ورفاقه اليامين ودخلوا دمشق فوجدوا انفسهم في مدينة عامرة جامعة ، ولاداء فريضة الصلاة شاركوا النصراني كنائسهم او قسموها الى قسمين قسم لاقامة الصلاة للنصارى والقسم الآخر للمسلمين .

وعندما توجهت جيوش المسلمين بقيادة (عمرو بن العاص) لفتح بيت المقدس لم تستسلم حاميتها الا بعد وصول عمر بن الخطاب (رض) اليها . سار عمر (رض) ودخل كنيسة القيامة وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة لكي لا ياخذ المسلمون هذه الكنيسة من بعده ، ثم انطلق الى الصخرة التي اشار عليه الطريق ان يجعلها مسجدا للمسلمين واخذ يرفع ما عليها من ردم وهرع المسلمون الى الاقتداء به وتم بناء المسجد حولها .

تطور البناء في العهد الاموي :

انتقلت الخلافة الى الامويين سنة ٦٥٨م واصبحت دمشق عاصمة الامبراطورية العربية الكبرى ، وعندما اخذت الدولة يحظها الوافر من الترف والرفاه نرى المسلمين قد انتقلوا من القناعة بالضروري اللازم للحياة البسيطة التي كانوا يحيونها الى الترف والبذخ في سبيل اقامة اجمل المباني الفخمة التي تنفق ومركز امبراطوريتهم العظيمة ، وبدأوا في بناء المساجد والجامع فاختراروا كنيسة (القديس يوحنا) وحولوها الى مسجد جامع بعد ان اشتراها الوليد بن عبد الملك من النصراني ، وجاء بناء هذا الجامع آية في الفن وروعة في الزخرفة والجمال . ففي هذا المسجد الجامع تتمثل ظواهر معمارية اسلامية عديدة منها ترتيب الازوقة والبلاطات في الحرم وادخال المحراب

القاعدة المربعة والتي يبلغ ارتفاعها ٢٢ مترا ، كما ان طراز القباب ذات المقرنصات في هذا المسجد آية في الفن والروعة .

واشتهر في المغرب مسجد مدينة تونس ويعتبر المسجد الثالث من حيث السعة والاقنان في البناء .

ومن آثار العرب في شمال افريقية رباط سوسه ويعرف بـ (قصر الرباط) ، بناه ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٠٦هـ - ٨٢١م ، وهو بناء حصين مربع التخطيط ٣٩×٣٩ مترا ، في سوره الخارجي أبراج عالية ، والبناء بطابقين ، ويعلو البناء قبة تمتاز بخصائص معمارية لها أهمية كبرى في بناء القباب الاسلامية ، وقد جعلت هذه القبة مئذنة ومئذنة لحراسة البحر ومقربا لحراس القصر .

القصور والقلاع الاموية في بادية الشام :

لم يقتصر اهتمام الخلفاء الامويين على بناء المساجد والجوامع في مختلف المدن الاسلامية بل اراد بعضهم ان ينعم بحياة البادية اللامعة لطبيعة نشاطهم العربية الاصلية ، فانشؤا عددا من القصور التي هي اشبه بالقلاع في بادية الشام أهمها (قصر المشتى) الذي يعتقد بانه بني قصرا للخليفة يزيد الثاني ٧٢٠-٧٢٤م الذي كان يفضل السكن البعيد عن المدينة مع (حباة) أحب نسائه . يقع هذا القصر الجميل في الاردن على بعد عشرين ميلا جنوب عمان ، وهو الآن في حالة متهدمة ، نقلت معظم زخارفه المحفورة في الحجر الى متحف برلين سنة ١٩٠٣ . ويتكون القصر من ثلاثة اقسام رئيسية ، يحيط بها سور ذات أبراج ضخمة من جهاته الاربع .

وعلى بعد ستين ميلا جنوب شرقي عمان بناء آخر اشبه بقلعة ذات أبراج عالية وسط الصحراء يعرف بـ (قصر الطوبة) بناه الخليفة الوليد الثاني سنة ٧٤٤م ، ويتألف القصر من دارين وفي كل دار أربعة بيوت متناظرة من حيث توزيع الغرف والقاعات فيها ، وهناك شبه كبير بين هذا القصر وقصر المشتى مما يدل على انهما شيئا في وقت واحد تقريبا .

وهناك قصر آخر في الاردن يسمى (قصر عمره) يقع على بعد خمسين ميلا شرق عمان ، ويتكون القصر من قسمين ههما قاعة الاستقبال ثم الحمام الساخن الذي يقع خلف هذه القاعة . والحمام مقسم الى ثلاثة غرف متصلة ببعضها الاولى الغرفة الباردة ثم الغرفة الدافئة وبعدها الغرفة الساخنة ، ويعلو جدران القصر واقبته من الداخل صور من النوع المعروف باسم (فريسكو) ذات الالوان المختلفة .

وعلى مقربة من قصر عمره قصر يعرف (بقصر خراة) شيد بطابقين ولا يزال محافظا على اقسام عديدة من بنائه ، وتشير الكتابة على احدى الجدران انه بني سنة ٧١١م ، وتوجد في الطابقين عدة غرف كل مجموعة منها تشكل بيتا مستقلا .

وبنى الامويون قصرا آخر في البادية يسمى (قصر المرح) يرجع تاريخه الى ٧٢٥-٧٢٣م لا بينه وبين قصر عمره من شبه كبير ، فلهذا القصر حمام ساخن كما في قصر عمره .

وللخليفة هشام بن عبدالمكك قصر عظيم في (خربة المفجر) في (اربعا) في فلسطين . في هذا القصر مسجد وحمام مبسط بالفيلسفاء وساحة كبيرة فيها نافورة أو بركة ماء مثمنة الشكل .

وفي الجهة الشرقية من ساحل بحيرة طبرية في فلسطين

في جدار القبلية وبناء المئذنة واستعمال العقود والاقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك الزخارف والفيلسفاء التي تزين الجدران والعقود التي لا يضاهيها اي عمل مماثل عند الرومان .

ثم انتقل عبدالمكك بن مروان الى المسجد الأقصى في القدس فاعاد بناء مسجد الصخرة ورصد لتنفقاتها خراج مصر لسبع سنوات ، فامر ان تكون الصخرة في وسط المسجد وتهيئ مساحة مناسبة تحيط بالصخرة لطواف أكبر عدد ممكن من الحجاج حولها ، وجعل فوق الصخرة قبة ذات اسطوانة قطرها ٢٠.٤٤ مترا وارتفاع أعلى القبة عن الارض ٣.٦٠ مترا ، ويحيط بالصخرة رواقان بشكل مشتمل عدد العقود فيها ٢٤ عقدا ، وفي حلب أسس الامويون الجامع الأموي الكبير (مسجد زكريا) سنة ٧١٥م واشتهر هذا المسجد بمئذنته المربعة الشكل ذات الهندسة السلجوقية البديعة .

وبنى الخليفة سليمان بن عبدالمكك مدينة الرملة في فلسطين وجعلها مركزا له ، وان مئذنة مسجدتها الابيض لاتزال قائمة حتى الآن .

واتخذ مروان الثاني مدينة حران سكنا له وبنى المسجد الكبير فيها .

اما في مصر فقد أمر معاوية بن أبي سفيان عامله مسلمة بن مخلد بتوسيع مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط فأضيفت له مساحة من الأرض وأصبح له صحن واسع . كما ان الخليفة عبدالعزيز بن مروان قام بتوسيع هذا المسجد من الجهتين الشمالية والغربية . وفي سنة ٧١٠م أمر الوليد بن عبدالمكك بهدم جميع البناء القديم حتى الاسس واقام مكانه بناء جديدا بعد ضم دار عمرو بن العاص والطريق الى مساحة المسجد .

وقام الامويون باعادة بناء الكعبة المشرفة عندما استولى الحجاج على مكة بعد مقتل عبدالله بن الزبير ، فامر عبدالمكك بن مروان بتوسيع الحرم وتجديد السقوف وجعلها من خشب الساج ، واقامة السواري المحلاة رؤوسها بالذهب ، وزخرفة العقود بالفيلسفاء فكانت اول زينة استعملت في المقام الشريف .

وفي المدينة أمر الوليد بن عبدالمكك باعادة بناء المسجد وتوسيعه ، وضم منزل الرسول (ص) اليه ، واستعمل الرخام للامدة والفيلسفاء في تزيين الجدران ، واقامت أربع مآذن في الاركان ، وادخل المحراب في جدار القبلية .

وقام زياد بن ابيه عامل معاوية على العراق باعادة بناء مسجد البصرة واستبدل السقف القديم بسقف من خشب الساج وبنى مئذنة للمسجد . كما قام بتوسيع مسجد الكوفة بحيث صار يتسع لستين ألف مصل ، وبنى الجدران بالاجر والجص ، ورفع السقوف على اعمدة حجرية جلبها من الحيرة ، وأصبح المسجد اشبه بقاعة الاعمدة في قصور الفرس .

وبنى عتبة بن فرقد الجامع الأموي الكبير في الموصل ، وقد توسع هذا الجامع في ولاية هرثة بن عرفة البارقي وأصبح مسجدا جامعا وبنى مروان بن محمد مئذنة ومقصورة يصلى بها في هذا الجامع .

وعندما تم فتح تونس سنة ٦٧٠م أسس القائد عقبة بن نافع مدينة القيروان وجعلها مسكرا لجنوده ، وبنى جامعها الشهير سنة ٦٧٥م فكان آية في الروعة ، واختط دار الامارة وجعل الدور من حولها . وقد اشتهر جامع القيروان بمئذنته ذات

قسم المنصور المدينة المدورة (دار السلام) على شوارع محدودة سماها السكك وأسكنها الموظفين والمواطنين له ، وكان لهذه السكك ابواب وثيقة من طرفيها ، وجعل قصره ذي القبة الخضراء والمسجد الجامع في الرجة الوسطى من المدينة ، وأحاط المدينة بسورين عظيمين فيه أربعة ابواب او مداخل رئيسة محورية ، وجعل بين كل بابين ٢٨ برجاً ما عدا جهة واحدة فيها ٢٩ برجاً ، وبقدر طول قطر المدينة المدورة ب ٥.٩٣ ذراعاً اي ٢٥١٢ متراً .

كان في صدر قصر المنصور المسمى بقصر الذهب ايوان طوله ٣٠ ذراعاً وعرضه ٢٠ ذراعاً ، وفي صدر هذا الايوان مجلس الخليفة مساحته ٢٠x٢٠ ذراعاً وعلى سطح الايوان مجلس مثله وفوقه القبة الخضراء . وكان المسجد الجامع ملاصقاً للقصر بامتداد الضلع الشمالية لبنية القصر ، وكان للجامع منارة . وقد أعاد هارون الرشيد بناء الجامع بالأجر والجص سنة ١٩٢هـ - ٢٨٠٧ م . وفي زمن المعتضد ٢٠٦هـ أضيف الى الجامع ديوان المنصور المعروف ب (دار القنطان) لتوسيعه . وزاد (بدر) مولى المعتضد في الجامع جزءاً من قصر المنصور يسمى (المسقطات) ، ولم يكتف المعتضد بهذه الإضافات فقرر اقطاع مساحة كبيرة من القصر وضمها الى الجامع أيضاً وأصبح ما الحق بالجامع مساوياً الى مساحة الجامع الاول .

وبالنظر لمساحة الارض المحددة داخل المدينة المدورة فقد أمر المنصور ببناء حارة للتجار في جنوب المدينة سميت ب (الكرخ) ، ثم أقطع المنصور قواد جيشه وأرباب الخطوة الجانب الاكبر من الاراضي المحيطة بالمدينة . وسمح المنصور لابنه المهدي ان ينتقل بجندته الى الضفة الشرقية من النهر المقابلة للمدينة المدورة ، وبنى فيها دوراً وسميت هذه الحلة ب (الرصافة) ، واتصلت بالجانب الغربي بجسر أقيم عند باب الشرعية .

ثم توسع الجانب الشرقي من المدينة وبنيت فيه قصور عديدة واسواق كثيرة وكان الامتداد الى جنوب معسكر المهدي فأحيطت كل هذه المباني بسور عظيم واسع في نهاية القرن الخامس الهجري ، وأصبح لهذا السور أربعة ابواب في الشمال (باب السلطان) ، باب المعظم ، وفي الشرق بابان (الظفرية) أو ما يسمى الباب الوسطاني ، وباب الحلبة أو (باب الظلم) وفي الجنوب (باب كلوذا) ، وقد شرع في بناء هذا السور المستظهر بالله سنة ٤٨٨هـ - ١٠٣٥م عندما أصبحت دار الخلافة في وسطه ، ثم أكمل بناء السور المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ - ١١٢٣م ، وجدد بناءه الناصر لدين الله .

ومن اعمال المنصور انشاء (مدينة الرقة) على نهر الفرات واقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين ، وجعل سورها مزدوجاً بشكل حدوة الفرس ، وفيها أبراج مستديرة ، وجعل مسجدها الكبير في النصف الشمالي من المدينة . ويجمع هذا المسجد بين طراز الفن المعماري العراقي والفن المعماري السوري ولا يزال (باب بغداد) في سور المدينة محافظاً على شكله القديم وهذا الباب أشبه ببرج طويل مستطيل الشكل في وسطه فتحة المدخل ، وتطلو واجهته زخرفة آجرية مكونة من سلسلة محاريب ثلاثية الفلقة يحيط بها اطارات ذات عقود متوجة تستند فوق أعمدة صغيرة متصلة بالبناء .

مدينة سامراء :

كانت سامراء أيام ازدهارها سيدة مدن العالم ، وهي اليوم اطلال تمتد مسافة ٣٥ كيلومتراً على شاطئ دجلة الشرقي ، من

يقع (قصر المنيا) ، وتذكر الكتابة الكوفية التي اكتشفت فيه اسم الوليد بن عبد الملك ، وللقصر مسجد يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منه ، وفي القصر قاعات خصصت للاستقبال واقامة الاحتفالات لما فيها من زخرفة رائعة ونقوش جميلة ، وارضية هذه القاعات كلها مبلطة بالفسيفساء بأشكال هندسية بديمة .

والى الجهة الشمالية من تدمر وعلى بعد ستين ميلاً عنها بنى هشام بن عبد الملك ٧٢٨م قصراً في الصحراء يسمى قصر (الحير الشرقي) ، تتألف بقايا هذا القصر من سورين محصنين بشكل مربع ذات أبراج نصف دائرية ، وفي الزاوية الجنوبية يقع مسجد القصر .

اما (قصر الحير الغربي) فقد نقلت انقاضه الى المتحف الوطني بدمشق وأعيد بناؤه فيه .

وبنى الخليفة الوليد بن عبد الملك في مدينة (عنجر) الواقعة في وسط سهل البقاع في لبنان قصراً وجعله المقر الصيفي لسه لقربه من احدى منابع الليطاني . ومدينة عنجر بنيت على شكل قلعة مربعة تشبه القلاع الرومانية ، لها سور ضخيم ذات أبراج ، وفي منتصف كل ضلع من اضلاع السور مدخل كبير للمدينة ، ويتصل بين الابواب الاربعة شوارع صفت على جانبيها أعمدة اسطوانية نقلت معظمها من ابنية رومانية قديمة ، وفي احدى الارباع من ساحة هذه المدينة يقع قصر الخليفة بثلاثة طوابق ، وعلى الجدران تحت صور شبيهة بتلك التي وجدت في قصر المشتى ، اما تخطيط القصر فهو اشبه بمخطط قصر المنيا .

مدينة واسط :

وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٥٧٥هـ - ٦٩٤م في زمن خلافة عبد الملك بن مروان شيد على ضفة دجلة القريبة بلدة سماها واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وجعلها مقراً لحكمه . توسعت هذه المدينة وأصبحت تشغل ضفتي النهر يربط بينهما جسر ، وبنى الحجاج مسجداً جامعاً في الضفة الغربية وجعل دار الامارة وراء الجدار القبلي للجامع . ويشغل الجامع أرضاً مساحتها ١٠٤٣.٣٠x١٠٣٥.٠٠ متراً تحيط به بلاطات من جوانبه الاربعة ترتفع سقفوها على اسطوانات حجرية منحوتة .

اما قصر الحجاج فان أسسه تكاد تكون معدومة ولكن (ابن رسته) ذكر بان لهذا القصر قبة مشرفة عالية خضراء ترى من بعد سبع فراسخ (٣٥ كيلو متراً) ، وقد ظل هذا القصر ماثلاً الى الربع الاخير من القرن السادس الهجري ، وقد جعل الحجاج الى مقربة من القصر سوقاً عامرة كان التجار يتعاطون فيه مختلف البضاعة في تجارتهم .

عصر الدولة العباسية :

ثار العباسيون على الامويين واستولوا على الحكم سنة ٧٥٠م وانتقلت الخلافة اليهم فاتخذ (ابو العباس السفاح) اول خلفاء العباسيين قصر بن هبيرة الواقع بين الكوفة وموقع بغداد مقراً له وسماه (الهاشمية) وعندما تولى الخلافة اخوه (ابو جعفر المنصور) ٧٥٤م ، ترك الهاشمية وخرج بنفسه ليختار مكاناً يتوسط اقاليم دولته ويشرف على اطرافها ليتخذها عاصمة للمملكة . وعندما استقر رأيه على موقع بغداد الذي كان معروفاً أيام الدولة الساسانية ، بدأ في تخطيط المدينة المدورة سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م .

متوكية المتوكل على الله في الشمال الى قادية المتصم بالله في الجنوب .

وتقع سامراء على بعد ١٣٠ كيلومترا شمال بغداد ، بناها المتصم سنة ٨٣٦م بعد ان اقلقته الإقامة في بغداد لاسباب سياسية واجتماعية . وولاه سبعة من الخلفاء توسعوا في اعمارها وتجميل قصورها ومساجدها ، وبعد خمسين سنة على تأسيسها هجرها المتصم على الله سنة ٨٩٢م ورجع الى بغداد فاستحالة سامراء الى اطلال كما يشاهدها الزائر اليوم .

وبدل تخطيط هذه المدينة على براعة فائقة في هندسة المدن وتخطيطها ، ففيه الكثير من الابتكارات ويتجلى ذلك في تنظيم الشوارع وتوزيع المساكن وتنسيق الابنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والحدائق وغيرها .

وبعد المسجد الجامع في سامراء اكبر المساجد في العالم حيث تبلغ مساحته ٤٥٥٠٠ مترا مربعا ، شيده المتصم وعندما ضاقت سعته بالمصلين هدمه المتوكل وشيد محله المسجد الجامع الكبير القائم الآن سنة ٨٤٩-٨٥٢م ، ولهذا الجامع مثانة ضخمة تعرف ب (الملوية) ، يبلغ طول ضلع قاعدتها المربعة ٢٢ مترا تعلوها القسم الحلزوني الذي يدور في اتجاه معاكس لعقرب الساعة حتى تتم دورات خمس ينتهي بالقمة التي هي بشكل اسطواني قطره ٦ امتار وارتفاعه ٦ امتار أيضا ، وهذه ترتفع عن القاعدة بمقدار ٥٠ مترا .

ثم بنى المتوكل مدينة شمال سامراء جعلها تتصل بالقسم الجنوبي من المدينة بشوارع عظيم ، وسميت هذه المدينة (المتوكية) أو (الجعفرية) ، وقد نقل المتوكل جميع الدواوين اليها وبنى مسجدا جامعيا فيها سمي ب (جامع أبي دلف) . وتبلغ مساحة هذا الجامع ٢٠٠٠٠ مترا مربعا ، تحيط بصحنه اربعة بنيت جدرانها وعقودها ودعاماتها بالآجر والجص . ولهذا الجامع مثانة ملوية الشكل أيضا ولكنها اصغر حجما من ملوية الجامع الكبير في سامراء ، قاعدتها مربعة طول كل ضلع فيها ١١٢٠ مترا وارتفاعها ٢٥٠ مترا ، فوقها القسم الحلزوني الذي يدور عكس دوران عقرب الساعة ثلاث دورات ، ويبلغ ارتفاع المثانة من القمة الى سطح القاعدة ١٦ مترا .

القصور العباسية :

كان من نتائج اتساع الدولة العباسية وامتداد نفوذها الى اغلب بقاع المعمورة ان تدفقت الخيرات على بغداد مقر الخلافة من هذه الامصار ، وقد عم اليسر فيها وساد الرخاء ، وتضاعفت الثروات ، وامتلات الخزائن بالمال الوافر . وكان ينفق القليل منها على تسيير امور الدولة ، والكثير منها كان يذهب الى خزائن الخلفاء والامراء واعيان الدولة ومنهم ينساب الى التجار والصناع والزراع وغيرهم من صنوف الناس ، ونتيجة نمسو المال عند هذه الطبقات اقبل الكثير منهم الى حياة البسوخ والترف ، وعمدوا الى الاسراف في العيش ، وانصرفوا الى تشييد الدور الجميلة والقصور المنمقة ، وبالغوا في تجميلها وزينتها بكل ما وهبوا من ذوق وما اوتي الصناع من حذق ومهارة وذكاء ، وكان الخلفاء ومن دونهم من امراء ووزراء وغيرهم يتنافسون في جعل قصورهم ودورهم آية في الفن ومثلا في روعة البناء وجمال المنظر .

من هذه القصور الفخمة في بغداد قصر التاج (دار الخلافة) اسس هذا القصر في ارض (القصر الحسني) على الضفة

الشرقية من نهر دجلة قبل نهاية عهد المتصم ، واكمل بناءه المكتفي بالله وجعل له مسنة ثالثة على النهر ، وزين واجهته بمعاقل نقلت من المدائن ، وشيد في بستانه قاعات عدة وبيوت صيفية وقبة عرفت ب (قبة الحمير) مدرجة اشبه بمنسارة الملوية يصعد الى قمته على حمار صغير . وقد اعاد بناء القصر المستفي سنة ٥٧٤هـ - ١١٧٨م . وكانت الدار اشبه ببسطة فيها مجاميع للقصور وابنية ، وكان مركزها القصر الحسني ثم قصر الفردوس وقصر التاج ، وكان يحيط بكل هذه المباني سور بهيئة نصف دائرة فيه تسعة ابواب رئيسة ويمتد الى مسافة كيلومتر واحد على ضفة دجلة .

وكان (قصر الحسني) في الاصل قصرا لجعفر بن يحيى البرمكي ، فيه ٣٦٠ مرفقا مابين مجلس ومستشرف وجسرة وموضع تبريد بالصيف وخزانة ، وقد بالغ في الانفاق عليه فكان من اجمل قصور بغداد . ولما فتن الرشيد بالبرامكة صار هذا القصر الى المامون فطابت له سكناه واتخذة منتزها ، وانشأ فيه حديقة حيوانات ، وبنى منازل لخاصته واصحابه وحاشيته ، فسمي (القصر الماموني) . وعندما تولى المامون الخلافة انتقل الى (قصر الخلد) الذي بناه ابوه في الجانب الغربي من دجلة وترك القصر الماموني الى وزيره الحسن بن سهل وسمي (القصر الحسني) . ابتاع هذا القصر بعد ذلك الموفق بالله بن المتوكل ونزل فيه وصار بعده الى ابنه المتصم ، فهدمه واعاد انشائه وزاد فيه واتخذة مقرا للخلافة ، وبنى عليه سورا وحصنه وامر ان يبنى فيه مطامر وهي سجون في سراديب عميقة مظلمة . وعندما تولى الخلافة ابنه المكتفي بالله ٢٨٩هـ - ٢٩٠م امر بهدم المطامر وبنى مسجدا جامعيا وهو اصل المسجد الذي عرف باسم (جامع القصر أو جامع الخليفة) الذي بنيت فيه في ايام الفول الايلخانيين المنارة الفخمة المعروفة بمنارة (سوق الفول) .

قصر الاخضر :

يعتبر قصر الاخضر من احسن القصور العباسية التي بقيت محافظة على هيئتها العامة ولم يصيبها الا الشيء الطفيف من الخراب ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن بنائه ، فحدد الاستاذ (كريستول) زمن تشييده تحديدا دقيقا وجعله بين سنة ٧٢٠ وسنة ٨٠٠م وعزا بناءه الى (عيسى بن موسى) العباسي امير الكوفة زمن المتصور . يقع القصر بالقرب من وادي الابيض ، وعلى بعد ٥٠ ميلا شمال غربي الكوفة ، والقصر حصن شامخ مستطيل التخطيط ابعاده ١٧٥x١٩٦ مترا ، تتوسط كل واجهة من واجهاته الاربعة بوابة عظيمة ، وقد بني القصر ملاصقا للسور من الجهة الشمالية . وجعل مركز هذا البناء (البهو الكبير) المغطى بقبة عال ، والى يمين مدخل القصر من الجهة الغربية من البهو نجد مسجد القصر بينما في الجهة الشرقية من هذا البهو مجموعة من الغرف مغطاة باقبية عالية . وبلي البهو الكبير جنوبا دهليز يجري حول الفناء الاوسط او ما يسمى ب (ساحة الشرف) وكذلك حول مجموعة غرف (قاعة العرش) ، وقاعة العرش هذه تقع على محور مدخل القصر تحيط بها عدة غرف وقاعات .

ويوجد حول الدهليز الكبير شرقا وغربا اربعة بيسوت مستقلة ، كل اثنين منها متشابهة من حيث النظام والترتيب ، ويعتبر هذا القصر من اجمل القصور العباسية المحصنة لما فيه من تصميم بديع سواء في التخطيط او في دراسة الواجهات والتفاصيل الهندسية الاخرى في البيوت او في القصر نفسه .

دار الخلافة في سامراء (الجوسق الخاقاني) :

بعد الجوسق الخاقاني من أهم القصور التي أنشأت في عهد المعتصم ، وكان قد أعده لسكنائه ، يمتد هذا القصر على ضفة دجلة الشرقية جنوب (دار العامة) مطلا على الحبر . وكانت أرض القصر ومشتلاته تشغل كل المساحة بين شاطئ دجلة والحبر . وقد سكن القصر بعد المعتصم أخلافه من الخلفاء باستثناء الواثق والمتوكل . فالواثق سكن في (القصر الهاروني) والمتوكل انتقل إلى (القصر الجعفري) بالموكبية ، ولقرب هذا القصر من مدينة سامراء الحديثة هدم وزالت معالمه وأخذ الناس كل ما فيه من أجر .

أما (دار العامة) فهي من أهم الممارات التي شيّدت في سامراء ولا تزال بعض أقسامها شاخصة حتى الآن . بناها المعتصم وكان يجلس فيها أيام الاثنين والخميس . ويقع القصر على هضبة عالية ، وتبلغ مساحته نصف مليون متر مربع تقريبا ، ويمتد على طول ضفة دجلة اليسرى إلى مسافة ٧٠٠ متر تقريبا ، والمسافة بين واجهته ومنتهى بناياته الخلفية من جهة الشرق لا تقل عن ٨٠٠ متر . ويسمى مدخل القصر الذي يشرف على النهر (باب العامة) وهو أقل الأقسام تعرضا للتلف . أما المشتلات الأخرى فقد اقتلع الأهليون أجراها ولم يبق من الغرف والقاعات غير بقايا الأسس .

اهتمام العباسيين بالاماكن المقدسة وبناء الجوامع :

كان اهتمام النصور كبيرا في تعمير المسجد الحرام ، فقد أمر بشراء الدور المحيط بالمسجد وادخل أرضها في المسجد وبنى رواقا حول الرحبة ، واتخذ الاساطين من الرخام له ، وبذلك تضاعفت مساحة المسجد عما كانت عليه في عهد الامويين ، وقد انتهى هذا التوسع سنة ١٤٠ هـ . وبنى النصور مئذنة (بني سهم) ، وزين الجدران بزخارف الفسيفساء والذهب وقد سار ابنه المهدي على خطاه في الاهتمام بالمسجد الحرام حيث اشترى دورا أخرى ضمها إلى ساحة المسجد واتخذ للمسجد أروقة جديدة سقفتها بخشب الساج ، وبلغ عدد أساطين المسجد في زمنه ٤٨٢ اسطوانة منها ٣٢١ اسطوانة مذهبة الكراسي .

وقام المهدي أيضا بتوسيع المسجد النبوي الشريف وأصبحت المساحة ٣٠٠ × ٢٠٠ ذراعا ، وادخلت إضافات أخرى على المسجد في زمن المأمون ، ووزرت الجدران بالواح من الرخام وفوقها زخرفة من الفسيفساء بشكل أشجار ذات ثمار متنوعة ، وأصبح للمسجد تسعة أبواب .

وعندما تهدم (مسجد الصخرة) الذي بناه عبدالملك بسبب الزلزال الذي حدث سنة ٧٨٠ م قام المهدي بإعادة بناء المسجد بصورة أمتن مع المحافظة على ما بقي من القسم القديم ، وجعل الأعمدة من حجر . ثم رمم المسجد في عهد المأمون ٨٢١ م ولكن يظهر أن المأمون عند قيامه بإصلاح القبة حذف اسم الخليفة عبدالملك وحشر اسمه في موضعه ولم يبق تاريخ بناء القبة .

إنشاء المدارس والراقد والمارستانات والربط في العهد العباسي :

إن فكرة إنشاء المدارس بصورة مستقل كانت تراود أفكار العباسيين في زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، ولهذا أنشؤا (دور العلم) و (بيوت الحكمة) لترجمة علوم الاقدمين ، وقد حظت

بغداد منذ أواسط القرن الخامس للهجرة بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها والمستقلة عن الجوامع . لقد كانت هذه المدارس أماكن للدرس ، يعيش فيها الطلاب وتتولى الدولة الاتفاق عليها . واشتهر من المدارس في بغداد (مدرسة أبي حنيفة) و (المدرسة النظامية) و (مدرسة زمرد خاتون) والدة الخليفة الناصر لدين الله ، و (مدرسة السيدة بنفشة) حظية الخليفة المستضيء ، و (المدرسة البهائية) و (المدرسة الناجية) و (الكمالية) و (مدرسة المخرمي) أي مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، و (المدرسة المستنصرية) .

إن هذه المدارس تكاد تكون جميعها متشابهة من حيث التخطيط والتصميم الهندسي ، فوجه عام كانت المدارس تحتوي على ساحة أو رحبة تعرف بالصحن ، تحيط بها حجرات في الطابق الاسفل ، وغرف في الطابق الاعلى أحيانا ، وكان لأغلبها أروقة أمام الغرف ، وقد تكون هذه الأروقة ذات زخارف ومقرنصات جميلة الصنع دقيقة الزخرفة كما نشاهدها في البناء المعروف بـ (القصر العباسي) في بغداد .

أما الربط فهي من المنشآت الخيرية الاجتماعية . أنشأها الخلفاء والامراء لايواء العلماء الرحلين من قطر إلى آخر طلبا للعلم ، ثم آلت إلى دور يعيش فيها جماعة من الصوفيين المنصرفين للعبادة . ومن أقدم الربط الرباط الذي شيّد مقابل جامع المنصور في مدينة السلام ، ثم بنيت عدة ربط في العصور العباسية المتأخرة لم يبق منها ما يشير إلى نظام تخطيطها وتكوينها المعماري .

أما المارستانات في بغداد فقد ذكر المؤرخون أن الرشيد أنشأ مارستانا في بغداد كما أنشأ البرامكة مارستانا آخر فيها . ومن المارستانات المعروفة (مارستان الأمير بدر المعتضدي) أحد ممالك الخليفة المعتضد ، و (مارستان الوزير علي بن عيسى الجراح) بمحلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد ، و (مارستان السيدة شغب) والدة الخليفة القنذر بالله على شاطئ دجلة الشرقي ، واتخذ القنذر مارستانا بباب الشام بالجانب الغربي أيضا ، وأنشأ (الوزير أبو الحسن علي بن الفرات) مارستانا في درب الفضل ، وقد زالت معالم هذه المارستانات بعد زوال أصحابها . ثم أنشأ المستنصر بناءة خاصة مقابل باب المدرسة المستنصرية الرئيس لمدرسة الطب ، وكانت صفة فاخرة تحت الأيوان والذي تكامل بناؤه سنة ١٢٣٥ م لتدريس الطب ومداواة المرضى على اختلاف مرضهم ، وفي المدرسة مخزن لأنواع الاشربة والادوية والمقافير ، وقد زالت هذه المدرسة وأصبحت أسواقا . وكان فوق أيوان المدرسة ساعة عجيبية الصنع فيها بازان وطاستان من الذهب ولها اثني عشر بابا تعلن أوقات النهار والليل .

الجوامع العباسية القديمة في بغداد :

من الجوامع القديمة في بغداد جامع (زمرد خاتون) زوجة الخليفة المستضيء والدة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩ هـ لم يبق من هذا الجامع غير منارته القائمة في الجانب الشرقي من بغداد على ساحل دجلة . وفي الجانب الغربي من بغداد أنشأ في زمن المستنصر (جامع قمرية) على شاطئ النهر وأصبح مدرسة للحديث والقرآن ، وتعد المئذنة في هذا الجامع من أجمل المآذن من حيث التناسق والتناسق ، كما أن قبلة هذا الجامع أصح اتجاهها من غيرها من القبلات في المساجد الأخرى .

وفي جانب الشرق بنى الخليفة الناصر لدين الله مرقداً الشيخ معروف الترخي سنة ٦١٢هـ - ١٢١٥م ، وفي منارة المسجد الملاصق للمرقد زخارف ومقرنصات تعد آية من آيات الزخرفة الاسلامية .

وفي الموصل أمر المهدي عامله فيها ان يقوم بتوسيع الجامع الاموي وذلك بضم الاسواق التي تحيط به ومواضع المطبخ التي بناها مروان الى مساحة المسجد ، فالتسعت المساحة واصبحت ١٥٠×٢٥٠ مترا . وفي هذا الجامع محراب آية في الفن والابداع لما يحويه من كتابات كوفية مشجرة ونقوش وزخارف متناظرة وتعرف منارة هذا المسجد اليوم بـ (منارة الكوازين) .

الدولة الطولونية في مصر :

عندما أصبح الاتراك اصحاب السطوة في الدولة العباسية ، بهينون من شأواً ومن يعتمدون عليه ولاية على مختلف الاقطار الاسلامية اختاروا (احمد بن طولون) لولاية مصر ، فذهب اليها ودخل القسطنطينية في سنة ٨٦٨م ، وهذا اخذت تظهر اطماعه ، وكانت ثروة مصر وغناها تساعدان على تنفيذ ما يطمح اليه من تأسيس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الاسلامية .

بدأ ابن طولون أولاً في تخطيط حاضرة جديدة تماثل سامراء ، تلك العاصمة التي ترعزع فيها وأعجب بجمالها ورحابة مبادئها وعظمة قصورها ومساجدها ، فكان له ما أراد ، وأسمها (القطائع) ، وشيد فيها قصراً وساحة أو ميداناً للفروسية ، موقعها كما يصفها القريزي ينطبق على (ميدان رميله) في القلعة . أما المسجد فقد سمي بـ (جامع ابن طولون) وهو مازال قائماً في القاهرة وبقي خالداً الى يومنا هذا .

بشر ابن طولون في بناء الجامع سنة ٢٦٥هـ - ٨٧٧ وانه بمقد سنتين وصار درة فريدة بين الجوامع في مصر ، ويعتقد المؤرخون ان ابن طولون قد تأثر بطراز بناء الجوامع الكبيرة في سامراء وزخارفها عند بناء جامعهم هذا .

يشغل الجامع أرضاً مساحتها ٢٦٢١٨ متراً مربعا ، وفي حرمه خمسة أروقة موازية لجدار القبلة تنقسم الى سبع عشرة بلاطة ، وحول صحن الجامع المربع الشكل بلاطتان في كل جهة من الجهات الثلاث . ولهذا الجامع مثلثة اقرب في منظرها

من مثلثة المئوية في سامراء وان اختلفت عنها بالفن والبنان . ترتفع هذه المثلثة بأربع دورات فوق قاعدة حجرية مربعة ارتفاعها ٢١٣٥ مترا ، وارتفاع المثلثة الكامل ٤٠٤ مترا .

لقد تعددت العناصر الزخرفية في هذا الجامع وتنوعت تنوعاً كبيراً في مواضعها وأساليبها وأشكالها ، وأكثر الزخارف تنوعاً تلك التي نراها على بواطن العقود ، ففيها مجموعات من أشكال التوريق التي تتكون من عناصرها لآليء وزهيرات وأوراق العنب وأشرطة وأسنة مثثة وخطوط لولبية وأخرى معقوفة متعاقبة ودوائر مقصوصة .

الخلاصة :

مما تقدم نرى ان العرب خلال هذه الفترة قد ادخلوا تطوراً كبيراً في فن العمارة الاسلامية ، فساد فيها مدرستان للفن المعماري - المدرسة السورية المنارة لحد ما بالاساليب المعمارية الهلنستية المسيحية (البيزنطية) ، وقد انتشر هذا الطراز في بلاد الشام أولاً ثم انتقل الى شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

والمدرسة الثانية المدرسة العراقية التي كان للأساليب المعمارية الساسانية المعمارية العراقية القديمة ، البابليّة والآشورية وغيرهما بعض التأثير فيها . ولكن مهما كانت هذه التأثيرات بادية في الطراز العربي الاسلامي فان العرب خلال هذه الفترة القصيرة التي لا تتجاوز القرن ونصف القرن قدموا للعالم فناً متميزاً عن غيره من الفنون ، وجعلوا هذا الفن يتمشى مع مقاصدهم الدينية والدنيوية .

ومع اعترافنا بأن أهل الفن من العرب قد تعلموا الشيء الكثير ممن سبقهم في هذا المضمار الا انهم عندما مرت أيدىهم على الانتاج والعمل اخنوا يبدعون في البناء والزخرفة وغيرهما من الفنون فتجلت في اعمالهم روح جديدة وبرزت لها خصائص باهرة غير مسبقة .

هذا وفي بحثنا القادم سنتناول دراسة الفترة الثانية من الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي ونبين ما انتجه العرب خلالها انشاء الله .

فن السخرية

في شعر الكتاب في العراق

في القرن الثالث الهجري

بقلم
حسين العلاق

المحض التي عرفتها الكوفة منذ اواسط القرن الثاني كما يرى الاعرجي (٢) ، ولا من الاتجاهات الجديدة في القرن الثالث كما يقول النجدي (٤) .

واذ نقول هذا ، فلأن السخرية كانت قد ولدت في احضان الهجاء في العصر الادبي السابق ، وعاشت في كنفه حقبا طويلة قبل ان تنمو وتتطور غرضا مستقلا في القرن الثالث الهجري .

لقد توسل الهجاء في العصر الادبي السابق باكثر من صيغة للوصول الى هدفه . فكما توسل بابرار المثالب ونفي المحاسن ، وبلغ في كثير من نماذجه حد الافذاع والفحش الرخيص ، فانه توسل بالسخر والتهمك والهزء في نماذج اخرى ليحقق بها ومن خلالها ذلك النوع من التسامي الذي ميزه من نماذج الهجاء التقليدية .

ان الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) - مثلا - قد نبه الى وجود ظاهرة السخر والتهمك في الشعر الجاهلي ، في شرحه لاختيارات الفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨ هـ) ، وفي شرحه لقصيدة سلمة بن الخرشب الانباري (٥) خاصة . فهو عندما يتصدى للبيت الاول من هذه القصيدة :

اذا ما غدرتم عامدين لارضنا

بني عامر ، فاستظهروا بالرائس

يقول : « وقيل : معناه تهكم وسخرية . اي : خلو معكم عدة تاسروننا فيها . ويجوز ان يكون المعنى : استظهروا بها ، لنتخذكم فيها اذا اسرناكم » (٦) .

(٣) ينظر الشعر في الكوفة - الاعرجي ، رسالة ماجستير بالالة الكتبية ، ٩٧ .

(٤) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(٥) سلمة بن الخرشب الانباري : شاعر مقل من بني انبار ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، حاصر عروة بن الورد ، وسلمة يذكر في قصيدته هذه يوم الارقم الذي كان اواخر القرن السادس الميلادي . ينظر شرح اختيار الفضل - التبريزي ، تحقيق فخرالدين قباية ١٦٤/١ ، هامش ١ .

(٦) ينظر شرح اختيارات الفضل - التبريزي : ١٦٤-١٦٥ .

ان بحث اية ظاهرة فنية جديدة او مجددة في الشعر العباسي ، كالسخرية مثلا ، لا يمكن ان يتم بمعزل عن الكلام على التحولات الحضارية التي آلت بالمجتمع العربي في هذه الحقبة ، لان الفن ، والشعر احدي صوره ، هو تعبير العصر ، وتناج قيمه الفنية السائدة التي لم تكن غير انعكاس صادق لمعطيات الواقع المادي والفكري والنفسي للمجتمع ، وعلى اساس من هذه العلاقة تفقد تلك القيم صفة الثبوت وتصبح في حال من التغير الدائم ، المنظور حيننا ، وغير المنظور احيانا اخرى وفقا لوتائر التحولات الحضارية المادية والمعنوية التي يلم بالمجتمع ، وعلى اساس من هذه العلاقة - ايضا - يمكن القول : بان ليس ثمة جديد محض في الشعر ، لان الشعر ، ظاهرة حية من ظواهر الابداع الانساني ، انما يتطور بتطور المجتمع الذي ينشأ فيه ، وبالقدر الذي تسمح به تقاليد العصر الادبية ، فما كان جنينا في رحم حقبة ادبية سابقة قد ينمو غرضا شعريا متفردا في حقبة ادبية لاحقة .

واننا اذ نقرر اطمئناننا الى امكانية اعتماد هذا المنظور الفكري العلمي الجدلي اداة لتفسير ظواهر الابداع الفني ، والشعري خاصة ، لم نشأ ان نجعله افتراضا نظريا محضا ، ولذلك كان هذا الموضوع . اما مدى ما قد بلغناه من توفيق في تفسير ظاهر نمو فن السخرية وتطوره في شعر هذه الفئة المتفرقة من ادباء العصر العباسي في القرن الثالث ، فذلك هو ما سنكتشف عنه الصفحات التالية .

* * *

ان فن السخرية حين يعني الاسلوب الذي « يراد به كل نتاج يعمد الى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة او القلو بالتصوير والعرض » (١) ويتميز عن الهجاء التقليدي بدوافعه ومرامييه التي تسمو به فوق الحزازات الشخصية الى حال من النقد للاوضاع العامة ، وحال اخرى من الاصحاح لقصدا للتسلية والترفيه ، وطلبا للتنفيس عن الآلام المكتوبة (٢) ، فان السخرية في الشعر العربي تكون من الفنون التي انفجرت عوامل التطور والتجديد في العصر العباسي ، لا من الفنون الجديدة

(١) المصطلح في الادب العربي : ٧٤ .

(٢) ينظر الشعر والشعراء في البصرة - النجدي ، رسالة ماجستير بالالة الكتبية ، ١٠٨ .

وفي شرحه للبيت السابع من القصيدة ذاتها :

فان عليها بالذي هي اهله
ولا تغفرنها ، لا فلاح لكافر

يقول : « هذا الكلام تهكم وسخرية .. والمراد : اشكر
نعمة فرسك عليك حين خلصتك ، ولا تجحد يدها وصنيعتها
عندك ، فان جاهد النعمة لا فلاح له ، ولا يستحق مزيدا
بعده .. » (٧)

وعندما نأتي الى الحقبة الاموية تتطور السخرية وتدخل
نسيج النفاض لتكون معلما من معالم التطور الفني الذي حققته
هذه النفاض (٨) ، ونجد شاعرا مثل الحطيئة (ت ٤٥ هـ) يتطور
الهجاء عنده الى شعر ساخر « لا يخلو من نكتة لاذعة وانتقاد
اجتماعي دقيق لبعض ملامح الحياة الاجتماعية » (٩) ، ويقارب
بعض تصوراتنا للخصائص الفنية للسخرية في القرن الثالث .

ففي ابياته الاربعة التي هجا فيها بخيلا يقول : « لقد
بذلت ما استطيت من جهد ومشقة في استمالة هذا البخيل
فلم اوفق . انني امام صخرة صماء ، لا نبي معنى
وجودي ولا تسمع كلماتي ورجائي ، فتشغل عن حاجتي ورجائي ،
وراح مطرقا حتى خيل الي بانه قد مات او كاد .. واوشكت ان
انعاه عندما لمحتة يسترجع شهيقه العالي بعد الانحسار ،
فادركت انه حي ، فتركته بعد ان قلت له : اني لست عائدك
بعد اليوم حيث هدأت روحه وبدأت نفسه ترجع اليه :

كدحت باظفاري واعملت معولي
فصادفت جلمودا من الصخر املسا
تشاغل لما جئت في وجهه حاجتي
واطرق حتى قلت قد مات او عسى
واجمعت ان انعاه حين رأيتنه
يفوق فوائق الموت حتى تنفسا
فقلت له لا بأس لست بمائد
فافرح تملره السمادير ملبسا

ان هذه الصورة الهجائية الساخرة تجعل من الحطيئة
رائدا لهذا الفن في الادب العربي . وقد تطور هذا الفن في
العصر العباسي على يد شاعر ساخر مبدع الا وهو ابن الرومي ،
ابو الحسن علي بن العباس (٢٢١ هـ - ٢٨٣ هـ) (١٠) ، وعدد
من الشعراء والشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري .

هذا ما كان من حال السخرية في شعر العصر السابق
كما دلت عليها تلك النماذج الساخرة المتنوعة بين آيات الهجاء في
قصيدة ذلك العصر ، وظلت كذلك خيطا زاهيا ضئيلا في نسيجه
التقليدي القاسي الكدر . ولم يقدر لها ان تنمو وتتطور فرضا
مستقلا قائما بنفسه الا في العصر الادبي اللاحق ، العصر
العباسي .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموي : ١٧٤ .

(٩) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة - مسئل من
مجلة البلاغ عدد ٣/ السنة ٤/ ص ١٤ بقلم الدكتور عناد
غزوان .

(١٠) المصدر نفسه ، وينظر الشعر في ديوان الحطيئة
(ط صادر) : ٢٦٢ ، والسمادير ما يتراءى للانسان
عند السكر .

وان كان ثمة ما يبيح لدارسي ادب العصر السابق ان ينوهوا
بالسخرية من خلال دراستهم فن الهجاء ، على انها بعض من
مضامينه وادواته ، وانه لا يأتي الا عرضا ، ولا يملك ان يستطيل ،
بفعل ضغط القيم الفنية للقصيدة ذلك العصر ، فان الاصرار
على هذا النهج في الدراسات اللاحقة التي تعرضت لشعر
العصر العباسي ، موقف ليس له ما يسوغه بآية حال .

ان التطورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي
نشطت في هذه الحقبة الحضارية و « قضت بنشوء فنون
جديدة ... وتطوير اغراض كانت قبل صغيرة وضيقة الى فنون
مهمة ذات نفوذ شعري كبير » (١١) ، بفعل ما رافق تلك
التطورات من تغير في ذوق العصر وتجدد في قيمه الفنية ، هي
نفسها التي قضت بتطور فن الهجاء ، والسبب ببعض نماذج
الساخرة باتجاه مفارقتها ، مضامين وصياغات ، ومن ثم
استوائها فنا شعريا مستقلا ، هو فن السخرية ، حين بدأ
الهجاء بمرامي وصياغاته ومضامينه البدوية عاجزا عن تمثيل
قيم الحضارة الجديدة ، ومضامينها .

واذا كانت دراسة النجدي قد عنيت بشعر السخرية في
القرن الثالث وفي حاضرة البصرة خاصة لتتدارك ما فات
الدراسات السابقة التي كانت قد انبرت له من خلال الهجاء
مرة (١٢) ومن خلال ادب الفكاهة مرة اخرى (١٣) ، وتوصلت
الى انه من نتاج الحياة في العصر العباسي ، ورجحت « ان
العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي العوامل
الاساسية التي أدت الى ظهور هذا الاتجاه الادبي ، اضافة الى
ما للمعتزلة من اثر في ظهوره » (١٤) ، ومن ثم ميل المجتمع
الى الفكاهة وسيلة لمواجهة ضغوط الاوضاع القاسية التي كانت
تكتنف حياتهم في هذا العصر (١٥) ، فان ثمة دراسة اخرى
لاحقة - اعني دراسة الانرجي عن شعر الكوفة - كانت قد
اهتدت بهذا المنهج لتوقفه من جهة ، ولتستدرك عليه من جهة
اخرى . فهو حين يرى ان « المعقول ان تكون كل هذه العوامل
مجتمعة هي التي تبنت هذا الغرض حتى ربي بين احضانها .. » (١٦)
بضيف ، بان « هذه الاسباب كلها تبقى عقيمة اذا لم تصادف
روحا ميالة بطبيعتها الى الفكاهة واختلاق النادرة ، والا فان هذه
العوامل التي خلقت من ابي علي البصري وابي العنيس وابي
حكيم .. شعراء ساخرين لم تخلق من ابن كناسة والحماني
اللذين هما اولي بها لما يعانون شاعرين ساخرين كما لم تخلق
سواهما » (١٧) .

وقد حاولت هاتان الدراستان ، بمسد ذلك ، ان تملأ

(١١) محاضرات عن الشعر العباسي - بالالة الكتابة - د . علي
الزبيدي : ٢٧ .

(١٢) اعني بذلك دراسة الدكتور محمد مصطفى هدار ،
اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، وينظر
فصل الهجاء فيها : ص ٤٣ وما بعدها .

(١٣) اعني بذلك دراسة الدكتور احمد الحوي « الفكاهة في
الادب » ، ودراسة الدكتور شوقي ضيف « الفكاهة في
مصر » .

(١٤) الشعر والشعراء في البصرة : ١١٠ .

(١٥) المصدر نفسه : ١١٠ .

(١٦) الشعر في الكوفة : ٩٨ .

(١٧) المصدر نفسه : ٩٩ .

وتردي القيم الاجتماعية ، وانتكاس القيم التي تقاس بها اقدار الناس على اختلاف كفاءاتهم ونوازعهم وطبقاتهم ، وتعقد الحياة الاجتماعية قد ادى الى شيوع السخرية الاجتماعية نقدا لهذه الظواهر المذانة ، والى ظهور السخرية الفكاهية - ايضا - يواجهون بها ما في حياتهم من فسوة وحرمان .

واذا كانت هذه العوامل - اصلا - سببا في ظهور السخرية حسا نقديا في نفوس المفكرين والادباء في القرن الثالث ، فان ما وجد فيه من قيم فنية جديدة تمثلت باحتياز الشاعر حريته الذاتية والفنية ، والخروج على كثير من القيم الفنية لفصيدة العصر الادبي السابق ، أي الخروج على القيم الفنية لممسود الشعر ، كان وراء تحول هذا الحس النقدي الساخر الى شعر ساخر عند كثير من الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن .

* * *

لقد اصطلحت دراستا النجدي والاعرجي على تسمية ثلاثة انواع من فن السخرية الشعرية هي : السخرية السياسية والسخرية الاجتماعية وسخرية غرضها الفكاهة والتندر ، وهي مسميات محكومة - كما يبدو - بالموضوعات التي تناولتها . ولما كانت هذه التسميات قاصرة عن استيعاب جميع الموضوعات التي يمكن ان يستمد منها فن السخرية من ناحية ، ولان كثيرا ما كان هذا التقسيم سببا في قسر المتون الشعرية الساخرة ، وتوجيهها الى غير وجهتها حين يعز المن على الباحث ، اربابنا ان نصلح على تسمية نوعين من فن السخرية هما : السخرية الانتقادية والسخرية الفكاهية ، ونصف الى ذلك « السخرية العقلية » وهي تسميات مستمدة مما يهدف اليه هذا الفن في شعر هذه الحقبة ، لا الموضوع ، ليستقيم لنا المنهج ، ولتجنب الدراسة المزلق الذي عانته هاتان الدراستان .

ان النجدي عندما حاول ان يلم بالعوامل التي دعت الى ظهور فن السخرية في شعر البصرة في القرن الثالث ، افترض - كما افترضنا - ان الحالة السياسية تستدعي بالضرورة شعر السخرية السياسية ، وان تعقد الحياة الاجتماعية يستدعي شعر السخرية الاجتماعية ، وهكذا ، وهو افتراض له ما يسوغه لو كان الباحث قد توفر على دراسة شعر اقليم العراق ، لا على دراسة شعر حاضرة من حواضره . وحينئذ ليس ما يضير المنهج المحكوم بهذا الافتراض ان افتقد شعر السخرية السياسية في شعر البصرة مثلا ، لانه سيجده في شعر بغداد او الكوفة او سامراء ، وحينئذ فقط يزول ما يستدعي قسر المتون الشعرية ، وتحميلها من المعاني ما لم تحمله . ولكن الذي حدث ان النجدي حين اخضع المنهج الى الافتراض النظري السابق ، ولم يجد من المتون الشعرية ما ينسجم مع ذلك الافتراض ، في موضوع السخرية السياسية خاصة ، اضطر الى ان يجور على الشعر ، وينجر الى منزلق خطير ، هو قسر المتون الشعرية على اداء ما يريد هو لا ما يريد المتن حين جعل من رسالة « صناعة القواد » للجاحظ (٢٣) رسالة في السخرية السياسية، معتمدا رأي الدكتور محمد مهدي البصري في هذه الرسالة المتمثل في ان الجاحظ « اول من صنع المقامة في الادب العربي اذ لا جدال في ان رسالته التي يتحدث فيها عن صنائع القواد مقامية رائعة يديرها بطلان هما الجاحظ والمعتصم . وموضوعهما سياسي خطير لانها تهدف الى نقد سياسة المعتصم في اختيار

الاسباب التي حالت دون حضور السخرية غرضا مستقلا في الدراسات الحديثة التي تصدت للشعر العباسي استقراء ودراسة وتقويما . لقد اكتفت رسالة النجدي بالاشارة الى ان ظاهرة السخرية في شعر ابن الرومي كانت قد اقلت نظر بعض الدارسين المحدثين لشعر القرن الثالث ، وانهم ظلوا « ينتبهون الى هذه الظاهرة في اسسط صورها ومراميها كما تتمثل في بعض اشعار ابن الرومي التي لا تعدى في معظمها الهجاء الساخر ، ولم ينتبهوا الى ما في شعر غيره من شعراء القرن الثالث من اتجاه ساخر ذي مرام عميقة سامية » (١٨) ، اما رسالة الاعرجي فقد عزت اغفال تلك الدراسات امر السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الى ان السخرية لم تكن من الاغراض الرسمية التي كانت موضع عناية تلك الدراسات (١٩) ، و « ان الادب العربي درس في العموميات دون الخصوصيات » (٢٠) ، والى قلة نماذج السخرية في شعر الكوفة (٢١) .

واذا كانت هاتان الدراستان قد وفقتا في طرح بعض الاسباب المنهجية التي حالت دون عناية الدراسات السابقة عليهما بالسخرية فنا شعريا طوره مناخ الحياة الجديدة في هذا العصر ، فان ثمة قصورا منهجيا كان يقعد بتلك الدراسات عن تمثل المنطق « الجدلي » القائم بين الظاهرة الادبية واسبابها ، وان ثمة علاقة متينة ودائمة بين التحولات المادية التي يشهدها عصر ما ، ومجتمع ما ، وبين ما يجد فيهما من تحولات نوعية ، فكرية وفنية ، وان الادب ، شعرا كان او نثرا ، كائن حي يتطور بتطور البيئة التي ينشأ فيها ، وبالقدر الذي تبيحه له التقاليد الفنية السائدة فيها .

* * *

وقبل ان نتحدث عن صروب السخرية ومضامينها ووسائلها الفنية ، نرى ان نفصل الكلام على ما كنا اجملناه في الفقرات السابقة ، وان نربط بين السخرية ظاهرة شعرية وبين ظروفها الموضوعية التي كان من اسباب استوائها فرضا شعريا قائما بنفسه ، مضامين وصياغات ووسائل فنية تميزه من الهجاء ، لانه « اذا كان الهجاء اسلوبا بدويا في مجتمع اولي فالسخرية اولي ان تكون في مجتمع متحضر اذ هي تحتاج النظر العقلي في الساخر والمسخور به » (٢٢) ، وبعبارة اخرى ، هي هجاء العصر الحضاري المذهب السامي الى صعيد النقد الذاتي والاجتماعي والسياسي ، والملي حاجة نفسية كان المجتمع العباسي بامس الحاجة اليها للتنفيس عما كان يعانيه من ضغوط الاوضاع الحياتية المعقدة .

لقد كان لاضطراب الحياة السياسية ، وفقدان العدالة الاجتماعية في هذا القرن اثر غلبة العنصر التركي على شؤون الخلافة والرعية ، اثره في حمل كثير من المفكرين والادباء على النقد السياسي الصريح الساخر ، كما ان اضطراب الحياة الاقتصادية تبعاً لتردي المؤسسات الادارية والاقتصادية ، وما رافق ذلك من شيوع المصادرات المالية ، وظاهرة الارتشاء والارتفاق على حساب الرعية ، وانتكاف المومنين على ذواتهم بقية الحفاظ على ما اكتسبوه من اموال ، وبروز ظاهرة البخل ،

(١٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(١٩) ، (٢٠) ، (٢١) - الشعر في الكوفة ٩٧ .

(٢٢) نفسه : ٩٨ . وفي مختار الصحاح : ٣١١ « سخر منه .. ومكي ابو زيد سخر به وهو اردأ اللتين ، وقال الاخفش سخر منه وبه .. كل يقال .

(٢٣) رسائل الجاحظ - تحقيق هارون : ٣٧٥/١ - ٣٩٣ .

التطبيق في دراستنا ، لكن بإمكانه استيعاب كل أنواع السخرية التي تهدف الى النقد مهما كان موضوعها ، ولناى برسلاته عن مثل هذا المنزلق ، لان هذه التسمية بشموليتها تمنحه حرية اختيار النص الساخر الناقد ايا كان موضوعه من غير حاجة الى اكراه النفس والقلم على تناول المتون الشعرية بشيء من العسف والجاز البعيد الى حد المحال كما رأينا .

والاعرجي - ايضا - لم ينج من مثل هذا المنزلق ، منزلق قسر المتن الشعري وتحميله من المعاني ما لا يحمله ، ولكن في حال تغاير ما كنا وقفنا عليه عند النجدي ، حين نقل متنا شعريا لابي علي البصير في وصف طير « القبح » من مجاله الوصفي المحض الى مجال السخرية الاجتماعية (٢٧) .

ولعل السهو في النقل من المصدر ، وتمكن ابي علي البصير من الوصف وبراعته فيه واستيعابه ب « التشخيص » اسلوبا بلاغيا لاحكام صنعة هذا الوصف ، وذلك باضفاء الافعال والصفات الانسانية على هذا الطير ، هو الذي اوقع الاعرجي في هذا الوهم .

* * *

وقبل ان نتوفر على دراسة السخرية في شعر الشعراء الكتاب بضرورة الثلاثة التي اصطلحنا على تسميتها بالسخرية الانتقادية ، والسخرية العقلية ، والسخرية الفكاهية ، نرى ان نعلل لظاهرة شيوع السخرية في شعر الشعراء الكتاب الذين شج شعورهم بالشكوى ، مثل الجاحظ وابي العيناء والحمودي وابي علي البصير وابن بسام والمفجع البصري وابن زريق الكوفي وابي حكيمة وآخرين ، اذ قد ينصرف الذهن في مثل هذه الحال الى ان ثمة تناقضا بين روح الشكوى التي كانت تزين على نفوس هؤلاء وبين نزوعهم الى السخرية .

ان ميل هؤلاء الشعراء الكتاب الشاكين الى السخرية لم يكن الا مجرد صدى لما حفلت به حياتهم من آلام ومحن ومصائب . وليس من شك في ان النفوس المذبذبة كثيرا ما تلتبس في السخرية ملاذا للترويح عنها ، فلا تكون السخرية عندهم سوى منفذ للتنفيس عن آلامها ، وأداة للتهرب من الواقع المؤلم الذي يربى على كواهلها ، ولهذا لم يكن الانسان « حيوانا ضاحكا » ومضحكا الا لانه اكثر الموجودات على الارض شقاء واعمقا (٢٨) . وعلى هذا الاساس فالسخرية عند الشعراء الكتاب المتألمين الشاكين « أداة دفاعية » لمواجهة ما في حياتهم من قسوة وحرمان وشقاء ، و « أداة تظهيرية » تبديد ما ترسب في اعماق نفوسهم من الهواجس الكثيرة ، وتعتقها مما يغلبها من قيود الفقر والفشل (٢٩) .

١ - السخرية الانتقادية

السخرية الانتقادية ، مصطلح اصطلحنا به على تسمية ضروب من الشعر الساخر على اساس الفاية لا الموضوع ، لاسباب منهجية كنا قد عرضنا لها قليل ، وليكون على حظ من الشمولية يستوعب معها كل انواع الشعر الساخر الذي يهدف الى السخر من الظواهر المادية في الحياة ونقدتها من خلال افراد بعينهم ، او جماعة بعينها ، او تقليد بعينه ، سواء اكانت هذه

قواده من بين الخياطين والخبازين والطباخين وامثالهم من ارباب الحرف والاعمال التي لا تتطلب ثقافة سامية ومدارك ممتازة (٢٤) . ولعل افتقار شعر البصرة الى السخرية السياسية التي افترضها النجدي افتراضا نظريا هو الذي جعله ينشبت بما كان قد وهم فيه الدكتور البصير ذلك الوهم كله على حد تعبير الدكتور محسن فياض (٢٥) ، بدليل ان النجدي لم يوفق الى غير هذا المتن ، اذ « ليس في تلك الرسالة ما يمت بصلة الى القواد وصناعاتهم ولعل عنوان الرسالة هو الذي اوقع الاستاذ في ذلك الوهم وحمله عليه . وعنوان الرسالة وهو (صناعات القواد) لا ينطبق على ما بداخلها ولعله قد وضع على الرسالة خطأ وسهوا . ومن يقرأ الرسالة باعنان يحس ذلك ويؤمن به . فالجاحظ لم يتحدث فيها عن القواد ولا عن مؤهلاتهم وحروبهم والمشهورين منهم ، وانما اراد في رسالته تلك ان يوضح ظاهرة معروفة وهي اثر المهنة في حديث صاحبها وظهور الفاظها ومصطلحاتها في كلامه واراد ان يشرح هذه الظاهرة بأمثلة نثرية وشعرية وضعها على السنة اناس اختار لهم منها مختلفة . وقد جعل الأمثلة النثرية اجابات لهؤلاء عن سؤاله لهم كيف الحرب ؟ بعد رجوعهم مع جيش المعتصم من بلاد الروم . وكان الذين سألهم طباطخ الجيش وسائس خيليه وطبيبه وبعض المحاربين ممن كانوا مزارعين ومعلمين وخياطين ورفراشين وكناسين .

ولم يقل الجاحظ ان هؤلاء كانوا قادة الجيش . وانما هم جنود يوجد مثلهم في كل جيش من جيوش الدنيا . ولهذا اختار الجاحظ شخصيات رسالته هذه من بين جيش عائذ من الحرب ليستطيع ان يسألهم جميعا سؤالا واحدا وهو كيف كانت الحرب ؟ وليستطيع ان يضع على السنتهم جوابا واحدا في سطرين يفر في بعض كلماته لتعبير عن مهنة صاحبه ... ثم انه جعل كل واحد من سألهم يقول شعرا في الغزل . وجعل في شعر كل منهم ايضا ما يدل على مهنة صاحبه من الاصطلاحات والكلمات .

وكانت خلاصة ما يريده الرجل ان للمهنة اثرا في كلام صاحبها وحديثه . وقد بدأ الجاحظ رسالته تلك بشرح فضائل اللسان وما يدل عليه من علم صاحبه او جهله ثم طلب الى المعتصم ان يعلم اولاده من كل ادب ولا يقتصروا على علم واحد (٢٦) .

وعلم هذا الاساس فرسالة « صناعات القواد » رسالة في السخرية من ظاهرة التخصص في المعرفة التي بدأت ترسخ في هذا العصر ، ومن ثم فهي اقرب الى النقد الادبي الساخر منها الى السخرية السياسية ، وهذا الضرب هو ما لم تتسع له مسميات النجدي ، ولو قدر له ان يركن الى مصطلح « السخرية الانتقادية » وهو ما ارتأيناه ووضعناه موضع

(٢٤) في الادب العباسي - البصير : ٥٤-٥٣ .

(٢٥) الخلاف في نشأة المقامات - كراس ، ص ٩ ، بقلم الدكتور محسن فياض .

(٢٦) المصدر نفسه : ٩-١١ ، وفي جمع الجواهر ١٤١ وما بعدها عقد الحضري فصلا بعنوان : « كلام مستطرف لاهل الصناعات من طريق صناعتهم اشار فيه الى المعنى الذي قصدته الجاحظ من رسالته هذه ، فقد ذكرها بأكملها كما استشهد له بنصوص اخرى غير هذه الرسالة ، ولاخرين في الموضوع نفسه .

(٢٧) ينظر الشعر في الكوفة : ١٠٥ .

(٢٨) ينظر ابو حيان التوحيدي - زكريا ابراهيم : ٢٤٧ .

(٢٩) نفس المصدر : ٢٥٠ .

الظواهر المنقودة ، المسخور منها ، اجتماعية ام سياسية ام ادبية
ام سلوكية شخصية .

ومهما بدت السخرية الانتقادية هادئة في بعض نماذجها ،
فهي عملية تأديب مؤلفة مخزبة ، لأنها ما وجدت واتسمت بسمة
التنقد الا لتخزي وتؤلم في آن واحد ، ولهذا كان لابد من ان
يشعر الشخص المسخور منه ، المنقود ، بالخزي والالام .
والشاعر الساخر اذ يعمد الى هذا فانما يريد من خلال
الشخص موضوع النقد والسخرية ، نقد ظاهرة مدانة بنظره
على صعيد الحياة الاجتماعية او السياسية ... وان كان
ثمة ما يشير الى ان الشخص نفسه كان منقودا بهذه السخرية ،
فان الشاعر الساخر كان يريد ان ينتقم منه وامثاله السذجين
يريدون التناول على المجتمع ، وحينئذ تكون سخريته بهم
- اشخاصا فرادى - هو كون عيوبهم غير اجتماعية ، لا كونها
غير اخلاقية . وسخرية كهذه لا يمكن ان تكون عادلة في تناولها ،
وليست طيبة في كل الاحيان ، ولكنها مقبولة على كل حال لانها
ما استخدمت الشر الا من اجل الخير (٣٠) .

* * *

ان استقراء الشعر الساخر الذي يمكن ان يندرج تحت
هذا العنوان من دون عسف او قسر ، يمكننا من الوقوف على
ثلاثة انماط من الشعر الساخر الناقد : نمط يتكفل بالسخر
من ظواهر اجتماعية معينة ، واخر يعني بالسخر من ظواهر
سياسية مختلفة ، وثالث يتوجه الى السخر من ظواهر ادبية .
وكل هذه الانماط التي عالجها الشاعر الساخر الناقد انما
عالجها من خلال التوجه الى السخرية من اشخاص بعينهم
ومواضيع بعينها ، ليخلص منها الى نقد تلك الظواهر بهدوء مرة ،
وبلا طيبة ولا عدالة مرات ، لا لغرض شخصي ، وانما لدعوة الى
الخلاص وتطهير المجتمع من كل ما من شأنه طعن نصائره ،
وتشويه انسجامه ، ولبلبة طمأنينته ، وخلخلة تماسكه .

فمن النمط الذي تكفل بالسخرية من الظواهر الاجتماعية
تلك النماذج التي قالها الشعراء الكتاب في السخر من ظاهرة
البخل والحرص التي شاعت في القرن الثالث . ومن الشعراء
الكتاب الذين شهبوا بهذا اللون ، الحمدوي وابن بسام
المبرائي البغدادي .

لقد استفرغ الحمدوي اغلب شعره الساخر في موضوعين
اثنين ، طيلسان ابن حرب ، وشاة ابن سعيد . وليس
الحمدوي في هذا الا ساترا على قافية من سبقوه في هذا
اللون .

ففي موضوع « طيلسان ابن حرب » الذي ينصب على
طيلسان الخلق الذي اهداه اليه محمد بن حرب احمد
الموسرين في البصرة ، كان يخلو حنو احد شعراء عصره ، لا فقد
كان الحمدوني (كذا) يحفظ قول ابي حمران السلمي في
طيلسانه ، وهو :

(٣٠) ينظر الضحك - برجسون : ١١٤ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، علما
باننا كيفنا ما ورد في هذه الصفحات حول الوظيفة
الاجتماعية للضحك وفقا للوظيفة الاجتماعية للسخرية
الانتقادية لان ثمة اكثر من أسرة حبيمة بين السخرية
الانتقادية والضحك ، بل ان الاضحاك والضحك أداة من
ادواتها .

يا طيلسان ابي حمران قد برمت
بك الحياة فما تلتذ بالعمى
في كل يوم له رفا يجده
هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد او لجمعه
تنكب الناس لا يبلى من النظر

فاحتذى حذوه ، وانثالت عليه المعاني ، حتى قال في وصف
طيلسان قرابة مائتي مقطوعة ، ولا تخلو واحدة منها من معنى
بديع ، وصار الطيلسان عرضة لشعره ومثلا في البلى
والخلوقة . (٣١) . ولا شك ان ثمة وهما في عدد المقطوعات
التي ذكرها الثعالبي ، ونرى ان الاقرب الى الصحة هو ما
ذكره ابن المعتز : « وله فيه قريب من مائتي بيت في خمسين
قطعة تفنن معانيها » (٣٢) ، يوثق هذا ما كان الحصري قد
ذكره في كتابه « جمع الجواهر » (٣٣) .

« وكان المثل يضرب بشاة منيع ، ثم تحول المثل الى
« شاة سعيد » لكثرة ما قاله الحمدوني فيها ، وتسيره الملح
في وصف هزالها » (٣٤) . وهكذا فالحمدوي في شعره الساخر
يكون قد متع من المحاولات الجديدة التي بدأت تنمو في هذه
الحقبة لتستقل عنده فنا قائما بنفسه بعد ان افناها بتفننسه
وصياغاته واساليبه الفنية التي بلغ فيها حدا من الابداع
جملة نسيج وحده ، ومثالا يحتذيه من جاء بعده من
الشعراء (٣٥) .

وقد نوه القدامى بطبيعة الوسائل الفنية التي هيأت
لأشعار الحمدوي الشيوخ والسرورة على لسان . فقد قال
ابو العباس المبرد وهو يتحدث عن الحمدوي وأشعاره في
طيلسان ابن حرب : « فانشدنا فيه عشر مقطعات ضمن اواخرها
ابيات اغان ملاحا فاستحلينا مذهبه فيها فجعلها خمسين شعرا
فطارت كل مطر ، وسارت كل مسير » (٣٦) .

ومن طريف شعره فيه :

كساني ابن حرب طيلسانا كأنه
فتى عاشق بال من الوجد كالشن
يفني لابراهيم حين لبسته
« ذهبت من الدنيا وما ذهبت مني » (٣٧)

ونقرأ هذين البيتين ، ونضحك في اعماقنا ، وترسم
البسمة العريضة على وجوهنا ، ويعمر نفوسنا الاشفاق على
ابن حرب من هذه السخرية ، كما قرأها اناس القرن الثالث ،
وارتسمت البسمات على وجوههم ، وعمر الاشفاق نفوسهم عليه
من هذه السخرية من قبل ايضا . لا شك ان ثمة شيئا في هذين

(٣١) نمار القلوب : ٦٠١-٦٠٢ .

(٣٢) طبقات الشعراء - ابن المعتز : ٣٧٢ .

(٣٣) ينظر جمع الجواهر : ١٥٣ .

(٣٤) نمار القلوب : ٣٧٥-٣٧٦ .

(٣٥) المصدر نفسه : ٦٠٣-٦٠٤ . وفيه : « والشك في ان
ابن الرومي تمقبه ، فقال على لسانه ما لا يقصر عن
ابداعه » .

(٣٦) جمع الجواهر : ١٥٣ .

(٣٧) ديوان الحمدوي ، جمع وتحقيق احمد النجدي نشر في
مجلة المورد م ٢ ع ١٩٧٢/٣ ص ٨٧ قطعة ٦٩ ، والشن :
القرية الخلق .

ثم ولى فاقبلت تنفنى من الأسف
((ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف)) (٤٠)

ان ما زاد في قدرة هذه المقطوعة على السخرية والضحك ، هو هذا السرد القصصي ، اضافة الى استخدام الحمدوي اسلوبى التشخيص والتضمين في حالين ، لقد جعلها تنفنى في حالتي الامل والفشل ، كما تنفنى اي انسان يعيش املا قريبا ، ثم لا يلبث عندما يخيب امله ، ان يغني خيبته شعرا اسيفاً .

ولعل هذا النجاح الذي تحقق في موضوع « شاة سعيد » يعود الى ان الحمدوي ادرك ما ندره الان من ان اصفاء فصل الفناء ، وهو فعل انساني ، على الطيلسان او الشاة ، هو اكثر اثاراً للسخرية وابعث على الضحك ، مما لو اصفاه الحمدوي على نفسه ، كما فعل ذلك مرات كثيرة في مقطوعاته عن الطيلسان ، لان في مثل هذه الحال ليست ثمة مفارقة صارخة تبعث على الضحك ، فمن الطبيعي جدا ان تنفنى شاعر بيت شعر لشاعر اخر ، ولانه في مثل حاله ليس ثمة حضور لوضع انساني او تعبير انساني في ما ليس انسانيا كما هو الشأن مع الطيلسان او الشاة .

ولم يقتصر الحمدوي على استخدام اسلوب التشخيص من خلال تضمين بيت من الاشعار الشهيرة الفناء ، وانما تجاوزه الى استخدامه من خلال الاقتباس من القرآن ، فمن نواذر ما قاله مقتبسا من القرآن :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا
أمرضته الوجع فهو سقيم
واذا ما رفوته قال سبحا
نك محيي العظام وهي رميم

... المقطوعة (٤١)

ولم يقتصر الحمدوي على الاستفادة من اساليب التشخيص والتضمين والاقتباس والسرد القصصي فحسب ، بل تجاوزها الى الاستفادة من اساليب فنية اخرى كالاقتباس من الحديث الشريف (٤٢) ، والاستمداد من القصص السائرة التي يتناقلها الرواة (٤٣) ، ومن العلوم الفلسفية والكلامية (٤٤) ، وكذلك من الفلو والافراط في استخدام المفارقات والتشبيهات والكتابات (٤٥) ، واننا اذ نكتفي بهذه الاشارات فلان التجدي كان قد توفر على كل هذه الانواع (٤٦) .

ومن كل ما توسل به الحمدوي من اساليب فنية في موضوعي « طيلسان ابن حرب » ، و « شاة سعيد » يتضح لنا ان الطيلسان غير مقصود لنفسه ، كما ان الشاة غير مقصودة لنفسها ، كما ان من اهداهما غير مقصود وحده اذ لو كان هذا هو قصده لاكتفى بوضع مقطوعات لكل منهما ، ولما نظم في موضوع الطيلسان

- (٤٠) المصدر نفسه : ص ٨٢ قطعة ٤٠ .
- (٤١) المصدر نفسه : ص ٨٥ قطعة ٥٨ .
- (٤٢) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٢٢ .
- (٤٣) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٥ .
- (٤٤) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٢٨ ، ٣١ .
- (٤٥) المصدر نفسه : ص ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ومقطوعات كثيرة اخرى لا تخفى عن حس الباحث .
- (٤٦) ينظر الشعر والشعراء في البصرة ، فصل السخرية : ١١٨-١٣٢ .

البتين هو ما يثير كل هذه الاحاسيس فينا بما فيها الضحك ، ولكن اين يكمن هذا الشبه المضحك ؟ ، الذي لا اشك فيه ان الحمدوي قد وفق الى ابرع اساليب الاضحاك التي كشف عنها التفسير الفني المعاصر ، اعني اسلوب « التشخيص » الذي استخدمه الحمدوي من خلال تضمين بيت ابراهيم بن المهدي ، واصفاء الاعمال الانسانية - كالفناء - على طيلسان ابن حرب ، لانه - كما يقول برجسون - : « لا مضحك الا فيما هو « انساني » فالمنظر قد يكون جميلا لطيفا رائعا ، وقد يكون نافها او قبيحا ، ولكنه لا يكون مضحكا ابدا ، واذا ضحكنا من حيوان فلاننا لقينا عنده وضع انسان او تعبيراً انسانيا » (٢٨) وعلى هذا ما ضحكنا من طيلسان ابن حرب من خلال تشبيهه بالقربة الخلق ، ولكننا ضحكنا منه لاننا لقينا فيه وضع انسان عندما شبهه بالماشق الناحل ، ضحكنا منه لاننا وجدنا فيه تعبيراً انسانيا حين جمله يغني بيتا لابراهيم بن المهدي الذي ذهب عنه الدنيا بنهاب الخلافة .

ويدرك الحمدوي هذا السر فيديره في اغلب مقطعاته ، ولا ينجح عنده كما ينجح في موضوع « شاة سعيد » ، حين يلجأ في استخدام اسلوب « التشخيص » من خلال تضمين الابيات من القصائد الفناء المشهورة ، ليقف بنا على الوضع الانساني البائس ، او التعبير الانساني البائس في مثل حال « شاة سعيد » الهزيلة الجائفة . فيما قاله الحمدوي في الاضحية التي اهداها له سعيد بن احمد بن سبنداد ، هذه المقطوعة الساخرة :

ابا سعيد لنا في شاتك العبر
جاءت وما ان لها بول ولا بصر
وكيف تمبر شاة عندكم مكثت
طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو انها ابصرت في نومها علفا
فنت له ودموع العين تنحدر
« يامامي لذة الدنيا باجمعها
انسي ليفتنني من وجهك النظر » (٣٩)

ان هذه القطعة تثير فينا من الضحك ما اثارته قطعتة السابقة في طيلسان ابن حرب ، والذي يضحكنا فيها ، ويشير اشفاقنا على صاحبها من هول هذه السخرية الباردة ، ليس وصف هزال هذه الشاة وجوعها ، ولا الكناية الباردة التي عبر بها عن هذه الحال التي تعانيها هذه الشاة المهداة ، بقوله « طعامها الابيضان الشمس والقمر » ، ليس هذا ما يضحكنا ، ولكن الذي يضحكنا هو اصفاء الافعال الانسانية عليها ، البكاء والفناء ، هذه الافعال التي وقفت بنا عند « شاة سعيد » على وضع انسان وتعبير انساني ، باستخدامه اسلوبى التشخيص والتضمين .

وكلما آمن الحمدوي في اصفاء المزيد من الافعال الانسانية والصفات الانسانية على « شاة سعيد » كلما تعمقت السخرية في نماذجها ، وزادت قدرتها على الاضحاك كما في قوله :

لسعيد شويبة نالها الضر والمعيف
فتفتت وابصرت رجلا حاملا علف
« بابي من بكفه براء دائي من الدنف »
فاناها مفعما واتته لتعتلف

(٢٨) الضحك - برجسون - ٧٠-٦ .

(٣٩) ديوان الحمدوي : ص ٨٠ قطعة ٢٥ .

مثلا خمسين مقطوعة ، وفي موضوع الشاة اقل من هذا العدد (٤٧) ، وهذا « مما يدل على انه كان يقصد الى معنى ابعد مما يشير اليه المعنى الظاهري لشعره ، ألا وهو مهاجمة البخل الذي ادى الى اهداء مثل هذه الهدية البالية . ولعله عبر بهذا عما يحس به افراد مجتمعه وما يعانيه من عادة سادت مجتمعهم ، ومن ثم كان تقبل الكثيرين لاشعاره هذه » (٤٨) . وهكذا فشعر الحمودي الساخر « يمثل نقدا اجتماعيا اتخذ من السخرية مادة له » (٤٩) . وقد حقق الحمودي كثيرا مما قصد له ، فبعد ان طارت مقطعاته كل مطير وسارت كل مسير ، وغدت لعنة تؤرق ابن حرب وغيره من بخلاء المومنين ، وتفرغهم ، قال :

طيلسان لابن حرب ذو اياد ليس تحصى
أنا فيه أشعر النسا س اذا ما الشعر نصا
واراني صرت أدنى بعدما كنت أقصى
وانقاني الناس وازدا دوا على شعري حرصا
ولكم قد حاز لي أر دبة تترى وقمصا
كان دهرنا طيلسانا ثم قد اصبح شصا (٥٠)

ان رحلة الحمودي مع طيلسان ابن حرب على طولها لم تستطع ان تستنفذ المخزون من طاقة السخرية عنده ، ان نعمة السخر ما زالت على عنقوانها في هذه المقطوعة ، فطيلسان ابن حرب الذي كان مبعث شكواه وسخريته صار مبعث انتفاعه ، يحوز له الابدية تلو الابدية ، والقمص تلو القمص ، وهو ان كان لدهر طويل طيلسانا خلقا ، فما قد اصبح شصا . وهنا تكمن المفارقة الكبيرة ، فاية علاقة هذه التي تجمع بين الطيلسان والشص ؟ انها العلاقة غير المنطقية التي تصدمنا ، وتمنح هذه الابيات القدرة على زرع البسمة على أغلف الشفاء قسوة ، واكثر الوجوه عبوسا .

* * *

واراد بعض الشعراء الكتاب مجازاة الحمودي في فنه هذا فما قاربوه الا بقدر ، ومن تصدى منهم للسخرية من بعض مظاهر الحرص على ما ملكت اليمين في المجتمع العباسي ، ابن بسام العبراني البغدادي ، هجاء العصر العباسي الجريء . ولكنه على جلاله قدره في فن الهجاء ، فانه لم يبلغ منزلة الحمودي في فن السخرية ، كما وكيفا ، ولكن هذا لا يعني انه لم تكن لابن بسام نماذج الشعرية الساخرة البارعة ، ووسائله الفنية الخاصة في التصوير « الكاريكاتوري » الذي لم تقف له على ملامح واضحة في سخرية الحمودي . فمن جيد نوادر ابن بسام الساخرة قوله في ابيه :

بعثت لاستهديه عيرا ولم اكن
لاعلم ان الصير صار لنا صهرا
فوجه لي كي نستوي (كذا) في ركوبه
فركبه بطننا واركبه ظهرنا (٥١)

ان ما يدفعنا على الضحك في هذا النموذج الساخر البارع هو هذه « المفارقة » الصارخة الكامنة في اسلوب « التشخيص » الذي تضمنه البيت الاول ، فقد اسهم هذا الاسلوب في خلق وضع انساني فيما هو حيواني ، حين ربط بين العير وبين عائلته برابط المصاهرة ، وكأنه كان يدرك ، ان لا مضحك الا الانسان . وما قوى نزعة السخرية في هذا النموذج هو استخدام ابن بسام اسلوب التصوير « الكاريكاتوري » ، في هذه الصورة المضحكة البارعة الباعثة على السخرية القاسية ، وكانى بابن بسام يدرك للمرة الثانية بحسه النقدي المرفه العاد بان للسخر الساخر وظيفته الاجتماعية ، وانه لا يتمكن من اداء هذه الوظيفة اذا كان على قدر من الطيبة والعدالة ، لان مهمته تاديبية ، ولا بد له من ان يؤلم ويخزي (٥٢) ، وهذا ما كان قد تحقق له في هذا النموذج الساخر . ولا يتضح ما في الصورة من سخرية قاسية مخزية الا حين ندرك خوف هذا الانسان وحرصه في آن واحد ، فهاتان الحالان اللتان كانتا وراء حضور هذا الشكل « الكاريكاتوري » الساخر الرائع الذي وفق فيه ابن بسام ، الى حد جد بعيد ، للسخر من ظاهرة الحرص في ابيه . فاينما كان مكان ابيه من هذا الحمار ، البطن ام الظهر ، على اساس قبول كلتا الروايتين ، فهو في حال لا يمكن ان يحسد عليها ، لانها حال لا تثير الا الضحك والسخر منه . وليس لنا ان نأخذ سخرية ابن بسام على انها سخرية من ابيه وحده ، لان سخريته شأنها شأن هجائه لا يصدر الا عن موقف نقدي عقيدتي يشمل كل جوانب الحياة العباسية ، السياسية والاجتماعية والادبية ، كما دلت على ذلك هجائياته (٥٣) .

وهذا سهل بن هارون بعث الى جاره لهم ليستعير منه بظلا فرغم له انه مبطون ، فلم يملك الا ان يسخر من حرص جاره ، فكتب اليه بعد ايام :

نبئت بفلك مبطونا فرزت له
فهل تماثل او ناتي عوادا ؟ (٥٤)

ان محاولة سهل بن هارون في خلق وضع انساني فيما هو حيواني هو الذي يثير فينا الضحك من صاحب البغل ، والسخر منه ، وهو في هذا يترسم اسلوب التشخيص الذي عرفناه عند الحمودي وابن بسام .

* * *

وبخل المومنين المتمثل بقلة ما يقدمونه على موائدهم ، او بضمتهم بالخبز على الآخرين كان - ايضا - من موضوعات السخرية عند الشعراء الكتاب. ومن الذين تعلقوا بهذا الموضوع ، ابن بسام والحمودي وعصاة الجرجاني ، لقد سخر ابن بسام بخبز ابيه ومطبخه باكثر من مقطوعة واحدة . فمما قاله في احداها :

داغر : ٢٠٨/٤ ، وشرح مقامات الحريري - الشريشي :
٢٢٦/٢ وفيه :

- ١ - بعثت لاستهديك عيرا ولم اكن علمت ...
- ٢ - فوجه بي كي نشترك (كذا) في ركوبه فركبه ...
- (٥٢) ينظر الضحك - برجسون ١٦٠ .
- (٥٣) ينظر الفصل الثالث من الباب الثاني من رسالتنا الموسومة بـ « الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري » .
- (٥٤) رسائل الجاحظ - « كتاب البغال » - هارون : ٣٠٤-٣٠٣/٢ .

- (٤٧) ان ما وصل اليانا من مقطوعات الحمودي في الطيلسان ٣١ مقطوعة ، وفي شاة سميد ٨ مقطوعات ، ينظر الديوان .
- (٤٨) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٥-١٢٦ .
- (٤٩) المصدر نفسه : ١٣١ .
- (٥٠) ديوان الحمودي : ص ٨١ قطعة ٣٠ .
- (٥١) مروج الذهب (ط دار الاندلس) - تحقيق يوسف اسعد

دار أبي جعفر مفروشة
ما شئت من بسط واسماط
وبعد ما بينك من خبز
كبد بلخ من سميساط
مطبخه قفر وطباخه
أفرغ من حجام ساباط (٥٥)

ان ما يثير ضحكنا في هذه السخرية ليس هو الجمع بين المتناقضات ، بين الثراء والشعة ، بين كثرة الاسماط وبعد الخبز عنا بعد ما بين بلخ وسميساط ، ولا بهذه التقريرية المباشرة في الشطر الاول من البيت الثالث وانما في تضمين هذا المثل المولد « حجام ساباط » ولا نصل الى مدى هذه السخرية الا بعد ان نقف على قصة هذا المثل . ان « حجام ساباط » : يضرب به المثل في الفراغ يقال : أفرغ من حجام ساباط . . ومن خبره انه كان حجاما ملازما لساباط المدائن ، فاذا مر به جند ، وقد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدائق واحد الى وقت قفولهم ، وكان مع ذلك يمر به الاسويح والاسويغان ولا يدنو منه احد ، فعندها يخرج امه فيحجمها ليرى الناس انه غير فارغ ، فما زال ذلك دأبه حتى نزل دم امه ، فماتت فجأة ، وسار فراغ الحجام مثلا « (٥٦) ، وضمن ابن بسام هذا المثل سخريته هذه التفسير مثلا - ايضا - في فراغ طباطح ابيه ، ومن ثم ليشهر بخله بفعل هذه السخرية .

وفي مقطوعة ثانية يقول في خبز ابيه ، أبي جعفر :

خبز أبي جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير
فيه دواء لكل مضلة
للبلطن والصدر والبواسير
وقصعة مثل مدهن صفرا
ترعق من حوله النواظير
ونيسل ما ترتجيه من يده

ما ليس تجري به المقادير (٥٧)

الواضح في هذه المقطوعة ان ابن بسام يريد ان يشهر بخل ابيه ، ولكنه يريد في الوقت نفسه ان يحتال على هذا الامر احتيالا لطيفا يخرج به من الهجاء الى السخرية ، ليكون تأثيره في نفوسنا اكثر وادعى للضحك . ولهذا آخر ابن بسام حكمه على ابيه بالبخل الى البيت الاخير من المقطوعة ، وبدأها ب «مفارقة» مثيرة للضحك والسخرية ، شئنا ام ابينا ، لقد افقد خبز ابيه صفته الحقيقية ، وحوله وقصعة الطعام معه الى واجهة في صيدلية عطار من عطاري العصر العباسي ، فالخبز له لسان الطباشير ، لانه دواء مركب يصلح لاكثر من مرض واحد ، للبلطن والصدر والبواسير ، والقصعة صغيرة صغر المدهن الذي يدا في الدواء ويسحق ، وهي بعد هذا محاكاة بعبون النواظير ، فنحن لسنا امام خبز وقصعة ، وانما امام مواد صيدلانية ومدهن لدواء محذور ، لا يصلح ان يستعمل الا بقدر ما يستعمل الدواء وبإشارة صيدلي ، وهل الصيدلي الا أبو جعفر ؟ وهل الدواء الا خبزه ؟ وهكذا نصل مع ابن بسام الى خاتمة هذا التصور ، ونحن ماخوذون بهذه السخرية ، ليلقي في سمعنا حكمه على ابيه بالبخل وشحة اليد ، انها شحة الصيدلي في الدواء :

(٥٥) ثمار القلوب ٢٣٥ .

(٥٦) نفسه .

(٥٧) مروج الذهب : ٢٠٩/٤ .

ونيسل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجري به المقادير

وعندما نأتي الى الحمودي وخبز المورسين البخله ، نقف على اساليب فنية أخرى في السخرية هي غير ما كنا وقفنا عليه عند ابن بسام . ولعل ابرع هذه الاساليب واترها اثارا للضحك هو الاسلوب « الدرامي » بما يقتضيه من راو ، وممثلين ، وحوار ، وحركة ، ومسرح ، و « ديكور » زمني ومكاني ، وحضور . وهذا ما يمكن تمثله من خلال هذا النص :

رايت أبسا زرادة قال يوما
لحاجبه وفي يده الحسام :
لئن وضع الخوان ولاح شخص
لاختطفن رأسك والسلام
فقال : سوى أبيك فذاك شيخ
بقيض ليس يردعه الكلام
فقام ، وقال من حق ، اليه
بيت لم يرد فيه القيام :
أبي وابنا أبي والكلب عندي
بمثولة اذا حضر الطعام
وقال له : ابن لي يا ابن كلب
على خبري أصاير ام اصام
اذا حضر الطعام فلا حقوق
علي لوالدي ولا ذمام
فما في الأرض أقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام (٥٧)

فالمقطوعة - كما اراد لها الحمودي - تبدو وكأنها « ملهات » حوارية ساخرة مضحكة ، مفعمة بالحركة والصور ، راويها الحمودي نفسه ، وبطلها أبو زرادة المورس البخیل ، وحاجبه الذي يبدو على شيء من الشيطانية ، ومسرحها بيت أبي زرادة نفسه ، وزمنها الساعة التي تسبق ساعة الغداء ، وهي ساعة الترقب والتوقع المضنية التي يخشى الشح في طرقها على الباب من زائر ، أي زائر ، والحضور هم اناس القرن الثالث ، ومن قراها من ابناء القرون التالية حتى القرن العشرين ، فملهات كهذه تملك حضورها في الازمان على امتداد الزمان ، وقدرتها على انتزاع البسمة الساخرة من شفاه ابناء القرن الثالث وابتداء القرون التالية ، لان البخل صفة مدانة على امتداد العصور وتمدد الامكنة .

ان الحمودي ينقل مشاهدي ملهاته الى مسرحها بلا مقدمات ولا ستارة ، لانه لا يريد ان يكلفهم الانتظار ، انه يقف بهم امام المشهد الاول من هذه الملهات ، حيث يفاجأ المشاهدون بابي زرادة المورس الذي تتناقض علته ثرائه مع شحته وبخله ، في وضع لا يمكن الا ان يسخروا منه ، ويضحكوا .

لقد نجح الحمودي في ان يمنح ملهاته ما تنتزع به ضحك الحضور من أبي زرادة انتزاعا . ان الهبة المضحكة التي اظهر بها ابا زرادة ، والشيطانية التي اضافها على الحاجب واستخدمها من اجل ان يجر ابا زرادة الى مضائق الحوار الذي يكشف ابعاد بخله ، المصحوب بالتصرفات الحقة ، ومن ثم اعادته الى نوع من العقلانية ، وهي عقلانية مضحكة ايضا

(٥٧) ديوان الحمودي : ص ٨٥ قطعة ٥٧ .

حين ينطقه بهذه الحكمة التي لا رواج لها الا في بيئات البخلاء من المومنين :

فما في الارض اقبح من خوان

عليه الخبز يحضره الزحام

وللحمدوي غير هذه المقطوعة مقطوعتان اخريان ، في السخر من خبز البخلاء ، توسل في الاولى بالمفالة في نعتة ، فهو من حموصته يضرس الاسنان ، ومن خشونته ينتشبت باللهاء ، وهو بعد هذا كالدراهم في حجمه ، ومن الخفة بحيث يتطاير من انفاس الحاضرين ، وتزداد سخريته من هذا البخل ومن خبزه حين يصور لنا الحضور وهم يدارون النفس خشية طيرانه من بين ايديهم (٥٨) .

اما الثانية فهي في خبز ابي نوح ، وعول فيها على اسلوب السرد القصصي والاقتباس من القرآن (٥٩) .

والشعراء الكتاب ان عنوانا بالسخر من ظاهرة البخل والحرص ، وقالوا فيها شعرا ملك القدرة على السيورة على شفاه الناس جيلا بعد جيل ، فان جوانب اخرى من الحياة الاجتماعية كانت قد امدت ملكتهم الشعرية الساخرة بموضوعات اخرى .

ان ابراهيم الصولي الذي عانى جفاء الاخوان بفعل انتكاس احواله ، وكان في ذلك اشكى اقرانه لهذه الظاهرة ، فاننا لا نعدم له الاشعار التي جمع فيها بين الشكوى والسخرية و « قد احسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها احد » (٦٠) . ومن هذه الاشعار قوله :

ولما رايتك لا فاسقا
تهاب ولا انت بالزاهد
وليس عدوك بالتقي
وليس صديقك بالحامد
اتيت بك السوق سوق الرقيق
فناديت هل فيك من زائد
على رجل غادر بالصدوق
كفور نعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد
يزيد على درهم واحد
سوى رجل حار منه الشقا
وحلت به دعوة الوالد
فيمتلك منه بلا شاهد
مخافة أدرك بالشاهد
وابت السى منزلي سالما
وحل البلاء على النافد (٦١)

لقد حاول ابراهيم الصولي ان يسخر في هذه المقطوعة بعد ان لم تجده الشكوى . واذا نحن فتنشنا عن مواطن السخر فيها لوجدناها تكن في الصورة الخلفية الشوهاء التي مسخ فيها هذا الصديق الكفور بالنعماء الجاحد لها . فهل ادعى للسخر من

رجل بلا لون ، من رجل لا هو بالفاسق الذي يهاب ولا هو بالزاهد الذي يجل ؟ وهل ابعث على الضحك من رجل لا يتقيه العدو ولا يحمده الصديق ؟ وهل هذه الا صفات واحد من الرقيق بمقياس ذلك العصر الذي امار العصبية القبلية واضعف من تأثيرها ، ومنع كل فرد حريته الذاتية على مختلف صعد الحياة الا الرقيق ؟ هذا ما اراد ابراهيم ان يقوله لنا ، وقد قاله . ولكن من اجل ان يصل بعملية المسخ الى مداها يعمد الى معاملته وكأنه قد غدا حقا احد من ملكته يمينه من الرقيق ، فيذهب به الى سوق النخاسة ليبيعه ، وذلك جانب من عملية طويلة بدأها ابراهيم اولا بان زهدنا فيه انسانا بلا لون، وما هو يحاول من جديد ان يزهدنا فيه رقيقا بلا قيمة ، فيقول لنا بانه لم يات رجل واحد يزيد في قيمته على درهم واحد غير رجل كانت قد حلت به دعوة والده ، وشقاوة حظه . ويواصل ابراهيم سخريته منه استجابة لعاطفة جريئة أثقلتها خيانة الاصدقاء وجفاؤهم وتلونهم حين اعلن بانه باعه بلا شاهد لئلا يدرك به ، وعاد الى منزله سالما ليحل البلاء على من نقد ثمن هذا الصديق - الرقيق .

وكما وجدنا من الشعراء الكتاب من يتجه بشعره الى الفئات الدنيا من المجتمع في هذا القرن يمدحهم ويهجوهم ، وجدنا كذلك من يتوجه اليهم بسخريته .

فابن زريق الكوفي ، وقد تهيا له ان يحضر مجلسا للقصف واللذة والشرب والفناء ، يلتقي فيه ب « قينة تسمى ديسية حسنة المخبر قبيلة المنظر » (٦٢) قال يسخر منها :

يا سيدي ونديمي	أبا سعيد اصغ لي
من الامور عظيم	ميت امس بامر
حر ظريف كريم	حصلت عند صديق
ية فتنفي همومي	اسقى على شدة ديسية
لدى جنان النعيم	فكنت حين تفني
ففي العذاب الاليم	وان نظرت اليها
فالراح بالتسليم	وان شربت بصوت
فالمهل بالرقوم	وان شربت بلحظ
ومقلتي في الجحيم (٦٣)	فكان سمي بخير

ومن الدواعي التي دفعت ابن زريق الكوفي الى السخرية بهذه القينة هو ان « الشاعر الذي يحضر مجلسا تحييه هذه القينة او تلك لا يريد ان يتمتع بعذوبة غنائها وحده دون ان يجمع الى لذة السماع افتتاح النظر » (٦٤) واذا تكون القينة « حسنة المخبر قبيلة المنظر » ، فذلك هي المفارقة الحادة التي تدعو الى السخرية حين يحاول الشاعر ان يعمد في تصويرها . وابن زريق الكوفي « في سبيل تجسيدها استعمل كلمات ذات ايحاء خاص اشاعها القرآن الكريم وظلت مغيبات لا تنتهي عند حد مثل « العذاب الاليم » و « جنات النعيم » و « الزقوم » و « الجحيم » كما انه لجأ الى السرد القصصي الذي يهتم بحاله

(٦٢) بقيمة الدهر : ٢٧٧/٢ .

(٦٣) المصدر نفسه : ٣٧٧/٢-٣٧٨ . والتسليم : من قوله تعالى : « ومزاجه من تسليم » ، قالوا هو ماء في الجنة . مختار الصحاح ٣٣٨ .

(٦٤) الشعر في الكوفة : ١٠٣ .

(٥٨) المصدر نفسه : ص ٧٨ قطعة ١١ .

(٥٩) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٦ .

(٦٠) ديوان المعاني ١٨٣/١ .

(٦١) المصدر نفسه .

هو والذي نستشف من ورائه ما اتصفت به هذه القينة من قبح المنظر وجمال الصوت » (٦٥) .

ولم تقتصر السخرية عند الشعراء الكتاب على نقد بعض المظاهر الاجتماعية المدانة في المجتمع العباسي في هذا القرن ، بل جاوزته الى السخر من بعض المظاهر السلبية في الحياة السياسية وبدأ هذا الضرب من السخرية الانتقادية ينمو مع بداية الاضطراب السياسي والاقتصادي الذي شهدته الخلافة العباسية اثر مقتل المتوكل ٢٤٧هـ ، وسيطرة العنصر التركي على الخلافة ، وتطور وازداد حدة بعد ان ذهبت هبة الخلفاء ، وغدا العوبة بأيدي هؤلاء الموالي يحركونهم كيفما واني ووفقا لرغائبهم دون اعارة اية اهمية لمشاعر الرعية ومصالحها .

ف « لما غلب وصيف وبغا على امر المستعين كله حتى كان لا يصدر الا عن رأيهما قال في ذلك جنيد الكاتب :

خلافة جائرة فاسدة ما تبتغي
صاحبها محتجب يفرق من حر الوعى
مقتسم معتبد بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيضا » (٦٦)

وقد بلغ الشاعر غابة السخرية عندما وفق الى خلق تلك المفارقة الصارخة بين ما يجب ان يكون عليه المستعين الخليفة وما آل اليه من حال هي حال البغاء . ولم يتيسر له هذا لو لم يضمن معنى المثل المولد « كلام البغاء » الذي « يضرب مثلا ان يقول ما يقول بغير علم ولا معرفة » وانما يؤدي شيئا سمعه بحكي ما يلقنه » (٦٧) ، وهو تضمين ذكي وبارع ، كثف المسألة واعطاها بعدها الساخر من دون حاجة الى الاطالة ، مما كتب لها السيورة على الافواه سريان النار في الهشيم .

ولعل ابن بسام العبراني البغدادي هو اكثر الشعراء الكتاب تعاطيا لهذا الضرب من الشعر الساخر ، فقد كان - كما نعتة ياقوت - شاعرا ماضيا لا يسلم من لسانه احد وقد استفرغ شعره في هجاء ابيه والخلفاء والوزراء (٦٨) . وهو في هذا يصدر عن موقف مذهبي سياسي معارض ، ومعارضته تأتي من كونه شيعي المعتدلا ، ولانه على جلال قدره في الكتابة والادب والشعر لم يكن ينال ما ينال اقرانه ثانيا ، ولهذا اشعلها نار حرب لم تنطفئ ضد الخلفاء والوزراء والكتاب حتى توفي عام ٣٠٢ هـ . وقد اوضحنا جانباً من هذا في دراستنا هجائياته السياسية حين تعرضنا لهجاء الشعراء الكتاب (٦٩) .

(٦٥) المصدر نفسه : ١٠٤ .

(٦٦) ، (٦٧) ثمار القلوب : ٤٨٨ . وفي جمع الجواهر : ١٥٨ « وكان المعتضد مضغوبا ، وكان أمره قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال باذئجانة الكتاب :

بادولسة بالرة كاسفة ما تبتغي
خليفة مستضعف بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيضا

وعندنا ان الرواية الاولى اقرب الى الوقائع التاريخية ، ينظر محاضرات الخصري - الدولة العباسية : ٢٧٢-٢٧٤ .

(٦٨) معجم الادباء (ط مرجليوث) : ٣١٨/٥ .

(٦٩) ينظر الفصل الثاني من الباب الثاني من رسالتنا .

واذ يحاول ابن بسام تنويع وسائله الفنية في نقادته السياسية الساخرة ، كان يستخدم التضمين والاقتراس والمبالاة في اصفاء النعوت ، فانه لم يوفق فيها كما وفق في تعاطيه أسلوب التصوير « الكاريكاتوري » . هذا الأسلوب الذي عرضنا له نموذجا في السخرية من حرص ابيه في الصفحات السابقة . ومن امثله ما قاله في العباس بن الحسن لما وزر للمكتفي سنة ٢٩١هـ :

وزارة العباس من نحسها
ستقلع الدولة من أسسها
شبهته لما بدا مقبلا
في خلع يخجل من لبسها
جارية رعناء قد قدرت
تياب مولاها على نفسها (٧٠)

ان الصورة الساخرة التي حاول ابن بسام ان يظهر بها الوزير وان جاءت بأسلوب بلاغي ، هو أسلوب التشبيه التمثيلي ، وهو تشبيه صورة بصورة ، فان صورة الجارية الرعناء التي ابدع باخراجها هي التي منحت هذه القطعة بعدا « كاريكاتوريا » ساخرا . واذا نقول هذا فلاننا ننطوي على فهم لأسلوب التصوير « الكاريكاتوري » ستكشف عنه عندما نعرض ل نماذج من السخرية الشعرية الفكاهية من شعر ابن الزيات التي تصد اكمل التماذج له .

وفي المقطوعة التالية التي سخر فيها ابن بسام من الوزير نفسه ، اتبع الأسلوب نفسه ، ولكنه كان هذه المرة اقرب فيه من مفهوم التصوير « الكاريكاتوري » الذي نعتيه ، حين حاول ان يضخم بعض عيوب الوزير الجسمانية في قوله :

فوزير شسنج الوجـ
ه بطمين كالغفراره
وقفسا فيسه سناما
ن ورأس كالخيـاره
... المقطوعة (٧١) .

وهو ان هجا المعتضد هجاء سياسيا مرتين (٧٢) ، واستنطرد به في مقطوعة ثالثة (٧٣) ، فقد سخر من بخله في مقطوعة رابعة اذ قال :

انصرف الناس من ختـان
يدعون من جوعهم حزاما
فقللت لا تعجبوا لهذا
فهكذا تختن اليتامى (٧٤)

وظل ابن بسام يواصل سخريته من خلفاء بني العباس

(٧٠) زهر الادب : ٦٧٠-٦٧١ . وفي جمع الجواهر : ٢٢٣ مع اختلاف في الرواية :

١ - تستقلع ...
٢ - خازنة الكسوة
مروج الذهب : ٢٠٨/٤ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء : ٣٢٠/٥ .

(٧٣) ينظر جمع الجواهر : ٢٢٣ .

(٧٤) مروج الذهب : ٢٠٨/٤ ، وفي جمع الجواهر : ٢٢٢-٢٢٣ مع اختلاف في رواية البيت الاول يرعون من جوعهم خزامى .

ووزرائهم (٧٥) كما واصل من قبل هجاءهم ، وهو في هجائياته تلك ونقداته الساخرة هذه ينطلق من موقف عقائدي معارض واضح تدل عليه هذه المطاوعة والاستمرارية التي لم تعرف المهادنة او النكوص يوما .

وتردى الحالة الادارية في هذا القرن كان من موضوعات سخرية الشعراء الكتاب ، ومثال ذلك ان المتوكل عندما عزم على بناء « الجعفري » تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقصد الاسواق والمستغلات فيه قبل ان يبنى ، واخراج فضول ما بناه الناس من المنازل ، فسمى له ابا الخطاب الحسن بن محمد الكاتب ، فكتب هذا الى ابي عون لما دعي الى هذا العمل ، يسخر :

اني خرجت اليك من اعجوبة
مما سمعت به ولما تسمع
سميت للاسواق قبل بنائها
ووليت فضل قطائع لم تقطع (٧٦)

وعندما بدأت القيم تتشكس بالنابيين من الكتاب ، وتشهر الخاملين منهم ، لم يجد عيسى القاسي الكاتب ، وقد نمى اليه ان صاعدا قرا كتابا على الموفق فلم يفهم بعض ما فيه ، وفهمه الموفق ، الا ان يسخر من ذلك قائلا :

ارى الدهر يمنع من جانبه
ويهدي الحظوظ الى عائبه
ومن عجب الدهر ان الامير
مر اصبح اكتب من كاتبه (٧٧)

والسخرية تكمن في هذه المفارقة : « ان الامير اصبح اكتب من كاتبه » وكان العكس هو الصحيح دائما .

وسخر ابو علي البصير من « ابن سعدان » عامل الكوفة فقال :

يا ابن سعد ان اجلح الرزق في ام
رك واستحسن القبيح بمره
نلت ما لم تكن تمنى اذا ما
اسرفت غاية الاماني عشره
ليس فيما اظن الا لكيلا
ينكر المنكرون لك قدره (٧٨)

« وموطن الهزء في البيت الاخير ، وهو - بتعبير ادق - في هذا الظن الذي لا ترقى الى قوته عبارة اخرى تستبدل منه . اذ ان لله - فيما يظن ابو علي - ان يثبت قدرته بوسائل شتى ، ومنها المعجزات التي لا تتحقق الا بالقدرة الخارقة ، والا فكيف يفسر الشاعر تولي ابن سعدان زمام الامور ؟ وهذا الاسلوب الذي يصطنع الشاعر فيه الجدل هو الذي اعطى الابيات ما اناط بها من سخرية » (٧٩) .

وقريب من هذا ما قاله الحمودي في سعيد بن حميد حينما صر اليه ديوان الرسائل في عهد المستعين :

- (٧٥) ينظر مروج الذهب : ٢٠٩/٤ - ٢١٠ ، ومعجم الادباء : ٣٢٦-٣٢٥/٥ .
(٧٦) معجم البلدان : ٨٦/٢ - ٨٧ ، الشعر والخبر .
(٧٧) اغتتاب الكتاب : ١٧١ .
(٧٨) شرح نهج البلاغة : ٤ م ج ٤١٦/٢٠ .
(٧٩) الشعر في الكوفة : ١١٦ .

لبس السيوف سعيد بعد ما
كان ذا طمرين لا نوبه له
ان لله لايبات وذا
آية لله فينا نزله (٨٠)

ويطول الحديث بنا ان نحن واصلنا الاستشهاد بالنصوص الشعرية الساخرة ذات النزوع النقدي السياسي عند الشعراء الكتاب ، وحسبنا ما قدمناه من نصوص كشفنا من خلالها عن المضامين السياسية في شعرهم الساخر ، والوسائل الفنية التي توسلوا بها لبلوغ الهدف الذي كانوا يشدونه .

* * *

وقد عني الشعراء الكتاب بالسخرية الانتقادية ذات النزوع الادبي ، كما عتوا بالسخرية الانتقادية ذات المضمون الاجتماعي والسياسي من قبل . ولعل ذلك يعود الى ان عددا من الشعراء الكتاب كانوا من نقاد القرن الثالث كما مر بنا في التمهيد .

وهذه النقادات الادبية الساخرة وان كان بالامكان حملها على محمل المدحبة والتعريف والتشاور ، الا انها بما تحمله من تصورات نقدية لمفهوم الشعر ، وتقويم لمكانة ادباء العصر ، يمكن ان تدرج من غير تعسف تحت عنوان هذا اللون من السخرية ، اعني « السخرية الانتقادية » .

فاذا كان من المعروف « ان البرودة في الشعر تعني فتور العاطفة فيه » (٨١) ، وان الشعراء الكتاب في سخريتهم الانتقادية الادبية من شعر بعضهم او من شعر شعراء القرن الثالث ، كانوا يعتمدون « توهم الحقيقة في المجاز الشائع » (٨٢) الذي اشرنا اليه .

ومن هذا المنطلق وجدنا احمد بن ابي طاهر يقول في الفتح بن خافان ، وقد اعلت من حرارة :

ما دواء الامير فتح بن خافا
ن سوى شعر هذا الزمان
ودواء الامير ان يشدوه
بعض ما قاله ابو هفان (٨٣)

ومن المنطلق نفسه يسخر ابن زريق الكوفي من شعر ابي بكر الصولي حين قال :

داري بلا خيش ولكنني
اعقبت من خيشي طاقين
دار اذا ما اشتد حرى بها
انشدت للصولي بيتين (٨٤)

ولي قول ابي العيناء في علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) :

اراد علي ان يقول قصيدة
بمدح امير المؤمنين فاذنا
فقلت له : لا تعجلن باقامة

فلست على طهر ، فقال : ولا انا (٨٥)

- (٨٠) ديوان الحمودي ص ٨٣ قطعة ٤٩ ، تاريخ الطبري ٢٦٤/٩ .
(٨١) الشعر في الكوفة : ١١١ .
(٨٢) المصدر نفسه .
(٨٣) الكتاية والتعريض : ٤٢ .
(٨٤) المصدر نفسه ، وفيه ابن زريق وهو تصحيف لكلمة « ابن زريق » .
(٨٥) الديارات : ٨٦ .

على كبيرها فحسب ، بل في جعله ذلك نتيجة طبيعية لانكاس القيم التي تقوم بها اقدار الناس ومنازلهم ممثلة بقراءة التنوخي القاضي حليف العقل والظرف واللفظة على العيسبي الاديوب الفمر ، لانه ان قدر الامور ان تتركس بهذا الاتجاه ، وهو ارتكاس غير طبيعي ، فالاحرى بمنطق الحياة ان ينقلب راسا على عقب .

٢ - السخرية العقلية

ان ظهور ما يمكن ان يسمى بالسخرية العقلية لا يمكن عزله بحال عن البيئة الفكرية في هذا القرن ، الاعتزال ومنهجيه العقلي ، و « لقد كان المعتزلة يحسون بانهم من طبقة اخرى غير طبقات الناس العادية ، وقد كان هذا الاحساس يدفعهم في كثير من الاحوال الى السخرية من الناس واتهمك بهم ، ولكنهم كانوا حينما يسخرون او يتهمكون ، لا يصدرون في ذلك من احقاد شخصية ، او صفات ذاتية ، على نحو ما كان الامر في ظاهرة الهجاء في الادب العربي ، ولكنهم كانوا يصدرون في ذلك عن فلسفة خاصة ، قوامها العطف على الناس ، وتوجيههم الى عيوبهم حتى يصلحوها ، فالتهمك عند المعتزلة هو نوع من الترفية لفن الهجاء في الادب العربي ، والتسامي به عن ان يكون صدى لعداوات شخصية وسيلة الى الشفي والانتقام ، فهم حينما يتهمكون ينتقدون ويضحكون ، ولكنهم لا يحقدون ولا يكرهون » (٨٧) ، ولهذا ف « قد كان البخل والبخلاء مجالاً من مجالات التهمك والسخرية التي افنن فيها المعتزلة وابدعوا ، فالجاحظ في بخلائه يتعقب حياة البخلاء ، ويكشف خبايا نفوسهم ، ويصور حيلهم واخلاقهم ، ويسرد طرائفهم ونواديرهم ، ويستنبطن ما وراء حياتهم الظاهرة التي يحاولون فيها ان يخدعوا الناس عن باطنهم ، ويوهوهم بانهم كرماء يجودون بالطعام والمال ، ولكنه يظل بهم حتى يضيق عليهم ويسد في وجوههم الطرق فلم يلبثوا ان ينمو عن بخلهم ، ويكتشفوا حقيقة نفوسهم بكلمة يقولونها او تصرف يعملونها ، فلا يسعهم في آخر الامر الا ان يضربوا ببخلهم » (٨٨) .

وعلى هذا الاساس تكون المعتزلة قد ادركت بحسبها النقدي الاجتماعي قبل الف عام ويزيد ما ادركه « برجسون » بعد الف عام ويزيد ، من ان « للضحك دلالة اجتماعية ، وانرا اجتماعيا ، وان المضحك يعبر قبل كل شيء عن حالة من عدم تلاؤم الشخص مع المجتمع .. » (٨٩) ، وكان اساليب المعتزلة في السخرية من ابناء زمانهم ، ومقاصدهم من هذه السخرية كانت حاضرة - ايضا - في ذهن « برجسون » ، وهو ينظر لوظيفة الضحك الاجتماعية ، ويؤكد بانه اداة للناديب قبل كل شيء ، وانه وجد ليخزي ويؤلم ، وان هذا الضحك ليس عادلا عدلا مطلقا ، وليس طيبا في كل الاحيان ، وانه ما كان ليظفر في مهمته لو لم يكن هكذا (٩٠) . وهذا هو مقصد المعتزلة من السخرية التي عرفوا بها ، وتوفروا عليها في كثير مما انتجوا من ادب ، وهذا هو السر في القسوة التي اتسمت بها سخريتهم ، لانهم كانوا يدركون انه بغير هذا لا يمكن ان يؤدوا رسالتهم الاصلاحية ، وان لابد من توظيف الشر من اجل الخير . وهذا ما يمكن ان نلمسه بوضوح في ادب الجاحظ المعتزلي الكبير ، « ان الجاحظ يسخر من بخلائه سخرية لاذعة ،

ثمة سخرية من ابن الجهم وشعره ، ولكنها سخرية ذات مسار نقدي آخر غير الذي ذكرناه ، فابو العيلاء توسل بالفارقة المضحكة حين حاول ان يخلق علاقة غير منطقية بين ابن الجهم الشاعر ، وبين ابن الجهم المؤذن ، وذلك على سبيل المجاز حين حاول ان يربط بين انشاده القصيدة واقامته الاذان . ويتضح هذا حين غلب ابن الجهم المؤذن على ابن الجهم الشاعر ...

اراد علي ان يقول قصيدة

بمدح امير المؤمنين فاذنسا

ولعل ابا العيلاء كان يريد من وراء هذه السخرية ان يخلص الى نقده ادبيا واجتماعيا ، وذلك بان وصمه بمخالفته قواعد المادمة والبلاغة في آن واحد ، لان قواعد كلا هذين الفنين تفترض تطبيقا دقيقا للقاعدة البلاغية « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » وهذا يقودنا بالضرورة الى ان ابا العيلاء اراد ان يقول لابن الجهم : ان شعرك ليس مما يمكن ان ينشد في مجالس الخلفاء حين يخلون الى نفوسهم وجلساتهم وندمانهم طلبا للاستجمام والترويح عن النفس .

ومن اجل ان يصل ابو العيلاء الى الفاية في سخريته من ابن الجهم الشاعر المؤذن ، يتوسل بالقاعدة الفقهية التي تقف بالمؤذن عند التكبير ولا تتعدى به الى اقامة الصلاة ، ليقف بابن الجهم عند مطلع القصيدة ويحول بينه وبين اتمام انشادها ، والقاعدة الفقهية المعنية هي اشتراط الطهر في المؤذن ومن يؤذن فيهم لاقامة الصلاة ، ولذلك قال لابن الجهم المؤذن - الشاعر « لا تمجلن باقامة فلست على طهر » . وتبلغ سخرية ابي العيلاء غايتها حين ينطق ابن الجهم ب « ولا أنا » ليقيم عليه الحجة بالا ينشد شيئا غير المطلع ، كما تقوم على المؤذن فلا يتجاوز التكبير الى اقامة الصلاة بعد ان يتذكر عدم طهارته .

والجمع بين المتناقضات وحشدها هي وسيلة المفجع في السخر من بعض ادباء زمانه ، فمما يؤثر عنه انه « دخل .. يوما الى القاضي ابي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده يقرأ معاني الشعر على العيسبي ، فانشد :

قد قدم العجب على الرويس

وشارف الوهد ابا قبيس

وطاول البقل فروع الميس

وهبت العنز لقرع التيس

وادعت الروم ابا في قيس

واختلط الناس اختلاط الحيس

اذ قرأ القاضي حليف الكيس

معاني الشعر على العيسبي (٨٦)

ان سخرية المفجع من التنوخي القاضي والعيسبي الاديوب لا تكمن في جمعه بين المتناقضات الكثيرة في ثلاثة أبيات ، ولا في مجافاة منطق الامور بقلبه الوقائع وتغليب صفير هذه المتناقضات

(٨٦) مسجع الادباء : ٢١٩/٦ ، العجب : اسل اللذب في

الحيوان . الرويس : تصغير الرأس . الوهد : الارض

المنخفضة . ابو قبيس : الجبل المعروف بمكة . البقل :

النبات المشبي . الميس : شجر من اشجار الاحراش .

العنز : الانثى من العنز . التيس : ذكر العنز . القراع :

الضراب . الحيس : طعام من السم والتمر والدقيق .

الكيس : العقل والظرف واللفظة .

(٨٧) ادب المعتزلة : ٢٩٥-٢٩٦ .

(٨٨) المصدر نفسه : ٢٩٨ .

(٨٩) الضحك - برجسون : ١٠ .

(٩٠) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٠ .

ولكنه لا يهيق بهم ولا يحقد عليهم ، بل انه ينقدهم ويكشف حيلهم ، وهو في الوقت نفسه يضحك منهم ويعطف عليهم بطريقة نحس معها نوعاً من السيطرة العقلية والنفسية على هؤلاء الذين كأنهم بين يديه دمي يحركها ذات اليمين وذات الشمال ، وهي طيبة متفاداة لا تملك من امرها شيئاً ، انظر الى اية قصة من قصص البخلاء ، فان الاعجاب سيفغر نفسك حينما ترى هذه الصور المختلفة من التصوير النفسي السافر الذي افتن فيه الجاحظ ، ودل على عظمة عقله وروعة فنه وقدرته على الحوار ، ومعرفته باحوالها واسرارها . « (٩١)

وهذا هو الذي جعل من الجاحظ اماماً للساخرين ، ومن كتبه مدرسة كبيرة للسخرية في القرن الثالث وما تلاه من القرون ، وكان لها تلامذتها من كبار ادباء العربية ، ولو لم يكن غير ابي حيان التوحيدي تلميذا لهذه المدرسة ، لكفاها .

ولو بحثنا اثر هذه المدرسة الساخرة في ادب القرن الثالث لوجدناه يتمثل في نشره اكثر ما يتمثل في شعره ، لانها قدمت كثيراً من النماذج النثرية التي يمكن ان تحتذى ، ولم تقدم الا القليل من الشعر الذي لا يشكل قيمة فنية يمكن ان تترك طابعها على شعر السخرية في القرن الثالث ، « وكل ما وجدنا لهم من شعر لا يعدو ان يكون مقطعات وابيانا يسيرة متناثرة في ثنايا كتب الادب واللغة والتاريخ ، فلم نثر لاحدهم مثلاً على ديوان يستوعب عدداً من القصائد في مختلف الفنون والموضوعات ، بل لم نثر لاحدهم مجموعة من القصائد المكتملة التي يمكن ان تكون في مجموعها صورة واضحة عن نمط شعري معين نستطيع ان نستخلص منه خصائص مدرسة ، او اتجاه ، او مذهب » (٩٢)

ولعل ذلك يعود الى ان « طبيعة التكوين الثقافي للمعتزلة ، وطبيعة المهمة التي كرسوا جهودهم في سبيلها وهي الدفاع عن دينهم ومبادئهم ، ومقارعة خصومهم بالحجة والبرهان لم تكن تسمح لهم بالاكثار من قرض الشعر والافتنان فيه ، لان الشعر له مجال خاص هو التعبير عن التجارب النفسية التي يفعل بها الشاعر انفعالا خاصا . اما المناظرة والمناقشة واستخدام الادلة المنطقية والبراهين العقلية ، فليس ذلك مما يستطيع الشعر ان يعبر عنه » (٩٣) ، يضاف الى هذا ان مذهب المعتزلة كان « قد قام في معظم امره على تيارات فكرية عقلية ، والثقافة التي اعتمد عليها او على اصول كثيرة منها هي الثقافة العقلية اليونانية ، وهذا كله مما يجعل النشر اكثر طواعية وافصح مجالاً للتعبير عنه دون الشعر » (٩٤) .

ومن هذا نخلص الى ان اثر السخرية العقلية في شعر الكتاب لا يتمثل الا بما كان استمهده الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة ، وما عدا هذا فنثرهم هو الاغنى من دون شك ، وهذا ما كنا صفحنا عنه صفحا جميلا ، لان شعر الكتاب هو موضوع دراستنا .

ان اقتباس الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة في شتى فنونهم الشعرية انما كان بسبب تاثيرهم ببيئاتها المنتشرة في حواضر العراق ،

وبفعل ما ملكته من قوة التأثير بسبب سيطرتها على سياسة الخلافة العباسية ومجالس الجدل حقبة طويلة من القرن الثالث ، الى ان انقضى امر عزتها على يد المتوكل ، وهي مدة كفيلا بغفلة افكارها واساليبها ولغتها ومصطلحاتها الى بيئات الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن . وهذا ما نحاول ان نقف عليه في بعض النماذج الساخرة من شعر الكتاب .

ان الحمدي واحد الشعراء الكتاب الساخرين الذين استمدوا من العلوم الفلسفية والكلامية ، بما نقله من الفاظها ومصطلحاتها وطرائقها في الحوار ، مادة لتميق سخريته وزيادة تأثيرها في النفوس لا لـ « يحيل اشعاره الى قطع غامضة كما هو الشأن في الشعر الذي يتكلف اصحابه الاساليب والالفاظ الكلامية ، بل نراها واضحة ، اذ ان الشاعر يأخذ ما هو مشهور من هذه المصطلحات والالفاظ وهو لا يقصد من هذه الاساليب الى غير السخرية » (٩٥) ، ومثال ذلك قوله :

ولي طيلسان ان تأملت شخصه
تبيقت ان الدهر يغنى وينقرض
تصدع حتى أمنت انصداعه
واظهرت الايام من عمره الغرض
كأنني لاشفاقي عليه ممرض
أخا سقم ممن تصادى به الممرض
فلو ان اصحاب الكلام يرونه
لماروك فيه وادعوا انه عرض (٩٦)

ويتضح من هذه المقطوعة ان الحمدي اعتمد اسلوب المبالغة ليخلص الى ان طيلسانه قد بلغ غاية التصدع حتى امن من أي تصدع له جديد (٩٧) . ومن اجل ان يعمق الحمدي مقالاته هذه استمد من الفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم ما يبلغ به الغاية التي ينشدها فيقول : لو ان اصحاب الكلام يرون هذا الطيلسان لجادلوك فيه وادعوا انه عرض . « ومعروف ان العرض هو الصورة الخارجية للشكل ، وليس هو الجوهر الذي هو اصل المادة ، ومعنى هذا ان الطيلسان اصبح صورة لا حقيقة مادية » (٩٨) .

وللحمدي مقطوعة اخرى ينحو فيها هذا المنحى (٩٩) . ولعصابة الجرجرائي مقطوعة يسخر بها من الحسن بن رجاء كان قد استمد فيها بعض المصطلحات العقلية وهي مما كان يدور في بيئات الفلاسفة والمتكلمين . قال عصابة :

خوان الامر معى المسكان
له شسبح ليسى بالمستبان
يرى بالتوهم لا بالجس
وبالخبر الفذ لا بالميان
دعا بالخوان على لومه
لكيما يقال دعا بالخوان

(٩٥) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٢-١٢٣ .

(٩٦) ديوان الحمدي : ص ٨١ قطعة ٣١ .

(٩٧) ، (٩٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٣-١٢٤ .

(٩٩) ديوان الحمدي : ص ٨١ قطعة ٢٨ .

(٩١) أدب المعتزلة : ٢٩٨-٢٩٩ .

(٩٢) المصدر نفسه : ٣٢٨-٣٢٩ .

(٩٣) أدب المعتزلة : ٣٢٨ .

(٩٤) المصدر نفسه : ٣٢٩ ، هامش (٢) .

فأما غضايره السواردات

فأسماء ليست لها من معان

وأما غضايره الصادرات

فقد أعلمت في مكان مكان

ونقط منها عراق عراق

كم (كذا) تعجم الصحف بالزعران (١٠٠)

ويتضح من هذه المنظومة أن عصابة الجرجاني إذا ألح على نعت خوان الأمير الحسن ابن رجاء بمعان عقلية كان قد استمدّها من البيئات العقلية التي تعمر الحواضر في العراق يوم ذاك ، فأنما كان يريد تعميق سخريته من بخل الأمير وشحة خواته ، وهل أعمق سخرية من أن يكون الخوان معنى عقليا ؟ (١٠١)

وتوسل الشعراء الكتاب بالحوار أسلوبا فنيا في أشعارهم الساخرة ، كما هو في فنونهم الشعرية الأخرى ، يمثل صورة من صور السخرية العقلية ، فالحوار في قصيدة القرن الثالث اثر من آثار البيئات العقلية في هذه الحقبة ، ولم يشع أسلوبا فنيا إلا بعد أن تعرف شعراء القرن ، كتابا وغير كتاب ، على أنماط من أساليب المتفلسفة والمتكلمين في الجدل والمناظرة ، ومنها الحوار ، وحسبنا أن نشير إلى هذا ، ففي الحواريات التي مرت بنا في الصفحات السابقة ما يعني عن إيراد أمثلة جديدة ، دفعا لتكرار لا يضيف جديدا .

٣ - السخرية الفكاهية

وهي السخرية التي قصدها التندر والاضحاك والتفكه ترويحاً عن النفوس المنعبه ، وتنفيسا عن آلامها ، وليس لها بعد هذا قصد آخر ، وهي بهذا أقرب إلى المزاح الذي ينفي عن النفس ما طرأ عليها من سام ، ويزيل ما علق بالقلب من هم (١٠٢) . وقد أكد أبو حيان التوحيدي قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس ، وضرورة تدفوق النفس لفرح الهزل والتندر والهزل إذا ما علق بها غم الجدل وأرغمتها متاعب الحياة ، فقال : « إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف ، فانك لو اضربت عنها جملة لنقص فهمك ، وتبدد طبعك .. واجعل الاسترسال بها ذريعة إلى إحماسك ، والانتبساط فيها سلما إلى جدك ، فانك متى لم تدق نفسك فرح الهزل ، كربها غم الجدل ، وقد طبعت في أصل تركيبها على الترجيع بين الأمور المتفاوتة ، فلا تحمل في شيء من الأشياء عليها ، فتكون في ذلك مسيئا لها .. » (١٠٣) .

لقد قال الشعراء الكتاب أشعارا في أغراض مختلفة ولكنها إذا ما تبيناها وجدنا أن الأغراض التي فيلت فيها غير مقصودة لذاتها ، وإنما المقصود هو ما تضمنته من سخر وهزل ونادرة لأجل الاضحاك والتسلية والترفيه .

(١٠٠) ادب الكتاب : ٦٠ ، وفيه « كم تعجم » وهو تصحيف ، والصواب « كما تعجم » .

(١٠١) الشعر في الكوفة : ١٢٢ .

(١٠٢) أبو حيان التوحيدي - زكريا إبراهيم : ٢٤٩ .

(١٠٣) البصائر والذخائر - أحمد أمين ، سيد صقر : ٤٩-٥٠ .

فأبو الميناء حين يقول :

حمدت الهى إذ منيت بحبها

على حول يفنى عن النظر الشزور

نظرت إليها والرقيب يظننى

نظرت إليه فاسترحت من القدر (١٠٤)

لا يريد أن يسخر من نفسه بقدر ما يريد أن يشير في نفوس سامعيه الضحك ، والضحك وحده ، حين يحمد لحول عينه ما أصبح فيه من أمن الرقيب . وللجاحظ نصيبه من السخرية الفكاهية ، نثرا وشعرا ، بما اصطلمه من أقاصيص هائلة ونوادر مضحكة ، ومن ذلك قوله :

مر غراب البين من حائق

له نعيب فرشقناه

عن قوس وصل بسهام الهوى

فلم نزل حتى صرعناه

وباشق الحب نصبنا له

بيلبل الصدق فصدناه

واضطرب الباشق مستوحشا

فخيطن بالوصل عيناه

فقر واستأنس حتى إذا

أجابنا حين دعونا

ونقت بالصييد فارسلته

فصاد لي من كنت أهواه (١٠٥)

فالمقطوعة كما تبدو ليست استهزاء بالحب وأصحابه ، وليست غزلا قيل للاستهزاء والتفكه (١٠٦) وإنما اقصوصة هائلة ونادرة مضحكة . أبطالها غراب البين وباشق الحب وبيلبل الصدق . ووسائلها : قوس الوصل وسهام الهوى وخيوط الوصل . وأحداثها مصرع غراب البين وصيد باشق الحب بخديعة بطلها بيلبل الصدق . وخاتمتها استجابة باشق الحب إلى دعوة الجاحظ لصيد من كان يهواه ، فصاده ، وهكذا تنتهي هذه الأقصوصة الهائلة لنضحك بعدها مع الجاحظ حيث لم يكن قصده إلا الاضحاك ، وليس غيره .

وفي مجالس الشعراء الكتاب الخاصة التي تعقد للشراب والسماع ، كان الشعر يقال في بعض الأحيان لا شيء إلا للتفكه والسخر . « ذكر الصولي في كتاب « الوزراء » قال : حدثني محمد بن يحيى قال : قدم أعرابي اسمه عتبة يقول الشعر ، وكان ظريفا من الأعراب ، فضمه الحسن بن وهب إليه ، فاجتمع الحسن يوما وأبراهيم بن العباس ، فقال لهما عتبة هذا : أن كنتما تقولان الشعر بالمجلة ، فاهجواني ، فقال الحسن :

لن ظلل في رأس عتبة مقمّل

(١٠٤) الوافي بالوفيات : ٢٤٣/٤ .

(١٠٥) البديع في نقد الشعر : ١٥٣-١٥٤ .

(١٠٦) الشعر والشعراء في البصرة : ١١١ .

فقال ابراهيم :

عفته رياح الصفع تعلو وتسفل

فقال الحسن :

شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه

فقال ابراهيم :

تناوبه منه جنوب وشمال

فقال الاعرابي : « والله لئن لم تمسكا لاخرجن من

البلد » (١.٧)

وتغن الشعراء الكتاب في التندر والمداعبة المفصود لذاتها ، ومن ذلك اعتماد أسلوب الإيحاء كما فعل أبو علي البصري في قوله يداعب صديقه أبا هفان :

لي صديق في خلقة الشيطان

وعقول النساء والصبيان

من تظنونهم ؟ فقالوا جميعا

ليس هذا إلا أبا هفان (١.٨)

« وبراعة البصر تظهر في هذا الإيحاء الذي أخرجه مخرج اللغز . فهو إذ يسأل الناس عن صديقه الذي يتصف بهذه الصفات ويجيبونه بهذا الحصر وكان أبا هفان متفرد فيها فانما يهين الأذهان إلى أن اتصافه بها مسألة مفروغ منها .. والصفات التي خلصها عليه من صميم الحياة العباسية التي يتنافى تناقها مع خلقة الشيطان التي تأخذ بعنان الخيال في مهوى الفج ، كما تبعد حياتها العقلية عن عقول النساء والصبيان » (١.٩) .

ولأسلوب التصوير « الكاريكاتوري » بالكلمات نصيب وفير من شعر السخرية الفكاهية عند الشعراء الكتاب ، ولكنهم لم يبلغوا في هذا الفن ما بلغه محمد بن عبد الملك الزيات من كمال . ولهذا سيكون فن ابن الزيات هذا هو وكنا ، فنقف عنده وقفة قد تطول ، ولكنها وقفة لابد منها لتقويمه وفق أحدث التصورات لفن التصوير « الكاريكاتوري » .

ولكن قبل أن نتحدث عن قدرة محمد بن عبد الملك الزيات في حوز زمام هذا الفن واتمكن فيه ، نرى أن نجيب على هذا السؤال : ما هو المضحك في فن « الكاريكاتور » ، وما هي مقوماته الفنية ؟

لكي نفهم المضحك في « الكاريكاتور » يجب أن نعرف « أن الهيئة مهما انتظمت ، ومهما انسجمت خطوطها ومرنت حركاتها ، لا يمكن أن يكون التوازن فيها تاما تماما مطلقا ، فيها أبدا نذير باعوجاج ، وأيدان بجعدة ، أي فيها تشوه ما ، كان يمكن أن يعيب الطبيعة » (١١.٠) .

(١.٧) بدائع البدائ : ١٧٦-١٧٧ .

(١.٨) أشعار أبي علي البصر ، جمع وتحقيق يونس أحمد السامرائي ، المورد م ١ ع ٣-٤/١٩٧٢ ، ص ١٦٨ قطعة ٥٦ .

(١.٩) الشعر في الكوفة : ١٠٨ .

(١١.٠) الضحك - برجسون : ٢٣-٢٤ .

أذن ما يعيب الطبيعة البشرية هو ما يضحك في فن « الكاريكاتور » . وهذا هو ما يبحث عنه الفنان رساما كان أم أدبيا ، لأن فن « الكاريكاتوري » إنما يقوم على ادراك هذه الحركة التي قد لا تدرك ، يضحكها ويجعلها مرئية لكل الناس . إنه يشوه نماذجها على نحو ما كان يمكن أن تشوه من تلقاء ذاتها لو ذهبت بتجدها إلى اقصى . وهو يستشف ، فيما وراء انسجام الصورة الظاهري ، عريان المادة العميق ، فيرسم لنا تنافرا وتشوها موجودين في الطبيعة على حال الشروع ، ولكنهما لم يكتملا لأن ثمة قوة اسمى قد كبحتهما .. وهذا الفن فن مبالغة من غير شك .. ولكننا نسيء تعريفه أيما إساءة إذا زعمنا أن المبالغة غاية ، فرب صورة « كاريكاتورية » أكثر شبها بصاحبها من صورة « فوتوغرافية » . فلكي تكون المبالغة مضحكة ينبغي ألا تبدو غاية بل مجرد وسيلة يستخدمها الفنان في إبراز هذا المعج الذي يراه في الطبيعة على حال التحفز ، والمهم إنما هو المعج نفسه ، ولذلك نرى الفنان يبحث عنه حتى في الأجزاء غير المتحركة من الوجه ، كانهاء الأنف أو شكل الأذن ، ذلك أن الشكل هو في نظرنا صورة حركة ، والرسام « الكاريكاتوري » الذي يفسد طول الأنف من غير أن يبدل شكله كان يظلمه في نفس اتجاهه الطبيعي - إنما يجعل هذا الأنف يتشوه حقا ، فنرى الشيء الأصلي كأنما أراد هو أيضا أن يستطيل ويتشوه (١١.١) .

والآن أين يقع فن أبي الزيات من هذا الفهم لفن التصوير « الكاريكاتور » ؟

لا نقالي إذا قلنا : أن ابن الزيات ادرك بحسه الفني المرفه ما هو المضحك في هذا الفن ومقوماته حين صب أغلب نماذج السخرية الساخرة على أنف عيسى بن زينب (١١) ، فما قاله في ذلك :

قل لعيسى أنف أنفه

أنفه ضعف لضعفه

لم ينم مذ كان إلا

الصق الأنف بسقفه

فترى السقف وقد أدر

ربيه منه بحرفه

أن من عاداك يا عي

سى لقرون بحتفه

أنت لسو تستششق الثور

ر بقرئيسه وظلفه

لهوى في منخر يس

سترق الخلق بنصفه

لو تراه راكبا والتيه

ه قد مال بعطفه

لرايت الأنف في السر

ج ، وعيسى ردف أنفه (١١٢)

(١١١) المصدر نفسه : ٢٣ .

(١١٢) لمه عيسى بن زينب المراكبي الذي ترجم له ابن المعتز في كتابه : طبقات الشعراء : ٣٢٦-٣٢٧ .

(١١٣) ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات : ٨٧-٨٨ .

ان هذه المقطوعة تشير الى ان ابن الزيات كان قد ادرك في وجه عيسى بن زينب الحركة التي لا يدركها الآخرون ، طول أنفه ، والشكل كما مر بنا صورة حركة على حال تحفز ، ثم اخذ بافساد طول هذا الأنف من غير ان يبدل شكله بان اطاله في نفس اتجاهه . وابن الزيات وان بالغ في ذلك ، فلم تكن المبالغة غايته وانما مجرد وسيلة استخدمها لابرار هذه الحركة في الوجه « الأنف » وهي على حال المشروع في الحركة والاستطالة باتجاهها الطبيعي ، على سبيل المبالغة المضحكة ، وقد بلغ الغاية في ذلك في البيتين الآخرين حين صور عيسى بن زينب راكبا ، فجعل الأنف ، وقد استطال ، في السرج ، وجعل عيسى ردف هذا الأنف بعد ان تضاعف حجمه بالقياس الى استطالة الأنف .

ولابن الزيات قصيدة طويلة في أنف عيسى بن زينب انطلق فيها من هذا المنطلق ذاته ، ولكنه جمع فيها بين التصوير « الكاريكاتوري » والحوار والسرد القصصي مما منحها قيمة أخرى في فن السخرية الشعرية الفكاهية (١١٤) .

* * *

هذا هو فن السخرية عند الشعراء الكتاب كما مثلته لنا النون الشعبية الكثيرة التي حفل بها ديوان شعرهم الكبير . وان كانت ثمة اطالة فمبعثها الرغبة المخلصة في استيعاب موضوعات هذا الفن ومضامينه ، وتمثل اساليب الفنية التي ميزته من الهجاء ، واغردته فنا قائما بذاته في هذا القرن .

(١١٤) تنظر القصيدة في ديوانه : ٤٢-٤٣ .



مرکز تحقیقات کتابت و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

طب العيون عند العرب

الدكتور

محمود الحاج قاسم محمد

في امراض العيون وتشمل القائمة (١٧) كتابا (١) سوف نذكر فيما يلي اشهر هذه الكتب واهمها .

١ - كتاب العشر مقالات في العين وهو من تصنيف حنين بن اسحاق (١٩٤-٢٦٤هـ) وهذا الكتاب هو اقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون واقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه البشر في امراض العيون كما يقول الدكتور ماكس مايرهوف محقق الكتاب .

٢ - الحاوي في الطب : لابي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ويحتوي هذا الكتاب على قسم مطول في امراض العيون وهو الجزء الثاني من الكتاب المطبوع وهو يتضمن مقتطفات من كتاب حنين السابق ومن كتب اليونان الا ان الكتاب يحوي افكارا جديدة للرازي اكتسبها بالتجربة سواء على مرضاه الخاصين او نتيجة لتجاربه في البيمارستان . كما ونجده في بعض الاحيان ينتقد آراء جالينوس او غيره بطريقة علمية واسلوب في غاية الادب والاحترام .

٣ - تذكرة الكحالين : لعلي بن عيسى البغدادي صنفه حوالي سنة ٤٠٠ هـ وهو الى حد كبير احسن واوفى كتاب في طب العيون ويتضمن ما كتبه السابقون في طب العيون مع اضافات علمية كثيرة وافكار جديدة .

٤ - كتاب المنتخب في علاج امراض العين لعمار بن علي الموصلي (صنفه حوالي ٤٠٠ هـ) وهو كتاب اقصر من سابقه لكنه يماثله جودة مع كثير من الملاحظات والارشادات المبتكرة حيث يعتبر بحق اكثر اطباء العيون ابتكارا واصالة اتخذ كتابه هذا للتعليم في طب العيون في جامعات الغرب

اذا كان الوقوف في وجه التطور الطبي تأباه طبيعة العلوم الطبية لكونها مبنية على التجربة ، واذا كان كل محاولة لتجميد تقدمه لابد ان ينسخه البحث العلمي فليس يجوز ايضا ان نجمد قانون الوراثة في العلوم الطبية ويضل ضلالا بعيدا مسن يتصور ، امكان الاستغناء عن دراسة تراثنا الماضي في الطب ، وذلك لان اي جديد في الطب شأنه شأن بقية العلوم لا يمكن ان يقوم على هباء . ومثل من يتوهم ان تطورنا في الطب يمكن ان يبدأ منطلقه بمعزل عن ميراثنا الماضي منه كمثل من يتوهم ان البشرية اليوم تتطور من نقطة الصفر ضاربة في فراغ لا اثر فيه من تجارب ماضيها الطويل .

لذلك يجب ان نعد قضية التراث الطبي بين القديم والجديد مفروغا منه لاننا كما تقول الدكتورة بنت الشاطي (نعيش يومنا بالامس الذي يعيش فينا) ، وتاريخ الحضارة الطبية ليس الا مراحل تنتفع كل منها بتجارب ما قبلها وتضيف ما هو ميراث لما بعدها واليك عزيزي القارئ ميراث اطباء العرب في طب العيون .

يبتدا تاريخ طب العيون عند العرب بمعناه الشامل بنشؤته خلال ايام الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري بترجمة كتب اليونان الى العربية وفي سنة ٤٠٠ هجرية بلغ طب العيون مرتبة رفيعة باضافة ما جادت به عبقرية اطباء العيون العرب امثال علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

لقد ذكر لنا ابن ابي اصيبعة في طبقاته اسماء اكثر من ثلاثين كتابا عربيا في امراض العيون واسماء مؤلفيها من اطباء العيون العرب والمسلمين ، كما ذكر ستة اقسام في طب العيون تشتمل عليها الموسوعات الطبية العربية كالقانون لابن سينا ، والحاوي للرازي والتصريف للزهراوي وغيرهم لقد ذكر ماكس مايرهوف قائمة بالمصنفات العربية الاولى

(١) راجع القائمة في كتاب العشر مقالات في العين - لحنين بن اسحاق - تحقيق الدكتور ماكس مايرهوف ص ٦-١٤ .

كلها في فصل والتشخيص في فصل والعلاج في فصل آخر .

كان ابتكار هذه الطريقة الصحيحة في التأليف من قبل علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

٣ - تأليفهم اول اكبر مؤلف جامع لامراض العيون Text Book والكتاب هو (نور العيون وجامع الفنون) لصالح الدين بن يوسف الكحال .

تشرح العين :

لقد اهتم اطباء العرب اهتماما شديدا في دراسة تشريح العين واعتبروا ذلك من المبادي التي لا يسمح لاحد ممارسة طب العيون اذا كان جاهلا بالتشريح كما وانهم قاموا بتشريح عيون الحيوانات ودرسوا ذلك دراسة دقيقة وافية فتوصلوا الى كثير من الحقائق التي لم يذكرها الاطباء اليونان فمثلا يقول حنين بن اسحق ان العضلة الثلاثية الخلفية الموجودة في مؤخرة عين الحيوانات لا توجد عند البشر . يقول بورتال ان اطباء اليونان لم يشيروا الى ذلك (٦) وقد جاء في كتاب المنصوري للرازي وصف هيئة العين كما يلي : (العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات وترتيبها على ما اصف ان العصبه المجوفة التي هي اول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى مقر العين وعليها غشاءاته ، غشاء الدماغ .. ويسميه المشرحون الطبقة الصلبة ... والغشاء الدقيق ويسمى الطبقة المشيمية لتشبها بالمشيمة .. ويتكون في وسط الغشاء الشبكي قسم لين رطب في لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية وفي وسطه الرطوبة الجليدية) وقد كان اطباء العرب يعلمون جيدا بان حركات الحدقة ناتجة عن انقباض القرنية (٧)

وقد وصف ابن سينا عضلات العين وصفا صحيحا حين قال :

« واما العضل المحركة للمقلة فهي ستعضلات اربع منها في جوانبها الاربع فوق واسفل المآتين . كل واحد منها يحرك العين الى جهته وعضلتان الى التوريب ما هما يحركان الى الاستدارة ووراء المقلة عضلة تدعم العصبه المجوفة التي يذكر شأنها بعد لتشبها بها وما معها فيثقلها ويمنعها الاسترخاء المحمض ويضبطها عند التحديق .

وهذه العضلة قد عرض لاغشيتها الرباطية من

من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر واهم اقسام الكتاب القسم الخاص بالجراحة الذي يحتوي على ست عمليات لقدح العين المصابة بالسار احداها المص .

٥ - صلاح الدين بن يوسف الكحال : عاش في مدينة حماة في الربع الاخير من القرن الثالث عشر وله مؤلف سماه (نور العيون وجامع الفنون) (٢) وهو اكبر مؤلف جامع لامراض العيون كما يقول الدكتور امين اسعد خير الله (٣) المؤلف يشير الى اسماء المصادر التي اخذ عنها ويتكلم عن آداب الطب واجبات الممارس لامراض العيون وهو يقسم الى عشرة فصول :

الفصل الاول : في وصف العين .

الفصل الثاني : في وصف البصر .

الفصل الثالث : في امراض العين واسبابها واعراضا .

الفصل الرابع : في حفظ صحة العين وفي امراض الجفون .

الفصل السادس : في امراض الملتحمة

الفصل الخامس : في زاوية العين .

الفصل السابع : في امراض القرنية

الفصل الثامن : في امراض الحدقة

الفصل التاسع : في امراض العين التي لا تقع

تحت الحواس

الفصل العاشر : جدول ادوية العين .

وفضل الاطباء العرب في مؤلفاتهم في طب العيون يشمل ما يلي :

١ - الاطباء العرب اول من ألف كتابا في طب العيون بطريقة علمية (٤) وكان ذلك كتاب - (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق .

٢ - الاطباء العرب هم اول من سلك الطريقة الاكاديمية الصحيحة عند التكلم عن الامراض : ونعني بهذه الطريقة وصف وتشخيص المرض واعراضه وعلاجه في الفصل الواحد كما هو الحال في كتب عصرنا الحاضر (٥) خلافا لمن سبقوهم حيث كانوا يذكرون اعراض الامراض

(٢) هذا الكتاب لم يذكره ماكس مايرهوف في القائمة .

(٣) الطب العربي : الدكتور امين اسعد خير الله ص ١٨١

(٤) العشر مقالات : ماكس مايرهوف

(٥) العشر مقالات : ماكس مايرهوف

(٦) الطب العربي : خير الله ص ١٦٩

(٧) المصدر السابق ص ١٦٩

ومحاولات الرؤية المزدوجة بالعينين واول استعمال
عرف للغرفة المظلمة ، الخ » (١١)

يقول الدكتور الشطي (ويبحث في كتابه ايضا
عن قوى تكبير العدسات وقد تكون كتاباته هذه هي
التي اومت اختراع النظارات (١٢) .

وكان الرازي اول طبيب لاحظ تجاوب بؤبؤ
العين مع النور ضيقا واتساعا وسجل ملاحظته
هذه (١٣) وروى ان بعض الكحالين العرب مال الى
التنويم المغناطيسي بحكم صنعة فقد ذكر دأود
الانطاكي في تذكرته في مادة مغنطيس ما يلي « يصنع
من المغنطيس كحل ومن الحديد كحل آخر ، وتكحل
من شئت من الحديد وتكحل أنت من المغنطيس فاذا
اظلت النظر اليه فانه ينقاد اليك وقد جربه
ابن سينا (١٤) »

جراحة العين

عملية الساد (الماء الابيض) (١٥)

كانت العملية السائدة عند البابليين والمصريين
هي دفع العدسة المعتمة الى داخل العين بواسطة
ادخال ابرة حادة في العين وعند وصولها الى العدسة
ترفع الاخيرة بلطف الى الاسفل لتستقر داخل كرة
العين بعيدة عن منطقة البؤبؤ وتسمى هذه العملية
في الوقت الحاضر (Couching) او قذح العدسة
واستمرت هذه الطريقة في الحضارة اليونانية
واستعملها ابو قراط وجالينوس . جاءت الحضارة
العربية وترجمت الكتب اليونانية ولم يكتف العرب
في العصر العباسي بذلك بل اضافوا وسعوا الى
التطوير .

ذكر الطبيب الرازي انه من الممكن استخراج
الماء الابيض من العين بعد قص قسم من قزحية
العين . وعملية قص القزحية لتوسيع البؤبؤ هي
الخطوة الاولى في العمليات الحديثة لهذا المرض
والتي تعرف بـ (Iridectomy) وجاء بعده
عمار بن علي الموصللي وذهب الى ابعد من ذلك بكثير
بان استعمل انبوبا زجاجيا دقيقا ليدخله في مقدمة
العين ويفتت العدسة المعتمة ثم تمتص هذه العدسة

التشعب ما شكك في امرها . فهي عند بعض المشرحين
عضلة واحدة وعند بعضهم عضلتان وعند بعضهم
ثلاث وعلى كل حال فرأسها رأس واحد (٨) وكان
للأطباء العرب الفضل الاكبر في عمل الرسوم
التوضيحية لمعرفة تشريح العين ومع كون قسم من
تلك الرسوم مقتبسة عن اليونان الا انهم رسموها
بشكل واضح و اضافوا اليها اضافات مما جعل
الكثيرين اعتبار هذه الرسوم اول رسوم معروفة
لتشريح العين .

فلسفة العين والنظر

تقول سيفريد هونكه (لقد بلغ العرب في فرع
العيون شأوا عظيما تفوقوا فيه على اليونان
وساعدتهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علم
البصريات (Optik) الذي يعد علما عربيا دون
اية مبالغة) اجل لقد أحدث العرب ثورة في علم
الضوء عند ما أعلن ابن الهيثم آراءه ومنذ النظرية
القديمة في كيفية الابصار كانت الفكرة القديمة
التوارثة عند الإغارقة تتمثل في ان الابصار يكون عن
طريق خروج شعاع من العين حين يقع على البصر
بسبب الاحساس بالابصار ، شعاع له ارادة موجهة
عنيدة تريد مستقرا ، جاء ابن الهيثم واثبت ان الضوء
مجموعه من أحداث وان له وجودا في ذاته وانه ينتقل
طبقا لنظام ثابت ذي نموذج آلي مسبق في كل زمان
وفي كل مكان والاضواء كلها من مبنى واحد ، سواء
كانت اضواء ذاتية من الشمس او الكواكب او اضواء
عرضية او اضواء صادرة من فتيلة مشتعلة ، كلها
تخضع لنظام واحد من البصر الى البصر على سموت
خطوط مستقيمة (٩) وهو الذي قال ان شبكية العين
هي مركز المرئيات وان هذه المرئيات تنتقل الى
الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر من
الباصرتين عائدة الى تماثل الصور على الشبكتين (١٠)

يقول الدوميلي « تقدم ابن الهيثم في كتاب
(المناظير) تقدما ملحوظا ويقطع النظر عن تأكيده
ان الضوء ينشأ من المرئيات وليس كما ظنه اكثر
القدماء من ان الضوء يخرج من العين ليلمس المرئيات
بطريقة ما ، نجد في كتاب المناظير وصفا للعينين
وادراكا للرؤية ادق كثيرا واكثر تجديدا من جميع
من تقدموه ، ونجد وصفا لظاهرة الانكسار الجوي ،

(٨) القانون : ابن سينا جزء ١ ص ٤٠

(٩) ابن الهيثم : احمد سعيد الدميرداس ، ص ٩٠

(١٠) الطب العربي : امين اسعد خيرالله ، ص ١٨٠

(١١) العلم عند العرب - الدوميلي ص ٢٠٦

(١٢) مجموعة ابحاث في تاريخ العلوم الطبيعية الدكتور احمد
الشطي ص ٤

(١٣) فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم زكريا
هاشم ص ١٤٤

(١٤) تاريخ العلوم في الاسلام : انور الرفاعي ص ١١٢

(١٥) ملخصة عن الدكتور عبدالنعم عبدالحميد ص ٦٧-٦٩ مجلة
الجامعة عدد ٥ السنة الثانية .

المعتمدة وكانت هذه العملية هي اول عملية حديثة للساد وظلت هذه العملية سائدة في الشرق ولم تنتشر في الغرب في القرون الوسطى .

كانت الالتهابات التي تصيب العين بعد هذه العملية اهم عائق لاستخراج العدسة بعد فتح مقدمة العين . الا ان تقدم العلم واكتشاف التعقيم والمعقمات وبالتالي اكتشاف مبيدات الحياة سهلت هذه العملية كثيرا .

وتطورت هذه العملية كثيرا وباشكال مختلفة .

كان آخر مقال في مجلة الجمعية الطبية العينية البريطانية للدكتور جارلس كليمان من الولايات المتحدة الذي قام باجراء ما يزيد على ١٥٠ عملية في عام ١٩٧٠ بواسطة ادخال ابرة داخل العين بقطر ١ ملم تتحرك بدبذبة عالية جدا (٤٠٠٠ ر.د.)

ذبذبة في الثانية) بواسطة الامواج فوق الصوتية (Ultra - Sonic) ضمن مسافة ١/١٠٠٠ من الانج لتعمل على تفتيت العدسة واستحلابها كما نستحلب اللبن بخلطه بقوة ، ومن ثم سحبها بواسطة جهاز ماص متصل بجوف الابرة الدقيقة . وبذلك يمكن تجنب احداث فتحة كبيرة بالعين ويفساد المريض المستشفى في اليوم الثاني وقد كانت نسبة نجاح هذه العملية اكثر من ٩٨٪ .

واذا رجعنا الى محاولة عمار بن علي راينا الشبه بينهما وبين اخر ما توصل اليه الطب الحديث كبيرا وعلى نفس القاعدة ولكن باللات حديثة جدا . فالفكرة القديمة هي لب العملية والتقنية هي عائدة العصر لاعادة اجمل واروع ما في الانسان عينيه .



مقدمات جديدة

لقراءة الشعر الجاهلي

بقلم

خالد محي الدين البرادعي

حرية الاختيار :

كانت تلك المحاولة الانسانية الخالدة - الشعر - لدى انساننا الجاهلي تدور في فلك المحسوس والملموس من عالمه المترامي الاطراف . وقبل المضي في هذا البحث اود ان الفت النظر الى ببغائية بعض الحققين من مستشرقين وعرب حول ضيق خيال الانسان العربي والتصاقه بالارض . مقارنة بما اوجده انسان الاغريق مثلا من مخلوقات اسطورية شاركت في صنع الفيب وصنع الواقع . وهي ان المفاصلة بين الشعوب لا تقاس بالمقارنة . بل بما ابداع كل شعب على حدة . مع التأكيد الجازم على الطبيعة الجغرافية التي وجد هذا الشعب في احضانها . والتي كانت العلة الاولى لميلاد الخصائص البيئية من سلوكه فكري وسلوكه عملي لدى كل شعب . ويجدر التأكيد على ان حديثنا هنا ينطبق على الحالة المتطورة التي وصل اليها الشعب العربي بعد المرور بعدة مراحل بدائية كما هي الحال لدى كافة شعوب العالم .

اجل ان الشعر العربي الجاهلي الذي قرأناه يدور في فلك المحسوس والملموس انطلاقا من بساطة الحياة الصحراوية الجافة الوشاة بين الان والان بتطريز جميل من موجة تداعب الساحل وشجرة نخيل ودالية .

ويسرح العربي بصره في الافق بين رحابة الصحراء والسماء الصافية لينطبع في اعماقه الصفاء والوضوح والبساطة . وتتمازج في وجدانه اشئان الصور منقولة عن واقع هو في احشائه . النجوم . الشمس . القمر مسابيل الامطار . النسيم . الرياح . الجفاف . الكلاء . احجار الموقد . الظباء . حيوانات الصحراء المألوفة لديه . ادوات بقاءه وتأكيد ذاته . السيف الرمح . الخمر ذات الطبيعة السحرية التي الهمت انساننا الجاهلي الكثير . يضاف هذا كله الى المرأة التي لم يرسمها الشعر القديم كما هي - قط - .

وعندما نؤكد على ظاهرة تنمية اللغة وتطويرها لدى العربي حتى لكانها الوجود كله ، منطلقين من قراءة تلك الجداول اللغوية الصافية التي تكونت من خلال احساس العربي بقيمة الحركة والنمو . فليس ترفا ان يكون لاسد مئات « الصفات » والتي نقلت اليها على انها « اسماء » وهي في الحقيقة مرافقة لحركة الاسد وليست اثوابا اليه اياها الشعر القديم . وصفات الناقة او الجمال تراكمت في قواميسنا من جراء احساس ابن الصحراء بقيمة وقدرة هذا الحيوان الذي وصلنا بالشعر كما الاسطورة التي لا حدود لابعادها . واذا قدر من خلال ضغط عوامل

بعد مرور خمسة عشر قرنا - بالتقريب - على تلك الطلائع الابداعية الشاهقة التي غسلتها شمس صحرائنا الخالدة ، ونمننتها عرائس عبقر بين قبلة حب ولمسة انملة كانها ورق العنم . ونقلتها الهواه الراحلين بين نجد والحجاز ووادي اليمن السعيد . لتزين نجوم الصحراء وتؤنس وحشة التوحدين بين الحيرة والشام والانيار . وبين غزة والبحرين ، وفي مناطق اخرى لامست ترابها قدم انساننا المتطلع الى حجب الفيب يود اجتيازها - حتى ولو بالاحلام - . قد يخطر لانسان ما يعيش في عصر الفيت فيه الحدود بين الارض والسماء ، وربما بين كوكب وكوكب ان يسأل . كيف استطاع راعي الشياه وحادي العيس . والباحث عن اسباب البقاء في تلك الدوائر البيض التي تقيب فيها الاتجاهات ان يحول الوجود الى لغة ؟ ثم يحتمل هذه اللغة اعتصارا ومخاضات .. ينفخ منها فيما بعد شحنات ملئت بزخم ما فوق زخم الكلام العادي . تتصادم اعناقها باعناقها متولدة من جديد في متحرك وساكن . يترك عند السماع بوحا منغما يرتفع بسامعه الى كون من القوة الخارقة غير المنظورة .. ويكون الشعر الوجه المشرق الذي شد اليه انساننا عبر التاربخ ؟

تشير اشارات اللحن التي اقبلت من هناك ان الشعر ضرورة . لم تولد كما عرفناها . بل ثمة ضرورات اخرى ، كانت هي رحيقها المصفى وسلافها المسكر . وليس بدعا ان يكون الشعر احدى ولادات السحر .. تلك اللغة التي حاول الانسان تسلية وحشته عن طريقها . واذا كان لكل شعب من شعوب هذا الكوكب طريقته الخاصة في التعبير عن وجوده في مجالات السحر ، فيكون الانسان العربي قد اهتدى الى مسلاته الساحرة عن طريق الابجدية واذا استطاع علماء « الانثربولوجيا » ان يكتشفوا خصائص الشعوب ، وبدرجوها كلا الى فصيلته من حيث التعبير عن وجوده وتطوير ذاته من اجل البقاء الافضل ، فانهم لن يتعبوا طويلا ليكتشفوا ان من اعظم الخصائص التي امتاز بها انساننا العربي ايجاده واحدة من اهم المعادلات الكبرى وهي - لغة الشعر - طبيعة هي نمت لدى انساننا المتطور . فاهتزت وربت وابتت تلك الثمار اليانعة التي نقف بين يديها مبهوتين « لا علم لدينا ولا نكر » عاجزين - الا من رجم بالفيب - عن تتبع نشأتها الاولى بشكل علمي يدعو الى الاطمئنان . خلف لنا الاوائل رجلا . وقال القائلون . منه فتق القريض .

البيئة ان يكون السيف رفيق انساننا ندره بالتأكيد قيمة الصفات التي تعد بالثبات لهذا الصديق الذي طالما جلى الكرب عن وجه انساننا في رحلة الحياة الطويلة . وقدر تلك الحياة الزاخرة بالحركة ان تكون العين اثر لشاعرنا الجاهلي يعرف منه غرنا على مدار العصور .

ولمة وجه داخلي للحياة العربية في الشعر هو العمق الانساني الذي ترجمه شاعرنا رجزا وفصيلا . احساساته ونواذعه ونزواته . خيرا وشرا بلا قصد ومواربة . والتي ما كان يكتفي بترجمتها الى لغة الشعر بقدر ما كان يوائم اعظم الوادعة بين اللفظة والحركة . بين التصور والحياة . بين القول والفعل . لم يكن الكرم كاعظم خاصة تمتع بها انساننا الجاهلي لفظه شاعرية . بقدر ما كان الواقع التطبيقي لها يعكسها في الشعر . ولم يتغن بالشجاعة لانها كلمة تعكس مدلولها انسانا نبيلًا بقدر ما كانت الشجاعة جزءا لا يتفهم عن كيانه الانساني الصام . ولم يتفزل الجاهلي بالمرأة وهو بعيد عن ممارسة الحب . بل لم يصف المرأة كما هي ابدا . بقدر ما كان يصفها كما يحبها .

كان الشاعر الجاهلي اذن مخلوقا . فارسا . كريما . عاشقا . نبيلًا . يحتضن هذه الخصائص السامية التي تمثل تطور المخلوق البشري كما يحاول الخيال الانساني الرافعي ان يصوره .

اما التصاق الارض والمرأة بتكوين القصيدة الجاهلية . فانما يحملان لنا الجانب الاهم من خصائص الشعر الجاهلي الذي علينا ان نتعمقه بوضوح .

البيئة :

الجاهلي الشاعر ألف نفسه كما قلنا في بيئة ذات خصائص معينة . هي التي ساعدت على تكوين شعره والوصول به الى مرافق الكمال ممثلا بتلك القصائد الجياد التي قرأناها للفحول منهم . ولا نبالغ اذا اعتبرنا ان الشاعر الجاهلي كان يكتف وجوده بكافة جوانبه في قصيدة واحدة . ولان الطبيعة متقاربة الابعاد في انساننا الشاعر . تشابهت القصائد من حيث مسرحها الفكري . واشعاعاتها الذاتية والموضوعية - الامر الذي دعما النقاد فيما بعد ليعتبروا القصيدة الجاهلية كتابا مقدسا لا يجوز الخروج على نصوصه - وحرية الجاهلي الشاعر وبلا حدود تبرز في كل اثر شعري وصلنا . صارخا ناظقا بان الشعر الجاهلي هو التجربة الانسانية الحية التي ارتادها شاعرنا علوا . مستودعا لديها كا نواذعه واحلامه وتطلعاته ونظراته في ذاته - واهله - ووجوده .

والشعر الجاهلي هو الطفل الاسطوري الذي عناق الحياة كاعظم ابنائها المخلوقين الخالقين دون وصاية من نافذ او لغوي او رجل تاريخ او غروحي . نما كما استطاعت طبيعته ان تمنحه عوامل النماء . بلا تأثير من مربين وحملة اختسام وسدندات عروش . ووصل بالنمو والتطور الى اعلى درجات الكمال التي ان لم تتصل بالطلق فلان طبيعة الكمال الشعري تقف هناك .

شعر راي الواقع وعاشره وعاناه . ثم انعكس واقعا اخر منقيا صافيا اسقط الدرن ليصبح نموذجا لواقع افضل .

ولا ينبغي ان يشحط بنا الخيال الى مزار بعيد . فنفهم ان الشعر الجاهلي هو النموذج الذي علينا ان نصوغ شعرنا الان

على مثاله . ومن هذا الفهم الخاطيء لطبيعة الشعر وعلاقته بتكوين الشاعر العقلي والخيالي . وارتباطه بالبيئة . حاول المعنيون رسم حدود للشعر لا ينبغي تجاوزها ولم يعلموا انهم بذلك قيدوا خطوات هذا الطفل الاسطوري الذي كان بإمكانه الوصول الى معارج الكمال المطلق . وكانوا اوصياء بذلك عوقوا حركة الشعر . والانفجارات التي كانت تظهر بين الحين والحين في تاريخنا الشعري . كانت تمردا على قوانين الوصاية وتجاوزا لعقلية الاوصياء . وتحطيمًا لقضبان سجون سجنه بها الرسميون بعد نزول القرآن بقليل . وهذا القليل يتمدد ليصبح مائة وثلاثين او اربعين سنة . اي منذ انتشار التدوين في بداية الحضارة الاسلامية .

لكننا ننظر الى القصيدة الجاهلية كمثل اعلى لحرية الشاعر في صوغ تجربته الشعرية . ومن ضمنها الادوات التي حملها احساسه وخطرات وجدانه .

الشاعر الجاهلي انسان الفى نفسه وحيدا في الصحراء . بين نجمة تنبسم له على خد السماء البعيد . وخيمة ترافقه في حله وترحاله . وناقة ينظر اليها كما ينظر اليوم الى طائرة نفائة او قطار متقن الصنع والحركة . ووجد بين يديه حواء رفيقته وملهمته . ومستودع الجمال المحسوس الذي اضى عليه الكثير من تطلعاته الذكية والمثلى .

وازاء وحدته بين ثنائية الارض والسماء كان عليه ان يفعل وينتكم فماذا يقول ؟

سمع السيفونية الطويلة المهمة الالحن . تعزفها قدرة لا بد من وجودها . بعضها في بكاء الغيم وضربات الرعد الرعنا . وبعضها في عويل الرياح ذات المصدر الضفي البعيد ، وبعضها في حسيس النار الباهرة ، وبعضها في حفيف النسمة الباردة في جمود الصقيع المحرق . والبعض الاخر كان ينبع من ظنين اذنيه وهو ينظر الى امواج السراب تهتز كاعمة من ماء على مرمى البصر في الحر اللافح المحرق في نقر الاقاق وكان لا بد له من ان يتكلم . ففنى . مؤنسا وحدته . وتلذذ في الفناء وهو يصير الناقة الامينة الدلول تنصت لهذا الفناء الشجي فاستمر . يصفها ويستوحي من خطواتها . اي ان الشاعر الجاهلي كان بينه وبين حيوانه واشيائه علاقة اخذ وعطاء ، وتفاعل في سبيل البقاء . ونظر الى حواء اللهمة التي انتصبت امامه رمزا لاستمرار الحياة . واكتشف تلك العلاقة الحميمة بين الارض والمرأة من حيث هما سببا الوجود والتوالد والاستمرار . الارض تنبت له الكلا ، وحواء تنبت له الانسان فيبقى . فكل ما في المرأة شهوي ولذيد وجميل . وكل ما في الارض شهوي ولذيد وجميل . فكانت حواء مدخله الى محراب الشعر وكانت الارض محرابا لهذا الشعر باحجارها . وكثبان رمالها ، ومسايلها وشعابها واسماء ابارها . كانت الارض جسد القصيدة الجاهلية يطرح عليها انساننا الشاعر كل بضاعته . حتى خفقات قلبه . وكانت المرأة المخلوق الشهي اللذيد . باب الشعر الذي يفتح برفق لدخول الهيكل . وتتوغل لدى شاعرنا الخالد عملية الدخول . فهي لبلة حينًا ، ودمة حينًا . ولحمة من ذاكرته حينًا اخر . وقد تكون رسما لاحدى لوحات الخيال البريء بين الحين والحين . اما جسد القصيدة الذي يعج بالنشاط فهو مستودع هائل لتلك اللبافة التصويرية النادرة المثال . البارعة في التوافق المدهش بين توظيف اللفظ لرفع المحسوس . وبين الاشياء الغام التي كانت تتشكل منها القصيدة الجاهلية .

وإذا توصلنا إلى أن اللغة هي المعادلة الطبيعية التي استطاع الإنسان الجاهلي الحياة عن طريق حلها . فصل إلى عدة نتائج هامة . منها أو من أهمها أن الشعر ضرورة للإنسان الجاهلي . مع تأكيدنا على أن الشعر رفيق الإنسانية منذ اكتشاف خفقات القلب وخطرات الوجدان إنما وجد الإنسان مما حدا باتسان كهان أن يقول «الشعر هو اللغة الأم للبشرية» . لكنها ضرورة اكتشفها أنساننا الجاهلي وعاشها ونما بها ونمت به دونما وصاية أو اكراه .

المعاناة :

الإنسان الجاهلي سائر . أو قل هو يدور في مزالسق الصحراء لا يكاد يستقر بمطرح . وقراءة واعية لآثار الشعرية الجاهلية تظلمنا على أن الرؤية الشعرية للجاهليين ، بما فيها من حركة ونمو هي ترجمة هذا الإنسان إلى شعر . الشعر لدى الجاهلي . هو الإنسان الجاهلي نفسه . وإذا وجد في هذا العصر من يصف الحضارة الجاهلية بأنها حضارة لغة . يحقلنا كظفاد لذلك الإنسان العظيم أن نفخر بهذه الخاصة ، لا أن نقدلها بخطو بيفاي أرعن ، بل توصلنا إلى أن الدفع الزاخر الذي حملته اللغة العربية قبل القرآن كان اصديق ظاهرة لآليات الإنسان العربي ذاته في مجال الحركة والتطوير وتوكيد نفسه في الوجود عن طريق اللغة ذاتها . حيث استطاع رسم وجهه الثاني في مجالي الفعل والاختبار . وكان الشعر عملا منفما حمله الجاهلي نسخة ثانية من كيانه . وحركة الإنسان الدأبية في الصحراء عكستها لغته بشكل تصورها حركات الاغراب نفسها . لا يبدأ كلام العربي بساكن ، لا يلتقي في اللغة ساكنان . معظم القصائد الجاهلية التي وصلتنا تبدأ بفعل . « ففانك » « صحا القلب .. » « ودع هيرة » « سائل معدا » .. الخ

معظم القصائد الجاهلية تبدأ هذه البدايات التي تتم عن الحركة - والسمر - والرغبة في الاستمرار وما تبقى من القصائد وهي قليلة ، لا تبدأ بفعل تبدأ بأحرف استفهام . من ؟ لمن ؟ أين ؟ هل ؟ أو تنبيه . لا . ا . او نداء . يا . أيا . ا . وتتساءل بعد هذا الكشف عن أحد جوانب التجربة الشعرية الجاهلية . هل جاءت الحركة إلى مطلع القصيدة مصادفة دون اختيار من قبل الشاعر الجاهلي ؟ وهل كانت حواء التي احتلت مدخل التجربة الشعرية حلية أو زخرفا في القصيدة ؟ وهل أقحم الشاعر الجاهلي الدمن والاطلال في قصيدته بلا معنى ؟

إن الحركة . والمراة . والظل كالثوث مقدس في الشعر الجاهلي ، يعكس لنا بشكل خفي وربما لم ينتبه له دارس أو محقق حتى الآن طبيعة المعاناة وتشخيص الصديق في العمل الفني الانساني الخالد .

إن الثالوث هذا ترجمة للفعل - والحب - والتعلق بالأرض . كوجه خلقي أو عمقي لشكل الإنسان العربي الذي كشف ذاته في لغته ومنحها ما يريد أن تمنحه آياه الطبيعة من طول وعمق وحركة واستمرار . مما يدعونا إلى التأكيد على أن الشعر الجاهلي كان معاناة من قبل الإنسان لرسم انسانيته فيه . وعندما نصف هذا القدر الذي وصل إلينا من شعر أسلافنا الخالدين . بأنه ديوانهم . ومراة وجودهم . وحامل حركتهم والمبر عن تواجدهم في هذه البقعة من العالم . علينا أن نصيف لكل ذلك أن الشعر الجاهلي بما حمل من فخر ذاتي ، وقوة انتماء قلبي ، ووصف حي للطبيعة والحياة ورسم دقيق لم ينس خطأ واحدا من خطوط الحياة العربية في فترة ما من

التاريخ . كان هو الإنسان الجاهلي نفسه بمعاناته وتركيبه النفسي والفكري - ونزعة تطلعه ، أو ملكة تشبته في الحياة ومواجهة هوموها . أو بتعبير وجودي كان يختار مصيره وينقله بالشعر . وإذا كانت كل « حقيقة لا تكون إلا بفعل عاملين ، عامل البيئة وعامل الذاتية الانسانية » كما قال سارتر فالشعر الجاهلي هو الأثر الأعظم الذي حمل في طياته هذه المعادلة بكل صدق . فنجد في لغته الجزلة المنسوجة على نول الجمال المبقرى الباذخ روح ذلك الإنسان وموقفه من الحياة والآخرين متغللا في البيئة ، ومتغلغلة فيه البيئة كامكلا ما يكون التداخل والاعتناق والالتحام . حتى كان القارئ في كثير جدا من هذه القصائد لا يستطيع أن يسأل عن مفردة لا لزوم لها في الشعر . أي أنه شعر ليس فيه « حشو » تلك الخاصة التي انزلت إلى الشعر العربي فيما بعد وشوهت الكثير من معالها وعندما ضاقت نصوص القوانين بتمدد الإنسان وسعته .

كانت التجربة الشعرية الجاهلية كما نفهمها تجربة خاضها الإنسان الجاهلي مختارا شكلها ، وارضا وخلفيتها وعمقها . فمن حيث اللغة كان الشاعر حرا في اختيار الفاظه ، بما يتلاءم مع مستواه الفكري ، ومظاهر حياته وخصائص بيئته . ومن حيث الموسيقى فقد ظلت الفترة الزمنية التي وصل إلينا جزء من نتاجها الشعري فترة مخاضات إيقاعية ، وولادات موسيقية لم تحصرها القوانين ، ولم تقيد بها الأياد ولم يخفقها الاوصياء والنقاد . كان الشاعر لا يهتصر قافيته ويشدها أو يطمها حتى تخضع للقلب « الاعرابي » وظهرت في الشعر الجاهلي الحركة المختلفة من حركات السيقان والتي سميت فيما بعد « بالاقواء » . وكان الشاعر الجاهلي يتحرر من دقات الإيقاع الذي سحرنا بالصنميج الموسيقى الصاحب ويختار كلمات تظن أنها حطمت وزن البيت ، كان حرا في اختيارها . لكن الاوصياء بعد العصر الجاهلي وجدوا لها وعاء خاصا اسموه « بالإشباع » . وكان الشاعر الجاهلي يخرج نهائيا عن الاوزان المألوفة لدى معاصريه وسابقيه . ويصنع لنفسه عملا شعريا تتخلق فيه الموسيقى بشكل تطلع عليه الآن فنحسبه مليشا بضربات وإيقاعات غير متجانسة ، كما هي الحال في البحور العروضية السليمة . وهذه الظاهرة شملت شعرا الجاهلي بشقيه - الرجز - والقصيد - . وبرز من هذا كله أن البيئة الجاهلية بكل ما فيها وذاتية الإنسان الجاهلي بكل ما فيها ، كانتا ميدان الشعر الفسيح ومسرح تجارب الشاعر الخلاقة . لم يكن في الشعر الجاهلي غزل . وفخر . وهجاء . ونسيب . ووصف . وإلى هذه المرفقات التي حبل النقاد زمنه طويلا وتمخضت عنها إرحامهم الفارغة . كل هذه الخصائص كانت دفعة واحدة بالقصيدة الجاهلية . البكاء على الاطلال كان واقعا ملموسا ولم يكن زخرفا جماليا في الشعر ، المطلع الغزلي كان الشحنة الاولى التي تتفجر من ورائها مخزونات النفس الشاعرة . الرحيل على الناقة والجمال ، والصيد والرعي . ونصيب الخيام . وصليل السيوف وكرع الخمر والانتماء القبلي . والإشارة بعظمة القبيلة . كانت هذه المظاهر التي عرفناها ميدانا للشعر . كانت جزءا أو أجزاء من صميم تكوين الإنسان الجاهلي وقراءة العلاقات فقط كمنصر بارز من عناصر هذا الشعر مع الاطلاع المبدي على حياة اصحابها ، تقدم لنا الدليل على أن الشاعر الجاهلي لم يكن زائفا في انتقاء مسرحه الشعري وقاموسه وجوه الموسيقى ، بقدر ما كان ممارسا لهذا الانتقاء . وحرا في ممارسته وقد يسأل سائل ونحن نتعمق جلور الكمال في الشعر الجاهلي سؤلين لا انكر انها طرحا في معظم الدراسات التي تناولت هذا الشعر العظيم . وقد مرا بلهني منذ عشرين

سنة ، عندما كنت اقرا الشعر الجاهلي . و اراء اللاحقين به من عرب ومستشرقين . وهذان السؤالان هما .

١ - اين وحدة العمل الشعري في القصيدة الجاهلية ؟

٢ - لماذا طغى عنصر الوصف على هذا الشعر حتى كاد يستهلكه؟

ولا اظن مبدئيا ان السؤالين خطرا للشاعر الجاهلي نفسه . اي اننا نسالهما من خلال احساسنا بقيمة الشعر وتنوعه واتساع حدوده واما فقه . ونحن في القرن العشرين . بزمان غير الزمان . ومكان ان لم يكن قد تغير فلا شك انه طرا عليه الكثير من التعديل والتبديل .

وبالتالي هل من المنطق ان نسال الشاعر الجاهلي ان يكون ترجمانا امينا لذاتية الانسان في القرن العشرين ؟ بل المنطق ان نعيش قدرة ذلك الانسان وتكوينه العقلي ، ثم نعكف على دراسة منجزاته فان نفوق الانجاز على امكانية متاحة للمنجز نقول على الفور انه تجاوز عصره . وان تفوقت امكانياته المتاحة على حجم ونوع انجازاته اتهمناه على الاقل بالخور والجمود . وهذا ما لا يوافق مفكر او مثقف على الصلافة بانساننا العربي الجاهلي الشاعر .

قلت في سطور سابقة ان الحركة الناتجة عن سرعة التنقل هي التي طبعت الجاهليين بطابعها . وانعكست هذه الحركة على لغته وشعره فكلما يبدأ بتحريك كانما اللفظة تتجمل . . لتنتقل في رحاب العالم غير المنظور تكتشفه . وشعره في الغالب يبدأ بالفعل الذي يعبر عن تلك الحركة . واسبق هذه الخاصية نفسها على كل ظاهرة تبرز له في ثانيا رحلته الحياتية المطاء . اسبق على كثير من الاسماء صفات تحول هذه الاشياء الى اساطير . . الى شحنات تتفجر طاقات الشعر منها جميعا . حتى كفاحه من اجل البقاء كان - سيرا - فتحا - تحركا - تموجا في وديان الحياة . ارايته بعد نزول القرآن مباشرة كيف انزع في رحاب العالم من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ؟ وكأنه المارد تفجر عنه القمم ليملا الحياة البشرية بالعطاوات والهبات وتأكيد الذات في الارض ؟ اما قرأت تاريخ هذا النفر الطائر في الفتوحات العربية في القادسية ، في دمشق ، في حمص ، في اسبانية في مصر في افريقيا ، في فارس ، في الهند ؟ ألم تحس بان هذا العربي المسافر في خياله وعينييه وقدميه ويديه وشعره . . اراد ان يتجاوز الكوكب . الارض ، الى سدة المنتهى ، ودوحات عليلين لدى الملا الاعلى ؟ ألم تر الغافقي الذي هجم على البحر بحوافر مهره يود ان يتفحمة ؟ لن استرسل في ضرب الامثلة لانها كثيرة . . وجزء منها ينبك اليقين . ولماذا نريد - الان - ونحن نقرا التاريخ والادب والفلسفة وعلم النفس ، وشذرات من العلم المنظور ان نقيم الجاهلين بنفسية انساننا المعاصر القلقة التي ازدحمت في ظلماتها من الثقافات والعلوم ، ونطالب شاعرنا الجاهلي بان يكتب قصيدة وحدة البناء الذي - اصبحنا الان نفهمه - واذا ما تهدم بيت منها تنهار كما لو كانت حائط منسوجا ؟

في واقع الامر ان القصيدة الجاهلية لم تعتمد البناء الكلي المتسق للعمل الفني بحيث لا تخلخلها الزيادة والانتقصان . ولكن طبيعة البيئة الجاهلية المتحركة السائرة . والتي كانت التجربة الشعرية نقلا « مثاليا » لها فرضت على الانسان الجاهلي النسق الشعري الخاص ، محمولا في شحنة وجدانية تغلي وتتصبب قطعا قطعا كأنها جمال القافلة او خراف القطيع اسميت كل شحنة منها بيتا ولم تكن القافية الرنانة الا

الخيط الذي يربط البيت والبيت . وكان من اختيارات الجاهلي لفنه - وربما عن تصميم وتصور مسبقين - ان تكون كل شحنة شعرية مستقلة ببنائها المحكم المتقن . بحيث اذا ضاع من القافلة جمل لا تضيع القافلة ، واذا ضاع من القطيع حمل لا يضيع القطيع ولكن ابتعد بهذا التحليل عن تلك البيئة الجاهلية نفسها ، قلت القافلة ، وقلت القطيع . كظاهرتين من تلك البيئة . تتوافر فيهما - الحركة - واسرار البقاء .

وقراءة متأنية للقصائد الجياذ الجاهليات ترينا ان الابيات لو زادت او نقصت تظل بين ايدينا روح الشاعر وجو القصيدة العام ، وقسط وفير من الخصائص الفنية السامية التي عانى شاعرنا الجاهلي وجاهد في سبيل خلقها .

اضيف الى هذا التحليل ملاحظة لم يشر اليها قط دارس لهذا الشعر خلال مئات السنين الماضية بعمق فيها نقادنا المعاصرون الذي منحوا هذا الشعر حياة جديدة من خلال قراءته وتعرفنا به . هي فقدان النهاية من العمل الشعري الجاهلي . وحيث ينتهي الشاعر الجاهلي من انشاد قصيدته يدفعنا لتسائل . وبعد ؟ . القصيدة ذات مطلع بالتأكيد . حتم عليه الشاعر ان يكون مدخلا الى محراب شعره . وأما من بين اثار مضارب خيامها واطلال اهليها . ولكن الباب الثاني لهذا المحراب المقدس يظل مفتوحا على مصراعيه ، حتى لتحس بان الشاعر الجاهلي عائد اليك يستأنف رحيله الشعري مرة اخرى ، فهل نصيف هذه الخصيصة الى طبيعة الحركة لا طبيعة الرحيل ؟ طبيعة السر الذي اراده الجاهلي لنفسه ؟ وان شاعرنا ما دام ينقل لنا وجودها شعرا يريد لهذا الوجود ان يستمر . وانه لا يريد ايدا ان يفزع الخاتمة لعمله الشعري ؟ من يدري ربما يكون ذلك تعبيرا عن اختياره وحرته . وسمة خاصة في شعره العظيم .

ثم لماذا طغى الوصف على تجربة الشعر الجاهلي ، ليس هذا هو السؤال الثاني الذي طرحناه ؟ اجل . قلت ان الانسان الجاهلي يسير وكل ما بين يديه من مقومات حياته سائر . سد مارب التاريخي الذي كان سببا لبناء حضارة عظيمة من حضارات الامم . هو الآخر سار . الحبيبة تنزل من امام ناظره . ولا يراها الا محمولة في هودج على ناقية في قافلة تبحث عن الكلا . . حامل اكسير الحياة . في خضرته الزاهية ، البيوت التي يتبطنها . . هربا من حرارة الشمس الحارقة ، وصقيع الشتاء الكالج . . وبها يلوذ الى نفسه بين الصين والحين . هي الاخرى تسير . . تترحل . . تنتقل مع القبيلة او مع فخذ من افخاذها . الخرفان تركض . . وعيون الماعز الزئبقية تنفض غشاء الصمت والسكون ، وتسير هي الاخرى . الظباء التي طالما سرق منها العين الساحرة واللغة الباهرة ، والخطوة الراقصة . . هي الاخرى لا تقف قط امام عينييه في مكان ما . وحياته اذن رحلة . . مسير لا وقفة بعده . ترحل مستمر منذ كان جنينا حتى يستل عنقه سيف او يقتاله الموت في ساعة ففلة .

اما كان ذلك الانسان يحسن لاستجماع اشياء لا تستقر بها ارض ولا ينعم بها نظر طويلا . في ذاكرته على الاقل . في وجدانه المرفف وفي فؤاده الذكي . بالتأكيد ما دام وجد السبيل الى ذلك متاحا له في كشفه السحري الباهر المتسع المدهش ، الشعر .

الشاعر الجاهلي رسام . لم تسمفه العين المجردة على رسم صورده فاستعان بعين خياله . لينفذ منها شعاع سحري

الواقع والظن :

الاكتفاء بالقول ، ان الشاعر الجاهلي رسام مدهش ، لا يفي ذلك الانسان الفنان حقه من الوصف . وان هو كفاه فسيظل سؤال يلح علينا ، وقد ظل موضع اخذ ورد بين النقاد العالمين حول الادب الكلاسيكي . هو : هل الشاعر رسام فقط ؟ اذا كان الامر كذلك فهو لم يشعر حتى وان نقل خطرات الوجدان من حزن وفرح وتطلع وتذكر ، لان النقل الامين لما في الطبيعة هو احد جوانب العمل الفني . وتظل هناك رؤية الفنان نفسه . وتدخله في صنع الطبيعة كشريك صانع في عملية اكتمالها وتطويرها ، اليس كذلك ؟

وقراءة الشعر الجاهلي الدقيقة الثانية تطلعننا على اكثر من وجه مشرق لهذا الفن الخالد . من هذه الوجوه تنمية الحركة الطبيعية الموصوفة في التكوين الموسيقي الذي فتح ابوابه الشعراء الجاهليون ، وتركوا الشعر العربي منذ نزول القرآن حتى منتصف القرن العشرين عالة عليهم . وعلى كشفهم المهمة . ومن هذه الوجوه نحت الظواهر الموصوفة وتهذيبها ونقلها الى الشعر كما يتمنى الشاعر لا كما هي في موضعها من الواقع . ومن هذه الوجوه رفع حواء عن مرتبة المخلوق البشري القائم على اساس الوظائف العضوية الى جعلها نموذجاً مثاليا للجمال الانثوي المستهى . ولم تكن المرأة في الشعر الجاهلي الا هذا المثال .

من هنا نرى ، ومن خلال نصوص الشعر الجاهلي ان الاشياء التي احبها الشاعر احبناها نحن بمجرد عرضها على الاذن او العين بعد تلك القرون الطوال التي تعاقبت على وجود هذا الشعر . فمن منا لا يحب الكرم ؟ ومن منا لم يمر بالخمير ببالة - حتى ان لم يشربه - ومن منا لم يتمن رؤية القلباء وهي تسبح على رمال البيد ؟ ومن منا لم تعجبه تلك المنساقب والخصائص التي حولها الشاعر للجواد ؟ ومن هو الانسان الذي قرأ شعر الصماليك ولم يحب عروة بن الورد مثلاً ؟ مع العلم بان جانباً من حياة الصماليك وسلوكهم كان شراً كله . ان الشاعر الجاهلي حدثنا عن احجار الموقد فاحببناها . وارتسمت في اذهاننا دون ان نراها . وحدثنا عن ركوب الابل وامتنعنا عن الحياء ، فالفينا بانفسنا حينئذ مسرفاً الى ممارسة ولو للحظات تلك الحياة على سداجتها وبدواتها وخشونتها المبرقة . الا ترى معي ان السيف . المهند . الفيلص . العصب . الحسام . عندما نستخدما الآن في شعرنا ونثرنا جميعاً نستشعر امامهما العمق التاريخي والشحنة الشعاعية التي اكتسبتها من خلال مرورها في ذاكرة الانسان العربي جيلاً بعد جيل ؟ وهي مرتاد ترتاده في كل استخدام فكري او فني كاحدى خلايا الرمزية اللغوية في ادبنا . نتكلم كثيراً عن السيف ونحن في عصر الذرة . اترانا نقصد السيف الذي رسمه الجاهلي كاداة للقتل ، او هو رمز خصب في ذاكرتنا الجماعية . ينهبنا فوراً الى الشجاعة . الاقدام . الحفاظ على البقاء . الانتقام . هذه صورة واحدة كانت لها وجوه وخطوط في المحراب الشعري الجاهلي . واذا تركنا الاشياء التي لا تزال تشارك الشاعر الجاهلي في استخدامها من الكلمات المأوفاة في اللغة . ترانا منشدين تلقائياً الى صور لا تربطنا بها رابطة من حيث ممارسة الحياة . واصبحت لدينا رموزاً شعرية او اساطير شعرية . كلما زاد استخدامها اتسعت اعمالها وتمددت ابعادها . لقد ظل الشاعر الجاهلي بمغامرته الشعرية مولداً شعرياً يمدنا بالطاقة والحركة . حتى ونحن مبهتمون جداً عن طريقة نظمه . وعن قاموسه الشعري . واذا

انيق . يحيل حياته الى لوحة بارعة لها مطلع وليس لها نهاية . ذات ألوان ليس قوس قزح احلى ، وذات حياة ليست الطبيعة اكمل . حسناء عذراء . نحتت من مقالع الضوء في ساعات الصفاء الملمم ، عليها ثياب من سندس ، واستبرق يطوف بها ولدان مغلدون .

الانسان الجاهلي شاعر عانى الحياة رحلة بلا توقف . هو على صهوة جواده الذي احبه . وكان له صديقاً وفيّاً . فاقسم ان يخلده ومنحه الكثير . وامامه ناقته السدلول . وبعمرة السفينة ، يتهدجان على شوك البادية او رمال الصحراء . اليس صديقي في رحلته ؟ ويمر ظبي فقد اقترانه . اللهفة ملء قفزاته . والحنان ملء نظراته . والبحث عن امه او حبيبته ، شغفه في اشتراب عنتق اتلع لن ينحني . . اليس جديراً بهذا الشاعر ان يلتقط له صوراً عديدة في طريقه ، بعيد النظر فيها ويمنحها بالشعر حياة اخرى ؟ كان الشاعر الجاهلي في رحلته الشعرية ، سابحاً فوق الحسوسات والموصوفات يحط حيناً ويحلق حيناً . يختطف مشهداً خطف الطائر شربته انا ، ويقف وقفات قصارا ليتفحص المشهد الذي ينقله انا آخر ، ويلمح بين الحين والحين على التعمق في خطوط المشهد وجزيئاته . حتى اذا نقله وفرده بين يدي حبيبته الملهمة لا يترك لها مجالاً لسؤال عن جزء من اجزائه .

كانت الصورة في قصيدة صورتين ، صورة المشبه ، وصورة المشبه به . وكثيراً ما كان يمجو الفرق الزماني والمكاني بين المشبه به ليحتل الاثنان حيزين متكافئين في قصيدته . مضيفاً عليهما لمسات من روحه الشفافة وخياله - الخالي من التعقيد - وقليلاً ما كان يلجأ الى تصوير غير الرئي . لكان ذاكرته في رحلته كانت وعاء حشرت فيه اشبات من الصور . . ولم يبق فيها مكان الا لما يوجه قلب العاشق ، وتصور الفارس لباسه وشجاعته وكرمه وعفته وحفاظه على فضائله المثلى بالنسبة الى مجتمعه القبلي .

وكثيراً ما كانت صور الشاعر الجاهلي ملتصقة بذكرياته الماضية قريبا وبعيدها . وثناء التصوير يعن له ان يسرد قصة من قصصه الماضية . كرحلة صيد ، او رحلة حرب . او مغامرة مع الانسان المعبود حواء الخالدة .

الوصف اذن من طبيعة التركيب الاصيل للتجربة الشعرية في الصحراء . كانت الصورة في القصيدة المفاعل الشعري الذي يحتفظ توازنها . ويركز اجزاءها من جهة . وعن طريق الوصف كان الانسان الجاهلي يؤكد وجوده كناقل ومضيف ورابط بين الترحل بالحجل الشعري المدهش الريشة واللوحات .

ان احساسنا ساحراً اخذاً كان يلاحق الانسان الشاعر في تلك الفترة من تاريخه ان يحتفظ بأكبر قدر من الصور في محرابه الشعري العبق الموشى بزخرف الجمال والبراءة . وهو لهذا ماضن على شيء رآه في رحلته دونما احتفاظ بتوقيعه . من عزيف الجن في الصحراء الناتج عن اشتباك الريح بالرمل . حتى رسم الصورة الدقيقة لديبب الثمل في مفاصله بعسد احتساء الخمر . وشكل الحياة المنزلة امانه بكل ما فيها . حتى جبال الرمال التي يراها في بعض مناطق الجزيرة العربية . كانت تتحرك منزلة من مكانها . هو الذي املى عليه ان يكون الصور البارز الانامل . والدقيق الخطوط . والقوي الملاحظة . لكانه بمجموع ملكاته . عين ترى . وريشة ترسم . ليخرج عن هذا التلاحم البصري اللامي ضجيج موسيقى يكتمل كل يوم بل لدى كل شاعر .

مفرقا فيه ذاته الهادئة الخالية من المقد .

ابتعدنا عن صور الشاعر التي امدتنا بهذا المعين نجد أن حياة نفر من هؤلاء الشعراء وحكايا مقتلهم او معاركهم . فترة . امرؤ القيس . طرفة . الخنساء . ليلى . الاعشى . مسعود الحكماء . النابغة ... نجد ان حيواتهم . او سلوكياتهم . غدت ذخيرة للرمز في ادبنا . كلما اغرقنا بالرحيل الى المستقبل ، تبذرت لنا منها اساطير ملهمة ورموز شعرية .

اما حواء فطالما الهمت وفعلت وتفاعلت . واثرت في هذا الشعر العظيم . ان قارئ الجاهليين لا يزال يحتفظ باسماء لحواء ان تذكرها فرموزا . وان استخدمها فرموزا . وما كان الا من خلال التعاطف والحب . فكافة الهندسات النسوية التي خلفها الجاهليون حبيبة الى قلوبنا .

انتساءل لم كان هذا كله ؟

الجاهلي - الا في القليل النادر - لم تكن حواء بين يديه الا ملكا كريما في محراب الشعر . ولم يتناولها في ريشته الساحرة الشاعرة كما هي قط . المرأة لديه ملاذ . وبداية رحلة . وحضن دافئ ، وصنم مرمرى مقدس ، واله ملهم . ومحاور ومستفهم . ومستودع ذكريات . رسم كل شيء بالمرأة ابعد من عمقه ، واطهر من وضعه . واكثر شفافية من سماكته . لم يصور لنا الجاهليون امرأة شرسة نكدة . ولم يوصاوها الى جناح الشعر مثقلة بوظائفها المعسوبة - الا في حالات الهجاء القليلة - . وفي الغالب الاعم كانت مولدا شعريا لشاعرنا الفارس النبيل . ترحالها يلهمه ، ونظرتها تنطقه ، وهجرانها يفرد له المطلق من سراديب ذكرياته ، وهي بعيدة جدا عن تكوين الانسان البيولوجي ، فهل قرأنا لشاعر جاهلي دون ان نحفظ بهذه الصورة . ان المرأة وهي نائمة تنثر المسك والزعفران وكافة اصناف الطيوب . وان الانثى الجاهلية دائما عطرة ينضح من فمها الطيب . ودائما جميلة وساحرة وفتانة لكان الشاعر اليسها غلالة مسحورة لا يريد ان يراها الا من خلالها . وكان خياله الرسام يمدد بالكثير من الصور الخلابة المتدفقة بالسحر والجمال والصفاء والظهور . فالرسوم الطبيعية المنزعة من البيئة الجاهلية ، والتي رصف بها جسد حواء وجوارحها ، كانت كلها شبيهة الطعم ، لذينة المذاق ، محببة الى النفس ، لونا وشكلا وشذى .

عنى المرأة كجيد الغزال وشفانها كاوراق السود . وعينها كعيني البقرة الوحشية . تجمع بين سواد الليل ونقاء الفجر بسمتها نفريك دائما باستجداء اللذة . وحديثها يوحي اليك بطعم فمها الصلي واسنانها كاوراق الافخوان . وشعرها جدول من جداول الليل يتبهي المشط فيه . ونهداها جامدان متماسكان دائما . وبطنها قطعة من نسيج فضي امس . وهي دقيقة الخصر ايدا حتى لكانها قطعتان التحمنا بعنق دقيق . وكان يخشى الشاعر عليها من ان تنقص اثناء المسير . ولرفقتها لا تكاد تلامس قدمها الارض بل تكاد ترقص كالبحال . ويرق فارس كامريء القيس فيدعي ان النملة الصغيرة لو سارت على بشرتها لاذتها او جرحتها . واخشن ما عليها ان تستر به هذا الجمال الباذخ وهذه الرقة المفرطة ، الخضر . اما السوار والدمج والقرط فقد بثها الشاعر الروح ونفخ فيها فاذا هي تتحسس مواضع الجمال من هذا الجسد المثير . واذا اعتصر الشاعر ثوبا لاسي جسمها لقطر منه المسك والكافور والطيب . والاثر الاوحد الذي تفرزه جوارح المرأة هو دمعها . ولم يبخل الشاعر على هذا الاثر فأكسبه الكثير من الرونق .

والمرأة لا تبرح ذهن الشاعر الجاهلي . ولا تفارق خياله .

واننا نحس الان ان الجاهلي كان ينظر الى هذا المخلوق الساحر - المرأة - نظرة فيها الكثير من التقديس والتاليه والعتاء والخير . فهو اذا فرد ذكريات الامس يدخل حتى الى ذكرائه من خلال حواء ، واثار اقدامها وصورة هو دجها ، ووسوسة حليها ، ومن وراء نظراتها الداللة الهادئة . وكان التجربة الشعرية الجاهلية مرتبطة بالتكوين الانثوي الذي يذكر شاعرنا الجاهلي بسر مطلق من اسرار التوالد والبقاء . وعنصر الانوثة كان لديه او في غمرة شاعريته الفياضة الانبوب الذي يتدفق منه جدول الشعر الطيفي التركيب . وتركيزنا على هذه الخاصة جاء من الانحياز الوثيق الذي كان بين القصيدة وبين حواء . فدريد بن الصمة يرثي اخاه متوجعا متفجعا ولكنه يصل الى احزانه من خلال « ام معبد » . وزهير بن ابي سلمى ينشر حكمه التي حملت مثالية المجتمع الجاهلي . ويترك باب الحكمة في مقلته بيد « ام اوفى » وقيس بن الخطيم يسرد تاريخ حرب بين الاوس والخزرج اسرتي المدينة ، وهي الحرب المعروفة بيوم حاطب . وقيل وصوله الى صليل السيوف وقراع الكتاب والجيش الذي رآه موجا آتيا متراكبا ، وقيل الفخر في ذاته التي تقدم طائفة على السلم والحرب والحياة والموت جميعا . قبل كل ذلك يتقدم من بين يدي الحبيبة التي عرفها صغرة غرا ذات ثواب ، الى ان نمت وراها تحج وتنشر الفتنة في البيت الحرام . وليس هذا فقط انما هي من الرقة والرهافة والوضاء بحيث او بدا نصف وجهها فقط ، تبذرت لقيس كنصف الشمس . ونصفا الثاني نقشته سحابة . انظر اين المرأة لدى ابن الخطيم - الشمس - الفيم - البيت الحرام - منى - اترى هل اختار هذه الفواهر مجازفة وقذف بها المرأة ؟

على انه لا ينبغي ان يذهب بنا الفن الى اعتبار كل الشعر الجاهلي يتميز بهذه الخصائص الجمالية الباهرة . وجزء غير قليل من هذا الشعر لا يحمل من رونق التعبير ، وحسن المداخل ، ورواء التصوير ، ودقة التشبيه . واصابة النفس . وهناك مقطعات سردية مسطحة لا تصوير فيها ولا فن . وليست اكثر من مجرد كلام موقع على اعاريض الشعر . ويقع هذا الجانب ضمن الاراجيز . ثم في بعض المقطعات القصيرة التي نحس بارتجالها وطفوها على سطح الشعر . وكذلك نجد بعض الابيات تقع تحت هذا الصنف في القصائد الطوال الجياد . لكننا افحصنا اقحاما على العمل الفني . ومن يدري ان يكون من طبيعة النبت الطيب الكريم ، اتاحة الفرصة للاعشاب الخالية من نكهة الارض وبهاء السماء ان تنمو حوله ؟ وتحدثنا عن محراب الشعر الذي تحتل حواء مدخله ، باثر خلفته ، ونظرة اصابت بها ذاكرة الشاعر ، وهودج رآه ينمايل من بعيد مخلفا لديه الحسرة والاسى . وكثير من القصائد الجاهلية وصلتنا ناقصة المطالع ، ولم يعد يخفي على عربي مدى ما تعرض له الشعر الجاهلي من نسيان وضياع وحذف وانتحال . ولا ادل على ذلك من وجود قصائد يتيمة في كتب الادب القديم ، وابيات مفردة . واسماء بلا شعر . وتعرفنا - عن طريق التدقيق - بين الجيد من هذا الشعر العظيم الذي حمل بين طياته مفامرة التجربة ، وصدق المعاناة ، وحرارة الجهد المبذول وبين قليله الذي يعتمد على الود اللغوي . هذه التفرقة تؤكد لنا ما كان يبذله اسلافنا الجاهليون من جهد وحرارة وداب وسهر على اخراج هذه الروائع الخالدة . فمنهم من نوه بالجهد والسهر كما فعل زهير واصحابه . ومنهم من لم ينوه به . بل يشا اطلاق الجاهليين على اسرار التكوين ، والموادات الجينية سواء كانت على الجلود والعظام او على دفتن الذاكرة .

ومن هذه الناحية اراني وبكل جراءة ارفض الرفض المطلق المدارس الشعرية في العصر الجاهلي ، واستبدالها بالافراد الشعراء ، ولكل واحد من اولئك الخالدين كان له نهجه الشخصي الخاص في معاناته الشعرية . دون ان يفصل عن بيئته التي طالما احبها واوجد لها الفضائل والاستمرار .

والعانة . والجهد المبذول في اخراج تلك الروائع ، يدفعاني وعلى استحياء وخجل ان افق مشدوها مبهوتا امام الورطة الرهيبة التي تورط بها الجاحظ . الفكر المتقف المجدد ، عندما اعتبر ان كل شيء للعرب بديهة وارتجالا - بما في ذلك الشعر - ولم يكلف نفسه عناء البحث والتحصيل في اعماق العصر الجاهلي فاعتبر ان الشعر « حديث الميلاد صغير السن . اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة ... » وهذه الاقوال التي ارتجلها الجاحظ لا تستقيم بالتأكيد مع طبيعة الشعر كفن صعب . ولا مع طبيعة الفن من حيث نشأته وطفولته والمراحل التي مر بها حتى وصل الى هذه الدرجة المدهشة عند من قرأنا لهم من فحول الشعر الجاهلي - المتأخرين - زنيا .

متى توقفت التجربة الجاهلية ؟

تري من هو الانسان الفنان ، الذي نستطيع اعتباره خاتمة للشعراء الجاهليين ؟ مدارات الزمن الغابر ؟ والى متى استمرت التجربة الشعرية الجاهلية في النمو . وكيف حدث التحول ؟

اطلق على الفترة الزمنية التي سبقت نزول القرآن . والتي تضرب عمقا الى حدود المئتي سنة بالعصر الجاهلي . واما الفترة التي قبلها فهي فترة غامضة لم يخلف لنا اهلها شيئا من شعرهم او ان الرواية في الشعر العربي تقف عندها فقط . ونعلم ان الانسان العربي الذي عاصر هذه الفترة الممتدة من نزول القرآن وانتشاره الى ما قبل القرن السادس للميلاد . كان يتمتع بخصائص معينة يتقارب فيها ابن الجزيرة ، وابن الشام وابن العراق . وهي البيئات التي انتشر الشعر فيها ، او هي البيئات التي كانت مسرحا لتجربتنا الشعرية الناضجة . من هذه الخصائص اعتماد الانسان بذاته . ذوده عن شرفه . حبه للضيف . كرمه . حبه للمرأة واعتبارها مخلوقا غامضا - كما رأينا في شعره - تزجية وقته بين الرعي والصيد وشرب الخمر . الاسراف في الحب . الاسراف في الكره ، الخاصتان اللتان نتج عنهما في كثير من الاحيان حساسية متحفزة تنزلق الى السفه والطيش . وفخره في الموت فقسا على اسنة الرماح .

ونلاحظ ان كل هذه الخصائص انعكست بشكل - مثالي - في شعره الجيد . حتى ليستطيع قارئ هذا الشعر ان يرسم صورة دقيقة واضحة لذلك الانسان من خلال اثره الادبي الذي طالما اعتز به ومنحه الكثير من ذاته .

فقارئ شعر الصعاليك لا تقيب عن ادراكه صورة الصعلوك الذي اطلع على التوزيع السيء للثروة الجاهلية . فثار وتورد وضاع هدفه النبيل امام سرعة غضبه واختلاط الامور عليه فانقلب الى لص يبعد قليلا او كثير عن غايته الانسانية السامية .

وقارئ شعر طرفة ، ينهض امام بصره ذلك الانسان المتمرد اللامبالي واللامنتهي . والذي ادرك عبثية الحياة فعكف على شرب الخمر . ومعارفة اللذة بين ذراعي المرأة . ووجد لعبة وجود المجهول في القامرة عن طريق القداح .

وقارئ شعر عنترة يلمس روح الانسان الشغافة . وعاطفته النبيلة وعفته المتعالية . وجهه الذي لا حدود له . وشجاعته التي تفوق الاساطير . وقارئ شعر اي واحد من هؤلاء النابغة ، زهير . الاعشى . لبيد . يرى بوضوح مجموعة من القيم حرص الشاعر العربي الجاهلي على تمييزها وصقلها ورفعها الى مدارج الكمال . حتى خاصة القوة ، فلسفها زهير في مغلته الى جانب ايمانه بالسماحة . والكرم . والحب . والاستسلام للقدر المجهول .

اذن هؤلاء وغيرهم كثير . خلفوا لنا قيما كانت براهم هي الانسان الفاضل في العالم . ولو قمنا بتلخيصها او بايجاد مفردات لها لكانت او كان معظمها على الشكل التالي .

الكرم - التسامح - البحث عن اللذة - الاخذ بالثار - حب القتال - تفضيل الموت قتلا - عدم الايمان بالبعث - الشجاعة - النجدة - الاحساس بالرحيل -

وكل هذه الخصائص استخلصناها من الشعر نفسه . وهنا نسأل اين يقف او ينتهي الانسان الشاعر الذي الح على ابرز هذه الخصائص وتنميتها ؟ والجواب بالجزم عندما تتوقف في شعره . او تمحى لتحل محلها قيم اخرى جديدة او بمعنى ادق عندما يعثر على فلسفة خاصة في الحياة ، فتتحول مفاهيمه بشكل جذري .

اما اذا استمر بتنميتها وتهذيبها وابرزها كمثل اعلى للانسان المتكامل ، فليس ما يدفعنا على الاطلاق الى اعتباره توقف او نصب .

نهض محمد (ص) في اعماق الجزيرة العربية وبين يديه قيم تختلف كثيرا عما ألف الانسان الجاهلي ، من ابرؤها ، تعزيز التشكيل القبلي . تحطيم الشخصية المفردة . وهاتان الخاصتان كانتا جزءين هامين في وجود المجتمع الجاهلي . وكان عليهما من جهة اخرى ان يضيف الى كيانه قيما جديدة كل الجدة . ولان انشاء الكيان الانساني لم يكن يتم بهذه السهولة وهذا اليسر ، كان من الطبيعي والمألوف ان يظل الانسان العربي متعلقا بانسانه الماضي لصيقا به مهما حاول الفكك من اسره والتخلص من ربقته .

والآبيات الاولى المكية . كانت بمثابة ناقوس الخطر المرعب الذي اعقبه الصراع العنيف بين انسانين يؤمن بعالم الروح ، وتفتح على فضائل انسانية كريمة . وانسان يدور في فلك القبيلة وحول محور الذات . ولم يكن الشعر بعيدا عن تلك المعركة الحاسمة في تجلير الانسان وتغييره . - الانسان العربي بوجه خاص . الذي عنى بهذا الشعر ونمائه - .

القرآن كتاب جديد . ولغة جديدة . وفكر جديد تتدفق البلاغة من آياته كأنها الامواج . قرأ الانسان الجاهلي بعضه ورسم صورتين اثنتين له . صورة شعر لم يالفه . وصورة من صور البلاغة الشاهقة . انت على يناه البلاغي فامسى قزما . وعليه ان يختار وكيف يختار ؟ هل يتخلى عن الشعر ؟ وهل تظل للشعر قيمته ويقل له كيانه الشاقق بعد « طه .. » ما ازلنا عليك القرآن لتشقى ؟ « ودوت في مسامع الانسان الجاهلي صور لم يكن قد ألفها لا في قلب الصحراء ولا بين سلاسل الجبال . وهضاب الارض من حول الجزيرة . صور عن عالم اسمه : الجنة تجري من تحتها الانهار . وسرح بخياله في هذا العالم المنقى المصفى . ليرى فيه حواء اكثر صفاء مما رسمها ، واتم حسنا مما صورها . واحب اليه مما ارادها او ألفها . سمع بالغيبرات الحصان . حور : مقصورات في الخيام . وسمع كلاما كانه البرق

يعصف به يستحثه ليرى اناسا آمنوا بالآخرة . وحق الوعد . ونالوا ما أملوا . وراهم متكئين على رفرف خضر وعيقري حسان . في جنة ذات فاكهة ونخل ورمان . سميع بالؤلؤ والمرجان . وانهار من غسل مصفى . وكانات اجسامها من نور . ودنيا من العذاب فيها ماء من يحوم . وشجر من زقوم . ومرت امامه صور من اقوام غابرة ، وحضارات دائرة . وعصور دائرة . وسمع قصصا مفصلا عن عدد لا يحصى من الانبياء . واذا به في عالم كانه الحلم يعصف به عصفاً .

وتتصدع الابنية الجاهلية التي اثرها واحيها وصرف لها بناءه الشعري كله . ويتصدع بهذا التصدع الشعر انذاك الى اقسام . او قل يتقسم الشعراء انذاك الى اقسام .

اما قسم منهم فظلوا على ما هم عليه يطوون الشعر ضمن خصائصه الاولى . وقد امتد الشعر بين ايديهم الى ان تماثلت الفكر الاسلامي وغرس تياره في الانسان الجديد . مضافا اليه الثقافات الانسانية الكبرى التي ترعرت من جديد في غسر اوطانها . من فارسية ويونانية ورومانية . وهندية . ونعلم انها لم تنصب فجأة في الارض العربية ، وقسم من الشعراء استجابوا بسرعة مذهلة للفكر الاسلامي الجديد وكانت قراءتهم للقرآن . وصحبتهم لعمد «ص» بمثابة شرارات حركت تلك الطاقات المكتوزة في اعماقهم والتي تدل على استجابة الانسان العربي للتجديد والتطوير . وحبه للانطلاق الفكري . وهذا ما اثبتته الانفجارات الفكرية التي رافقت العصر المباني .

وقسم منهم استجاب للدعوة دون ان يدخل شعره ممركتها . وهذا ما نخالف فيه معظم الذين ارخوا لادبنا .

وقسم رابع اقام بينه وبين الشعر سدا . واختار موقف التخلي عن هذا الطفل الاسطوري . ليتفرغ نهائيا الى اللوبان في ماء القرآن وفصاحة محمد .

ولاني ما قصدت التاريخ للشعر في هذا الحديث اكتفي بالتقسيم الذي اراتيه دون الغوص فيه . حتى لا اخرج عن الغرض . الا ان من يقرأ على سبيل المثال يائييه مالك بن الربيع . تلك القصيدة الاسطورة التي عرفت بعد نزول القرآن بعشرات السنين هل يرى فيها اي اثر للاسلام ؟ وهل يرى فيها اكثر من البناء الشعري الجاهلي بكل عباراته وموسيقاه وصوره وتشبيهاته ومعاناته ؟ بل هل يستطيع ان يرسم من خلال قراءتها اكثر من صورة الانسان الجاهلي الذي حددنا له خصائصه الفكرية والجمالية في شعره ؟

ومن يقرأ شعر متمم بن نويرة - وهذا صحابي - وقصة مقتل اخيه مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد مشهورة . ومراثيه التي انشدها بين يدي ابي بكر مشهورة ايضا . هل يرى في هذا الشعر غير البناء الشعري الجاهلي بكل قيمه وخصائصه ؟ وان هذه المراثية التي تقع في الفر الجياد السامقات

من قصائدنا الخالدة . قطعة من النار تنصب حمما . فيها فخر الجاهلي بسيفه وخمره . وكرمه وقماره . وغربته امام ظاهرة الموت . ولاخيه مالك شعر لا يقل روعة عن شعره . ومن يقرأ شعر عبدالله بن عنمة الضبي وهو صحابي شهد فتح القادسية وشارك فيها ، هل يستطيع ادراج شعره الا في الديوان الجاهلي ؟

ومن يقرأ شعر المرار بن منقذ . وهو اسلامي عاصر جرير وبينهما مهاجاة . بماذا يقتنع بعد قراءة شعره حتى يدرجه تحت اسماء الشعراء الذين غزا الاسلام شعرهم واثروا فيه . وقد رويت له واحدة من غرره في المفضليات تصح ان تكون انموذجا مثاليا للشعر الجاهلي .

ساقصر على ذكر هذه الاسماء وهي كثيرة جدا وجاء تصنيفها في سجل الشعر الاسلامي تاريخيا فقط . معنى هذا ان الشعر الجاهلي ظل متفكلا الى ما بعد سقوط العرش الاموي . واذا كنا نتحدث عن الشعر الجاهلي وخصائصه علينا ان لا نغف ابدا عند نزول القرآن لنقصر شعرنا الجاهلي على الفترة الزمنية السابقة لنزوله . بل علينا ان نتفكلا مائة سنة اخرى على الاقل ونجمع قسما كبيرا من القصائد المتكاملة ونعتبرها شعرا جاهليا بكل خصائصه .

وهذا القسم من شعرنا الذي اصطلح على تسميته شعرا جاهليا يشمل نتاج الشعراء الذين لم يثأروا بالاسلام لا من بعيد ولا من قريب . ونتاج الشعراء الذين اسلموا دون ان يطوعوا شعرهم لمفهوم الفكر الاسلامي .

حدثنا رواة ومؤرخون . ان رجلا طلب من لبيد بن ربيعة كتابة قصيدة من شعره فكتب له سورة البقرة . وقال . استبدلني الله الشعر بهذا .

وهذه القصة تدلنا على قسم من الشعراء بهرم القرآن بلفته . وشدهم الاسلام الى حومته فتخلوا عن كتابة الشعر .

والكميت بن زيد الاسدي يمثل احد عابرة شعرنا الذين كان القرآن شرارة فجرت فيهم طاقات هائلة من الشعر . فهو شاعر في جاهليته . وشاعر في هاشميته . وشاعر في كل ما كتب . وحسان بن ثابت يمثل جانبا من الشعراء الذين لم يتمثلوا الفكر الاسلامي ويمانقوا الشعر من خلاله . وملاحظة الاصمعي على شعره ذات قيمة عظمى في ان شعره سقط في الاسلام .

اذن نافذة الشعر الجاهلي ظلت مفتوحة للتجارب الخصبة زمنا طويلا بعد الاسلام . وعندما اقول الشعر الجاهلي اعني فترة تمتد من قبل نزول القرآن بمائة وخمسين عاما الى ما بعد نزول القرآن بمائة عام تقريبا ولكنها لا تشمل شعرنا كله .

الهيثم بن عدي

بقلم

هادي حسين حمود

اما امه فكانت من سبي منبج (٤) . وقد ولد الهيثم في الكوفة ، ونشأ فيها ، ثم انتقل الى بغداد وحدث بها ، وقد اخص بمجالسة خلفاء بني العباس مثل النصور والمهدي والهادي والرشيدي وروى عنهم (٥) . وقيل ، وقد تكون هذه تهمة ، انه كان على رأي الخوارج (٦) . كما كان له علم واشتغال بالحديث النبوي (٧) . وفي بغداد حدثت له حادثة مهمة ، وهي ان بني العارث بن كعب صاهروه ، والظاهر ان العلاقات لم تكن حسنة بينه وبينهم فاتهمه هؤلاء بانه كان قد تحدث بشيء غير حسن عن العباس بن عبدالمطلب جد العباسيين ، وشكوه الى الخليفة الرشيد ، فحبس لعدة سنوات ولم يزل القوم به حتى طلق زوجته (٨) . وكان للهيثم بن عدي مجلس علم في بغداد يجتمع فيه طلاب العلم والعرفه ويتدارسون على الهيثم ، وقد حضر هذا المجلس مرة في المرات الشاعر الشهير ابو نؤاس فلم يجد عناية من الهيثم او ربما كان الهيثم لا يعرف هذا الشاعر ، فترك ابو نؤاس المجلس غاضبا ، فلما عرف الهيثم بالامر اسرع يعتذر من ابي نؤاس الذي كان قد نظم شعرا في هجائه (٩) . والظاهر ان الهيثم لم يكن شخصا محبوبا في بغداد ، لان حب الاستطلاع لديه كان كثيرا . وكانت رغبته في جمع الاخبار تصل به الى حد التجسس على الناس ، ومحاولة معرفة كثير من اسرارهم الخاصة وعيوبهم الشخصية .. وكان الهيثم يروي تلك الاخبار على وجوها وبشيع ما كنوا ، فكرهه الناس من اجل ذلك ، ووشوا به الى الولاة ، واغروا به الشعراء فواسعوه هجوا ... » (١٠) .

توفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧ هـ بقم الصلح عند الحسن بن سهل (١١) . وقد بلغ من العمر ٧٣ سنة . هذا مجمل ما نتحدث به المؤرخون عن الهيثم اما علاقته بأولي الامر فالظاهر

« تعتبر دراسة المؤرخين الاوائل للتاريخ الاسلامي مهمة جدا ، وذلك لاعتماد جمهور المؤرخين الذين جاءوا من بعدهم عليهم من جهة ، ولضيق اثار هؤلاء المؤرخين من جهة اخرى بسبب عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا . اما ما عرفناه عن هؤلاء ومؤلفاتهم فلا تتمدى النصف القليلة التي وردت في مصنفات الآخرين الذين جاءوا من بعدهم . وعلى هذا الاساس فان دراسة هؤلاء المؤرخين تعتبر شاقة ، ذلك لاننا نستطيع تقييم المؤرخ صاحب التصانيف الموجودة المنتشرة من خلال دراسة مؤلفاته . اما المؤرخ الذي فقدت آثاره فنحن لا نستطيع تقييمه بصورة صحيحة وعندئذ نضطر الى دراسة النصف الباقية من مؤلفاته تلك التي وردت عند غيره من المؤرخين الذين اخلوا عنه » (١) . ومهما يقال عن مثل هذه الدراسات التي قد تتصف بعدم الاحاطة والشمول ، فهي في اعتقادي الطريقة الوحيدة الممكنة في الوقت الحاضر لدراسة مثل هؤلاء المؤرخين .

سنحاول في هذه الدراسة القصيرة للهيثم بن عدي ، ان نتعرف على حياته ومؤلفاته ، ومدى مساهمته في تدوين التاريخ الاسلامي ، كما اننا سندرس طريقة بحثه في هذا التاريخ وذلك من خلال النصوص الباقية له في المؤلفات التي اخذت منه ولا سيما في تاريخ الطبري . وهذه النصوص الباقية هي من اقله يمكن لا يسمح للباحث ان يكون صورة واضحة نهائية عنه من خلالها من ناحية الاسلوب او العرض . وعلى كل حال فمن هو الهيثم بن عدي ؟ ومن هم اسانده ؟ وما مدى استفادة المؤرخين منه ؟ وما هي كتبه ومؤلفاته ؟ وما هو منهجه في البحث التاريخي ؟ تلك امور سأنتحدث عنها في هذه المقالة ، وانا مشدود الى مصادر القليلة عنه .

ولد الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي في الكوفة في او قبيل سنة ١٣ هـ (٢) . وابوه عدي « ... صحيح النسب من طي ، من نمل ، وكان نازلا بواسط من خير الناس » (٣)

- (١) قلت ذلك في حديثي عن « ابي محنف » و « المدائني » المنشورين في مجلة البلاغ عددي (نيسان ١٩٦٩) ، و (كانون الثاني ١٩٧١) .
- (٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ١٥٨ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٩ ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص ٣٠٤ .
- (٣) القفطي ، انباء الرواة على انباء النحاة ، ج ٣ ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص ٣٦٥ .

- (٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ٥١ .
- (٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .
- (٦) ابن قتيبة ، المعارف ، (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ص ٢٢٤ .
- (٧) القفطي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٨ .
- (٨) ياقوت ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٩) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
- (١٠) ادعم ، علي ، بعض مؤرخي الاسلام ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص ١٩ .
- (١١) ابن النديم ، الفهرست ، (القاهرة ، بدون تاريخ) ، ص ١٥١ . اما قم الصلح فهو نهر كبير فوق واسط

روى عن الهيثم كثير من العلماء لهم : العلاد بن موسى ،
ومحمد بن سعد صاحب الطبقات وكاتب الواقدي ، والقاسم بن
سعيد بن المسيب ، وعلي بن عمر الانصاري ، واحمد بن عبيد
بن ناصح وغيرهم (٢٠) .

مؤلفات الهيثم ومدى استفادة المؤرخين منها :

ذكر ياقوت الحموي (٢١) وابن النديم (٢٢) مؤلفات الهيثم
بن عدي حيثما ترجما لحياته . ويمكن تقسيم هذه المؤلفات
بحسب المواضيع التي تناولتها الى الاقسام التالية :

١ - الكتب التاريخية :

ويمكن ان ندرج من هذا النوع الكتب التالية :

تاريخ المعجم وبني امية ، اخبار زياد بن ابية ، الوفود ،
الصوائف ، الخوارج ، طبقات من روى عن النبي (ص) من
الصحابية ، الحسن بن علي ووفاته ، اخبار الفرس ، مقتل
خالد بن عبدالله القسري ، اما كتابه المسمى بـ « التاريخ على
السنين » فهو كما يرى روزنثال من المحاولات الاولى لتدوين
التاريخ الاسلامي على طريق الحوليات ، والتي سبق فيها الهيثم
المؤرخ الشهير الطبري في هذا المجال (٢٣) . ويقول الدوري ان
الهيثم اكد في هذا الكتاب على « ... فكرة وحدة تجارب
الامة » (٢٤) .

٢ - كتب المفاخرات والصراع القبلي والانساب واخبار القبائل :

تحت هذا العنوان ندرج الكتب التالية :

كتاب المثالب ، مدح اهل الشام ، حلف كلب وتميم وحلف
دهيل وحلف طي واسد ، المثالب الصغير ، المثالب الكبير ،
مثالب ربيعة ، تاريخ الاشراف الصغير ، بيوتات العرب ، بيوتات
قريش ، اخبار طي ونزولها الجبلين ، فخر اهل الكوفة على اهل
البصرة ، مداعي اهل الشام ، اما كتابه المسمى (كتاب الاشراف
الكبير) فيقول الدوري عنه انه يعبر « .. عن نظرة الارستقراطية
العربية الى مكانها في المجتمع الاسلامي ويعبر عن فكرة الوحدة
الثقافية في تاريخ العرب » (٥) .

٣ - كتب الخطط والبلدان والادارة :

وقد ألف الهيثم فيها الكتب التالية :

كتاب الدولة ، هبوط آدم واقتراق العرب في نزولها منازلها ،
نزول العرب بخراسان والسواد ، الجامع ، ولاية الكوفة ، شرط
الخلفاء ، قضاة الكوفة والبصرة ، عمال الشرط لامراء العراق ،

انها كانت سطحية ، ولا تظهر لنا النصوص التي بايدينا ما يفيد
بان الرجل كان مادحا للخلفاء الذين عاصروهم بالشكل الذي
يجعله يزيف التاريخ اكراما لهم ، وان كان الطبري قد روى عنه
قليلا من اخبار الخليفة المنصور فيها شيء من المدح .

شيوخ الهيثم :

تلمذ الهيثم بن عدي على جماعة من علماء عصره منهم
هشام بن عروة ومحمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية
ومجالد بن سميد ومحمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى وسعيد
بن ابي عروبة وشعبة بن الحجاج وعبدالله بن عياش وعوانة
بن الحكم (١٢) . وما دامت النصوص التي بايدينا من مرويات
الهيثم تأتي عن طريق ثلاثة من هؤلاء الرواة وهم : مجالد بن
سعيد وعبدالله بن عياش وعوانة بن الحكم ، سنحاول ان نتعرف
على قيمة اختصاصات هؤلاء وما اخذه الهيثم عنهم .

اما عوانة بن الحكم فهو « .. من علماء الكوفة راوية
للاخبار عالما بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً ... » (١٣)
وقد ظهر هذا « .. قبل شيوع الكتب المدونة ... » (١٤) واذا
ما عرفنا ان عوانة هذا قد توفي سنة ١٧هـ (١٥) ، يتضح
لنا ان الهيثم اخذ عنه وهو في بداية مراحل الدراسة الاولى
ولربما في الكوفة .

اما مجالد بن سميد فكان الهيثم « ... يروي عنه ويكثر
وكان راوية للاخبار وقد سمع الحديث وكان ضميماً عند المحدثين
وتوفي سنة اربع واربعين ومائة . » (١٦) و « كان نسباً والاعقاب
عليه رواية الاخبار ... » (١٧) والظاهر انه كان من اوائل شيوخ
الهيثم ايضا . اما عبدالله بن عياش المعروف بالمتوف الهمداني
فكان « ... صاحب رواية للاخبار ، والاداب ، وكان من صحابة
ابي جعفر المنصور ... » (١٨) والظاهر انه كان جريئاً في كلامه
حتى مع المنصور ، توفي سنة ١٥٨هـ وحدث عن عامر بن
شراحيل الشعبي (١٩) .

يتضح لنا من هذا العرض البسيط لشيوخ الهيثم انه
اعتمد في مروياته على رجال عرفوا برواية الاخبار والاشعار
والنسب وقد اشتهروا في ذلك الاختصاص . هذا من جهة ،
واما من جهة اخرى فان وفيات هؤلاء في السنين الاولى من
تكوين الهيثم الثقافي يبين لنا انه ربما اعتمد في مسائل قد
لا تأتي بالدرجة الاولى بالنسبة لما رواه عن غيرهم ولو اننا لا
نستطيع اثبات او نفي ذلك لفقدان اثار الهيثم في الوقت الحاضر .
هذا ومن الصعب ان نتحدث عن بقية شيوخ الهيثم ، لاننا بصدد
دراسة النصوص المتوفرة لدينا حالياً والتي جاءت عن طريق
الشيوخ الذين ذكرناهم آنفاً .

(١٢) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٠-٥١

(١٣) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٤٠

(١٤) مرفوليوت ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور
حسين نصار ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ٩٧

(١٥) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٤٠

(١٦) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ١٣٩

(١٧) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤

(١٨) الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ١٥

(١٩) الخطيب ، ج ١ ، ص ١٣

(٢٠) الخطيب ، ج ١٤ ، ص ١٥

(٢١) معجم الادباء ، ج ١٩ ، ص ٣٠٩-٣١٠

(٢٢) الفهرست ، ص ١٥١-١٥٢

(٢٣) روزنثال ، قرآن ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة
الدكتور صالح احمد العلي ، (بغداد ، ١٩٦٣) ،
ص ١٠٤-١٠٥

(٢٤) الدوري ، عبدالعزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عند
العرب ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص ١٣٤

(٢٥) الدوري ، نفس المصدر ، ص ١٣٤

اما كتابه المعروف باسم خطط الكوفة فقد اهتم فيه بالشؤون الحلية كما يقول الدوري (٢٦) .

٤ - كتب مختلفة :

وهي كتب متنوعة المواضيع عالج فيها الهيثم بعض المسائل في التاريخ العربي والإسلامي ويمكن ان ندرج منها ما يلي :

المعبرين ، النوافل ، من تزوج من الموالي من العرب ، اسماء بغايا قريش في الجاهلية واسماء من ولدن ، النكد ، تسمية الفقهاء والمحدثين ، منتخل الجواهر ، المعبر ، خطب المفسر بمكة والمدينة . خواتيم الخلفاء .

هذا ويمكن ملاحظة ما يلي على هذه المؤلفات :

١ - ان هذه الكتب ، في اعتقادي ، ما هي الا كرايس صغيرة تناولت موضوعات تاريخية ذات وحدة موضوعية قائمة بذاتها ، وهي لا ترقى ، بأي حال من الاحوال ، الى مرتبة الكتب الضخمة التي الفت فيما بعد . واذا جاز لنا ان نجعل الهيثم من طبقة المدائني مثلا ، فيمكن القول ان مؤلفات هذه الطبقة كانت لمساعدة الذاكرة وعدم النسيان ، وليست هي مؤلفات بالمعنى الصحيح (٢٧) .

٢ - ان مؤلفات الهيثم هذه مفقودة كلها عدا كتاب المالك الموجود في مكتبه كرنكو (٢٨) .

٣ - يذكر بروكلمان (٢٩) ان الهيثم الف بسبب تنافس القبائل وصراعها ، وفي هذا القول شيء من التعميم غير الصحيح اذ ان كثيرا من هذه المؤلفات كانت تنطوي على مواضيع تاريخية لا علاقة لها بصراع القبائل ، وان كان جزءا منها قد مثل هذه الناحية .

٤ - استفاد كثير من المؤرخين من مؤلفات الهيثم ، ومن هؤلاء الطبري والبلاذري والسعودي ووكيع وابن قتيبة في كتابه « عيون الاخبار » وغيرهم .

فالطبري اخذ عن الهيثم اخبار هشام بن عبد الملك وخالد القسري وثورة زيد بن علي ومقتله واحداث سنة ١٢٩هـ ، وخروج عبدالله بن علي على المنصور واحداث سنة ١٣٧هـ وقدم ابي مسلم الخراساني على السفاح و وفاة السفاح ، وبناء بغداد وغيرها (٣٠) . كما كان الهيثم مصدرا مهما للطبري في احاديثه عن عصر الخليفة المنصور بشكل واسع وكبير (٣١) .

وقد استفاد البلاذري من الهيثم في كتابه «فتوح البلدان» ، فذكر عنه اخبار البصرة ، وفتح شراجيل ابن حسنة الاردن ، ومصالحة المسلمين اهل دمشق ، وفتح وادارة المسلمين للمدائن ،

(٢٦) الدوري ، نفس المصدر ، ص ٤١

(٢٧) مرغوليوث ، المصدر السابق ، ص ٩٩

(٢٨) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج ٣ ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٣٣-٤

(٢٩) بروكلمان ، نفس المصدر ، ص ٣٤

(٣٠) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، (القاهرة ، ١٩٦٦) صفحات : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ،

٢٥٥ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦١٥

(٣١) الطبري ج ٨ ، صفحات : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٧٦

وبعض اخبار سجستان واخبار الغوادج فيها ، وفتح بلاد الشاش ، واسكان قتيبة بن مسلم العرب في فرغانة والشاش (٣٢) . كما استفاد منه في الجزء الخامس من كتابه « انساب الاشراف » حيث روى عنه اخبار عبد الملك بن مروان والمختار ، وحرسة التوابين ، واخبار مصعب بن الزبير ومقتله وغيرها من الاحداث (٣٣) .

وقد اخذ المسعودي قليلا من مرويوات الهيثم حيث روى عنه بعض اخبار السفاح والمهدي وبني امية (٣٤) .

اما محمد بن خلف بن حيان المسمى « وكيع » فقد كان الهيثم مصدرا مهما له في اخباره عن قصة الكوفة (٣٥) وقد اورد ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد بعض الاخبار عن الهيثم (٣٦) . كما استفاد من الهيثم قليلا ابن قتيبة الدينوري في كتابه « عيون الاخبار » .

ان المتتبع لخبار وآراء الهيثم التي وردت في كتب التاريخ والادب يجدها كثيرة متفرقة في اجزاء كثيرة من الكتب ، ولكن السمة العامة لهذه الاخبار تكون عادة قصيرة وفي بعض الاحيان غير هامة .

واذا ما قورن الهيثم بن عدي مثلا بابي مخنف والمدائني وسيف بن عمر وغيرهم من رواة الطبري فلا تكون مرويواته شيئا مذكورا بالنسبة الى هؤلاء المؤرخين .

مناهج البحث عند الهيثم بن عدي :

قد يكون من التجوز بمكان ان نقول انه كان للهيثم مناهج بحث كما هو معروف في الدراسات التاريخية الحديثة . والذي نقصده هنا هو ايضاح طريقة الهيثم في عرض الاحداث التاريخية من ناحية الاعتماد على السند او عدمه ، او استخدام الشعر ، او الايات القرآنية ، او الوثائق او غيرها . وقبل التحدث عن هذه الامور لابد من التاكيد على ناحية هامة في هذا المجال ، وهي اسلوب الهيثم في الكتابة التاريخية .

ان الهيثم ليس هو الراوي الاصلي للاحداث التي وردت عنه ، وانما كان بينه وبين الاحداث التي كان يرويها اكثر من راو . هذا وقد استعمل طريقة الاخذ عن الرواة حتى في الاحداث المعاصرة له الامر الذي يجعل من الصعوبة حقا التعرف على اسلوب خاص للهيثم . واذا جاز لنا ان نستشف من هذه الروايات اسلوبا خاصا يمكن ان يميز الهيثم عن غيره فيمكن

(٣٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (بيروت ١٩٥٧) صفحات ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٢٩٠ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦

(٣٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، (القدس ، ١٩٣٦) صفحات : ١٣٦ ، ٢٢١ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٣٤٠

(٣٤) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، ج ٣ ، (القاهرة ، ١٩٤٨) صفحات : ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٣٣١

(٣٥) وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة ، ج ٢ ، (القاهرة ، ١٩٤٧) صفحات : ٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤-٢٢١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٨-٤١٣ .

(٣٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، (بغداد ، ١٩٦٧) صفحات : ١٥٨ ، ١٤٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٩

الاموية ، كما انه اهتم بالصدر الاول من تاريخ الدولة العباسية ولا سيما عصر المنصور .

سادسا : يذكر الدكتور الدوري ان الهيثم يجمع في دراساته بين الدراسة التاريخية ودراسة الانساب وذلك نتيجة وجهات نظر مختلفة في هذه الدراسات (٤٧) . وهذه ملاحظة لم نجدها في النصوص المتوفرة من روايات الهيثم .

سابعا : يذكر بروكلمان (٤٨) ان الهيثم كان يهتم فيما يرويه بصراع القبائل . وهذه ملاحظة صحيحة حيث ان الهيثم ألف كتابا في هذه المسائل ، وان كان قد ألف في مواضيع أخرى كما ذكرنا سابقا . وفي ايدينا بعض النصوص التي ربما تؤيد اتجاه الهيثم الى مسألة الصراع القبائلي ، فقد ذكر هو عن بعض الرواة قوله « ... كنت كثيرا ما اقول لأصحابي : اني أحسب هذا الرجل (خالد القسري) قد تخلي منه ، ان قريشا لا تحتل هذا او نحوه ، وهم اهل حسد ... » (٤٩) . وفي اخبار خالد القسري ايضا يروي الطبري نصوصا أخرى عن هذه المسائل القبلية كقول الوليد بن يزيد بعض الشعراء « يوبخ به اهل اليمن في تركهم نصره خالد بن عبدالله » (٥٠) والرواية منقولة هنا عن الهيثم . وفي نص آخر يورد الهيثم بن عدي رأي يوسف بن عمر ، وهو والي الكوفة الذي تولى امرها بعد خالد القسري ، الذي يبين فيه ان « ... بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا ، حتى كانت همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقتلوا بها حتى تافت انفسهم الى طلب الخلافة ... » (٥١) . هذه بعض النصوص التي ربما تعين على ايضاح اهتمام الرجل في ذلك الصراع القبلي العنيف ، والتي حفظت لنا في تاريخ الطبري مروية عن الهيثم .

تقييم مرويات الهيثم :

تحدث كثير من المؤرخين وعلماء الحديث عن قيمة مرويات الهيثم بن عدي ومدى صحتها . وسنحاول فيما يلي ان نبين اهم الآراء التي قيلت في هذا الرجل ، وفي مروياته ، محاولين ان نكون من خلال هذه الآراء صورة صادقة عنه .

اورد الخطيب البغدادي كثيرا من الاحاديث حول كذب الهيثم ، وعدم الوثوق في مروياته ، ولا سيما فيما يتعلق بالانساب والحديث ، ولكنه بين ان الهيثم كان عارفا باخبار الناس (٥٢) . وذكر الذهبي ايضا احاديث عن كذب الهيثم ، ونقل روايات عن البخاري والنسائي حول كذبه ، وبانه متروك الحديث ، كما اورد نصا عن احد العلماء قال فيه « ما اقل ما له (للهيثم) من المسند ، انما هو صاحب اخبار » . وقد علق الذهبي على هذه الاحاديث بقوله « كان اخباريا علامة » (٥٣) . وذكر ابن ابي حاتم الرازي مجموعة من الروايات عن كذب الهيثم ، وعدم

القول ان اغلب الروايات التي رواها كانت تأخذ شكل محاورات بين المشتركين في الاحداث التاريخية (٣٧) . كما ان اسلوب الهيثم في عرض الاحداث التاريخية كان قصيرا ، وكانت الروايات التي ترد عنه مختصرة بشكل عام (٣٨) . هذا من ناحية الاسلوب . اما من ناحية مناهج البحث الأخرى فيمكن ان تجمل ما يلي :

اولا : ان الهيثم بن عدي كان يستخدم السند في رواياته التاريخية ، وكانت اغلب الروايات ترد عن طريق الشيوخ الثلاثة الذين أخذ عنهم ، فهي اما ان تأتي عن طريق الهيثم عن مجالد ، عن الشعبي وتصل الى ابن عباس في بعض الأحيان (٣٩) . او تأتي عن طريق عبدالله بن عياش الهمداني (٤٠) . وقد تأتي عن طريق ابن الكلبي (٤١) ، وهي قليلة جدا . هذا وقد استخدم الهيثم احيانا قليلة اخبارا رواها من بعض اهل الكتاب (٤٢) . ولم يأخذ الهيثم عن شيخه عوانه بن الحكم الا قليلا من الروايات حسب ما توفر لدينا من النصوص الباقية (٤٣) . وعموما يمكن القول بان الرجل استخدم السند كثيرا ، الامر الذي يجعل من تهمه الدوري له في التساهل باستعمال السند (٤٤) لا تقوم على اساس واقعي .

ثانيا : وردت في تاريخ الطبري وغيره كثير من الروايات التي تحدث بها الهيثم مباشرة عن احداث تاريخية خاصة ، واغلب هذه الروايات كانت من الاحداث المعاصرة ، ولا سيما من عصر المنصور ، وحتى من عصور بعيدة عن عصر المؤلف (٤٥) .

ثالثا : استخدم الهيثم قليلا من الشعر في مروياته (٤٦) .

رابعا : لم يستخدم الهيثم ، وهو المؤرخ المعاصر لبعض الاحداث التي كان يرويها ، الوثائق ، كما انه لم يستعمل الآيات القرآنية المناسبة .

خامسا : اهتم الهيثم بصورة عامة في احداث الصراخ وخراسان في عصر عبدالملك ونورات العراقيين على الخلافة

(٢٧) انظر مثلا ، الطبري ، ج ٧ ، ص ١٥٢ ، ٣٤٩ ، ٦١٥ ، ج ٨ ، ص ٧٨ ، ٨٤ ، ١١٣-١٤ ، ١٧٦

(٣٨) يلاحظ ذلك في مروياته التي اوردها الطبري في الجزئين السابع والثامن من تاريخه ، وكذلك في عيون الاخبار لابن قتيبة ، وانساب الاشراف للبلاذري ، وغيرها من الكتب

(٣٩) انظر سبيل المثال ، الطبري ، ج ٢ ، ص ٣١٥ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ، ص ٣١١

(٤٠) تكاد تكون كافة الروايات التي وردت عن الهيثم في تاريخ الطبري والبلاذري في الانساب وابن قتيبة في عيون الاخبار مأخوذة عن شيخ الهيثم ابن عياش

(٤١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٩٠

(٤٢) محمد بن حبيب ، المجرب ، (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ، ص ٢ ، الطبري ، ج ٢ ، ص ٢٣٨

(٤٣) العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ١٤٠

(٤٤) الدوري ، المصدر السابق ، ص ٤٢-٤٣

(٤٥) الطبري ، ج ٧ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ج ٨ ، ١٠٢ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١١٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣

(٤٦) الطبري ، ج ٨ ، ص ٩٨ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ، ص ١٤٠

(٤٧) الدوري ، المصدر السابق ، ص ٤٢

(٤٨) تاريخ الادب العربي ، ج ٣ ، ص ٣٣

(٤٩) الطبري ، ج ٧ ، ص ١٥٢

(٥٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٤٣

(٥١) الطبري ، ج ٧ ، ص ٢٥٥

(٥٢) تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٥٢-٣

(٥٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القسم الرابع ، (القاهرة . بدون تاريخ) ، ص ٢٢٤

قصايا الاحاديث ، وامتدت هذه التهمة الى كتابات هؤلاء المؤرخين التاريخية .

لقد استفاد كسوف المؤرخين من روايات الهيثم ، وان كانت هذه الاستفادة قليلة ، فقد كان ، كما ذكرنا ، احد رواة الطبري . ومصدرا من مصادر البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » و « انساب الاشراف » ، كما اعتمده ابو حنيفة الدينوري في كتابه « الاخبار الطوال » ، كما اخذ عنه ابن قتيبة الذي كان يتشدد كثيرا في قبول الروايات . ولم يشر المسعودي في مقدمة كتابه « مروج الذهب » الى الهيثم حينما تحدث عن ضعاف المؤرخين (٦٠) .

هذه الامور وغيرها تؤكد مكانة الهيثم في الدراسات التاريخية ، وان كانت هذه المكانة لا تصل به الى مرتبة المدائني وابي محنف وابن الكلبي وغيرهم (٦١) . واذا كان لنا ان نقول شيئا عما اورده هذا المؤرخ عن الذين عاصروه ، الامر الذي قد يؤدي الى تحيزه لهم ، فيمكن القول بان ما رواه عنهم ما كان ليخالف بقية الروايات الاخرى المروية عن غيره عنهم .

وبعد :

فهل استطعنا ان نقيم الهيثم بن عدي حقا ؟

في اعتقادي ان الهيثم سوف لن يقيم بصورة صحيحة ما دامت مؤلفاته مفقودة ، ذلك لان النصوص الواردة عنه في تاريخ الطبري وغيره غير كافية لظهار ارائه ومناهجه بصورة واضحة ، اضافة الى انها لا ترد عنه مباشرة حيث ان بينها وبين راوي الحادثة المباشر اكثر من راو ، وعندئذ لا نستطيع ان نتعرف من خلالها - بصورة اكيده - على اسلوب الهيثم ولا على ارائه ونوازه السياسية والمذهبية ، وهي امور لابد من التعرف عليها وظهارها ونحن في مجال مثل هذه الدراسات النقدية . وما هذه الدراسة الا محاولة بسيطة للتعرف على بعض جهوده في مجال التاريخ .

(٦٠) مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٢-١٧

(٦١) درس كاتب هذه المقالة هؤلاء المؤرخين وكتب عنهم في اجزاء متعددة من مجلة البلاغ .

الثقة فيما يقول ، وقال ابن ابي حاتم انه سال والده عن الهيثم فقال له « متروك الحديث ... » (٥٤) . واورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان (٥٥) ، ولعل احدهما اخذ عن الاخر ، نصا بينا فيه ان الهيثم كان « راوية ، اخباريا ، نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولفاتها الكثير ... » (٥٦) . وقال ابن النديم في الهيثم « ... عالم بالشعر والاخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب ... » (٥٧) .

اذا نحن امام روايات مختلفة حول قيمة مرويات الرجل ، تمثل المجموعة الاولى منها ، وهي التي ترمي الهيثم بالكذب ، موقف رجال الحديث من الهيثم . ولو نظرنا الى بعض هذه الروايات لوجدناها لا تبخس الرجل حقه في مجال رواية الاخبار . اما المجموعة الثانية من هذه الروايات فهي اراء المؤرخين ، وقد بينت هذه الروايات قيمة الهيثم ومروياته في مجال التاريخ والانساب ووثقته فيهما لقد بين الاستاذ احمد زكي طبيعة هذه المشكلة حينما تحدث عن هشام الكلبي (٥٨) . فقال ان هشام ومن هم على شاكلته ، ومنهم الهيثم بن عدي في اعتقاد كاتب هذه المقالة ، قد « تعرضوا لرواية الاثار دون ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لاملأ الحديث ... » وهذا الامر هو الذي دعا رواة الحديث الى « ... الطغى على امثال اولئك المصنفين والتحذير من الاخذ باقوالهم » (٥٩) والظاهر ان هذه المشكلة قد ابتلى بها اكثرية المؤرخين الاوائل ومنهم هشام الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم .

لقد اتهم رجال الحديث مثل هؤلاء المؤرخين بالكذب في

(٥٤) الرازي ، ابن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج ٤ ، (حيدر آباد ، ١٩٥٣) ، ص ٨٥

(٥٥) معجم الادباء ، ج ١٩ ، ص ٢٠٤ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٧ .

(٥٦) اورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان هذا النص في كتابيهما مع فارق بسيط جدا

(٥٧) الفهرست ، ص ١٥١

(٥٨) مقدمة الاستاذ احمد زكي لكتاب « الاصنام » لابن الكلبي ،

(القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ١٣

(٥٩) نفس المصدر ، ص ١٣

علاقة المندائية بالعربية

بقلم

ادبية الخميس

عن الوثنيين وليظهروا تمسكهم واعتزازهم بالدين المسيحي (٤) .
وملة الصابئة لا تنتمي الى ملة المسيحيين او غيرها من الملل فهي
خاصة باصحابها بصرف النظر عن القرابة العائلية التي تربط
يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وكذلك تعاقبهما
على الرسالة السماوية مما يبعث على الظن بالتشابه واستمرار
المبادئ الدينية وهو ما لم يحصل ، والصفة التاريخية بقيت
كما هي لان كلا منهما سار على نهج خاص به ، وا قصد بالصفة
التاريخية ما اعتمدت عليه اوليات الدين المسيحي حينما عمد
يحيى المسيح وباركه وبشر به نبيا ومنقذا للبشرية من الظلم
والاستبداد ، فملة السريان مسيحية بحتة ولا علاقة للسريان
المسيحي بالدين الصابئي الذي يختلف عنه جملة وتفصيلا .

ولو فسرنا القول من وجهة اخرى كان يفترض ان الاراميين
كانوا يعتقدون ان آدم وبنيه منهم ، كما يوحي به النص
ويحتمله ، فهو قول اوحده لم يعزز بغيره او لم يقل احد - لا
قبل ابي الفداء ولا بعده - ان لسانهم بالسرياني لان كلمة السريان
ماخوذة من كلمة (سوريا) الارامية اي نصراني (٥) ، وان
الاراميين كما في المدونات الانبارية لم يكونوا اقدم الامم لان هناك
من سبقهم بالوجود والحضارة كالصيرين والسومريين والاكديين
والاشوريين والكنعانيين والحثيين ، وانهم خلافا لهذه الاقوام
جميعا كانوا بدوا اميين (٦) ، ولحد الان لم يهتد الى اصلهم
وكان تاريخهم بدا حينما هجروا موطنهم الجزيرة العربية
وظهروا على مسرح الاحداث في منطقة الهلال الخصيب حتى
ذاك التاريخ كانت دياناتهم السابقة مجهولة وكل ما قيل عنها
مخض افتراض (٧) . فان كان يقصد بالصابئة من كلامه السابق
معتنقي الوثنية فدونه جميع الاقوام القديمة التي كانت تدين
بها قبل مجيء الرسل والانبياء ، وليس الاراميون فقط ، ان
غرضنا من طرح المثال هو استطلاع رأي أحد مفكري العرب القدماء
حول لغة الديانات القديمة المشهورة انذاك وموقع اللغة الارامية
بينها ، فاذا تغلب الهوى على الاجداد فما احوجنا الى رأي
علمي مجرد يشترع الحقيقة وان كانت مبطنة باصعاب . فمن
هم الاراميون اذن ، وما هي لغتهم ؟ يؤكد المؤرخون ان الاراميين
قوم عرفوا في الهلال الخصيب لأول مرة اي عندما تعاقبوا عليه
في هجرات متتالية لا يعرف زمنها بالضبط ويعتقد انها كانت
بين القرنين الرابع عشر والثاني قبل الميلاد (٨) . وذلك عندما

لا يختلف اثنان حول سيطرة البيئة على اللغة المحكية وقد
اخذت مسلماتها ذريعة للتفاسي في البحث . فالكتب المحفوظة
ليست بمنأى عن الدخيل نظرا لحركة الاقتباس والنقل
والاستنساخ المقصود مقابل ذلك تنمو فعاليات غير مقصودة على
اصعدة مختلفة ، فما يجري بين الدول من تنافس وغزو على
المواقع العسكرية والسياسية يحصل بين اللغات ، وربما يحدث
العكس ، ولو تقبنا بين الكتب عن مدى الامتزاج بين اللغة العربية
واللغة الارامية او احد فروعها وهو ما نعتيه بهذه المقالة اي
اشتباك الارامية - المندائية بالعربية لما عثرنا على ادلة واضحة
تقرب للافهام الازدواج اللغوي الذي حدث بالفعل اثناء انتقال
السيادة من الارامية الى العربية ، وتبقى المسألة صامدة امام
اي فاتح لغوي لا يجيد الفوص في خفاياها ودقائقها ، وان
ما يدرج هنا مجرد هيكل يمكن المتابع للموضوع حسب خبرته ان يجد
في اطاره مكانا منطقيا يسهل له معرفة عموميات الظاهرة اذا ما
حاول دراستها

كان الاولون يفخرون بلغتهم الى حد المبالغة والتباهي
وصدرت عنهم احكام عاطفية بحتة ، وفي تصورهم ان الارامية
تبوات أعلى مكانة يمكن ان تبلغها لغة على وجه البسيطة ، وعلى
هذا الاساس الفوقي الواهي كتبوا فيها ، وعلى سبيل
الاستشهاد نورد قول ابي الفداء ونناقشه : « . . امة السريان
هي اقدم الامم وكلام آدم وبنيه بالسرياني ولتهم هي ملّة
الصابئين » (١) . وهكذا شان جميع علماء السامية والكتاب
الاوائل فهو يمثل شعور التعصب الذي كانوا يحملونه للغتهم حتى
جعلوها لغة آدم التي نطق بها ووجدوه قليلا بحقها ايضا فصارت
لغة آدم في الجنة ولغة السماء ولغة البشر بعد الموت (٢) .
ولعل ابا الفداء كان مؤيدا للكلام بخلافه لما دونه بالنص عن
احدهم ولم يدحضه بحجة ولربما تأثر برأي اليونانيين الذين
سموا اللغة العربية - ليست العربية الحالية - باللغة السريانية
خطا ، وهي اللغة التي كانت تتداولها الاقوام القديمة خاصة
تلك التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة ،
وهي لغة واحدة من اليمن الى مشارف العراق والشام وتخوم
فلسطين وسيناء (٣) . ولكنه غطى على التعميم بالتخصيص ،
وكما هو معروف ان لغات عديدة كانت تنصوي تحت جنح
السامية من بينها الارامية والعربية ، والسريانية تسمية
أعقبت دعوة المسيح اطلقها الكلدان والآثوريون (الاراميون
الذين كانوا يسكنون سوريا وفلسطين) على انفسهم ليشتملوا

- (٤) دليل الراغبين في لغة الاراميين (الموصل ١٩٠٠) ص ٩-١١ .
- (٥) نفس المصدر السابق .
- (٦) مجلة سومر ١٩ (بغداد ١٩٦٢) ص ١٢٢ .
- (٧) نفس المصدر السابق ص ١٤٧ .
- (٨) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح (بيروت ١٩٦٨) ص ٥١ .

- (١) المختصر في اخبار البشر لابي الفداء (مصر ١٣٢٥) ص ٨١ .
- (٢) اللسان العربي (الرباط ١٩٧٢) ج ٩ / الجزء الاول ، ص ٧٠ .
- (٣) نفس المصدر السابق .

عظم القحط الجزيرة العربية فهربوا منها طلبا لحياة أكثر رخاء ووجدوا في موطنهم الجديد ما افتقدوه هناك لكنهم اخطأوا الموقع والسياسة الداخلية ، اذ اختاروا بقعة أرض تقع على طريق الفتوحات فكانت مطمح الدول المجاورة الطامعة في الاستيلاء عليها ، وما لبثت الاطراف المتحاربة تثير الفتن والثورات ثم وجدت قواها ضدهم ، وكانت تتحين الفرص وترقب السوانح للاطاحة بهم ، واخيرا شكلت طوقا محكما حولهم من جميع الجهات ، وما كان لهذه الدولة المزقة ذات الامارات المتنافرة الا ان تسقط ، فالاراميون على ذكائهم وبراعتهم في العلوم والتجارة كانوا يجهلون لعبة السياسة وقد أدت وطأة الحروب الى زعزعة كياناتهم واستهلكت قواهم التي كانت في حالة استنزاف داخلي لتفرقهم وفشلهم المتواصل في تكوين دولة موحدة قوية مستعدة لصد الاعداء ومحقق الطامعين ، فرجحت كفة الطرف الآخر وازالوهم من الحكم ، ولم يحالفهم السعد أكثر من أربعة او خمسة قرون (٩) ، استطاعوا خلالها ان يؤثروا في المنطقة وينشئوا نهضة ثقافية استهدفت العلوم اليونانية الناصجة لتحرهم في لغة اهلها ، فكانت معينا علميا كبيرا فقد قلبت الاوضاع لصالح المعارف الجديدة وانتشارها لسنوات عديدة ، ولا زالت لحد الان تحظى بالتقدير والاهتمام وتعد للبيئة الاولى للعلوم الحديثة . اما لغتهم فقد رفعت هامتها على منطقة شاسعة وكانت اللغة الوحيدة المرفوعة والمتداولة . وكما خبا نجمهم السياسي تضاعف المد اللغوي تدريجيا بعد الفتح الاسلامي وفرض العربية لغة دين ودنيا ، وبقي للارامية المخلفات الثقافية المترجمات ، وبعد ان استأثرت العربية بالسلطان وجاءتها العلوم اليونانية متكاملة ترجمت الى العربية دون جهد كبير اعتمادا على الاصول السامية المشتركة .

من المناسب ان نذكر ان الارامية لم تسلم من التداخل اللغوي فاندفعت بعض لهجاتها نحو اليونانية كالسريانية مثلا ، واخرى واجهت التيار تحتفظ شديد ساعدها على هذا السلوك الحصار الديني الذي تمنطقت به وفرصته على نفسها او فرصته الظروف عليها ، كالفئات الدينية الصغيرة التي انطوت وتكورت على ذاتها خشية التشتت والضياح حيث عالم النسيان ، وكان خوفها المشروع على قيمها يدفعها الى المزيد من التكنم ، ونجحت في هواجسها حتى طواها الصمت قرونا تتداول موروثاتها الدينية والادبية في توحيد ذاتي قلق هدفه الاكتفاء بما خلفه السلف ، فاكسبتها الحالة صلابة وشدة تحمل ، وتحت سياط الاعداء والضغط الخارجي كانت تداعب المحيط بالتأقلم الفوقاني المشد الحذر راضية وبمرور الزمن اضحت تلك اللغات قليلة الشأن وسرية حتى طمست معالمها الا ما ندر عندما تستدعي المناسبة ، وفي العصر الحديث انبرى عشاق اللغات القديمة لازالة الغبار عنها ومنها المندائية فكافأوا اصحابها بالثناء لانهم صانوها من الدخيل وابغوها كما هي ، وتساعد شأنها نسبيا لانهم اعتبروها الطريق الوحيد المؤدي الى اللغات الاخرى (اللهجات الارامية) في الدراسات المقارنة وهو ما تتمثل فيه المندائية تماما ، فبعد ظلام السنين اخرجت الى النور وارتفع رصيدها التاريخي ، بينما كانت قبل ولوقت قريب جدا تصنف مع اللغات الميتة وفي التعداد اللغوي للارامية فقط ، يجهل عنها كل شيء والمؤرخون يعلمون ان مخلفاتها الادبية قد سطت عليها الكوارث المتلاحقة الا القليل الذي لا يعتد به ، والكتب الدينية (عشرون كتابا) تتطلب دراية باللغة الارامية لفهمها اولا وترجمتها ثانيا ، وهي

بعد ذاتها سفر تاريخي مهم ، تدور حوادثها على جميع المصور التي عرفتها البشرية منذ تكوينها ، ولم تستقر على زمن بعينه ، وقد جاء في الانسكلوبيديا البريطانية انها وليدة القرن السادس عشر (١٠) . وهو ليس أكثر من ظن يعوزه الدليل ، ومما يجعل الاحتراز في محله غلبة الافكار الدينية فيها . والتي آمن بها الانسان في بداية تطوره الفكري يقابلها كل مراحل عباداته السابقة والمتلاحقة حتى المستقر الديني الاخير (الاسلام) واختلاط العربية بالمندائية بارز في الفاظ لا تحصى يدل على اللقاء الاكيد بينهما في عمق زمني غير معلوم ، والراجع ان بعض المانوراث المندائية المنسوجة على شكل اساطير كثيرها اضافها انساخ في عصور متأخرة على الاصل حسبما تمليه معرفتهم واجتهاداتهم الخاصة بتعاليم الدين الاسلامي لذا لم تسلم من التحويل والتعديل .

اجتمعت في المندائية خصائص امها الارامية الشرقية وهذه الخصائص مفتقدة في اللهجات الارامية الاخرى ، وكما قرر علماء اللغات ان اصل جميع اللهجات الارامية هي الارامية الشرقية (١١) ، والمندائية صورة حقيقية لها في قواعدها واصولها لانها والارامية اليهودية - البابلية قد تنازعنا البتوة وسحبنا جميع موروثات الام اليهما ، ما عدا ذلك تبلورت المندائية واستقرت على خصائص الام مصفاة من الشوائب التي لحقت اخواتها وللعلماء مذاهب في مدى تفاوتها ، فمنهم من يعتقد انها امينة على مبادئ الوراثة الجهرية الا انها انحرفت عن بعض المظاهر كاختفاء الاصوات والحروف العنصرية والتي كانت ميزة اللغة السامية ، وشمل الانحراف ايضا حروف العلة وطريقة رسمها (١٢) . ومنهم من يورد رأيا معاكسا تماما فالاصوات لم تختف وانما صارت أكثر بساطة من جميع اللغات السامية الاخرى ، والنظام الصوتي احد العلام الهامة والفريدة بنفس الوقت (١٣) ، والسذين استحوذت النقاوة على مشاعرهم اساسا لا يشيرون لا من قريب ولا من بعيد الى مكانة العربية وتواجدها لفظا بكثرة بين ثنابا المندائية !! انما انصبت الجهود وعقدت المقارنات على الالفاظ العبرية واليونانية وتجرد المندائية منها ! لكون اليونانية كانت ذات تماس مباشر مع الارامية ابان ازدهار الترجمة ، والعبرية كانت تحتل مساحة بشرية واسعة في زمن غير معروف ، وامتزجت فيها عدة لهجات ارامية ، ولابد من التنويه ان العبرية قد عرفت قبل ظهور اليهود الديني كما تشير اليه بوضوح كتب التاريخ واللغة .

ابحاث المستشرقين لم تقف عند هذا الحد بل شملت التسمية ايضا فتدخلت اهاوؤهم فيها وطفى سوء الفهم على الحياض المفترض فيهم فحولوا ابسط المعاني الى مذاهب غريبة مثلما فعل سفسن داك بلساس SVEN DAAG PALLIS حينما عزا معنى كلمة (مندائية) الى ان جماعة المندائيين هم فرع من الاوفيت (١٤) . والمسألة بعيدة عن هذا التأويل القريب

(١٠) Encyc. Bri. (1968) Vol. 14, p. 787

(١١) دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦١) ص ٢١١

(١٢) Encyc. Bri. Vol. 14, p. 787.

(١٣) Rudolf Macuch : Hand Book of Classical and Modern Mandaic, Berlin 1965, p. 1.

(١٤) Seve Doage Pallis : Mandaean Studies, London 1919, p. 151.

ولا تحتل كد اللحن او تصعيد الوهم . فالصائبة يعتقدون ان التسمية تيمنا ب (مندأ اد هي) وهو كبير الملائكة وله سلطة وجبروت كبيران كما تنص عليه الاساطير الصائبة ، اما التفسير السابق وغيره فلا يابهن به ، و (مندائي) في لغتهم - المعرفة الروحية ، فما نصيب العربية في المندائية ، وما مدى التجاذب بينهما ؟ ان تحديد قضية التداخل من منطلق علمي دقيق غاية في الصعوبة في الوقت الحاضر على الاقل . وبعيدا عن التفرعات الكيفية ومن منطلق العموميات يمكن القول ان لقاء اللغتين قد تم منذ امداد بعيدة ، وقد تسربت العربية تلقائيا بالاحتكاك اليومي دون تقصد ، واخذت مسرى لفظيا امتزج باللفظ المندائي توضح معالها بالتكرار والنقل المستمر ، وصار لا يختلف كثيرا عن اللفظ العربي وبما ان اللغتين العربية والارامية تنتميان الى اصل واحد هو الاصل السامي فهما متقاربتان في وجوه لغوية عديدة ، وقد جاء انفصال العربية عن السامية متأخرا بينما سبقتها اليه العربية والسريانية بشوط بعيد فاستطاعت ان تتجنب المزالق اللغوية التي وقعت فيها اللغتان المذكورتان ، ومن مظاهر التقارب بين الارامية والعربية المائلة الى يومنا هذا ، القلم الكوفي الذي انحدر من القلم الفينيقي والذي وجدت له بقايا في مناطق اثرية يرقى عهدها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم تطور حتى صار لكل منطقة قلم خاص باهلها ، ومن اشهرها القلم الرهاوي (في منطقة الرها) ومنه اخذ العرب الخط الكوفي (١٥) . وان شئنا الدقة في مسألة شيوع العربية في المندائية ، فمن الصحيح ان لا بيت فيها الان ويترك الامر للكشوفات اللغوية القادمة المدعومة بالنصوص المحققة ، وبالتالي لا يبقى امامنا الان الا الافتراض المطروح وهو استقرار الصائبة في البلاد العربية خاصة في العراق ، فتتقدم الزمن او العامل الزمني فعل فله في تغيير كثير من المفاهيم اللغوية (اللفظية) . لما فقدت الاجيال المتعاقبة اللسان القديم صار من الطبيعي ان تكتسب من العربية الفاظها مع شيء من التحوير ، ثم تعاضد المنقول في الكتب المستنسخة الخاصة ، وتفتت الى حد ملحوظ ، والواقع اللفظي لا يناقض الحقيقة المستنتجة بالبحوث الطويلة ، والتي نقول ان المندائية هي الوجه المشرق للارامية الشرقية (الام) في قواعدها واصولها ، ومع ذلك فواقع اللفظ العربي يطفح على النطق المندائي ويمكن تبينه بسهولة حتى للذين يجهلون المندائية وان ما يقدم ادناه ليس الاحصاء النهائي للالفاظ ، انما هو بعض ما عثرت عليه وغيره كثير لا ادري سبب اهمال الكتاب المعاصرين له لما تحدثوا عن المندائية باسهاب ما عدا تنويه بعضهم عن ذلك (١٦) ، وكانهم افترضوا سلفا وجود العربية مندرجين بالبيئة متناسين العوامل الضرورية الاخرى وذلك لا ينفي دراسة الظاهرة وتحليلها ولا

(١٥) دراسات في اللغة ، ص ٢١١ .

(١٦) مجلة المشرق ٤ (بيروت ١٩٠١) ص ١١٢٦ .

يتعارض البتة مع من يريد التقصي المستند على الآثار المكتوبة ، وعلى هذا فالموضوع كما قلت ليس اكثر من تهديد عسى ان تلحقه بادرة جادة من لدن محبي اللغات القديمة . . واليك بعض الامثلة الدالة التي توضح الترابط الوثيق بين العربية والمندائية : -

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
السرب	رسي
الحي	هي (الرب)
العلي	ايلايا (الرب)
الحكيم	دكيما (الرب)
المزيز	أزيزا (الرب)
العالم	آله (الرب)
روح	روحه
عالم الانوار	آله دنهورا
المطهر	المطراي
يحيى	ييهي (يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان)
نور	نهورا (تذكر في حاله التبرك باسم الاله وعندما يوصف الشيء بالجودة)
رئيس	ريش (رئيس ديني)
تلميذ	ترميذا (درجة دينية متوسطة يتمكن الحاصل عليها من ممارسة بعض الطقوس الدينية البسيطة في حالات خاصة)
دراسة ، تعاليم	دراشه اديبيه (كتاب ديني خاص بتعاليم يحيى المعمدان)
تفسير الالف سؤال	ترسر الف شيباله (عنوان لكتاب ديني)
سفر النجوم	اسفر ملواشا (كتاب ديني مختص بطوابع الافراد تلفظه العامة خطأ اصفر ملواشا)
صدر آدم	سدرا اد آدم (اقدس كتب الصائبة) ويقال انه أول ما نزل على صدر آدم
كنز الرب	كنزه ربه (اسم ثان لنفس الكتاب السابق)
الاغاني	الاناياني (كتاب ديني قيم خاص بالاغاني الدينية)
التوبة	تيابه
الخطايا	هطايي
مذكور علي	مدخراي
النار الموقدة	نوره اد ياقده
الرحمة	مرحمانه
الاب	الآب
الام	الآيم
تاج	تاغه (جزء من اللباس الديني - اصغر جزء فيه - يضعه الكاهن تحت عمته)
الرسم	رشما (رسم ديني او تقليد ديني)

اللفظ العربي	اللفظ المندائي	اللفظ العربي	اللفظ المندائي
الشمس	شامش	لكن	آلخن
النفس	نشما	اذناي	اذني
ذكرى	دخرايه	فمي	بمي
اكليل	كليه (خاتم يصنع من غصن الاس الطري لاغراض دينية مختلفة)	الزوجة	الزوي
مسلم	مشماني	الذي ربي	الربي
اسم	اشمت (اشمت هيبي : باسم الحي) يطلق القول اثناء الصلاة او عند البدء بالطعام او اي عمل مهم تبركا	الارض	ارّا
قديم	قدمايي	كلهم	كلهون
الثاني	ثنيائي	نهر	نهره
الثالث	ثلثائي	يوم	يوميه
لسان	لشان	اسق	اشق
خمسه	همره	شهادة	شهدوته
		صدقة	زدقه
		عين	آينه



ما يتعلق بالعراق

من [كتاب الصعود] (*) لزينوفون

ترجمة

يعقوب افرام منصور

أن يقدو عاهلا مكان أخيه . كانت أمه (باريزانس) الى جانبه ، لانها كانت محبة له أكثر من الملك الحاكم (ارتاكسركسيس) . ولقد استغل نفوذه على أولئك الذين قصده من البلاط الى حد غدوا معه ، لما عادوا ، أكثر تعلقا به من الملك . كما اهتم بمواطني منطقتهم ليراهم في حال ملائمة لتجريد حملة ، وقصد استمالهم اليه جيدا . وجمع عساكره الاغريق بكنمان متناه ، هادفا الى مدهامة الملك بصورة مباغتة بقدر الامكان .

بهذه الطريقة كون جيشه . لقد نفذ أوامره الى قواد الحاميات في مختلف المدن باكتساب المحاربين من اقليسم (بيلوبونيز) Peloponese بأوفر وأجود عدد ممكن ، بباعت ظاهره أن (تيسافرونوس) مبيت الثنية على القيام بعمل ما تجاه المدن . والحقيقة أن المدن (الايونية) كانت بالاصل تابعة لتيسافرونوس لانها قد أعطيت اليه من قبل الملك ، أما الآن ، فقد غدت بأجمعها تؤول الى (كوروش) باستثناء ميليطوس (Miletus) (٤) . أحس (تيسافرونوس) في (ميليطوس) أن ثمة مؤامرة تحاك ، نظير انجياز الولايات الاخرى الى (كوروش) فاعدم حياة بعض المتآمرين ، وأقصى آخرين . لقد استقبل (كوروش) المنفيين ، وألف جيشا ، وعزل (ميليطوس) بسرا وبحرا ، وحاول ارجاع الزمرة المنفية . فانخذ ذلك ذريعة أخرى لتجميع الجيش وأرسل طلبه الى الملك ، باعتباره شقيقه راجيا تسليم المدن اليه بدلا من حكمها من قبل (تيسافرونوس) . أما والدته ، فقد لعبت دورها كذلك في هذا الجال . ونتيجة لذلك ، لم تحصل للعاهل فكرة عن المؤامرة التي كانت بيتت ضده ، بل ظن أن (كوروش) كان يتفق أمواله ويكون جيشا لمحاربة (تيسافرونوس) . وهكذا ، ولما كان من خصومة دائرة بين ذينك الاثنين ، يقلق الملك ، خصوصا وأن (كوروش) كان يزوده بالخسراج من المدن التي كانت سابقا في قبضة (تيسافرونوس) .

وكانت هناك قوة أخرى ، في طور التكوين ، في (شرسونيز) (٥) المواجهة (آبيدوس) (٦) . وقد تم ذلك على هذا النحو : كان (كليرخوس) Clearchus الاسبرطي مقصيا . فواجهه (كوروش) ، وحصل لديه انطباع قوي الاثر عن

كان لداريوس و (باريزانس) نجسلان ، أكبرهما (ارتاكسركسيس) (١) وأصغرهما (كوروش) (٢) . وعندما بلغ داريوس حد الوهن ، وأخذ يشمر بدنو أجله ، رغب أن يكون نجله دانيين منه . واتفق أن كان الأكبر هناك ، فكان عليه أن يرسل في طلب (كوروش) من المحافظة التي قد عينه عليها حاكما ، كما كان قد عينه قائدا عاما على سائر القوات المختشدة في سهل (كاستولس) - Castolus

عندئذ ، رحل (كوروش) الى العاصمة برفقة (تيسافرونوس) Tissaphernes الذي كان (كوروش) بعده صديقا ، مستصحبا معه ثلاثمائة جندي يوناني من مشاة الاسلحة الثقيلة تحت إمرة (زينياس) Xenias الذي من (بارهاسيا) . لكنه ، غب وفاة (داريوس) ، وعندما ارتقى (ارتاكسركسيس) العرش ، فدح (تيسافرونوس) في كوروش لدى شقيقه ، واتهمه بالتآمر عليه (٣) . وصدق النجل الأكبر الوشاية ، فاعتقل (كوروش) بقصد القضاء عليه . لكن والدته أنقذت حياته بتوسلاتها ، وأعادته الى محافظته . غير أن كوروش ، بعد نجاحه من الخطر والفضيحة ، اتخذ الاحتياطات التي تضمن عدم وقوعه ثانية في قبضة أخيه ، بل حاول بدلا ، لو استطاع ،

(*) اشتهر كتاب (الصعود) Anabasis للمؤرخ الاغريقي زينوفون باسم (الحملة على فارس) أو (الحملة الفارسية) . . وقد أثرنا الاكتفاء بما يتعلق بالعراق على الصعيد البلداني ، صافحين عما عقد على كردستان لعلنا بان صلاح سعدالله قد ترجمه الى العربية ونشره في بغداد عام ١٩٧٣ بعنوان : مسيرة العشرة آلاف عبر كردستان والجدير بالتنويه ان الاستاذ يعقوب منصور قد اعتمد طبعة Penguin لسنة ١٩٦١ في ترجمته لهذا الاثر .

- (١) Artaxerxes هو (ارتخششتا) الثاني المعروف بالمدير .
- (٢) بالانكليزية يكتب (Cyrus) ويلفظ (سايروس) ، وكذلك بالاغريقية .
- (٣) أورد الاستاذ (طه باقر) في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) - الجزء الثاني ص ٤١١ و ٤١٢ مايلي : « وقد بندي حكمه بمحاولة فاشلة لآخيه المسمى كوروش الاصغر لاغتيا له بطعنة خنجر في أثناء الاحتفال بالتتويج في المبد الذي في (بزرگادة) ولكن نجا كوروش من العقاب بتوسلات أمه وتضرعها » .

(٤) هي (ملاطيه) الحالية في تركيا .

(٥) The Chersonese يرجع أنها جزر في بحر (ايجه)

بالابيض المتوسط أو عند مدخل مضيق الدردنيل .

(٦) مدينة (Abydus) على ساحل بحر (ايجه) .

امكانياته . وزوده بعشرة آلاف جنبيه(٧) . فانفق (كلرخوس) الدراهم في تأليف جيش . بعد ذلك ، وقد كانت (شيرسونيز) قاعدته ، شن الغارة على (التراشين) شمالي (هيليزبونت) (٨) وكان ذلك لمنفعة الافريق ، ونتج أن مزيدا من المال تدفق عليه طوعا من قبل حواضر (هيليزبونت) لدعم عساكره . وهكذا بات لكورش جيش آخر لم يستترع الرتبة لتأليفه على هذا النمط .

ثم كان هناك (أريستينوس) - الذي من (تساليا) (صديق كورش) ، الذي أحاق به صعوبات سياسية في موطنه من قبل الحزب المناوي . لقد أقبل على (كورش) ، يرجو تزويده بألفين من الجنود المرتزقة ، وجعالة ثلاثة شهور لأجلهم ، قائلا أن ذلك يعينه في الغلبة على مناوئيه . فأمدته (كورش) بأربعة آلاف رجل ، وجعالة ستة شهور ، وطلب منه ألا يعقد أي اتفاق مع مناهضيه قبل استشارته أولا . وهكذا بات له جيش آخر في (تساليا) دون إثارة شك .

كما أنفذ ابعا إلى (بروكسينوس) البيوطي(٩) صاحبه ، بالتوجه شطره بمعية أكبر عدد مستطاع من الرجال ، إذ أنهه رغب في تجريد حملة على (البيزيديين) الذين كانوا يشيرون القلاقل في محافظته . وأوعز إلى (سوفائنتوس) (١٠) الذي من (ستيغاليا) و (سقراط) الذي من (آشاي) ، وهما صديقه كذلك ، يجاب ما يسعهما من الرجال ، لأنه كان سيسن الحرب على (تيسافرونوس) ، وذلك دعما منه للمبعدين عن (ميليطوس) وقد نفذ (سوفائنتوس) و (سقراط) تعليماته .

ولما قرر أن قد آن أوان الزحف على العاصمة ، زعم أن غايته كانت تجريد منطقته من (البيزيديين) (١١) نهائيا ، وهو كأنه يستهدفهم ، حشد المفاخر الفارسية واليونانية من جيشه سوية . عندئذ أمر (كلرخوس) بالتقدم مع كامل قوته ، وأوعز إلى (أريستينوس) أن يتوصل إلى وفاق مع أعدائه في الوطن ، ويبعد إليه العساكر التي معه . وأمر (زينياس) الاركادي ، الذي أنيط به قيادة مرتزقته في المدن ، بالجيء مع جميع قواته الفائضة عن العدد الواجب لحماية الحصون . كما استدعى أولئك الذين كانوا قد أحاطوا (ميليطوس) وحث المنفيين على الالتحاق به في تجريدته ، وأعدا إياهم أنه ، إذا ختمت حملته بالظفر ، لن يفر له قرار حتى يعيدهم إلى أوطانهم وقد ارتضوا ذلك مبتهجين لثقتهم به . فوفدوا إلى (سرديس) (١٢) مع أسلحتهم .

بعد ذلك ، وصل (زينياس) إلى (سرديس) مع رجاله من المدن ، وكانوا زهاء أربعة آلاف رجل من المشاة الثقيلة ، كما قدم (بروكسينوس) برفقة ما يقارب ألفا وخمسمئة من مشاة الأسلحة الثقيلة ، وخمسمئة من مشاة الأسلحة الخفيفة . أما (سوفائنتوس) الستيغالي ، فقد وصل بألف رجل من

ذوي الأسلحة الثقيلة ، و (سقراط) الآشي جاء بحوالي خمسمئة رجل من حملة الأسلحة الثقيلة . وكان لدى (بازيون المجاري) ثلاثمائة رجل من الصنف الثقيل وثلاثمائة من مشاة الصنف الخفيف . كان سقراط وبازيون من ضمن القوة العاملة ضد (ميليطوس) .

ثم توجهت هذه القوى إلى (كورش) في سرديس ، لكن تيسافرونوس عندما علم الأمر ، أدرك أن القوة كانت من الضخامة بشكل لا يعقل أعدادها لمقابلة (البيزيديين) ، فتوجه بأقصى السرعة الممكنة ، مع خمسمئة فارس ، إلى العاهل . فلما وقف العاهل على جلية الأمر ، اتخذ التدابير لمجابهة كورش .

لقد انطلق كورش ، مع من ذكره ، من سرديس ، وقد استغرق ثلاثة أيام في قطع (٦٦) ميلا داخل (ليديا) حتى بلغ نهر (مياندر) (١٣) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، وفوقه جسر عائم على سبعة قوارب . بعد اجتياز النهر ، ومسيرة (٢٤) ميلا خلال يوم واحد ، داخل (فريجيا) ، أشرف على مدينة (كولوساي) الواسعة المأهولة ، ذات الخيرات الوفيرة . فمكت هناك سبعة أيام ، ووصل (ميئون) الذي من (تساليا) مع ألف من المشاة الثقيلة ، وخمسمئة من المشاة الخفيفة(١٤) . من ثم ، وغب مسيرة (٦٠) ميلا خلال ثلاثة أيام ، بلغ (سيلاني) وهي مدينة واسعة مقبونة واقعة في منطقة (فريجيا) . وكان لكورش ثمة قصر وحديقة شاسعة مليئة بالحيوانات البرية التي اعتاد اقتنائها ، وهو على ظهر جواده ، متى رغب في تدريب نفسه وخبوله . وكان نهر (مياندر) يخترق وسط الحديقة ، وكانت يتابعه تندفقات خارجة من القصر ، كما أنه يجري مخترقا مدينة (سيلاني) . وكان للعاهل العظيم أيضا قصر في (سيلاني) في موقع منيع عند منابع نهر (مارسيس) تحت القلعة . وهذا النهر كذلك يخترق المدينة ويلثم بنهر (مياندر) . إن سعة مارسيس تبلغ (٢٥) قدما . وهنا مسرح الحكاية القائلة بأن (أبولو) (١٥) سلخ جلد (مارسيس) عند اندحاره في الرهان بأنه الغالب عليه في الحكمة ، وعلق إهابه في الغارة التي منها تتفجر المياه ، ولهذا دعي النهر (مارسيس) . والمقول بأن (زركسيس) هو الذي شيد القصر وقلعة (سيلاني) أثر عودته من اليونان مقهورا .

لقد أقام كورش في هذا الموضع ثلاثين يوما ، حيث وصل (كلرخوس) المنفي الأسبرطي مع ألف من المشاة الثقيلة ، وثمانمائة جندي (تراشي) من المشاة الخفيفة ، ومئتي نبال (كرتي) . في نفس الحين ، لاح (سوسيس) السيراقوسي مع ثلاثمائة من المشاة الثقيلة و (سوفائنتوس) الاركادي بصحبة ألف من المشاة الثقيلة . وهنا استعرض كورش اليونانيين في حديثه ، وأحصاهم . فبلغ عددهم أحد عشر ألفا من مشاة الصنف الثقيل ، وحوالي ألفين من مشاة الصنف الخفيف .

وبعد أن قطع (٢٠) ميلا من هنا خلال يومين ، أدرك المدينة الإلهة (بلطاي) ، فمكت فيها ثلاثة أيام ، احتفل خلالها (زينياس) الاركادي بالعيد الليكي(١٦) ، ونظم ألعاب الفتوة . وكانت الجوائز تيجانا ذهبية ، وقد شهد الألعاب كورش نفسه .

(١٣) هو النهر المسمى (يوك مندرس) حاليا ويصب في بحر إيجه .

(١٤) من السالين واليونانيين .

(١٥) هو الإله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الرومان وقد طنى على الاسم الأفرقي (فوبوس) .

(١٦) Lycaen Festival

(٧) Daric عملة فاسية نسبة إلى (دارا) - داريوس - الملك وقيمتها زهاء جنيه واحد .

(٨) التراشينون الشعب القاطن (تراشيا) وهي حاليا (بلغاريا) والهيليزبونت واقعة في مدخل الدردنيل

The Hellespont

Proxenus the Boeotian

Sophaenetos

(١١) قوم منسوبون إلى (ييزيديا) يقطنون شمالي جبال طوروس .

(١٢) الأرجح أنها (مانيسا) الحالية شمال شرقي أزمير .

وبعد مسيرة (٣٦) ميلا خلال يومين ، بلغ آخر مدينة أهلة قبل حدود (ميسيا) ، يطلق عليها (سوق الفخارين) ومن هناك ، بعد أن قطع (٦٠) ميلا في ثلاثة أيام ، وصل (سهل كايستر) وهي مدينة أهلة .

وظل هناك خمسة أيام . ولما كانت جماعات الجنود ، لما ينوف على ثلاثة شهور لم تسدد فإن الجنود غالباً ما توجهوا نحو فسطاطه ، وطالبوه بالجماعل . وكان عليه أن يقصيه عن بالعود المستمرة ، وغير خاف أن ذلك قد اقلقه ، إذ أن رجلاً مثل كورش ما كان ليحتجز الجماعل لو توفرت لديه . عندئذ ، وفدت إيباكسا Ερυαχα قرينة (سينسيس) عاهسل (كيليكيا) لزيارة كورش ، وقيل أنها وهبته مبلغا وافرا من المال . ومهما يكن من أمر ، فإن كورش عند ذاك فقط ، وزع رواتب الجند المستحقة لاربعة شهور . كان برفقة ملكة (كيليكيا) حرس (كيليكين) و (أسينديون) . كما قيل أنها رقدت وكورش سوية .

وبعد مسيرة (٣٠) ميلا من هنا ، خلال يومين ، أدرك المدينة الأهلة (ثيمبريون) . وكان هنا على جانب الطريق العين التي ألحق بها اسم (ميداس) Midas ملك فريجيا ، إذ يقال أن (ميداس) قد أسر الشخص الخرافي (١٧) - الذي نصفه الأعلى بصورة بشري وشطره الأسفل بشكل ماعز - وذلك بمزج النبيذ مع الماء . ومن هنا سار قاطعا (٣٠) ميلا خلال يومين ، فوصل (ترياوان) وهي مدينة مأهولة . فاقام هناك ثلاثة أيام ، ويقال أن ملكة (كيليكيا) طلبت منه أن يريها عسكره . فشاء أن يقيم عرضا من أجلها . واستعرض في السهل جيشه اليوناني والوطني (الفارسي) . لقد أوعز إلى اليونانيين بالإصطاف وانقاذ مواضعهم الحربية المعتادة ، على أن يهتم كل ضابط بنظام رجاله ، فاصطفوا للعرض أربعة أربعة ، وكان (ميئون) ومحاربوه على اليمين ، و (كليرخوس) ورجاله على اليسرة ، والقادة الآخرون في القلب . فتفقد كورش جيشه الفارسي أولا ، متقدمين بهيئة زمر وتشكيلات أيضا ، ثم تفقد اليونانيين ، وهو بمركة على طول جبهتهم ، والملكة في عربة مفضاة . وكانوا جميعا يرتدون الدروع البرونزية والقمصان الحمراء والدروع لواقية الساقين ، وقد أراحوا عنهم تروسهم . وحين أتى على نهاية العرض ، أوقف مركبته مقابل وسط القلبي ، وأنفذ ترجمانه (بيجرس) نحو القادة اليونانيين مع إيعاز بأمر جنودهم بتجريد رماحهم للتأهب ولحركة الفيلق بأكمله . فبلغ القادة الجنود أوامره ، ونفخ في النفر ، ورماحهم مجردة ، فتقدموا نحو الإمام . فلما أسرع الجنود الخطي ، واطلقوا صراخهم ، وجدوا أنهم في الحقيقة يهرولون نحو خيامهم . فاصاب الذعر المواطنين كافة ، وانهمزت ملكة (كيليكيا) بعربتها المفضاة ، وغادر الناس في السوق مصطباهم ، بينما انطلق اليونانيون إلى خيامهم ضاحكين . أما ملكة (كيليكيا) ، فقد اعتراها الذهول وهي تنظر العرض الرائع الذي قام به الجيش ونظامه ، ولقد اغتبط كورش بما لاحظ من وقوع الهلع الذي أحدثه اليونانيون في صفوف الإهالي .

وبعد أن اجتاز مسافة (٦٠) ميلا في بحر ثلاثة أيام ، وصل (إيقونية) وهي آخر مدينة في (فريجيا) . فمكث

(١٧) Satyr : شخص خرافي في أساطير الاغريق . وشبه الجملة المعترضة من (الذي) إلى (ماعز) إضافة من العرب .

(١٨) Iconium وهي (قونية) الحديثة .

هناك ثلاثة أيام ، ثم تابع التقدم خلال (ليكاونيا) ، فاستغرق ذلك خمسة أيام ، قطع أثناءها (٩٠) ميلا . ولما كانت هذه المنطقة معادية ، عهد إلى اليونانيين بغزوها ، وأعاد من هنا ملكة (كيليكيا) ، عن أقصر مسلك ، إلى بلدها بحماية (ميئون) نفسه ورجاله . أما كورش ومن معه ، فقد تقدموا خلال (كبدوكية) ، فوصل مدينة (دانا) (١٩) الواسعة الأهلة الفنية بعد أن قطع (٧٥) ميلا في أربعة أيام . وظل فيها ثلاثة أيام ، أعدم خلالها فارسيا يدعى (ميخافرنوس) الذي كان يحق له ارتداء الحلة الأرجوانية السلطانية ، وشخصا آخر ذا صولة من الفئة الحاكمة ، وذلك بتهمة التآمر .

من هنا ، حاولوا اجتياز الحدود نحو (كيليكيا) . وكان المجاز عبارة عن مسلك عجلة واحدة ، شديد الانحدار ، يتعذر على جيش عبوره لو تعرض لأدنى مقاومة . ولقد تواتر أن (سينسيس) كان يراقب ذلك الممر من نقطة سامقة في المرتفعات وعليه انتظر كورش يوما واحدا في السهل . وفي اليوم التالي ، ورد مخبر فافاد أن (سينسيس) قد هجر المرتفعات بعد علمه أن عسكر (ميئون) سبق أن اجتاز جبال (كيليكيا) (٢٠) ، ولأنه سمع أن بعض السفن الحربية تحت إمرة (تاموس) وبمضى السفن الاسيرطية وغيرها من أسطول كورش بالذات ، كانت مآخرة حول الساحل من (أيونيا) (٢١) باتجاه (كيليكيا) .

على كل حال ، بلغ كورش قن الجبال من غير مقاومة ، ولحق مخيم الحامية الكليكية . فأنحدر من هناك إلى سهل فسيح خلاب ، غزير المياه ، حافل بصنوف شتى من الشجر والأعشاب ، وينتج كميات من السمسم والذرة والحنطة والشمر . أن الجبال الشاهقة المحدقة به من كل صوب ، والممتدة من البحر إلى البحر ، جعلت منها حوله موقعا منيعا . وبعد الانحدار من الجبال ، أدرك (طرسوس) بعد قطعه (٧٥) ميلا في بحر أربعة أيام خلال هذا السهل ، وهي مدينة واسعة وغنية في (كيليكيا) حيث قام قصر (سينسيس) عاهل (كيليكيا) . وكان نهر (سيدنوس) (٢٢) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، يشطر المدينة إلى شطرين . أن السكان ، باستثناء أصحاب الحوانيت ، هجروا المدينة ورافقوا (سينسيس) إلى موقع منيع محصن في الجبال . كما تخلف عنهم القاطنون عند ساحل البحر في (سولي) (٢٣) و (إيسس) (٢٤) .

لقد وصلت (إيباكسا) قرينة (سينسيس) طرسوس قبل كورش بخمسة أيام . وفقدت جماعتان من عسكر (ميئون) أثناء اجتياز الجبال نحو السهل . واستنادا إلى بعض التقديرات يقال أن (الكليكيين) قد أبادوا هاتين الجماعتين أثناء قيامهما

(١٩) Dana وهي (أظنه) الحالية في تركيا .

(٢٠) تدعى اليوم (كولاك بوهاز) - مجلة (سومر) (العدد ٢٠) ص ٢٢٨ .

(٢١) Ionia : الجزء الغربي من آسيا الصغرى المطل على بحر إيجه والجزر التي فيه .

(٢٢) قد يكون هذا النهر هو سيحون أو أحد روافده لقربه جدا من طرسوس .

(٢٣) أرجح أنها (إيشيل) أو (مرسين) حاليا .

(٢٤) Issus - المشهورة في التاريخ القديم بموقع المعركة التي وقعت عندها بين دارا الفارسي والإسكندر المقدوني .

بعدوا ما . لذا تستطيعون الوثوق اني ذاهب الى حيث تذهبون » .

ذلك ما تفوه به . فصق له الجنود قاطية - تابصوه وغيرهم ايضا - وذلك عندما أصفوا الى عزوفه عن الزحف ضد الماهل . فانهاز اليه ما يرسو على ألفي مقاتل من رجال (زينياس) و (بازيون) ، آخذين أسلحتهم وحقائبهم وخيموا بجوار (كليرخوس) . لقد أطلق هذا كورش وأحزنه ، فارسل في طلب (كليرخوس) ، فلم يشأ (كليرخوس) الذهاب ، بل بعث رسولا الى كورش من غير معرفة الجنود ، وأخبره ان يتمسك بشجاعته لان الامور ستجري بصورة افضل . وقال له ان يطلبه ثانية ، لكن (كليرخوس) رفض الذهاب ايضا . بعد ذلك جمع الجنود من تابعيه والذين التحقوا به وكل من شاء الاستماع . وخطبهم قائلا : « زملائي الجنود : من الواضح ان نظرة كورش عنا قد تبدلت ، مثلما تبدلت فكرتاعنه تماما . لانا لم نجد جنوده (اذ كيف تكون كذلك ان نتخلف عن اللحاق به ؟) كما انه لم يعد مستخدما . على كل حال ، اني موقن انه يعتقد باننا قد اسانا معاملته ، فعليه - حتى حينما يرسل في طلبي - لا أرغب في المضي اليه . ومرد ذلك ، بصورة رئيسية ، هو الشعور بالضعف ، لادراكى بانى قد خيبت امله في كل وسيلة ، لكنني أخشى ، كذلك ، ان يقتلني ويعاقبني على معاملتي الخاطئة التي يحسب صدورها مني نحوه . فرأيي لذلك ، ان ليس هذا اوان الذهاب للنوم ، واهمال مصلحتنا الذاتية . بل حري بنا ان نندبر ما ينبغي علينا عمله كخطوة ثانية . فطالما نحن نقيم هنا ، اعتقد انه يجب علينا اعتبار افضل طريقة نستطيع بها ان نجعل بقاونا مامونا جهد الطاقة . فان كان قد تقرر الذهاب ، فعلينا ان نفكر في كيفية ذلك باقصى درجة من السلامة ، وفي كيفية تمكننا من الحصول على الميرة ، اذ بدونها لا يصلح قائد ولا جندي بسيف لاي شيء . ان الشخص الذي يهمل امره ، عظيم الفضل عند اولئك الذين يحبهم ، لكنه عدو بالغ الخطورة عند مناويله ، والقوة التي في حوزته من مشاة وفرسان وسفن مرئية ومعلومة لدى كل فرد منا . في الحقيقة ، اعتقد ان معسكرنا لا يبعد عنه كثيرا . لذا ، قد ان الاوان ليقول الناس ما هو افضل شيء يجب عمله في اعتقادهم » .

لقد توقف عن النطق بعد قوله ذلك ، فنهض بعضهم ليقولوا ما يدور في خلدكم ، بيد ان آخرين ممن القى عليهم (كليرخوس) ذات المسألة ، أوضحوا الصعوبة الجسيمة في مكوثهم هناك ، او الرجوع من غير موافقة كورش . وتكلم احد هؤلاء ، زاعما انه مشتاق الى العودة الى الوطن (اليونان) بأسرع ما يمكن ، وطلب ان ينتخبوا قادة آخرين في الحال ، اذا عارض (كليرخوس) قيادتهم اثناء الرجوع وان يتناخوا الميرة (وكانت السوق في معسكر الجيش الوطني) (٢١) ، وان يحزموا امتعتهم ، وينتحم عليهم اللجوء الى كورش برجاء تزويدهم بالسفن ليتمكنوا من الرحيل بحرا ، فان أحجم عن تزويد السفن ، وجب عليهم ان يسألوه تزويد الدليل لمرافقتهم خلال تغلغلهم في فطر صديق . فان لم يشأ حتى تزويد هذا المرشد ، وجب عليهم التجمع تاهبا للممركة بالسرعة المستطاعة وارسال مفرزة لتحتل المرتفعات للحيولة دون وصول كورش هناك أولا او (الكيليكين) الذين منهم اغتصب اليونانيون - وما زالوا كذلك - عددا جما من الرجال ، ومبالغ طائلة من المال .

(٢٦) يقصد الجيش الفارسي .

بحملة سلب ، واستنادا الى غيرها ، لقد تركنا في المؤخرة ، فلم تنمنا من العثور على بقية العسكر ، او اقتفاء الانسر الصحيح ، فناهنا وأبيدنا . ومهما كانت الحقيقة ، فالقوة كانت مئة جندي من المشاة الثقيلة . ولا وصلت البقية من عسكر (مينون) ، سلبوا مدينة (طرسوس) وقصرها الملكي لحنقهم من جراء فقدان رفاقهم .

بعد دخول كورش المدينة ، أنفذ في طلب (سينييسيس) للحضور لديه . فكان رد (سينييسيس) انه لم يمس بعد في حوزة اي فرد أقوى من ذاته ، وظل مصرا على رفضه زيارة كورش في هذه المناسبة حتى تمكنت عقيلته من اقناعه بالذهاب ، وحتى ضمنت له السلامة . بعد ذلك ، جرى لقاء بين الاثنين ، ووهب (سينييسيس) كورش مبلغا كبيرا من المال من أجل الجيش ، في حين منحه كورش اشياء تعتبر من هدايا الشرف في البلاط - جوادا مزودا بلجام ذهبي ، ورباطا وسوارا ذهبيين ومهندا ذهبيا أحذب ، وحلة فارسية . وضمن له عدم اغتصاب أرضه ، وقطع له وعدا ان رعاياه سيستعيدون العبيد الذين أسروا حيثما صادفهم .

مكث كورش والجيش هنا مدة عشرين يوما ، لان الجنود أبوا متابعة المسير . فقد ارتابوا بانهم انما يزحفون ضد الماهل ، وقالوا بانهم لم يستخدموا من أجل ذلك . حاول (كليرخوس) ، أول الامر ، ارقام الجنود التابعين له للمضي قدما ، بيد أنهم رجموه بالحجارة ، ورجعوا حيواناته ، ناقلة الامتعة والعقائب ، حالما حاولوا الشروع في الحركة . وكاد (كليرخوس) ان يموت رجما في هذه العادة ، لكنه بعد ان ادرك انه لن يفلح في قصده عنوة ، نادى باجتماع الجنود التابعين له . فانتصب باديء الامر امامهم دون حراك لفترة طويلة وهو ينتحب ، فتمججوا لمرآه ، وظلوا صامتين . ثم خاطبهم قائلا : « زملائي الجنود ، لا تستغفروا اضطرابي من جراء ما يجري . لقد أضحي كورش صديقي ، وعندما كنت منفيًا عن تربتي ، لم يعاملني باحترام كبير فحسب ، بل وهبني عشرة آلاف جنيه . وعندما حصل المال لدي ، لم احتفظ به جانبا لذاتي ، ولم أنفقه على ملذاتي الخاصة ، بل صرفته عليكم . لقد حاربت (التراشيين) أولا ، وانتم وأنا وجهنا ضربة لصالح اليونان ، وذلك باكتساحهم من (شيرسونيز) (٢٥) حيث أرادوا اغتصاب الارض من مستوطنينا اليونانيين هناك . فلما دعاني كورش ، توجهت نحوه معكم ، بقصد ان ارد صنيعه ، اذا احتاج الى معاضدتي ، تعويضا لكل ما حباينه من لطف . على أية حال ، ما دمت غير راغبين في الزحف معه ، فينبغي علي تخير احد امرين : اما يتحنم علي ان أنبذكم واحافظ على صداقة كورش ، واما ان انقض وعدي له ، وأنطلق معكم . فلا ادري الآن ان كنت اتصرف تصرفا سليما ام لا ، ومهما يكن ، ثاني سافضلكم ، وساتحمل تبعه ما سيكون لئلا يقال ابدا بانى قد اقتدت اليونانيين الى بلد أجنبي ، ثم تخلت عنهم ، وفضلت مصادقة اهل البلاد ، كلا بما انكم لن تطيعوني ، فانا تابعكم واتحمل المبة ، ذلك لاني اعدكم بسلدي واصدقائي وحلفائي ، حينما اكون بين ظهرانكم ، اعتقد ان الشرف سيلازمني حيثما كنت ، ولكن من دونكم لا اعتقد انه سيكون في وسعي فعل الخير من أجل صديق ما او اللحاق الاذى

(٢٥) Chersonese ويجوز أن تلفظ (خيرسونيز) ايضا . ويطلب انها الآن ضمن حدود (بلغاريا) أو عند مدخل الدردنيل .

بعد مسيرة (٥) ميلا خلال يومين . انها أقصى مدينة في (كيليكيا) وتشرف على البحر .

هنا ، مكث كورش ثلاثة ايام ، فانضمت اليه السفن القادمة من (اليلويونيز) والمؤلفة من خمس وثلاثين قطعة منها تحت إمرة أمير البحر (بيتاغوراس) الاسيرطي ، وقد قادها من (افسس) تاموس الفرعوني الذي كان أمرا على خمس وعشرين سفينة أخرى عائدة لكورش ، بها كان قد عزل (ملاطية) حينما كانت منحاذه الى (تيسافرونوس) . كما كان على ظهر السفن (خريسوفوس) الاسيرطي الذي طلبه كورش ، فقدم بصحبة سبعمئة راجل من الصنف الثقيل ، قادم بنفسه ضمن جيش كورش . وقد رست السفن مقابل فسطاط كورش وهنا ايضا ، تمرد اربعمئة راجل من الصنف الثقيل ومن مرتزقة (ابروكوماس) والتحقوا بكورش للزحف على العاهل .

فانطلق من هنا نحو ابواب (كيليكيا) وسورية ، وادركها بعد قطعه (١٥) ميلا في يوم واحد . وكان هنالك حصنان : داخلي بقي كيليكيا وكان تحت سيطرة (سينييسيس) وحامية من الكيليكين ، وخارجي بصون سورية ، قيل انه يبعد حامية من جنود العاهل . كان نهر (كارسوس) (٢٩) ، الذي عرضه (١٠٠) قدم يجري بين الحصنين ، والفسحة بينهما (٦٠٠) ياردة . لذا كان شق الطريق بينهما لا يصح ذكره نظرا لضيق الممر وامتداد الاسوار حتى البحر ، تعلوها أجرف قائمة . وكان ثمة ابواب في كل من الحصنين . وقد حدث بكورش رغبة الاطاحة بهذا الموقع ، ان يستدعي أسطوله ، ان كانت الخطة انزال المشاة الثقيلة على جانبي الابواب ، ولشق الطريق عبر صفوف العدو في حال حراسته الابواب السورية ، كما توقع كورش ان يفعل (ابروكوماس) لان القوة التي كانت معه لا يستهان بها . على كل حال ، لم يقدم (ابروكوماس) على ذلك ، لكنه غادر (فينيقية) ، وتقدم للانحياز بالملك مع جيش ، قيل انه كان مؤلفا من ثلاثمئة ألف مقاتل ، وذلك حالما بلغه وجود كورش في كيليكيا .

وبعد ان سار كورش يوما واحدا من هذا الموضع ، مجتازا (١٥) ميلا ، أشرف على (مرياندرس) (٣٠) وهي مدينة تطل على البحر ، يظنها الفينيقيون . كان هذا المكان مركزا تجاريا ، وكانت سفن تجارية عديدة راسية هناك . فاقام هنا سبعة ايام ، صعد أنهارها (زينياس) الاركادي و (بازون) المجاري ظهر سفينة واحدة ، ضمت ائمن مقتناهما ، واقلما . لقد ظن أغلب الناس ان الحسد كان دافع ذلك لان كورش سمح لكليخوس ان يضع تحت امرته جنودهما الذين انضموا اليه عندما عرضت لهم فكرة الرجوع الى اليونان وعدم الزحف على العاهل . بعد اختفائهما اشيع ان كورش يتعقبهما بالزوارق ، وان البعض ، وقد نعمتهما بالجبن أملوا انهما سيمسكان ، بينما شعر آخرون بالحزن عليهما لو قبض عليهما . بيد ان كورش جمع قادته ، وقال : « لقد تغلى عنا (زينياس) و (بازون) ، لكنهما ان يكونا قوت الادراك . اني اعرف الطريق التي سلكا ، ولم يفلتا مني مازلت امتلك الزوارق التي في مقدورها ان تباغت مراكبهما . لكنني قسمنا بالسماء ، لن اتعقبهما بالتأكيد ، لئلا يقول عني أحد بانني انتفع بالرجل مادام في خدمتي ، لكنني اعتقله واسييء

بعد ان تكلم هذا على ذلك النحو اقتصر (كليخوس) على القول : « لا يتوهم احدكم ابدا بانني قائدكم في حملة من هذا الطراز . استطيع رؤية عدة عوامل في الموقف من شأنها ان تجعل ذلك مستحيلا علي . لكنكم تأكدوا اني ساساند مخلصا ذلك الشخص الذي تتخبون ليحل محلي ، لتعلموا ان في مقدوري الاذعان للنظام على احسن وجه يستطيعه فيري بالضبط » .

لم نهض رجل آخر ، وبين خطل رأي المتكلم الذي اوصاهم بمطالبة كورش بتزويد المراكب ، كان كورش هو الذي يعيد جيشه الفهري ، وقال : « ما اسخف ان نطلب الدليل من نفس الرجل الذي انهار مشروعه بسببنا ! فان كنا حقيقة سنضع ثقتنا في الدليل الذي يزودنا به كورش ، فينبغي علينا ، كذلك ، ان نطالب كورش باحتلال المرتفعات من أجلنا . اني بالتوكيد ساحجم عن ركوب السفن التي يجهزها (كورش) ، فهو قد يفرنا بزوارقه ، واني اخشى اتباع الدليل الذي يعطينا ، فلربما يقتادنا الى موضع ، لا سبيل للنجاة منه . فان كان لي ان أقفل راجعا ضد رغبة كورش ، تمنيت الاياب دون علمه . وهذا ليس بالمستطاع . لكن الحقيقة هي ان كل هذا هراء . رأيي انه يتحتم ذهاب فئة ملائمة من الرجال مع (كليخوس) الى كورش للوقوف على ما ينوي استخدامنا من أجله . فان كان المشروع ، على وجه التقريب ، نظير المشاريع التي استخدم فيها جنود المرتزقة ، وجب علينا كذلك المضي معه وان تكون بواسل كاولئك الذين عملوا بمعينته في الداخل سابقا . أما اذا لاح المشروع اوسع نطاقا مما سلف ، وان أخطارا وصعوبات أكثر سنكتنفه ، فيلزم ان يسأله ، على اساسي من اتفاق الطرفين ، اما ان يقودنا قدما ، واما ان يدعنا نقادر بسلام . بهذا النحو ، اذا رافقناه ، فسنمضي معه بعلاقات اطييب وبرغبة اعظم ، وان غادرنا ، فعلنا ذلك بشكل مأمون المراقبة . على ميعوثنا ان يعدوا لاعلامنا بجوابه ، وسننخذ التدابير على ضوء ما نسمع منهم » .

هذا هو النهج الذي عزموا عليه . فانتخبوا مندوبين عنهم ، وأوفدوهم مع (كليخوس) ليعرضوا على كورش المسائل التي اتفق عليها الجيش . فرد كورش انه قد اتى بان خصمه (ابروكوماس) بات عند الفرات وعلى مسيرة اثني عشر يوما من هذا الموضع . وقال انما اراد الزحف عليه ، وانه لو كان هناك ، لانتقم منه . اما اذا شاء الفرار ، فمعدنذ قال « يتحتم علينا فورا ان نرسم الخطط لمجابهة الوضع » .

فعندما أصفى الموفدون الى ذلك ، نقلوه الى الجنود الذين بينما ارتابوا في انه كان يقودهم ضد العاهل ، قدروا - مع ذلك - الذهاب معه . الا انهم طلبوا مزيدا من الجمائل ، فوعدهم كورش جميعا نصف ما استلموا سابقا ، اي جنيها ونصف جنيه عن الشهر لكل جندي بدلا من جنيه واحد . اما فيما يتعلق باقتيادهم ضد العاهل ، فلم يخبره اي واحد منهم بذلك ، حتى في هذه المناسبة ، اقلما ليس جهرا .

من ثم ، بلغ نهر (يساروس) (٢٧) بعد قطعه (٣٠) ميلا في يومين ، وكان عرض النهر (٣٠٠) قدم . وبعد ان سار (١٥) ميلا في يوم واحد ، وصل النهر المدعو (بيراموس) (٢٨) الذي عرضه (٦٠٠) قدم ، فبلغ (ايسس) . الالهة الزاهرة

(٢٩) Carsus يرجع انه نهر (الاسود) حاليا .
(٣٠) Myriandrus

(٢٧) Psarus يرجع انه نهر (سيحان) حاليا .
(٢٨) Pyramus يرجع انه نهر (جيحان) حاليا

معاملته واستحوذ على ما يقتني ، عندما يشاء المباحة . كلا ،
ليذهبا مع العلم أنهما قد سلكا معنا أسوأ مما سلكتنا معهما .
أقر أنني قد وضعت الحجر على أولادهما ونسائيهما تحت
الحراسة في (ترالس) (٣١) لكنهما لن يحرمهما . كلا ، بسـل
سيستعيدانهم مقابل ما أسدياني من العمل الصالح في الماضي »
ذلك ما قال . أما الأفريق ، فحتى أولئك الذين لم
يكونوا في غاية الحماس للتغلغل نحو الداخل ، أضحوا أكثر
اغتيابا ورغبة في الانطلاق معه ، عندما سمعوا كيف تصرف
كورش تصرفا حسنا .

بعدئذ ، تابع المسير قاطعا (٦٠) ميلا خلال أربعة أيام ،
فوصل (خالوس) (٣٢) وهو النهر الذي سمته (١٠٠) قدم
عرضا ، وكان مليئا بالأسماك الاليفة التي عدها السوربون
آلهة لا يجيزون أحدا بايذائها (وهم يعتقدون ذات الاعتقاد
في طيور الحمام) . ان القرى ، حيث عسكروا ، تؤول ملكيتها
الى (باريزاتس) وقد وهبتها لتدبر نفقة لجيها الخاص .

وبعد اجتياز (٩٠) ميلا في خمسة أيام ، انشرف على
منبع نهر (دارديس) (٣٣) الذي عرضه (١٠٠) قدم . هنا
قام قصر (بلسيس) - حاكم سورية - وحديقة مترامية
جدا وجميلة ، ضمت جميع النباتات القابلة للنماء . لكن
كورش عاث في الأرض ، وأحرق القصر .

ثم واصل الزحف من هنا ، قاطعا (٥٠) ميلا خلال ثلاثة
أيام ، فبلغ نهر (الفرات) الذي كان عرضه (٨٠٠) ياردة ،
وهناك قامت على ضفتيه مدينة عظيمة ثرية تدعى
(ثابساكوس) (٣٤) حيث مكث خمسة أيام .

عند هذا الموضع ، أرسل كورش في طلب القادة اليونانيين
وأبلغهم بزحفه ضد العامل العظيم نحو مدينة (بابل) .
وطلب منهم اعلام الجنود بذلك واقتاعهم بالفي معه . فالتام
القادة وبلغوا بلاغ كورش . لكن الجنود كانوا سساخطين ،
وقالوا ان القادة على علم سابق منذ البداية ، لكنهم حجبا
ذلك ، فابوا اللهاب أبعد من ذلك ، الا اذا منحوا مزيدا من
المال . كما أعطي قبلهم الذين رافقوا كورش الى العاصمة
حيث والده ، علما ان المسألة اذا ذاك لم تكن مسألة قتال ،
بل مجرد دعوة (كورش) من قبل والده الى البلاط .

فاخير القادة كورش بكل ذلك ، فوعدهم باعطاء كل فرد
منهم عشرين جنيها (٣٥) من الفضة حين وصوله الى بابل مع

(٣١) Tralles هي مدينة آبدین (Aydin) الحالية في

تركيا .
(٣٢) Chalus يرجع الرحالة المستشرق الجيكي
(الويز موسيل) مؤلف كتاب (الفرات الاوسط) ان هذا
النهر هو عفرين الحالي .

(٣٣) يرجع المستشرق (موسيل) ان Dardes نهر
(الذهب) شرقي حلب . يبعد عن (ثابساكوس) مسيرة
ثلاثة أيام .

(٣٤) Thapsacus تعني المخاضة وهي التي وردت في
(التوراة) باسم (تفساح) التي فتحها الملك سليمان ،
وبيعنيها (موسيل) الى الشمال من مدينة (بلس)
التي هي قنشرين . أنظر ص ٢٢٩ من المجلد (٢٠) من
مجلة (سومر) .

(٣٥) Five Minae والمفرد (Mina) عملة فضية تعادل
زهاء أربعة جنيها .

راتب كامل حتى العودة باليونانيين الى (أيونيا) . لقد
استميل اغلب الجيش اليوناني بهذه الشروط ، لكن
(مينون) قبل التاكيد من عزم باقي الجيش على ما سيقدم
عليه ، وفيما اذا كان سيتبع كورش أم لا ، دعا الى اجتماع
المقاتلين التابعين له قصيا عن البقية ، وخاطبهم قائلا : « ايها
الجنود : ان تقبلوا نصيحتي ، فانكم - دونما خطر او صعوبة
مطلقا - ستحصلون على مزيد من تقدير كورش دون سائر
البقية . وهذا ما اوصى به : ان كورش ، في هذه اللحظة ،
يرجو اليونانيين ان يلتحقوا به ضد العامل . فاقول : يتحتم
عليكم اجتياز الفرات قبل ان يبدو اكيدا نوع الجواب الذي
سيوجهه اليونانيون الآخرون الى كورش . اذ عندئذ ، ان
يحبذوا مرافقته ، فانتم - بصفتكم اول الذين سيجتازون
النهر - سيكون لكم الفضل في اتخاذ القرار ، وسيغدو كورش
ممتنا لكم لانكم اشد مناصره تحمسا ، وسيظهر شكرانه .
صدقوني انه يعلم كيف يفعله ذلك . وان يصوت الآخرون ضد
الفكرة ، فسنتقل راجعين ، لكن نظرت اليكم ستكون انكم
وحدكم الذين تطيعون اوامره ، وافضل من يعتمدهم في تادية
واجبات الحراسة وترقية في الرتب ، وكل ما رغبتم في ما عدا
ذلك ، فانا واثق من نوالكم اياه عن سبيل صداقة كورش » .

بعد سماعهم هذا ، تقبلوا مشورته ، وعبروا الفرات قبل
ان يبعث الآخرون بردهم . فاعتبط كورش باجتيازهم ، وانفد
(جلاوس) الى عسكر (مينون) مع البلاغ التالي : « ايها
الجنود ، اني لمرور بكم الآن . لكني ساضمن مسرتكم بي كذلك ،
والا فلست ادعي كورش » .

ان الجنود من جانبهم ، وهم بآمالهم العظام ، ابتهلوا من
اجل فوزه ، وفيل انه قد ارسل هدايا سخية الى (مينون) .
بعدئذ ، عبر هو النهر ولحق به الجيش الباقي باكمله . واتساء
العبور ، لم يبذل أحدهم من ماء النهر فوق مستوى الانداء .
وقال سكان (ثابساكوس) انها لآلة الوحيدة التي غدا فيها من
اليسور عبور النهر خوفا لتعذر ذلك بدون زوارق ، وقد
أحرق (ابروكوماس) الزوارق في هذه المناسبة ليعيق كورش عن
العبور . بدا مؤكدا انه قد كان ثمة شيء يفوق المعناد بهذا
الشان ، وان النهر ، من غير شك ، قد يسر العبور لكورش ،
مادام قد قدر له ان يغدو ملكا .

من هنا ، واصلوا التغلغل في سورية ، فقطعوا (١٥٠)
ميلا خلال تسعة أيام ، حتى أدركوا نهر (اراكسس) (٣٦) ، حيث
القرى العديدة الزاخرة بالظلال والنبذ . فمكثوا ثلاثة أيام
وتزودوا اثناها بالقوت .

من هنا ، والفرات عن يمينهم ، واصل (كورش) التقدم
داخل شعبة الجزيرة العربية . فتغلغلوا عبر الصحراء ، قاطعين
(١٠٥) اميال خلال خمسة أيام . في هذا الشطر من العالم ،
كانت البسيطة سهلا على مستوى واحد كالدأماء . كان الشيخ
وفيرا ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هنالك ذات

(٣٦) Araxes هو نهر الخابور ويدعى كذلك (خابوراس)
Chaboras . والملاحظ ان (زينوفون) لم يذكر نهر
(البليخ) بعد اجتياز الفرات حيث مدينة الرقة التي
كانت تعرف آنذاك أو في عهد الاسكندر باسم نيسيفوريوم
(Nicephorium) ويجوز ان هذا النهر كان جافا آنذاك .

مقابل أربعين فلسا تقريبا(٤٢) . لذلك عاش الجنود على اللحم فحسب .

وقد جعل كورش بعض هذه المسيرات طويلة جدا وذلك في حالة احتياج الى بلوغ الماء والمليق . وفي احدى المرات ، كان الطريق ضيقا موحلا ، يصب على قافلة العربات عبوره ، عندما توقف كورش مع انبل واغني مرافقيه ، واوعز الى (جلاوس) (٤٢) و (بيجرس) (٤٣) باتخاذ مفرزة من الجيش الفارسي للاسهام في انتشال العربات من الوحل ، وعندما حسب انهم جادون في ذلك ببطء ، بدا عليه السخط ، واوعز الى أبرز الفارسيين في حاشيته ، ليسهموا في انهاء العربات . اذ ذاك حقا ، راي الفرد شيئا من نظام . فحيثما اتفق ان كانوا واقفين ، القوا عنهم اردنتهم الارجوانية ، وخفوا نحو الامام كانهم في سباق - منحدرين من تل شديد الانحدار ايضا ، ومرتين القمصان الغالية والسرراويل المطرزة . كما كانت لبعضهم سلاسل حول اعناقهم واسورة حول معاصمهم . لكنهم مع كل ما عليهم ، ففروا نحو الطين راسا ، وازاحو العربات نحو اليايسة بأسرع مما لاح ممكنا لاي فرد .

كان جليا ، بصورة عامة ، ان كورش كان مسرعا طول الطريق ، دون توقف ، الا حينما حط من اجل التجهيزات أو ضرورة أخرى . لقد حسب انه كلما عجل الوصول ، كان العاهل اقل تأهبا اذا اشتبك معه ، وكلما ابط السير ، تضاعف الجيش الذي كان في وسع العاهل تجميعه . في الحقيقة ، ان المراقب اللبيب لامبراطورية العاهل ، سيتوصل الى هذا التقدير : انها قوية بالنسبة الى اتساع رقعتها وعدد سكانها ، لكنها واهنة فيما يخص مواصلاتها الطويلة ، وتفرق قواها ، وذلك اذا استطاع أحد الهجوم بسرعة .

على الجانب الآخر من نهر الفرات ، مقابل الصحراء التي كانوا يسلكون ، كانت ثمة مدينة واسمة غنية ، تدعى (خارماند) (٤٤) ، فابتاع الجنود ما احتاجوا اليه من هنا ، وعبروا النهر فوق اطواف بالنحو الاتي : لقد حشوا الجلود ، التي استعملوها اغطية لخيامهم ، بالحشيش اليابس ، ثم ضموا بعضها الى بعض ، ورتقوها كي لا يصل الماء الى الحشيش

رائحة ذكية كالمطر(٢٧) . لم تكن ثمة اشجار ، بل كانت هنالك حياة حيوانية متنوعة . كانت الحمير الوحشية بوفرة ، كما كان النعام والجباري والفلان بكثرة . لقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . اما الحمير الوحشية ، فكانت - عند ملاحقتها من قبل احد - تعدو قدما لم تقف ساكنة ، فقد كانت في عدوها أسرع بكثير من الخيول ، وعند دنو الخيول منها ثانية ، تفعل ذات الشيء ، وكان من المتعذر امساكها الا بوساطة وضع الفرسان على مسافات متتابة والقنص على مراحل . وكان لحم الحمير التي اقتنصت اشبه بلحم الظباء ، الا انه اكثر طراوة . لم يفلح فرد في اقتناص النعام . والحقيقة ان الفرسان الذين حاولوا ذلك ، سرعان ما عدلوا عن اقتنائها ، اذ اوجب عليهم تغفل مسافات سحيقة جدا عند هروبها منهم . كانت تستخدم قديمها للجري ، وتستعين باجنحتها كما لو كانت تستعمل الشراع ، لكن الرء يستطيع اصطياد الجباري اذا حملها على التحليق بسرعة ، لانها لا تطير الا قليلا حتى يمتريها الاجهساد سريعا نظير الحجل . وكان لحمها للذيل .

بعد التغفل داخل هذه البلاد ، بلغوا نهر (ماسكاس) (٢٨) الذي عرضه (١٠٠) قدم . كانت هنا مدينة مهجورة ، واسعة الرقعة ، تدعى (كورسوت) (٢٩) ، وكان نهر (ماسكاس) يجري متعرجا حولها ، فبقوا هناك ثلاثة ايام ، وتزودوا بالطعام . بعدها ، ساروا ثلاثة عشر يوما ، قطعوا اناءها (٢٧٠) ميلا عبر الصحراء ، والفرات مازال عن يمينهم ، حتى وصولهم الموضع الذي يطلق عليه (الابواب) (٤٠) . لقد مات جوعا عدد وافير من حيوانات نقل الامتعة لانعدام الحشائش واي نبت نام . كانت الارض جرداء تماما . واعتاد السكان اقتلاع الاحجار عند ساحل النهر لصنع احجار الرحي لطحن الحبوب ، فيأخذونها الى بابل بقصد بيعها ، وتعيشوا على القوت الذي ابتاعوا بالابواب .

لقد نصبت الفلال التي حملها الصكر اثناء هذه المسيرة ، ولم يكن في الامكان ابتياع اية كمية الا في سوق (ليديا) بين جند كورش الفرس ، حيث كان من اليسور حصول الفرد على زهاء نصف كيلوغرام(٤١) من دقيق الحنطة أو من الشعير المقشور

(٢٧) يؤيد هذا حتى الآن الشيخ محمد رضا الشيببي في بحثه (رحلة في بادية السماوة) المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي - مجلد ١١ .

(٢٨) للاستزادة حول Mascas راجع ص ٢٣٢ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٢٩) ارجح ان Corsote في موضع قريب من مدينة (البو كمال) الحالية في سورية . ويرجح المستشرق الجيكي (موسيل) انها خرائب (التاوي) . واغلب الظن انه يعني (الطاي) التي لم اعثر عليها في الخرائط للاستزادة راجع ص ٢٣١ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٤٠) اورد الاستاذ طه باقر في ص (٤١٣) من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الثاني) ما يلي : « ويصل الجيش اخيرا الى موقع شمالي الرمادي بنحو خمسين ميلا ذكره زينو فون باسم (الابواب) . ولا يُعلم موضع هذا الممر ... » وخريطة الكتاب تدموه (Pylae) ويعينها (موسيل) عند (تل الاسود) ويحدد المسافة بينها وبين (كورسوت) ب (٢٦٥) كيلومترا .

(٤١) لقد توصلت الى هذا المقدار بدليل نص في الكتاب

يشرح ذلك ، قائلا

(The Capithe is Equal to Three Pints)

أي ان الكابيث يعادل ٣ باينتات . وبما ان (البايث) مكيال سعته زهاء نصف لتر ، فقدرت ان (الكابيث) الواحد من الدقيق يعادل وزنا زهاء نصف كيلوغرام .

(٤٢) يذكر النص الانكليزي (Four Sigli) . مفرد هذه العملة (سيجلوس) Siglus تعادل ٧ (اوبولات) ونصف الاوبول (Obol) وهو عملة تساوي (٦) فلس تقريبا . وارجح ان (الشائل) قريب من هذه الكلمة مبنى ومعنى .

(٤٣) أحد مترجمي كورش .

(٤٤) ارجح انها في موضع قريب من هيت أو حديثة الحاليتين على الضفة اليسرى من الفرات . ويعينها المستشرق الجيكي (موسيل) في جنوب غربي (تل الاسود) حاليا . ولقد جاء ذكر هذه المدينة في ص ٢٣٢ و ٢٣٣ من ع ٢٠ من مجلة (سومر) بهذا الشكل (شارمانده) . وقد تكون - في ترجمتي - في موضع قريب من الرمادي الحالية .

الجفاف ، فاجتازوا النهر عليها ، وحصلوا على الميرة والخمرة المستخرجة من التمر و (نوع من الفلال) (٤٥) المبلولين في تلك الديار بكثرة .

في هذا الموضع ، حدث شجار حول امر ما بين عسكر (مينون) وعسكر (كليخوس) . ولما حكم (كليخوس) ان جندي (مينون) كان المخطيء ، امر بضربه . وعند اوبة ذلك الجندي الى جماعته ، انباهم بذلك ، فباتوا بعد سماعهم الحكاية ، في اقصى حال من السخط والصرامة تجاه (كليخوس) . وفي ذات اليوم ، عند زيارة الموضع الذي عبروا عنده النهر ، وتفتيش السوق التي كانت هناك ، كان (كليخوس) يعود راكباً الى خيمته برفقة بعض الخدم عن طريق معسكر (مينون) . وكان كورش لا يزال يتابع المسير هناك ، ولم يدرك الموضع بعد . ولما كان فرد من جيش (مينون) يقطع الخشب ، ولح (كليخوس) راكباً يخترق المعسكر ، رماه بالفاس ، لكنه اخطا الهدف ، فرماه جندي آخر بحجر ، وتبعه آخر ثم آخرون عديدين ، فسادت جلبة شاملة . فاعتصم (كليخوس) بجنوده ، ونادى حالاً باتخاذ الاجراء . لقد امر افراد المشاة الثقيلة بملازمة موضعهم ، ودروعهم على ركبتهم ، بينما هو ذاته تحرك باتجاه رجال (مينون) مع رجاله (التراشيين) ومع فرسانه الذين يملك منهم في معسكره أكثر من أربعين رجلاً ، أغلبهم من التراشيين . ونجم عن ذلك ، حلول الدرع بمينون ذاته وبرجاله ، فهرعوا الى اسلحتهم ، ولو ان بعضهم ظلوا حيث كانوا ، عاجزين عن العمل لمعالجة الوضع . في هذه اللحظة بالذات ، قدم (بروكسينوس) في المؤخرة ، يفود ثلة من المشاة الثقيلة . لذلك جلب رجاله فوراً نحو موقع بين الفريقين ، والتهمس (كليخوس) بالكف عن فعله . بيد ان كليخوس تميز غيظاً اذ تكلم (بروكسينوس) دونما تأسف على ما تعرض له كليخوس وقد اوشك فعلاً على الموت رجلاً ، فقال له الا يعترض السبيل . عندئذ ، قدم كورش ، والفي ما يدور ، فتناول رماحه فوراً ، وركب متطلقاً نحو وسط الاغريق برفقة حراسه الحاضرين ، وخاطبهم قائلاً :

« آيا كليخوس وپروكسينوس ، وانتم جميع اليونانيين الآخرين هنا : انكم لا تعلمون ما انتم فاعلون . لئن تشرعوا في الاقتتال فيما بينكم ، فنادكوا باني مقضي علي للحال ، وعليكم ايضاً بعد أمد قصير . فان ساءت الاحوال بيننا ، فجميع هؤلاء الوطنيين (الفرس) الذين تشاهدون سيصبحون اشد خطراً علينا من اولئك الذين بجانب العاهل » .

فعاد (كليخوس) الى صوابه اثر سماعه ذلك . واسترخى الطرفان ، واعادا الاسلحة الى مواضعها .

وبينا هم منطلقون في السير من هنا ، صادفوا روث وآثار سنايك الخيل ، فقدر أحدهم ان فرساناً يعدون زهاء الالفين ، قد تركوا تلك الآثار ، وانهم قد مضوا قدماً لاحراق كل العليق وكل ما عداه مما قد يستفاد منه .

وكان رجل فارسي ، يدعى (اورونتاس) تنتسب عائلته الى العاهل - حائزاً على ابرز صيت عسكري بين الفرس ، ويتأمر على (كورش) . والحقيقة انه كان في حرب معه سابقاً ، لكنهما توصلا الى تسوية . أما الآن ، فقال لكورش انه اذا زوده بالف فارس ، فاما سيكمن فيبيد الفرسان الذين داسوا التربة

(٤٥) يذكر النص الانكليزي (Panic Corn) ولم استطع التوقف على مدلول لها في القواميس التي في حوزتي .

امامهم ، واما سيأخذ فئة منهم أسرى ، وبلا يضع حداً لاتلاف الارض التي يسلكون ، ويعيقهم عن الحصول على فرصة لاخبار العاهل انهم قد شاهدوا جيش كورش .

وعندما استوعب كورش الخطه ، خالها جيدة ، واعلم (اورونتاس) باخذ مفرزة من كل قائد من قواده . فلما ايقن (اورونتاس) من حصوله على الفرسان ، حرر خطاباً الى العاهل يعلمه بالتوجه اليه مع أكثر ما يستطيع اصطحابه من الفرسان ، ويسأله اعلام الفرسان الخاصين به ان يستقبلوه كصديق . كما ذكره ، في الخطاب ، بصداقته السالفة وباخلاصه له . فدفع الخطاب الى شخص يعتده - أو كذلك ظن . والحقيقة ان الرجل تناول الكتاب ، واعطاه الى كورش .

ولما وقف كورش على محتواه ، ألقى القنبس على (اورونتاس) ، واستدعى الى خيمته الخاصة السبعة الممتازين جدا من مساعديه الفرس . وأوعز الى القادة اليونانيين بجلب مشاة ثقيلة ، واتخاذ موقف الحراسة حول الخيمة ، فامتنوا أوامره ، وجلبوا ما يقرب من ثلاثة آلاف راجل من الصنف الثقيل . واستدعى كورش القائد (كليخوس) داخل خيمته رأساً للاسهام في الاجتماع ، لأن كورش ذاته والفارسيين الآخرين عدوا (كليخوس) بصورة عامة افضل اليونانيين منزلة . وبعد مقادرة (كليخوس) الاجتماع ، اخبر اصداقاه كيف جرت محاكمة (اورونتاس) ، اذ لم يكن ثمة مانع من الاخبار بذلك . فقال : (ان كورش استهل القضية بالكلام التالي : « اصداقي ، لقد استدعيتكم للاجتماع هاهنا بقصد البت في الاجراء الالزم بخصوص (اورونتاس) كي - بعد المشاورة معكم - نقرر النهج المصيب كما تراه الآلهة والناس . كان هذا الرجل ، اول الامر ، قد عُيِّن من قبل والدي ليكون تحت امرتي ، ثم بموجب تعليمات شقيقي ، كما يقول ، اغتصب حصن (سرديس) ، وشهر الحرب علي . فقاتلته وحملته على أن يقرر إيقاف القتال ضدي . ثم مد كل منا للآخر يمين الصداقة . منذ ذلك الحين ، يا اورونتاس استمر كورش ، هل أذيتك باي شكل كان ؟ » فاجاب اورونتاس بالنفي . ثم وجه سؤالاً آخر : « اليس يقينا ، مع انك لم تلق مني أي ضرر فيما بعد ، كما تعترف بنفسك ، قد تحولت الى (الميسيين) (٤٦) ، والحقت بمنطقتي كل ما تمكنت عليه من الضرر ؟ » فاعترف اورونتاس انه قد فعل ذلك . وقال كورش : « اليس صحيحاً أنك ، عندما عدت فانتكشت حقيقة قوتك ، قصدت هيكل ارتاميس (٤٧) وقلت انك قد ندمت ، ونتيجة لتوسلاتك ، عدنا فتبادلنا العهد على الصداقة ؟ » فسلم اورونتاس بصحة ذلك ايضاً . فقال كورش : « اذن ما هو الاذى الذي بدر مني تجاهك هذه المرة الثالثة ، لتبرر خيانتك الجلية فيها ؟ » اجاب اورونتاس انه لم يصب بساي اذى . فسأله كورش : « اذن ، اتسلم ان تصرفك نحوي كان خاطئاً ؟ » فقال اورونتاس : « فعلاً . اني مضطر ان اعترف بذلك » . ثم سأله كورش سؤالاً آخر : « أمازال في مقدورك ان تكون خصماً لشقيقي ، وصديقاً صدوقاً لي ؟ » فرد قائلاً : « حتى وان

(٤٦) ذكر الاستاذ فؤاد جميل في ص ٢٣٤ من مجلة سومر - ع (٢٠) ان (الميسيين) هم قوم من العرب ، واعتقد ان ثمة فرقاً بين (الميسيين) وبين (الميسين) الذين هم سكان ميسيا (Mysia) الواقعة غربي الاناضول حيث استبعد ان تكون قد قطعت من قبل اقوام عربية قديما .

(٤٧) الالهة القنص والقمر وشقيقة (أبولو) عند الاغريق .

كنت سافعل ذلك ، فانت - ياكورش - لم تعد قسادرا على تصديقه .

(بعد ذلك ، خاطب كورش الآخرين هناك : « هاهي تصرفات الرجل وكلماته أمامكم . هل لك ، ياكورشوس ، أن تبدي رأيك أولا ، وتفصح عما تفكر ؟ » فقال كورشوس : « نصيحتي هي أذاحة الرجل من السبيل بأسرع ما يمكن ، لئلا نضطر ثانية الى الاحتراس منه ، بل سنكون طليقي الايدي ، بقدر ما يتعلق الامر به ، لنسدي الخير الى الآخرين الذين يرومون ابداء المون حقا . »)

واستنرد كورشوس قائلا : « لقد وافقوا على فكري ، ثم وقفوا جميعا ، حتى اصدقاء اوروئناس ، وامسكوه من زناهره كعلامة على الحكم عليه بالموت . ثم اقتاده الذين عهدت اليهم المهمة ، بعيدا ، واولئك الذين قد اعتادوا الانحناء له سابقا ، انحنوا له آنذاك ايضا ، ولو انهم علموا بأنه كان يقاد الى حتفه . فجاء به الى خيمة (ارتاياتاس) وهو افضل ثقات كورش من حملة صولجانه . غب ذلك ، لم يلمح أحد مطلقا اوروئناس حيا أو ميتا ، ولا استطاع أي فرد أن يتكلم ، عن دراية ، كيشف لقي ميتته . » لقد أثرت عدة ظنون ، بيد أنه لم يهتد الى أي ضريح يضمه .

من هنا ، واصل التقدم نحو (بابل) ، فاجتاز (٣٦) ميلا خلال ثلاثة ايام . وعند ختام مسيرة اليوم الثالث ، استعرض كورش عساكره اليونانية والوطنية (الفارسية) في البراج حوالي منتصف الليل ، اذ حسب أن العاهل سيبرز فجر الفد بجيشه للقتال . فامر (كورشوس) بقيادة المينة ، ومينون (السالي) بقيادة المسيرة ، بينما هو نفسه اهتم بتنسيق عسكره الخاص .

مع انبلاج الصبح ، وبعد العرض ، قدم بعض الهاريين من العاهل العظيم ، وزودوا كورش بمعلومات عن جيش العاهل . فجمع كورش القادة وضباط المئة الاغريق لبحث كيفية خوض المعركة ، ثم خطب بنفسه يستحثهم لبذل المزيد من الجهود : « ايها الجنود الاغريق : لست قائدكم معي في المعركة لقلة في جنودي الوطنيين . كلا ، ان الباعث على نشداني معاضدكم ، لهو اعتباري انكم اكثر كفاءة ومهابة من اعداد هائلة من الوطنيين . لذا اود أن تبرهنوا انكم اهل للحرية التي ظفرت بها ، والتي اظنكم سعداء في امتلاكها . لكم أن تتأكدوا اني افضل احرار تلك الحرية على كافة ما اقتني وزيادة على ذلك بكثير . لكن ، لاعرفكم ايضا ، نوع القتال الذي سنخوضون ، ساخبركم عن ذلك من تجاربي الخاصة . اعداد العدو ضخمة جدا ، وهم يفسرون بصراخ كثير ، لكنكم ان صمدتم تجاه ذلك ، فانا اخجل حقا . ان اقول أي صنف من الناس ستجدون رجال هذه البلاد في كل ناحية من النواحي الاخرى . لكنكم ان برهنتم على كونكم رجالا ، واذا كنت موفق الجدود ، فساضمن لكم ان الذين يرومون منكم العودة الى الوطن ، سيحسدون من رفاقهم عند وصولهم هناك ، ولو احسب اني ساجمل العديد منكم يفضلون ما سينالون مني هنا على ما سيحصلون عليه في الوطن » .

ثم تكلم (جوليتيس) الذي حضر الاجتماع ، وهو أحد المبعدين من (ساموس) (١٨) وكان موضع ثقة كورش ، فقال : « ومع ذلك ، ياكورش ، بعض الناس يقولون ، انك الآن تمنع الوعود الكثيرة بسبب من حراجه موقفك واعتراض الخطر سبيلك

وبالنسبة اليهم ، ان جرت الامور جريا حسنا ، فسوف لن ننذكر . ويقول بعضهم ، حتى اذا توفرت لديك الذاكرة والارادة فسوف لن تملك الطاقة على تنفيذ جميع الوعود التي قطعتها » .

فلما وعى كورش ذلك ، قال : « لكن ، ايها الجنود ، هاهي امبراطورية والدي تمتد امامنا . انها ممتدة جنوبا حيث الحر ، وشمالا حيث البرد حائل دون عيش البشر . ان اصدقاء شقيقي يحكمون كولاة على كل الارض المحصورة بين الحدين . اما اذا ربعتنا ، فسينبغي أن نجعل من اصدقائنا سادة على كل هذا . ونتيجة لذلك ، ان خشيتي من عدم حصولي على عدد واف من الاصدقاء لاعطائهم ما أتمكن منه ، تفوق عدم حوزتي على ما امنح رفاقي قاطبة ، اذا سارت الامور سيرا حسنا . كما اني ساخلع على كل يوناني فيكم خلعة اضافية من تاج ذهبي » .

عندما اصغى اليونانيون الى ذلك ، غدوا اشد حماسا بكثير ، وبلغوا الآخرين ذلك . فالقادة وعداهم من اليونانيين الذين ودوا معرفة ما سينالون ان كسبوا ، قصدوا كورش بصورة خصوصية ، فارضى كل آمالهم قبل أن سمح لهم بالخروج . ان جميع الذين بحثوا الامور معه ، حثوه على عدم الاسهام في المعركة شخصيا ، بل على اتخاذ موضع في المؤخرة . عند ذاك سأل (كورشوس) سؤالا كهذا : « هل تتسبب - ياكورش - أن اخذك سيتقدم الى المعركة ؟ » فاجاب كورش : « حتما ، ان كان هو شقيقي ونجل (داريوس) و (پاريزاتس) فسوف لن احصل على السلطان ، من غير القتال في سبيله » .

ثم احصى المدجون ، فكان في الجيش اليوناني عشرة آلاف واربعمئة من مشاة الصنف الثقيل ، والالف وخمسمئة من مشاة الصنف الخفيف . وكان لدى كورش مئة ألف جندي فارسي ، وما يقرب من عشرين عجلة مسننة ، وقيل ان بجانب العدو مليون ومئتي ألف رجل ، ومئتي عجلة حربية مسننة ، وعلاوة على ذلك ، كان هناك ستة آلاف فارس تحت امرة (ارتاجرسس) وقد اتخذوا مواضعهم لحماية شخص الملك ذاته . كانت قيادة جيش الملك بيد اربعة فواد او زعماء : (ابروكوماس) ، (تيسافرنوس) ، (جوبرياس) و (ارباكس) - لدى كل منهم ثلاثمئة ألف جندي تحت امرته . لقد اشترك في المعركة ، من مجموع هذه القوة ، تسعمئة ألف جندي ومئة وخمسون عجلة حربية مسننة فقط ، اذ ان (ابروكوماس) الذي كان يزحف من (فينيقي) وصل متأخرا خمسة ايام . لقد تلقى كورش هذه المعلومات من الهاريين من جانب العاهل العظيم قبل المعركة ، وافاد الاسرى الاعداء ، الذين اخذوا بعد المعركة ، عين الخبر .

لقد سار كورش بكامل جيشه اليوناني والفارسي مسافة تسعة اميال من هذا الموضع ، خلال يوم واحد بنظام حربي ، وتوقع من العاهل أن يشتبك معه ذلك اليوم ، اذ انشاء منتصف مسيرة النهار تقريبا ، كان ثمة خندق عميق ، عرضه (٣٠) (٤٩) قدما وعمقه (١٨) (٤٩) قدما . وكان امتداد الخندق نحو الداخل على السهل حتى يبلغ السور المادي . اما بجوار الفرات ، فكان ثمة مجاز ضيق عرضه حوالي (٢٠)

(٤٩) يذكر النص الانكليزي (5 Fathoms) (3 Fathoms) والقائوم الواحد يعادل (٦) اقدام . واعتقد ان هذا الخندق هو خندق (الوشاش) المعروف أيضا بنهر الصقلاوية .

(٤٨) Samos جزيرة اغريقية في بحر (ايجه) .

قدما بين النهر والخنق ، ولقد احتفر العاهل العظيم ذلك الخندق كمقبة ، عندما بلغه تقدم كورش . فاجتاز كورش ذلك المجاز بجيشه ، وبات فيما وراء الخندق .

عندئذ ، اخفق العاهل ذلك اليوم في الشروع في المعركة ، لكن علامات عديدة قد شوهدت تدل على تراجع الرجال والخيول . اذ ذاك ، استدعى كورش العراف (سيلانوس الامبراسي) واعطاه ثلاثة آلاف جنيه . ولقد انبا كورش قبل احد عشر يوما ، اثناء تقدمه القربان ، ان العاهل لن يشرع في المعركة خلال الايام العشرة المقبلة ، فقال له كورش : « اذن ان هو لا يحارب خلال تلك الفترة ، فلن يحارب مطلقا . اما اذا تحقق قولك ، فاعدك عشر وزنات من الفضة (٥٠) ولما انصرفت الايام العشرة ، دفع له المال .

وبما ان العاهل لم يقم ، عند الخندق ، بمحاولة للحيلولة دون عبور عسكر كورش ، اعتقد كورش والباقيون ان العاهل قد عدل عن فكرة القتال . ونتيجة لهذا الاعتقاد ، زحف كورش في اليوم التالي قدما باحتراس اقل من السابق . وفي اليوم الثالث ، تابع المسير وهو في عجلته الحربية ، تتقدمه تشكيلات نظامية اعتيادية قليلة فقط . كان معظم جيشه سائرا بدون شكل نظامي ، وكان الكثير من معدات الجنود محمولا على العربات وحيوانات نقل الامتعة .

كان الوقت ضحي ، واوشكوا ان يبلغوا الموضع الذي صمم كورش على التوقف عنده ، عندما برز (باتجياس) للعيان ، وهو فارسي وصديق حميم لكورش ، راكبا بسرعة ، وحصانه ينفخ عرقا . وشرع في الحال يصيح عاليا بالفارسية واليونانية ، على كل من اجتاز به ، ان العاهل متقدم بجيش جرار بنظام حربي . اذ ذاك ، وقع بينهم فعلا ارتباك جسيم ، لان اليونانيين ، وكل من عداهم ، ظنوا ان العاهل سينقض عليهم قبل ان يستطيعوا اتخاذ مواضعهم . ففتز كورش من عجلته ، ووضع عليه الدرع ، وامطى جواده ، وقبض على رماحه . واوعز الى الباقيين قاطبة ، ان يتدججوا بالسلاح ويتخذوا اماكنهم الصحيحة . فتم ذلك بسرعة كافية . كان (كليخوس) على الميمنة يحاذيه الفرات ، والى جانبه (بروكسينوس) ثم اليونانيون الآخرون مع (مينون) على ميمنة الجيش اليوناني . اما الجيش الفارسي ، فكان يضم زهاء الف فارس (بافلاجوني) (٥١) اخذوا مواضعهم في جناح (كليخوس) وكذلك مع مشاة الصنف الخفيف على الميمنة . اما (اريوس) - نائب كورش - فكان على الميسرة مع بقية الجيش الفارسي . كان كورش وستمنه من فرسانه الخاصين به في القلب ، مزودين بالدروع ، وبالزرد لوقاية افعالهم . لقد وضع جميعهم الخوذ على هاماتهم ، خلا كورش الذي دخل المعركة حاسر الرأس . وكانت كل خيولهم مزودة بالزرد لصيانة الجباه والصدور ، كمل حمل الفرسان السيوف اليونانية .

فكان الظهر ، والعدو ما برح غير بادٍ للعيان ، لكن في اول العصر ، لاح التلع كسحابة بيضاء ، وبعد فترة ، شوهد شيء كالسواد يمتد نحو مسافة طويلة على السهل . ولما اذنادوا دنوا ، لمحت فجأة ومضات برونزية ، وبسدت

رؤوس الحراب وتشكيلات العدو مرئية . كانت ثمة خيالة يزود ببيضاء على الميسرة قيل انها تحت امرة (تيسافرونوس) والى جوارهم جنود يرتدون التروس الممولة من الاغصان المجذولة ، يليهم مشاة من الصنف الثقيل بتروس خشبية حتى القدمين ، وقيل عن هؤلاء انهم فرعونيون . ثم كان هناك المزيد من الخيالة ورماة السهام . هؤلاء كلهم كانوا يتقدمون بشكل فصائل ، كل فصيلة على هيئة مستطيل كثيف ، تتقدمهم على مسافات متباعدة عن بعضها عجلات حربية مسننة ، مزودة بأسنة رقيقة تمتد بشكل مائل من المحورين الموصلين بسنن العجلات وكذلك من اسفل مقعد السائق منكسة نحو الارض ، وذلك لبتز كل ما يعترض طريقها ، وكانت النية تسييرها لتخترق صفوف اليونانيين وتشق الطريق .

لكن كورش كان مخطئا عندما اوصى اليونانيين ، اثناء اجتماعهم به ، بالثبات في مواضعهم تجاه صراخ الجنود الفارسيين . اذ على العكس ، تقدموا باقصى السكون والهدوء وبسر وبيد ثابت .

هنا توجه كورش نفسه راكبا مع ترجمانه (بيجرس) وثلاثة او اربعة آخرين ، ونادوا (كليخوس) واخبروه ان يفتاد عسكره باتجاه قلب العدو ، اذ ان العاهل كان هناك . وقال : « وان نفز هناك ، يتم كل شيء » . لاحظ (كليخوس) ان الوحدات في القلب متراسعة ، وسمع من كورش ان العاهل اقصى من ميسرة اليونانيين ، فقد كان تفوق العاهل في العدد عظيما الى حد غدا العاهل معه ، وهو يقود قلب جيشه ، ابعد من ميسرة كورش ، لكنه بالرغم من ذلك (اي كليخوس) كان مترددا بسحب جناحه الايمن من ناحية النهر ، خشية التطويق . فرد على كورش عندئذ انه سيضمن سير الامور سيرا حسنا .

واذ كان ذلك يجري ، واصل الجيش الفارسي (٥٢) تقدمه برسوخ ، وظل الاغريق ملازمين مواضعهم ، وازدحمت صفوفهم بأولئك الذين ما انفكوا يتوافدون باستمرار . فبرز كورش راكبا امام الجيش ، وتطلع نحو خطوط الفريقين . فلمحه (زينوفون) الآثيني من موضعه في الخط اليوناني ، وتقدم نحو مواجهته ، واستفسره ان كان يعتزم توجيه أية أوامر . فاجاب كورش جواده ، وقال : « الفال حسن والقرايين جيدة » واخبره بتبليغ ذلك كل فرد ، وبينما كان هو يتكلم ، سمع صوتا على طول الصفوف ، فاستعلم عنه ، فاخبره (زينوفون) انها كلمة السر المرسلة عبر الصفوف للمرة الثانية . فتعجب كورش من يكون مطلق الكلمة ، وسأل عن ماهيتها ، فاجاب (زينوفون) انها كانت (زيوس المنقذ ، والظفر) . عند سماع كورش ذلك ، قال : « اذن اتقبل الكلمة . فلتنك كذلك . » ومع هذه الكلمات ، غادر راكبا نحو مركزه في الميدان .

ساعتئذ ، لم تكن الشدة بين الجيشين تعدو ستمئة - ثمانئة ياردة ، فشرع الاغريق الآن ينشدون نشيد الحرب . واخذوا في التقدم صوب العدو . واذا هم يتقدمون ، جاشت موجة من الفيلق نحو الامام ، وبرزت امام البقية ، وشرع الشطر المتخلف في التقدم بهيئة ازدواجية . وفي ذات الحين ، اطلقوا جميعهم صرخة كمرخة (ايلو) (٥٣) التي يوجهها الناس

(٥٢) جيش العاهل .

(٥٣) "Eleleu" ضرب من الهتاف اما لبث الرعب في قلوب الاعداء او لشجلا الهمم لدى المحاربين .

(٥٠) يذكر النص الانكليزي (Ten Talents) و (الثالث)

مبار نفخي يعادل حوالي (٢٤٤) جنيتها استرلينيا .

(٥١) نسبة الى (بافلاجونيا) اقليم في شمال الاناضول (آسيا الصغرى) يطل على البحر الاسود .

الى الاله الحرب ، ثم اخلوا بمدون نحو الامام . ويقول البعض انهم ، كي يبشوا العرب في الخيل ، شرعوا يصدون تروسهم بحراهم . اما الفرس ، فقبل ان باتوا على مرمى السهام ، تذبذبوا وولوا الادبار . وبعد ذلك جد اليونانيون حقبا في ملاحظتهم بعزم ، لكنهم تنادوا فيما بينهم بعدم الركض ، بل ان يتسبعوا العدو متراصين ، دون تباعد في الصفوف ، فبادرت المجلات الحربية بالهجوم ، وتغلغل بعضها داخل صفوف العدو ، مع ان بعضها ، ولقد هجرها سائقوها ، اخترقت جموع اليونانيين . عندما شاهد اليونانيون قدومها ، انفرجوا ، ولو ان جنديا ، وقف راسخا في موضعه وكأنه في حلبة سباق ، ثم تدرج . على كل حال ، حتى هذا الشخص ، قيل انه لم يصب باذى ، كما لم تقع اية اصابات بين اليونانيين اثناء هذه المعركة ، باستثناء جندي واحد في الجناح الايسر ، قيل انه رشق بسهم .

لقد سُر كورش تماما اذ لاحظ غلبة اليونانيين ، واكتساحهم العدو من امامهم ، وتمت المتابعة به ملكا من قبل اولئك الذين كانوا بيمينه ، لكنه لم يتجرف الى درجة الاشتراك في المطاردة . لقد حافظ على الفرسان الستة من حرسه الخاص بهيئة متراسة ، وارقب ينظر ما سيقدم عليه العاهل ، لانه كان موفنا ان موضعه وسط الجيش الفارسي . والحقيقة ، ان القادة الفرس كافة ، يتخلون اماكنهم وسط وحداتهم عند اشتراكهم في المعركة ، والقصد من ذلك ، انهم بهذه الطريقة يمسون في اسلم موضع ، مع قواتهم على كل جوانبهم ، وان اعتزموا اصدار الايعازات ، وصلت جيشهم في نصف المدة . وفي هذه المرة ، كان العاهل كذلك في قلب عسكره ، لكنه كان ، مع ذلك ، ابعد من جناح كورش الايسر . ولما لم يلاحظ ، عندئذ ، هجوما جهويا عليه ، او على الوحدات الحائلة دونه ، استدار ميمما شطر اليمين بحركة مثنية .

ثم ان كورش ، اذ خشي ان يصبح العاهل خلف اليونانيين فيمزقهم ، تحرك نحوه راسا . فاغار مع الستة الذين معه ، واخترق ستار الجند امام العاهل ، ودحر الستة آلاف ، واشيع انه قتل بيده امهم (ارتاجرسس) ، لكن عندما لاذا بالفرار ، فقد الستة ، التابعون لكورش ، ترابطهم اثناء اندفاعهم المتحمس في مواصلة الملاحقة ، وتخلف معه عدد قليل جدا ، اغلبهم اولئك الذين اطلق عليهم « رفاق المائدة » . وعندما بقي مع هذا العدد الضئيل ، لمح العاهل والصفوف المتراسة حوله ، ودون ان يتردد لحظة ، صاح : « ارى الرجل » ، وهجم عليه ، ووجه نحو صدره طعنة اخترقت درعه فجرحته ، كما يقول (تيسياس) الطبيب ، وقال ايضا انه ضمد الجرح بنفسه . لكنه في ذات اللحظة التي كان بوجه اثناءها الطعنة ، نجح ادهم برمح اسفل ناظره بشدة . ويقول الطبيب (تيسياس) - الذي كان مع العاهل - انه قد سقط العديد من جنود العاهل اثناء اقتتال العاهل وكورش . لكن كورش نفسه قد قتل ، وارتمى على جثمانه بلا حراك ثمانية من انبل حاشيته . لقد قيل ان (ارتاياتاس) اوثق خادم من حملة صولجانه - اذ لمح (كورش) صريعا ، قفز عن جواده ، ورمى نفسه عليه . ويقول البعض ان العاهل امر من يقتله وهو مسجى على كورش ، ويقول آخرون انه سحب سيفه ، وقتل نفسه هناك . كان لديه سيف ذهبي ، وقد اعتاد ان يضع عليه سلسلة وقلادة والعلى الاخرى نظير انبل الفرس ، لانه كان

بعد من قبل كورش صديقا صدوقا ، وخادما مؤتمنا (٥٤) .

ثم حُر راس كورش وكذلك يمينه ، وانقلب الملك ملاحقا ، واخترق معسكر كورش . فلم يلبث رجال (اريوس) بعدئذ ، بل ركنوا الى الفرار خلال معسكرهم حتى بلغوا آخر مرحلة توقفوا عندها قبل ان تحركوا . وقيل ان ذلك الشوط يبلغ (١٢) ميلا .

ضمن الاسلاب العديدة التي استحوذ عليها العاهل واصحابه ، حظية كورش ، وهي فتاة من (فوسيا) (٥٥) ، قيل انها خلوب وفهيمة في آن معا . اما حظيته الصغرى ، وهي غادة من (ملاطية) ، فقد اسرها جنود العاهل ، لكنها افلتت منهم نصف عارية ، ولجأت الى اليونانيين الذين اتفق ان كانوا هنالك ، شكاك السلاح ، يحرسون المتاع . فاخذوا مواضعهم ، واقتوا عددا من السالين ، ولو ان قسما منهم قد قتل ايضا . الا انهم ، لم يهزموا ، بل انقلوا اللغاة وكذلك جميع الممتلكات من اموال وعبيد ، كانت في معسكرهم .

في هذه المرحلة ، بات جيش العاهل وصلب العسكر اليوناني على مسافة ثلاثة اميال من بعضهم . كان اليونانيون يطاردون القوات المجابهة لهم ، وكانهم قد احرزوا نصرا ناجزا ، وكان الفرس منهمكين في السلب ، وكان فوزهم بات كاملا كذلك . بيد ان اليونانيين اكتشفوا ، غب ذلك ، ان العاهل وجنوده اضحوا بين امتعتهم ، وسمع العاهل من (تيسافرنوس) ان اليونانيين قد دحروا الوحدات المجابهة لهم ، وانهم مندفعون قدما يواصلون الملاحقة . عندئذ استجمع قواته وهياها يشق حربي ، بينما استدعى (كليرخوس) القائد (بروكسينوس) الذي كان يليه ، وبحث معه ان كان ينبغي ارسال مفرزة لانجاد العسكر ، ام ان يسير الجميع الى هناك سوية .

في نفس الحين ، تجلى ان العاهل ايضا ، عاد يتقدم نحوهم مجددا ، كما ظنوا ، من المؤخرة . اذ ذاك ، واليونانيون يفترضون قدومه من هناك ، استداروا وتهاوا لمناوشته . بيد ان العاهل لم يتقدم بجيشه من تلك الجهة ، بل - كما فعل سابقا بالضبط بان اجتاز مسيرة اليونانيين - اقتاد الان جيشه عائدا بنفس الطريق ، اخذا معه من فر الى اليونانيين اثناء المعركة ، وكذلك (تيسافرنوس) والجنود الذين تحت امرته .

ان (تيسافرنوس) لم يهزم اثناء الغارة الاولى ، لكنه تقدم شطر مشاة الاغريق من الصنف الخفيف بحذاء النهر ، واخترق صفوفهم . بيد انه لم يقتل شخصا واحدا ، فقد

(٥٤) يعتقد الاستاذ طه باقر ان موضع هذه المعركة قريب من (المسيب) الحالية ، استنادا الى ما ورد في ص ٤١٣ من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الثاني) ، بينما يعتقد الدكتور احمد سوسة (استنادا الى رسالة شخصية الى المترجم مؤرخة في ٦٥/٨/٢١) ان موقع هذه المعركة قريب من (الانبار) لكنني اعتقد ان موقعها قريب من (تل كنيسة) القريب جدا من الفرات وجدول (الرضوانية) وربما يكون موقعها قريب من (اليوسفية) .

(٥٥) اما انها مستعمرة ابونية - وهي ميناء اغريقي قديم في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) - او انها ولاية اغريقية قديما في شرقي (بيوطيا) شمالي خليج كورنث .

أفرج اليونانيون صفوفهم ، وأعلموا في رجاله السيوف والرماح . كان (أبيستيز) الذي من (أمفيوليس) (٥٦) أمرا على مشاة الصنف الخفيف ، وقيل انه قد أبدى مهارة فائقة . ولما ألقى (تيسافرونوس) أنه المنصر من جراء الاشتباك ، لم يعد الكرة بهجوم آخر ، بل توجه نحو المعسكر اليوناني حيث التقى العاهل ، وهناك التامت قواتهما ، وسارا عاندين بنظام حربي . وبما أنهم كانوا مقابل مسيرة اليونانيين ، خشي اليونانيون أن يدهم الفرس هذا الجناح ، ويطبقوا عليهم من الجانبين فيمزقوهم تمزيقا . لذا بدت لهم أفضلية تمديد الجناح المذكور ، تاركين النهر خلفهم . لكنهم بينما كانوا يبحثون هذه المناورة ، غير العاهل الاتجاه على حين غرة ، ومضى مجتازا بهم بأن جعل خطه يواجه جبهتهم بنفس الهيئة التي برز فيها لمقاتلتهم في الجولة الاولى .

ف عندما لاحظ اليونانيون اصطفاقهم تجاههم متكائفين ، انشدوا نشيد القتال ثانية ، وحملوا عليهم بروح عدائية أقوى من السابق . فأتفق الفرس في الصمود بوجه الفارة ، والحقيقة أنهم ركنوا الى الفرار ، حتى عندما بات اليونانيون على مسافة أبعد مما كانوا عليه في الجولة السابقة . فتعقبهم اليونانيون حتى أدركوا قرية ، فتوقفوا هناك لوجود رابية فوق القرية ، واتشنى رجال العاهل على هذه الرابية لمعاودة القتال . لقد كان المشاة ، في الحقيقة ، يواصلون الانهزام ، لكن الرابية قد اكتظت بالفرسان ، فلم يعد من الميسور رؤية ما يدور . وقالوا أنهم شاهدوا شعار العاهل بشكل نسير ذهبي ، على حربة ، منشور الجناحين .

كان اليونانيون ، في الواقع ، يزحفون نحو هذا الموضع عندما كانت الخيالة أيضا تغادر الربوة لا بشكل وحدة مترصة ، بل فصائل مختلفة باتجاهات متغايرة ، حتى تجردت الرابية من الخيالة تدريجا ، وانزاحوا نهائيا . ولم يراق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، وأنفذ (ليسيسوس) السراقوسي (٥٧) وفردا آخر نحو القمة ، يراق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، هنالك . فارتقى (ليسيسوس) راكبا ، وبعد استطلاع ، عاد مخبرا بتقهقر العدو التام .

وحينما كان هذا يجري ، كانت الشمس أخذة في الغروب ، فتوقف اليونانيون حيث كانوا ، وجمعوا السلاح ، وأخذوا الى الراحة . في ذات الحين ، تعجبوا لعدم ظهور كورش في أي موضع ، ولعدم ورود مخبر منه . إذ لم يعلموا أنه قد قضى ، بل خيّل اليهم أما أنه قد انطلق لمسافة في اثر العدو ، أو قد واصل السير لاحتلال مركز ما . أما هم ، فبعد أن تشاوروا في أمر مكوثهم حيث كانوا ، وجلب امتعتهم اليهم ، أو عودتهم الى معسكرهم ، قرروا الأوبة . فوصلوا خيامهم اوان العشاء ، وتلك كانت خاتمة ذلك النهار . لقد اكتشفوا أن جميع امتعتهم تقريبا ، ومنها أرزاقهم وشرابهم ، قد انتهبت . كما كانت هناك بعض عربات - قدرت بأربعمائة - مزودة بالشعير والنبذ ، هياها كورش لد اليونانيين بها اذا حدث

نقص كبير في مرة الجيش . لقد نهب رجال العاهل هذه العربات كذلك ، حتى بات أكثر اليونانيين بلا عشاء . فالحقيقة أنهم لم يتناولوا وجبة الظهر ، لأن العاهل برز اليهم قبل توقف الجيش لتناول الفداء . وهكذا أمضوا تلك الليلة .

عند الفجر ، التام القادة ، مستغربين عدم أوبة (كورش) ذاته ، وعدم إيفاده مخبرا يعلمهم ما ينبغي أن يفعلوا . وبحكم الظروف ، عزموا على حزم حاجياتهم ، ومواصلة التقدم ، مدججين ومناهين للقتال ، حتى يتسنى لهم الالتحاق بكورش . لكن ، مع بزوغ الشمس في الفضاء ، تماما ، وهم على وشك التحرك ، ووصل (بروكليس) - Procles - حاكم (يتورانيا) - سيليل (داماراتوس) - Damaratus الاسبرطي ومعه « جلوس » نجل « تاموس » بنيا مفاده أن (كورش) ميت ، وأن (آريوس) قد ركن الى الفرار ، وأنه الآن مع بقية القوات الوطنية (٥٨) ، عند آخر مرحلة توقفوا عندها وتحركوا منها في اليوم المنصرم . كانت الرسالة من (آريوس) تفيد أنه سينتظر سحابة النهار ليرى أن كانوا (٥٩) سيلحقون به ، لأنه قد ارتأى أن يطلق في الغد الى (أونييا) (٦٠) التي توجه منها .

عندما سمع القادة هذا النبا ، وعلم به اليونانيون الآخرون ، ألم بهم قنوط شديد . فتكلم (كليرخوس) قائلا : « تمثيت أن يكون (كورش) حيا يرزق . على كل حال ، لما كان قد قضى ، فيجب أن نخبروا (آريوس) أننا قد فهرنا العاهل ، وكما ترون ليس ثمة عقبة دوننا الآن . في الحقيقة ، لولا قدومكم ، لكنا الآن زاحفين عليه . أننا نعد (آريوس) أن آتانا ، فسندجلسه على عرش الملك . وأولئك الذين يربحون المعركة ، لهم كذلك الحق في السلطة العليا » .

بهذه الكلمات أعاد الرسولين ، وأوفد معهما (خريسوفوس) الاسبرطي و (مينون) الشسالي (٦١) . كان مينون يتشوق الى الذهاب تلقائيا ، إذ كان خليل (آريوس) وكان له نصيب من حسن ضيافته .

فذهبوا وتخلف (كليرخوس) . وتزود الجيش بالطعام بأحسن ما تيسر من دواب نقل الامتعة ، وذلك بنحر الثيران والحمر . واستحصلوا الوقود بالنقد قليل ، بعيدا عن الخط ، باتجاه ميدان المعركة التي خاضوا ، مستعملين السهام الوفيرة التي ألقتها على الارض الفارون من جانب العاهل ، عندما أرفهم اليونانيون على ذلك في ساحة المعركة بالأمس ، والدروع المجدولة من أغصان الشجر ، ودروع الفرعونيين الخشبية . كما كان عدد من التروس الخفيفة والمركبات التي هجرها ساقطها . فاستعملوا كل هذه المواد لانصاج اللحم ، فتناولوا وجبة ذلك النهار .

(٥٨) يقصد جيش كورش الفارسي .

(٥٩) يقصد اليونانيين .

(٦٠) Ionia - المنطقة الساحلية من غرب آسيا الصغرى والجزائر المحاذية لها وكانت مستعمرات اغريقية .

(٦١) من منطقة (ناسيا) في شمالي اليونان ، مشهورة بسهولة التي تنتج الحبوب ، أهم مدنها (لاريسا) - Larissa .

(٥٦) مدينة تفيد معنى المدينة المدورة في (مقدونيا) .

(٥٧) نسبة الى سراقوس (Syracuse) ثغر قديم في طرف الجنوب الشرقي من جزيرة (صقليا) ، حاصرها الانبيون حصارا فاشلا بين عامي ٤١٤ و ٤١٣ قبل الميلاد .

كان الوقت قد ناهز الضحى عندما وفد المخبرون من لدن العاهل ، ومن (تيسافرنوس) . كانوا من الفرس بأجمعهم ، خلال واحدا يدعى (فالينوس) ، فكان هذا يونانيا في خدمة تيسافرنوس الذي كان يعتد به كثيرا ، اذ ادعى البراعة في التدريب وفنون المشاة الحربية . جاء هؤلاء راكبين ، وطلبوا الكلام مع القادة اليونانيين ، فقالوا بما أن العاهل قد أحرز النصر وقضى على (كورش) ، أمر اليونانيين بالقاء أسلحتهم ، وبالمثول في البلاط ، وباستحصال الخطوة الملكية لأنفسهم ، ان استطاعوا .

هذا ما قال مخبرو العاهل ، فحقق اليونانيون اذ سمعوه بيد أن (كليرخوس) لم يزد على القول : « ليس للظافرين أن يسلموا أسلحتهم ، لكن - أنتم القادة الآخرون - عليكم أن تمدوا ما يلوح لكم افضل وأنبل رد على هؤلاء الرجال . سأعود حالا . » فقد استدعاه أحد ضباطه لفحص الاحشاء المستخرجة من الفصحية ، وهو يؤدي الشعائر القربانية .

عندئذ أجاب (كليثور) الأركادي (٦٢) ، الذي كان أكبرهم سنا ، انهم سيموتون قبل القاء أسلحتهم . وقال (بروكسينوس) الثيبى (٦٣) : « ان ما يحيرني ، يا فالينوس ، هو فيما اذا كان العاهل يطالب بأسلحتنا بحق من الظفر ، أم كهدايا للاعراب عن صداقتنا . ان كان بحق الظفر ، فليم يطالبنا بها دون القدرم لأخذها ؟ وان كان ينبغي الحصول عليها نتيجة اتفاق ، فليقل ما الذي سيكسبه الجنود ، اذا كانوا على استعداد أن يسدوا اليه هذا الفضل . »

أجاب (فالينوس) على هذا بالقول : « يعتبر العاهل النصر له ، مادام قد قتل (كورش) . اذ ، في الحقيقة ، من تبقى لينازعه الامبراطورية ؟ كما يعتقد انكم في قبضته كذلك ، ما زلتم في اصقاعه المحاطة بانهر لا يستطيع عبورها ، وهو قادر على اجتلاب الحشود العظيمة من الرجال ، لا قبل لكم بافنائها قاطبة ، حتى لو أتاح لكم الفرصة لتفعلوا ذلك . »

بعدئذ ، تكلم (ثيودوميروس) الاثيني قائلا : « كما ترى ، يا فالينوس ، ان الاشياء الوحيدة ، التي بقيت لدينا حاليا ، ذات قيمة : أسلحتنا وشجاعتنا . مادامنا مالكين للسلاح ، تصور بمقدورنا استخدام بسالتنا جيدا . أما اذا القينا السلاح ، فسنفقد حياتنا كذلك . لذلك لا تتوهم أنسنا سنسلمكم الاشياء الثمينة الوحيدة في حوزتنا . على النقيض من ذلك ، سنقاتل مستعنيين بها ، في سبيل ما نتمنون أنتم كذلك . »

فلما وعى (فالينوس) هذا ابتسم وقال : « انك أيها الشاب ، كفيلسوف تماما . قد أجدت الافصاح ! مع كل ذلك ، دعني أفدك أنك مجنوب أو فكرت أن بسالتكم تستطيع النيل من قدرة العاهل . »

ان الذين حضروا هناك ، أفادوا بوجود آخرين طففوا يفقدون عزيمتهم ، ويقولون انهم كما كانوا مخلصين لكورش ، ستكون لهم قيمة كبيرة عند العاهل كذلك ، اذا ابتغى كسب صداقتهم ، ومن جملة ما أبدوا أنه قد يرغب في استخدامهم في تجريدة على مصر ، واذا كان الامر كذلك ، فهم يودون الانخراط معه لفتحها .

(٦٢) من (أركاديا) وهي منطقة زاعية المناظر في اليونان ، شهيرة بكونها الوطن التقليدي للشعر الريفي .

(٦٣) من (ثيبا) وهي عاصمة (بيوطيا) قديما شرقي اليونان وقد خربها الاسكندر الكبير .

لحظتئذ ، وصل (كليرخوس) عائدا ، واستفهم ان هم قد أعطوا الجواب ، بعد . فتدخل (فالينوس) قائلا : « ان هؤلاء الرجال هنا ، يا كليرخوس ، قد أجابوا اجابات متباينة . فآخبرنا الآن ما تقول أنت . »

قال كليرخوس : « سرتي أن أراك يا فالينوس ، وأرجح أن هذا هو شعور الآخرين كافة ، لأنك اغربي كجميع مسن تشاهد هنا . في ظرفنا الراهن ، نريد مشورتك بشأن ما ينبغي علينا فعله بخصوص رسالتك . لذا أرجوك أن تزودنا بنصيحة هي الافضل والاشرف ، في اعتقادك ، ومن النوع الذي يجتنب لك التكريم في المستقبل ، عندما يخبر الناس عنها قائلين : (ان فالينوس قد ارسل ، ذات مرة ، من لدن العاهل ، يطالب اليونانيين بالقاء أسلحتهم . وعندما سألوه النصح ، كانت نصيحته بأن قال كذا ... وكذا ...) لأنك تعلم أن المشورة ، التي أنت مبدئها ، سيفشو خبرها في اليونان ، لامحالة . »

لقد نطق كليرخوس بذلك تلميحا ، وفكرته أن يحمل رسول الملك ذاته على نصيحهم بعدم القاء السلاح ، كي بهذا يتكسب اليونانيون الثقة . بيد أن (فالينوس) تخلص من ذلك بمهارة ، وتكلم عكس مأمول كليرخوس ، قائلا : « مشورتني الا تلقوا أسلحتكم ، ان كانت لكم فرصة واحدة من عشرة آلاف بانقاذ انفسكم عن طريق محاربة العاهل . أما اذا لم يكن لكم مجال واحد في النجاة عن سبيل مناهضة العاهل ، فانصحكم اذ ذاك باتخاذ الخطوات الوحيدة التي في مقدوركم أن تصونوا بها ذواتكم . »

فرد (كليرخوس) على ذلك قائلا : « حسن اذن ، الى هذا القدر من مشورتك . تستطيع الآن أخذ جوابنا ، وهو أننا نعتبر اذا كانت القضية بأن نفدو اصدقائنا المصاهل ، فسنكون أكثر نفعا للعاهل لو احتفظنا بأسلحتنا مما لو تركناها لغيرنا ، واذا كانت المسألة قتالا ، فسنحارب ، ونحن نمتلك السلاح ، افضل مما لو كان في حوزة سوانا . »

فقال (فالينوس) : « اذن هذا هو الرد الذي سننقله . لكن العاهل أبلغنا أن ننقل اليكم هذه الرسالة كذلك : انه يعتبر الهدنة قائمة ما لديتم حيث أنتم ، أما اذا تحركتم قدما أم الى الوراء ، فذلك يعني الحرب . لذا عليك ان تعجبني عن هذه النقطة كذلك ، اذا كنتم ستلذمون بهذا المكان وتعتقدون المهادنة ، أم ينبغي أن أبلغه عنك بأنكم معتبروها حالة حرب . »

فاجاب كليرخوس : « قل له ، بصدد هذه النقطة ، أننا نفكر عين تفكيره . »

فقال فالينوس : « وماذا يعني ذلك ؟ »

اجاب كليرخوس : « يعني الهدنة ان مكثنا ، والحرب ان تقدمنا او تراجعنا . »

فاستفهم فالينوس ثانية : « ما الذي سأقول : هدنة أم حربا ؟ » . فاجاب كليرخوس نفس الاجابة مكررا : « هدنة أثناء مكوثنا هنا ، وحرب ان تقدمنا أم تراجعنا . » ولم يشر الى المسلك الذي ارتأى أن يتبع .

عندما غادر (فالينوس) ومن معه ، عاد (پروكليس) و (خربسوفوس) ضمن الموفدين من (آريوس) . أما (ميتون) فلبث مع آريوس . فأفادوا أن آريوس قد قال بوجود عدد من الفرس ، أرفع منه منزلة لا يطيقون تنسيبه ملكا . أما ان شاء اليونانيون مرافقته في طريق العودة ، فهو يستحثهم على القدوم تلك الليلة . والا ، فانه مبارك في الغد الباكر .

فقال كليخوس : « حسنا . هذا ما ينبغي علينا فعله . ان نأت ، فسيكون كما تقولون . ان لم نأت ، فمليكم بانتهاج الخطة التي تحسبون احدى لكم » . فلم ينيء ، حتى هؤلاء ، ما الذي كان سيفيد عليه .

بعد ذلك ، عندما غربت الشمس ، استدعى القادة وضباط المئة للاجتماع ، وخطبهم قائلا : « اصدقائي : عندما كنت اقدم القربان بقصد الزحف على العاهل ، لم تكن الدلائل ملائمة . وهذا طبيعي ، اذ - كما ادرك الآن - يوجد بيننا وبينه نهر صالح للملاحة - الدجلة . لا يمكننا عبور النهر دون زوارق ، ونحن لا نحوزها . من المؤكد لا نستطيع البقاء هنا ، لعدم توفر امكانية الحصول على التجهيزات . اما في حالة الذهاب الى اصحاب كورش ، فدلائل القرائين كانت ملائمة للغاية . اذن هذا ما يتحتم علينا ان نفعل : بعد مفادرة الاجتماع ، علينا بتناول ما توفر من العشاء ، وعندما يطلق النفر نداء الانصراف الى الرقاد ، المتاد ، احزموا امتعكم . وعند نداء النفر الثاني ، ضعوها على الدواب الناقلة . وعند اطلاق النداء الثالث ، اقتفوا الذين يقتادونكم ، على ان تكون الدواب بجانب النهر ، والمشاة الثقيلة خارجها » .

عند تسلم هذه الايعازات ، مضى القادة وضباط المئة ونفذوها . ومنئذ ، اصبحت القيادة لكليخوس ، وغدوا هم مرؤوسيه . ولم يحصل هذا نتيجة انتخاب ، بل لوثوقهم انه الرجل الوحيد الذي يمتلك النوع الصحيح من عقلية القائد ، بينما كان الآخرون غير مجربين .

بعدئذ ، عندما حلت الدجئة ، فر (ميلتوسووس) الثراشي نحو العاهل ، مستصحبا اربعين من اعداء الفرسان الذين كانوا لديه ، ما يقرب من ثلاثمائة رجل ثراشي . اما اليافون ، فسار بهم كليخوس حسب تعليماته ، وتبعوه حتى ادركوا محطة التوقف الاولى حوالي منتصف الليل ، حيث اربوس وعسكره . لقد اوقف القادة وضباط المئة اليونانيون رجالهم في نسق حربي ، وانطلقوا ليواجهوا اربوس . ثم ان اليونانيين من ناحية ، واربوس مع اهم ضباطه من الناحية الاخرى ، اقسموهم اليمين على عدم خيانة احدهم الآخر ، وعلى ان يكونوا حلفاء صادقين . كما ان رجال الفرس ادوا قسما آخر على اقتياد اليونانيين للعودة بهم دون اي خداع . لقد سبق هذين القسمين ، تضحية ثور وخنزير وكبش على مذن . ففمس اليونانيون في الدم حساما ، والفرس حربة .

وعندما تم التماهد على ذلك ، قال كليخوس : « والان يا اربوس ، ما دمنا سالكن نفس السبيل ، قل لنا ما وجهة نظرك بشأن الطريق التي ستسلك . هل سنعود من حيث آتينا ام ان في ذهنا مسلكا افضل ؟ » .

اجاب اربوس : « اذا كنا سنسلك في الاوبة طريق مجيئنا ، هلكننا جميعا من الجوع ، فقد امسينا الآن من غير مؤن . وحتى اثناء طريقنا الى هاهنا ، عجزنا عن استحصال اي شيء من البلاد التي اجتزنا خلال سبعة عشر يوما - اذ لو كان ثمة شيء ما ، لوجدناه اثناء توجهنا الى هنا . اننا الآن نرتش الرجوع عن طريق اطول حقا ، لكن المؤن لن تعوزنا خلالها . ينبغي ان نجعل المراحل الاولى من سيرنا ابعد مانستطيع ، لنترك اقصى مسافة ممكنة ، تفصلنا عن جيش العاهل . ان تمكنا ، لاول وهلة ، من السير مسافة يومين او ثلاثة بعيدا عنه ، فسوف لن تتوفر للعاهل فرصة اخرى لادراكنا . انه لن يجازف بان يلاحقنا بقوة ضئيلة ، واذا سار

بجيش جرار ، فلا يستطيع السير حثيثا . كما يحتمل ان تنقصه التجهيزات . هذا هو رأيي حول الموقف » .

ان الامكانيات الوحيدة ، في هذه العملية الحربية ، كانت اما الابتعاد على غير مرأى من العدو ، او الانشاء عن مجال مطاردته . غير ان الحظ بات احسن دليل . اذ بطلوع النهار ، ساروا والشمس عن يمينهم ، مقدرين انهم مع صفو الشمس سيدركون القرى التي في بلاد بابل . ولم يخطوا في هذا ، اذ بينما كان الوقت عصرا ، تخيلوا انهم يستطيعون مشاهدة فرسان العدو . فهرع اليونانيون الساترون بدون نظام الى اتخاذ مراكزهم . اما اربوس الذي كان في عجلته ، لاصابته بجرح ، فترجل ووضع عليه درعه كما فعل الآخرون الذين معه . لكنما اذ كانوا يتدججون بالسلح ، عادت طليعة من الكشافة ، ارسلت للاستطلاع ، وافادت انهم ليسوا فرسانا بل دواب نقل الامتعة ، ترى . فادرك كل فرد في الحال ان معسكر العاهل في موضع قريب ، وفي الحقيقة كان الدخان يشاهد في القرى غير البعيدة كثيرا . لكن كليخوس لم يقدر رجاله قدما ليغيروا على العدو ، فطمه ان التعب قد انهكهم ، وانهم لم يتناولوا وجبة طعام . كما ان الوقت كان متاخرا الان . ومن ناحية اخرى ، اهتم الا يدع مجالا للانطباع عنه انه كان لائذا بالفرار ، فلم يغير وجهته ، بل استمر في السير قدما . ومع غروب الشمس ، خيم مع الطليعة في اقرب قرية ، حيث ان جيش العاهل قد اقتلع من المنازل حتى ابوابها ونوافذها الخشبية .

مع ذلك ، تمكنت الطليعة من تهيئة مخيم نوعا ما ، لكن الذين وصلوا فيما بعد اثناء العتمة ، خيموا انى وجدوا انفسهم ، واحدثوا الكثير من الجلبة اثناء مناداتهم بعضهم بعضا حتى بات في مقدور العدو ان يسمعهم . فنجم عن ذلك ، ان الاعداء الاقربين فروا فعلا من خيامهم . لقد اتضح هذا في اليوم التالي ، اذ لم يبق ، ضمن مدى البصر ، اية دابة نقل الامتعة كما انه لم يبق اي معسكروا خان فيما جاور . كما ظهر ان العاهل ذاته قد اصيب بالضر عند ذوو اليونانيين ، والحقيقة انه كشف عن ذلك بجلاء فيما فعل في اليوم التالي .

لكن اليونانيين انفسهم ، قاسوا من دعر مباغت ، داهمهم ليلا ، فحدث من الفزع والفضوضاء ما يتوقع الفرد عندما تسود حال من الفزع . بيد ان كليخوس اوعز الى (توليدس) الابلي (١٤) الذي اتفق ان كان معه ، وكان احسن مناد في زمانه ، ان يامر بالصمت ثم بالناداة : « يملن القادة ان الرجل الذي يأتي بمعلومات حول الذي سمع بانفلات حماره بين الاسلحة ، سينعم عليه بوزنة فضة (١٥) » . فعندما وعى الجنود هذا النداء ، اطمأنوا ان ليس للدرهم مبرر ، وان القادة كانوا في امان . وعند الفجر اوعز كليخوس الى اليونانيين بجعل صفوفهم بنفس التشكيل الذي كانوا عليه اثناء المعركة .

ان ما ذكرت آنفا حول دعر العاهل عند ذوو اليونانيين ، قد ثبت بما جرى فيما بعد . فمع انه في اليوم المنصرم ، اوفد من يامر الاغريق بتسليم اسلحتهم ، لكنه الان انفذ ، مع بزوغ الشمس ، مخبرين لبحث الشروط .

(١٤) نسبة الى Elea وهي من مستعمرات الاغريق في

جنوبي إيطاليا المسماة أيضا Graecia Magna

(١٥) وزنة الفضة تعادل (٢٥٠) أو (٢٤٠) جنيه .

وبعد التقدم ، وصلوا القرى حيث قال لهم الادلاء انهم يستطيعون الحصول على المؤن . فكانت اللال مبنولة بوفرة وكذلك الصهباء المصنوعة من التمر ، وشراب حامض معمول من التمر المطبوخ . اما التمر ذاته ، فالصنف الذي يراه الشخص في اليونان ، كان يمزج جانبيا للخدم ، بينما الانواع المخصصة للسادة ، كانت فاكهة منتقاة ، كبيرة الحجم ، رائقة المنظر ، الوانها كالعنبر تماما، واعتبادوا تجفيف بعضها وحفظها كحلويات . وكان ثمة مشروب آخر ، حلو المذاق (٦٦) ، لكنه قد يصيب شارب به بالدوار . ولاول مرة ، هنا كذلك ، اكل الجنود الجمار (٦٧) المستخرج من قلب النخلة ، وكان معظمهم مفتونين جدا بمظهره ومذاقه اللذيذ الغريب ، ولو ان متناوله كان ، كذلك ، شديد التعرض للاصابة بالصداع . وكل نخلة ، استخرج منها الجمار ، ذبلت نهائيا .

فاقاموا هنا ثلاثة ايام ، ثم جاء بصفة رسل من لدن العاهل: تيسافرونوس وصهر العاهل وثلاثة آخرون من الفرس ، مع جملة من المبيد ليقتلوا على خدمتهم .

فذهب القادة اليونانيون لاستقبالهم ، واستهل تيسافرونوس المباحثات بالكلام على النحو التالي بوساطة مترجم : « اني ذاتيا ، اصدقائي الاغريق ، اميش متاخما حدود اليونان ، وعندما رايت انكم امسيتم في مثل هذا الوضع الحرج للغاية ، اعتبرتها فرصة موفقة لي ان تمكنت بآية وسيلة من افئاع العاهل بقبول التماسي بان اعيدكم سالين الى بلادكم بالذات . اظنه صليعا ساحمد عليه منكم ومن بقية اليونانيين . فاعتقادا مني بذلك ، رفعت رجائي الى العاهل ، وان من الصواب والملائم له ان يمنحني هذا المعروف ، لاني اول من انباه بزحف كورش عليه ، وعندما جلبت النبا ، استصحب العساكر ، كما اني الوحيد الذي لم ينهزم من بين الذين جابهوا اليونانيين في المعركة . بن على النقيض ، اخترقتهم واتصلت بالعاهل عندما وصل معسكركم غب مقتل كورش ، وبعد ذلك ، طاردت جيش كورش الفارسي برفقة هؤلاء الرجال الذين معي حاليا ، وهم اوفى اصدقاء العاهل . حينذاك ، وعدني العاهل النظر في مطلبي ، وفي ذات الحين ، امرني بالتوجه اليكم لاستوضحكم الغاية من زحفكم عليه . اني انصحكم باعطاء رد معقول ، كي استطيع ، بسهولة اكثر ، استحصال كل منفعة اقدر عليها من اجلكم » .

عند ذلك ، انسحب اليونانيون ، وتشاوروا فيما ابداءه . فاجابوا بلسان ناطقهم كيرخوس : « لم نأت ، لاول وهلة ، سوية بقصد محاربة العاهل ، وما كنا بعدد زاحفين على العاهل لقد كانت الحال ، بالاحرى ، كما تعلم حق العلم ، ان كورش ظل يخلق لنا الاعذار المختلفة للزحف بنية الامسالك بك بمنأى عن جندك ، فيحملنا على القدوم الى هنا . بيد اننا لا لا حظنا انه غدا في وضع خطر ، شعرنا بالخلج امام السماء وتجاه اعين الملا ان نخونه . اما الان وقد قضى كورش نجبه ، فلسنا منازعين العاهل امبراطوريته ، وليس من باعث يستوجب رغبتنا

قدم هؤلاء المخبرون الى الخفراء في المقدمة ، وطلبوا مواجهة القادة ، فابلاغ الخفراء تلك الرسالة . فقال لهم كيرخوس ، وهو حينذاك يفتش المفاوز ، ان يخبروا الموفدين بالانتظار ، ريثما يستح له الوقت . ثم جعل العسكر حسب تشكيل ، بدا زاهيا للناظر - فيلق مرصوص من اية ناحية شوهه ، دونما فرد مجرد من السلاح . ثم استدعى كيرخوس المخبرين ، وتقدم بنفسه نحو الامام ، بصحبة احسن جنوده قيافة وسلاحا ، واخبر القادة الآخرين ان يخذلوا حذوه . وعندما وصل الى المخبرين ، استفهمهم حاجتهم ، فاجابوا انهم قد قدموا ليعثوا الشروط ، وان لديهم من التخويل ما يكفي لتبليغ اليونانيين برغبات العاهل، او ابلاغ العاهل برغبات اليونانيين .

فقال كيرخوس : « اذن تستطيعون ابلاغه بهذا : سينبغي ان نخوض الهجاء اولا . لا نملك شيئا للفظور ، وما من فرد سيجرا على ان يحادث اليونانيين بشأن الشروط حتى يزودهم باللفظور » .

عند سماع ذلك ، انطلق المخبرون بخيولهم ، وآبوا مسرعين فانضج ان العاهل ، او غيره ممن قد عهد اليه في هذه المهمة ، كان في موقع قريب . فافادوا ان العاهل عد قول كيرخوس معقولا، ولذا فقد استصحبوا مرشدين ، يرشدونهم الى موضع يستطيعون فيه الحصول على اللخائر ، ان تم الاتفاق على الشروط .

واستفهم كيرخوس ان كانت الهدنة ستسري فقط على الذين ذهبوا وعادوا، اعملى كل فرد كذلك. فقالوا : « ان الهدنة تنطبق على كل فرد ، وستكون نافذة المفعول حتى يبلتخ العاهل برسالته » .

عندئذ ، سألهم كيرخوس ان ينسحبوا ، وتداول المسألة مع الآخرين . لقد كانت الفكرة ، عامة ، تجدد عقد الهدنة في الحال ، ثم الذهاب بيسر للحصول على الذخيرة . قال كيرخوس : « تلك هي فكرتي الخاصة كذلك . لكنني لا اشاء اعطاء الجواب حالا . سامد الوقت حتى يتبادر الى المخبرين الوجمل اننا قد نجعم لا على الهدنة » . بيد انه اضاف : « يخل الى ان جنودنا كذلك سيغترهم الوجمل مثلهم تماما » .

ولما حسب ان الوقت الموائم قد حان ، اجاب انه سيعقد الهدنة ، واخبرهم ان يرشدوا الى حيث المؤن في الحال . ففعلوا ذلك ، لكن كيرخوس ، بالرغم من عقد الهدنة ، سار مع الجيش بنظام حربي ، واقتاد المؤخرة بنفسه . فاعترضتهم قنوات وترع مغفورة بالياه الى حد تعلق عليهم اجتيازها من غير جسور . بيد انهم وضعوا المبرات باستخدام سيقان النخيل واقتطاع اخرى .

هنا تيسرت فرصة حسنة لمشاهدة الكيفية التي بها قاد كيرخوس رجاله ، بحريته في يسراه ، وقناته في يمانه . اذا ظن تهاونا من أي فرد من الرجال في عمل ما قد اوكل اليهم ، التفت الرجل المتهاون وبغزه . وفي ذات الحين ، طمس في الوجمل ، وساهم في الامانة بيده ، وبذا خجل كل فرد من عدم الاشتغال معه بجند . ان الذين اختيروا للمهمة ، كانوا ممن ناهزوا سن الثلاثين ، ولكن عندما لاحظوا كيرخوس يعمل فيها جادا ، انضم اليه من هم اكبر سنا كذلك . كان كيرخوس اكثرهم ذفافا لارتيايه ان القنوات ما كانت طافحة بالياه الى هذا القدر دائما ، لان اوان ارواء السهل لم يكن في ذلك الفصل من السنة . فارتاب ان العاهل قد غمر السهل بالماء ، وغايته من ذلك هي ان اليونانيين قد يحصل لديهم الظن بوجود اخطار عديدة تجابههم في طريقهم حتى في هذا الحين .

(٦٦) يصعب التكهّن بنوع الشراب المقصود لوجود اشربة عديدة قديما منها شراب البطيخ المسكر مثلا وغيره كثير . ولعله يقصد الدبس الحلو الذي هو عصير التمر .

(٦٧) لقد استعمل الناقل الى الانكليزية كلمة (Cabbage) التي تعني (اللهاة) بلغة العراق والكرنب او الملفوف بلغة سورية ، ليدل بها على كلمة (جمار) وهي قلب النخلة والمذلول الصحيح الانكليزي لها هو (Spadix)

في الحاق الضرر ببلاده ، أو في قتله . ان رغبتنا الاوبة الى الوطن ، شريطة الا يعاكسنا أحد . أما اذا أساء أحد معاملتنا ، فاننا سنبدل كل ما في وسعنا ، بعون الآلهة لأفصائه عنا . ومن جهة أخرى ، ان كان ثمة من يسدي إلينا العون ، فسنستعمل حتما ، غاية جهدنا ، لمنحه نفس المقدار من المساعدة تماما » .

ذلك ما قال كليخوس . لقد اصغى اليه تيسافرونوس ، وقال : « سأنقل رسالتك الى العاهل ، ثم أعود اليك برده . اننا نعتبر الهدنة سارية المفعول حتى أعود ، وستنتج لكم الفرص لابتتياع الطعام » .

في اليوم التالي ، لم يعد تيسافرونوس ، فشنع اليونانيون بعض القلق ، لكنه جاء في اليوم الثالث ، وقال انه قد وصل بعد فلاحه في اقناع العاهل ان يستد اليه مهمة انقاذ اليونانيين - بالرغم من وجود العددين الذين خالفوه ، قائلين : « ليس من الصواب ان يسمح العاهل بنجاة الذين زحفوا عليه ، لذا في مقدوركم قبول ضماننا . اننا نعد ان نيسر لكم ارشادا مأمونا عبر بلادنا ، وان نعيدكم الى اليونان من غير خداع ، ونتيح لكم فرصا لتبتاعوا الطعام ، وعندئذ ذلك ، نسمح لكم باخذ مؤنكم من الريف . ومن ناحيتكم ، عليكم ان تؤدوا لنا القسم وتعدون انكم ستسيرون وكنتم في قطر صديق ، وان أخفقتنا في اناحة الفرصة لكم ان تبتاعوا المؤن ، فسنستأخذون طعامكم وشرايكم من غير احدث ضرر ، وان اتحنا لكم فرصة ، فستدفعون اثمان ما تحصلون عليه من الميرة » .

لقد اتفق على هذا ، وحلف اليمين . فمد كل من تيسافرونوس وصهر العاهل يمينه نحو القادة والرؤساء اليونانيين ، وصافحا معهم . بعد ذلك ، قال تيسافرونوس : « والان سأعود الى العاهل . سأقفل راجعا حال فراغي من انجاز ما يجب ، وأنا بكامل الالهة لمرافقتكم في الاوبة الى اليونان ، والرجوع بنفسى الى محافظتي » .

بعد ذلك ، انتظر اليونانيون ، وعسكر (٦٨) آريوس رجعة تيسافرونوس مدة ثيفت على عشرين يوما ، وكانوا قد عسكروا متلاصقين . اثناء هذه الفترة ، قدم أشقاء آريوس وأقرباء آخرون لرؤيته ، وجاء عداهم من الفرس لزيارة أصدقائه . وقد أدلوا ببيان أمور مشجعة ، وجلبوا الى بعض الافراد ضمانات من العاهل ، انه لا يحمل نحوهم أية نية سيئة لانصوائهم تحت لواء كورش ضده ، أو لاي شيء قد حدث سابقا .

وبان بعد هذه المحادثات ان جماعة آريوس غدوا أقل اهتماما باليونانيين ، وكان هذا باعثا آخر لتمتعتهم غالبية اليونانيين . والحقيقة ، لقد قصد الجنود كليخوس والقادة الآخرين ، وقالوا : « علام انتظارنا ؟ ليس واضحا ان العاهل سيفعل أي شيء لبيدنا ، كي يجعل بقية اليونانيين يخشون المسير ، كما فعلنا ، ضد العاهل العظيم ؟ انه الان بسبب تشتت جيشه ، ولفيات عدة ، يشجعنا على المكوث حيث نحن ، لكنه سيهاجمنا حتما حالما تتجمع قواته ثانية . أم يجوز انه يحفر الخنادق ، ويقيم القلاع في مكان ما لجعل طريقنا متعذر الاجتياز . انه حتما لا يرتضي ، اذا استطاع الى ذلك سبيلا ، رجوعنا الى اليونان لنسرد قصتنا اننا ، بضالة عددنا ، قهرنا العاهل عند ابواب جوسفه ، ثم عدنا الى الوطن سالمين ، جاعلين من شخصه اضحوة » .

(٦٨) كلمة (عسكر) زيادة من المغرب للإيضاح اذا ان النسخ الانكليزي يذكر « اليونانيون واريوس » .

فرد كليخوس على الذين افصحوا عن ذلك ، بالقول : « اني أشعر عين شعورك تماما . ومن جهة أخرى ، أعتبر لو ذهنا الان ، لقد عملنا اعلان الحرب ونقض الهدنة . ان أول شيء سيعقب ذلك هو أن ما من أحد سيتيح لنا ابتتياع المؤن أو أي مجال لطعام أنفسنا . ثم ، لن يتوفر لنا الدليل ليدلنا على الطريق . في نفس الوقت ، ان فعلنا كما تقترحون ، سيتخلى عنا آريوس في الحال ، فتغدو النتيجة اننا سوف لا نملك صدقا واحدا . وعلى النقيض من ذلك ، سيمسي أصحابنا سابقا خصوما . لا أعلم ان كنا سنجتاز أنهارا أخرى ، لكننا نعرف ان من المتعذر عبور الفرات مع مواجهة مقاومة العدو . ثم ، ليس لدينا الفرسان اذا نشبت معركة ، بينما فرسان العاهل ، أعداد هائلة وأكثر أسلحته مضاء . لذا ان أحرزنا نصرا ، صعب علينا قتل أي فرد من أعدائنا ، بينما اذا قهرنا ، فلن ينجو منا أحد . ان كان العاهل يروم تحطيمنا ، فلا علم لدي - وهو يمتلك كل هذه الزايا - باداعي لتأديته القسم ، وتبادل يمين الصداقة ، فحث وجعل ضماناته عديمة القيمة في عيون الاغريق والفرس » . كثيرا ما تعود كليخوس هذا الضرب من الجدل .

في غضون ذلك ، وصل تيسافرونوس بجيشه ، ونيتته - ظاهرا - الاوبة الى الوطن . كما جاء أوروئناس مع عسكره مصطحبا ابنة العاهل ، قرينة له . فساروا من ثم قدما ، وتيسافرونوس بدلهم الطريق وتيح الفرص لابتتياع الميرة . كما ان آريوس سار مع جيش كورش الفارسي بمعية تيسافرونوس وأوروئناس وعسكر معهم . فتطلع اليونانيون اليهم بارتياح ، وساروا مستقلين أثناء الطريق ، مستخدمين مرشديهم الخاصين بهم ، وعسكر الجيشان تفصلهما مسافة ثلاثة أميال على الأقل دائما . وراقب كل جانب الآخر كأنهما متعاديان ، فتجم عن ذلك ، بطبيعة الحال ، مزيد من الريبة . وفي بعض الاحيان ، عندما كانوا يحتضون في نفس الموضع ، أو يجلبون العليق وما شابه ، حدثت المشاجرات بينهم ، وهذا أيضا ، يستثير الضغينة طبعاً .

بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وصلوا السور المادي ، واجتازوه نحو الطرف الآخر . كان ذلك السور مصنوعا من الطابوق الذي يتخلل القار طبقاته ، وكان سمكه عشرين قدما وارتفاعه مئة قدم وقيل ان طوله يمتد نحو ستين ميلا . انه جد قريب من بابل (٦٩) .

اعقب ذلك مسيرة (٢٤) ميلا خلال يومين ، عبروا اثناءها ترعتين ، احدهما فوق جسر ثابت والاخرى فوق جسر عائم على سبعة قوارب . كان ماء التربة يرد من دجلة ، ومنها تنفرع قنوات تمتد الى أطراف البلاد ، عريضة في البديهة ، ثم تضيق حتى تغدو في النهاية كالبحاري التي عندنا في حقول الدخن في اليونان .

ثم جاءوا دجلة حيث قامت بقرية مدينة واسعة كثيفة السكان ، تدعى (سينااس) (٧٠) ، تبعد عن النهر ميلا ونصف

(٦٩) من كلام (زينوفون) يبدو أن السور المادي لا يبعد كثيرا عن (بابل) - أي مسيرة يوم أو أقل ، بينما يذهب الاستاذان طه باقر وفؤاد مسفر الى ان موقع السور المذكور شمالي (بلد) وجنوبي (اصطبلات) . ولذلك أرجح أن شطرا منه قد انهدم . أو أن ما ذكره (زينوفون) ليس سوى سد خزان نبوخذ نصر .

(٧٠) Sittace - أغلب الظن انها (المدائن) التي يقوم بحداثها طاق كسرى المشهور وأطلالها حاليا قريبة جدا من قضاء سلمان بالك المظلة على دجلة أو بالآخرى موضع

الليل . لقد عسكر اليونانيون بجوار المدينة قرب حديقة شاسعة مكتنزة بجميع أصناف الشجر . أما الجيش الوطني ، فقد اجتاز دجلة ولم يعد له أثر .

وبعد العشاء ، عندما انفق أن كان (بروكسينوس) و (زينوفون) ماشيين أمام الموضع الذي كدست عنده الأسلحة ، قدم رجل يستفهم الحراس عن المكان الذي يستطيع فيه العثور على بروكسينوس وكليرخوس . لم يستفسر عن (مينون) مع أنه قدم من قبل صديق (مينون) : آريوس . عندئذ قال بروكسينوس : « أنا هو من تطلب » . فتكلم الرجل قائلا : « لقد بعثت من لدن آريوس وأرتاوزوس المخلصين لكوروش ، وهما صديقاكم . انهما يستحثانكم لتكونوا على يقظة من هجوم بشنة الجيش الوطني أثناء الليل . ثمة قوة هائلة في الحديقة المجاورة . كما يستحثانكم على اقامة حراسة على الجسر فوق دجلة ، لأن تيسافرونوس ينوي ، أن استطاع ، تحطيمه ليلا ، كي تعجزوا عن عبوره ، فتعزلوا بين النهر والقناة » .

عندما وعى بروكسينوس وزينوفون هذا ، أخذوا الرجل الى كليرخوس وأخبراه بما أفاد . فاضطرب كليرخوس وانزعج كثيرا عندما سمع الحكاية . لكن شابا حاضرا هناك ، قال بعد تمن قليل : ثمة تناقض في هاتين الخطتين : شن الهجوم وتحطيم الجسر . فجلي اما أن يكون هذا الهجوم ظافرا أم فاشلا . فان كان ظافرا ، ما قصدهم من هدم الجسر ؟ سوف لن تتوفر لدينا فرصة النجاة حتى لو تسمرت الجسور العديدة . ولنفرض من ناحية أخرى أنه فاشل ، عندئذ اذا دمر الجسر ، فلن تتوفر لديهم وسيلة النجاة . فضلا عن ذلك ، اذا هدم الجسر ، استحال على أي فرد من أصحابهم كافة ، في الطرف الآخر ، أن يخف الى نجاتهم » .

سلوفية (تلؤلؤل عمر) وهذا هو نفس رأي المستشرق الجيكي موسيل في كتابه (الفرات الاوسط) - ص ٢٢٦ . وقال الدكتور أحمد سوسة في كتابه (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) - ص ٢٢ : « لقد اختلف العلماء في أمر تعيين موقع مدينة سبتاس ، فقلته بعضهم في شمال بغداد وهؤلاء ممن يعتقدون النظرية القائلة بأن سور الميديين كان يقع شمالي بغداد ، وبينهم المستر (جيزني) الذي يميل الى الظن بأنها كانت تقع في (الشريعة البيضاء) شمالي التاجي بقليل . والبعض الآخر ، ممن يرون أن سور الميديين كان يقع جنوب بغداد ، ظن أن موقع (سبتاس) يحتمل أن يكون في اماكن عدة جنوب بغداد . فالمستر (كروت) في كتابه (تاريخ اليونان) - الجزء التاسع - يرى أن مدينة سبتاس كانت تقع على بعد ثلاثة أميال من جنوب مدينة بغداد ، بينما نجد المستر (رولنس) في كتابه (الممالك القديمة) - الجزء الاول - يميل الى تعيين موقع سبتاس على الضفة الشرقية من دجلة في مسافة تزيد (٢٢) ميلا من جنوب شرقي نهر دياي . وهناك من يرى أن (تلؤلؤل الديسر) الواقعة على الضفة الشرقية من دجلة على بعد زهاء (٦٠) كم من جنوب مصب نهر دياي هي عبارة عن اطلال سبتاس . وقد ذكر (سترابون) أن مدينة سبتاس تقع على الطريق بين بابل وسوسة وعلى بعد نحو (٥٠) ميلا من الاولى . ومهما يكن من أمر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن سبتاس كانت تقع في محل ما جنوبي بغداد بالقرب من نهر دجلة » .

لقد أصفى كليرخوس الى ذلك ، واستعلم المخبر عن فسحة الارض الكائنة بين دجلة والقناة . فأجاب : « انها كبيرة وفيها ضياع وعدد من المدن الكبيرة » .

عند ذلك أجمعوا أن للفرس غرضا خاصا من ارسال هذا الرجل . فهم خشوا أن يلجأ اليونانيون الى تجزئة الجسر الى أوصال ، فيمكثوا في الجزيرة ، وبذا يشكل كبل من دجلة والقناة خطي دفاع على الجانبين . انهم يستطيعون الحصول على التجهيزات من الصقع الخصيب المترامي ، الآهل بالناس العاملين . وبالتالي يقدروا وضعهم كملجأ لأي فرد شاء العمل ضد العامل .

وبعد توصلهم الى هذا الاستنتاج ، ذهبوا للرقاد . غير أنهم أقاموا الحراسة فوق الجسر ، لكن الحرس أنبا بعدم حدوث هجوم من أي اتجاه ، ولم يدن من الجسر أي نفر من العدو .

مع بزوغ الفجر ، عبروا الجسر المشيد من سبعة وثلاثين قاربا ، واتخذوا جميع الاحتياطات الممكنة ، إذ أن بعض اليونانيين الذين في خدمة تيسافرونوس أفادوا أن الفرسيين هجموا أثناء اجتياز اليونانيين . بيد أن هذا الاخبار كان عاريا من الصحة ، ولو أن (جلوس) وآخرين برزوا للعيان أثناء عبورهم للتشيت من اجتيازهم النهر حقيقة . فعندما رآهم فاعلين ذلك ، انطلق راكبا .

تلا ذلك مسيرة (٦٠) ميلا في بحر أربعة أيام ، فوصلوا نهر (فيسكوس) (٧١) الذي عرضه (١٠٠) قدم وفوقه جسر . كانت هنا مدينة عظيمة تدعى (أوبس) (٧٢) حيث التقى بالقرب منها شقيق كوروش وأرتحششت غير الشرعي باليونانيين . وكان يقود جيشا لجبا من (شوشه) (٧٣) و (أكباتانا) (٧٤) للقتال في نصرة العامل ظاهرا . وعند مرور اليونانيين ، أوقف جيشه وراقبهم . لقد قاد كليرخوس رجاله قدما بشكل اثنين اثنين ، جنبا لجنب ، يسيرهم ويوقفهم عند مراحل . وعند توقف الطليعة ، كان الصف بطوله يتوقف طعما ، حتى ان اليونانيين أنفسهم حسبوا أن جيشهم كان جرارا للغاية ، بينما كان الفرسي في أقصى العجب لمنظرهم .

أعقب ذلك مسيرة (٩٠) ميلا خلال ستة أيام عبر الصحراء داخل (ميديا) ، فوصلوا الارياف العائدة الى (بارزاتس) والدة كوروش وأرتحششت . ان تيسافرونوس ، بغية اهانة كوروش ، أباحها لليونانيين لآخذ ما شاءوا منها ، خلا العبيد . كان هنالك الكثير من الفلال والضان وأشياء أخرى ذات قيمة .

ثم تلت مسيرة (٦٠) ميلا خلال أربعة أيام عبر الصحراء تاركين دجلة على اليسار . في اليوم الاول للمسير ، لاحظوا

- (٧١) Phycus أرجح أنه نهر الادهم المسمى العظيم حاليا
(٧٢) Opis - المرجح أنها (بلد) الحالية والاختلاف في تعيينها يعود الى الاختلاف في تعيين السور المادي وبحث هذا الموضوع طويل . راجع ص ١٢١-١٢٠ من كتاب (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) للدكتور أحمد سوسة .
(٧٣) Susa - عاصمة الفرسي قديما .
(٧٤) Ecbatana هي مدينة (همدان) أو (همدان) حاليا وعاصمة ميديا قديما ، أسست حوالي سنة (٧٠٠) ق.م .

مدينة كبيرة غنية تدعى (كاياني) (٧٥) مشيدة على الضفة الأخرى من النهر . لقد جلب سكان هذه المدينة أرغفة وجبنا ونبيدا ، عابرين بها النهر فوق الاطواف (٧٦) المصنوعة من الجلود .

بعدئذ ، جاموا نهر الزاب (٧٧) الذي كان عرضه (١٠٠) قدم ، فمكثوا هناك ثلاثة أيام ، وخلال هذه المدة - رغم استمرار الارتياب - لم تبد دلالة حقيقية على القدر . لذا صمم كليخوس على مواجهة تيسافرونوس والعمل ، غاية المستطاع ، لايقاف هذه الشكوك قبل أن تؤول الى خصومة سافرة . فانفذ فردا ينبيه أنه شاء مواجهته ، فاستدعاه تيسافرونوس في الحال للمجيء . وعند اجتماعهما تكلم كليخوس قائلاً : « اني اعلم ، يا تيسافرونوس ، اننا قد اقسمتنا اليمين ، وتبادلنا الضمانات الا يلحق احدا الضرر بالآخر ، بيد اني الاحظك تراقب تحركاتنا وكأننا خصوم . فنحن اذ نلاحظ هذا ، ننظر اليكم بالمثل . عند تفحص الامور ، اعجز عن ايجاد الدليل انك تحاول الاضرار بنا ، واني لو فطن تماما - بقدر ما يتعلق الامر بنا - اننا لا نفكر أصلا في مثل هذا ، لذا قررت أن أبحث القضايا معك ، لأرى ان كنا نستطيع وضع حد لسوء الظن المتبادل هذا . فكما اعلم من حوادث وقعت في الماضي ، نتيجة لانباء مفتراة احيانا ، ولمجرد عامل الشك احيانا أخرى ، عند توجس أناس فرعا بعضهم من بعض ، ثم في خضم تشوفهم الى انزال الضربة أولا ، قبل حدوث أي شيء لهم ، قد الحقوا ضررا لا يرجى اصلاحه باولئك الذين لم يعتزموا ، ولا أرادوا أصلا ، أن يلحقوا بهم أي أذى مطلقا . فاقنعت عندئذ ان سوء التفاهم ، من هذا القبيل ، يسير انهالاه على أفضل وجه بالاتصال الشخصي ، وأبقي أن أوضح لك ان ليس لديك ما يبرر اساءتك للظن بنا . فأول وأهم سبب هو ان قسمنا قدام الآلهة ينعنا ان نصبح اعداء بعضنا لبعض . ان الرجل الذي يمتلك ضميرا يحتل نبيذ مثل هذه اليمين ، ليس بالشخص الذي أقدر على تهنتته أبدا . ان فردا ، هو وعدو الآلهة ، لا أرى كيف يستطيع الافلات العاجل ، ولا موضعا يهرب اليه للنجاة ، ولا ما سيكتنفه من الظلمة ، ولا مكانا من القوة ما يحمله على اللجوء اليه . فجميع الأشياء في كل الاماكن معرضة للآلهة ، وطاقة الآلهة تشمل جميع الأشياء على حد سواء .

« هذا إذن ، اعتقادي عن الآلهة والايمن التي اقسمتنا - تلك الايمن التي صيانة لها ، أودعناها ايدي الآلهة حينما تحالفنا على الصداقة . والان عند بحث علاقتنا بالافراد ، اعتقد انك في هذا الظرف أفضل ما نملك . بعونك كل طريق سهلة ، كل نهر

(٧٥) Caenae التسمية يونانية معناها (المدينة الحديثة) والحديثة مدينة قديمة على دجلة غير التي على الفرات . وخارطة (تاريخ كلدو وآثور) للمطران أدي شير تبين وجود مدينة (شنا) الى الشمال من (بيجي) الحالية ، وربما هي كاياني .

(٧٦) الاطواف جمع (طوف) وهي قرب ينفخ فيها ويشهد بعضها الى بعض فيركب عليها في الماء .

(٧٧) Zapatas - اغلب الظن أنه نهر الزاب الأعلى الكبير حاليا ، مع العلم أن المؤلف لم يأت على ذكر (الزاب) الأسفل الصغير مع أنه قد اجتازه . وأرجح أن هذه التسمية فارسية لأن اليونانيين ، كما يقول المطران ادي شير في كتابه (تاريخ كلدو وآثور) ، يطلقون اسم (لوتوس) على الزاب الأعلى واسم (كابروس) على الزاب الأسفل .

ممكن العبور ، ولن يكون ثمة نقص في التجهيزات ، لكن بانعدام مساعدتك ، ستمسي رحلتنا بأسرها في الظلام ، مازلتنا لا نعلم عنها شيئا ، اذ سيدفد كل نهر عقبة شاقة ، وكل فئة من الخلق ستوحى اليها الخوف ، وأكثر ما يرهب الإصقاع غير المأهولة ، حيث يدجر المرء في كل السبل .

« لو كنا من الجنون بأن نقلتك ، ما الذي سنتوصل اليه غير القضاء على المحسن اليينا ، ثم ينبغي أن نعاذي العاهل الذي سيكون بالمرصاد مع كامل قوته ليشار لك . وبقدر ما يخصني الامر ، أستطيع أن أخبرك عن جميع الطامع العظيمة التي سآخرها ان انا حاولت الاضرار بك . ان الباعث الذي رغبتني أن يكون كورش صاحبي ، هو اعتقادي أنه احسن معاصريه قاطبة من حيث القدرة على مساعدة الذين شاء مساعدتهم . أما الآن ، فالاحظك تملك ولايات كورش وقواته ، كما تملك ما يعود اليك ، وقوة العاهل التي ناهضت كورش بجانيك كذلك . فمع كل مكاسبك هذه ، من هو ذلك المعتوه الذي لا يود أن يغدو صاحبك ؟ كما اني سأتبك عن الباعث الذي يجعلني أعقد آمالا طيبة في رغبتك لتكون صاحبنا كذلك . أولا ، هناك (الميسيون) (٧٨) الذين ، كما اعلم ، يسببون لك الاضطراب ، وانا واثق ان في مقدوري اخضاعهم بالقوة التي امتلك حاليا . كما اعرف (البيزيديين) كذلك ، وأعلم بوجود فئة من مثري الشغب ، واعتقد ان في وسعي منع هؤلاء قاطبة من اطلاق راحسة بالك باستمرار . واني لعالم بثقتكم على المصريين بصورة خاصة ، ولا أرى كيف يتسنى لك الحصول على قوة أفضل مما في حوزتي الآن لتعصفك في معاقبتهم . أجل ، وفيما يتعلق بالولايات على تخومك ، تستطيع ان شئت أن تفدو أجدي الاصدقاء ، أو ان اثار احدثهم الاضطراب ، استطعت - ونحن في عونك - أن تصرف كحاكم بامرهم ، وسوف لن نخدعك لأجل مجرد الاجر ، بل من أجل الشكران المناسب الذي سنكته لك لانك انقذت حياتنا . عندما افكر في كل هذا ، يبدو لي ان انعدام ثقتك بنا غير قابل للتصديق الى حد اود كثيرا معرفة اسم الرجل الذي له من القدرة على الاقتناع ما يجعلك تعتقد تأمرنا عليك » .

هذا ما قال كليخوس . فاجاب تيسافرونوس قائلا : « اني يا كليخوس في الحقيقة لمقنط أن أسمع حديثك المعقول . انك بما تملك من المشاعر ، يترأى لي أنك لو كنت تفكر في ايديتي ، لكنت في الوقت عينه تتأمر على مصالحك الذاتية . أما الآن فعليك أن تصفي بدورك كي تقتنع أنك أنت أيضا ستكون مخطئا لو خارك أي نقص في الثقة بالعاهل أو بي .

« لو شئنا فعلا ابادتكم ، هل تعتقد أن الفرسان والمشاة تنقصنا ، أم النوع المناسب من المعدات التي تتمكن بها من انلافكم دون تعرضنا لخطر ازهاق الارواح من جانبنا ؟ أم انك تحسب من الجائز عدم عثورتنا على مبرر ملائم نهاجكم بموجبه ؟ تذكر الاصقاع الدلعة التي تخترقون بمشقة كبيرة حتى حينما يكون القاطنون مسالين . تأمل كل الجيسال التي ينبغي ان تجتازوها ، والتي نستطيع احتلالها أولا ، فنجعل عبورها من المتعذر عليكم . تصور جميع الانهار حيث تستطيع اقتطاعكم الى مغازر ، فنشافلكم ما شئنا من الوقت . وثمة أنهار لاستطيعون عبورها مطلقا الا اذا اجتلبناكم عبرها . وحتى لو فرضنا ان حطنا من ذلك كان الاسوأ على طول هذه الجبهات ، فلك ان تتأكد ، على كل حال ، ان النار تفوق الظلال باسا ، واذا اضرمنا

(٧٨) القوم المنسوبون الى اقليم (ميسيا) غربي آسيا الصغرى .

النار في الغلال ، استطعنا اجتلاب المجاعة في المعركة الدائرة عليكم ، فلا تستطيعون مكافحة ذلك لو أوتيتم كل الشجاعة في العالم . فمع جميع هذه الوسائل التي نملكها لشن الحرب عليكم ، وبدون أن تجر أحداها أي خطر إلينا ، كيف تستطيع التصور أننا من دونها جميعا سنختار الأسلوب الذي ينطوي على الشر في نظر الآلهة ، والمار في عيون الناس ؟ بين الفانطين والذين لا حيلة لهم ، ومن لا يملكون أي مخرج ، فقط ، ستجد أناسا (وحتى آنذاك يتحتم أن يكونوا أوغادا) يرغبون في تأمين غاياتهم عن سبيل نادية اليمين القموس أمام الآلهة ، ونكث العهد تجاه الناس . ليس ذا شأننا يالكيرخوس ، لسنا حمقى وبلهه كهؤلاء .

« قد تسأل ، ما زلنا نملك الطاقة على إبادتكم ، لماذا لم نقدم على ذلك ؟ اسمح لي أن أقول لك أن المسؤول عن ذلك رغبتني في كسب ثقة اليونانيين ، واني عن طريق اسدائهم الخير ، أنبني الرجوع الى الساحل بمعاوضة جيش المرتزقة اللذين اعتمدتهم كورش أثناء مسيرته الداخلية لسبب واحد هو انه اعطاهم أجرهم . أما أوجه الاستفادة من مساعدتهم ، فقد ذكرت بعضها بنفسك ، وأهمها ، مع ذلك ، لا تعدو علمي . أعني أن للعاهل وحده أن يضع التاج على رأسه ، لكن واحدا غير العاهل بفضل معونتك ، ربما تيسر له أن يحوز التاج في قلبه . »

فظنه كيرخوس مخلصا فيما ينطق ، فقال : « إذن ، فأولئك الناس الذين يحاولون بافتراءاتهم جعلنا متعادين ، في حين نملك جميع مقومات الصداقة هذه ، ألا يستحقون أسوأ مصير بلحقهم ؟ » . فقال تيسافرونوس : « أجل . وإن كنتم ، أيها القادة والرؤساء ، على استعداد للدخول الي ، فساعلن جهارا أسماء الأشخاص الذين أنبأوني أنكم كنتم تتآمرون علي وعلى عسكري . »

فقال كيرخوس : « سأتي بهم جميعا . وأنا من ناحيتي ، سادلك من أين استقيت معلوماتي عنك . »

بعد هذه المحادثة ، تصرف تيسافرونوس بتودد جم نحو كيرخوس ، وحثه آنذاك على البقاء ، فجعله ضيف الفشاء .

في اليوم التالي ، عند عودته الى المعسكر ، أوضح كيرخوس أنه اعتبر كونه على غاية الوفاق مع تيسافرونوس ، وأن أولئك اليونانيين الذين ثبت أنهم كانوا يشيعون المفتريات ، تنبغي معاقبتهم كخونة وغير عابئين بالقضية اليونانية . لقد شك أن (مينون) بيت الاراجيف ، إذ بلغه أن مينون وأريوس قسد اجتماعا بتيسافرونوس ، وأنه كان يعمل سرا لتشكيل حزب مناويء ضده ، بقصد استمالة الجيش بأكمله نحوه ، فيصبح صاحبا لتيسافرونوس . لقد ابتغى كيرخوس لذاته ولاء الجيش بأسره ، وأراد اقضاء المتذمرين عن سبيله .

لقد عارض بعض الجنود كيرخوس ، قائلين بعدم وجوب ذهاب الرؤساء والقادة كافة ، وبأنه يتحتم ألا يتفوا بتيسافرونوس لكن كيرخوس أصر بشدة حتى أفلح أخيرا في حمل خمسة فواد وعشرين رئيسا على الفتي ، وانطلق معهم كذلك حوالي مئتين من الجنود الآخرين ، وكانهم ينوون ابتياع الاطعمة .

فعندما بلغوا مدخل خيمة تيسافرونوس ، دعي القادة داخلا وهم : بروكسينوس البيوطي ، مينون الشسالي ، آجيساس الاركادي ، كيرخوس الاسبرطي وسفراط الآشي . وانتظر ضباط المئة (الرؤساء) عند المدخل . بعد لحظات ، وبإشارة واحدة ، قبض على من في الداخل ، وذبح من في الخارج . ثم انطلقت

مفارز من فرسان الفرس تعدو على الأرض المنبسطة ، وقتلت جميع اليونانيين في طريقها ، عبيدا وأحرارا على السواء . فاندهل اليونانيون إذ شاهدوا من مسكرهم مناورات الفرسان هذه ، وكانوا في ريبة مما كانوا فاعلين ، حتى نجا (نيكارخوس) الاركادي وجاءهم بجرح في معدته ، ماسكا أعضائه بيديه ، فاتباهم عن كل ما وقع .

نتيجة لذلك ، هرع اليونانيون نحو السلاح . فساد رعب عام ، وتوقفوا زحف العدو عاجلا على المعسكر . بيد أنهم لم يأتوا بكامل قوتهم ، بل كانوا : أريوس وأرتساووس وميثريداتس ، وهم رجال كانوا غالبا موضع ثقة كورش . أن الترجمان الاغريقي أفاد أنه لمح وميز شقيق تيسافرونوس ضمنهم كذلك . كما جاء معهم حوالي ثلاثمئة آخرون من الفرس وقد لبسوا الدروع .

وعندما دنوا من المعسكر ، طلبوا أن يبرز اليهم أي قائد أو رئيس يوناني هناك كي يبلغوا رسالة من العاهل . وبعد اتخاذ كل الاحتياطات ، خرج نحوهم القائدان اليونانيان (كليتيور الأورخوميثي) و (سوفانيوتوس الستيمفالي) ومضى معهم زينوون الايني ليتحرى عما جرى لبروكسينوس . واتفق أن كان خريسوفوس خارج المعسكر مع فئة لجمع التجهيزات في قرية ما .

وعند وقوفهم على مسافة يمكن معها سماع بعضهم البعض ، قال أريوس : « أيها اليونانيون : وجد كيرخوس مذنبنا في حثت اليمين ونقض الهدنة ، فثال استحقاقه وقضى . أما بروكسينوس ومينون ، بما أنهما أخبرا عن تأمره ، فهما في غاية التكريم . أما أنتم ، فالعاهل يطالبكم بالقاء السلاح ، إذ يقول انها عائدته ، لأنها كانت ملك كورش الذي كان خادمه . »

فكان رد اليونانيين على ذلك بلسان كليتيور : « أريوس ، ياندلا كله ، وأنتم يامن كنتم أصحاب كورش : ألا تشعرون بالخجل أمام الآلهة والبرايا ؟ لقد أقسمتم أن أصحابكم وخصوصكم سيكونون نفس أصحابنا وخصومنا ، ثم غدرتم بنا مع ذاك الملحد والمجرم تيسافرونوس . لقد قتلتم عين الناس الذين أقسمتم معهم اليمين ، والآن بعد أن خذلتم بقيتنا ، تاتون ضدنا مع أعدائنا . »

فقال أريوس : « الحقيقة ، لقد ثبت أولا أن كيرخوس كان يدبر مكيده ضد تيسافرونوس وأورونتاس ونحن الذين معهم جميعا . »

فرد زينوون على ذلك قائلا : « إذن ، بقدر ما يتعلق الامر بكيرخوس ، لقد نال ما استحق إذا هو حثت اليمين ، ونقض الهدنة . انه لحق أن يمحق الحائنون . أما بروكسينوس ومينون ، إذ أنهما محسنان اليكم ، وقائدانا ، فابعثوا بهما إلينا . إذ يبدو جليا ، لكونهما صديقي الطرفين ، أنهما سيحاولان اسداء أفضل النصح من أجل مصالحكم ومصالحنا . »

لقد استغرق الفرس وقتا طويلا للتباحث في ذلك ، ثم غادروا دون أن يبدوا أي رد على الاقتراح .

إن القادة الذين أسروا على هذا النحو ، أخذوا الى العاهل ، وضربت أعناقهم . كان كيرخوس ، أحدهم ، جنديا حقيقيا متحمسا للحرب أكثر من المعتاد ، كما سلم بذلك كل الذين تسنى لهم أن يتكلموا عنه بعد خبرة . ويتجلى هذا من هذه الحقيقة : أبان حرب اسيرطة مع أثينا ، ظل هو في اليونان ، لكنه بعد الصلح ، أقمع السلطة الوطنية أن

(التراشيين) كانوا يقومون بأعمال عدائية تجاه اليونانيين ، وغلب أن وجد سبيله - الى حد ما - نحو الحكام ، أبجر مسن الوطن ليشن الحرب على التراسيين شمالي (شيسونيز) (٧٩) و (بيرنثوس) (٨٠) . بيد أن الحكام ، بعد اقلعاه ، عدلوا عن رأيهم لسبب ما ، وحاولوا حمله على الرجوع من البرزخ ، لكنه لم يعد اذ ذاك يرضخ لهم ، بل مخر نحو (هيليزبونت) (٨١) . نتيجة لذلك ، حكمت عليه السلطات الاسبرطية بالموت لعصيانه . وهو كمنفي ، قصد كورش ، وقد كتبت في موضع آخر (٨٢) حول الآراء التي أبداهها لكسب عطف كورش . فوهبه كورش عشرة آلاف جنيه ، لم يعيا بعد استلامها حياة رعية ، بل انفقها في انشاء جيش . بهذا الجيش ، شن الحرب على التراسيين ودرهم في معركة ضارية ، ومنفذ غزا وخرّب ديارهم ، واستمر على محاربتهم حتى احتاج كورش الى جيشه ، ففادر (تراشيا) (٨٣) بقصد الاسهام في حرب أخرى بمعية كورش .

يلوح لي أن هكذا ينبغي أن يكون سجل امري مخصص للحرب . كان في مقدوره العيش بسلام دون تعرضه للمطالب أو أي سوء لكنه آثر خوض الوغى . كان في استطاعته أن يعيش برخاء ، لكنه فضل حياة خشنة تصحبها الحرب . لقد تست له حيازة المال والامان ، لكنه تخير الاقلل من المال ، السذي آخرزه ، بالانهمالك في الحرب . فقد كان ، في الحقيقة ، يهوى انفاق المال لاغراض الحرب ، تماما كمن ينفقه في شؤون الحب ام اية للذة أخرى .

كل هذا يدل الى أي مدى كان قد كرس ذاته للحرب . اما خصاله العالية كجندي ، فتبرز في الحقائق التي تشير انه كان مولعا بالمجازفة ، ومتاهبا لقيادة الحملة على العدو نهارا ام ليلا وأنه عندما ألم به الطرف المربك ، كان يتمالك صوابه ، كما يسلم بذلك كل من وجد معه أينما كان . وقيل انه حاز جميع مؤهلات القيادة التي يمكن توفرها في رجل من طرازه . كان يملك مقدرة فائقة على تنظيم الوسائل التي تمكن الجيش من الحصول على الميرة وضمان توفرها ، كما كان ذا قدرة جيدة على أن يوحى الى من معه أن كليرخوس رجل يجب أن يطاع . لقد حقق هذه النتائج بصلابته . لقد كان ذا مظهر رادع وصوت أجش . كانت عقوباته صارمة ، وتفرض أحيانا أثناء الفيظ ، حتى انه بالذات كان يندم أحيانا على ما يسدر منه . لقد كان العقاب عنده بمثابة قاعدة ، لانه كان يؤمن أن جيشا بلانظام لا يصلح لشيء . والحقيقة ، لقد عرف انه القاتل أن على الجندي أن يهرب قائده أكثر من العدو ، اذا أريد له أن يصبح قسائرا على الاحتفاظ باليقظة الواقية ، وأن يمسك عن الحاق الأذى بجانيه ، أو أن يدخل المعركة دون تراجع . فحصل من ذلك ، أن الجنود في المواقف المحرجة كانوا يمنحونه ثقة تامة ، ولم يتمنوا الفضل منه . قالوا ان نظرت المانعة ، في تلك الاحيان ، كانت تلوح بهيجة حتما ، وصابته ثقة في وجه الخصم ، فهي بعد ليست صلابه عندهم ، بل شيئا آخر يحملهم على الشسومور

(٧٩) كان الاغريق يطلقون هذه التسمية على شبه جزيرة (غاليبوليس) قرب مضيق الدردنيل وشبه جزيرة القرم في البحر الاسود .

(٨٠) Perinthus

(٨١) مدخل مضيق الدردنيل حاليا .

(٨٢) يقصد الفصل الاول من القسم الاول .

(٨٣) اقليم في جنوب (بلغاريا) اليوم وجائز أن كان بعضها في (ترافيا) الحالية .

بالطمانينة . ومن ناحية أخرى ، عند زوال الخطر ، وسنوح فرصة الذهب تحت خدمة غيره ، هجره العديدون ، اذ لتجرده من أي جاذب نحو شخصه ، كان صلبا وشرسا دائما ، وبسلا كانت علاقاته بجنوده كذلك التي بين التلاميذ ومعلم المدرسة .

وهكذا بات لايمكك التابعين بدافع الصحة أو الشسومور الطيب نحوه . ومن ناحية أخرى ، لقد فرض الطاعة التامة على جميع الذين تحت سلطته في مدنهم ، ام الصاملين معه بباعت من الفاقة أو تحت وطاة قاهر آخر . ثم حال شروعه في احراز النصر برفقته ، استطاع الفرد ادراك أهمية العوامل التي جعلت من رجاله جنودا أكفاء . لقد تميزوا بالثبات في وجهه العدو ، وكانوا منظمين خشية عقوباته . فهو كفائد ، اذن ، كان على هذه الشاكلة ، لكنه - كما قيل - لم يرغب كثيرا في الخدمة تحت إمرة الآخرين . كانت سنة اثناء وفاته حوالي خمسين سنة .

أما بروكسينوس البيوطي ، فشاء منذ صباه المبكر أن رجلا يغدو رجلا قادرا على انجاز الاعمال العظيمة . وبهذا الهدف ، نصب عينيه ، أنفق المال على تهذيبه من قبل (جورجياس) الذي من (ليونتينى) (٨٤) . وبعد أن أمضى معه ردحا ، قرر انه أضحي الان قادرا على قيادة جيش ، وأنه ان صاحب العظماء ، فما يحققه لهم من خير لن يقل عما حققوه له ، ولذلك انضم الى مجازفة كورش ، حاسبا انه سيكسب من ورائها اسما عظيما ، وقوة كبيرة ، ومالا وفيرا . بيد انه ، مع هذه المطامح ، أوضح كذلك بقدر واف ، أنه لا ينوي الحصول على أي منها بوسائل دنيئة . بل على النقيض ، فكر بوجوب احرازها بالاعمال العظيمة المجيدة ، والا فلا قطعا . لقد كان قائدا صالحا لانس فضلاء ، لكنه لم يكن قادرا على الزام جنوده باحساس الاحترام له والخشية منه . في الحقيقة لقد أبدى تهيبا تجاه جنوده يعدو ما أبدى مرؤوسوه نحوه ، وأكثر من ذلك جلاء كانت خشيته الا يكون محبوبا من جنوده ، نفوق خشية جنوده من عصيان أوامره . فخيّل اليه أنه كي يغدو قائدا صليحا ، ولأجل أن يكون اسمه في عدادهم ، اكتفى بكيل الثناء للذين أحسنوا عملا ، وبجبهه عن المسيئين . فكان الحاصل أن الناس في حاشيته احيوه ، ولكن الامتحن ، خطوا من شأنه اذ ظنوا سهولة التعامل معه . كان عمره عند الوفاة حوالي ثلاثين عاما .

أما (مينون) الشسالي ، فقد أوضح تماما أن مطمحهم الغالب هو الاتراء . وقد ود أن يكون قائدا كي يكسب مرتبا أوفر ، وأراد الامجاد ليحصل على المزيد عن سبيلها . ان أمنيته في مصداقة أكثر الناس نفوذا ، نبعت من رغبته في تجنب العقاب لسوء تصرفاته . وخال أن اقصر سبيل ، لارضاء مطامحه ، وسائل الحث والكذب والغش ، وعليه فقد عد الاخلاص والصدق في مستوى سذج العقول . وكان جليا أنه لم يضمصر الود لاي فرد ، لكنه ان أفصح عن صداقته لاحد ما ، كاد ذلك أن يكون دليلا واضحا على تأمره عليه . لم يضحك على أعدائه مطلقا ، لكنه ابان التحادث لم يعامل احدا من جماعته جادا . لم تكن لديه اية مقاصد تجاه ممتلكات خصومه ، لانه عد الحصول على املالك الناس اليقظين أمرا صعبا ، اما مقتنيات اصدقائه ، التي لا رقابة عليها ، فحسب أنه كان أبرز العارفين باليسبر الذي يستطيع معه ان يسطو عليها . وعند شثوره على رجل ينقضي الوجود ، ويرتكب الخطا ، عده شخصا حسن المؤهلات ، فكان

(٨٤) Leontini

مدينة قديمة في جزيرة (صقليا) جنوبي

إيطاليا .

بخشاه . لكنه حاول التعامل مع امريء متحسب ويختسرم الحقيقة كما لو كان ناقص النهى . ومثلما كان بعض الخلق يفخرون بخشية الله وبصدقهم واستقامتهم ، هكذا كان (مينون) يفخر بقدرته على الفس والاختلاق والبهتان والهزء بخلافه . كان دائما ينظر الى الشخص المرتاب على أنه نصف مهذب فحسب . وعندما شاء أن يتبوا مكانة رفيعة في مصادفة أحدهم ، حسب ان السبيل الى تحقيق هذا الغرض كان بتنحية الذين سبقوه في احتلال المقام الذي رنا اليه . ان وسيلته لضمان طاعة جنوده له كانت اسهامهم في جرائمهم . واعتبر انه بعرض قواء العظيمة ورغبته في اساءة استعمالها ، استحق التمجيد والاكرام . وعند تخلي أي فرد عن العمل معه ، اعتاد القول ان استخدامه وعدم الاستغناء عنه كانا لطفا منه . اما بخصوص المجالات الاكثر غموضا من حياته ، فقد يدلي المرء بما كان عاريا من الصحة . لكن الحقائق الابنية معلومات عامة . فلما كان لا يزال حائرا رزق الصبا ، أقنع (أريستوبوس) ان يسند اليه قيادة مرتزقته . اذ ذاك عاش على أتم الوفاق مع أريوس رغم كونه فارسيا ، لان أريوس كان مولعا بالشبان ذوي الوسامة ، وهو ذاته ، قبل أن ينبت عذاره ، احتفظ ب (ناريباس) المراهق كرفيق ذكر . لقد أعدم رفاهه الغادة لزحفهم مع كورش ضد العاهل ، لكنه ، رغم أنه فعل كما فعلوا ، لم يمت ميتتهم . فبعد أن أعدم القسادة الآخرون ، عوف هو من قبل العاهل ، ولم يهلك كما قضى كليخوس والقادة الآخرون بضرب رقابهم (أسرع ميتة بسدت آنذاك) ، بل قيل انه لقي حتفه غب أن عاش حولا تحت وطأة أسوأ المعاملة كمجرم عادي .

لقد أعدم كذلك (أجياس) الاركادي وسقراط الآشي . لم يكن في وسع أحد ان يستهن بشجاعتهم في الوغى ، أو أن ينههما بقلة الاعتبار لاصداقتهما . وكان عمر كل منهما يناهز خمسة وثلاثين عاما .

اثر اعتقال الغادة ، والقضاء على ضباط المئة والجنود الذين رافقوهم ، أمسى اليونانيون في وضع مرتبك للغاية . فقد عرض لهم أن كانوا بالقرب من عاصمة العاهل ، تحيطهم من كل الجوانب شعوب ومدن عديدة من خصومهم ، وكان غير متوقع ان احدا سيزودهم بفرصة لابتتياع الاطعمة في المستقبل . كانوا يبعدون عن اليونان زهاء ألف ميل على الأقل ، ولم يتوفر لديهم الرائد ليدلهم الى الطريق . لقد حجزوا بين انهاد لا يمكن اجتيازها ، ففرقت أوبتهم الى الوطن ، حتى الفرسان الذين زحفوا على العاصمة برفقة كورش ، انقلبوا عليهم ، فبانوا منفردين دونما فارس فرد في عسكرهم ، فبدأ جليا أنهم لو أحرزوا نصرا ، لتعلن عليهم قتل أي من أعدائهم ، وأنهم لو دحروا ، لما نجا واحد منهم بجلده . فلما تبدى لهم كل ذلك ، أضخوا في حال من القنوط العميق . قليلون تنوقوا الطعام ذلك المساء ، وقلة أضمرت النار . ولم يستعرض العديد منهم قرب السلاح تلك الليلة ، لكنهم استراحوا حيث اتفق أن كان كل فرد منهم ، ولم يستسلموا للكرى بسبب بؤسهم وتشوقهم الى أوطانهم ووالديهم وأزواجهم وأطفالهم . فقلوا أنهم لن يحظوا بمشاهدتهم ثانية . في مثل هذه الحال من الفكر ، أخذوا جميعا الى الراحة .

كان ثمة آئيني في الجيش يدعى زينوفون ، رافق الحملة لا كقائد ولا ضابط مئة ولا جندي عادي . ان (بروكسينوس) ، صديقه القديم ، أرسل في طلبه من موطنه ، ووعد ان يجعله صديق كورش الذي كان بروكسينوس يشته أكثر من وطنه بالذات . عندما أطلع زينوفون على خطاب بروكسينوس ،

استشار سقراط الآئيني (٨٥) حول التجربة المطروحة . واذ كان سقراط في ريبة من أن مصادفة كورش قد ينجم عنها السخط على آئينا - لان المعتقد أن كورش كان ذا نشاط جم في معاضدته الاسبرطيين في حربهم مع آئينا - أوصى زينوفون بالفضي الى (دلفي) (٨٦) لاستشارة الرب في شأن الحملة . فذهب زينوفون الى هناك ، وسأل (أبولو) السؤال التالي : « لاي رب ساصلي وأضحى ، كي أستطيع الانطلاق في الرحلة التي في خلدي ، على أحسن وجه وأفضل التكرم ، فأعود الى الوطن سالما ، ظافرا ؟ » كان رد (أبولو) أن عليه وجوب التضحية للآلهة المناسبة ، وعند أوبة زينوفون الى آئينا ، أنبا سقراط بجواب الكاهن (٨٧) . عندما وعى سقراط ذلك ، لاه لعدم استيفاهم أولا ان كان الافضل له السير مع الحملة ام الكوث في الوطن ، بدلا من تصميمه الذاتي على وجوب الذهاب ، ثم استفساره عن أحسن وسيلة للقيام بالرحلة . فقال : « على كل حال ، مازلت قد صغت سؤالك على تلك الشائكة ، تحتم عليك أن تفعل ما أمرك الرب » .

اذ ذاك ، ضحى زينوفون الضحايا كما أوعز اليه الرب ، وأبحر فالتي بروكسينوس وكورش في سرديس (٨٨) على وشك الشروع في السيرة الداخلية (٨٩) ، فقدم الى كورش . لقد كان بروكسينوس مشتاقا الى بقاءه معهما ، وكذلك كان كورش اذ قال انه سيعيده الى الوطن حالما تنتهي التجربة . كان المفروض أن تكون التجربة ضد البيزيديين . وهكذا انضم زينوفون الى الجيش عن فهم خاطيء ، ولو أن هذا لم يكن خطأ بروكسينوس ، اذ لا هو ، ولا أي فرد عداه من اليونانيين - باستثناء كليخوس - أدرك أن التجربة كانت سائرة على العاهل . بيد أنه ، لما وصلوا (كيليكيا) ، اتضح للجميع انهم كانوا زاحفين على العاهل . ومع ذلك ، فبالرغم من عدم تحمسهم للرحلة ، ومن مخاوفهم بصدها ، استمر أغلبهم على المسير كي لا يفقدوا الاعتبار لدى بعضهم البعض وفي نظر كورش . ولم يختلف زينوفون عن الباقين ، فأمسى الان ، مع موقفهم الصعب ، تعا كأي فرد منهم ، ولم يغلبه التعاس . غير أنه نال ، في الاخير ، قسطا يسيرا من النوم ، لاحت له رؤيا خلاله . لقد حلم أن ثمة زوبعة مرعدة ، وأن صاعقة هبطت على بيت والده ، فالتهب البيت بأكمله ، واستيقظ حالا ، بسوده اللعز الشديد ، وعد الرؤيا جيدة من بعض النواحي ، لانه - وسط مشاسقه وخطاره - لمح ضوءا شديد السطوع من (زيوس) (٩٠) ، لكنها

(٨٥) المقصود هنا هو الفيلسوف اليوناني الأشهر الذي يبدو أنه كان معلم زينوفون .

(٨٦) Delphi - مدينة في اليونان القديمة مشهورة بمعبد (أبولو) أحد الأرباب والاه الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الاغريق .

(٨٧) Oracle - هو الوسيط أو العلام أو المراف أو ألوحى أو التنبيه الذي يبلغ مقدم القران رسالة الرب .

(٨٨) مدينة على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهي منطق الحملة .

(٨٩) المقصود بالسيرة الداخلية هو سير الحملة داخل آسيا الصغرى وأصقاع الامبراطورية الفارسية بالذات وليس على دولة أجنبية .

(٩٠) Zeus - هو رب الأرباب عند الاغريق ويقابل (بيل) أو (بعل) عند البابليين الملقب في تراتيلهم بالملك الجليل ورب العباد .

منحتنا الآلهة نصرا ، كما فعلت سابقا ، فقتلنا وجرحنا الأعداء
أسر علينا منهم .

« من المحتمل جدا ، هناك آخرون يشعرون نفس الشعور .
حسنا إذن ، بحق السماء ، دعونا ألا ننتظر أناسا آخرين
يقصدوننا مطالبين أن نقوم بالأعمال العظيمة . بدلا من ذلك ،
فلنكن أول من يدعو الباقين نحو سبيل العزة . ألبتوا أنكم
تشجع الضباط كافة ، وأنكم أحق بالقيادة من أولئك الذين هم
قادتنا حاليا . وفيما يخصني ، ان شئتم المبادرة على هذا
النحو ، فانا مستعد لاتباعكم ، وان عيتموني قائدكم ، فلست
منتحلا الإعذار بصدد سني . فالحقيقة أحسب اني من العمر
بدرجة أستطيع العمل للدفاع عن نفسي بالذات » .

هذا ما تفوه به زينوفون ، وبعد الإصغاء اليه ، حرضه
ضباط المئة جميعا أن يكون قائدهم ، خلا واحدا هناك يدعى
(أبولونيديس) الذي كانت لهجته بيوطية . ان أبولونيديس هذا
أعرب انه ليراء أن يقال بوجود أية فرصة للنجاة الا اذا أمكن
التوصل الى الوتام مع العاهل ، ووفق في ذات الوقت يتكلم
بشأن جميع مصاعبهم . غير أن زينوفون قاطعه ، قائلا : « عزيزي
أيها الرجل الطيب : انك لشخص من الصنف الذي لا يدرك
ما يرى ، ولا يتذكر ما يسمع . مع ذلك ، لقد كنت مع الباقين
عندما أوفد العاهل رسله ، مطالبا بوجوب تسليم أسلحتنا
غيب وفاة كورش وهو مزمع بذلك ، ثم - ونحن أبعد ما نكون عن
التخلي عنها - حينما تاهبنا للقتال ، وعسكرنا بجوار جيشه ،
لم يدع وسيلة لم يلجأ اليها - موفدا جماعة للتفاوض ، راجيا
التهادن ، مزودا أيانا بالاقوات - حتى حصل على هدنته . لكن
عندما ذهب قادتنا ورؤساؤنا للاجتماع ، كما تقترح أنت بالضبط
مخلفين أسلحتهم ، معتمدين على الهدنة ، فما الذي وقع ؟ أمهم
في هذه اللحظة ، يضربون ويعذبون ويهانون ، حتى أنهم البؤساء
المساكين ، لا يستطيعون الموت - ولو أن الموت - كما أتصور -
هو ما يصبون اليه ؟ رغم كل هذه المعلومات لديك ، هل تصر أن
الذين يوصون بالدفاع عن النفس ، ينطقون هراء ، فتتسرح
علينا الذهاب لنحاول ثانية التوصل الى مصلحة العاهل ؟ أيها
الجنود ، أرى أنه يتحتم علينا ألا نكابد وجود هذا في معيشتنا ،
فينبغي أن نجرده من رتبته ، ونضع على ظهره الامتعة ،
ونستخدمه كدابة . فلكونه يونانيا ، وهو ما هو ، يجتلب العار
لا على موطنه بالذات فحسب ، بل على اليونان بأسرها » .

عند ذلك ، برز (أجاسياس السيتيفالي) وقال : « ليست
لهذا الشخص علاقة ببيوطيا أو باليونان . لقد لاحظت وجود
ثقوب في أذنيه كشخص ليدي (٩١) تماما » . وكان كذلك حقا ،
فأقصوه خارجا .

لقد ذهب الباقون حول المغازي المختلفة ، فاستدعوا كل
قائد تخلف حيا ، وحيث وجد مفقودا ، نادوا نائبه ، وحيث
وجد رئيس ، مازال على قيد الحياة ، استدعوه . فلما التاموا
جميعا ، جلسوا أمام الأسلحة . ان القيادة وضباط المئة
(الرؤساء) الذين اجتمعوا ثم ، عدوا قرابة مئة . وكان وقت
الاجتماع حوالي منتصف الليل . لقد استهل الحديث
(هيرونيموس) من (اليس) (٩٢) - أكبر قادة بروكسينوس سنا ،

(٩١) نسبة الى (ليديا) وهي مقاطعة في القسم الغربي
البحري من آسيا الصغرى (تركيا اليوم) .

(٩٢) صقع في اليونان قديما يقع فيه الصييب الذي كانت
تقام فيه الالعاب الاولمبية .

- من نواح أخرى - كانت نذيرا له ، لانها بدت له صنادرة
من زيوس بصفته كالعاهل ، وأن النار بدت ملتهبة حول سائر
أطرافه ، وهذا قد يعني أنه لن يكون في مقدوره مقادرة بسلام
العاهل ، بل ستنطلق عليه جميع المسالك، لصعوبة ما أو عداها .
ان حقيقة تفسير رؤيا كهذه ، ستظهر مما حدث بعد الرؤيا .

هذا ما قد حدث . حالما استيقظ ، كان أول ما تبادر الى
ذهنه هو هذا « علام رقادي هاهنا ؟ ان الليل يتصرم ، وقد يلوح
العدو هنا فجرا . ان وقعنا في قبضة العاهل ، فليس ما يحول
دون مشاهدتنا وقوع أفعظ الامور ، ومقاساتنا كل صنوف
العذابات ، واهلاكنا ملطخين بالشئار . ومع ذلك ، ونحن في غاية
البعد عن أي شخص مهتم باتخاذ أية خطوات لحمايتنا ، نرقد
هاهنا وكأننا نملك فرصة الاستمتاع بوقت هاديء . وعليه ،
ما هي المدينة التي انتظر منها انجاب القائد ليقدم على الخطوات
الصائبة ؟ هل سانتظر حتى أغدو أكبر سنا قليلا ؟ سوف لا أنمو
مطلقا ، لو سلمت العدو ذاتي هذا اليوم » .

فنهض واقفا ، وقبل كل شيء استدعى للاجتماع ضباط
المئة التابعين لبروكسينوس ، وقال لهم : « اني شخصيا ، أيها
الضباط ، أمل عدم استطاعتي النوم أكثر منكم ، ولست بقادر ،
بعد الآن ، على الاضطجاع دون حرارك عند تفكري في الوضع الذي
نحن فيه ، اذ لا ريب أن العدو حاربنا بصورة سافرة فقط عندما
حسب ان خطه غدت ناجزة . أما من جانبنا نحن ، فليس ثمة
الآن أي فرد يفكر في احتياطات مضادة ، بها نستطيع القتال على
أحسن ما يمكن . على أننا ان تراخيينا ووقعنا في قبضة العاهل ،
فما نوعية المعاملة التي نتوقع منه ؟ انه الرجل الذي حز يد ورأس
شقيقه ، ابن أمه بالذات ، ورفعها على وتد حتى بعد مفارقته
الحياة . لذا أي طراز من المعاملة ننتظر ، نحن الذين لا تشفع
لنا رابطة من دم ، وقد زحفنا عليه بقية عزله وجعله مواطنا
وقتلنا ان تمكنا ؟ أما سيمضي الى جميع المجالات المتسيرة ليوقع
بنا كل داهية دهياء قابلة للتصور ، وبنا يهرب الزحف ضده
ثانية كل البرايا ؟ كلا . من الواضح مؤكدا ، أن يتحتم علينا فعل
كل شيء في طافتنا لتجنب الوقوع في قبضته .

« والآن ، أنا شخصيا ، عندما كانت الهدنة سارية ، لم
استطع التخلي عن شعوري بالغم من أجلنا ، والنظر بحسد نحو
العاهل ومن بجانبه . تأملت كم واسعة وزاهية البلاد التي
يملكون ، والاقوات التي لا تعد ، وكم من الخدم يملكون
والمواشي والمسجد والاكسية ، ومن ناحية أخرى ، تمعت بعد
ذلك في مستقبل رجالنا ، وأتينا نستطيع الحصول على جزء فقط
من جميع هذه الأشياء الطيبة عن سبيل الانفاق ، وأدركت أنه
لم يتبق الكثير ممن يحوزون المال فيستطيعون ذلك ، وأن القسم
الذي أدينا ، قد أعاقنا عن استحصال الأطعمة الا عن طريق دفع
أقيامها . عندما فطنت لكل ذلك ، كنت أحيانا أشعر بهواجس
حز الهدنة أكثر مما أفعل الان بشأن الحرب . الا أنهم ،
حاليا ، قد وضعوا حدا للمهادنة ، وأحسب أن فترة غطرسنتهم
ومشاعرنا الفتنة قد أدبرت كذلك . اذ ان هذه الأشياء الطيبة
باتت الان مطروحة قبالتنا كفتائم للطرف الذي يثبت أنه أفضل
رجالا ، والآلهة هم المحكمون في النزاع، وهم بطبيعة الحال واقفون
بجانبنا ، مادام خصومتنا هم الذين تلفلوا أسماءهم عبثا ، بينما
نحن ، مع وفرة الأشياء العديدة الطيبة أمام أبصارنا ، أقعينا
أيادينا عنها بثبت بسبب القسم الذي أدينا أمام الآلهة . لهذا
يبدو لي أننا نستطيع دخول المنازعة بثقة غالبية على ثقتهم . ثم
أنا بدنيا نفصلهم قدرة على احتمال الفر والفر والمثسقة ،
وفوتنا العنوية ، والآلهة في جانبنا ، الفصل من قوتهم ، واذا

فقال : « أيها القادة وضباط المئة : نظرا لوضعنا الراهن ، قررنا الاجتماع سوية ، ودعوتكم للمشاركة معنا كي نتوصل ، لو أمكن الى قرار مجد . والان أدعو زينوفون للكلام كما سبق ان كلمنا » .

وعليه ، تحدث زينوفون كما يلي : « ها هنا شيء واحد تعلمه جميعا ، وهو ان العاهل تيسافرنوس قد أسرا من عندنا جميع الذين تمكننا منهم ، وجلي انهما مصممان ، لو تمكننا ، على اباداة البقية منا . ان دورنا ، كما اراه ، عمل كل شيء ممكن للحيلولة دون وقوعنا في قبضة الفرس ، بل اخرى بنا ان نضمن كونهم في قبضتنا . اود ان اؤكد لكم هذه النقطة بانكم - انتم الذين اجتمعتم هنا بعددكم الحالي - قد اصبحتم في مركز ذي مسؤولية فوق العادة . ان جنودنا هؤلاء ، كافة ، شخاصو الابصار نحوكم ، فان لاحظوكم مقتنمين ، تغاذلوا جميعا ، بينما اذا كنتم انفسكم مستعدين تماما لمجابهة العدو ، وطالبتهم الباقين بتأدية الواجب عليهم ، فلكن ان تناكسوا انهم سيترسونكم ويحاولون الاقتداء بكم . واحسب ، يصح كذلك ، انه ينبغي عليكم ان تظهروا عليهم شيئا من الرياسة ، فانتم - بعد كل الاعتبارات - قادة ورؤساء وضباط . في وقت السلم ، نلتزم مرتبات واحتراما اكثر مما نالوا ، والان حين الحرب ، يفرض فيكم ان تثبتوا ذواتكم اشجع من الناس العاديين ، وان تتخذوا القرارات نيابة عن الباقين ، واذا لزم ، ان تكونوا اول من يؤدي العمل الشاق . اعتقد انكم قبل كل شيء تستطيعون ان تسدوا خدمة عظيمة الى الجيش بتعيينكم قادة ورؤساء بالسرعة الممكنة ليحلوا محل الذين فقدناهم . فحيث ينعدم المسيطر ، يتعذر تماما عمل أي شيء نافع او بارز . انها حقيقة تشمل جميع مناهي الحياة تقريبا ، وهي حقيقة ناجزة من الوجة العسكرية فالنظام هنا يحمل الفرد على الشعور بالطمأنينة ، بينما انعدام النظام قد اهلك كثيرين من الخلق فيما سلف .

« ثم احسب انكم بعد ان تكونوا قد عيتم العدد اللازم من الضباط ، لو دعوتكم لاجتماع الجنود الباقين ، فزودتموهم بقسط من الاقدام ، لكان ذلك ما يتطلبه الطرف بالضيقت . في هذه اللحظة ، اتوقع انكم تدركون مثلي تماما ، كم كانوا مكتئبين وهم يحملون اسلحتهم اثناء الخفاة الليلية . فهم في مثل تلك الحال ، لا ارى أية جدوى منهم ليلا ام نهارا . لكن نهوضا عظيميا سينشأ في ارواحهم ، اذا استطاع احد ابدال منهج تفكيرهم . وبذا ، بدلا من حملهم فكرة وحيدة في رؤوسهم ، وهي : « ماذا سيحدث لي ؟ » يتسنى لهم ان يفكروا : « أي اجراء سأتخذ ؟ »

« تعلمون جيدا ، ليست الاعداد او القوى جالبة الانتصارات في الحرب . كلا ، عندما يتقدم جانب ما ضد العدو ، وقد تزود بقوة معنوية اعظم ، بهبة من الالهة ، لا يستطيع الخصوم ، كقاعدة ، الصمود امامه . كما قد لاحظت ، ايها الرفاق ، هذه النقطة في الاحوال العسكرية : ان الناس الذين هدفهم الوحيد هو البقاء احياء ، يلاقون عادة ميتة تعيسة مزرية ، بينما الناس الذين يدركون ان المنيه نصيب يشمل جميع البرايا ، يحاولون الموت بشرف ، فيطلب - نوعا ما - ان يعمروا طويلا ويحفظوا بحياة اسعد لو عاشوا . هذه حقائق يجب ان تدركوها انتم كذلك (فوضعنا يتطلب هذا) وان تثبتوا انفسكم رجلا بوسائل ، وان تطالبوا الآخرين ان يحلوا حلوكم »

وهكذا انهى خطابه . وتكلم خريسوفوس بعده قائلا : « حتى الان يازينوفون ، الشيء الوحيد الذي عرفت عنك هو سماعي انك آتيني . والان اهنتك على خطابك واجراءاتك ،

واتمنى ان يكون هاهنا اكثر ما يستطيع من اضرايك . اذ ذاك تعم الروحانية الصحيحة الجيش فاطبة . والان لا ندع الوقت ينصرم هدرنا ايها الاصحاب . دعونا نلطق ، وليختر ضباطا جديدا من هم في حاجة اليهم . وعند اختياركم ايهم ، تقدموا نحو وسط المعسكر مستصحيين الذين انتخبتم . بعد ذلك سنحشد بقية الجنود هناك . الافضل ان ياتي (تولميدس) المنادي برفقتنا » .

بهذه الكلمات ، نهض على قدميه ليظهر عدم وجوب التأخير ، وان ما هو ضروري ينبغي انجازها حالا . بعدئذ ، انتخب الآتون ضباطا : (تيماسيون) الدرديني ليحل محل كيرخوس ، (زائيثكلس) الآشي ليحل محل سقراط ، (كليور) الاركاوي ليأخذ مركز (آجياس) و (فيليسيوس) الاركاوي ليحل محل (مينون) و (زينوفون) الآثيني ليأخذ مكان يروكسينوس .

عندما تم اختيار الضباط الجدد ، كان الفجر آنذاك قد اخذ في الانفلاق ، فجاءوا وسط المعسكر ، وقرروا اقامة الحراسة ، ودعوة الجنود للاجتماع . فلما تريب بقية المعسكر ، نهض (خريسوفوس) أولا ، وتكلم قائلا : « ايها الجنود ، ان وضعنا ليس دون ريب . لقد خسرنا بعض القادة والرؤساء والجنود الكفاء للغاية ، علاوة على ذلك ، حتى رجال (آريوس) الذين كانوا في جانبنا ، انقلبوا علينا غادرين . مع كل ذلك يتحتم علينا ان نستظهر على صعابنا كرجال شجعان ، والا نستسلم بل نحاول ، ان تمكننا ، كسب الشرف والسلامة بالظفر . وان كان ذلك في غير مقدورنا ، فعلى الاقل لنموت بالغر ، ولا تقع في قبضة خصومنا ، ما دما احياء . لاننا ان وقعنا ، فانصورتنا حتما سنكابذ ذلك المصير الذي انزعج ان تلحقه الالهة بمنائينا » .

ونهض بعده (كليور) الاورخوميني فقال : « تستطيعون ان تروا بام أعينكم ، ايها الجنود ، ما عليه العاهل من الحنث والالحاد . تستطيعون مشاهدة غدر (تيسافرنوس) . هو الذي قال انه جار اليونان وانه سيعلق أهمية عظمى على انقاذ حياتنا . وعلى هذا الاساس ، حلف لنا اليمين بشخصه ، وبذاته مد نحونا يمينه ، وبفسه خدع قادتنا وجعلهم اسرى ، مديبا من قلة الاجلال لآريوس ، القيم على الاكرام ، بان شاركه كيرخوس وجية طعام بالفعل ، مستخدما ذلك بالذات وسيلة للايقاع بضباطنا في الشرك ، والقضاء عليهم . ثم هناك (آريوس) الذي تأهبنا لتنصيبه ملكا ، وتبادلنا معه الضمانات ان واحدا لن يخون الآخر ، وهو كذلك ، دون ان يبدي خشية من الالهة ، او اجلالا لذكرى كورثس الراحل الذي كان يعامله افضل المعاملة عندما كان حيا يرزق ، قد تخلى عنا الان ، والتحق بالذ خصوم كورثس ، وهو يحاول معهم ايداعنا ، نحن الذين كنا اصحاب كورثس . حسنا ، اني انزعج الى الالهة ان تلحق بهؤلاء الرجال ما يستحقون . اما نحن الذين نرى كل هذا ، فينبغي علينا ألا نخضع ثانية من قبلهم ، بل ان نحارب بكل ضراوة ممكنة ، ونتحمل مشيئة السماء » .

بعده ، استقل زينوفون ، وقد ارتدى افخر بسرة عسكرية توفرت ، حاسبا ان الالهة اذا منحت النصر ، فالنصر يستحق افضل السلاح مظهرها ، او ان كان سيلقى حتفه ، حق له ارتداء اجود الثياب وهي عليه ساعة مصرعه ، وشرع في خطابه كمايلي : « لقد تكلم كليور عن ثلاثة الفرس وعدوانهم ، واني متأكد انكم تتفقون مع مقالته . لذا ان شئنا خطب ودهم ثانية من جديد ، وجب علينا ، في الحقيقة ، ان نكون في منتهى

الهوان عند اعتبارنا ما أصاب قادتنا الذين ، بسبب وثوقهم بصحة إيمانهم ، وضمو نفوسهم بين أيدي خصومهم . أما إذا كان غرضنا أخذ السلاح بأيدينا ، وأرغامهم على تادية الثمن عما اقترفت أيديهم ، وأن نحارب في المستقبل حربا ناجزة ضدهم ، فلدينا إذ ذاك ، بعون السماء ، جملة آمال جلية في النجاة » .

وما أن تفوه بذلك ، حتى عطس أحدهم ، وحينما سمع الجنود تلك العطسة ، خروا جميعا على ركبهم دفعة واحدة ، وسجدوا للرب الذي أطلق هذه الإشارة (٩٢) . وواصل زينوفون يقول : « اعتقد ، أيها الجنود ، مادام قد بان لنا فال حسن من (زيوس) المتخذ حالما كنا نتحدث عن السلامة ، وجب علينا أن نعطي عهدا بتقديم الشكران للرب من أجل نجائنا في أول موضع تبلغ عنده تربة صديقة ، وعلينا نذر الثناريين للآلهة الأخرى على أحسن وجه نستطيع . فليرفع يده كل من يوافق على ذلك » فرغ الجميع أيادهم ، ثم نذروا وأنشدوا نشيد الحرب .

بعد تادية فرائض الدين على هذا النمط ، شرع زينوفون في الكلام ثانية : « سبق أن قلت الآن أننا نملك آمالا باهرة في النجاة . أولا ، حافظنا على قسمنا تجاه الآلهة ، بينما أعداؤنا قد حثثوا قسبهم ، وعلاوة على ذلك ، زوروا ذواتهم في تجاوز الهدنة . لنا من العقول ، والحال كذلك ، أن نفرض بأن الآلهة ستناوئ ، خصوصنا ، لكنها ستحارب في جانبنا ، وأنها قادرة عاجلا على جعل الأقوياء ضعفاء ، وأنقذ الضعفاء بيسر متى شئت ذلك ، حتى لو كانوا وسط الخطر . ثم سأذكركم بالمخاطر التي اعترضت آباءنا ، لتدركوا أن الجدير بكم أن تكونوا رجالا بواصل ، وأن الشجعان - بعون الآلهة - يجدون النجاة حتى من شر المشاق . تذكروا كيف تقدم الفرس وحلفاؤهم بجيش لجب ، ظانين أنهم سيمسحون آئينا من وجه البسيطة ، لكن الأثينيين امتلكوا الشجاعة لمجابهتهم بأنفسهم فقهرتهم . آنذاك نذروا أن يضحو لارتميس عترة عن كل فرد قتلوه من الأعداء ، بيد أنهم لعدم تمكنهم من الحصول على العدد الوافي من العترة ، قرروا تضحية خمسمئة عترة سنويا ، وما برحوا يضحونها حتى هذا اليوم . بعدئذ ، عندما جمع (زرسيس) (٩٤) جيشه ، الذي لا يحصى ، وأغار على اليونان ، كانت جولة أخرى دحر فيها آباؤكم هؤلاء الخلق برا وبحرا . انكم تستطيعون العثور على ما يثبت كل هذا في الانصاب التي لدينا ، لكن أعظم شاهد على ذلك لهو حرية المدن التي ولدت وأنشئت فيها . فأنتم لا تعبدون أنسبانا كسيد ، بل الآلهة فقط . هؤلاء هم الرجال الذين أنتم أنجالهم ، وأنني حتما لن أقول انكم تشيئون آباءكم . فمئذ أيام قليلة فحسب ، كنتم في حرب ضد أبناء أعدائنا القدامى ، ورغم كونهم أضعافكم في العدد مرات عديدة ، فأنتم - بمعونة الآلهة - قد دحرتهم . في تلك الجولة ، أبديتم شجاعتكم كي تحرزوا مملكة لكورش ، لكن القتال الآن لنجائكم بالذات ، ولذلك فانا موقن

(٩٣) مازال فريق من الناس يؤمنون أن العطاس دلالة على القال الحسن .

(٩٤) هو العاهل الفارسي (أخشیرش بن داريوس) استولى على مصر في السنة الثانية من ملكه وهاجم آئينا في السنة التاسعة ، لكن الأغريق دحروه عند سلاميس وهو حفيد كورش الكبير .

انه يجدر بأن أتوقع منكم مزيدا من البسالة الفائقة ، ومزيدا من العزم الفائق على الانتصار ، كما عليكم أن تشعروا بمزيد من الثقة تجاه العدو . في المرة السابقة ، لم تكونوا قد اختبرتموهم بعد ، وتمكنتم من مشاهدة أعدادهم الجسيمة ، لكنكم - مع كل ذلك - بروحية آبائكم ، ملكتم الشجاعة فنازلتموهم . غير انكم الآن ، إذ تعلمون من التجربة ، مع كونهم أضعافكم عددا ، لا يتمنون مجابهتكم ، فما هي حاجتكم لتخشوهم بعد الآن ؟ لا توهمو أننا أسوأ مما كنا سابقا لأن العساکر الفارسية التي كانت في صفوفنا قد بارحنا الآن . انهم لأجبن من الفرس الذين قهرنا ، وقد دلوا على ذلك بانهزمهم من جانبنا نحو الجانب الآخر . انه لأفضل بكثير أن يشاهد الناس ، الذين يرومون أن يكونوا أول الفارين ، واقفين ضمن صفوف العدو ، بدلا من كونهم في صفوفهم بالذات .

« ان يشعر احدكم بشروط العزيمة نظرا لعدم حيازتنا الفرسان ، بينما العدو يملك أعدادا هائلة منها ، ينبغي أن تذكروا ان عشرة آلاف فارس يعادلون عشرة آلاف رجل فقط . لم يلق أحد مصرعه قط بفضة أو رفسة من حصان . فالرجال هم الذين يفعلون كل ما يحدث أثناء المعركة . إذن نحن على أساس أثبت بكثير من الفرسان الذين في الهواء على ظهور الخيل ، وهم لا يخشوننا فحسب ، بل يخافون السقوط عن صهوات جيادهم ، بينما نحن ، من جهة أخرى ، نستطيع باقدامنا الراسخة في الأرض ، توجيه ضربات أقسى نحو مهاجمينا ، كما أننا أكثر قدرة على إصابة ما نستهدف . ثمة سبيل واحد فقط به تمتاز الخيالة علينا ، وهو أن الفرار أسهل لهم مما لنا . طبعاً ، يسمكم أن تكونوا على أتم الثقة بشأن القتال ، لكن قد تلقاكم الحقيقة أن (تيسافرنوس) لن يدلكم الطريق بعد الآن ، ولن يتيح لكل العاهل فرص ابتياع الطعام . ان تكن الحال كذلك ، فقاملوا ان كان الافضل ان يرشدنا (تيسافرنوس) ، وهو الرجل الذي يعمل ضدنا علانية ، أم أن يكون لدينا أسرى ، نأمرهم بإرياد الطريق لأجلنا ، وسيدركون ان يرتكبوا أية أخطاء تصيبنا ، فستمسهم بالذات ، وتلحق حياتهم كذلك . أما مسألة المؤن ، فالأفضل شراؤها من الاسواق التي تجهزها ، حيث علينا دفع الكثير لابتياع القليل (إذ حتى المال لم يعد في حوزتنا) ، أم أن الافضل دحرم في المعركة ثم الاستحواذ على أرزاقهم لأنفسنا ، كل أخذ القدر الذي يشاء ؟ .

« قد تدركون أن هذه الوسائل الأخرى هي الفضلى ، لكن لا يغرب عن بالك أن الانهار عتية كداء ، واعتبروا ذواتكم مقودين بأحكام نحو الكمين باجتيازها . فان كان الامر كذلك ، سألتكم أن تعتبروا فيما إذا لم يرتكب الفرس هنا فعلا في منتهى الحق . لان الانهار كافة ، مهما تعذر اجتيازها ، على شوط من منابعها ، ميسور خوضها دون بلوغ الماء حد الركبتين غالبا ، لو أن الفرد يتبعها مصعبا باتجاه المنابع . وحتى إذا عجزنا عن عبور الانهار ، ولم يأتنا أحد ليرشدنا نحو الطريق ، فليس ما يدعو لتشيط عزيمة . لن ندعو (الميسيين) أفضل منا رجلا ، مع علمنا بامتلاكهم المدن الواسعة الفنية في اصقاع العاهل وعكس مشيئة العاهل . ونعلم أن ذلك ينطبق على (البيزيدين) كذلك ، وقد شاهدنا بام أعيننا كيف أن (البيكونيين) قد ضبطوا المواقع المحصنة في السهول ، يتمتعون بما تدر عليهم ، العائدة الى هؤلاء الفرس . والان فيما يعني قضيتنا ، علي أن أقول : ينبغي ألا نوضح أننا عائدون الى الوطن بل ان نتصرف وكأننا قد نوبنا على البقاء هاهنا ، اني على يقين أن العاهل سيزود (الميسيين) بكل الادلاء الذين يحتاجون اليهم

بعد ذلك ، تكلم (خرسوفوس) : « ان شئنا تبني اي حل آخر ، علاوة على ما يقترح زينوفون ، فنستطيع ذلك في لحظة او لحظتين . افترض انه ، دون ابطاء ، ينبغي التصويت على ان ما اقترح زينوفون الان فهو افضل نهج يتبع . فليرفع الموافقون ايديهم » .

فرغ الجميع ايديهم ، واستقل زينوفون ثانية ، وقال : « ايها الجنود ، اصغوا لاقتراحاتي الاخرى . من الواضح ، علينا بالسير حيث يتسنى لنا الحصول على الميرة ، واحسب ان هناك بعض القرى الزاهية على مسافة لا تعدو الميلين من هنا . لكنني ان استغرب اذا تمثل العدو بالكلاب الرعيدة التي تهرس خلف اي فرد يجتازها ، فتحاول عضه ، لكنها تفر من وجه أي شخص يلاحقها . لا استغرب كذلك لو تقفوا اثرنا ونحن ننطلق . آنذاك ، ربما يكون من الاسلم ان نسير والمشاة الثقيلة على شكل مربع مفرغ ، فتكون الامتعة وما عداها من المواد الكثيفة آمن في الداخل . فان قيل لنا الان ، من يحتل الموقع الامامي من المربع ، وينظم الفصائل الطليعية ، ومن ينبغي ان يكون على الجانبين ، ومن يتحتم ان يكون مسؤولا عن المؤخرة ، فليتنا الا نضم كل هذا بينما يتوجه الاعداء نحونا ، بل نستطيع حالا استخدام اولئك الذين قد اخبروا خبيصا لهذا العمل . ان كان لأي منكم اقتراح افضل ، فلنتبناه . والا فاني اقترح ان (خرسوفوس) يجب ان يقود المربع ، فهو ذو ميزة اضافية لكونه اسيرطيا . وقائدان آخران ، يكبرانه سنا ، ينبغي ان يهتما بالجانبين ، واصفرانا ، اي (تيماسيون) وانا يلزم ان يكونا مسؤولين عن المؤخرة . اقترح هذا كاجراء مؤقت . بعدئذ ، نكون قد اخترنا هيئة السير هذه ، فنستطيع البت في افضل الاجراءات على حسب اختلاف الظروف . ان كان لدى أي منكم اقتراح امثل ، وددت ان يعرضه » .

آنذاك ، اذ لم يبد أحد أية اعتراضات ، قال زينوفون : « فليرفع أولئك الذين يرتضون ذلك ايديهم » . فنفذ الاقتراح ، وواصل يقول : « والآن ، اذن ، علينا ان نغادر الاجتماع ، وتنفيذ مقرراتنا . كل من يبغ رؤية عشرته ثانية ، يتحتم ان يتذكر بان يكون جديبا مقدما . هذا هو الحل الوحيد . كل من يشند البقاء حيا ، يجب ان يهدف الى النصر . ان الفائزين هم الذين يقومون بالنتقيل ، والخاسرين هم القتلى . وأولئك الناس الذين يرومون المال ، عليهم ان يحاولوا كسب المعارك . ان الراغبين لا يستطيعون الاحتفاظ بما لديهم فحسب ، بل تناول ما يعود للخاسرين » .

مع اختتام هذا الخطاب ، نهضوا وانطلقوا لاضرام النار في عربات نقلهم وخيامهم . ان شاء احد ايا من المعدات الفائضة اقتسموها بينهم ، وألقوا التبق في الضرام . عند اتمام ذلك ، تناولوا بطورهم ، وبينما كانوا منهمكين في ذلك ، قدم (ميثرايداتس) برفقة ثلاثين فارسا ، فطلب تقدم القادة نحو مدى يستطيعون ضمته السماع ، وقال : « اني ، اصحابي الاغريق ، كنت كما تعلمون مخلصا لكورش ، وما ازال صديقكم . واني كذلك لاجد موافي الراهن هنا مزعجا جدا . لذا ان الفيت انكم تفكرون في أي مخرج أمين ، وددت الالتحاق بكم ، وجلب جميع تابي معي . لذلك خيروني ما تراءون فعله ، وعدوني صديقا في جانبكم ، ويود الانضمام اليكم في سيركم » .

بعد المداولة ، قرر القادة ان يردوا عليه الرد الاتي ، وكان ناطقهم (خرسوفوس) الذي قال : « ما صمنا عليه ، هو هذا : اذا اتيجت لنا العودة الى الوطن ، فنسخرق القطر ،

وبعطيهم جملة من الرهائن كي يستوثق تماما من اقصائهم عن القطر ، وانه في الحقيقة سيعبد لهم الطرق حتى لو راموا الذهاب في عربات ذوات اربعة جياذ . وانا واثق ان حبسوده سيكون ثلاثة اضعاف ذلك ليفعل كل هذا لاجلنا ، اذا رأى عزما على الإقامة هنا . كلا ، فانا أخشى بمجرد اننا تعودنا الحياة بترف ونغدو في رسالة من العيش ، متمتعين برفقة هؤلاء النساء العظيمات الفانتات ، حليلات وبنات (الميديين) والفرس ، قد نمسي كاكلي (اللوتس) (٩٥) ، ونسلو مسلكتنا نحو الوطن . لذا اعتقد ان المناسب والمعقول جعل سعيانا الاول بلوغ بني جنسنا في اليونان ، وان نكشف لليونانيين ان يؤسهم كان بمحض اختيارهم كي يتمكنوا من رؤية اناس يحيون في اقطارهم حياة بائسة ، فيضضون اتربا بقدومهم الى هنا . ايها الجنود ، لا احتاج الى الاسهاب في هذا المجال . فجلي ان جميع هذه الطيبات تصيب الظافرين .

(غير اني يجب ان اتطرق الى هذه القضايا - كيف يتسنى لنا ان نجعل سيرنا مجردا من الخطر بقدر الامكان ، وكيف نخرج من القتال بأفضل نتيجة اذا ارغمنا على القتال . ان اول اقتراح ابديه لكم هو ان تضرعوا النار في جميع عربات النقل التي لدينا كي لا نفقدنا حيواناتنا ، بل نستطيع السير حيث تملئ علينا مصلحة الجيش ذلك . ثم علينا ان نحرق خيامنا كذلك ، اذ انها تخلق بعض العرافيل في النقل ، وهي بلا جدوى للقتال او الحصول على المؤن . ولنتخلص من كل المواد غير الماسة ضمن معداتنا الاخرى ، ونبقى فقط ما نملك لغاية القتال والمأكسل والشرب ، حتى نستطيع اكبر عدد ممكن منا حمل الاسلحة وأقل ما يطلق حمل الامتعة . عندما يندحر قوم ما ، كما تعلمون ، تضحي مقتنياتهم في تناول ايدي الآخرين ، وان نفر ، فيجب ان ننظر الى اعدائنا وكأنهم حاملو امتعتنا عنا .

(بقي علي ان اذكر ما اعتقد اهم نقطة من عداها . يمكنكم ان تروا ما الذي ظن اعداؤنا بصددنا . لم يجسروا على اشهار الحرب علينا الا غب أسرهم قادتنا ، ومرد ذلك الى حسابنا اننا مازلنا نملك قادة نوليهم طاعتنا ، كنا قادرين على الفوز في القتال ، لكنهم ما ان قبضوا على قادتنا ، خالوا اننا سننهار بسبب انعدام السيطرة والنظام . لذا من الضروري ان يكون اهتمام قادتنا الحاليين اكثر بكثير من اهتمام قادتنا السابقين ، وينبغي على الذين في الصفوف ان يكونوا اكثر تنظيما ، وأغلب بكثير من السابق استعدادا لاطاعة ضباطهم حاليا . في احوال العصيان ، يجب ان نصوت ان ايا منكم اتفق له ان يكون في ذات المكان ، وجب عليه الاسهام مع الضباط في تطبيق العقاب . سيكون هذا أمر اخفاق لاعدائنا ، اذ في اليوم الذي نصوت على هذا ، لن يعودوا ليروا (كلرخوس) فردا فحسب ، بل عشرة آلاف ، لا يحتمل واحدهم أي تصرف غير عسكري .

(لكن حان لي ان اختتم . يجوز ان العدو سيداهمنا في الحال . اذا تقبلتم الاقتراحات التي عرضتها ، فلنبلغ رسميا بأسرع ما يمكن ، كي توضع موضع التنفيذ . ان كان هنالك من يعلم سبيلا لمعالجة الامور امثل مما بينت ، فلنكن لديه الشجاعة ليخبرنا عنها ، ولو انه جندي عادي لا غير . ان السلامة التي ننشد ، تهم كل فرد » .

(٩٥) اللوتس ورد من فئة الزنابق المائية ينمو في مصر واليونان والهند . وهو كذلك شجر يؤكل ثمره فيسبب لمنأوله السبات العميق والنسيان .

ملحقين اقل تلف ممكن ، لكن ان يحاول اي فرد إيقافنا ، فسنناضل في شق سبيلنا بأعنف ما نستطيع » .

عندئذ ، حاول (ميثريداس) البرهنة على استحالة بلوغ الإيمان ضد إرادة المعامل ، وعند هذه النقطة ، أدرك انه قد أوفد لغرض خفي مقصود . والحقيقة ، لقد كان فعلا أحد رجال (تيسافرونس) بمعينته ليضمن الركون اليه .

غب حدوث ذلك ، أجمع القادة ان الأفضل لهم ، ماداموا في بلاد العدو ، وجوب إدارة الحرب دون أية مفاوضات مع العدو ، لأن رسل الطرف الآخر جنحوا الى افساد ولاء الجند . فهم في الحقيقة أغروا أحد ضباط الملة (نيكارخوس الاركادي) الذي فر تحت جناح الظلام مع ما يناهز عشرين رجلا .

وبعد تناولهم وجبة طعام ، عبروا نهر الزاب (٩٦) ، وساروا بنظام حربي ، مع حيوانات نقل الامتعة وتابعي المعسكر داخل مربع ، وما ابتعدوا الا قليلا ، حتى لاح للبيان (ميثريداس) مجددا ، برفقة ما يقرب من مئتي فارس وحوالي أربعمئة من رماة السهام والمقاليع ، وكان هؤلاء مدججين بأسلحة خفيفة ، ويعدون على أقدامهم بسرعة شديدة .

لقد يمم (ميثريداس) شطر الاغريق وكأنه كان على وفاق معهم ، لكن ما أن تدانى الجمعان ، حتى شرع رجاله ، المشاة والفرسان ، فجأة في إطلاق نبالهم ، بينما ذئف الاخرون مقاليعهم ، وأحدثوا بعض الإصابات . لقد كابد جند مؤخرة الاغريق كثيرا ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلتهم بالمثل لعدم قدرة النباله (الكريبتين)(٩٧) على الرمي نحو اشواط تماثل مسافات الفرس ، كما أنهم نظروا لكونهم من افراد المشاة الخفيفة ، اعتصموا بقلب المربع . أما رماة الرماح ، فان مداهم لم يكن من البعد ما يكفي لاصابة رماة المقاليع الفرس .

عندئذ ، جزم (زينوفون) أن عليهم اكتساح العدو الى الخلف ، وتم ذلك على أيدي المشاة الخفيفة والثقيلة معه في المؤخرة . بيد أنهم ، أثناء تعقبهم ، اخفقوا في مسك أي نفس من العدو ، وذلك لانعدام الفرسان لدى الاغريق ، وكان مشاتهم لا يستطيعون خلال شوط قصير ، أن يدركوا مشاة العدو الذين لاؤوا بالفرار ، وهم آنذاك بعيدون عنهم لمسافة ما . وكان من الطبيعي تعذر مواصلة التعقيب على مسافة قصية عن بقية الجيش . ان خيالة الفرس ، وهم يسدون نحو الخلف من فوق ظهور جيادهم ، تمكنوا من أحداث الجروح حتى أثناء فرارهم ، وعندما أدركهم اليونانيون الى بعد ما ، كان عليهم أن يعودوا القهقري الى ذات المسافة ، وهم يقاتلون على طول الطريق . فنجم عن ذلك أنهم لم يقطعوا أكثر من ميلين ونصف الميل في ذلك النهار بأكمله . لكنهم أدركوا الأرياف عصرا .

هنا كذلك ، كان قنوط جم . ان (خريسوفوس) والقائدين الأكبر سنا ، مغلوا (زينوفون) لقيامه بالتعقيب بعيدا عن صلب الجيش الرئيسي ، ورغمما عن الاخطار التي تجشم ، كان عاجزا عن إلحاق أي ضرر بالعدو . لقد أصفى زينوفون الى انتقاداتهم ، وسلم أنهم كانوا محقين في مظهم اياه ، وكانت الحقائق في جانبهم لتندم دعواهم ، فقال : « غير ان الواجب علي كان أذاحتهم الى الوراء ، اذ لاحظت أننا كنا نقاسي كثيرا من جراء وقوفنا حيث

كنا ، وأنا عاجزون عن إتيان أي شيء في الرد عليهم . لكن فولكم يصح حالما شرعنا في إرجاعهم القهقري . لم تكن أكثر طاقة على إلحاق الأذى بهم . ولقينا غاية المشقة في إرجاع أنفسنا . علينا إذن أن نحمد الآلهة لعدم توجيههم نحونا بقوة أكبر ، بل بأعداد ضئيلة ، وخرجنا بالنتيجة أنهم دون أيدائنا كثيرا ، قد أرشدونا الى مواضع عجزنا . تستطيع نبالة العدو حاليا رشقنا لمسافة أبعد مما تستطيع نبالتنا (الكريبتون) ردا عليهم ، ورماة مقاليعهم يستطيعون العمل خارج نطاق رمى رماة رماحنا . عندما نرجعهم القهقري ، يتعذر علينا اقتناؤهم لمسافة تبعد كثيرا عن صلب الجيش ، وفي شوط قصير ، لا يستطيع الراجل ، مهما بلغ من السرعة في الجري ، إدراك الراجل الآخر الذي يبعد عنه مجال رمية قوس . لذلك ، ان أردنا منعهم من حيازة الطاقة على أيدائنا في المسير ، وجب علينا الحصول على رماة المقاليع والفرسان بأسرع ما يمكن . هناك ، كما بلغني ، بعض (الرودسيين) (٩٨) في عسكرنا ، ويقال ان أغلبهم يعلمون كيفية استعمال المقلاع . كما ان سلاحهم ، في الحقيقة ، ذا مدى يبلغ ضعف مدى المقلاع الفارسي . ان المقاليع الفارسية لا تقذف بعيدا ، لأنها تستخدم للرمي أحجارا بحجم قبضة اليد ، لكن الرودسيين يعرفون كيف يستعملون الكرات الرصاصية كذلك . لذا ان وجدنا من الذي يحوز مقلاعا ، ودفعنا عن أية كميصة متوفرة ، وأكثر مالا من ذلك لمن يتطوع بصنع المزيد من المقاليع ، ونفكر بأن نمنح امتيازات ضافية كل من يتخير العمل في صفوفنا كرامي مقلاع ، اذ ذاك ربما سيتقدم عدد واف ننتفع بهم . كما لاحظت أن في حوزتنا خيولا في الجيش ، بعضها خاصتي وبعضها خاصة (كليرخوس) التي خلفها . وثمة العديد غيرها قد استولينا عليها ، نستخدمها حاليا لحمل الامتعة . فان صفناها بأن تحمل بعضا بهائم نقل المتاع ، وأعدنا الخيول للفرسان فقد يسبب هؤلاء كذلك أرباكا للعدو أثناء فراره » .

لقد تم الاتفاق على هذا ، فبرز ما يقرب من مئتي رام من رماة المقاليع تلك الليلة . وفي اليوم التالي ، تم اعداد خمسين حصانا وفارسا صالحين للعمل ، وزودوا بأغطية جلدية ودروع ، وجعل (ليسيوس) الآثيني ، نجل (بوليستراتوس) أميرا على الفرسان .

توقفوا ذلك اليوم ، وتقدموا في اليوم التالي ، وقصد استيقظوا مبكرين قبل المعتاد ، اذ كان عليهم أن يجتازوا جدولا ، وكانوا في خشية من مدهامة العدو أثناء عبورهم . لقد اجتازوه قبل أن ظهر (ميثريداس) للبيان ثانية ، وكان هذه المرة بصحبة ألف فارس وحوالي أربعة آلاف من رماة السهام والمقاليع . لقد طالب بهذا العدد واستحصله من تيسافرونس ، وأعدا اياه ، ان هو حصل عليه ، أن يسلمه اليونانيين أسرى . ان استصفاره شأن اليونانيين بني على أساس من الحقيقة انه في الفارة السابقة لم يصب بأذى ، بالرغم من ضالة قواته ، وحسب انه قد أوقع في الاغريق خسائر فادحة .

عندما بات اليونانيون على مسافة تبعد زهاء الميل عن موقع عبورهم الجدول ، تحرك (ميثريداس) كذلك بكامل قوته . فأصدرت الاوامر الى الأعداد اللازمة من المشاة الخفيفة والثقيلة بإرجاع العدو القهقري ، وأوعز الى الفرسان أن يجسدوا في

(٩٨) نسبة الى جزيرة (رودس) الاغريقية في البحر الابجي جنوبي آسيا الصغرى . مساحتها (٥٦٥) ميلا مربعا ، وكانت قديما نفرا حصينا .

(٩٦) Zapatas - أغلب الظن أنه الزاب الأعلى الكبير .

(٩٧) نسبة الى جزيرة (كريت) اليونانية في البحر الابيض المتوسط .

يستطع احتلالها ، لا بمرور الزمن ، ولا بالفاعة عليها . الا ان (زيوس) (١٠٦) افقدهم رشدهم بصاعقة ، فتم احتلال المدينة .

بعد ذلك ، ساروا يوما واحدا قاطعين (١٢) ميلا ، لاح خلاله (تيسافرونوس) للعيان ، برفقة تابعيه من الفرسان بالاضافة الى القوة التي تحت قيادة (اوروئاس) الرجل الذي اقترن بابتنة العاهل ، والعساكر الفارسية التي كانت بامرة كورش اثناء مسيرته ، والقوات التي رافقها شقيق العاهل لتمصده ، وعلاوة على ذلك جميع العساكر التي زوده بها العاهل ، فبدأ جيشه عرمرما . عند الدنو ، جلب بعضا من زمره نحو مؤخرة الاغريق ، واقتاد آخرين شطر الجانيين ، لكنه لم يجسر على شن هجوم مباشر ، او يبد أية رغبة في المجازفة . بدلا من ذلك ، امر رجاله باستعمال مقاليهمم واقواسهم . ان (الرودسيين) الذين وضعوا على مسافات معينة في صفوف اليونانيين ، استعملوا عندئذ مقاليهمم ، وسدد النباله سهامهم ، فلم يخفق احدهم في اصابة رجل ما (في الحقيقة استبعد ان يخطيء الهدف فرد لو حاول ذلك) ، فابتعد (تيسافرونوس) عن المجال سريعا ، ومثله فعل سائر جيشه .

فواصل اليونانيون مسيرهم لما تبقى من النهار ، والفرس يتعقبونهم . ان الفرس ، بوسائلهم القديمة المتبعة في الاقتتال من بعيد ، لم يلحقوا أية اضرار أخرى ، مادام (الرودسيون) قادرين على قذف مقاليهمم نحو مسافات ابعد من المقاليص الفارسية ، بل ابعد كذلك من غالبية نبالتهم . ان الفرس يستخدمون اقواسا كبيرة . لذلك غدت جميع النبال التي التقطت نافعة للكريتين الذين استعملوا نبال العدو باستمرار ، ومارسوا الرمي على المدى البعيد بمسار مرتفع . ولقد عثر في الارياض على كمية من اوتار القوس ، وكذلك بعض الرصاص الذي امكن استعماله للمقاليص .

بعدئذ ، شب ان وصل اليونانيون بعض القرى ، وخيموا ذلك اليوم ، ارتد الفرس وقد كابدوا أسوأ النتائج من جراء المناوشات من بعيد . في اليوم التالي ، مكث اليونانيون في موضعهم ، وتزودوا بالطعام الذي كان وفيرا في الارياض . وفي اليوم الذي اقبله ، استأنفوا سيرهم على الصيهب ، وتيسافرونوس في الزهم يصوب نحوهم من بعيد . اثناء هذه المسيرة ، استنتج اليونانيون ان هيئة المربع المتخذة كانت رديئة حينما كان الاعداء عند المؤخرة . اذ عند تلاصق جانبي المربع ، من جراء تضايق الطريق او مجازهم عبر ممر جبلي او عبورهم فوق جسر ، فان ما سيحدث حتما هو ان المشاة الثقيلة ستزاح من موضعها ، وتفقد بطيئة السير ، متداعين مع بعضهم ومرتبكين ، فتتسي النتيجة ، وهم في وضع مشوش ، عدم الاستفادة منهم . ثم عندما ينحرف الجانيان ثانية ، سيرغم على التفرق من سبق ان ازيحوا من مواضعهم وتضحي المسافة بين الجانيين خاوية ، وعند حدوث هذا ، تخور عزائم الرجال بينما العدو في اعقابهم . وهكذا كلما استوجب عليهم العبور على جسر أو أي شيء عداه ، ناضل كل فرد في

(١٠٢) Zeus - هو رب الارباب عند الاغريق وهو في المنزل مثل (بيل) او (بعل) عند البابليين الذين يلقبونه بالملك .

التعطيب بعزم ، اذ كانت هناك قوات كافية لتدعيمهم . وعندما ادركهم (ميثريداتس) واخذت تصل احجار المقاليص والسهم ، نفخ في النفير ، وللحال كرت نحو الامام كتلة واحدة من الذين اوعز اليهم بذلك ، وشن الفرسان هجومهم . ان العدو لم ينتظرهم ، بل ركن الى الفرار عائدا نحو الجداول . فقتل العديد من مشاة الفرس اثناء هذه الملاحقة ، وقبض على ما يقرب من ثمانية عشر فارسا حيا وسط المجرى المائي . فبادر الاغريق تلقائيا الى تشويه جثثهم ، كي يخلق مراها اكثر رعب ممكن بين العدو .

بعد مقاساة هذه الهزيمة ، تهقر العدو ، وواصل الاغريق سيرهم بامان لما تبقى من النهار ، ووصلوا نهر دجلة . وكانت ثم مدينة واسعة مهجورة تدعى (لاريسا) (٩٩) ، قطنها الماديون في الايام الفائرة . كانت مسورة بسور سمكه (٢٥) قدما وارتفاعه (١٠) قدم ومحيطه ستة اميال ، مشيد من الطابوق فوق قاعدة صخرية تمتد نحو عمق (٢٠) قدما . عند استيلاء الفرس على امبراطورية البيديين ، حاصر العاهل الفارسي هذه المدينة ، لكنه عجز تماما عن احتلالها . غير ان غمامة حجبت الشمس واخفتها عن البصر ، حتى هجر السكان الموضع ، وهكذا تم احتلال المدينة . وكان بالقرب من المدينة هرم صخري ، عرضه (١٠) قدم وارتفاعه (٢٠٠) قدم ، ففر اليه العديد من سكان الارياض المجاورة ، واعتصموا به .

من هنا ، ساروا قاطعين (١٨) ميلا في يوم واحد ، فبلغوا قلعة لا تقهر بالقرب من مدينة تدعى (مسيلا) (١٠٠) ، التي كانت ردها أهلة بالبيديين . كان اساس هذا الحصن حجرا املس ، يحوي كثيرا من الاسداف . كان عرض الحجر (٥٠) قدما وارتفاعه (٥٠) قدما ، يقوم عليه سور مشيد من طابوق ، عرضه (٥٠) قدما وارتفاعه (١٠٠) قدم ، ومحيط الحصن (١٨) ميلا (١٠١) . ان (ميدي) - قرية العاهل - يروج انها قد لجأت الى هذا الحصن عندما خسر (الماديون) امبراطوريتهم وتسبها الفرس ، وحينما قصد العاهل الفارسي المدينة ، لم

(٩٩) Larissa - عند التمكن في بعض الخرائط التي تبين المواقع الاثرية القديمة في العراق ، وتقدير المسافة التي سلكها الجيش بعد ميوره (الزاب الاعلى) ، اميل الى الاعتقاد ان هذه المدينة هي في الاصل موضع (نمرود) حاليا العاصمة الاشورية (كالج) التي قطنها الفرس الماديون ، وأرجح لذلك ان هذه التسمية فارسية بعد اندثار الاسم الاشوري .

(١٠٠) Mescila - اغلب الظن انها مدينة (الموصل) حاليا وهذه التسمية مشتقة من الاشورية (مشفالو) . اما موقع الحصن الذي يذكره المؤرخ ، فأرجح انه موضع قريب من مدينة (نينوى) المدرسة أو بالأحرى (تل توبة) الذي يقوم عليه جامع (النبي يونس) حاليا وقرية بجواره تماما المواجهة لاطلال نينوى (تل قوينجس) الحالية .

(١٠١) اغلب الظن ان هذا المحيط هو السور الذي حول نينوى و (تل توبة) فقد شاهده بنفسي قبل عشرين سنة تقريبا ، وسرت فوقه ، مدركا انذاك انه تل غير طبيعي بل سور مندرس . وكان قد انقضى على سقوط نينوى حينما اجتاز بها زينوفون زهاء مئتي سنة .

سبيل أن يكون أول العابرين ، مما اتاح للعدو فرصة لمينة لهاجمتهم .

لقد لاحظ القادة هذا الوضع ، وشكلوا ستة فصائل ، كل فصيلة يؤلف مئة رجل ، وعينوا قواد مئة للفصائل الستة ، وضباط لكل خمسين رجلا ولكل خمسة وعشرين رجلا . فمتما تدام الجانبان بعضهما نحو الآخر أثناء المسير ، انتظرت هذه الفصائل الستة خلفهما كي لا يحدث أي تشويش في نظام الجانبين ، ثم عادت ثانية إلى الجانبين الأيمن والأيسر . وعندما انفرج جانباً الرابع ، كانت الفصائل الستة ستتملا الوسط ، سائرة نحو الانفراج ، أن كان صفراً فبزم مع ستة افراد في الامام ، وأن كان أوسع فمع اثني عشر رجلا في الامام ، وأن كان واسعا جدا . فمع خمسة وعشرين رجلا في الامام ، كي يظل قلب الرابع مائلا دائما . وعندما وجب عليهم عبور أي جسر أو غيره ، حافظوا على نسقهم ، بأن يفقد ضباط المئة فصائلهم عبره بالتعاقب كما كانوا على أهبة العمل إذا تطلب الامر ذلك في أي شطر من صلب الجيش الرئيسي .

فتقدموا على هذه الهيئة لمدة أربعة أيام . وخلال سيرهم في اليوم الخامس ، شاهدوا طرازا من جوسق ، تناخه بعض الضياع ، وراوا أن الطريق إلى هذا الموضع ممتدة عبر أرض مرتفعة ، تشكل سفوح التلال المحيطة بالطود الذي قامت القرية تحته . لقد سر اليونانيون بمرأى الروابي ، وكان ذلك طبيعيا لاعتبارهم قوة عدوهم من الفرسان ، لكنهم عندما ساروا قدما ، وبعد أن ارتقوا التل الأول ، وهبطوا نحو الوادي لارتقاء الثاني ، داهمهم الفرس . وبدافع من التحريض ، أطلقوا رماحهم ومقاليهم وسهامهم من مرتفعهم على الأرض المنخفضة ، فاحتدوا عددا من الكلوم . لقد أدركوا الطرف الأعلى من عساكر اليونانيين الخفيفة ، وأرغموهم على البقاء محصورين ضمن مربع المشاة الثقيلة ، وبذا بات النبالة ورماة المقاليع دون افادة مطلقا ذلك اليوم ، لامتزاجهم بالزحام الشامل . وعندما عالج اليونانيون التخلص من صعايبهم برد العدو إلى الوراء ، وجدوا - لكونهم مشاة من الصنف الثقيل - صعوبة بلوغ قمة الاكمة ، حينما اندلظ العدو مبتعدا عنهم بسرعة . وعندما عادوا ثانية إلى بقية الجيش ، قاسوا كالمسابق تماما ، وحدث ذات الشيء على الرابية الثانية . لذا قرروا عدم السماح للجنود بالتحرك من التل الثالث حتى يكونوا قد اقتادوا نحو الجبل قوة مشاة خفيفة من الجناح الأيمن من المربع . ولما ارتقت هذه المشاة الخفيفة أرضا أرفع من أرض العدو الذي كان يتعقبها ، كف الإعداء عن مهاجمة الجنود عند انحدارهم ، لانهم خافوا تشتيت شملهم وصيرورة الإعداء على طرفيهم . فساروا بهذا الشكل خلال ما تبقى من النهار ، بعضهم بمحاذاة الطريق فوق التل ، والآخرين يواكبونهم بعذاء الجبل ، حتى وصلوا الأرياف . فعينوا بعدئذ ثمانية أطباء ، لوجود العديد من الجرحى .

لقد لبثوا هنا ثلاثة أيام لسبيين : أولهما من أجل الجرحى ، وثانيهما لاستطاعتهم الحصول على قوت وفير - دقيق الحنطة ونبيد وكثير من الشعير المخزون لأجل الخيول . كل ذلك كان مدخرا لوالي الناحية .

في اليوم الرابع ، هبطوا نحو الصييب ، لكن عندما أدركهم (تيسافرونوس) مع قوته ، انعطوا بدرس الحقائق القاسية ، وهو أن يسكروا في أول موضع وجدوا فيه قرية ، ألا يواصلوا المسير والافتتال في آن معا . ومرد ذلك إلى وجود

العديد من الرجال عاطلين عن العمل : الجرحى وحملتهم والذين استلموا أسلحة الحاملين . لكن عندما يسكروا ، واتجه الفرس صوب القرية في محاولة لمشاغلتهم في قتال من بعد ، خرج اليونانيون بنتيجة أفضل كثيرا . فكان ثمة فارق عظيم بين شروع الواحد من أرضه بالذات في صد العدو وبين المقاتلة أثناء المسير حينما يكون العدو في أعقابهم .

وعند حلول العصر ، أزع وقت تراجع العدو ، لأن الفرس (خشية من قيام اليونانيين بشن هجوم ليلي) يسكروا دائما على مسافة تبعد ستة أميال على الأقل عن الجيش اليوناني . أن الجيش الفارسي عديم الجدوى في الليل ، مادامت خيوله تعقل ، كما تربط أقدامها عادة ، كي لا تنهزم لو تركت سائبة . لذا أن حدث أي اضطراب ، فينبغي أن تسرح الخيول لراكبيها الفرس وتلجم ، ثم على الراكب أن يرتدي درعه ويمتطي جواده وهذه كلها أمور يصعب إنجازها ليلا وسط الضجيج . هذا ما حملهم على أن يسكروا عند مسافة ثانية عن اليونانيين . فلما علم اليونانيون الآن عزم الفرس على التراجع ، أذكروا في الحقيقة يبلغون الإعزازات بذلك ، أصدروا أمرا لساكرهم - على مسمع من العدو - بتجميع أمتعتهم . عندئذ أحجم الفرس عن الانسحاب لفترة ما ، لكنهم بعد حين عادوا ، غير محبذين المسير ثم الأوبة إلى المعسكر أثناء الليل .

وإذا لاحظ اليونانيون أنهم عائدون دون ريب ، رفعوا خيامهم ، وانطلقوا سائرين لمسافة ستة أميال تقريبا . بهذا غدت الشقة بين الجيشين حدا لم يعد معه بالإمكان رؤية أي أثر للعدو ، لا في اليوم التالي ولا الذي أعقبه . في اليوم الرابع ، تقدم الفرس ليلا ، واحتلوا موقعا مطلقا على يمين الطريق التي نوى اليونانيون على طرفها . كان ذلك الموقع إحدى ذرى الطود المشرف على الطريق الممتدة في السهل . عندما شاهد (خريسوفوس) أنهم قد سبقوا إلى احتلال ذلك المرتفع ، استدعى زينوفون من المؤخرة ، وطلب منه استخدام مشاته الخفيفة والمجيء نحو المقدمة . غير أن زينوفون لاحظ (تيسافرونوس) وقد بدت كامل قوته للعنان ، فلم يقتصد المشاة الخفيفة إلى الامام ، بل انطلق راكبا بمفرده نحو (خريسوفوس) وسأله : « لماذا تنادبنسي ؟ » فأجاب خريسوفوس : « تستطيع أن ترى ذلك بنفسك . أن الرابية ، المظلة على طريقنا في الأسفل ، قد سبقنا في ضبطها . لا يسعنا العبور إلا إذا اكتسحناهم منها . لكنك لم لم تجتلب المشاة الخفيفة ؟ » فرد زينوفون أنه لم يفكر من الصواب ترك المؤخرة بلا قوة ، بينما العدو على مرأى ، وقال : « على كل حال ، لقد حان الوقت حتما أن نصمم كيف يتسنى للفرد اذاحسة أولئك القوم من الاكمة » .

حينذاك ، لاحظ زينوفون أن عرعة الجبل أعلى من الأرض التي عليها الجيش اليوناني ، وأن بالإمكان السير منها نحو الجبل الذي صعدته الإعداء ، فقال : « إن أفضل ما نفعل ، يا خريسوفوس ، هو التقدم نحو القمة بأسرع ما نستطيع . أن تمكنا من ضبطها ، فسيمعز عن الاحتفاظ بموقفهم أولئك الذين يشرفون على طريقنا . إذا شئت ، فامكت هنا مع الجيش الرئيسي . ساطوع بالضي قدما . أم ، إذا فضلت ، فسر نحو الجبل ، وسالبت هنا » فقال خريسوفوس : « سأترك لك الخيار أن تفعل ما تشاء » .

فاعرب زينوفون بما انه الاصغر سنا ، اختار التقدم نحو الجبل ، لكنه طلب من خريشوفوس ان يمهده ببعض الرجال من المقدمة للمضي معه ، اذ ان جلب الرجال من المؤخرة كان سيستغرق وقتا . فاذن له خريشوفوس باخذ المشاة الخفيفة التي كانت في المقدمة ، والتي كانت وسط المربع ، كما امر ثلاثمائة من الرجال المختارين ، الذين كانوا تحت امرته الشخصية في واجهة المربع ، بالذهاب مع زينوفون .

فانطلقوا في السير بأسرع ما تمكنوا ، لكن الأعداء فوق الأكمة ، اذ لاحظوا اليونانيين متوجهين صوب القمة ، هرعوا هم كذلك في الحال لينازعواهم الموقع . فكان ثمة استصراخ كثير : من الجيش الاغريقي يستحث رجاله من جانب ، ومن قوم (تيسافرونوس) يحرضون رجالهم من الجانب الاخر . لقد ركب زينوفون جوادا على طول الصفوف ، يستحثهم على الارتقاء قائلا : « ايها الجنود ، اعتبروا انكم الان تقاتلون من اجل اليونان ، وانكم تشقون الان طريقكم نحو اولادكم وحليائكم ، واننا بقليل من المشقة حاليا ، سنمضي في ما تبقى من طريقنا دون مقاومة » فقال (سوتريداس) وهو رجل من (سيكون) (١٠٦) : « لسنا متعادلين يا زينوفون . انك ممتط صهوة جواد ، بينما انا قد انهكني مجن أحمله » .

عندما وعى زينوفون ذلك ، قفز عن صهوة جواده ، واقصى (سوتريداس) عن الصفوف ، وجرده من ترسه ، وتقدم راجلا بأسرع ما استطاع ، حاملا الترس . واتفق انه كان متدربا بدرع الفرسان كذلك ، فصار انطلاقة بطيئا . لقد ظل مشجعا اولئك الذين في الطليعة على الاستمرار في السير ، واولئك الذين خلفهم على اللحاق بهم ، مع انه بالذات كان يناضل خلفهم على طول . غير ان الجنود الاخرين ، ضربوا (سوتريداس) ورجعوه بالحجارة ولعنوه حتى ارفعوه على استعادة ترسه ومتابعة السير . عندئذ عاد زينوفون فاعتلى جواده ، وقادهم نحو الطريق على ظهر الحصان ، طالما كانت الطريق صالحة . ولما غدا ركوبه مستحيلا ، غادر حصانه الى الخلف ، ودلث في سيره نحو الامام على قدميه . وهكذا بلغوا القنة قبل العدو .

وعلى ذلك ، ولى الفرسان الادبار ، وهربوا في جميع الاتجاهات ، وضبط الاغريق القنة . فحاد جانبيا جيش تيسافرونوس وآريوس ، ومضوا في مسلك آخر ، وانحدر رجال خريشوفوس الى الصييب ، وعسكروا في قرية حافلة بطيبات غريبة . في هذا السهل المحاذي دجلة ، كانت ارياف عديدة زاخرة بالوئ كدلك .

غير ان العدو شوهد في الصييب بعد العصر على حين غرة ، وشتت بعض الاغريق المنتشرين هناك ، والمنهمكين في الاغتنام ، اذ قد امسكت بعض قطعان الماشية عند جلبها لعبور النهر الى الضفة الاخرى . فحاول عندئذ تيسافرونوس ورجاله احراق القرى ، فافتهم بعض الاغريق لذلك ، اذ قد خيل اليهم انهم ان احرقوا القرى ، فلن يجدوا موضعا يحصلون فيه على الميرة .

(١٠٣) Sicyon — مدينة تقع الى الشمال الشرقي من مدينة (كورنثوس) باليونان .

كان (خريشوفوس) ورجاله قد عادوا حديثا من انقاذ الدين في الدلصة ، وعندما صادف فريق الانتقاذ زينوفون عند انحداره من الأكمة ، مضى راكبا بحذاء صفوفهم ، وقال : « اما ترون ، ايها الاغريق ، انهم اذعنوا الان باننا مالكو ارضهم ؟ عندما مهدوا للهدنة ، ركزوا على هذه النقطة كثيرا ، وهي لا ينبغي احراق ارض العاهل ، وهامم الان يعرفونها بانفسهم وكانها ليست ملكه . لكننا ان توفر اي طعام لانفسهم حيثما كان ، فسيجدوننا سائرين هناك ايضا . في الحقيقة ، يا خريشوفوس ، ارى انه يستوجب علينا اعتبار هذه الملكية خاصتنا ، ونمنعهم من احراقها » فقال خريشوفوس : « لا اخال ذلك ، بل نستطيع اعانتهم في مساهم ، واذذاك سيكفون سريرا » .

عندما عادوا الى مضاربهم ، اتام القادة وضباط المشاة في اجتماع ، بينما انشغل الباقون بالتجهيزات . انهم الان في وضع جد عصيب . فمن احدى الجهتين ، كانت ثمة جبال سامقة جدا ، وعند الجهة الاخرى ، كان النهر الذي بلغ من العمق ، عند اختباره ، حدا غدت الريح التي نكست فيه دون مستوى الماء ، وبينما كان القادة فيم متأكدين مما سيفقدون عليه ، برز شخص من (رودس) ، وقال : « اني اتعهد بالعبور بكم على دفعات ، اربعة آلاف من المشاة الثقيلة في كل دفعة ، اذا زودتموني بما انطلب ، ووهبتوني وزنة (١٠٤) فضة اجرا » .

وعندما سألوه عما احتاج اليه ، اجاب : « ساحتاج الى التي قربة من الجلد ، اذ ارى عددا من الاغنام والماعز والثيران والحمر حولنا . عند سلخنا جلودها ونغسلها فيها ، ستزودنا بوسيلة يسيرة للعبور . كما سأنطلب حبسال الحيوانات التي تحمل الحقائق . بهذه الحبال ، سأوثق القرب ببعضها ، واضع كل قرية في موضعها بربطها بحجر يتدلى في الماء كمرساة . ثم سائر القرى عبر النهر ، واشدها الى الصفتين ، واضعها فوقها الخشب ، تملوه طبقة من تراب . بلحظة واحدة ، سائبت لكم الا خطر من الفرق . كل قرية ستحمل شخصين ، والخشب والثراب يمتعان انزلاقهما » . فاصفى القادة اليه ، لكنهم فكروا ، رغم كونها فكرة حسنة ، ان من المتعذر تنفيذها ، لوجود اعداد جسيمة من الفرسان عند الضفة الاخرى لتصد تقدمهم ، وانها للفور ستعيق الرجال الاوائل عبر النهر عن تادية مهامهم .

في اليوم التالي ، عادوا القهقري ، سالكين طريقهم السابقة المؤدية الى الارياف التي لم تضرم فيها النار ، فاحرقوا القرى التي شرعوا منها في الحركة كي يعيقوا دنو العدو منهم ، لكنه لاحظهم من بعيد ، حائرا في الظاهر بشأن السبيل الذي سيسلكه اليونان بعد الان ، وماهية نياتهم . عندئذ عقد القادة اجتماعا آخر ، بينما انشغل الجيش الباقي بالتجهيزات . فاستحضروا الاسرى ، واستفسروهم مفصلا عن الاصقاع التي تحيطهم . فكانت الردود ان الاصقاع في الجنوب متجهة نحو

(١٠٤) الوزن (Talent) تعادل (٢٥٠) او (٣٤٠) جنينا .

كما انها تدل على وزن ذهب تساوي عشرة آلاف جنيه تقريبا . والاولى اقرب الى المقول .

(١٠٥) Susa — عاصمة فارسية قديمة .

(١٠٦) Ecbatana هي سابقا عاصمة ميديا .

اشارة نحو المسلك الذي سيتبعون ، غير أنهم فكروا بوجوب غزو (كردستان) عبر الجبال ، اذ أنهم - استنادا الى الاسرى - سيصلون ارمينيا حالما سيجتازون هؤلاء القوم ، وهي قطر واسع غني يحكمه (اورونتاس) ، ومن ثم - قال الاسرى - يسهل السير في اي اتجاه شاء الفرد .

فقدموا القرابين لتبريك هذا القصد ، كي يستطيعوا الشروع في المسير عندما يعتقدون ان الوقت الملائم لذلك قد حان. فقد كانوا في خشية من ان يسبقهم الفرس في احتلال المر فوق الجبال . ثم اصدروا الاوامر ، أنهم بعد العشاء ، ينبغي على كل فرد ان يحزم عائلته فيستريح ، ويجب ان يكونوا متاهبين لاقتفاء ضباطهم عند صدور اليعاز .

بابل وميديا ، وهي في الحقيقة الطريق التي قد سلكوها . والطريق شرقا ، تتجه نحو شوشه (١٠٥) وهمدان (١٠٦) التي فيل انها مقر العاهل صيفا ، وان عبر الواحد النهر وانطلق غربا ، اتجهت به الطريق نحو (ليديا) و (ابونيا) ، والطريق المتجهة شمالا فوق الجبال ، تسلك نحو (الاكراد) . وافصحوا ان هؤلاء القوم يقطنون الجبال ، وأنهم بواسل جدا ، وغير خاضعين للعاهل . والحقيقة ان جيشا ملكيا ، قوامه مئة وعشرون الفا ، غزا مرة ديارهم ، فلم يعد منهم فرد واحد بسبب وعورة الارض التي وجب عليهم ان يوغلوا فيها . لكنما في احوال عقد المصالحة مع الوالي المسيطر على السهل ، كان ثمة تغالط متبادل بين الاكراد وبينهم . فاستوعب القادة هذه المعلومات ، وعزلوا جانباً الذين اعربوا عن امامهم بالطريق في كل اتجاه ، ولم يلمحوا بآية



النصوص المحققة

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إمدنى



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كتاب الموفقي في النحو

لابن كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩

تحقيق

الدكتور عبدالحسين الفتلي

و

هاشم طه شلاش

مقدمة

نحمده ونستعينه

وبعد : فقد وفقنا للعثور على نسخة مخطوطة من « كتاب الموفقي في النحو » تأليف أبي الحسن احمد بن محمد كيسان - رحمه الله - وهو كتاب نحوي وصرفي جدير بالنشر للسببين التاليين :

١ - ان مخطوطة هذا الكتاب لا اخت لها في المكتبات المهرسة في العالم .

٢ - ان هذا الكتاب من الكتب المختصرة التي تضع امام القارئ المادة النحوية الكاملة التي يستطيع الاستفادة منها في اقصر وقت دون الرجوع الى الكتب المفصلة في النحو والصرف مع ما فيها من صعوبة ومع ما يحتاجه الرجوع اليها من وقت .

ولقد اجتهدنا في ضبط نصوص هذا الكتاب على الوجه المقتنع ، وراجعنا ما يقتضي التحقيق مراجعته واثبتنا ما وجدناه نائما في الهامش . فان وفقنا في عملنا فمن الله وله الحمد ، ونحن نشكره على كل حال .

المصنف :

كان يكنى بابي الحسن (هـ) ويلقب بابن كيسان . وكيسان لقب واسمه ابراهيم (٦) . وذكر ابو القاسم عبدالواحد علي ابن برهان : ان كيسان ليس اسم جده وانما هو لقب ابيه (٧) . وأشار ابن التديم (٨) الى ان الكيسان بمعنى : الغدر وانه اسم لصاحب الترجمة وهي لغة سعدية .

وكان كيسان نحويا وذكر عنه انه خلط المذهبين واخذ عن الفريقين (٩) يعني البصريين والكوفيين - وانه كان يحفظ المذهب البصري والكوفي في النحو لانه اخذ عن ابي العباس المبرد

الملاحظ في ترجمة ابن كيسان ان الذين ترجموا له نقل بعضهم مادة بعض ولذلك جاءت ترجمته متشابهة في التنسب المختلفة . اضافة الى ذلك ان المعلومات التي تقدمها لنا تلك الكتب مجتمعة لا تضع امامنا صورة كاملة عن هذا النحوي ، وانما هي شذرات متفرقة لا تتعدى الاسم واسم الاب والكنية واللقب وشيئا قليلا عن ثقافته النحوية ومنهجه ، ويمكن للكتب التي خلفها لنا هذا الرجل ان تعطينا صورة ادق مما قدمته لنا كتب التراجم .

هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان (١) وقيل محمد ابن احمد (٢) وقيل محمد بن ابراهيم بن كيسان (٣) وقيل كذلك محمد بن احمد بن كيسان (٤) .

(٥) انظر معجم الادباء ج٦ ص ٢٨٠ وبغية الوعاة ص ٨ ونزهة الالباء ص ١٦٢ وهدي المارفين ج ٢ ص ٢٣ وبروكلمان ج ٢ ص ١٧١ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٣٥ .

(٦) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٨٠

(٧) انظر تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٣٥ ونزهة الالباء ص ١٦٢

(٨) الفهرست ص ٨١

(٩) الفهرست ص ٨١

(١) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٨٠ ، هدي المارفين ج ٢ ص ٢٣

(٢) الفهرست لابن التديم ص ٨١

(٣) بغية الوعاة السيوطي ص ٨

(٤) نزهة الالباء ص ١٦٢ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٣٥ وتاريخ

الادب العربي بروكلمان ج ٢ ص ١٧١

وابي العباس ثعلب (١٠) وأنه كان انحى من الشيخين يعني المبرد و ثعلباً (١١) وقد كان الى مذهب البصريين اميل (١٢) .

وحدث ابو الطيب اللغوي قال كان ابن كيسان : يسال المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين فيقول في هذا على من يقوله كذا ويلزمه كذا فاذا رضي قال له قد بقي عليك شيء لم لا تقول كذا (١٣) .

وحدث ابو بكر محمد بن مبرمان قال قصدت ابن كيسان لافرا عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال : اذهب الى اهله يعني الزجاج وابن السراج وكان ابو بكر بن الانباري يتعصب عليه ويقول خلط الملهين فلم يضبط منهما شيئاً وكان يفضل الزجاج عليه جدا (١٤) .

توفي ابن كيسان واختلف في سنة وفاته . واشهر تاريخين لوفاته هما سنة ٢٩٩هـ (١٥) وسنة ٣٢٠هـ (١٦) .

مصنفات ابن كيسان :

خلّف ابن كيسان مجموعة من الكتب في مختلف العلوم الانسانية ان دلت على شيء فانما تدل على طول بابه وتمكنه من علوم العربية وادابها مع معرفة واسعة بعلوم القرآن والحديث . ومؤلفاته التي نذكرها هي التي اوردتها كتب التراجم في اثناء ترجمتها مؤلف هذا الكتاب وهذه الكتب هي :

- ١ - المذهب في النحو . ذكر بول سباط ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة محمد عطية الكهربائي في القاهرة .
- ٢ - غلط ادب الكاتب
- ٣ - اللامعات
- ٤ - كتاب البرهان
- ٥ - قريب الحديث وقيل عنه انه في اربعمائة ورقة (١٧) .
- ٦ - معاني القرآن
- ٧ - علل النحو
- ٨ - مصابيح الكتاب
- ٩ - ما اختلف فيه البصريون والكوفيون
- ١٠ - كتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ذكره بروكلمان (١٨) وأشار الى انه توجد منه مخطوطة في لندن ٢٦٤ وان وليم رايت نشره في Opsenla Arab من ص ٤٧-٧٤ ونشر الى ان الدكتور ابراهيم السامرائي اعاد نشره في مجلة الجامعة المستنصرية .
- ١١ - شرح المملكات : ذكره بروكلمان (١٩) . وهو شرح

- (١٠) بغية الوعاة ص ٨ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٣٥ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٢٨٠
- (١١) نزهة الالباء ص ١٦٢ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٢٨٠ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٣٥ وبغية الوعاة ص ٨
- (١٢) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٨٠ وبغية الوعاة ص ٨
- (١٣) مراتب النحويين ص ٨٨ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٢٨١
- (١٤) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٨١
- (١٥) انظر نزهة الالباء ص ١٦٢ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٣٥
- (١٦) انظر معجم الادباء ج ٦ ص ١٨١ وبغية الوعاة ص ٨ ومرة الجنان للياضي ٢/٢٣٦ .
- (١٧) معجم الادباء ج ٦ ص ٢٨١
- (١٨) ج ٢ ص ١٧١ الترجمة العربية
- (١٩) ج ١ ص ٧٠

لمعلقات امرئ القيس وطرفة وليبد وعمرو والعارض . وتوجد منه مخطوطة في برلين ٧٤٤٠ . ويوجد شرحه لمعلقة امرئ القيس فقط في المكتب الهندي (اول ٨٠٠) ونشر شلوسنجر شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم عن مخطوط برلين .

١٢ - كتاب الموفقي في النحو : وهو الكتاب الذي تقدمه للقارئ محققاً عن نسخة مخطوطة فريدة موجودة في خزانة الرباط في المغرب الاقصى تحت رقم ١٢٧ وهو نفسه المسمى بالمختصر في النحو ويظهر انه قدم الى الموفق بالله فسمى بالموفقي كما سميت كتب اخرى بنفس التسمية للغرض نفسه ككتاب الموفقي في النحو للامام احمد بن يحيى ثعلب (٢٠) وكذلك الاخبار الموفقيات للزبير بن بكار والذي حققه ونشره الدكتور سامي مكى العاني :

- ١٣ - كتاب التصاريح
- ١٤ - كتاب الحقائق
- ١٥ - كتاب الشاذاني في النحو
- ١٦ - كتاب القراءات
- ١٧ - الكتاب المختار وهو في ثلاثة مجلدات (٢١)
- ١٨ - كتاب المذكر والمؤنث
- ١٩ - كتاب المقصور والممدود
- ٢٠ - كتاب الوقف والابتداء
- ٢١ - كتاب الهجاء والخط
- ٢٢ - كتاب الفاعل والمفعول به
- ٢٣ - كتاب المسائل على مذهب النحويين

كتاب الموفقي في النحو :

هو كتاب صغير في النحو والصرف كتبه ابن كيسان للموفق بالله القائد العباسي بعد ان سمع من رجل اسمه ابن جسان ان الموفق بالله طلب شيئاً من مختصرات النحو فعمل له عدة كتب فعمل ابن كيسان كتاباً مما لا ضغط فيه القواعد النحوية والصرفية ضغطاً كبيراً ودقيقاً .

ولم نجد ذكراً لاسم هذا الكتاب في طبقات النحويين واللغويين ولا نعلم متى سمي هذا الكتاب بالموفقي ومن الذي سماه هذه التسمية وكل الذي نعرفه ان لابن كيسان كتاباً مختصراً في النحو اشار اليه الذين ذكروا كتبه ونعتقد ان المختصر هو نفسه الكتاب الموفقي .

اما نسبة هذا الكتاب لابن كيسان فمن الممكن توثيقها بما يأتي :

١ - ان هذا المصنف يبدأ بعبارة « قال ابو الحسن محمد بن احمد كيسان ... » وقد تردد ذكر عبارة « قال كيسان » في عدة مواضع من الكتاب .

٢ - نقل ابن السيد البطليوسي في كتابه الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل (٢٢) تقسيم ابن كيسان للفعل قال

- (٢٠) هدية المارفين ج ١ ص ٥٤
- (٢١) هدية المارفين ج ٢ ص ٢٢
- (٢٢) تحقيق سميد عبدالكريم انظر النسخة المطبوعة على الالة الكاتبة في كلية الاداب ص ٧٤

« كُتِبَ في المحرم سنة احدى وخمسمائة ابو محمد عبدالمك
بن طاهر . ولما كان الموفقي الكتاب الثاني من المجموع فمعنى
ذلك انه نسخ قبل ذلك التاريخ .

والمجموع كله - بما في ذلك الموفقي - مكتوب على ورق
ابيض يميل الى الصفرة . والخط المستعمل هو النسخي
الشرقي الشكول . وهو واضح في اغلب الاحيان الا ان الناسخ
كان يهمل النقط او يسيء استعماله ، فقد لوحظ انه كثيرا
ما يقلب ياء المضارعة تاء والتاء ياء . وقد صحف الناسخ كثيرا
من الكلمات فاجتهدنا في تصحيحها وقد اشرنا الى كل ذلك
في مواضعه . وقد وقع سقط ليس بالكثير ذكرناه واشرنا اليه
على انه مما يقتضيه السياق معتمدين في ذلك على ما تقدم وما
تاخر من الالفاظ .

وقد ذكرت على هامش الصفحات بخط مخالف لخط
النص تصحيحات وزيادات يصعب قراءتها .

اما الصفحة الاولى من الموفقي فلم نجد فيها غير
العنوان واسم المؤلف وعبارة بتيمة موجودة تحت اسم
الكتاب واسم المؤلف وهذه العبارة هي « ابن الشعار » وقد
ذكرت ايضا في الصفحة الاولى من المجموع ولا ندري ما
المقصود بها بالضبط فقد يكون هذا الرجل احد مالكي هذا
الكتاب او احد مصححيه ولكن لا يمكن الجزم بذلك .

والمخطوطة مؤلفة من اثنتي عشرة ورقة او ثلاث وعشرين
صفحة ، طول كل واحدة ٢٠ سم وعرضها ١٥ سم على وجه
التقريب وعدد السطور يتراوح بين ١٨ و ٢٢ سطرا ويحتوي
كل سطر على ٢٢ كلمة تقريبا .

عملنا في التحقيق :

١ - لما كان اعتمادنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة
فريدة لا تحت لها في المكتبات المفهرسة في العالم ، فقد اجتهدنا
في ضبط النص على الوجه الاكمل ، وصححنا الاخطاء الاملائية
واشرنا الى ما سقط من الكلمات اثناء النسخ وصححنا ما وقع
في الكتاب من تصحيف وقد اشرنا الى كل ذلك في هوامش
الكتاب .

٢ - نهنا على المصطلحات والاقوال الكوفية التي وردت
في النص على اعتبار ان ابن كيسان كان ممن يميلون الى
الذهب الكوفي .

٣ - قمنا بشرح قسم من المسائل النحوية او الصرفية
التي شعرنا بموضها على القاريء واستدركنا شيئا يسيرا على
المسائل النحوية والصرفية التي نعتقد انها تحتاج الى اضافة
علمية حتى تظهر بالصورة المطلوبة .

٤ - خرجنا قسما من النصوص التي نقلها ابن كيسان
مع انه لم يشر الى ذلك - وارشدنا الى امكانها في كتب
الاقدمين .

٥ - قمنا بتقسيم الابواب الكبيرة الى ابواب فرعية
بحسب ما يحتويه كل باب من موضوعات .

٦ - وضعنا فهرسا للموضوعات في آخر الكتاب بينا فيه
الابواب الرئيسة والابواب الفرعية .

« قال ابو الحسن بن كيسان : الفعل ما كان مذكورا لاحد
زمانين ما مضى وما يستقبل او احدهما وهو الحال » ويوجد
في الموفقي ما يشبه هذا التقسيم قال « والفعل ما كان مشتقا
من احداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل
وما هو في حال الحديث به نحو قام يقوم وعلم يعلم » (٢٢)

٣ - ذكرت كتب الطبقات النحوية ان ابن كيسان خلط
الذهبيين البصري والكوفي واخذ عن الفريقين وانه كان يحفظ
الذهبيين لانه اخذ عن ابي العباس المبرد وابي العباس ثعلب
ولو تتبعنا المصطلح النحوي الكوفي والاقوال الكوفية في هذا
الكتاب لوجدنا من ذلك شيئا ليس قليلا وقد اشرنا في هوامش
الكتاب الى كل مصطلح او رأي للكوفيين .

وصف المخطوطة :

النسخة المخطوطة لهذا الكتاب عشر عليها في اوائل سنة
١٩٥٨ بمدينة تمفروت في جنوب المغرب الأقصى . ويقع
المخطوط ضمن مجموع يضم عشرة كتب مختصرة في اللغة والنحو
والعروض . ويوجد هذا المجموع الان في مكتبة الخزنة العامة
بالرباط تحت رقم ١٢٧ .

وقد كتب في الصفحة الاولى من المجموع ما ياتي « في هذه
المجلدة عشرة كتب مختارة في النحو » وهذه الكتب بحسب
تسلسلها هي :

١ - الكتاب الموجز في النحو لابن السراج

٢ - كتاب الموفقي في النحو لابن كيسان

٣ - كتاب الكتاب لابن درستويه

٤ - كتاب النحو لابي علي المعروف بلفدة

٥ - كتاب الهجاء لابن السراج

٦ - كتاب الباء على حروف الهجاء لابن درستويه

٧ - كتاب المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة

٨ - القصص والمدود لظلام ثعلب

٩ - كتاب العروض لابن السراج

١٠ - كتاب القوافي لابي القاسم التميمي

وقد كتب فوق الفهرست هذه العبارة « عورض بالفهرست
سنة ٥٨١ .

وكتاب الموفقي في النحو لابن كيسان هو الكتاب الثاني
من هذا المجموع وان ناسخ المجموع كله شخص واحد ذكر
اسمه في الصفحة الاولى وهو « ابو محمد عبدالمك بن طاهر » .

ولم نستطع ان نحصل على تاريخ نسخ الموفقي ولم
تسعدنا الكتابات الموجودة في الصفحة الاولى من المخطوط
ولا الكتابات الموجودة في خاتمة كل مصنف على ضبط ذلك
التاريخ .

والذي نستطيع قوله ان كتاب الموفقي نسخ قبل نهاية
القرن الخامس الهجري لاننا وجدنا في نهاية
كتاب الباء لابن درستويه - وهو الكتاب السادس - ما نصه

(٢٣) انظر الصفحة الاولى من الكتاب

كتاب الموقفي في النحو

تأليف

أبي الحسن محمد بن أحمد كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩ هـ

باب معرفة الرفع

فالرفع في الاسماء والافعال يكون بأربعة اشياء ، بالضمة والواو والالف والنون .

فأما الضمة ففي اكثر الاسماء والافعال نحو زيد وعمرو وصاحبك ورجال ويقوم ويعلم .

وأما الواو فتكون في خمسة أسماء مضافة ، وفي الجمع الذي على هجائين (٨) ، ولا يكون في شيء غير ذلك .

فأما الاسماء الخمسة فهي أبو زيد وأخو محمد وفو عمرو وحمو خالد وذو مال (٩) .

وأما الجمع الذي على هجائين فقولك : المسلمون والزيدون والصالحون والقائمون (١٠) . وإنما سمي جمعا على هجائين لانه في الرفع بالواو وفي الخفض والنصب بالياء ، تقول بنون وبنين وعشرون وعشرين .

وأما الرفع في الاثنين فعلامته الألف « و » (١١) لا يكون في شيء غير ذلك نحو قولك : رجلان وغلaman والعمران والزيدان .

وأما النون فيكون في خمسة أمثلة من الافعال المستقبلية ، ولا يكون في شيء غير ذلك وهو قولك للمرأة : أنت تفعلين وأنتما تفعلان وهما يفعلان وأنتم تفعلون وهم يفعلون ، علامة الرفع ثبات النون ، لا يكون الرفع بشيء غير ما ذكرنا .

(٧) الخفض مصطلح كوفي . جاء في مدرسة الكوفة ص٣٥٦ « ويريد به الكوفيون ما يريد البصريون بالجر . والخفض ليس من وضع الكوفيين ولا الجر من وضع البصريين وإنما هما مقتبسان من أوضاع الخليل ومصطلحاته إلا أن الكوفيين توسعوا في الخفض فاستعملوه في الكلمات المنونة وغير المنونة بعد أن كان الخليل لا يستعمله إلا في المنون » وقد تكرر هذا المصطلح في هذا الكتاب في مواضع كثيرة

(٨) يقصد جمع المذكر السالم والمحقق به

(٩) يضاف اسم سادس وهو « هـ »

(١٠) في الأصل « قائمون » والصواب ما أثبتناه

(١١) زيادة يقتضيها السياق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو الحسن أحمد بن محمد كيسان (١) : قال لي ابن حسّان (٢) : طلب الموقفي (٣) شيئا من مختصرات النحو فعمل له غير كتاب . قال أبو الحسن : فعلت أنا عند ذلك هذا الكتاب .

قال : الكلام (٤) ينقسم ثلاثة أقسام وهي : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

فالاسم ما وضع لشيء ليفصل بينه وبين غيره من المسميات ، وصلح أن يكون فاعلا ومفعولا ومضافا إليه ، وذلك نحو رجل وفرس وزيد .

والفعل ما كان مشتقا من أحداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل ، وما هو في حال الحديث به (٥) ، نحو قام يقوم وعلم يعلم .

وحروف المعاني ما لم يكن اسما ولا فعلا ، ولكن يتعلق بأحدهما نحو . إن وليت وفي ومن ولم ولن وما أشبه ذلك .

وليس يعرب من الكلام شيء إلا الاسم المتمكن والفعل المستقبل الذي في أوله ياء أو تاء أو نون أو ألف ، نحو : أنا أذهب وأنت تذهب وهو يذهب ونحن نذهب ، وسائر (٦) الكلام مبني لا تتغير حركاته ولا يزول آخره .

(١) المعروف انه محمد بن أحمد كيسان

(٢) لم نتوصل الى معرفة هذا الرجل

(٣) هو أبو أحمد الموقفي . واسمه طلحة ، أخو الخليفة المتتمد على الله وابن الخليفة المتوكل وقد عينه أخوه قائدا له لمحاربة صاحب الزنج يوم الخميس سنة ٢٥٨ هـ وقد كان الموقفي الحاكم الحقيقي للدولة لأن أمور الدولة كانت بيده بعد أن ضعف شأن أخيه فحبسه وحجر عليه ومات الموقفي سنة ٢٧٨ هـ عن ٤٩ سنة وخلفه ابنه المعتضد . (انظر مروج الذهب ج٢ ص٤٧٣-٤٩٢)

(٤) في كتاب سيبويه الكلم بدل الكلام فقد جاء في الكتاب « فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » ج١ ص٢

(٥) جاء في كتاب سيبويه ج١ ص٢ « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع »

(٦) في الأصل « سائر » والصواب ما أثبتناه

باب معرفة النصب

وأما النصب في الأسماء والأفعال فيكون خمسة أشياء ، بالفتح والالف والياء والكسر ويحذف النون .

والفتح يكون في أكثر الكلام (١٢) نحو قولك : رأيت زيدا وعمرا وعبدالله .

وأما الالف ففي الأسماء الخمسة التي رفعها بالواو ، نحو (١٣) قولك رأيت أبا عمرو وأخا زيد وفا محمد وحما خالد وذا مال .

وأما الياء ففي الاثنين ، والجمع الذي على هجائين نحو قولك رأيت رجلين وغلّامين والزبدن والعمرين . وكذلك الجمع رأيت مسلمين وقائمين (١٤) وصالحين .

وأما الكسر فيكون في جمع التانيث إذا زيد في آخر الاسم الالف والتاء ، [و] (١٥) لا يكون الكسر علامة النصب إلا في هذه التاء ، وذلك قولك رأيت مسلمات وصالحات والهندات والأخوات ، تكسر التاء في النصب .

وأما حذف النون ففي الأمثلة ٣/ التي علامة الرفع فيها ثبات النون (١٦) نحو قولك : لن تفعل ولن تفعل ولن يفعل ولن تفعلوا ، [و] سقوط النون علامة النصب ، [و] لا يكون النصب في شيء من الكلام إلا بما ذكرنا .

باب معرفة الخفض

وأما الخفض فيكون بثلاثة أشياء ، بالكسر وبالياء وبالفتح ، فالكسر في أكثر الكلام نحو قولك مررت برجل وبعمرو وبرجل .

وأما الياء ففي الأسماء الخمسة التي رفعها بالواو ونصبها بالالف وخفضها بالياء نحو قولك مررت بأبي حفص وأخي محمد وفي زيد وحمي عمرو

(١٢) في الأصل « والفتح يكون في أول الكلام وأكثرها » وربما كان في هذه العبارة زيادة ليست منها في الأصل أو وهم وقع فيه الناسخ ولعل العبارة هي ما أثبتناه حملا على قوله في « باب معرفة الخفض » : « فالكسر في أكثر الكلام » .

(١٣) في الأصل « ونحو » فالواو زائدة على ما نرى

(١٤) في الأصل « قايمن » والصواب ما أثبتناه

(١٥) زيادة يقتضيهما السياق وقد زدنا الواو هذه في صفة مواضع ووضعناها بين قوسين مكوفين .

(١٦) وتسمى الأفعال الخمسة

وذي مال . ويكون في الاثنين والجمع الذي على هجائين مثل النصب سواء نحو قولك : مررت برجلين وغلّامين ومسلمين وصالحين ، يستوي النصب والخفض في الاثنين والجمع الذي على هجائين والجمع المؤنث الذي في آخره الف وتاء . والباب للنصب والخفض مقرون إليه ليس بينهما في اللفظ فرق نحو قولك رأيت رجلين ومررت برجلين ورأيت الهندات ومررت بالهندات .

وأما الفتح فيكون فيما لا ينصرف من الأسماء فإن الأسماء التي لا تنصرف خفضها كنصبها بالفتح بغير تنوين وسنذكرها بعد هذا الموضع إن شاء الله ، [و] (١٧) لا يكون الخفض بغير ما ذكرنا .

باب معرفة الجزم

وأما الجزم فيكون بالتسكين ويكون بالحذف . فأما التسكين ففيما كان آخره مضموما في الرفع نحو قولك : هو يذهب فتقول لم يذهب فتسكن الباء .

وأما الحذف فإن يكون آخر المستقبل ياء أو واوا أو ألفا ، فتسكن في الرفع ويحذف في الجزم وذلك قولك يقضي ويمشي ويفز ويدهو (١٨) ويخشى ويرضى تقول إذا جزمت لم يغز ولم يقض ولم يرض تحذف الياء والواو والالف .

ويكون الجزم أيضا بحذف النون التي تكون علامة للرفع فيستوي النصب والجزم في الأفعال كما يستوي النصب والخفض في الأسماء وذلك قولك لم تفعل ولن تفعل ولم تفعل ولن تفعلوا ولن تفعلوا [و] (١٩) سقوط النون علامة الجزم ولا يكون الجزم بغير ما ذكرنا .

باب ما يتبع الاعراب

يتبع أعراب الأسماء التنوين ليكون فصلا بين أعراب الاسم وأعراب الفعل نحو قولك زيد وزيدا ، فيوقف على المنصوب إذا كان منونا (٢٠) بالالف نحو قولك رأيت زيدا ، ولا يوقف على المرفوع بالواو لثقلها ، ولا يوقف على المخفوض بالياء لثلا يلتبس بانه مضاف الى المتكلم (٢١) .

(١٧) زيادة يقتضيهما السياق

(١٨) في الأصل « يغزوا ويدهوا »

(١٩) زيادة يقتضيهما السياق

(٢٠) في الأصل « مؤنثا » والصواب ما أثبتناه

(٢١) أي أن الوقف على المرفوع بالواو - ويقصد به جمع المذكر السالم والملاحق به - ثقیل لثقل الواو . وان

والنون في الاثنين والجمع الذي على هجائين عوض من التنوين الذي في الواحد ولا يسقط الا في الاضافة نحو غلاما زيد وغلاما عمرو وغلامي بكر وبنو زيد وبنو عمرو .

والتنوين ايضا يسقط في الاضافة ومع الالف واللام نحو قولك عبدالله والغلام . والتنوين ساكن [و] (٢٢) نون الاثنين مكسورة ابدا لسكون ما قبلها ونون الجميع مفتوحة ابدا لثلاث يشبه نون الاثنين ، فاذا كان الجمع على واحد ثبتت في كل شيء وجُزئت بالاعراب نحو البساتين والمساكين .

باب معرفة الافعال وما يعتريها

والافعال تكون ماضية فتبنى على الفتح نحو قام وذهب وعلم فاذا ثبتت (٢٣) ثبتت على الوقف (٢٤) نحو ذهبت وعلمت كرهوا كثرة الحركات فاسكنوها .

وتكون مستقبلية فتجري بالرفع والنصب والجزم/٤ نحو يقوم ويعلم ويذهب ويقبل فهو رفع ابدا حتى يدخل عليها حروف النصب والجزم .

وحروف النصب التي تنصب الافعال المستقبلية هي ان ولن وحتى وإذن وكى وكىلا وكىما ولام كي ولام الجحد ولان ولثلا وان لا وحتى لا . وتنصب بالفاء اذا كانت جوابا للامر والنهي والدعاء والاستفهام والجحد والتمني والعرض . وتنصب بالواو وثم واو على الصرف (٢٥) .

باب الحروف التي تجزم الافعال المستقبلية (٢٦)

وهي لم ولما والامر باللام والنهي بلا وتجزم بحروف الجزاء وهي إن ومن وما وأي ومهما ومهم ومن متى ومتى ما وأين وأينما وحيث ما وكيفما واذا ما وأي [ما] (٢٧) .

الوقف على المنصوب او المجزور بالياء يوهم بسان الاسم مضاف الى ياء التكلم لذا قرن هذا الاسم بالنون

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق

(٢٣) في الاصل « ثبت » بناء واحدة

(٢٤) أي « بنيت » على السكون لكثرة الحركات .

(٢٥) أحرف الصرف ويطلقها الكوفيون على الواو والفاء واو التي تنصب الفعل المضارع بعدها مسبقة بنفي أو طلب

وهي الناصبة للفعل المضارع عند جمهور الكوفيين اما عند الفراء فالناصب لهذا الفعل هو الصرف أي

الخلاف ، مدرسة الكوفة ص ٣٥١

(٢٦) الافعال المضارعة

(٢٧) زيادة يقتضيها السياق لانها لو لم تكن كذلك لكانت أي مكررة

وتجزم بغير حرف اذا كانت (٢٨) جوابا للجزاء وجوابا للامر والنهي والدعاء والتمني والعرض والاستفهام .

والفعل لا يشئ ولا يجمع اذا كان متقدما على الاسماء ويشئ ويجمع اذا تأخر وأضر فيه الاسم ، وانما يشئ الضمير الذي فيه ، وتثنية الضمير بالالف وجمعه بالواو في المذكر وبالنون في المؤنث وذلك قولك علما ويعلمان وعلمتا وتعلمان ، الالف علامة تثنية الاضمار ، والنون في المستقبل علامة الرفع .

وتقول في الجمع علموا ويعلمون وللنساء علمن ويعلمن [و] (٢٩) نون التانيث لا تسقط في شيء من الاعراب تقول هن يعلمن ولم يعلمن ولن يعلمن ، ثبتت النون لانها علامة الجمع وليست علامة للرفع وهذا الفعل مبني لا يتغير .

وان شئت ثبتت الفعل وجمعه مقلدا فجعلت التثنية والجمع علامة لما يقع بعده وذلك يجوز في الشعر فتقول قاما أخواك وقاموا أخوتك مثل قولهم اكلوني البراغيث (٣٠) .

والاسم المبني على الفعل يجري مجرى الاسماء في الاعراب ومجرى الفعل في المعنى ويسميه الكوفيون الفعل الدائم (٣١) وذلك قولك قائم وضارب وعالم ، فمن اجراه على اللفظ فله حكم الاسماء ومن حملة على المعنى وحده قبل الاسماء وثناه وجمعه مؤخرا ، وحكمه حكم الاسماء في الاعراب على كل حال والاختيار جمعه وتثنيته في التقديم (٣٢)

باب معرفة أقسام المعاني في الكلام

الكلام ينقسم اربعة أقسام في المعاني وهي الخبر والاستخبار ، والاستخبار الاستفهام . والنداء هو الدعاء . والطلب هو (٣٣) الامر والنهي .

(٢٨) في الاصل « كان » ويقصد بها الافعال المضارعة التي قد تقع جوابا للطلب فتكون مجزومة .

(٢٩) زيادة يقتضيها السياق

(٣٠) لغة بلحوث من كعب

(٣١) ويريد به الكوفيون ما يريد به البصريون باسم الفاعل

(٣٢) اذا جمع او ثنى اسم الفاعل وقدم فانه يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدا مؤخرا الا اذا كان ذلك على لغة

اكلوني البراغيث اذ يكون الاسم المتأخر فاعلا وما اتصل باسم الفاعل علامة له .

(٣٣) في الاصل « والامر » والصواب ما اثبتناه فلو كانت الواو في موضعها لزادت الاقسام على اربعة والكلام عنده

ينقسم الى المعاني التالية « الخبر والاستخبار والنداء والطلب »

والخبر أو سمعها تصرفا ولا يكون الخبر إلا باسم يقرن به حديث ، وحديث الاسم أحد أربعة أشياء وهي : اسم أو ظرف أو فعل أو جملة فيها ذكر الاسم المحدث عنه . والجملة هي اسم ثان ومعه خبره وهما جميعا خبر للاول ، فإذا كان الحديث عن الاسم اسما فالاسمان مرفوعان وبهما تقع الفائدة وذلك قولك : الله هنا ومحمد نبينا ، وزيد اخوك ، الاول يرفع بالابتداء والثاني خبر الابتداء يرتفع بالاول ، وبعضهم يقول ارتفع هذا بهذا وهذا بهذا (٢٤) . وكذلك التثنية والجمع : الزيدان عالمان والزيدون عالمون .

وإذا كان الحديث عن الاسم فعلا وجب مقدما (٢٥) وجاء على عدد الاسماء متأخرا (٢٦) وذلك قولك قام زيد وقام الزيدان وقام الزيدون ويقوم عمرو ويقوم العمران ويقوم العمرون وزيد قام والزيدان قاما والزيدون قاموا وعمرو يقوم والعمران يقومان والعمرون يقومون اذا تقدم الفعل وفيه ارتفع الاسم ولا ذكر فيه من الاسم ، وإذا تأخر (٢٧) فالاسم رفع بالابتداء والفعل خبر عنه ونثني الفعل وجمع للذكر (٢٨) الذي فيه من الاسم أي فيه ضمير الاسم .

ومالم يسم فاعله يجري مجرى الفاعل وبصير الفعل حديثا عنه وذلك قولك ضرب عمرو وضرب العمران وضرب العمرون ويضرب الزيدان ويضرب الزيدون ، والزيدان ضربا والزيدون ضربوا والعمران يضربان والعمرون يضربون .

وإذا كان الحديث عن الاسم ظرفا كان الاسم مرفوعا وكان الظرف منصوبا والظرف موحدا في تقدمه وتأخره وذلك قولك خلفك زيد وخلفك الزيدان وخلفك الزيدون ، والزيدان خلفك والعمران قدامك ، الاسم مرتفع بالابتداء والظرف خبره وهو نصب باضمار فعل المعنى ثبت خلفك زيد واستقر قدامك زيد (٢٩) .

(٣٤) هو قول الكوفيين : فقد جاء في الانصاف - المسألة الخامسة - ما يأتي « انما قلنا ان المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لانا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر والخبر لا بد له من مبتدأ ولا ينفك احدهما من الآخر ولا يتم الكلام الا بهما »

(٣٥) تكون الجملة من باب الفعل والفاعل

(٣٦) تكون الجملة من باب المبتدأ والخبر

(٣٧) أي الفعل .

(٣٨) يقصد الضمير العائد

(٣٩) إذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالجملة اما إذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالمفرد فيكون التقدير « كائن او مستقر »

وإذا كان حديث الاسم جملة كان الاسم مرفوعا بالابتداء والجملة اسم مضموم اليه حديث ، وهو وحديثه حديث عن الاسم المقدم وذلك قولك : زيد ماله كثير ، فماله كثير جملة وهما جميعا خبر زيد ، وكذلك زيد قام ابوه فهذا الخبر ، ولا يكون الخبر مفيدا بأقل من هذا . ويتعلق به أشياء نذكرها في موضعها .

والاستخبار كالخبر الا انه لا يتم الا باسم وحديث وله حروف نذكرها في موضعها ان شاء الله .

والنداء يكون على أربعة أوجه ، وجهان منها مرفوعان ، وجهان منصوبان .

فكل اسم مفرد وليس بمضاف فهو رفع بغير تنوين ، نحو يازيد ياعمرو ويازيدان ياعمران او (٤٠) يازيدون ياعمرون .

وإذا كان قبله ياليتها فهو رفع وذلك نداء ما كانت فيه الف ولام نحو ياليتها الرجل وياليتها المرأة .

وكل مضاف فهو نصب في النداء نحو ياعبدالله وياصاحب الفرس وياغلامي زيد .

وكل (٤١) نكرة موصوفة فهي نصب بالتنوين يارجلًا عالمًا ويارجلًا في الدار وياقومًا صالحين . ولتعت المنادي يتبعه الا ان تنعت مفردا بمضاف فانك تنصب المضاف ولا يجوز غيره . وان شئت نصبت التعت فيه كله وذلك قولك ياعبدالله الطريف ويازيد الطريف ، وان شئت الطريف بالنصب ، ويازيد ذو الجملة (٤٢) لا غير لانه مضاف .

وفي النداء الندبة وهو قولك وازيداه واعمراه .

وفيه الترخيم وهو حذف من آخر الاسم تقول يا حارث تريد يا حارث ، وياطلح تريد يا طلحة .

والطلب على ثلاثة اوجه فمنه امر ومسألة ودعاء .

فالامر لمن هو دونك . والمسألة لمن أنت دونه . والدعاء لله تبارك وتعالى تقول : يا غلام قم امر ، ويا ايها الامير اجزني وهب لي مسألة ، ويا الله اغفر

(٤٠) زيادة يقتضيها السياق

(٤١) في الاصل « فكل » والصواب ما أثبتناه لان الفاء لا معنى لها هنا ولان المعنى جديد لا علاقة له بالكلام السابق

(٤٢) في الاصل « الجملة » فقط وهو يتحدث عن التعت اذا كان مضافا

لي ارحمني وهو جزم ، ويجمعه الطلب الا انه
فرّق بالاسماء لاختلافه فقل امرت غلامي وسألت
الامير ودعوت الله وسألته ايضا جائز (٤٣) قال :
« وسألو الله من فضله » (٤٤) ، وانما سمي دعاء
لانه يقال بالله افعل واليه ادعى

باب ما يوجب الرفع

الفاعل رفع وما لم يسم فاعله رفع ، والابتداء
رفع وخبر الابتداء رفع اذا كان اسما ، وخبر إن
واخوانها رفع ، ويجمع ذلك كله ان يكون الاسم
مقرونا بحديثه فيوجب ذلك له الرفع .

والحروف التي ترفع ايضا حبذا ولولا (٤٥)
ونعم وبئس ونعما وبئسما . كل شيء يقع بعد هذه
الحروف رفع .

ومما يرفع وهو خبر ، الاسم اين ومتى وكم
وما وكيف والظرف .

باب ما يوجب النصب

كل منصوب فهو مثبته بالمفعول به وهو
مدخل في حديث المرفوع . فالفعل اذا رفع الاسم
نصب / ٦ خمسة اشياء وهي : المفعول به والمصدر
والوقت (٤٦) والظرف والحال .

فالمفعول نحو اخذ زيد مالا واعطى عمرو
خالدا ثوبا .

والمصدر نحو ضرب عبدالله زيدا ضربا شديدا ،
وقام خالد قياما وجلس جلسة . المصدر ما كان
الفعل مشتقا من لفظه .

والوقت نحو قام زيد يوما وسار عمرو شهرا .
والظرف نحو جلس عبدالله امامك وقام
مكانا واسعا .

والحال نحو خرج زيد راكبا وسار عمرو
متوجها ومضى الرجل ضاحكا .

وكل منصوب بالفعل (٤٧) يقع مقدما ومؤخرا

(٤٣) في الاصل « جائز » والصواب ما ذكرناه

(٤٤) سورة النساء ٣٢

(٤٥) ذهب الكوفيون الى الرفع بلولا لانهم كانوا يرون ان
الاداة تعمل اذا كانت مختصة ولولا مختصة بالاسماء
فينبغي اعمالها ... « مدرسة الكوفة ص ٣٣٢

(٤٦) يطلق ابن كيسان الظرف على ما كان للمكان فقط لانه
يسمى ظرف الزمان (الوقت)

(٤٧) في الاصل « فالفعل » والصواب ما ذكرناه

قبل الفاعل وقبل الفعل كقولك اخذ المال زيد
والدار سكن عمرو .

وينتصب بغير الفعل التمييز وهو ان يكون
الشيء يحتمل انواعا فتميزه بنوع منها فتجيب به
منصوبا كقولك عشرون درهما ، وعنده منوان ذهبيا ،
وهو اكثر الناس مالا ، لان العشرين يحتمل ان يكون
من انواع كثيرة ، فاذا ميزت بنوع كان ذلك
منصوبا .

والاستثناء نصب وله حروف نذكرها .

والمتعجب منه منصوب وذلك قولك ما احسن
زيدا وهو على هذا اللفظ ابدا .

والنداء المضاف نصب وكذلك النكرة المنعوتة
منصوبة في النداء .

واسم ان واخوانها منصوب .

وخبر الظن واخوانه منصوب ايضا

وما كان في موضع الفعل فهو منصوب ايضا
كقولك زيد قياما وقعودا اي يقوم قياما ،
[ويقعد قعودا] (٤٨) ، وضربا ضربا اي اضرب ضربا ،
وسقيا له يعني سقاه الله سقيا .

والنكرة تنصب (٤٩) بلا تنوين كقولك لا رجل
في الدار .

باب ما يوجب الخفض

الخفض بالاضافة وهو اضافة اسم الى اسم
بمعنى اللام او من كقولك هذا غلام زيد اي غلام
لزيد ، وهذا ثوب خز اي ثوب من خز ، وبختمها
بالياء ان تقول غلامي وثوبي ، فاذا وضعت موضع
الياء اسما كان مخفوضا .

وللخفض حروف تحفظ ، بعضها ظروف
وبعضها اسماء وبعضها حروف معان وذلك : من
والى وعن وفي ومع (٥٠) والباء والكاف واللام وواو
القسم فهذه حروف معان . والظروف نحو ،
على (٥١) ولدن ولدى وبين وسوى وخلف وقدام وامام

(٤٨) زيادة يقتضيها السياق

(٤٩) يقصد اسم لا النافية للجنس اذا كان مفردا ويستعمل
مصطلح النصب للبناء لان « الرفع والنصب والجزم
عند الكوفيين للمعرب والمبني والحالات اواخر الكللات
وغيرها » انظر مدرسة الكوفة ص ٣٦٠

(٥٠) بعدها آخرون ظرف مكان او زمان .

(٥١) بعدها آخرون حرف جر

والعطار . فهذه النعوت تتبع بالالف واللام وتتبع النكرة بغير الف ولا لام نحو جاءني زيد العاقل ورأيت زيدا العاقل ، ومررت بزيد العاقل ، وجاءني رجل عاقل ورأيت رجلا عاقلا ومررت برجل عاقل . فإذا خالفت النكرة بعد المعرفة نصبتة على الحال تقول جاء زيد عاقلا ومررت بزيد عاقلا ، ورأيت زيدا عاقلا .

نعت النكرة حال من المعرفة والحال في كل حال منصوبة ، وإن قدمت نعت النكرة قبلها نصبتة على الحال كقولك جاءني عاقلا رجل ، وإن قدمت نعت المعرفة كان اسما ، وكان الاسم بدلا منه كقولك جاءني الظريف زيد .

[التوكيد]

وأما التوكيد فيكون بأربعة أشياء : النفس والعين وكل وأجمع ، تقول جاءني زيد نفسه وجاءني عمرو عينه ، وجاءني القوم كلهم وجاءني أصحابك أجمعون ، وتتبع أجمعين وأكتميين أكتمون وأبتعون . وللنساء جمع وكثع وبضع وبشع وفي التشية جاءني المحدثان أنفسهما وكلاهما وعينهما . وكلا في الاثنين بمنزلة كل في الجميع .

والتوكيد يتبع المعرفة ولا يتبع النكرة إلا أن تكون متباعدة مرفوعة فتؤكد بكل وأجمع نحو قمت يوما أجمع وأخذت مالا كله .

[البذل]

وأما البذل فهو إجراء الاسم على الاسم يتبع الثاني الأول ويكون على أربعة أوجه ، يكون الثاني هو الأول تقول جاءني زيد وكلمني عمرو أبو محمد (٥٨) الثاني بدل من الأول وهو هو . ويكون الثاني بعض الأول كقولك لقيني القوم بعضهم ورأيت أصحابك أكثرهم وجاءني الزيدون طائفة منهم وهو مصدر تبدله من اسم كقولك عجبت من زيد أمره وحديثه وعجبت من أصحابك مجيئهم وذهابهم .

ويكون البذل غلطا كقولك مررت بزيد عمرو ، تريد بل عمرو فعلى هذا يجري البذل ويكون بمنزلة التوكيد للأول كقولك رأيت القوم صغيرهم وكبيرهم وأسودهم وأحمرهم وأحسنهم .

[النسق]

وأما النسق فإنه يعطف على ما قبله بخمسة أحرف : الواو والفاء وثم واو ولا كقولك جاءني زيد

(٥٨) في الأصل وأبو محمد والصواب أبو محمد باستقاط الواو

وفجأة وقبالة وإذا وحذاء ووراء وتلقاء ووسط ووسط وفوق وتحت وأسفل وأعلى وقبل وبعد وبعد ونحو ودون . فهذه أسماء تسمى الظروف ، وبعضهم (٥٢) يسميها الصفات وهي منصوبة إذا كانت خبرا أو متصلة بخبر (٥٣) لقولك زيد خلفك وأمامك وقام زيد عندك وقدامك .

وأما الأسماء التي تضاف فتعد في حروف الخفض وهي غير وكل واي ومثل ومثّل وبدل وبعض وذو وذات وذوا وذواتا وذَوُا (٥٤) وذوات وأولو وأولات وسنى وقرب وشبيه وشبيهة ولدة وقترن وقترن وعِدْل وكلا وكلتا واجل واجل وجترى ويبد بمعنى غير ومالم أكتبه فإن قياسه أن يعتبره المتكلم بأن يضيفه إلى نفسه فإن كان له زيادة ياء على آخره كان مما يخفض غيره كقولك هذه داري/٧ وهذه دار زيد ومثلي ومثل زيد وقعد عندي وقعد عند أخوتك وهذا صاحبي وصاحب العمرين ، يقاس على هذا الرفع والنصب والخفض في كل كلام أن شاء الله .

باب ما يتبع الأسماء فيكون معربا بمثل اعرابها

تابعا لألفاظها

اعلم أنه يتبع في اعرابه النعت (٥٥) والتوكيد والبدل والنسق (٥٦) .

[النعت]

فالنعت يكون على أربعة أوجه ، يكون خلقه (٥٧) لازمة مثل الطويل والقصير والحسن والقبيح والأصفر والأحمر ، ويكون من فعل مشهور نحو العاقل والظريف والكريم والشريف والجاهل والفني ، ويكون نسبا نحو القرشي والعربي والأعجمي والنبطي ، ويكون حرفة وصناعة نحو الوزان والبراز

(٥٢) هم الكوفيون إذ يسمون الظرف صفة سواء كان ظرفا زمانيا أم ظرفا مكانيا .

(٥٣) أي أن الظرف متعلق بمحذوف هو الخبر وهذا المحذوف إما أن يقدر بمفرد والتقدير « كائن » أو بجمله والتقدير « استقر »

(٥٤) في الأصل « ذو » بواو واحدة

(٥٥) مصطلح كوفي وربما قال به بعض البصريين ويقابله عند البصريين الصفة والوصف . انظر الهوامع ج٢ ص١١٦ ومدرسة الكوفة ص٣٥٩

(٥٦) عبارة كوفية يقابلها عند البصريين العطف بالحرف كالواو والفاء وثم وغيرهن .. انظر مدرسة الكوفة ص٣٦٠

(٥٧) أي صفة

المكني (٦٢) نحو أنا وانت وهو وهي وأياك وأياي وأياه وأياهما .

وأما أسماء الإشارة فهذا وهذه وذلك وتلك .

وأما المضاف فغلام زيد ودار الرجل وثوبه وثوبي ودار هذا . هذه المعارف .

والنكرات ما كان غيرها وهو الاسم الذي يقع على أمة (٦٣) كلها فيه سواء نحو دار وثوب ورجل وفرس . وما كان نعنا للنكرة فهو نكرة .

[المنصرف وغير المنصرف من الأسماء]

فالأسماء تكون منصرفة وغير منصرفة ، ومبنية لا تعرب .

وما لا ينصرف لا يدخله التنوين وخفضه كنصبه ، فمنه ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة وذلك ما كان على أفعل وانشاء على فعلاء مما هو نعت ، نحو أحمر وحمرأ وأصفر وصفراء ، وكذلك أفعل من كذا نحو أطول منك وأفضل من زيد وأكرم من عمرو ، وكذلك كل نعت على فعلا نعتا على فعلى نحو سكران وسكرى وغضبان وغضبي . وكذلك كل واحد أو جمع كان في آخره ألف التانيث مقصورة أو ممدودة نحو حمراء وحبلى وفقهاء وعلماء وأولياء وأسرى وجرحى وجُمادى وجبارى . وكذلك كل جمع بعد ألفه حرفان أو ثلاثة أو حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودواب . هذه الأسماء لا تنصرف في معرفة ولا نكرة .

وأما ما ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة فكل اسم على بناء الفعل المستقبل نحو يزيد وتغلب ونرجس ويشكر . وكل اسم كانت فيه هاء التانيث نحو طلحة وحزمة . وكل اسم كان مؤنثا نحو زينب وسعاد إلا أن يكون على ثلاثة أحرف مسكن الوسط فإنه يجوز صرفه نحو هند ودعد وجمل (٦٤) ، وأن شئت لم تصرف شيئا منه . وكذلك أسماء البلدان والبقاع إذا أردت بها التانيث . وكذلك أسماء الأعاجم نحو إبراهيم واسحق . وكل اسم كان في آخره ألف ونون

(٦٢) يستعمل الكوفيون المكني بمعنى المفسر وهو من الأسماء المترادفة عندهم « شرح الفصل جـ ٣ ص ٨٤ »

(٦٣) الأمة يقصد بها الجنس

(٦٤) جُمِّل اسم امرأة . ولعله في الأصل جمع جمل لأنها جمعت على جمال وأجمال وجمل . وقيل الجمل

السفينة « انظر القاموس المحيط مادة (جمل) »

وعمره ، أردت اجتماعهما في المجيء وجاءني زيد فعمره وأخبرت أن زيدا تقدم وأن عمرا كان في أثره ، وجاءني زيد ثم عمرو . وهو مثل الفاء إلا أن بين مجيئهما مهلة ، وجاءني زيد لا عمرو ، أوجبت للأول المجيء ونفيت عن الثاني . فهكذا هذه الحروف في كل الكلام .

الواو : توجب الاجتماع وليس فيها دليل على السابق .

والفاء : توجب بسبق الأول ٨/ واتصال الثاني به .

وتم : كذلك وهي أشد تراخيا من الفاء

واو : شك أو تخيير يوجب أحد الشيئين .

ولا : نفي يخرج الثاني مما دخل فيه الأول

وهي نسق في كل الكلام ويجري مجراها في بعض المواضع .

ولكن : نسق في الجحد (٥٩) . وام نسق في الاستفهام .

وحتى : بمنزلة الواو والفاء . وليس بمنزلة

لا . وأما بمنزلة أو . وهذه الوجوه الأربعة النعت والتوكيد والبدل والنسق تتبع ما قبلها أن كان رفعا فهي رفع وان كان نصبا فهي نصب وان كان خفضا فهي خفض .

باب معرفة الأسماء

الأسماء تنقسم قسمين معرفة ونكرة فالمعرفة منها خمسة أشياء وهي الأسماء الاعلام وما دخلته الألف واللام ، وأسماء الأضمار وأسماء الإشارة . وما أضيف إلى أحد هذه الأربعة (٦٠) فهو معرفة . فالاعلام مثل زيد وعمرو وأبي جعفر وزينب . وما دخلته الألف واللام نحو الرجل والغلام والثوب والدار .

وأما أسماء (٦١) الأضمار فهي حروف

(٥٩) الجحد : مصطلح كوفي بمعنى النفي عند البصريين . جاء في مدرسة الكوفة ص ٣٥٤ « وقد جاءت كلمة الجحد في كلام الفراء وتغلب كثيرا ولا أعلم أنهما استعملا كلمة النفي »

(٦٠) لم يذكر الأسماء الموصولة ويظهر أنه أدخلها في ما دخلته الألف واللام ، ولم يذكر المعرفة بالنداء والذي يسمى النكرة المقصودة

(٦١) في الأصل « الأسماء » والصواب ما التبتناه

كان في معنى رفع رفعت الثاني كقولك يعجبني ركوبه هو وزيد الفرس .

باب الابتداء بالاسماء

إذا ابتدأت الاسم لتحدث عنه فلا بد من أن تجيء بعده بأحد أربعة أشياء : اسم أو ظرف أو فعل أو جملة فيها نكره (٦٧) .

فإذا كان بعده اسم فهما رفعان وذلك قولك : زيد أخوك ، وإذا كان بعده فعل أو ظرف أو جملة فهو على ما قدمت لك لا يتغير وقد فسرت هذا الاسم المبتدأ وهو المحدث عنه ، وما بعده خبره وحديث عنه .

فالفعل والظرف والجملة لا تتغير في شيء من الكلام عن حالها بعد المبتدأ .

وقد يدخل على حروف الاسم فيغيره ويغير خبره إذا كان اسما . فمما يدخل فينصب المبتدأ ويرفع خبره إذا كان اسما إن وأن وليت ولعل وكان ولكن ، تقول أن زيدا أخوك ، وأن عمرا أبوك .

ومما يدخل على المبتدأ فيرفع الاسم وينصب الخبر إذا كان اسما : كان وأمسى وأصبح وظل وبات ولم يزل وما زال وصار وليس وما دام وما برح وما فتى وما يفتأ (٦٨) ، تقول كان عبدالله عالما ، يجري اسمها مجرى الفاعل وخبره مجرى المفعول به ، ويقدم كل واحد منهما على صاحبه .

ومما يدخل / ١٠ على الاسم فينصبه وينصب خبره ظننت وحسبت وزعمت ورأيت وعلمت ووجدت ونبتت وأنبتت وأريت وأعلمت وأخبرت وحُدثت ، تقول ظننت عبدالله عالما وحسبت أخاك فقيها .

ومما لا يغير ما بعده ويقع قبل المبتدأ انما وكأنما ولعلما وبينما وإذا وإذا وهل وهل ومتى وأما وإن (٦٩) ولكن إذا خففت هذه الحروف تدخل على الاسماء والاخبار .

[إن وأخواتها]

فأما إن وأخواتها فإن الاسم لا يفرق بينها

(٦٧) الذكر يعني « العائد »

(٦٨) وكذلك أضى وما انفك

(٦٩) إذا خففت « أن » يجوز أفعالها وإبطالها فإذا أهملت نصبت الاسم ورفعت الخبر وإذا أهملت فأنها تدخل على الاسم وعلى الفعل

زائدتان نحو عثمان وسفيان . وكل اسم عدل من فاعل إلى فَعَل نحو عُمَرُ وزُهْر . وكل شيء عدل من العدد من واحد إلى أربعة نحو مَوْحِد وأحاد ومثنى وثناء ومثلث وثلاث ومربع ورباع . وكل اسم كان في أوله همزة ووافق بناء الفعل المستقبل أو بناء الأمر نحو افْعَلْ وإفْعَلْ والفَعْل كقولك أربع وأصبع وأحمد وأيهم . هذا كله لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة تقول جاءني ٩/ عُمَرُ ورأيت عُمَرَ ومررت بعُمَرَ ، فإذا أدخلت فيه الالف واللام أو أضفته صار جميع ما لا ينصرف منصرفا فقلت مررت بأحمركم يجرى مجرى المنصرف .

[المبني من الاسماء]

وأما ما بني ولا يُعرب فنحوكم ومن وأين وكيف وهؤلاء وحذام وحيث ومنذ لا يتغير آخره لأنه ليس بمتمكن .

وإذا كان الاسم مرفوعا ثم كُتبت عنه قلت زيد قام وقلت في الكناية هو قام وأنا قمت وأنت قمت وهي قامت . فإن كان منصوبا قلت زيدا ضربت وفي الكناية إياه ضربت وإياي أردت وإياك طلبت وإياها أخذت ، فإذا كان بعد الفعل قلت قام ، أضمرت الاسم في نفسك . فإذا أردت نفسك قلت قمت . فإذا قلت ضربت زيدا قلت ضربته ، وإنما يجيء بهو إذا لم يقدر على الأضمار في الفعل وعلى الهاء كقولك ضربت زيدا وإياه ، وجاءني زيد وهو ، وما قام إلا هو ، ولا رأيت إلا إياه ، وأين أنت . فإذا قلت مررت بزید قلت في الكناية مررت به . فإذا نسقت على المكنى قلت قمت أنا وزيد وقام هو وعمرو وقمت أنت ومحمد كثرت المكنى بما يكون منفصلا من الفعل ، هكذا الاختيار في المرفوع . وإن شئت حذفته فقلت قام وزيد وقمت وعمرو . وفي المنصوب تقول رأيتك وعمرا ورأيتك وإياه ، لا تحتاج أن تكثره بشيء . وإن شئت قلت (٦٥) رأيتك إياك وزيدا . ولك أن تقول رأيتك أنت وزيدا . والوجه إلا يكثر . وأما المخفوض (٦٦) فتقول مررت به وبزيد فتعيد مع الاسم الثاني الخافض فإن كان الأول في معنى نصب نصبت الثاني كقولك هذا ضاربه وزيدا وإن

(٦٥) في الأصل « فقلت » والفاء زائدة على ما نرى

(٦٦) في الأصل (المخفوض) بالفاء اختطاء .

فاذا تأخر الاسم وتقدم الخبر أو وقع بعد الرفع الاسم والخبر جميعا فقلت ما قائم زيد وما زيد الا قائم .

[التعجب]

ومما يجري مجرى الابتداء التعجب وذلك قولك ما أحسن زيدا ، ما اسم مبتدأ وأحسن خبر ما وزيد منصوب بالتعجب . وتقول ما كان أحسن زيدا فيدخل كان بين ما وبين أحسن (٧١) ولا يدخل من الأفعال غيرها . وإن جئت بها بعد فعل التعجب أدخلت ما فقلت : ما أحسن ما كان زيد فترفع زيدا . ويقع في هذا الموضع كل الأفعال كقولك ما أحسن ما فعل زيد ، وقع التعجب على ما الثانية (٧٢) وارتفع زيد بفعله .

[الاستفهام]

١١/ ومما يجري مجرى الابتداء وخبره الاستفهام وله حروف : وهي : الف وهل ومن وأي ومتى وأين وكم وكيف وأيان وأنى .

فالالف تدخل على كل الكلام (٧٣) ، وهل تستعمل بها الاستفهام ولا يفران ما بعدهما وعما كان عليه الكلام . تقول زيد أخوك فاذا استعملت قلت أزيد أخوك ؟ وهل زيد أخوك ؟ وكذلك أقام زيد ؟ وهل قام زيد ؟

أما الحروف الباقية فأسماء تبنى عليها الأسماء والأخبار وتكون هي معاني الأسماء والأخبار فمن سؤال عن الآدميين وما يفعل كقولك من زيد ؟ ومن قام ؟ وموضعها يكون رفعا ونصبا وخفضا فيجيبه الجواب على ذلك كقولك من قام فتقول زيد ويقول من رأيت ؟ فتقول زيدا . وتقول بمن مررت ؟ فيقول بعمرو ، ويرد عليها بالاستفهام بالالف وبأم كقولك من قام أزيد أم عمرو ؟ ومن رأيت أزيد أم عمرا ؟

وأي بمنزلتها وهي بعض ما يضاف إليه

وما سؤال عن كل شيء وكذلك أي .

ومتى وقت كقولك متى قام ؟ فيقول يوم الجمعة .

(٧١) وتكون « كان » زائدة

(٧٢) في الأصل « التثنية »

(٧٣) أي ان همزة الاستفهام حرف غير مختص فيدخل على الأسماء والأفعال

وبينه بشيء الا بالظرف (٧٠) تقول ان زيدا قام ويقوم وخلقك وأبوه قائم ، فتجيبه بكل شيء بعد الاسم على ما كان يكون عليه في الابتداء ، وزيد مرفوع تقول : ان خلقت زيدا اذا كان معه الظرف جاز ان يقع بينه وبين ان . فان أدخلت مع ان هاء فقلت انه ضارب ، الهاء منصوب ان ، وكان ما بعدها كالمبتدأ تقول انه زيد أخوك ، وانه قام زيد وهذه الهاء كناية عن الحديث . وتؤنث مع المؤنث ان شئت فقلت انها قامت هند ، وان شئت تركتها على التذكير : انه قامت هند .

[كان واخواتها]

وأما كان واخواتها فهن أفعال تقول كان يكون وهو كائن مثل قام يقوم فهو قائم ، وترفع هذا الاسم وتنصب خبره وتقدم أحدهما على الآخر فتقول كان زيد عالما أو عالما كان زيد وكان عالما زيد .

فاذا كان الخبر فعلا أو ظرفا أو جملة تركته على حاله في الابتداء فقلت كان زيد يقوم وقام وأبوه قائم لا يتغير منه شيء الا أن تقدم الى زيد ما يصلح ان يكون خبرا له نحو قولك كان زيد قائما أبوه .

[ظن واخواتها]

وأما ظننت واخواتها فهي أفعال من المتكلم يوقعها على الابتداء وخبره فتجيبه بالناسبة مفعولين كقولك ظننت زيدا عالما . فان وسطتها أو آخرتها ضعف عملها فأبطلتها ان شئت وان شئت أعلمتها على ضعف ، تقول زيد ظننت عالم اذا أبطلت ظننت وزيدا عالما اذا أعلمتها ، والتأخير لضعف في الأعمال تقول زيد عالم ظننت . وان أدخلت فيها الهاء أبطلتها أيضا فقلت ظننته زيد عالم يجري مجرى انه زيد عالم . وان أوقعت بعدها ان كانت مفتوحة ونصبت ما بعد ان وبان ورفعت الخبر كقولك : ظننت ان زيدا عالم ، وان جئت باللام في خبر ان لم يغير الكلام وكانت ان مكسورة أبدا كقولك ان زيدا لعالم . يقاس على هذا .

[ما النافية]

ومما يدخل على الابتداء ما اذا كانت جحدا . تقول ما زيد عالم ، تميم ترفع الخبر ، وأهل الحجاز ينصبونه اذا كان الاسم مقدما والخبر مؤخرا .

(٧٠) لم يذكر الجار والجرور وكأنه يعد ذلك ظرفا أيضا .

واین ظرف کقولک این قام ؟ فيقول خلّك وموضع كذا .

وكم سؤال عن العدد تقول كم أنفقت ؟ فيقول عشرين . وتقول كم عطاؤك فيقول ألفان .

وكيف سؤال عن الحال كقولك كيف زيد ؟ فيقول صالح . فان قلت : كيف كان زيد ؟ قال صالحا ، يريد كان زيد صالحا ، فالجواب على الموضوع الذي وضع السائل كلامه فيه .

وأيان بمنزلة متى . وأي بمنزلة كيف وأين . وقد تقع حروف الاستفهام في الخبر وذلك اذا اجتلبها النظر والسؤال والعلم والتسوية ، كقولك لانظرن ايهم قام ومن قام ، ومن قعد وهل قام ولاسألن ولاعلمن وسواء علي من قام ومن قعد وسواء علي أقيمت أم قعدت . هذه الافعال (٧٤) كيف تصرفت وما كان في معناها يقع بعدها حروف الاستفهام ولا يعمل في الاستفهام شيء قبله وانما يجيء كالمستأنف الذي ليس قبله شيء .

وقد يحكى ببعض حروف الاستفهام كلام المتكلم وذلك اذا انكر عليه ما قال كقولك ضربت زيدا فيقول : أزيذا ؟ . وجاءني زيد فتقذل أزيذ ؟ وتقول مررت بزید ، فيقول أزيذ ؟ . وربما زادوا في آخره حرفا للمد فأتبعوا المفتوح الفا ، والمكسور ياء والمضموه واوا وكسروا الساكن فأتبعوه ياء فيقولون ، اذا قال رأيت الرجل الرجل ؟ وجاءني الرجل الرجل ؟ واذا قال مررت بالرجل فيقول الرجل ؟ . واذا قال رأيت زيدا قالوا أزيذيه ؟ لان التنوين ساكن فيكسر ويتبع الياء ويدخل للوقف الهاء وربما اقروا الشيء على هيئته ، وقالوا بعه انيه . واذا قلت رأيت رجلا قالوا منا ؟ واذا قال مر رجل قالوا منو ؟ (٧٥) واذا قال مررت برجل قالوا منى ؟ واذا وصلوه بشيء قالوا من يا فتى في كله . يقول وتقول في الاثنين منان وفي الجميع منون في الرفع ومنين في الخفض والنصب ، وللمرأة منه ومنت بتسكين النون ، فاذا ثنوا اسكنوا النون لا غير فقالوا منتان ومنان .

وان قال أي أجراها بالاعراب على حسب ما يتكلم المتكلم بالاسم ان رفعا فرفع وان نصبا فنصب وان خفضا فخفض ، وتثنى وتجمع اذا كانت حكاية وتوحد أي في كل موضع من الكلام

(٧٤) يقصد الافعال التي تضمنت معنى السؤال والعلم والنظر

(٧٥) في الاصل « أو » والصواب ما اقبلناه

سوى هذا الموضع . وان ثنيت وجمعت وانثت جاز ذلك كقولك رأيت رجلا فيقول أيا ؟ ورأيت رجلين فيقول أيّين ؟ وأيّين في الجمع . وتقول جاءني رجل فيقول أي وأيان وأيون وبأي يحكي الناس وغير الناس .

واذا قال رأيت زيدا قال من زيدا ؟ وان قال جاءني زيد قال من زيد ؟ وان قال ١٢/ مررت بزید قال من زيد ؟ وكذلك الكنى من ابو جعفر ؟ ومن ابا جعفر ؟ ومن أبي جعفر ؟

فاذا كان غير ذلك من الاسماء والنعموت والثنية والجمع لم يكن فيها الا الرفع : من الزيدان ومن العمران ومن صاحبك وان شئت رفعت الكنى ، والاسماء ايضا وكذلك ان قدم الواو قبل من كقوله ومن زيد ، الاسم في كل حال رفع لا غير .

باب ما لم يسم فاعله

اذا لم يذكر الفاعل رفع المفعول ونصب ما سوى ذلك لان الفعل لايد له من أن يكون معه اسم مرفوع او ما يقوم مقامه وذلك قولك ضرب زيدا ضربا شديدا ، وأكرم عمرو وأسكن زيد الدار يافتى ، وأعطى أخوك درهما . الدرهم والدار نصب لوقوع الفعل ، وزيد رفع لانه لم يسم فاعله ، ولا يرفع شيء بالفعل سوى المفعول به الا ان لا يكون في الكلام مفعول فيرفع المصدر او الوقت (٧٦) او المكان ولا يجوز رفع الحال وذلك قولك ضرب عبد الله ضربا ، لا يجوز رفع الضرب ، فان قلت قيم قيام حسن وجلس في الدار جلوس كثير جاز ذلك ، وكذلك اختلف اليه شهران ، وسير عليه يومان ومشى اليه ميلان (٧٧) تنظر الى أحد ما يجيء من الفعل فترفعه وتنصب ما سواه .

باب معرفة الافعال وتصرفها

الفعل يتصرف فيكون منه الماضي والمستقبل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وله أمثلة كثيرة مبلغها تسعة عشر بناء :

(٧٦) ظرف الزمان

(٧٧) لا يكون المصدر والظرف نائبى فاعل للفعل اللازم الا اذا كانا متصرفين ومختصين . والمتصرف من المصدر ما يفارق النصب على المصدرية كفتح ونصر . والمتصرف من الظرف ما يفارق النصب على الظرفية او الجر بمن كيوم وجهة والمختص من الظرف ما خصص بنوع من انواع المخصصات كالإضافة والوصفية مثلا . والمختص من المصدر ما ليس لجرد التأكيد كان يكون مثلا لبيان النوع او العدد .

يكون على فَعْلٍ يفعل مثل كَرُم يكرم كَرُمًا وهو كريم وهذا فعلٌ لا ينصب مفعولا فهو للفاعل في نفسه .

ويكون فَعْلٍ يفعل نحو عَلِمَ يَعْلَمُ علما وهو عالم والمفعول معلوم وربما جاءت أسماؤه على فَعْلٍ وأفعل وفعلان نحو حذِر وعطِشَ وعميَ . وفاعِلٌ فيها الفعل منه حذِرَ وعطِشَ وعميَ . وفاعِلٌ فيها كلها جائز (٧٨) إذا بنيت على الفعل يكون ناصبا وغير ناصب . ومستقبله مفتوح ابدا وماضيه مكسور .

ويكون على فَعْلٍ يفعل ويفعل نحو ضرب يضرب ضربا وهو ضارب والمفعول مضروب وكذلك يقتل قتلا وهو قاتل والمفعول مقتول وهذا مستقبله يكون على وجهين بالضم والكسر جميعا (٧٩) وربما فتح إذا كانت فيه حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك أن تقع في موضع اللام (٨٠) أو العين من فعل فيفتح في الاستقبال (٨١) .

ومصادر هذه الابنية الثلاثة مختلفة انما تدرك بالسماع فأما ما سواها فهو على القياس (٨٢) . فإذا لم تعرف السماع فيها بنيت على فَعْلٍ وعلى فُعُول فَفَعَلَ [لما] (٨٣) كان متعديا الى المفعول نحو قتله قتلا وضربه ضربا وسجنه سجنًا . وفُعُول لما كان غير متعد نحو جلس جلوسا [وقعد] (٨٤) وقعودا ويكون الفعلُ على فَعْلٍ يفعل نحو دحرج

يدحرج دحرجة ودحرجا ، وهو مدحرج ، والمفعول مدحرج وكذلك اسم الموضع والزمان والمصدر (٨٥) كله مثل المفعول (٨٦) مدحرج .

ويكون على /١٣ أفعل يفعل نحو أكرم يكرم أكراما وهو مكرم والمفعول مكرم . واسم المفعول في كل شيء يجيء من هذه الافعال المجاوزة للثلاثة أحرف يكون للزمان والمكان والمصدر والوقت (٨٧) .

ويكون على فَعْلٍ يفعل نحو كَسَرَ يكسّر تكسيرا وهو مكسّر [واسم المفعول مَكْسَر] (٨٨) .

ويكون على فاعِلٍ يفاعِلُ على مثال قاتِل يقتل مقاتلة وقتالا وهو مقاتِل والمفعول (٨٩) مقاتِل .

إذا جاوزت الافعال ثلاثة أحرف لم يكن بين أسماء الفاعلين والمفعولين إلا كسر الفاعل وفتح ذلك الحرف من المفعول (٩٠) .

ويكون على تَفَعَّلٍ يتفَعَّلُ نحو تكَلَّمَ يتكلّم وهو متكلّم والمفعول متكلّم فيه والمصدر التكلّم .

ويكون على تفاعل يتفاعل نحو تفاعل يتفاعل تفاعلا وهو متفاعل والمفعول متفاعل عنه والمصدر التفاعل .

ويكون على تفعّل يتفعّل نحو تدحرج يتدحرج تدحرجا وهو متدحرج ومتدحرجٌ عليه .

ويكون على افتعل يتفعل نحو احتقر يحتقر احتقارا وهو محتقر والمكان محتقر .

ويكون على انفعل ينفعّل نحو انطلق ينطلق انطلاقا وهو منطلق ومكان منطلق فيه .

ويكون على افعلّل ثم يدغم فيه (٩١) نحو احمرّ احمرارا وهو محمرّ ومكان محمرّ فيه يستوي فاعله ومفعوله لمكان الادغام .

ويكون على استفعل نحو استخرج يستخرج استخراجا وهو مستخرج والمال مستخرج .

(٨٥) يقصد المصدر الميمي

(٨٦) في الاصل المفعول به

(٨٧) ذكر اسم الزمان فما المقصود بالوقت اذن

(٨٨) زيادة يقتضيها السياق .

(٨٩) في الاصل المفعول به ولغة به زائدة

(٩٠) في الاصل المفعول به ولغة به زائدة .

(٩١) فيكون وزنه بعد الادغام افعل .

(٧٨) في الاصل « جازي » والصواب ما اثبتناه

(٧٩) قال ابو زيد الانصاري « اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي ماضيها على فعل فانت في المستقبل بالخيار ان شئت قلت يفعل بضم العين وان شئت قلت يفعل بكسرهما » مقدمة القاموس المحيط ج ١ ص ٤

وانظر ما يماثل هذا القول في الصباح النير - الخاتمة ج ٢ ص ١٠٦٤ والمزهر ج ١ ص ٢٠٧-٢٠٨ وج ٢ ص ٢٩

(٨٠) في الاصل « الكلام » والصحيح ما ذكرناه

(٨١) لم يذكر المؤلف البناء السادس « فعل يفعل » بكسر العين في الماضي والمضارع وكأنه يرى ان هذا البناء ليس ببناء أصليا وانما هو من تداخل اللغات كما يرى بعضهم . الا ما جاء من هذا الباب وكان مثالا واويا ، انظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٢٧ ، وادب الكاتب ص ٣٧٢ ، والمزهر ج ١ ص ٤٠٥ والاضداد لابن الانباري ص ١٠ ، ولسان العرب م ٦ ص ٢١ ، ص ١٥٩ ، والمفصل لابن يعيش ج ٧ ص ١٥٣ في الافعال ، نعم وحسب ويش وبش ونحت وعرش وفتق حيث جاء مضارعها بكسر العين كذلك وعد ذلك من التداخل

(٨٢) يقصد مصادر الابنية الرباعية والخماسية والسداسية

(٨٣) زيادة يقتضيها السياق

(٨٤) زيادة يقتضيها السياق

ابتدائك في الفعل وتذهب اذا تقدمها شيء من الفعل في اللفظ (٩٧) .

وتكون مكسورة ابدا الا ان تجيء بعدها ضمة في الحرف الثالث من الفعل . ولا يكون الا والذي بعدها ساكن وذلك قولك اذهب ، اضرِب / ١٤ بكسر الالف وهو من يذهب ويضرب ، الذال والضاد ساكنان . وتقول ادْخُل فتضم الالف من ادخل لانه من يدخل ، الثالث مضموم وهو الخاء فيقاس على هذا .

واذا كانت الياء في المستقبل مضمومة والفعل في الماضي على أربعة أحرف اولها الف فالالف في الامر مفتوحة ويثبت في الوصل همزة منقطعة فيما قبلها فتسمى الف القطع وذلك قولك اكرم ، اتقن ، لانك تقول يكرم فتضم الياء ، والماضي اكرم ففي اوله الف وهو على أربعة أحرف وتثنى وتجمع في الافعال الاوْل فتقول اضربا ، اضربوا وللمرأة اضربي ، اضربا ، اضربن ، ولا تزداد فيه نون الا في فعل جمع المؤنث .

واذا امرت غائبا كان باللام كقولك ليقيم زيد ولينصرف عمرو وليضربا وليضربوا وليقوموا وليضربن وليقمن ، نون المؤنث لا تسقط وسقطت نون الاثنين والجمع لانها انما تكون في الرفع وتحذف في الجزم والنصب واذا تحرك (٩٨) ما بعد الياء في الاستقبال لم تدخل في اوله الالف في الامر وذلك قولك عدْ وقل ودحرج لانك تقول يعود ويدحرج فما بعد الياء متحرك فيبتدأ به الامر ولا يحتاج الى الف الوصل يقاس على هذا كل شيء واذا نهيت كان النهي بلا كالامر .

باب معرفة الالف التي تذهب في وصل الكلام

ويكون في الابتداء

قال كيسان : الف الوصل يكون في ثمانية اسماء وهي فيها مكسورة فاذا تكلم قبلها بشيء واتصلت به سقطت [من] (٩٩) اللفظ ، فاذا

(٩٧) يريد ان يقول ان فعل الامر مأخوذ من المضارع فاذا كان حرف المضارعة مفتوحا وبعده حرف ساكن جعلنا فعل الامر مسبوqa بهمة وصل وهذه الهمة تلفظ في ابتداء الكلام وتعد في دمج الكلام

(٩٨) في الاصل « تحركت » ولا معنى لوجود التاء

(٩٩) زيادة يقتضيها السياق .

ويكون على افعوئل يفعوئل نحو اغدودن يغدودن اغديدانا وهو مغدودن ومكان مغدودن فيه .

ويكون على افعوئل يفعوئل نحو اخرووط يخرووط اخرواطا وهو مخرووط ومكان مخرووط فيه .

ويكون على افعالل ويدغم (٩٢) نحو اشهب يشهب يافتى اشهبابا وهو مشهب فيه يستويان للادغام . يبطل الحرف الذي يكسر ويفتح فلا يقع به الفصل (٩٣) .

ويكون على افعللل يفعللل نحو اخرجم يخرجم اخرجاما وهو مخرجم ومكان مخرجم فيه .

ويكون على افعللل يفعللل ويلحقه الادغام (٩٤) نحو اسجهر (٩٥) يسجهر وهو مسجهر ومكان مسجهر فيه .

فهذه ابنية الافعال ماضيها ومستقبلها ومصادرهما واسماؤها . فالماضي مفتوح ابدا والمستقبل رفع ابدا الا ان تدخل عليه حروف النصب فتنصبه او حروف الجزم فتجزمه . واسماؤها ومصادرهما ترفع وتنصب وتخفص على قدر ما يستحق من الاعراب .

باب الامر والنهي

اذا امرت فالامر بالفعل ، يكون مجزوما (٩٦) وهو مبني على الاستقبال . اذا كانت الياء في المستقبل مفتوحة وبعدها حرف ساكن ثم امرت من ذلك الفعل كان بالالف وكانت الالف وصل يكون في

(٩٢) فيكون وزنه بعد الادغام « افعل » .

(٩٣) أي تتشابه صورتا اسم الفاعل واسم المفعول فلا يظهر كسرهما قبل الآخر في اسم الفاعل ولا فتح ما قبل الآخر في اسم المفعول بسبب الادغام . ويتضح ذلك اذا فك ادغام

(٩٤) ويكون وزنه بعد الادغام افعلل يفعلل بتشديد اللام .

(٩٥) تأتي اسجهر للمعاني التالية : اسجهر الال : ابيض ، واسجهر النبات والليل والبناء طال . واسجهر : توفد حسنا بالوان الزهر . واسجهرت الرماح : وسحابة مسجهرة : اذا كان يترقرق فيها الماء . واسجهرت النار : ائقدت وانتهت . (انظر تاج المروس مادة سجر)

(٩٦) يرى الكوفيون ان فعل الامر مجزوم وهو معرب عندهم بخلاف البصريين الذين يرون انه مبني وبنائه على السكون اصلا

ابتدأت (١٠٠) فهي بالفتح مكسورة وتلك الاسماء ابن وابنة واثنان واثنان وامرؤ (١٠١) وامرأة واسم واست ، واذا صغرت ذهب منها الالف كقولك بني وبنيّة وثنتان وثنتان ومثري ومريّة وسنّي وسنّيهة وتكون في تسعة افعال ماضية وفي الامر منها ، وفي مصادرهما ، وهي أيضا فيها مكسورة الا ان تترك الفاعل (١٠٢) فتضم أول الفعل ، وتلك الافعال افتعل وانفعل وافعل (١٠٣) واستفعل وانفعل وانفعل وانفعل وانفعل (١٠٤) وافعال (١٠٥) وقد ذكرتها في ابنية الافعال .

وقد يخرج اليها تفعل وتفاعل اذا وجب أن تدغم فاؤه فيما بعده نحو قوله عز وجل « اطيّرنا بك وبمن معك » (١٠٦) الاصل اطيّرنا بك فلما ادغمت التاء في الطاء وجب اسكانها فادخلت الف الوصل فأثبتت الف افتعل فقلت اطيّر وإذا امرت قلت اطيّر وتقول في المصدر اطيّرا ، ومثله «ادارك علمهم» (١٠٧) « واذا ادركوا فيها» (١٠٨) الاصل تداركوا فادغمت التاء في الدال . والالف التي تدخل للتعريف ألفها الف وصل ، تكون في الابتداء وتسقط في الوصل نحو قولك الرجل والفلام وهي مفتوحة .

باب تصرف الاعراب في مسائل (١٠٩) الابتداء

تقول عمرو اخوك فاذا ادخلت ان قلت : ان عمرا اخوك فان جعلت بينهما كان ، قلت ان عمرا كان اخاك نصبت عمرا بان وتضميره في كان وتجعل الاخ خبر كان .
وان جعلت الظن بينهما لم يتغير الكلام فقلت ان عمرا اظن اخوك . الظن يكون لغوا (١١٠) اذا توسط فان اضممت معه عمرا ١٥/ نصبت الاخ فقلت ان عمرا اظنه اخاك ، عمل الظن في الهاء وفي الاخ وكذلك اخوات هذه الحروف وقد ذكرناها .

(١٠٠) في الاصل « ابتديت » بالياء

(١٠١) في الاصل وامرؤ

(١٠٢) اي بعد بناء الفعل للمفعول

(١٠٣) في الاصل « افعل » من دون ادغام

(١٠٤) في الاصل « افعلل » من دون ادغام

(١٠٥) في الاصل « افعلل » من دون ادغام

(١٠٦) سورة النحل آية ٤٧

(١٠٧) سورة النمل آية ٦٦

(١٠٨) سورة الاعراف آية ٢٨

(١٠٩) في الاصل « مسایل » والصواب ما اثبتناه

(١١٠) « لغوا » بمعنى « حشوا »

وتقول زيدا ضربت تنصب زيدا لانه مفعول به فان أعدت عليه الهاء رفعت فقلت زيد ضربته رفعت زيدا بالابتداء ، لانك شغلت الفعل عنه بالهاء وموضع الهاء نصب ، وكل مفعول عاد عليه ذكره رفع ، فان قدمت قبله شيئا يحسن الفعل بعده نصبته ، وان شئت رفعتك كقولك ان زيدا ضربته ، هل زيدا ضربته ، الا زيدا ضربته ، تريد اضربت زيدا فتضم الفعل قبل زيد . وتقول زيدا مررت به وايدا ضربت اياه اذا أوقعت الفعل على شيء تعلق به او بشيء من سببه جاز ان يضم قبله ما ينصبه .

وتقول عبدالله قائما احسن منه قاعدا تنصب قائما وقاعدا على الحال وعبدالله ابتداء واحسن خبره . وتقول عبدالله قياما وقعودا ترفع عبدالله بالابتداء وتنصب قياما وقعودا تريد يقوم قياما ويقعد قعودا . وان شئت رفعتهما تريد عبدالله ذو قيام وذو قعود فتحدف ذو وترفع القيام والقعود له وتقول ما احسن ما يكون عبدالله جالسا تنصب جالسا على الحال .

باب معرفة اجزاء النعوت على الاسماء

قال كيسان النكرة يتبعها نعتها الذي يحسن ان يكون للمعرفة بالالف واللام تقول مررت برجل عاقل فتخفف عاقلًا باتباعه الرجل وهو هو .

وتقول في المعرفة مررت بزيد العاقل فيكون بالالف واللام فان لم يجرى بالالف واللام في النعت مع المعرفة نصبته على الحال ويكون نعت النكرة والمعرفة ما كان فعلا لغيرهما اذا عاد بذكرهما كقولك مررت برجل عاقل ابوه (١١١) . ومررت بزيد العاقل اخوه ، العاقل نعت لزيد وكذلك عاقل نعت للرجل وهو فعل للاب وقد عاد الذكر وهو الهاء التي في الاب .

يقاس على هاتين كل شيء من النعوت ، فاذا كان بعد النكرة ظرف أو فعل أو جملة فيها ذكر النكرة فما بعدها نعتها ولا يتبعها في اللفظ لانه شيء سواها ولا يكون ذلك نعتا للمعرفة الا ان تجعل قبله الذي فيكون الذي نعتها ويكون الظرف والفعل والجملة صلة الذي ، وذلك مررت برجل قام ، ويدخل ويقوم وبرجل في الدار وبرجل ابوه قائم فاذا جعلت زيدا مكان رجل قلت مررت بزيد الذي قام والذي يقوم في الدار والذي ابوه قائم ، فالذي

(١١١) يقصد النعت السببي : وهو ما كان نعتا في اللفظ لا قبله ونعتا في المعنى لا بعده

لا يتم اسما الا بصلة وصلته ابدا تكون احد ثلاثة اشياء : يكون فعلا وظرفا او جملة ويكون في صلته ذكره (١١٢) ابدا .

باب الاسماء التي توصل

وهي الذي ومن واي فالذي لا يكون اسما الا بصلة وهو موصل بأحد ثلاثة اشياء : الافعال والظروف والجملة ، ولا بد في صلته من ذكره فاذا وصل فهو بمنزلة اسم يحتاج الى ما يعربه /١٦ من رافع او ناصب او خافض تقول جاءني الذي قام والذان قاما والذين قاموا فاذا كان الفعل : جاءني الذي كلمت والذان كلمت [والذين كلمت] (١١٣) تريد كلمته وكلمتهما وكلمتهم وكل شيء يعمل فيه الفعل الذي في الصلة فهو من تمام الذي داخل في صلته . وكذلك من وما واي اذا كُنَّ في الخبر ويكنَّ استفهاما وجزاء فلا يوصلن .

ومما يجري مجرى الموصول ما كان فيه الالف واللام من الاسماء (١١٤) المبنية على الافعال (١١٥) نحو قولك القائم زيد تريد الذي يقوم زيد . فمما عمل فيه الفعل فهو صلته ونحو قولك الضارب زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا عمرو فكله من تمام الضارب الى عمرو وعمرو الضارب .

ومما يجري مجرى الموصول المصادر توصل بالفاعل والمفعول وجميع ما عمل فيه الفعل الذي يسبق منها فيكون ذلك تماما لها كقولك ضرب عمرو زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا اعجبني . فكل الكلام الى اعجبني صلة للضرب ، واعجبني الخبر ، وما كان صلة شيء فلا يفرق بينه وبينه .

ومما يجري مجرى الموصول جميعا ما كان في نعت النكرة فتصير النكرة بمنزلة ما وصل اذا قال جاءني رجل يضرب زيدا في الدار ، فما بعد رجل نعته ، ونعته كالصلة له .

واما أن فانها توصل بالفعل فتكون هي والفعل بمنزلة المصدر تقول اعجبني ان. قُمتَ ويعجبني ان تقوم بمنزلة يعجبني قيامك ، فتوقع عليها ما توقع على الاسماء . والفعل صلته وهي تنصبه ،

وما عمل فيه من شيء فهو داخل في صلته ، وما يشتق على صلة او كان متعلقا بها فهو في الصلة داخل فيها وهو من تمامها .

باب ما يعرض في الاسماء

[جمع التكسير]

فمنها الجمع وللجمع امثلة يراد بها قليل الجمع وهي : افعلل وانفعال وافعلة وفعلة .

فأفعلل لما كان على فَعْلَل نحو كلب واكلب وفكلس وافلس وما كان على غير ذلك فعلى افعال نحو جَبَل واجبال وقَفَل واقفال وجذع واجذاع . وما كان على اربعة احرف وثالثه واو او ياء او الف فهو على افعلة نحو قَفِيز (١١٦) واقفزة وغراب واغربة وعمود واعمدة وغلاد واغلمة وصبي واصبية هذا يراد به ما بين الثلاثة الى العشرة وربما كان اكثر من ذلك (١١٧) .

ومن اسماء الجمع نحو فُعُول وفِعَال وفِعْلان وفُعْلان نحو فؤوس (١١٨) وكِلَاب وغربان وقضبان فهذا للكثير .

وللجمع اسماء كثيرة كاسماء الواحدة . والبناء الذي هو غاية الجمع (١١٩) ان تقع الالف متوسطة الحرف فيكون بعدها حرفان او ثلاثة او حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودَوَاب . وما كان من الاسماء للمعارف والنعوت (١٢٠) جاز أن يجمع على هذه الوجود وهذا الجمع يسمى جَمْع التكسير وهو ما غيّر بناء واحده عن بنائه /١٧ .

وجُعِلَ للجمع بناء آخر ويكون ان يجمع بالواو والنون للمذكر والالف والتاء للمؤنث على واحده ، لا يغير اسم الواحد نحو الزيدون والزيدين والهندات والممرات والصالحون والصالحات .

[التصغير]

ومما يعرض في الاسماء التصغير وهو على وزن فُعَيْل وفُعَيْل وفُعَيْال وفُعَيْلاء وفُعَيْلان .

(١١٦) القفيز : مكيا

(١١٧) وما جمع على فعلة صبية جمع صبي وغلما جمع غلام

(١١٨) في الاصل « فؤوس » والصواب ما كتبناه

(١١٩) يقصد صيغتي منتهى المجموع على وزن مفاعل ومفاعيل

(١٢٠) في الاصل « والمنعوت » والصواب ما ذكرناه

(١١٢) يطلق الذكر على العائد

(١١٣) زيادة يقتضيها السياق لدلالة ما بعدها عليها

(١١٤) في الاصل « من اسماء »

(١١٥) يريد الوصف الذي يعمل عمل الفعل كاسم الفاعل

واسم المفعول

فأما فَعِيل - بِضَمٍّ - أوَّلُه وفتح ثانية
وزيادة ياء التصغير فيه ، وكذلك أوَّل كل مُصَغَّر-
فما كان على ثلاثة أحرف فتصغيره على فَعِيل نحو
عُمير وبُكَيْر وصُفَيْر وفَلَيْس . وإذا كان مؤنثا
كان بالهاء نحو فُعَيْلة وعُيَيْنة وأذينة .

وما كان على أربعة أحرف كان على فَعِيمِل
نحو جَعِيفر وجَنِيدل تصغير جعفر وجندل .
وما كان على خمسة أحرف رابعه ياء أو واو
أو الف كان على فُعِيمِيل نحو دينار ودُنِينير وقنديل
وقنيدل وعُصْفُور وعُصْفِير .

وما كان على خمسة أحرف أو أكثر حذف منه
حتى يبقى منه أربعة أحرف ثم يصغر على فَعِيمِل
وإن شئت على فُعِيمِيل نحو سَفَرَجَل تحذف اللام
فتقول سَفَرِج وإن شئت سَفَرِيج وكذلك شمردل
شميرد وشميريد .

وإذا كان (١٢١) فيه حرف من حروف الزوائد
جعلت الحذف لذلك الحرف نحو حَبِطًا ، النون
والالف فيه زائدتان تقول حَبِيط إذا حذفت
الالف ورأيت حَبِيطًا (١٢٢) إذا حذفت النون .

وأفعال تصغير الجمع (١٢٣) الذي على أفعال
نحو أحمال وأحيمال وأعدال وأعيدال .

وفُعِيلَاء وفُعِيلَان تصغير ما كان في آخره
مدَّةً للتأنيث أو الف ونون زائدتان نحو خمِيرَاء
وعَطِيشَان تصغير حمراء وعطشان ، وكذلك تصغير
ما جاوز ذلك مما في آخره الف ونون أو الف ممدودة
للتأنيث نحو تصغير زعفران زعيفران وخففساء
خُفِيفَسَاء .

وما كان فيه الف مقصورة للتأنيث كان على
فُعِيلِي نحو عَطِيشِي وعَطِيشِي . فإن جاوز هذا
حذفت الالف .

[النسبة]

ومما (١٢٤) يعرض (١٢٥) في الأسماء النسبة
اليها ، والنسبة تكون بياء (١٢٦) مشددة تقرأ الاسم

على بنائه وتزيد على آخره (١٢٧) ياء مشددة كقولك
عمرو . فإذا نسبت إليه قلت عمري وإلى بكر بكري
وإلى جعفر جعفري ، فإن كان على فَعِيل أو فَعَيْلة
أو فُعِيل أو فُعَيْلة نحو ثَقِيف وربيعة وقريش
وجُهَيْنه جاز أن تحذف الياء وإن شئت أثبتتها
كقولك قُرَشِي وقُرَيْشِي وثَقَفِي وثَقِيفِي ونختار
حذف ياء فعيلة وأثبت ياء المذكر وهما جائزان ،
الأثبت والحذف .

وقد غيروا أسماء (١٢٨) في النسب لا يقاس
عليها قالوا دُهْرِي وسُهْلِي في الدهر والسهل .

وإن نسبت إلى مضاف نسبت إلى الأشهر
من الأسمين إن شئت نسبت إلى الأول / ١٨ وإن
شئت إلى الثاني كقولك عبيدي في عبد القيس وبكري
في بني بكر (١٢٩) . وإن نسبت إلى ما فيه الف
مقصورة ثالثة جعلتها واوا كقولك في رحي رحوي
وفي قنقنوي ، وإن كانت رابعة جعلتها واوا وإن
شئت حذفتها كقولك حبلِي حبلوي ومغزِي مغزوي
وإن شئت قلت حبلِي ومغزِي ، وأثبت الواو في
مغزِي أحسن من حذفها لأنها من الأصل وحذف
التي للتأنيث أحسن ويجوز فيما كان للتأنيث أن
يزاد عليه فيقال حبلَاوي ، فإذا كانت خامسة حذفت
البتة ، وإن نسبت إلى ما كان على حرفين جاز ،
وإن شئت رددته إلى ثلاثة أحرف كقولك دمي وإن
شئت دموي وفي شفه شفي وإن شئت شفهي .

باب الاستثناء

الحروف التي يستثنى بها عشرة : إلا وغير
وسوى وما خلا وما عدا وليس ولا يكون وحاشى
وخلا وعدا .

فأما إلا فتنصب ما بعدها إذا كان الذي قبلها
كلاما تاما لقولك : قام القوم إلا زيدا ، نصبت زيدا
على الاستثناء وكذلك رأيت القوم إلا زيدا ومررت
بالقوم إلا زيدا . وإذا كان قبلها جحد رُدَّ إلى ما
قبلها نحو قولك ما قام إلا زيد ترفع زيدا بالفعل ،
وما رأيت أحدا إلا زيدا وما مررت بأحد إلا يزيد
وإن شئت نصبت في هذا لأن الذي قبلها يتم .

وغير تخفض ما بعدها ويكون أعرابها مثل
أعراب ما بعد إلا وكذلك سوى وخلا وما عدا وليس

(١٢٧) في الأصل على « ألفه » ولا معنى لها .

(١٢٨) في الأصل « غيره أسما » والصواب ما أثبتناه

(١٢٩) في الأصل « بني أبي بكر »

(١٢١) في الأصل « كانت » ولا معنى لوجود التاء

(١٢٢) في الأصل « حَبِيطًا » والياء الثانية زائدة

(١٢٣) يستعمل لفظ الجمع كثيرا بدل الجمع

(١٢٤) في الأصل « وربما » والصواب ما ذكرنا لدلالة ما قبله
عليه إذ سبق أن قال ومما يعرض في الأسماء التصغير .

(١٢٥) في الأصل « تعرض » بالياء المثناة والراء المشددة

(١٢٦) في الأصل (بناؤه) والصواب بياء كما ذكرنا

ولا يكون وعدا ينصب ما بعدهن أبدا وحاشى وخلا
يخفضان ما بعدهما ويجوز النصب بهما .

باب النصب بالاعراء وغيره

يفرى بالشئ على جهة الامر فتنصب ولله
حروف (١٢٠) من الظروف وهي : على ودون وعند
كقولك عليك عمرا ودونك زيدا وعندك (١٢١)
خالدا اي خذ عمرا (١٢٢) [وزيدا
وخالدا] (١٢٣) ، أو تفري بالشئ فيكون منصوبا
كقولك زيدا واكثر ما يقع هذا في التحذير كقولك
الاسد الاسد اي احذر ، والله الله ، ويكون اسمين
احدهما معطوف على الآخر كقولك اياك وزيدا ، وماز
راسك والسيف (١٢٤) ، اي احذر السيف ان يصيب
راسك ، ويكون بالمصادر كقولك ضربا ضربا ، وقياما
وقعودا ، ويكون بمصادر لا تصرف نحو الحذر الحذر
وحذارك زيدا ورويدك زيدا ، وتيد زيدا ، وتيدك
زيدا ، هذا كله في معنى الامر . وتقول عمرا هذا
كله في معنى الامر ، وتيد زيدا ربما خفض بها (١٢٥) .

ومنه شيء يبنى على الكسر نحو حذار زيدا
ودراك عمرا اي احذر وأدرك . ومن هذا ما ينصب
نحو / ١٩ سقيا لزيد ورعا له وبعدا لعمرو ويسمى
له اي سقاء الله ورعاه وأبعده الله وأسحقه وتبا له
وبُعدا .

ومنه ما يكون مضافا نحو ويله وعوله وويحه
وويسه ومنه ما يكون اسما نحو تريا (١٢٦) له
وجندلا وكل هذا في معنى الدعاء . ومنه ما يرفع
نحو الحمد لله وويل لزيد وفيه تأويل ما يكون
منصوبا .

باب ما ينصب على اضمار الفعل

قال كيسان كل شيء حسن في موضعه
الفعل واضماره فالنصب يحسن فيه اذا كان في
الكلام ما يدل على الفعل وذلك سبحانه الله اي

(١٢٠) يسمى عمل قسم من اسماء الافعال - وهي المنقولة عن
الظرف او الجار والمجرور - وكذلك المصادر النائية عن
افعالها النصب بالاعراء ويخلط ذلك بالاعراء المعروف

(١٢١) في الاصل « أو عندك » والهمزة زائدة
(١٢٢) في العبارة اشعار بوجود نقص في العبارة لان عليك بمعنى
الرم ودونك بمعنى خذ

(١٢٣) زيادة يقتضيها السياق
(١٢٤) في الاصل « وما راسك والسيف » والزاي ساقطة من
النص وأصلها « يمازن ق راسك واحذر السيف » .

(١٢٥) اي يعاملها معاملة المصدر المضاف الى معموله
(١٢٦) في الاصل « ترابا »

استبَّحُ الله ، وحمدا لله وشكرا اي احمد الله .
وهنيئا ومريئا اي هناك الله ومراك . واهلا وسهلا
اي اهلت واسهلت ، اصبت اهلا ووطئت
سهلا . ومرحبا اي رحبت بلادك واصبت رحبا
اي سعة . وتعم وكرامة اي اكرمك ، وزيدا اخوك
حقا اي احق ذلك . وكذلك يقينا وغير شك اي
اتيقن ولا أشك . والمال لك هبة اي اهبه هبة .
واتى يزيد سحبا اي اسحب سحبا . وضربا
زيدا اي اضرب زيدا . والناس مجزيون بأعمالهم
ان خيرا فخيلا اي ان كان خيرا فخيلا ، ولزيد علي
الف درهم عرفا اي اعترف بذلك . وقتل عمرو
صبرا اي صبر صبرا . واذا تدبر هذا عرف
ان شاء الله .

وما ينصب على التمييز كقولك عنده عشرون
درهما . والتمييز ما كان يكون على انواع ووجوه
فذكرت احدها . فالعشرون يكون من اشياء كثيرة
فاذا جئت بعدها بشيء كان تفسيرها وتمييزا ،
وكذلك امتلات ماء اي من الماء والحب ملآن ماء
وعنده رطلان زيتا .

باب نعم وبئس

نعم وبئس ترفعان ما فيه الالف واللام
وتنصبان ما سقطتا منه ثم ترفعان بعد ذلك الاسم
الممدوح والمذموم بهما تقول نعم الرجل زيد ،
وبئس الرجل عمرو وبئس رجلا عمرو ، وكذلك
ما اضيف الى ما فيه الالف واللام ، وتنصب ما
اضيف الى ما حذف منها (١٢٧) . وتدخل ما
فيهما فترفع ما بعدها نحو نعم ما زيد وكذلك
« ان الله نعمنا يعظكم به » (١٢٨) . « ان تبدوا الصدقات
فنعمماهي » (١٢٩) ، وحبذا الزيدان وحبذا الزيدون
وحبذا هند .

باب نصب الافعال

/ ٢٠ حتى اذا كانت غاية خفضت الاسماء
ونصبت الافعال المستقبلية تقول سرت حتى ادخل
المدينة اي الى ان دخلتها ، فان جعلت ما بعدها
حالا (١٤٠) رفعت الفعل بعدها ويكون بمنزلة كي

(١٢٧) في الاصل « ما حذفها منه » ولم تر لها معنى

(١٢٨) النساء آية ٥٨

(١٢٩) البقرة آية ٢٧١

(١٤٠) في الاصل « حال » والسياق يقتضي ان تكون حالا

فتنصب نحو كلمته حتى يعطيني وكذلك كي ولا م
كي .

وان نصبتُ فهي مع الفعل اسم . ولن
تنصب وهي للفعل .

والفاء تنصب في الجوابات التي سمينها وهي
الامر والنهي تقول ضرب زيداً فيتأدب يافتى ، ولا
تقرب الاسد فيأكلك وما زيد أخاك فيسرك ، وليت
زيداً عندنا فنصير اليك ، وأين بيتك فنزورك .

باب العدد

من ثلاثة الى عشرة بالهاء للمذكر والمؤنث
بحذف الهاء .

والعدد مضاف الى ما بعده كقولك عندي
ثلاثة رجال وثلاث نسوة ، فاذا جاوزت العشرة كان
العدد مبني على الفتح في كل حال من أحد عشر
الى تسعة عشر وكان للمذكر احد عشر .

ثلاثة عشر تثبت الهاء في ثلاثة الى تسعة
وتحذف من العشرة .

وتحذف من ثلاث الى تسع للمؤنث وتثبت في
العشرة فتقول :

احدى عشرة ، ثلاث عشرة ، وتنصبهما جميعاً
لأنهما اسمان جعلتا اسماً واحداً الا اثني عشر واثنا
عشر واثنتي عشرة (١٤١) واثنتا عشرة فان اخرهما
مفتوح وهما بالالف في الرفع وبالياء في الخفض
والنصب ، وما بعد أحد عشر الى تسعة عشر
منصوب (١٤٢) .

وكذلك المؤنث نحو عندي احد عشر رجلاً
فاذا جاوزت العشرين قلت احد وعشرون (١٤٣)
في المذكر واحدى وعشرون في المؤنث ، وعشرون في
الرفع بالواو [و] (١٤٤) في النصب والخفض بالياء .

فاذا بلغت مائة كانت مضافة الى ما بعدها نحو
مائة درهم .

ومن ثلاث الى تسع مضافة الى المائة والمائة
مضافة الى ما بعدها كذلك الى الالف . والالف
مضاف الى ما بعده من اسم المعدود .

ويُعَدُّ الالف كما يُعَدُّ الواحد من المذكر
نحو الدرهم وما أشبه ذلك : ثلاثة آلاف وعشرة

آلاف واحد وعشرون الفا كما تقول احد عشر
درهماً .

باب لا

لا : يكون في كل الكلام جحداً . فيكون نسقاً
كقولك قام زيدٌ لا عمرو ورايت زيداً لا عمراً . وتكون
نهيّاً فتجزم كقولك لا تقم ولا تذهب . وتكون جواباً
للقسم فترفع الفعل بعدها كقولك والله لا تذهب
ولا تقوم . وكذلك هي في الخبر . وتكون بمنزلة
غير كقولك جئتُ بلا شيء فيعمل ما قبلها فيما
بعدها . ويكون توكيداً للجحد مع واو النسق كقولك
خفتُ الا يقوم ، « ولئلا يعلم اهل الكتاب » (١٤٥) ،
اي ليعلم . وتكون ردّاً كقولك في الجواب لا كما
تقول نعم ولى ، ولا في الجواب / ٢١ ضدهما وتكون
صلة للو وهل كقولك لولا وهلا وكذلك الا . وتكون
بمنزلة ليس كقولك لا زيد قائم ولا عمرو ، واذا
وليتها النكرة (١٤٦) نصبتها بغير نون (١٤٧) كقولك لا
رجلٌ لك ، وان شئت رفعت ونونت كقولك لا
رجلٌ لك . فان فرقت بينهما بشيء رجعت الى
الرفع فقلت لا لك رجل .

باب ما

ما تكون اسماً في تسعة مواضع :

تكون بمنزلة الذي فتوصل كقولك : أعجبنى
ما عندك (١٤٨) أي الذي عندك .

وتكون مصدراً فتوصل بالفعل وحده كقولك
أعجبنى ما صنعت أي أعجبنى صنعك .

وتكون استفهاماً كقولك ما صنعت ؟ أي اي
شيء صنعت ؟

وتكون جزاء كقولك ما يعجبك يعجبني فتجزم
أي اعجبك شيء أعجبنى .

وتكون تعجباً كقولك ما احسن عمراً وتكون
بمنزلة شيء اسماً نكرة فينعت بما تنعت به النكرة
كقولك يعجبني ما معجب لك ، وجئت بما معجب
لك أي بشيء معجب لك .

وتكون اسماً مبهماً فتسمى الصلة لانها زائدة،

(١٤٥) سورة الحديد آية ٢٩

(١٤٦) يقصد لا النافية للجنس

(١٤٧) بغير نون أي بغير تنوين .

(١٤٨) كتبت الجملة مرتين « في الاصل » وهو سهو من الناسخ

(١٤١) زيادة يقتضيها السياق

(١٤٢) يقصد تمييز العدد

(١٤٣) أو واحد وعشرون

(١٤٤) زيادة يقتضيها السياق

ساكنة ، ولا تسقط الف التثنية لئلا يشبه فعل
الانئين فعل الواحد . وللمرأة لا تضربين زيداً ،
ولا تضربان زيداً ، ولا تضربان زيداً ،
تزيد في الجمع ألفاً بعد النون لتفرق بين النونات .
وتخفف النون في كل موضع الا في التثنية وجمع
التانيث ، فاذا خففت فكان قبلها فتحة ابدلت الف
في الوقف . تقول لا تضربا في الوقف . فان كان
قبلها كسرة او ضمة اخرجت الفعل في الوقف
مخرج مالا نون فيه . تنظر كيف كان قبل ان يدخله
النون فتخرج ذلك المخرج كقولك : لا تضربي
للمرأة ولا تضربوا للرجال وهل يضربون وهل
تضربين .

هذا باب ما يجمع مسائل (١٥١) شتى وأبواباً

اعلم ان الرفع كله من وجه واحد وهو ان
تقرن خبراً باسم ، فان كان الخبر مقدماً رفعت
به الاسم والخبر ابداً فيه تأويل الفعل وذلك قام
زيد ، ويقوم عمرو ، وخلفك زيد معناه استقر
خلفك زيد . وقام زيد بمنزلة يقوم زيد ، فان
تقدم الاسم رفعه الابتداء والخبر مضموم الى
ضميره ، وضميره في الخبر مرفوع ، نحو زيد قام ،
وزيد يقوم ، وزيد خلفك ، هذا معناه مثل الاول
في انه اسم وحديث الا ان في الخبر ضميره ، واذا
تقدم الخبر فلا ضمير فيه فالرفع اذن في اجتماع
اسم وخبر وهما جميعاً مستحقان للرفع لان كل
واحد منهما متعلق بصاحبه مسند اليه لا يقتصر
على احدهما دون الآخر والنصب كله من وجه
واحد ، وهو ان يجمع بين شيئين فيكون احدهما
اسماً والآخر خبراً عنه ، ويجيء المنصوب لما في
الخبر من الدلالة عليه فيكون متعلقاً بالخبر فيكون
كالمفعول به ، وقد بينا وجوهه الا انه لا يكون ابداً الا
وشيئان قد عمل كل واحد منهما في صاحبه في
الكلام وفي نيتك ، وذلك نحو ضرب عبدالله زيداً ،
فضرب عبدالله مقرونان ، وزيد مدخل في الحديث ،
وكذلك ان زيداً قائم ، ان وقائم مقرونان / ٢٣
وزيد مدخل فيهما ، وكذلك ظننت زيداً عالماً
فالظن والتاء مقرونان وزيد وعالم مدخلان فيهما .

والخفض كله من جهة الاضافة الا ان يكون
بالاسماء والحروف التي سمينها ، فهذا يأتي على
اعراب الاسماء كلها . وفي الاسماء ما لا اعراب له ،

(١٥١) في الاسل « مسائل » والصواب ما اثبتناه

ان حذفها لم يفسد الكلام ، وان ادخلتها كانت
فضلة مؤكدة كقولك عما قليل اي عن قليل .

وتكون حرفاً تجحد به وليست في هذا باسم
كقولك ما زيد قائماً ، يريد بقائم (١٤٩) ، فاذا
تقدم وكان بعدها الا كان في الخبر الرفع لا غير كقولك
ما قائم الا زيد ، وما زيد الا قائم .

وتكون ما حرفاً يغير العامل فيسقط عمله
كقولك ان زيداً قائم نصبت زيداً بأن ، فاذا قلت :
انما زيد قائم ابطلت ما علمت ان . وكذلك رب
تخفف النكرة [و] (١٥٠) زيداً ، فاذا قلت ربما يقوم
زيد ابطلت ما رب ورفع بعدها كل شيء او نصبت
بما تنصبه وكذلك لعلمنا وكانما .

باب حروف الجحد

لن ولم وما ولا وليس وغير وإن

باب حروف القسم

الواو والباء والتاء وهن يخفضن كقولك والله
وبالله وتالله : الواو والباء تدخلان على كل الاسماء .
والتاء لا تكون الا في الله عز وجل وحدها .

وجواب القسم بأن واللام ولا وما ، والله ما
زيد بقائم ووالله لا قام زيد ولا يقوم زيد . ووالله
ليقومن زيد ولقائم زيد / ٢٢ ووالله ان زيداً لقائم ،
ووالله لزيد خير منك .

ومما يجري مجرى الحروف وهي اسماء
معروفة : لعمر الله ، وعلى عهد الله ، وامانة الله ،
ومما ينصب يمين الله وعمرك الله ، وقعدك الله ،
ونشدتك الله .

باب مواضع النون

تدخل النون في الفعل المستقبل مشددة ومخففة
في ستة مواضع : في الامر والنهي وفي الدعاء
والاستفهام . وفي ما اذا كانت زائدة وقع السلام
في جواب القسم وتلزم اللام ، ويجوز ان تحذف في
كل موضع غيرها ، تقول لا تضربين زيداً ، تسقط
واو الجمع معها لان الواو ساكنة والنون التي بعدها

(١٤٩) يقصد ان الخبر منصوب على نزع الخافض على رأي

الكوفيين لانهم يرون ان ما لا تعمل شيئاً

(١٥٠) زيادة يقتضيها السياق .

وهو في الحكم في موضع معرب مثل أنا وانت وهو
وهي واياك واياه واياها وإياي وهذا وما أشبه
ذلك .

ومنها ما يستوي في كل حال مثل الاسماء
المقصورة نحو عصا (١٥٢) ورجى ، الا انه ينون ما
كان نظيره ينصرف ، ولا ينون ما كان نظيره
لا ينصرف وهو مسكن على كل حال .

ومنها ما يسكن في الخفض والرفع فيستويان
ويكونان منونا في الاعراب وساكننا في الاضافة
ويتحرك في النصب وذلك كل اسم في آخره ياء خفيفة
قبلها كسرة نحو قاضٍ وجوارٍ .

ومنها ما لا ينصرف فلا يدخله التنوين .

واعلم ان حروفا تجري على وجهين : لدن

(١٥٢) كتبت في الاصل هكذا « عصى »

غُدوة ، وغُدوة تخفض وتنصب ، وبكّله كذلك
وبكّله يفسر على معنيين في معنى دع وفي معنى
فكيف . ومنذُ ترفع ما مضى وتخفض ما أنت فيه .
ومنذُ تخفض كل ذلك .

والمقاديرُ كقولك عندي رطل زيتا ورطل زيت
ومنوانٍ عسلاً ومنوا عسلاً .

والاضافة كلها ان يضاف الشيء الى غيره او
يضاف البعض الى الكل وهما مضارعان اللام
ومن كقولك ثوب خَزَرٍ أي ثوب من خَزَرٍ وغلَامٍ
زيدٍ أي غلامٍ لزيد

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير
البرية محمد وآله الطيبين اجمعين وحسبي الله
ونعم الوكيل والمعين .

مراجع الدراسة والتحقيق

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - ادب الكتاب لابن قتيبة تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط ٤ مصر ١٩٦٣م
- ٣ - الاضداد في اللغة لابن الانباري - المطبعة الحسينية مصر ١٣٢٥ هـ
- ٤ - الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ط ٤ مصر ١٩٦١م
- ٥ - بغية الوعاة للسيوطي - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٦
- ٦ - تاج العروس الزبيدي - طبة مصر ١٣٠٦-١٣٠٧
- ٧ - تاريخ الادب العربي بروكلمان - الترجمة العربية د . عبد الحليم النجار ط ١ دار المعارف مصر ١٩٦٨
- ٨ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨
- ٩ - الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي - تحقيق سعيد عبد الكريم نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة - في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب
- ١٠ - شرح المنصل لابن يعيش
- ١١ - الفهرست لابن النديم - نشره غوستاف فلوجل ١٨٧١م
- ١٢ - القاموس المحيط للفروز آبادي ط ١ مصر ١٩٢٥م
- ١٣ - كتاب سيبويه - طبة بولاق - مصر ١٣١٦ هـ
- ١٤ - لسان العرب لابن منظور - طبة بيروت ١٩٥٥
- ١٥ - مدرسة الكوفة د . مهدي الخزومي بغداد ١٩٥٥
- ١٦ - مرآة الجنان اليافعي - حيدر آباد ١٣٢٧-١٣٢٩ .
- ١٧ - مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي تحقيق ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٥
- ١٨ - مروج الذهب للمسعودي تحقيق محيي الدين عبد الحميد ج ٢ كتاب التحرير ١٩٦٧
- ١٩ - الزهر في اللغة للسيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وجماعة من الاساتذة - دار احياء الكتب العربية
- ٢٠ - المصباح المنير للفيومي ط ٢ - المطبعة الاميرية مصر ١٩٠٩م
- ٢١ - معجم الادياء لياقوت الحموي نشر مركليوث ط ٢ - مصر ١٩٢٠
- ٢٢ - نزهة الالباء في طبقات الادياء لابن الانباري - تحقيق ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩
- ٢٣ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي - استانبول ١٩٥١
- ٢٤ - همع الهوامع للسيوطي ط ١ - مطبعة المادة مصر ١٣٢٧ هـ

ديوان الشيخ كاظم الازري

١١٤٣ — ١٢١٣

القسم الأول

عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

شاكر هادي شكر

مسمود ، والشيخ راضي (٧) وكان الاول منها أدبيا وشاعرا ،
وقفنا على بند له شبيه بالبند المعروف للشاعر ابن الخلفة (٨).
والظاهر ان الحاج مراد هو الذي لقب بالازري ، ولعله كان
يبيع الازر (٩) أو يحوكها .

مولده ، ونشأته :

اتفق مترجموه على انه ولد سنة ١١٤٣ هـ ، وجاء في مقال
الحاج عبدالحسين المذكور انفا ما نصه :

« لم تزل داره التي ولد فيها قائمة في محلة رأس القرية
من بغداد وهي من جملة اوقاف والده التي وقفها عليه وعلى
اخوته (١٠) . »

ومن الجدير بالذكر ان الشاعر بصرح في احدى قصائده (١١)
انه كرخي فيقول :

سلام على تلك المغاني التي بها
نعمنا وحياها من المزن صيب
اذ الكرخ داري والاحبة جبرتي
وقومي ترضى ان رضيت وتفضب

وذكر الشيخ حرز الدين (١٢) انه توفي في كرخ بغداد .

وبقي في طفولته مقعدا سبع سنوات ، ثم مشى (١٣)
وهنا تنقطع اخباره عنا فلم يذكر احد عن شبابه شيئا .

الشيخ كاظم الازري

نسبه واسرته :

هو الشيخ كاظم (١) بن الحاج محمد بن الحاج مراد بن
الحاج مهدي بن ابراهيم بن عبدالصمد بن علي البغدادي
التميمي (٢) .

قال المرحوم الحاج عبدالحسين الازري في مقال له (٣) :

« بيت الازري : بيت علم وثراء ، ويظهر من ورقة الوقف
المشهوره بوقف بيت الازري ، وبعض الحجج الشرعية القديمة
ان اسرة هذا البيت كانت تقطن بغداد منذ اكثر من ثلاثة قرون.
اما قبل ذلك فلا نعلم عنها شيئا (٤) . وقد اشتهر من بينها
علمان هما : الشيخ كاظم ، والشيخ محمد رضا (٥) ، وكان
لهما اخ ثالث اكبر منهما سنا هو الفاضل الشيخ يوسف
الازري (٦) ، ويوجد في مكتبة المغفور له السيد حسن صدر الدين
مؤلف للشيخ يوسف المذكور في علم النحو شبيه بكتاب قطر
الندى لابن هشام ، كتب على ظهره : هذا ما ألفه الشيخ
يوسف بن الحاج محمد بن مراد الازري البغدادي التميمي ،
ومن هذا الكتاب تأكدنا ان هذه الاسرة ترجع الى قبيلة تميم في
العراق . وقد اعقب الشيخ يوسف هذا ولدين هما الشيخ

(١) سماه بعض الذين ترجموا له (محمد كاظم) وسماه آخرون
(الملا كاظم) .

(٢) كذا ورد نسبه في الكنى والالقب ١٩/٢ ، والذريعة الى
تصانيف الشريعة ٦٩/٩ ، وفي معارف الرجال
١٦١/٢ ، ومراقد المعارف ١٣٨/١ تقديم مهدي علي مراد .

(٣) نشر في العدد (١٤) من مجلة الفري الصادر في جمادي
الثانية سنة ١٣٦٤ هـ .

(٤) لما كانت الاسرة تيممية فمن غير المستبعد انها جاءت من
مضارب بني تميم القريبة من بغداد .

(٥) هو اصغر من الشيخ كاظم ، توفي سنة ١٢٤٠ هـ بلا عقب
(الذريعة ٦٩/٩) .

(٦) توفي سنة ١٢١١ وراه السيد محمد زيني بقصيدة جاء
في تاريخها (ليوسف مكننا المنازل في الخلد) ، انظر معارف
الرجال ٢٩٦/٣ .

صفاته :

كان قصير القامة مع سمته فيه (١٢) ، واذا صح قوله (١٥) :

ولم ألغ حرف الراء الا لاني
اذا فُت بالراوي تفوّهت بالفاوي

فهو الخ بحرف الراء . كان سريع الخاطر ، حاضر النكتة ، وفاد الذهن ، ومن أبرز صفاته الجراءة ، والصراحة المتناهية ، والشواهد كثيرة . فمن ذلك انه لما قتل عبدالله الشاوي بأمر من الوالي عمر باشا سنة ١١٨٨ رثاه بقصيدة ليست كالرثاء المألوف ، بل كانت ثورة عارمة على الوالي وحكومته ، جاء فيها (١٦)

سأبكيك بالبيض اليمانية التي
تهد من الاطواد كل مشيد
وأريئك بالظن الدراك كأنه
قصيد منون مردف بقصيد

* * *

بني حمير لا تطرحوا الحزم خلفكم
فان اطراح الحزم غير سديد
ولا تصبروا عن أخذ ثارات يومه
الا رب صبر لم يكن بحميد

* * *

قتلت على أيدي الاذلين عنوة
وما ذاك من اهل التقى ببيد
فاين علي من مقام ابن ملجم
واين حسين من مقام يزيد

وكان اولاده الاشواوس ، وعشيرته الفاوير استجابوا لهذا النداء فشنوها حربا ضروسا كادت تزعزع حكومة المماليك .

هيبته :

قال بعض مترجميه انه كان حليق اللحية مفتول الشاربين (١٧) يعتمر اليشماغ والحقال ، ويحتذي (اليميني) الاحمر (١٨) ، ومنهم من يقول : انه كان وقورا ذا لحية بهية يعتمر (الكشيدة) . وقد انبرى من قبل ، المرحوم الاستاذ عبد الحميد الديجلي مؤيدا اصحاب القول الاخير فقال (١٩) . « دفعني الى كتابة هذا الموضوع ما رأيته من تخرص بعض المتشاكسين بتاريخ الادب اندفاعا للقول وان كان جزافا . فقد ترجم هذا للآزري ، ورماء ببعض النواقص اعتمادا على ما عرف عن الآزري في اوساط عوام الناس ، انه كن حليق اللحية مبروم الشاربين ، مخاصما عنيدا ... »

انه كان معهما ، ومن ذوي العلم ، ورجال الفقه والادب المحترمين »

ثقافته :

قال الحاج عبدالحسين الآزري في مقاله المذكور « درس العلوم العربية ، ومقدارا غير قليل من الفقه والاصول على فضلاء عصره ، ولكنه ولع بالادب فانقطع عن متابعة الدروس ، واخذ ينظم الشعر وهو لم يبلغ العشرين »

وجاء في معجم المؤلفين لكحالة (٢٠) انه « أديب شاعر مشارك في الحديث والتاريخ والكلام ، والتفسير والحكمة » .

ويقول العلامة المظفر في مقدمته المذكورة : انه درس في النجف ، ثم عقب على ذلك بقوله « لم يذكر عن شاعرنا ما درس في النجف ، وعلى من تلمذ ، وبأية درجة كانت ثقافته ؟ غير ان الذي يقرأ شعره يرى فيه لغات الفاضل العالم بالعارف الاسلامية ، بل اكثر من ذلك يجد انه قد درس الفلسفة ، وفهم دقائقها ، وان كان يقول :

كفي رويدك واقصري ياهدي
هيهات ليس الفيلسوف بهاد (٢١)

والا فلا تغل غير الدارس للفلسفة التثوق لها يتمكن ان يقول (٢٢) :

وهو الآية المحبطة بالكو
ن فقي عين كل شيء تراها
هو طاووس روضة الملك بل تا
موسها الاكبر الذي يرعاها
وهو الجوهر الجرد منه
كل نفس مليكها زكاها
لم تكن هذه العناصر الا
من هيلواه حيث كان اباهها

ففي هذه الابيات :

اولا - تلمح النزعة الاشراقية الى القول بوحدة الوجود ، ذلك قوله (ففي عين كل شيء تراها) ، واراد بالعين : الوجود المعني للشيء كما هو اصطلاحهم .

ثانيا - قوله (طاووس روضة الملك) وهو اصطلاح عرفاني المسمى عندهم ايضا بالنعناء ، ويقصدون به الملك الروحاني المدر ، او العقل الغدال . وكذلك قوله (ناموسها الاكبر) من اصطلاحهم .

ثالثا - في البيتين الاخيرين يشير من طرف خفي الى نظرية المثل الافلاطونية في احدث تفاسيرها الدقيقة ، فيطبق المثال الجرد للنوع الانساني على النبي (ص) كما هو رأي بعض الفلاسفة الاشراقيين ، ولذلك هو يعبر عن النبي (ص) بالجوه المجرى الذي منه اشخاص النوع تمتد في تكوينها وتزكية اخلاقها بتدابير المليك المصور تعالى شأنه .

(٢٠) ج/٨/ص ١٢٩ .

(٢١) انظر القطعة (٥١) (وهي بيت واحد) نقلت في التعليق على البيت : اصل الاصل (ليس الفيلسوف بهاد) من الهاديان ، وبهذا التوجيه يزول التعارض الذي ذكره العلامة المظفر .

(٢٢) من قصيدته الهائية

(٢٣) في المصدر المذكور (الامام) مكان (النبي) في الموضعين ، وهو وهم ، لان هذه الابيات في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وليست في مدح الامام علي (ع) .

(١٤) المصدر السابق

(١٥) القطعة (١٠٩) من الديوان

(١٦) القصيدة (٢٧) من الديوان

(١٧) مقدمة القصيدة الهائية للآزري بقلم المرحوم العلامة محمد رضى المظفر طبعة النجف ١٣٥٠ هـ .

(١٨) هكذا عرفتهم للاستاذ الخليلي ٣٧/٣

(١٩) انظر كلمته (موازنة بين شاعرين) المنشورة في مجلة الدليل النجفية ، العدد ٦/ السنة الثانية .

ويشير الى نظرية السببية استطرادا ، وهي عنده بموضع الاعتبار فيقول من قصيدة (٢٤) :

هي له تصلي الى حرم الفنى
لا يبد من سبب لكل مسبب

وهكذا تجد في ابيات كثيرة (اذا تدبرتها) ان الرجل صاحب فلسفة وعلم ، فضلا عما ينطق به شعره وبراعته فيه من دراسته للعلوم العربية والاسلامية « انتهى » .

واضيف الى ما تقدم بعض اقواله التي تتم عن المامه بالعلوم السائدة في عصره ، قوله وهو من اصطلاحات الفلاسفة :

كن كيف شئت مكوبا او مركزا
ما الجوهر النوري كالثقل الدجي (٢٥)

* * *

ما بعد جوهرك المجرد غايية
فضح الجواهر غيرك التجريد (٢٦)

* * *

لم ندر أنك للمكارم عنصر
وعناصر الاشياء لم تتحول (٢٧)

* * *

لك حكمة فقام الوجود بلطفها
والروح موجبة قيام الهيكل (٢٨)

وله ، وفيه اشارة منطقية :

مصاداة الرجال بغير داع
بناء للامور على فساد (٢٩)

ومن عرفا نيانه قوله : (٣٠)

ادر الزجاجة لا عذمت مديرا
واسق الندامى نصرة وسرورا
وافض علينا من تجلي حسنها
نارا تدك من القلوب الطورا
عجبا لها بالملأ ببرزها
نارا وقد حشيت العوالم نورا
هات اسقنا ذات الصفاء وخلصنا
من عين كرم كدرت تكديرا
لله خمر لم يخامر جرمها
خبث فكانت للظهور طهورا
معصورة بالوهم لم تذكر لها
أهل العصور السالفات عصرا
مخبوءة في حانة قد عطرت
كل العوالم ريحها تطيرا
يا صاحبي ألا اعذراني بالتسي
لطفك فكانت للريم نشورا

(٢٤) البيت (٧٣) من القصيدة الثامنة .

(٢٥) البيت (١٠٢) من القصيدة (١٢)

(٢٦) البيت التاسع من القصيدة (١٧)

(٢٧) البيت (٥٦) من القصيدة (٨٦)

(٢٨) البيت (٦٢) من القصيدة المذكور

(٢٩) البيت (٢٨) من القصيدة (٤٥)

(٣٠) مطلع القصيدة الرابعة والستين

طوت الدهور وما استحال شبابها
فكانها لم تصرف التفسير
شمطاء فاعجب من حداثة سنها
عذراء فافنم وصلها معنورا
ام الدهور وجبذا تأثرها
من قبل أن يجد الوجود انيرا
هي جنحة الماوى فقل لاياتها
ذوقوا عذابا دونها وسعيرا
بل صورة الحسن التي مهما بدت
ليكون قوم كبروا تكبيرا
الله اكبر يالها من صورة
لا يستطيع لها امرؤ تصويرا
فاشرب وغنى على اسمها مترنما
واقض الليالي ضاحكا مسرورا

وله في الجاذبية (٣١)

لولا ملاحظة الافلاك من صعد
ما كان قلب الحديد الصلد يجذب

وله في الهيئة (٣٢)

ولا تطلبن السعد الا بالسعد
فلولا ضياء الشمس لم يشرق البدر

وله ايضا (٣٣)

واذا الهداية لم تغب عن رايه
فالتمس عن أهل السما لم تافل
وله في طبائع الحيوان الصامت (٣٤) :

وبعرفونك من بعد كما عرفت
قرب الضياف من انفاسها الحمر

وله ايضا (٣٥) :

كم في بنيه ظالما متظلما
كالنذب يقتنص الغزال ويفلح

هذه ملح عابرة علقت بالذهن اثناء تحقيق الديوان وهي غيض من فيض .

مكانته الاجتماعية :

نستشف من ديوانه انه كان متصلا بالوالي سليمان باشا الكبير مدة تقارب العشرين سنة ، مدحه خلالها بقصائد عامرة ، كما كان اتصاله وثيقا بالكثير من البيوتات الرفيعة في بغداد ، والموصل ، والبصرة ، والفرات الاوسط ، والتجف الاشرف ، كال النقيب الكيلانيين ، وآل الحيدري ، وآل الفخري ، وآل الجليلي ، وآل عبدالسلام ، وعميد أسرة آل كاشف الغطاء (الشيخ جعفر الكبير) والشيخ حمد آل حمود رئيس الخزاعل ، وغيرهم ، ولكن انقطاعه كان الى آل الشاوي . بدأت هذه الصلة بمبدالله بن شاوي الشاهري ، وبلغت ذروتها معولده

(٣١) البيت الثالث من القصيدة الثالثة

(٣٢) البيت (١٢) من القصيدة (٥٩)

(٣٣) البيت (٤٩) من القصيدة (٨٦)

(٣٤) البيت (٢٩) من القصيدة (٥٥)

(٣٥) البيت الثالث من القصيدة (١١٨)

ان اسرة الازري انقرضت اعقابها الا من النساء ، واذ
الموجودين حاليا على قسمين :

القسم الاول ، اولاد نركز بنت فاطمة بنت الحاج يوسف
بن الحاج محمد الازري ، وأولادها الذكور :

١ - الحاج احمد المتوفى سنة ١٣١٠ عن ولدين هما :

أ - عبدالكريم المتوفى سنة ١٣٢١

ب - حميد المتوفى سنة ١٣٣٠

٢ - الحاج يوسف المتوفى سنة ١٣١٤ عن ولدين هما :

أ - عبدالحسين المتوفى سنة (. . .) (٢٨)

ب - محمد المتوفى سنة ١٣٤١

٣ - الحاج علي المتوفى سنة ١٣٠٦ عن ثلاث بنات

٤ - الحاج حسين

القسم الثاني اولاد حسين بن آمنة بنت الشيخ كاظم بن
الحاج محمد الازري ، وهم :

١ - الحاج حمودي المتوفى سنة ١٣٣٥ عن اربع بنات

٢ - علوان ، المتوفى سنة ١٣٥٨ عن خمسة اولاد ، هم :

أ - عبدالحسين

ب - عبدالمعصم

ج - عبدالامير

د - عبدالخالق

هـ - عبداللطيف

وثلاث بنات

٣ - جواد المتوفى سنة (. . .)

٤ - بنت توفيت سنة (. . .) عن ذبيان وشقيقتها

أدبه وشعره :

يوجد في كل عصر شعراء يسهل على المؤرخ تصنيف درجاتهم ،
وقد يوجد من بين كل صنف شاعر يتميز عن معاصريه بفوارق
لا تكاد تحصى . أما عصر الازري وقد حفل فيه العراق بطائفة
كبيرة من الشعراء أمثال السيد حسين بن السيد مير رشيد
(ت ١١٥٦) وحسن عبدالباقى الموصلي (ت ١١٥٦) والسيد
نصر الله الحائري (ت ١١٥٨) والشيخ محمد علي بشارة النجفي
(ت ١١٦٠) والحاج محمد جواد عبدالرضا العواد البغدادي
(ت بعد سنة ١١٦٣) والحاج احمد النحوي الحلبي (ت ١١٨٣)
وعثمان الدفترى العمري الموصلي (ت ١١٨٤) والشيخ محمد
بن مصطفى الفلامي الموصلي (ت ١١٨٦) والسيد يحيى الفخري
الموصلي (ت ١١٨٧) وعبدالرحمن السويدي البغدادي (ت ١٢٠٠)
والشيخ حسين العشاري (ت في حدود سنة ١٢٠٠) والسيد
صادق الفحام النجفي الحلبي (ت ١٢٠٤) والسيد سليمان
الكبير بن السيد داود الحلبي (ت ١٢١١) والشيخ محمد رضا
الازري (ت ١٢٤٠) والسيد محمد جواد (سياه بوش) بن
السيد محمد زيني البغدادي (ت ١٢٤٧) وغيرهم كثير ، فلا
تجد فيهم من يدانيه في براعته الشعرية ، فهو وحده أمة من
الشعراء ، وقد صدق في قوله عن نفسه (٣٩) :

(٣٨) أخاه الحاج عبدالحسين الازري الشاعر المشهور

(٣٩) البيت الاول من القطعة (١١)

سليمان الذي كان يقدر فضله ويرتاح لقربه ، ولم يزل يحمي
جانبه ، ويدافع عنه . فللأفان الواسعة هذه ، ولأنه تميمي
- وديار بني تميم مصافحة لبغداد - ولذيق صيته في العلم
والادب والشعر ، ولجراته وقوة حجته ، أصبحت له في مجتمعه
مكانة مرموقة .

حالته المالية :

قال مترجموه : انه من عائلة ثرية ، وان أباه وقف
أملكه على اولاده ، وقيل أيضا انه حج بيت الله الحرام سنة
الف ونيّف ومائة وستين ، وله في حجه قصيدة مطلعها (٣٦) :

أنح المطي فقد وفدت على الحمى
والشم نراه محيياً وسلماً

ومن موجبات الحج : الاستطاعة المالية ، غير انه كان
يمدح للعطاء ، ويلج في الطلب ، وما أبدع اعتداده عن هذا
الإلحاح حين يقول (٣٧) :

نذكر بالرقاع اذا نسينا
ونطلب حين تنسانا الكرام
لان الام لم ترضع فتاهها
مع الاشفاق ان سكت الفلام

ولان حجه كان في أيام شبابه - ولربما كان برفقة والده -
يلوح لي انه أدركته حرفة الادب فافقدته عن العمل المشر ، وان
حصته من عائدات الوقف ضئيلة لا تسد حاجته ، فاضطره
الموز الى التكسب بالشعر ، والا كيف نعلل قوله :

ومارثا مجدي حيث رثت ملاسي

وقد تودع الحق الحقر الجواهر

وفاته :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففي الكنى والالقب ،
والذريعة الى تصانيف الشيعة ، وتاريخ الادب العربي في العراق ،
انه توفي سنة ١٢١١ ، وفي مقال الحاج عبدالحسين الازري ،
انه توفي سنة ١٢١٢ ، وقال كاتبه « غير ان الحجر الذي وجد
في داخل السرداب يدل على ان تاريخ وفاته سنة ١٢٠١ » .

ولعل طمسا حصل في الرقم الثاني للتاريخ بسبب قدم
الحجر فقرأ (١٢٠١) بدلا من (١٢١١) .

وفي معارف الرجال انه توفي سنة ١٢١٢ هـ . ولكنهم
جميعا اتفقوا على انه دفن في الكاظمية في مقبرة تخص آل الازري
تقابل الحجرة التي فيها القبر المنسوب الى علم الهدى الشريف
المرتضى ويضمهما في الوقت الحاضر سقف واحد .

عقبه :

قال بعض مترجميه : المشهور انه لم يترك عقباً ، وسكت
البعض الآخر عن ذلك . وقد اطلعتني الاستاذ الحامي فاضل
عباس الزاوي - مشكوراً - على ورقة بخط والده جاء فيها
ما ملخصه :

(٣٦) مقال الحاج عبدالحسين الازري ولا وجود لهذه القصيدة

في الديوان

(٣٧) القطعة (٨٩)

يا ابا احمد رويدا رويدا
انا في الشعر صاحب المعجزات
وهو القائل ايضا (٤٠) :

ابي الشعر الا ان يحل بساكتي
فياكل من زادي ويشرب من شربي
اذا انا لم اعبا به عمر ساعة
توهم هجراني فلاذ الى جنبي

فمن يتفحص شعره ، وشعر من جاء بعده ، يؤمن بانه صاحب مدرسة انتفع بمنهجها واسلوبها جماعة من الشعراء خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الهجريين . بل لا اغالي اذا قلت انه الوحيد الذي استطاع - من بين الشعراء - ان يقارب التنبي في الحكمة وضرب المثل . ولقد اخصيت له ما يدخل في هذا الباب فوجدته اكثر من اربعمائة بيت (٤١) ، اجتزى منها بهذه الباقية (٤٢) :

دم في ملازمة الفرام فانما
سبب الدخول دوام قرع الباب

لا تكثر من الشباب وذكوره
انت ابن يومك لا ابن ماضي الاحقب
ايام زان تناجها عقم النوى
ومن الغنيمة عقم من لم تنجب

شديد عزم كان الحزم قال له
لا يصدق النيل حتى يصدق الطلب
تابوا ولكنهم من بعد ما طبخوا
ما استنبط الراح حتى علتب العتب

وخلتها في سبيل المجد مرقلة
فكل سعد بغير السعي مكلوب
وانزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقدار مفلوب
ورب سيف يرى اوداج صيقله
وحافر لقلب فيه مقلوب

لا توحى الا علي لديهم
ما على كل من يموت ينحاح
ومن الظلم ان تلام ببخل
انما البخل في الملاح سماح

ولسوف يدرك كل باغ بفيه
المرء ينسى والزمان يؤرخ

وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا ابق العبد

(٤٠) البيتان الاول والثاني من القطعة العاشرة

(٤١) هذا العدد خاص بما في الديوان ولا يشمل القصيدة الهائية .

(٤٢) مراعاة للاختصار لم اشر الى رقم البيت والقصيدة ، اذ من الممكن الاهتمام الى القصيدة من قافية البيت ، والديوان مرتب على حروف المعجم

وعلى اختلاف الراي كل قائل
ضل الورى وانا المصيب المهدي
من امكنته فرصة فاضاعها
واستعجب الايام فهو المعتدي

والنفس لا تنفك من خدع المني
العمر يلى والنسى تتجدد

وقد تاتي الخديعة من صديق
كما تاتي النصيحة من معصا

اذا فسدت طباع الدهر سادت
على نجيباته اهل الفساد
وما اسفي على الدنيا ولكن
على ابل حداثها غير حسا

واين البخل منك فرت منه
فرار الحسن من صور القرود

ابدوا وقائع تنسي ذكر غيرهم
والوخز بالسر تنسي الوخز بالابر
صالوا وصلت ولكن اين منك هم
النقش بالرمل ليس النقش بالحجر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها
كالحمد لم تقن عنها سائر السور

ولا نياسن من فرحة بعد شدة
فقد يرخس الغالي وتفلو البوائر
فدع منظري ليس الرجال مناظرا
وخذ مخبري ان الرجال مخابسر

تركت بك الجidal فلذ عيشي
ولولا الحق لم يكن الجidal

واذا الحب لم يكن عن غلاف
كان كالخمر مفسدا للعقول
نسال الارسم الدوارس عنهم
رب علم اصبته من جهول

كم مدع غير الحقيقة يدعي
والحق يظهر من كلام البطل

وعلى العلى منا رواد لم تزل
كالصبيح مرصودا بعين بلال

حسن الظلال متم كل صنعة
وزكاة كل صنعة اتمامها

ولقد طرق شاعرنا فنون الشعر كلها فاجاد ، ولا اريد ان انقل على القاريء بايراد الشواهد ، فالديوان بين يديه ، وفيه كل ما تشتهي النفس من صروب الشعر وفنونه ، ولكن الجدير بالقول ان للشاعر قصيدة هائية طويلة تبلغ ٥٨٤ بيتا مظمها :

من الشمس في قباب قباها
شف جسم الدجى بروح ضياها

تفزل في مقدمتها بما يقارب الخمسين بيتا ، ثم مدح النبي عليه الصلاة والسلام بمائة وثلاثين بيتا ، وخص بالباقي الإمام عليا ، احتوى هذه القصيدة بعض مخطوطات الديوان ، وخلا منها بعض ، فرجحت عمل الذين لم يلحقوها به ، لأنها اعتبرت هي وتخميسها كتابا مستقلا ، منذ أن طبع الديوان طبعته الأولى في الهند ، وقال الناشر - السيد رشيد داود السعدي رحمه الله - في خاتمة الديوان مانصه :

« وحيث أن هذه الهائية قصيدة مستقلة بنفسها تنوف على خمسمائة بيت ، ولا يرغب في قراءتها إلا القليل من الناس لم نلحقها بهذا الديوان »

وحسنا فعل . وإذا كنا قد رجحنا عدم ادخال هذه القصيدة في صلب الديوان ، فلا بد من إيقاف القارئ الكريم على نبذ منها ليرى من خلالها كيف بلغ الشاعر ذروة النصح الشعري .

ويبدو لي أنه قد تفرغ خلال السنين الثلاث أو الأربع الأخيرة من حياته لتنظم هذه القصيدة بدليل أن آخر قصيدة مؤرخة في ديوانه كانت سنة ١٢٠٧ (٤٣) ولو كان له شعر بعدها لبان .

فمن تغنيه في مطلعها :

ما أراشي بعد الإجابة إلا
رسم دار قد انمى سيمها
كم شجنتي ذات الجناح سحيرا
حين طار الهوى بها فشحها
ذكرتني وما نسيت عهدا
لو سلا البرء نفسه ما سلاها
يا خليلي كل باكية لم
تبك إلا لمكة مقلتها
لا تلوما الورقاء في ذلك الوج
مد لعل الذي عراني عراها
كان عهدي بها قريبة عين
فاسألهما بالله مم بكاهما
ليت شعري هل للحمام نوح
أم لديها لواعجي حاشاهما
لو حوت ما حوتيه ما تفتت
سل عن النار جسم من عاناها
اهل نجد راعوا ذمام محب
حسب الحب روضة فرعاهما
قربونا منكم لنشفي صدورنا
جعل الله في الشفاء شفاهما

* * *

كان أنكى الخطوب لم يبك مني
مقلة لكن الهوى أبكاهما
لو تأملت في مجامد دمعي
لتعجبت من أسى أجراهما
أنا سيارة الكواكب في الحر
ب فائتي يمدو علي سهاها

(٤٣) انظر القصيدة (٢٧)

كل يوم للحادثات عواد
ليس يقوى رضوى على ملتقاها
ثم يتخلص من الفزل الى مدح النبي (ص) فيقول :

كيف يرجى الخلاص منهن إلا
بذمام من سيد الرسل طه
معقل الخائفين من كل خوف
أوفر العرب ذمة أوفاهما

* * *

أي خلق لله أعظم منه
وهو الفاية التي استقصاها
قلوب الخائفين ظهرا لبطن
فراى ذات أحمد فاجتباها

* * *

نظمت يوم حمله معجزات
قصر الوهم عن بلوغ مداها
بشرت أمه به الرسل طرا
طوبا باسمه فيا بشراهما
لم يكن أكرم النبيين حتى
علم الله أنه أزاها

* * *

والى فارس سرى منه سر
فاستحالت نيرانها أمواها
واحاطت بها البوائق حتى
فاض سلسالها وفاض ظماها
واقامت في سفح إيوان كسرى
للمة ليس يلتقي طرفاهما

* * *

شمس قدس بدت فحق انشاق (م)
البدر نصفين هيبة لبهاها
أي ارضية عصت لم يرضها
أو سماوية سمت ما سماها
من تسنى متن البراق ليظوي
صحف افلاكها به فطواها
وترقى لقاب قوسين حتى
شاهد القبلة التي يرضاهما
وعلى منته يد الله مدت
فافاضت عليه روح نداها
واراه ما لا يرى من كنوز (م)
الصمدانية التي اخفاها
ليت شعري هل ارتقى ذروة (م)
الافلاك أم طاطات له فرقاها

وبعد أن يسترسل في تعداد مناقبه صلى الله عليه وآله وسلم يقول متخلصا الى مدح أمير المؤمنين علي (ع) .

لا تخف من أسى القيامة هولا
كشف الله بالنبي أساهما
ملك شد أزره بأخيه
فاستقامت من الأمور قناها
اسد الله ما رات مقلتها
نار حرب تشب إلا اصطلاها
فارس المؤمنين في كل حرب
قطب محرابها أمام وغاها

ذاك راسي الموحدين وحسامي
ببضة الدين من اكف عداها

ظهرت منه في الوغى سطوات
ما اتى القوم كلهم ما اتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود
لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى الى المدينة فردا
يسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم الوف ولكن
ينظرون الذي يشب لظاها
اين انتم عن قسور عامري
تتقى الاسد بآسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما
يؤجر الصابرون في احرها
قائلا ان للجيل جنانا
ليس غير المجاهدين براها
اين من نفسه تتوق الى (م)
التجئات او يورد الجحيم عداها
من لعمرو وقد ضمنت على (م)
الله له من جناحه اعلاها
واذا هم بفارس قرشي
ترجف الارض خيفة الا يطاها
قائلا ما لها سواي كفيلا
هذه ذمعة علي وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما (م)
تمشي خماص الحشا الى مرعاها
فانتفضى مشرفه فتلقى
ساق عمرو بضربة فبراها
والى الحشر رنة السيف منه
يملا الخافقين رجع صداها
هذه من علاه احدي المعالي
وعلى هذه فقس ما سواها

نكتفي بهذا المقدار من القصيدة ، وفيه الدليل الواضح
على أن شعره يجمع بين المتانة ووضوح الديباجة ، والجزالة
ورقة الأسلوب ، فتراه وهو يسرد القضايا التاريخية ينساب
كلام الزلال ، مع الدقة في التعبير . ولو حاول كاتب بليغ ان
ينثر شعره لما استطاع ان يأتي بأوضح وأوجز منه .

الديوان :

بحثت طويلا عن نسخة خطية بخط الشاعر ، او مقرومة
عليه ، او انها منقولة عن واحدة منهما فلم اوفق ، ولكني تمكنت
بعد التحري المتواصل من جمع تسع نسخ خطية ، وبعد فحصها
فحصا دقيقا ، ومقارنتها مع بعضها وجدتها كلها على درجة
واحدة تقريبا من حيث التصحيقات والتحريفات . واذا كان
لا بد من المفاضلة بينها فان النسخة الموصلية التي رمزت اليها
بـ خ / ٧ افضل اخواتها ، ولكنها لا تصلح لان تعتبر الاصل
الذي يعتمد عليه المحقق .

ولكي لا اثقل الديوان بالهوامش عند تبين الفوارق بين
النسخ حاولت اسقاط بعضها من الحساب ، وبعد تمحيص
ومقارنات وجدت من الممكن الاستغناء عن نسختين ، هما مخطوطة

مكتبة الاوقاف العامة ، ومخطوطة المكتبة القادرية ، لاني لم
اجد فيهما ما يضيف جديدا ، او يقوّم معوجا ، سوى وجود
قصيدة واحدة في مخطوطة الاوقاف لا وجود لها في بقية النسخ ،
ثم ظهر لي انها ليست للازري ، بل لعزالدين عبدالحميد بن ابي
الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ هـ وهي قطعة من احدي قصائده
العلويات السبع ، يراجع الشعر المنسوب للازري وليس له
في الملحق الاول للديوان .

التعريف بالمخطوطات :

١ - مخطوطتي ، وقد رمزت اليها بـ (خ / ١) وهي اسقم
النسخ من حيث رداءة الخط ، وكثرة التحريف
والتصحيف لا يوجد فيها ما يشير الى اسم المالك او
الناسخ ، او تاريخ النسخ .

٢ - مخطوطة مكتبة الآثار العراقية المسجلة برقم ١٩٨٤ ، وقد
رمزت اليها بـ (خ / ٢) . خالية من كل شرح او تاريخ ،
سوى انها مختومة بختم المكتبة الشرقية العراقية للآباء
الكرملين في بغداد ، وفي الصفحة البيضاء التي قبل
الصفحة الاولى بيتان من الشعر لدرويش علي ، وتحتهما
بيتان اخران للشيخ علي الخفاف ، في مدح الازري ،
وخط الابيات الاربعة يختلف عن خط الديوان .

٣ - مخطوطة ثانية لمكتبة الآثار العراقية مسجلة برقم ١٩٢١
وقد رمزت اليها بـ (خ / ٣) ، وعلى الصفحة البيضاء التي
قبل الصفحة الاولى تقريظ لشعر الازري ثرا ، وبيتان
من الشعر في هجاء الازري ، كتب تحتها بخط يختلف عن
الخط الذي كتب فيه التقريظ والهجاء (استكتبته وانا
الضعيف) ثم كتب اسمه (السيد عباس) . ثم يلي ذلك
ختم مكتوب فيه (السيد عباس صبري) . وبعده ختم
المكتبة الشرقية للآباء الكرملين ، ولم يرد فيها ما يشير
الى تاريخ نسخها ، او عن اية مخطوطة نسخت .

٤ - المخطوطة المستعارة من الاستاذ السيد عدنان طعمه
(كربلاء) ، وقد رمزت اليها بـ (خ / ٤) . فيها نقائص
كثيرة ، وقد ترك الناسخ اوراقا خالية من الكتابة بقصد
اكمال تلك النقائص . لا يوجد فيها اي شرح او تاريخ
هذا وقفية للكتاب مكتوبة باللغة الفارسية على هامش
الصفحة (٨٥) من المخطوطة . وبطلب مني قام الصديق
الكرام السيد شمس الدين القزويني (كربلاء) بترجمتها
مشكورا وهذا نصها :

« هو الواقف على الضمائر ، وقف خادما الشريعة :

الشيخ علي والشيخ مهدي هذا الكتاب - ديوان الازري -
مع سائر كتب المكتبة التي هي من ثلث المرحوم المغفور له
ساكن الجنان الشيخ عبدالحسين نور الله مضجعه ،
وفقا شرعيا على كافة طلاب العلوم من سكنة العتبات
المقدسة وغيرهم ، لينتفعوا بها ويحافظوا عليها ، والتولية
بيد الوافقين ما وجدوا في العتبات المقدسة ، والكتب
الزبورة عندهما ، واذا ارادوا السفر فيصنعون الكتب عند
من شاءوا ، وامر التولية حسب الوصاية راجع اليهما ،
وبعدهما لاولادهما ، وعند وجود حضرة الاكرم مدار الشريعة
السيد اسد الله في العتبات المقدسة فهو شريكنا في
التولية . جرت الصيغة في شهر محرم الحرام سنة
١٢٨٨ هـ » .

وذلك حصل هذا الخلط الغريب العجيب . ولو حصل هذا لديوان شاعر جاهلي او اموي او عباسي لكان الامر ، ولا يمكن الرجوع في التصحيح الى المصادر الاخرى ، في حين لم اجد لشاعرنا في الكتب التي ترجمت له سوى مقطعات وقصائد تعد على اصابع اليدين ، ولا تقل تحريفا واخطاء عما ورد في الديوان المطبوع او النسخ المخطوطة .

تداخل الابيات في قصيدتين او اكثر :

نجد في بعض القصائد ابياتا سبق ورودها حرفيا في قصيدة اخرى ، او ان البيت المكرر قد حور تحويرا طفيفا ، او تكرر عجزه دون صدره ، ويحدث هذا - حصرا - في القصائد المتشابهة في الوزن والقافية .

واخال ان المكرر حرفيا هو من عمل جامع الديوان ، لانه وجد قصاصات مبثورة - كما اسلفنا - وان كل قصيدة مكتوبة على عدة اوراق ، فاذا صادف وجود قصيدتين متشابهتين في الوزن والقافية تعذر عليه الفصل بينهما .

اما الابيات المحورة ، او التي تكررت اعجازها دون صدورها فمن عمل الشاعر نفسه ، ومرد ذلك - على ما اظن - الى الظروف التي تحتم على الشاعر - في بعض الاحيان - ان ينظم قصيدة بصورة مستعجلة وهو غير متهيئ لها . وقد سار على هذه الطريقة الكثير من الشعراء المحدثين قبل الازري وبعده (انظر القصائد ذوات الارقام (٨ و ١٥ و ٢٦ و ٦٢ و ٧٤ و ٩٥ و ١٠٢)

الابيات المتجاوزة وهي متحدة معنى وقافية :

اعتاد الشاعر ان ينظم بعض الابيات بصيغتين ثم يختار الاجود ولا يتلف المهمل منهما ، ولم يظن جامع الديوان لذلك فاقبت البيت بصيغتيه في القصيدة الواحدة . اما انا فقد اخترت اناء التحقيق الاصلح فابقينه في محله ، ونقلت الثاني الى الهامش ، انظر على سبيل المثال (البيت ٨٦ من القصيدة ١٢ والبيت ٢٥ من القصيدة ١٥ والبيت ٤٦ من القصيدة ٣٦ والبيت ١٠ من القصيدة ٢٧) وغيرها كثير .

عناوين القصائد :

حدث عن الفوضى في عناوين القصائد ولا حرج ، فكل قصيدة ورد فيها اسم سليمان وسمت بانها في مدح سليمان الشاوي ، وبعد التمهيص والتحقيق ظهر ان من بينها سبع قصائد في مدح سليمان باشا الكبير والي بغداد ، وقصيدة في مدح سليمان باشا الجليلي ، وامثال ذلك كثير سيجده القارئ مفصلا في التعليق على عناوين القصائد .

عملي في الديوان وطريقتي في التحقيق :

عندما لا حظت ان النسخة المطبوعة من الديوان ، وجميع النسخ المخطوطة التي تحت متناول يدي مليئة بالتصحيفات والتحريفات الفظيمة ، ولا توجد من بينها نسخة يصح الاعتماد عليها لان تكون الاصل في التحقيق ، اعتبرتها كلها اصولا معتمدة بدرجة واحدة ، وان كل واحدة منها تكمل الاخرى . فعمدت الى مقابلة كل بيت في الديوان مع ما يماثله في النسخ الاخرى ، واقفا عند كل كلمة فاحصا مدققا ، ثم اثبت ما اراه صالحا ،

٥ - المخطوطة المستعمارة من الاستاذ الكبير الشيخ صالح الجعفري ، الرموز اليها ب (٥/خ) وفي آخرها مجموعة من شعر الشيخ محمد رضا الازري ، خالية من أي شرح او تاريخ .

٦ - المخطوطة الثانية المستعمارة من الاستاذ الجعفري وهي التي رمزت اليها ب (٦/خ) . وعلى الصفحة الرابعة والخمسين منها حاشية بخط المرحوم العلامة الجليل نعمان الالوسي هذا نصها :

« هذه القصيدة للعلامة الشهير حسين افندي محشي الحضرمية ، وهي بخطه في ديوانه ، ونسبتها الى المرقوم خطا فلا تغفل - نعمان الالوسي زاده » . وفي الصفحة الاخيرة منها ما نصه « هذا آخر ما رأيتاه مجموعا من شعر الاديب الكامل ، والاربيب الفاضل الشيخ كاظم الازري ، قد تم على يد ناقله افتر الوري الى الملك الرياني احمد بن عبدالله افندي الشهير بالداغستاني ، في قصبة بعقوبة حال نيابته في المحل المذكور . يوم الجمعة الساعة (٩-٨-٨٠) صفر الخير سنة ١٢٨٨ هـ » . وفي نفس الصفحة كتابة ضرب عليها بالمداد الاحمر مرارا فانطمست معالمها ، ولم اتين منها سوى « والصلاة على محمد وآله الطاهرين . حرره العبد الفقير لرحمة ربه الكريم اسد بن محمد حيدر وفقه الله لمراضيه . ذي الحجة سنة ١٣٥٥ في النجف الاشرف »

٧ - المخطوطة المستعمارة من الاخ النبيل الدكتور محمد صديق الجليلي الرموز اليها ب (٧/خ) . وهي خالية من أي شرح او تاريخ .

تصنيف المخطوطات والنسخة المطبوعة :

من الممكن تصنيف النسخ المعتمدة في التحقيق الى ثلاث فصول : تضم الفصيلة الاولى : النسخة المطبوعة ، والنسخ الخطية الرموز اليها ب (١/خ و ٢/خ و ٦/خ) . والفصيلة الثانية : تضم النسخ الخطية الرموز اليها ب (٢/خ و ٤/خ و ٥/خ)

اما الفصيلة الثالثة فهي النسخة الرموز اليها ب (٧/خ) وحدها ونسخ كل فصيلة من الفصيلتين الاولى والثانية تتقارب كثيرا مع اخواتها ، ولا تتفق معها اتفاقا تاما ، لاننا نلاحظ - في الاغلب الاعم - ان الخلل الحاصل في بيت من الشعر باحدى النسخ كالتصحيف ، او سقوط كلمة نجد نفس الخلل في بقية النسخ من تلك الفصيلة . اما الاختلاف الطفيف الذي يحصل بين نسخ الفصيلة الواحدة فراجع الى اخطاء النساخ اثناء نقل نسخة عن اخرى .

جمع الديوان :

تبين لي من النسخة المطبوعة ، ومن المخطوطات التي مر ذكرها ان الديوان لم يجمع في حياة ناظمه ، وان الشاعر كان يحتفظ بمسودات مكتوبة على قصاصات من الورق ، وفيها الكثير من الابيات المنظومة بصيغتين او اكثر ، وان الذي جمع شعره من بعده لم يظن لذلك فاقبت المكررات كما وجدها ، وان كثرة التصحيف والتحريف توحي بان الشاعر كان رديء الخط ، وان جامع الديوان كان سقيم الفهم ، فمن هذا

التكملة بملحقين ، الاول : يضم الشعر المنسوب للآزري وهو ليس له ، والثاني : يضم قصيدتين وردتا مكررتين مع بعض الاختلافات ، فثبت الاصل في الديوان ، واثبت المكرر في هذا الملحق .

طبعة الديوان السابقة :

طبع الديوان قبل طبعتنا هذه مرة واحدة في الهند بالمطبعة المصطفوية في (بمبي) سنة ١٣٢٠ هـ على نفقة الناشر المرحوم السيد رشيد السيد داود السعدي الموصلني ثم البغدادي . عدد صفحات هذه الطبعة (١٩٢) وعدد قصائدها (٩٨) بين قصيدة ومقطوعة ، تضم (٣٣.٧) بيتا عدا المكرر والنحو الذي مر ذكره . وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ، مليئة بالتصحيف والتحريف ، والإخطاء الفظيعة ، وقد جاءت فيها معظم العناوين واسماء المدوحين بعيدة عن الواقع . يضاف الى ذلك ان الناشر لم يشر الى المخطوطة التي طبع عليها الديوان .

ومهما يكن في هذه الطبعة من عيوب ونواقص فان عمل الناشر هذا قبل اكثر من سبعين سنة ، وتجشمه في سبيل ذلك مشاق السفر الى الهند ، وبذله المال اللازم ، عمل مشكور وتضحية لا يقدم عليها الا المتفاني في حب وطنه ، ولغة امته ، كيف لا وهو القائل في المقدمة :

« يقول رشيد بن سيد داود السعدي : لما رأيت ديوان فريد دهره وشمس عصره الشيخ كاظم الآزري البغدادي مداح حضرة امير المؤمنين ، وبصوب الوحدان ، الامام علي المرتضى عليه السلام تشناق اليه الادباء لجودة شعره وسهولته وعلوبته احببت ان اتحفهم بطبعه ، وقد زاد شففي ، وتضاعف شوقي لطبعه ونشره ما رأيت فيه من الدائع ، والتهاني لا كابر بغداد الذين كانوا في القرن الثاني عشر من الهجرة ... » فجراه الله جزاء العاملين المحسنين .

الديوان في وضعه الجديد :

اما طبعتنا هذه فقد بلغ عدد القصائد والمقطعات فيها مع التكملة (١٤٣) تضم ٤٤٧ بيتا ، اي بزيادة (٥١) قصيدة وقطعة تحتوي على (١١٦٤) بيتا .

لا اجزم بان هذا الديوان - رغم كل الجهود المضنية التي بذلت في سبيل تحقيقه - قد خلس من الشوائب ، فليس من المستبعد انه لا يزال يضم شعرا لغير الآزري (كالقصيدة ذات الرقم (٢٧) وغيرها) لم اتوصل الى معرفة أصحابه ، كما اكاد اقطع بان له شعرا كثيرا لا يزال مخبوءا في بعض المجموعات الخاصة التي لم يتيسر لي الوقوف عليها ، بدليل ان لشاعرنا صلات قوية بشخصيات عراقية اخرى مرموقة لم يرد ذكرها في الديوان ، وله مطارحات شعرية ومراسلات مع الكثير من اخوانه الادباء والشعراء في بغداد والوصل والنجف وغيرها . ولقد سمعت وراء هذه المجموعات بضع سنين في عدة مدن عراقية حتى تعبت ثم رجعت بخفي حنين ، وعسى ان يسعفني الحظ فاقت على هذه المجموعات كلها او بعضها في الوقت المناسب .

وقبل ان اختم كلمتي عن الديوان اود التنويه باهميته التاريخية بالاضافة الى قيمته الادبية .

معتما بذلك على ذوقي ، ومقدار فهمي لمعنى البيت ، مشيرا في الهامش الى الاختلافات الواردة في سائر النسخ حسب القواعد الآتية :

١ - اذا اتفقت النسخ كلها على كلمة مصحفة او محرفة ابقيتها في محلها كما هي ، وحجزتها بين قوسين (هكذا) ثم ذكرت الصواب الذي ارتأيت في الهامش ، ولم اشد من هذه القاعدة الا اذا كان البيت يتضمن تاريخا ، ففي هذه الحالة اصحح الخطا واذكر في الهامش ما كان عليه الاصل .

٢ - اذا اختلفت النسخ في رواية البيت اخترت من بينها اصح الروايات واحسنها ، واشرت في الهامش الى الروايات الاخرى .

٣ - اذا اختلفت الروايات ، وكانت كلها بعيدة عن الصواب عمدت الى تقويم النص حسب اجتهادي ، ووضعت في المتن بين قوسين معقوفين [هكذا] واثبت في الهامش ما ورد في الاصل .

٤ - اما اذا انفردت نسخة واحدة بايراد بيت ما ، وليس له وجود في مصدر اخر ، وكان في ذلك البيت خلل ، اصلحته ثم وضعت الكلمة المصلحة بين قوسين معقوفين ايضا ، واثبت الاصل المفلوط في الهامش .

٥ - وبهذه الطريقة المضنية استطعت ان استخلص هذا هذا الديوان من تلك النسخ المشوهة .

بقي شيء يجب الا اغفل عن ذكره ، هو ان بعض القصائد يعوزها التنسيق ، وقد هممت ان اعيد ترتيب ابياتها ثم عدلت عن ذلك لاني محقق مكلف بتقويم النصوص ، وليس من شائي اعادة نسق القصائد .

٦ - بعد ان اكملت التحقيق على الصورة المعروضة انفسا قمت بضبط الكلمات غسطا خفيفا يسهل القراءة ، ويرفع اللبس ، وبذلت وسعي في شرح الالفاظ ، وابراز معانيها ، سائكا في ذلك طريقا وسطا بين الاسهاب والايجاز ليستفيد منه اكبر عدد من القراء ، وهم على ما اعتقد متفاوتون جدا في درجة ثقافتهم ، ثم عثرت بالاعلام بتراجم مختصرة ، وابرزت او صححت اسماء المدوحين التي خفي علمها على جامعي الديوان او نساخه - ما استطعت - مستندا في ذلك على ما تضمنته القصيدة من اسماء او القاب ، او كنى صريحة ، او حوادث تاريخية معينة .

٧ - رتب الديوان على حروف المعجم ، مبتدئا في كل حرف بالضموم ثم المفتوح ، ثم المكسور فالساكن . واضفت اليه كل زيادة وجدتها في احدى النسخ المعتمدة ، وحذفت منه كل ما ثبت عندي بالدليل القطعي انه ليس للآزري ، فمن ذلك : قصيدة ليحيى بن سلامة النحسكي المتوفى سنة ٥٥٣ هـ ، واخرى لعزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ ، وقطعة لكامل الدين بن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ ، واخرى اوردها الابشيبي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ في كتابه المستطرف ، وقصيدة للشيخ حسين العشاري المعاصر لشاعرنا ، واخرى للشيخ محمد رضا الآزري . ثم التحقت بالديوان تكملة اثبت فيها ما عثرت عليه في المصادر الاخرى منسوبا اليه ، واتبعت

أي منذ أن نفذت الطبعة الهندية الصادرة سنة ١٢٢٠هـ ، فإن تلقى الديوان بالرضا والقبول فذلك - بعد رضا الله - غاية مقصودي ، وإن وجد فيه نقصا فليسعني عفو ، وليتذكر أن المعصمة والكمال لله وحده ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الاصطلاحات والرموز :

- ١ - استعملت ثلاثة أنواع من العلامات لترقيم الهوامش هي :
 النجمة (☆) لتراجم الاعلام
 الحروف الهجائية (ا ب ت) للهوامش التي لا تخص الشعر .
 أرقام تسلسل أبيات الشعر للتفسير والتعليق .
- ٢ - واستعملت الرموز الآتية للإشارة إلى نسخ الديوان المتتمدة في التحقيق :
 ط = النسخة المطبوعة
 خ/١ = المخطوطة العائدة لي
 خ/٢ = مخطوطة مكتبة الآثار العراقية المسجلة برقم ١٩٨٤ .
 خ/٣ = مخطوطة ثانية لمكتبة الآثار مسجلة برقم ١٩٢١ .
 خ/٤ = مخطوطة الاستاذ عدنان طعمة
 خ/٥ = مخطوطة الاستاذ صالح الجعفري
 خ/٦ = مخطوطة ثانية للاستاذ الجعفري
 خ/٧ = مخطوطة الدكتور محمد صديق الجليلي
 الاصول = النسخ التي اوردت القصيدة
 الاصل = النسخة التي انفردت بإيراد القصيدة .

فالشاعر ولد سنة ١١٤٢ ، وقامت دولة المماليك في العراق سنة ١١٦٢ وهو يافع ، وتوفي سنة ١٢١٣ على أرجح الروايات ، أي أنه عاش الحوادث الجسام في معظم أيام حكم المماليك ، ووعاها وسجلها بحكم اتصاله المباشر بالوالي سليمان باشا الكبير الذي دامت ولايته على العراق (٢٢) سنة ومدحه بالعديد من القصائد ، وكان على صلة وثيقة بالكثير من الشخصيات البارزة . ففي الديوان (١٨) قصيدة في مدح الحاج سليمان الشاوي هذا المشتبه بها و(٥) قصائد في مدح أبيه عبد الله الشاوي ، و (٥) قصائد في مدح ولده احمد ، وقصيدة في مدح أخيه محمد ، وأخرى في مدح أخيه عبد العزيز . كما مدح الكثير من العلماء ، والزعماء وكبار الموظفين أمثال السيد علي الاول نقيب الاشراف ، والشيخ جعفر الكبير ، والسيد صيغة الله الحيدري ، واحمد باشا كتنخدا الوالي سليمان باشا الكبير والسيد يحيى الفخري ، والسيد عبدالله الفخري ، وولده السيد اسعد الفخري ، ومحمد أمين باشا الجليلي وولده سليمان باشا الجليلي ، والشيخ حمود الحمود رئيس الخزاعل وعشائر الفرات الاوسط ، واحمد آل عبدالسلام البصري ، وغيرهم كثير . وفي معظم هذه القصائد سرد أو اشارات عابرة لبعض الحوادث المهمة ، وتسجيل للعادات السائدة آنذاك ، تهم المعنيين بشؤون العراق الحبيب ، وتاريخه المجيد .

كلمة الختام :

لا أريد أن أثبت ما عانيت وبذلت في سبيل تحقيق هذا الديوان وأخراجه من العدم إلى حيز الوجود ، فالجهد المبذول معوض بأشباع الرغبة ، وراحة الضمير . ولكن المهم أرضاء القارئ الكريم الذي انتظر هذا الديوان أكثر من ستين سنة ،



مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

الديوان

(١) قال يمدح اسعد افندي فخري زاده (٢) - (١)

- ١ - عبثت بلبك وجنة حمراء
أم لاعتبك ذؤابة سوداء
- ٢ - أم مرت النفحات وهي بليلة
فتحركت بحراكها الاهواء
- ٣ - أم أسهرت عينيك أخبار الالى
منعوا الرضا فتمنع الاغفاء
- ٤ - أم جاد المام الخيال بزورة
ثم ارعوى فألمت البرحاء
- ٥ - أم جددت ذكرى الشباب لك الاسى
أين الشباب وأين منه وفاء
- ٦ - كم مر في الماضين مثلك مدنف
عز الدواء له وأعيا الداء
- ٧ - ولو ان دائرة النجوم تعشقت
ما دار في قطب لها أرحاء
- ٨ - ومن التعلل ان تطارحك المنى
ما في مطارحة المنى استغناء
- ٩ - يا صاحبي ما عز قط لطالب
الا الصديق واخته العفقاء
- ١٠ - هل فيك من صلة فتطرق بي الحمى
جادتك يانادي الحمى انداء
- ١١ - حي يروك منه كيف لحظته
رشاً أغن وروضة غناء
- ١٢ - واذا سألت عن الفؤاد فانما
هتفت به يوم الحمى ورقاء

(*) هو السيد اسعد بن السيد عبدالله الفخري من بيت علم وادب ، ومن السادة الاعرجية في الموصل . خلف والده بعد وفاته في كتابة ديوان الولاية ببغداد سنة ١١٨٨ هـ . له ديوان باللغة التركية (مخطوط) . توفي في اوائل ايام سليم خان الثالث الذي تولى السلطنة سنة ١٢٠٣ هـ (تاريخ الادب العربي في العراق ٤٠/٢ ضمن ترجمة عبدالله الفخري و ٢٨٢/٢) .

- (١) لا وجود لهذه القصيدة في خ/٢ وخ/٥ وخ/٦ .
- (٢) في خ/٧ (النسمات) مكان (النفحات) .
- (٤) ارعوى : رجع . البرحاء : شدة الاذى والمشقة
- (٦) المدنف الماشق الذي اقله المرض . عز الدواء : ندر فلا يكاد يوجد .
- (٧) الأرحاء ، جمع الرحى : الطاحون
- (٨) طارحه الكلام : جاوبه ، وألقى كل منهما الاسئلة على الآخر .

- ١٣ - تشدو فيسعد بها البكاء على الاسى
ولربما تقع القليل بكاء
- ١٤ - ولقد ذكرت بذى الاراكة منزلا
نشرت جناحيها به السراء
- ١٥ - حيث الكؤوس كأنهن حمام
وكان (لجلجلة) الكؤوس غناء
- ١٦ - ومدانب الغدران يطفح ماؤها
والدوح ترقص تحته الاقياء
- ١٧ - واللثم يمتص الخدود كأنها
ديم الندى ظفرت به رمضاء
- ١٨ - حلت به حل الشقيق كأنما
صبغت حواشي جانبيه دماء
- ١٩ - الراح تسكب في الزجاج كأنها
نار احاط بجانيها امماء
- ٢٠ - والجو وعث بالغيوم قد التقت
فيه الصفوف وضاق منه فضاء
- ٢١ - فكان مرتكم السحاب عساكر
وكان خافقة البروق لواء
- ٢٢ - لله من لوهم يسكب كأسها
غابت على آثاره الندماء
- ٢٣ - حتى اذا دب بهم نشواتها
خروا لها موتى وهم احياء
- ٢٤ - من عاذري في وجنة موشية
زرت عليها اللامة الخضراء
- ٢٥ - لا تعجبين من اصفراري في رشا
حجبته عني الكلة الصفراء
- ٢٦ - علق بآذيله النوى فكانما
طار بلب حشاشتي الكوماء
- ٢٧ - لم يشجني الا ترقرق مرشف
تحميه عني الطعنة النجلاء

- (١٤) ذو الاراكة : موضع باليمامة .
- (١٥) اللجلة : التردد في الكلام وفيها معنى . ولعل الاصوب (جلجلة) وهي شدة الصوت .
- (١٦) المدانب ، جمع المدنب : مسيل الماء . الدوح ، جمع الدوحة : الشجرة العظيمة .
- (١٨) الشقيق : نبات احمر الزهر مبقع بنقطة سوداء ، ويسمى شقائق النعمان .
- (٢٠) الجو : ما بين السماء والارض . الوعث : الشقاق ، والعسر .
- (٢٦) النوى : البعد . الكوماء : الناقة الضخمة السنام .

- ٤٤ - لم يبق باق للضلال برشده
ان الظلام تميته الاضواء
- ٤٥ - قد صافحت منه المكارم سيدا
بفعاله تتوج العلياء
- ٤٦ - وبهزه بلل النوال (فينشي)
فكان راح الاريحي عطاء
- ٤٧ - ظفرت يد الرواد منه بمخصب
ثبتت براحة كفه الآلاء
- ٤٨ - ان المناقب كلهن بقية
من بعض ما تركت له الآباء
- ٤٩ - لم يقترن بدنية ومن الهدى
والفضل والتقوى له قرناء
- ٥٠ - يقضي على المتمردين بأنمل
للناس منها نعمة وشقاء
- ٥١ - وتدور شهب المكرمات بداره
فكانما أرض الكريم سماء
- ٥٢ - طلق اليدين تكاد انواء الحيا
تحكيه لو لم تسقط الانواء
- ٥٣ - تلقي الى يده الامور عنانها
فيصرف الاشياء كيف يشاء
- ٥٤ - كحلت به عين السعود وركبت
في ساعديه شجاعة وسخاء
- ٥٥ - وبلى تسيل بل البطاح وبارق
في كل مقتدح له ابراء
- ٥٦ - ملك متى طلعت طلائع رايه
نكصت على اعقابها الآراء
- ٥٧ - من آل أحمد والمقدسة التي
للمجد منها الطلعة الزهراء
- ٥٨ - ومطلق الدنيا ثلاثا لم يكن
لتغره البيضاء والصفراء

(٤٦) (فينشي) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف واضح ،
والصواب (فينشي) .

(٥٢) الحيا : المطر . الانواء ، جمع النوء : نجم كانت العرب
تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منه ،
فيقولون مطرنا بنوء السماء ، او بنوء الثريا .

(٥٥) الابراء ، من اورى الزند ابراء : اخرج ناره
(٥٧) المقدسة : فاطمة الزهراء (ع) . في الاصول هذا خ/٧
(فيها) مكان (منها) .

(٥٨) مطلق الدنيا : امير المؤمنين علي (ع) لقوله من كلمة رواها
ضرار بن ضمرة الكنايني لمعاوية - (يادنيا غري غري ،
الي تشوقت ، هيهات هيهات قد بابنتك لانا لا رجعة
فيها ... الخ) - الاستيعاب/١١٠٨ .

- ٢٨ - ويروقني للثم خد مقرطق
تنشق عنه شقيقة حمراء
- ٢٩ - ويشوقني الشنب الشثيت كأنما
نفضت عليه صباغها الصهباء
- ٣٠ - كل المحاسن للقلوب جواذب
وأخصهن المقلّة الكحلاء
- ٣١ - ياقلب جمع عن هواك فقد ذوت
تلك الرياض وجف ذاك الماء
- ٣٢ - لا تطمعن من الهوى بمخائل
هي ضلة للدهر واستهزاء
- ٣٣ - ان ضاع شعرك في الغرام فانما
بمديح أسعد تسعد الشعراء
- ٣٤ - ملك كأن الجود أقسم باسمه
ان لا ترى بوجوده فقراء
- ٣٥ - آلاؤه مثل النجوم سوافرا
في كل ناحية لها لآلاء
- ٣٦ - علم يمد العلم من انواره
فكانما هو للضياء ضياء
- ٣٧ - فلك احاط بكل شيء وسعه
فالبحر فيه والخليج سواء
- ٣٨ - ولكل ليث من سطاه تحذر
ولكل غيث في نداءه رجاء
- ٣٩ - يرعى المعالي الفر خير رعاية
فكانهن الاهل والابناء
- ٤٠ - يرنو بنور الله حيث تراكت
حجب الغيوب وطبق الاخفاء
- ٤١ - متهلل بالمكرمات كأنما
غذيت نمر لبانه الوظفاء
- ٤٢ - صلت الجبين كأن غر هباته
درر النجوم وداره الجوزاء
- ٤٣ - في كل يوم للنصار كنائب
وله عليها الفارة الشعواء

(٢٨) المقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد (معرب) .
شقيقة حمراء : انظر شرح البيت (١٨) .

(٢٩) الشنب حدة في الاسنان . الشثيت : الفرق ، في ط ،
و خ/٧ (الشنب) .

(٣١) جميع البعر : حركة للاناخة او العيس او النهوض .
في الاصول هذا خ/٧ (فانما) مكان (فقد ذوت) .

(٤١) الوظفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . اللبان : لبن
الرضاع . في خ/٧ (غدت نمر لسانه الاطفاء) .

(٤٢) الجبين الصلت : الواضح ، والبارز المستوى .
الجوزاء : أحد أبراج السماء .

(٢) وقال يمدح سليمان بك الشاوي

الشاهري الحميري (*)

- ١ - لمعت بروقهم على الدهناء
فأنحل عقد الدمعة الحمراء
- ٢ - عرب متى انتشق العليل عرارهم
كانت رياحهم رياح شفاء
- ٣ - من كل مكحول اللحاظ بالمد
يجلو غشاء الطخية العمياء
- ٤ - يستل من جفنيه أرهف صارم
فخرت به الموتى على الأحياء
- ٥ - وإذا ذكرت حديث رب رب ضارج
لا تنس ذكر أهلة الزوراء
- ٦ - بلد يفور الحسن من جنباته
فوران غيث من عيون سماء
- ٧ - هي بلدة أم جنة أم وجنة
شرقت بماء الدمية الأدماء
- ٨ - لم أنس ذكر الفيد أذ صارمني
وعلمن أن بقاءهن بقائي
- ٩ - أيام كانت للملاحة موردا
تنشق عنه مصادر الأهواء
- ١٠ - أيام ما كانت تفيق من الهوى
حتى استدارت دورة الأسواء

(*) هو الحاج سليمان بن عبدالله الشاوي ، أمير جليل ومن أبرز زعماء عشيرة العبيد . كان شاعرا أدبيا . من آثاره : سكب الأدب على لامية العرب ، وله مبرات جليلة منها إنشاء خان كبير بين قرية المحاويل وكربلاء بأوي إليه زوار المعينات المقدسة ، ووقف عليه أوقافا كثيرة ، كما أنشأ مدرسة وجامعا في عانة ووقف عليهما أوقافا . اغتاله أحد أقاربه (محمد بن يوسف العربي وأولاده) في أنحاء الخابور سنة ١٢٠٩ هـ . انظر ترجمته في تاريخ الأدب العربي في العراق ٤١/٢ ، وتاريخ العراق بين احتلالين (فهرس الجزء السادس) ، وتاريخ العصور المظلمة (الفهرس) ، ولب الألباب/١٧٨ .

- (١) الدهناء : أرض واسعة من ديار بني تميم .
- (٢) العرار : بهار ناعم أصفر طيب الرائحة .
- (٣) اللند : حجر يكحل به . الطخية : الظلمة ، والطخياء : الليلة المظلمة .
- (٥) الربرب : القطيع من بقر الوحش . ضارج : موضع بين اليمن والمدينة . الزوراء : بندا .
- (٧) الدمية : الصورة المنحوتة من الرخام تضرب مثلا في الحسن . الأدماء : السمراء .
- (٩) الأهواء ، جمع الهوى : ميلان النفس إلى ما تستلذ من الشهوات .
- (١٠) في الأصول عدا غ/٦ (يضيق) مكان (تفيق) .

٥٩ - شهدت له سود الوقائع أنه

- ٦٠ - في كلهن له اليد البيضاء
- ٦١ - يا أيها الهادي إلى طرق التقى
وكذا هداة العالم العلماء
- ٦٢ - أشكو اليك حوادثا دهرية
ضلت بها من قبلنا القدماء
- ٦٣ - تنضي عن السفلى الرعاع ومالها
عن وجه ذي الشيم العلى اغضاء
- ٦٤ - فاليك معتصم الطريد ثوت به
لحضيضها البأساء والضراء
- ٦٥ - أن الهدى علم وانت مناره
أن العلى قمر وانت سماء
- ٦٦ - ولانت أكرم جوهر من معشر
بيض إذا اعتكر الزمان أضاؤا
- ٦٧ - يحمى نزيلهم ويأمن جارهم
ولو استجارت فيهم الأعداء
- ٦٨ - أنتم بنو المختار ليس بمنكر
لكم الندى والعفو والأغفاء
- ٦٩ - ما شأنكم تقض العهود وشأنكم
أبرام عهد المجد والأيفاء
- ٧٠ - فاجدر ذيول الفخر أن أصوله
وفروعه أسلافك النجباء
- ٧١ - بكم تشرف جبرئيل وأوجبت
لكم عليه مودة وولاء
- ٧٢ - اني [أهنيكم] بعيد أكبر
[ووجوهكم] شرف له وهناء
- ٧٣ - بل انتم للعيد عيد أكبر
بأساؤه بوجودكم سراء
- ٧٤ - لا زلتم عون الضعيف [وركنه]
ما ضوعت بولاكم النعماء

- (٦٠) في غ/١ و غ/٣ و غ/٧ (الفنى) مكان (التقى) .
- (٦٣) المعتصم : الملجأ . الحضيض : القرار من الأرض .
- (٦٦) انغردت غ/٧ بإيراد هذا البيت وما بعده إلى آخر القصيدة .
- (٧١) في الأصل (أهنيكم) مكان (أهنيكم) و (وجهم) مكان (ووجوهكم) والتصحيف فيهما ظاهر .
- (٧٣) الركن : العز ، والنعة ، في الأصل (وكنه) وهو تصحيف .

- ٢٥ - يا صاحبي ترفقا بي انسي
كالريح قد علقت بذيل هباء
- ٢٦ - لا تطلبا مني الهدوء فاني
اعددته هديا ليوم لقائي
- ٢٧ - ومتى دعا داعي الصلاح فان لي
اذنا اليه شديدة الاصغاء
- ٢٨ - ضمنت لبارقة الفراق مفارقي
فليهنن اليوم ري بكائي
- ٢٩ - تسقى بادمعي الديار كأنها
غلل تبلل بديمة وطفاء
- ٣٠ - يابينهم كن كيف شئت فانما
برحائي الاولى بهم برحائي
- ٣١ - هيهات توقفتني على سلوانهم
سارت (مطايا) الحب في الاعضاء
- ٣٢ - يابعد ان فطى حجابك (عنهم)
فالشوق يهتك ستر كل غطاء
- ٣٣ - انا من علمت رضعت ندي وصالهم
وعلى الولاء طبعتم والايفاء
- ٣٤ - ان عيل صبري من اذاك فانما
ذاك الزناد كبا عن الابراء
- ٣٥ - كنا نشاوى اللهو قبل وداعهم
واليوم طارت نشوة الصهباء
- ٣٦ - اتروم مني اللهو صوح عوده
هيهات ادلي في المحال دلاني
- ٣٧ - يا محذرا بالبيض دون مزاره
سيل البطاح بانفس الامراء
- ٣٨ - لم أطو كشحا عن هواك وانما
علق الفراق بأذيل الرفقاء

- ١١ - اترى الزمان درى بما اوعى لنا
ان الزمان وعاء كل بلاء
- ١٢ - ونفائس الدنيا لاهل زمانها
كالماء خائنه فروج اناء
- ١٣ - لله قوم كلما غلت النوى
رخصت نفوسهم على الاهواء
- ١٤ - وجدوا بمقنية الغرام بقاءهم
فمشوا اليها مشية الغرماء
- ١٥ - فهموا اشارات الهوى قبل الهوى
ما اقنع الاكياس بالايماء
- ١٦ - اشقيتموني بعد اسعادي بكم
والمرء بين سعادة وشقاء
- ١٧ - نهتموني للغليل وان اكن
عن لذة الاغفاء في اغفاء
- ١٨ - لي فيكم قلب يقبله الجوى
في برددتين مودة ووفاء
- ١٩ - ومحاجر نجل الجراح كأنها
شرقت بوخر الطعنة النجلاء
- ٢٠ - يا اهل ودي هل يضيء زماننا
فيعود فيء الدوحة الخضراء
- ٢١ - حي (اللويلات) التي سلفت لنا
ما بين سالفتي سنن وسناء
- ٢٢ - حيث الصبا حالي الاديم كأنما
تلوى عليه ضفيرة الجوزاء
- ٢٣ - لا تنكروا دمع المحب فانه
كرة تدفق من كرات الماء
- ٢٤ - ودعوا حجاب البين فيما بيننا
ياشمس لا تبرقي (بسماء)

- (٢٧) في ط ، و خ / ١ (دامي الفلاح) .
- (٢٩) الفلل ، جمع القلة (بالضم) كالغلالة (بالكسر) :
شعار يلبس تحت الثياب . الديمة : مطر يدوم فيسكون .
وطفاء : مسترخية لكثرة ماثها .
- (٣٠) البين : الفراق . البرحاء : شدة الالام والمثقة .
- (٣١) (مطايا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (طوايا)
جمع طوية ، وهي الضمير والنية .
- (٣٢) (عنهم) كذا ورد في الاصول . والصواب (عينهم) والعين :
الانسان ، واهل البلد ، واهل الدار ، والجماعة ،
وخيار الشيء ، ومعان اخرى .
- (٣٣) في الاصول عدا خ / ٧ (من غلعة) مكان (انا من علمت) .
- (٣٨) طوى الكشح عنه : اعرض عنه . اذبل ، جمع ذبل ،
وهو اخر الثوب ، والازار .

- (١١) اوعى : خبا ، وجمع ، وحفظ .
- (١٢) الاهواء ، جمع الهوى : العشق ، والمعشوق .
- (١٦) في الاصول عدا خ / ٥ (بعد) مكان (بين) .
- (١٩) المحاجر ، جمع الحجر : ما دار بالعين . النجل ، جمع
النجلاء : الواسعة . في الاصول عدا خ / ٧ (تجلس
الجراح) .
- (٢٠) يفيء : يرجع . الفئء : الظل . الدوحة : الشجرة
العظيمة المتسعة من اي الشجر كانت .
- (٢١) (اللويلات) كذا ورد في الاصول والصواب (الليليات) .
سلفت : مضت ، وتقدمت . السالفة صفحة العنق ،
وهما سالفتان .
- (٢٢) اديم الصبا : اوله ، وروثه . الجوزاء : اسم يطلق
على احد البروج الاثني عشر .
- (٢٤) (بسماء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بطحاء)
او (بعماء) او (بطحاء) وكلها بمعنى السحاب الكثيف .

- ٥٢ - ينبوع روحانية الحكم التي
تنهل بالانوار والانواء
٥٣ - قيسي رأي لا ترى آراءه
الا ملوك رعية الآراء
٥٤ - عبل الجلال رقيق حاشية الندى
للمجد فيه مجامع الاهواء
٥٥ - لم تنكر الايام حدة عزمه
فأتته ماشية على استحياء
٥٦ - يا ابن الذين اذا تعطلت الوغى
كانوا حلي عواطل الهيجاء
٥٧ - والمرتقين الى ثنيات المنى
بسراة كل طمرة جرداء
٥٨ - والسائقين الى الملوك سحائب
لا تستهل بغير ماء دماء
٥٩ - ان شف وصفك عن ملاحظة النهى
فالماء لا يبدو لعين الرائي
٦٠ - واذا اتخذت لك النوال تميمة
فالمكرمات تماثم الكرماء
٦١ - خفيت معانيك الحسان عن الورى
والكيمياء أحق بالاخفاء
٦٢ - فاسلم ودم في عيشة شرفية
تنحط عنها همة الشرفاء
٦٣ - للسعد في كلتا يديك أزمة
ولحادثات الدهر طوع اماء
٦٤ - فانا ابن ودمك الطبيعي الذي
كانت مودته من القدماء

- ٣٩ - كم بت أرعى السائرات كأنني
منها أراقب أعين الرقباء
٤٠ - خانت بدمتي الخطوب وهل لها
الا الكريم بقية الكرماء
٤١ - المدرك الامد البعيد بسابق
من دون خطوته باووغ ذكاء
٤٢ - الخارق النوب الشداد برأيه
خرق الصباح غلالة الظلماء
٤٣ - شغف الصبا منه بأبلج واضح
سالت عليه غدائر العلياء
٤٤ - يحيي براحتة السخاء وربما
تؤذي شحيح الطبع ربح سخاء
٤٥ - القاتل الآلاف يوم كرهية
والواهب الآلاف يوم عطاء
٤٦ - والطاعن البهم الكماة بنافذ
يمضي مضاء النار في الحلفاء
٤٧ - قناص حرب يعتري آسادها
فيصيدا بالصعدة السمراء
٤٨ - واخو السجاياء المفققات كأنها
(أخلاق) كل ملثة وطفاء
٤٩ - ريحانة الادباء بل ياقوتة (م)
الامراء بل اقلیدس الحكماء
٥٠ - ذو راحتين يد على العادي ردى
ويد جدى وندى على الفقراء
٥١ - وأغر في مرآة جوهر علمه
لاحت وجوه غوامض الاشياء

(٥٣) قيسي رأي : نسبة الى قيس بن زهير بن جذيمة العبسي،
أحد السادة القادة ، وكان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه،
وهو معدود في الامراء والشجعان ، والدهاء ، والخطباء ،
والشعراء . (الاعلام للزركلي ٥٥/٦) . لا وجود لهذا
البيت في ٧/خ ، وفي ط و ١/خ و ٢/خ و ٣/خ (رعية
الامراء) .
(٥٤) عبل : ضخم . الندى : الجود
(٥٥) في الاصول عدا ٥/خ و ٦/خ (عواطل الاشياء) .
(٥٧) الثنيات ، جمع الثنية : العقبة ، والجبل . السراة :
الظهر . الطمرة : الفرس الجواد . الجرداء : القصيرة
شعر الجلد .
(٥٩) شف : رق ، وزاد ، ونقص ، والمعنى الاول او الثاني
هو المقصود . النهى : العقل .
(٦٠) التميمة : العوزة . في الاصول عدا ٧/خ (السؤال) مكان
النوال .

(٣٩) السائرات : يريد بها النجوم . في الاصول عدا ٥/خ و ٦/خ
(كأنما) مكان (كأنني) .
(٤٣) الابليج : المشرق . الغدائر جمع الغديرة : اللؤابة . لا
وجود لهذا البيت في ٧/خ .
(٤٤) في ٣/خ و ٥/خ و ٦/خ (تحببه رائحة السخاء) وفي
٧/خ (شغف لرائحة السخاء) .
(٤٦) البهم : الشجعان . الكماة ، جمع الكمي : لابس
السلاح . في ٧/خ (الاعضاء) مكان (الحلفاء) .
(٤٧) يعتري الآساد : يشغاهم . في ط و ٣/خ و ٦/خ (آساده) .
وفي الاصول عدا ٧/خ (فيصدها) مكان (فيصيدا) .
الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى متقف .
(٤٨) (أخلاق) كذا ورد في الاوتال والصواب اخلاف ، جمع
(خاف) : حلقة ضرع الناقة ، يقال : درت اخلاف
السحاب .

(٣) وقال يمدح سليمان (١) باشا الكبير

- ١ - حدث عن السعد لا نكر ولا عجب
فالسعد بحر من الاقدار منسكب
- ٢ - ولا تظن القنا تجدي بمفردها
السعد رأس واطراف القناذب
- ٣ - لولا ملاحظة الافلاك من سعد
ما كان قلب الحديد الصلد يجذب
- ٤ - كم فنية لحظ التأييد قلتهم
وغالبوا العدد الاوفى فما غلبوا
- ٥ - والحظ يمنح لاجود ابن منجبة
فربما لم تجد بالقطرة السحب
- ٦ - لولا الحظوظ لما الفيت ذا بله
يجني النضار وشهم القوم يحتطب
- ٧ - تا لله كم قاعد يؤتى خزائنها
وربما لا ينال القوت مكتسب
- ٨ - اما ترى كيف قاد الحظ موكبه
الى سليمان حتى انقادت الرتب
- ٩ - يا ايها العدل والجود ارقصا طربا
فما يعاب على مثليكما الطرب
- ١٠ - وافاكما العادل البر الذي انشعبت
به المظالم والتامت به الارب
- ١١ - وافى المؤدب فالدنيا وان جهلت
فاليوم يقطر من اطرافها الادب
- ١٢ - ابدت قوارعها الغضبي بشاشتها
من بعد ما كان يفري درعها الغضب

(١) وردت هذه القصيدة في خ/١ و خ/٢ و خ/٦ بغير عنوان ، وجاء في ط و خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ و خ/٧ انها في مدح الحاج سليمان بيك الشاوي ، والصواب انها في مدح سليمان باشا الكبير ، وهو السادس من (البشوات) الماليك في العراق ، تولى بغداد سنة ١١٩٤ هـ واستمر حكمه الى ان توفي سنة ١٢١٧ (دوحة الوزراء / ٧٣-٢١٨) ودليلنا على ذلك ان الشاعر تكلم في البيت (٢٨) وما بعده الى اخر القصيدة عن حرب المدوح مع خزاعه ، وكيف انهم استعملوا الخداع (محاولتهم اغراق الجيش) وانه حاربهم بسلاحهم فسد عنهم نهر الفرات حتى جازا اليه مستسلمين فعفى عنهم . وتلك وقعة مشهورة للباشا المذكور مع خزاعة حدثت سنة ١١٩٩ هـ (انظر العراق بين احتلالين ٩٤/٦) .

- (١) في خ/١ (فالسعد معجزي) وفي خ/٧ (من الاقدار منسكب) .
- (٣) الافلاك ، جمع الفلك : مدار النجوم . الصعد (بالتحريك) الموضع العالي .
- (٥) لا وجود لهذا البيت في ط و خ/٣ و خ/٦ .
- (٦) البله : ضعف العقل . النضار : الذهب

- ١٣ - وافى اخو نهر باتت تسالسه
خيل الليالي التي من شأنها الحرب
- ١٤ - شديد عزم كان الحزم قال له
لا يصدق النيل حتى يصدق الطلب
- ١٥ - فضائل حملتهن الثرى عجا
وفعل هذي الليالي كلها عجب
- ١٦ - كانه وملوك الارض في همم
خزر العواسل يوم الطعن والقضب
- ١٧ - لا يقبل الفتح الا حكم صارمه
تلك الرحى ما لها من غيره قطب
- ١٨ - فتح يدور على حدي مخدمه
كما يدور على مشمولة حجب
- ١٩ - له يد ليس يصلى نارها رجل
وكان من طرفيها الماء ينسكب
- ٢٠ - وحسب جحفله المرعي جانبه
جياذ نصر متى هموا بها ركبوا
- ٢١ - من كل ذي شطب في منته اسد
تنقد من لحظه الماذية اليلب
- ٢٢ - تلاعبوا بالمايا عابثين بها
كان جد المايا عندهم لعب
- ٢٣ - يؤمهم علم الاسلام معلمه
لولاه لم تصب الاوثان والصلب
- ٢٤ - موكل بحجاب الغيب يخرقه
فما عليه بحمد الله يحتجب
- ٢٥ - اذا رمى عن قسي الرأي أسهمه
مضت تميظ له ما وارت الحجب
- ٢٦ - يافارس الخيل مقربها اسود وغى
أدنى فرائسها الايام والنوب
- ٢٧ - اتعبت حزمك فارتاحت عواقبها
من الاماني وعقبى الراحة التعب
- ٢٨ - ان المناصب لم تدرك بلا تعب
كانما أبواها الجد والنصب

- (١٣) النهر (ككتف) : الاسد . الحرب (بالتحريك) : السلب . في الاصول عدا (ط) - (باتت مسالة) .
- (٢١) ذو شطب : سيف في نصله خطوط . في منته : في قوته . الماذية : الدرع اللينة . اليلب : الفولاذ ، والدروع اليمانية . كلما ورد صدر البيت ولعل الصواب (من كل ذي شطب في كف ذي لبد) .
- (٢٢) في خ/٧ (مائلين بها) و (حب المايا) .
- (٢٥) في ط ، و خ/١ و خ/٦ (ماوارب) مكان (ماوارت) وفي الاصول عدا خ/٧ (يميظ لها) .
- (٢٦) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .
- (٢٨) في الاصول عدا خ/٤ (بلا نصب) مكان (بلا تعب) .

- ٤٤ - ظنوا الظنون وراحوا يخطون بها
عشواء يركض فيها الفتي والريب
- ٤٥ - اظماهم العجز فاستسقوا خدامهم
ولم اخل لبن الشولاء يحتلب
- ٤٦ - تابوا ولكنهم من بعد ما عطبوا
ما استنبط الراح حتى عذب العنب
- ٤٧ - لم يسلموا رغبة بل عابوا همما
بجلها بيضة البيضاء تجتلب
- ٤٨ - وجحفلا يتهادى في اكفهم
من المني والمنايا جحفل لجب
- ٤٩ - شروا بذلك الفدا امنا لانفسهم
والامن طورا ببذل المال يكتسب
- ٥٠ - ونازلونا بأرمح مثقفة
من السؤال فنالوا كل ما طلبوا
- ٥١ - فان طلبت الفدا صونا لعرضهم
فان صون العذارى بعض ماتهم
- ٥٢ - تالله ما حكموا الا اخا كرم
يرضى بتحكيمة العرفان والادب
- ٥٣ - أشف من جوهر الاكسر نائله
هذا ومطلبه للناس مقترب
- ٥٤ - له من الله اسباب تؤيده
مهما بدا سبب منها بدا سبب
- ٥٥ - ألقى عصا امره في الماء مندققا
فقام بين يديه وهو منتصب
- ٥٦ - يبين عن معجم العلياء معربها
لا العجم تدرك معناه ولا العرب
- ٥٧ - سد سدود ثغور المفلسين به
فصار للمجد شعبا ليس ينشعب

- ٢٩ - ورب عادية اخمدت جدوتها
ببارق المتن لم يخمد له لهب
- ٣٠ - حطمتها حطمة تنهي الوغى وكفى
لنار سيفك من آجالها حطب
- ٣١ - تركتهم اذ شطرت الخيل شطرهم
كاليم تضربه ريح فيضطرب
- ٣٢ - حصرى على الامن قد شالت نعماته
منها وعرس في ابياتها الرعب
- ٣٣ - نهضت بالجد لم تعتمد على حسب
والجد ينهض بالانسان لا الحسب
- ٣٤ - انت المقدم في اولى طلائعها
وهي السحائب خلف الريح تنسحب
- ٣٥ - تالله لو مطرت بالموت ديمتها
لاصبحوا مرتعا ترعى به القضب
- ٣٦ - رأت خراعة من عطفك ذا لبد
له الفتوة ام والاباء اب
- ٣٧ - وفي اناملك الامال لامعة
كانهن بروج حشوها الشهب
- ٣٨ - وفي جبينك من رقمي ظبي وقتنا
حروف مجد خلت من مثلها الكتب
- ٣٩ - فأيقنوا انك الاوفى اذا وزنوا
وانك الكاتب الماحي لما كتبوا
- ٤٠ - قادوا نفوسا الى ناديك سامية
لم ترضها من سماوياتها رتب
- ٤١ - وارغموا لك اجلالا انوفهم
لما راوا بك انف الدهر يقتضب
- ٤٢ - ولو أتوك على رأس بلا قدم
لما قضا لك الا بعض ما يجب
- ٤٣ - لم تنجهم خرزات الطمن من تلف
لكن نجوا هربا فليحمد الهرب

- (٤٥) الشولاء : الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها
اصلا . في الاصول عدا : ط ، و خ/٥ و خ/٦ ورد عجز
هذا البيت وعجز البيت الذي بعده كل بمحل الآخر .
هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في
خ/٧ .
- (٤٦) (تابوا) كذا ورد في الاصول ولعلها (تابوا) . في ط ،
و خ/٢ (لم يصلح الراح حتى يفسد العنب) .
- (٤٧) لم يسلموا : لم ينقادوا ، ولعلها (ما استسلموا) .
الجلب : السوق ، والجمع . البيضاء : الداهية .
- (٥٠) (ونازلونا) كذا ورد في الاصول ، ولعله (ونازلوك)
- (٥٢) أشف : الطف ، وأفضل . الاكسر : ما يلقى على الفضة
ونحوها ليحيله الى ذهب خالص ، وهو من خرافات
الاقدمين .
- (٥٤) بدا (الاولى) من بداله في الامر بدوا وبداء : نشأ له
فيه رأي ، و (الثانية) من بدا بدوا وبدوا : ظهر ،
وبان .

- (٢٩) العادية : جماعة القوم يعدون للقتال ، وقيل اول من
يحمل من الفرسان ، او الرجالة . في ط (عارية) مكان
(عادية) ، وفيها وفي خ/٥ و خ/٦ (لها لهب) . لا وجود
لهذا البيت والبيتين اللذين بعده في خ/٧ .
- (٣٠) تنهي الوغى : تشبعها ، يقال : اكلنا الطعام حتى
هشنا ، اي شبعنا .
- (٣١) شطرت الخيل شطرهم : وجهتها قصدهم . في ط و خ/١
و خ/٢ و خ/٦ (شطرتهم اذ شطرت) .
- (٣٦) خراعة : القبيلة المشهورة وتسمى في العراق (الخزاعل) .
كانت لها اماره عظيمة في الفرات الاوسط في عصر حكومة
المماليك في العراق . ذو لبد : الاسد . في ط ، و خ/١
و خ/٢ و خ/٦ (ومت) مكان (رأت) .
- (٤١) قصب انفه : قطعه .
- (٤٣) خرزات الطمن : نظامه .

(٤) وقال يمدح عبدالله بيك الشاوي الحميري (*)

بعد تغلبه على بعض المتمردين في أطراف ماردن (١)

- ١ - هي الهجائن والقب السراحيب
فاطلب بها المجد ان المجد مطلوب
- ٢ - واقدم بها غير هياب ولا وكل
فكل امر جرى في اللوح مكتوب
- ٣ - وخلصها في سبيل المجد مرقلة
فكل سعد بغير السعي مكذوب
- ٤ - ولا ترم مطلباً الا بقائه
فما وعود المنى الا اكاذيب
- ٥ - واصحب صروف الليالي في تغلبها
فليلالي تصارييف وتقليب
- ٦ - واشرف الملك ما ارسى قواعد
بيض المبائر والسمير اليعاسيب
- ٧ - وخض بها غمرات الموت مقتحما
فالدر تحت عباب اليم محجوب
- ٨ - وانزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقدار مغلوب
- ٩ - وما لام العلي كفؤ سوى رجل
بنانه بدم الاقران مخضوب
- ١٠ - واعلم الناس بالعلياء مطلوبة
من حنكته بها منه التجارب

- ١١ - وان تكن جاهلا في نهج مطلبها
فذاك نهج بعبد الله ملحوب
- ١٢ - القائد الفيلق الشهباء يقدمها
منه طويل نجاد السيف يعسوب
- ١٣ - كتاب مثل موج اليم ذي لجج
تسري به ولخيل النصر تسريب
- ١٤ - ورب دهباء غشى الدهر غيبتها
به انجلت عن دياجيبها الجلايب
- ١٥ - مجد سما [الذرى] العيوق ممتطيا
فللمنى فيه تصعيد وتصويب
- ١٦ - فقل لمن بالعلی امسى يطاوله
لا تستوي الاكم والشم الاخاشيب
- ١٧ - تلك العلى بسواه قلما اجتمعت
مراتب زانها جمع وترتيب
- ١٨ - وان تجد عجبا منه فلا عجب
وما يسدع من البحر الاعاجيب
- ١٩ - فليهنه من سماء المجد منزلة
لها على النسر تأييد وتطينيب
- ٢٠ - من اصيد خفقت راياته وسمت
فاهتز منها الصياصي والاهاضيب
- ٢١ - فساق من ماردن الماردن وقد
ولى رجوما عليها ساقها الحوب
- ٢٢ - وحلها بعدما (عاد) الخلاف بها
واليوم يسرح فيها الشاء والذيب

- (١١) النهج : الطريق . المحبوب : الواضح .
- (١٢) الفيلق : الشهباء : الكتيبة الشديدة ، وعبرة اساس البلاغة (وماهم بفيلق شهباء وهي الكتيبة المنكرة) .
- اليعسوب : الرئيس الكبير . في الاصول عدا خ/٧ (يعسوب) .
- (١٣) التسريب : مرور الخيل سربا ، اي جماعة بعد جماعة .
- (١٤) العيوق : نجم احمر مضئ في طرف المجرة الايمن . في خ/٧ (مجد معاكند العيوق) ، وفي باقي الاصول (مجد سما لنرى العيوق) ولعل ما اثبتته هو الصواب .
- (١٦) الاخاشيب : الجبال العظيمة ، في خ/٧ (الشم الاخاشيب) .
- (١٧) في الاصول عدا خ/٧ (فط ما اجتمعت)
- (١٩) النسر : توكب ، وهما نسران : النسر الواقع ، والنسر الطائر . التأييد : الدوام الى الابد . التطينيب : شد البيت بالاطناب . في الاصول عدا خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ (تأييد وتطينيب) .
- (٢٠) الصياصي : الحصون . الاهاضيب ، جمع الهضبة : ما ارتفع من الارض .
- (٢١) ماردن : مر ذكرها انفا في الفقرة (١) . الماردون : العصاة المتمردين على الحكومة . الحوب (بالضم) : الهلاك .
- (٢٢) حلها : نزل بها . (عاد) كذا ورد في الاصول ، والصواب (عات) . وفي الاصول ايضا عدا خ/٦ (الشاة) مكان (الشاء) .

(*) هو عبدالله بن شاوي الشاهري ، ابرز زعماء عشائر المبيد . تولى ادارة شؤون العشائر في العراق . قتله الوزير عمر باشا سنة ١١٨٣ هـ خوفا من اتساع نفوذه . هكذا ورد تاريخ الوفاة في (العراق بين احتلالين) ٤١/٦ و (الاعلام) للزركلي ٢٢٤/٤ ، غير ان الشاعر ادخ وفاة المترجم له سنة ١١٨٨ في اخر بيت من القصيدة (٢٧) التي مطلعها :

لمري خلت تلك الديار ولم تزل مطالع سعد او مطارح جود
ولان هذا التاريخ ورد في قصيدة اخرى في رثاء السيد
عبدالله الفخري فلا يعول عليه :

(١) ماردن : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ، ونصيبين . كانت في العهد العثماني تابعة لديار بكر ، وتلحق في بعض الاحيان بولاية بغداد . ولم اجد ما يلقى الضوء على وقعة ماردن هذه في المصادر التي تحت متناول يدي .

- (١) الهجائن : من الابل البيض الكرام . القب ، جمع الاقب : الضامر من الخيل . فرس سرحوب : طويلة ، توصف به الاناث ، جمعها سراحيب .
- (٢) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
- (٤) بقائه ، اي بقاء السيف .
- (٦) الرماح اليعاسيب : الضامرة المثقفة .
- (٩) في الاصول عدا خ/٧ (الاقدار) مكان (الاقران) .

(٥) وله (١) في مدح أحمد بيك (*)

- ١ - هل المجد الا مرهف الحد احذب
واتلح موار العنان مكوكب
- ٢ - ومن يدعي العلياء فيما سواهما
تجبه العلى جدعا لانفك تكذب
- ٣ - وليس يسوس الملك الا سميذع
طويل الشوى شثن البرائن اغلب
- ٤ - ومن يعشق العلياء لم يمقت الردى
ومر الاسى في المالكية يعذب
- ٥ - ورب هوان يسهل الموت عنده
وينسيك صعب الموت ما هو اصعب
- ٦ - وفي كل شيء لو تقسمت آية
وأعجب ما في الدهر من ليس يعجب
- ٧ - ولم يرصفو العيش من فاته الصبا
فان القذى في آخر الكأس يرسب
- ٨ - وكم معرب اهواءه وهو معجم
وكم معجم خشناءه وهو معرب
- ٩ - ورب ثناء عند آخر سبة
وابعد من شائيك من هو اقرب

(١) هذه القصيدة غير موجودة في خ/٥ و خ/٦ ، ولا يوجد منها في ط سوى البيتين (١٢) و (١٣) ، ووردت في خ/١ و خ/٤ بغير عنوان وفي سائر الاصول انها في مدح أحمد بيك .
(*) احتمل انه أحمد بن الحاج سليمان الشاوي . ورد ذكره في دوحة الوزراء/١٨٥ بان الحكومة وجهت سنة ١٢٠١ هـ حملة الى جهة الخابور للاجهاز على الحاج سليمان الشاوي ، وعشائره المتجمعة هناك ، ولما علم الحاج سليمان بامرهما وجه معظم قواته بقيادة ولده أحمد فباشرت الحملة بهجوم خاطف قرب الفلوجة ، وقتل منها عددا كبيرا ، منهم (الكرى سنجلقي بكر باشا) واسر قائدها (خالد افغا) ومتصرف كويسنجق (محمود باشا آل نمر باشا) وتشتت الياقون . وورد ذكره في تاريخ العراق بين احتلالين ١٥٥/٦ في حوادث سنة ١٢١٨ هـ : ان الوزير (علي باشا) غضب على محمد بيك وعبد العزيز بيك ولدي عبدالله الشاوي فأمر بخنقهما فخنقا ، وكان معهما أحمد بيك بن الحاج سليمان فقيده وحبس (انتهى) ولم اقف على تاريخ وفاته .

- (١) الاحذب : السيف . جواد اتلح : طويل المنق . موار : متحرك . مكوكب : فيه غرة وتحجيل .
- (٢) السميذع : السيد الكريم الشجاع . الشوى : البدان ، والرجلان . الشثن : الفليظ والخشن . البرائن : جمع البرن ، وهو من السباع بمنزلة الاصابع من الانسان .
- (٦) تقسم فلان : فكر وروى بين امرين . في خ/٢ و خ/٧ (توسمت) وفي خ/٣ (تسمت) وفي خ/٤ (توسمت) مكان (تقسمت) وما أثبتته من ١ .
- (٨) في الاصول عدا خ/٧ (اهواء) مكان (اهواء) و (حشاء) مكان (خشناء) .

٢٣ - وطبق الغرب بعد الشرق نائله

- وللسحائب تشريق وتغريب
- ٢٤ - فجرد القرم منه حد ذي شطب
ظام لفيض دم الاعداء شريب
- ٢٥ - والسعد مقترن والرغد مقترب
والجيش والعدل منصور ومنصوب
- ٢٦ - وكل قافية في المجد قد بهرت
له الموازين منها والتراكيب
- ٢٧ - مكارم نظمت في الشعر فابتهجت
تلك القواليب منه والاساليب
- ٢٨ - ولى الالى عقلوها في معاقلها
ضحى تظلم الغيم الانايب
- ٢٩ - فمن قلبي بجمع الشمل شملهم
فيرتوي بزال الماء ملهوب
- ٣٠ - وهل تبلفني عنهم مغفلة
واطيب الريح ما يهدى به الطيب
- ٣١ - بمن ومن وفيمن بعدهم ولن
نبت بأهل العلى المهيرة النيب
- ٣٢ - ورب سيف برى اوداج صيقله
وحافر لقلب فيه مقلوب
- ٣٣ - فلا يهكم غيظ الحاسدين اذا
ما أبرموا أمرهم فالامر (ترتيب)

- (٢٤) القرم : السيد ، والمظيم . الشطب : جمع الشطبة : طريقة السيف في منته .
- (٢٦) القافية : القصيدة . في ط (شهرت) مكان (بهرت) .
- (٢٧) القواليب : جمع القالب : الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها ، وفي اساس البلاغة (يتقلب في قواليب الانتساب ، ويخبط في اساليب الانتساب . في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٤ و خ/٦ (اقاليب) مكان (قواليب) وفي خ/٧ (المتاليب) مكان (الاساليب) .
- (٢٨) الغيم (بالكسر) جمع الغيمان : العطشان . الانايب : الرماح ، ويريد انها متعطشة للدماء . لا وجود لهذا البيت في خ/٤ .
- (٣٠) المغفلة : الطيبة ، والرسالة المحمولة من بلد الى بلد . في ط ، و خ/٣ (تبلفني) مكان (تبلفني) ، وفيها وفي خ/١ (واطيب الطيب) .
- (٣١) نبت : بعدت . المهيرة : الابل المنسوبة الى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، يقال انها تسبق الخيل . النيب : الابل المسنة .
- (٣٢) الاوداج : جمع الودج : عرق الاخدع الذي يقطع الدايح فلا تبقى معه حياة . في ط ، و خ/٣ و خ/٤ و خ/٦ و خ/٧ (منه) مكان (فيه) .
- (٣٣) (ترتيب) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (ترتيب) من التباب ، وهو النقص والخران .

- ٢٥ - وكم غارة أردفتها اثر غارة
مواقف فيها رابط الجأش مربع
٢٦ - اليك أبا الهيجا حثت اياتقا
بذكرك تحذوها الحداة فتطرب
٢٧ - نجوز بها اجواز كل تنوفة
تظل بها الحرباء للشمس ترهب
٢٨ - وما برح الشوق الملح يزجها
الى ان (ربي) للمجد بيت مطنب
٢٩ - ونار قرى للافق تعلق كأنها
بشار من (الشوس الميصاء) تطلب
٣٠ - فثمت القيت العصا في فنائها
وهل بعد عذب الماء للهيم مطلب
٣١ - ورحت على رغم (ليوم) أجرها
مطرزة فوق السماكين تسحب
٣٢ - وغير عجيب ان بلغت بها السها
فبالقرب حكم الشيء للشيء ينسب
٣٣ - وبى [نفر] قد ادلجوها عشية
فأضحت ببحر الآل تطفو وترسب
٣٤ - أجل قوضت بالرغم منى قباهم
فشرقت والاحداث (شيء تغرب)
٣٥ - تعلمت اسباب الرضاخوف سخطها
وعلمها حبي لها كيف تغضب
٣٦ - أرى القرب منها وهي تنأى بجانب
وما كنت لولا الحب تنأى وقرب
٣٧ - وباعز قد عز التواصل بيننا
وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب
٣٨ - وانى على ما بي من العزم والنوى
(أغالب فيك الشوق والشوق أغلب)

- (٢٨) (ربي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بدا) .
المطلب : المشدود بالطنب وهو جبل طويل .
(٢٩) (الشوس الميصاء) كذا ورد في الاصول ، والصواب
(الشعري الميصاء) وهي كوكب معروف .
(٣٠) الهيم : العطاش . في خ/٧ (للهيم) مكان (للهيم) .
(٣١) (رغم ليوم) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (رغم
اللاثام) او (رغم الحسود) . السماكان : كوكبان .
(٣٢) السها : كوكب خفي من بنات نكس . في الاصول عدا
خ/١ (فبالقرب حكم الشيء بالشيء يقرب) .
(٣٣) في خ/١ (وبى نظر قد ادلجوها) وفي سائر الاصول (وفي
نفرات ادلجوها) ولعل الصواب ما أثبتته .
(٣٤) كذا ورد عجز البيت في الاصول ولعل الصواب (فشرقت
والاحداث شتى - وغربوا) .
(٣٧) عنقاء مغرب : طائر مجهول الجسم ، والعرب اذا اخبرت
عن هلاك شيء قالت (خلقت به عنقاء مغرب) .
(٣٨) عجز هذا البيت مضمّن من بيت المتنبي :
أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

- ١٠ - ولا يصطلي الهيجاء الا ابن امها
فما مريض الاساد للعين ملعب
١١ - وصمم اذا ما أمكنتك مضارب
الارب خير كان بالشر يجلب
١٢ - ولا تحسمن جبل الوداد على النوى
فرب بعيد بالمودة يقرب
١٣ - ولازم ذوى الاحساب في كل حاجة
الا كل ما يبدو من الطيب طيب
١٤ - وما الفضل الا فضل احمد عصره
وان رغمت آناف قوم وكذبوا
١٥ - وراعت فؤاد الدهر منه بأروع
تناشد غسان فتسمع تغلب
١٦ - حليم تجلي اوجه الغيب دونما
يراه وهل يبقى مع الشمس غيب
١٧ - ويفخر بالطولى من الكوم عرع
وانجها لوعد في البدن انخب
١٨ - ويهتز للعرف اهتزازا كأنه
من البيض سيال الفرند مشطب
١٩ - فتى طبق الافاق (فضلا) ونائلا
فاضحى على الحالين يرجى ويرهب
٢٠ - من القوم جلى فعلهم عن نجارهم
وفعل الفتى عن مضمر الاصل يعرب
٢١ - ومن عجب في الحال تجني رضاءه
ويوشك تجني السم ان بات يفضب
٢٢ - وخافقة الاعلام تلهب نارها
بدا كوكب منها اذا شال كوكب
٢٣ - رميت بصدر ابن الوجيه فؤادها
فأبت على أعقابها تتكبكب
٢٤ - وجئت بقود يلمع النصر فوقه
ومن خلفه غلب الرقاب تنقب

- (١٧) الكوم ، جمع الاكوم : البحر الضخم السنام . العرع
من الابل : السمين . انخب : اضعف .
(١٨) فرند السيف : جوهره . سيف مشطب : في منته خطوط .
(١٩) (فضلا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (فضلا)
والاصوب (باسا) بدليل قوله (يرجى ويرهب) .
(٢١) في خ/٤ و خ/٧ (ومن شك) مكان (ويوشك) .
(٢٢) شال : ارتفع ، وغاب . في خ/٢ و خ/٤ و خ/٧ (اذا سار
منها كوكب سال كوكب) .
(٢٣) تتكبكب : تتدهور ويتساقط بعضها على بعض .
(٢٤) القود : الخيل التي تقاد ، ولعله يريد الفنانم منها .
غلب الرقاب : غلاظها . تنقب : تبحث عن مهرب لها . في خ/١
و خ/٢ (وحييت بقود) وفي خ/٢ و خ/٤ (وحييت بقود)
وما أثبتته عن خ/٧ .

- ٣٩ - فمن لي لو يجدي التمني بزورة
فيأمن مرتعاع ويرتاح متعب
٤٠ - سلام على تلك الفاني التي بها
نعنما وحياها من المزن صيب
٤١ - اذ الكرخ دارى والاحبة جبرتي
وقومي ترضى ان رضيت وتغضب
٤٢ - ليالي اعطنتني مقاليدها المنسى
وساقية الاقداح تملأ واشرب
٤٣ - فلا تياسن من نجدة بعد شدة
فلم تر ليلا ليس بالفجر يعقب

(٦) وقال مادحا ومؤرخا في كل شطر من القصيدة

سنة ١١٨١هـ (١)

- ٦ - رود سلا اليوم عن احوائها (جلدى)
في مدح بدر (حدى) من اشرف النسب
٧ - علي مجد تأمله تجد علما
لا زال يصقل خد العلم والحسب
٨ - ما لاح للدهر رأس من سياسته
الا وعاد جميع الناس كالذنب
٩ - جلت به حلية الايام عن ملك
زهت بورد نداه دوحه الادب
١٠ - قرم الاكارم فرد الدهر واحده
في مكرمات يديه منزل الارب
١١ - ندب تبسمت الدنيا لنايله
كالخصب لاح بوجه الربع الجذب
١٢ - ليث يسيل الردى من سيفه وله
كفا منيل لطبع الجود منجذب
١٣ - ما عيب بالبأس بدر من تكمه
انى يعاب قوام البيض بالحذب
١٤ - اكرم به من سخي كله منح
لو حرم البر يوما عنه لم يتب
١٥ - من مخبر لليالي أن نائله
شبه اللجين بدا في وجهها الترب
١٦ - كم رد بالمجد عنا راحتى زمن
ان تدعه لسوى اللأواء لم تجيب
١٧ - ودك طود خطوب لم تزل ابداء
حال الانام بها كالمزل الخرب
١٨ - نمت باجلالها علياؤه فطوت
مفازة (سوى) الاجلال لم تجب
١٩ - (له) عوايد من بر قد اندرجت
بطيها مكرمات العجم والعرب

- ١ - قم للندان فقدم بهجة الطرب
وشنف الكأس في مرعى من اللعب
٢ - لله لطف نديم بات ينعشني
بنهله من لعاب الكأس والشنب
٣ - ايام مطربنا (كأس) وراحتنا
حان سلافته من جوهر الطرب
٤ - راح اذا المزج حياها بصوب ندى
رايت في بحرها فلكا من الحب
٥ - كأس تطوف بها في كل آونة
بكر تروح آمالي من النصب

(١) لم يرد في خ/١ و خ/٢ اسم المدوح ، وفي خ/٢ و خ/٤
و خ/٥ و خ/٦ المدوح : السيد علي النقيب الاشرف ،
وفي ط ، خ/٧ ، المدوح : السيد اسعد فخري زاده .
والسيد علي النقيب هذا ممن درس هو وابن اخيه
السيد عبدالرحمن النقيب علي السيد صيغة الله
الحيدري المتوفى سنة ١١٩٠ هـ ، وهو غير السيد علي
السيد سلمان النقيب المتوفى سنة ١١٩٨ هـ ووالد
السيد عبدالرحمن رئيس الوزراء في الحكومة العراقية
الموقتة المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ (عنوان المجد لابراهيم
فصيح الحيدري / ١٣٩ - مخطوط - ، والبغداديون
لابراهيم الدروبي / ١٠٥) .

اما السيد اسعد فخري زاده فقد تقدم التعريف به
في مقدمة هوامش القصيدة الاولى . وللتزام الشاعر
بالتاريخ في كل شطر فقد جاءت القصيدة مفككة الاوصال
سقيمة المعاني في معظم ابائاتها .
ويلاحظ ان الشاعر اعتبر تاء التأنيث نحو قائمة ،
وشجرة (٤٠٠) ومعظم الشعراء يعتبرها (٥) .
(٢) (كأس) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مخل بالتاريخ
والصواب (ساق) .
(٥) في ط ، و خ/١ و خ/٢ و خ/٦ (من التعب) مكان (من
النصب) ولا يستقيم معه التاريخ .

- (٦) (جلدى) و (حدى) هكذا ورد في الاصول ، والصواب اللدى
يستقيم به التاريخ والمعنى (خلدى) و (هدى) .
(٧) يوحى هذا البيت بان المدوح السيد علي النقيب . انظر
التعليق على البيت السادس والعشرين .
(٨) كذا ورد صدر البيت وفي تاريخه زيادة .
(٩) في تاريخ عجز البيت نقص .
(١٢) في الاصول عدا خ/١ و خ/٤ و خ/٥ (كف منيل لطبع الجود
منجذب) وهو تصحيف .
(١٣) كذا ورد صدر البيت في الاصول وهو غير مستقيم من
ناحيته المعنى والتاريخ .
(١٤) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (منه) مكان (عنه) وهو
تصحيف .
(١٨) في ط ، و خ/٦ و خ/٧ (نبت) وفي خ/١ (نبت) مكان
(نمت) . (يسوى) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف
مخل بالتاريخ ، صوابه (وسوى) . لم تجب ، من جابت
البلاد : قطعتها .
(١٩) في الاصول (له) والصواب (لها) والضمير يعود الى
عليائه في البيت السابق ، وبذلك يستقيم التاريخ .

- ٣٤ - باد على المجد كم باحت سماحته
بسر جود (من) الافكار محتجب
٣٥ - ساق تدار لاهل الدهر من يده
كأس من البأس أو كأس من الذهب
٣٦ - ان تحو همة كفيه عطا وسطا
فالماء مجتمع بالنار في السحب
٣٧ - الجود من كفه تهني سحائبه
والموت من (كفها) يسمي على رعب
٣٨ - طاب الزمان بمسك البذل من أسد
لولا نسيم نداه العذب لم يطب
٣٩ - ومذ بدا في قباب المجد منه هدى
عادت بوادي السها معدودة الطنب
٤٠ - وان (تقيس) بضوء الشمس جوهره
سعدا وكيف يقاس النجم بالتررب
٤١ - قاس الوري بعطاياك الحيا خطأ
هيهات ابن الحصى من لامع الشهب
٤٢ - يا واحدا كل عضو من عزائمه
ملك له دانت الدنيا بلا تعيب
٤٣ - في قدس معنك اعلام مقدسة
شمس الكمال بها لم تبد عن جنب
٤٤ - كأن علمك اذ يهدي جواهره
انامل السحب تجري بالحيا السرب
٤٥ - لله حينك حي الفضل اجمعه
من شم عطر ندى واديه لم يشب
٤٦ - لما ادرت على الوفا راح ندى
امسى فؤاد العلى في منتهى الطرب
٤٧ - يكفيك يافارس الدنيا بنان فتى
جياذ جدواه فانت سبق السحب
٤٨ - تالله ان بني اللأواء قد حييت
بير نذب لروح العدم مستلب

- ٢٠ - وكم تلا ملاً عنه كتاب ندى
باتت فوائده من أعجب العجب
٢١ - (ولو) سحاب عطاياه التي وكفت
دارت على دول الدنيا رحي القطب
٢٢ - لو رامت الشمس ادنى حسنه اقلت
واصبحت اعين الحرباء في حرب
٢٣ - وان جنى من نداه الخلق كل منى
ما زال بالسحب يستجنى جنى العشب
٢٤ - لله قرم من (الانواء) منشؤه
والمجد ساق اليه انور الرتب
٢٥ - تهدي لنا كل مأمول سماحته
كانها النخل اهدى يانع الرطب
٢٦ - لله أسعد موجود وأفضله
سحت ندى سماه أطيب الحطب
٢٧ - أشم لم تدرك الالباب سؤدده
هيهات يدرك وادي الشمس بالطلب
٢٨ - بل كيف يعصي العلى من بات يسعفه
جليل جد يذل النار للحطب
٢٩ - نذب محاسنه كالشمس طالعة
وهل بمطلع نور الشمس من ريب
٣٠ - وكم ثنى طبعه العلوي ركب منى
يجثو لنجم (معاليه) على الركب
٣١ - ما حل فيض اياديه على ملاً
الا وجاء بمرعى للندى خصب
٣٢ - خطيب بر عزيز الدهر واحده
يمسي لسان نداه مفصح الخطب
٣٣ - لو كان للشمس ما تولي انامله
لم يحتجب قطع عين الشمس بالحجب

- (٣٤) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . (من الانكار) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مغل بالتاريخ والمعنى ، والصواب (من الانكار) .
(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ و خ/٦ و خ/٧ . في تاريخ صدر البيت نقص كبير بلغ (٤١٥) ولو وضعنا كلمة (سحائبه) مكان (سحابه) لانخفض النقص الى (١١) . (كفها) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف مغل بالمعنى والتاريخ ، والصواب (وكفها) .
(٣٩) في الاصول باستثناء ط (حدى) او (جدا) مكان (هدى) وعلى أي حال فتاريخ صدر البيت غير مستقيم .
(٤٠) كذا ورد البيت في الاصول ، ومع وجود اللحن في (تقيس) فان في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة .
(٤١) اعتبر الشاعر عدد الالف المقصورة من كلمة الوري (١) ويعتبرها معظم الشعراء (١٠) كالياه .
(٤٢) تاريخ صدر البيت غير مستقيم .
(٤٥) في ط ، و خ/١ و خ/٣ (حيا الفضل) .

- (٢١) (ولو) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (وكم) . التاريخ غير مستقيم في الصدر والعجز .
(٢٢) في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة ، في ط ، و خ/٢ (لو رات) مكان (لو رامت) وليس بشيء .
(٢٣) في خ/٢ و خ/٦ (في السحب) . وفي ط (يستجنى اعين الشهب) . وفي خ/١ و خ/٣ (يستجنى حين الشهب) .
(٢٤) (من الانواء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (من الانوار) . تاريخ صدر البيت غير مستقيم في كلا الحالتين .
(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (سمت) مكان (سحت) وهو تصحيف . يستشف من البيت أن المدوح اسعد الفخري
(٣٠) في الاصول عدا ط ، و خ/٣ (يحبو) وفي خ/٧ (تحبى) مكان (يجثو) . في خ/٧ ايضا (النجوم) مكان (لنجم) . (معاليه) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه التاريخ ، والصواب (معانيه) .
(٣٢) في الاصول عدا خ/٥ و خ/٧ (خصيب بر) وهو تصحيف .
(٣٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، وفي تاريخه زيادة .

(٧) وقال يمدح سليمان بيك الشاوي (*)

- ١ - يابرق وجرة هل فطنت لما بي
- فاتيت تخبرني عن الاجاب
- ٢ - يابرق لولا المنجدون عشية
- ما بل وكاف الدموع ثيابي
- ٣ - ان الالى حجتهم كلل النوى
- ضربوا على اللذات كل حجاب
- ٤ - اي المعالم لم اسلها بعدهم
- وبأي واد [ما حبست] ركابي
- ٥ - وبحي رامة معرك نصرت به
- عفر الكناس على اسود الغاب
- ٦ - من آخذ بدم القتييل اراقه
- في التراب بيض كواعب اتراب
- ٧ - لا تطلبوا مني الهدوء فانه
- سلب الهدوء غداة يوم رباب
- ٨ - وبمهجتي الغادون يوم محجر
- والركب بين تعائق وعتاب
- ٩ - حتى طويت بغيرهم عن ذكرهم
- كالقشر يطوى فيه كل لباب
- ١٠ - ياللعبية كيف يخفر عندهم
- عهدي وهم حي من الاعراب
- ١١ - ساروا الغداة فسار اثمهم الصبا
- فالعيش مثل وساوس المرتاب
- ١٢ - بأبي الشباب بليت فيه بفائب
- قد ضمه سفر بغير ايباب
- ١٣ - وتولت البيض الحسان لسانها
- يزهدن في صلتني وفي استصحابي
- ١٤ - انكرن لون البازحين رأينه
- في لمتني وبكين فقد غراب

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .

- (١) وجرة : منزل بينه وبين البصرة اربعون ميلا ليس بينهما منزل ، فهو مربى للوحش .
- (٤) في خ/٢ (ما سبحت) وفي سائر الاصول (ما سحبت) ولعل ما أثبتته هو الصواب .
- (٥) رامة : منزل في طريق البصرة الى مكة . العفر ، جمع الاعفر ، وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة . الكناس : بيت الطي .
- (٦) الكواعب ، جمع الكاعب : الجارية الناهد . الانراب ، جمع التراب (بالكسر) : من ولد معك ، واكثر ما يستعمل في المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سننها .
- (٧) رباب : موضع عند بئر ميمون بمكة ، وجبل بين المدينة وقيد ، واسم امرأة .
- (٨) محجر (بكسر الجيم المشددة) : موضع في الحجاز ، واسم لعدة جبال في بلاد العرب .
- (١٤) الباز : صقر لونه اشهب . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن ، وفي ذلك كناية عن تكرار الشيب في لفته ،

- ٤٩ - ان هم يحكي أجل المجد مفخره
- فأين شكل الدجى من جوهر الشهب
- ٥٠ - حوى من المجد انما هو وافخره
- والتام بالباس منه كل منشعب
- ٥١ - وافى بأوفى ثمار السعد سؤدده
- يحكي مباسم تجنى من جنى الشنب
- ٥٢ - ليهن برد معال قد تقمصه
- تقمص النجم جلباب الدجى الشحب
- ٥٣ - أفدي أبا البر مذ أبدى عجائبه
- كم شاهدوا من نداه كاشف الكرب
- ٥٤ - أحسن بليث ردى مازال بحرجدى
- لولاه وأبل نوء الخير لم يصب
- ٥٥ - (ملك) اليه جواد العلم مفتقر
- والفقر بالفتنة الانجاب لم يعب
- ٥٦ - لله هم امرىء وافت صوارمه
- بجازر عنق الاوثان والصلب
- ٥٧ - امام فضل بدا للجود من يده
- هادي البرايا الى الاسنى من الرتب
- ٥٨ - شهم لجود يديه في خزائنه
- شعب من العدل أمسى اي منشعب
- ٥٩ - محيي المكارم لولا وبلى رافته
- لم يبق للمجد من اثر ولا سبب
- ٦٠ - دهر ابى العدو في أعدائه وسرت
- جياذ عليها سير العدو لا الخب
- ٦١ - أعدت [وجه] المنى واليسر في صعد
- بسهم جود يرد البخل في صب
- ٦٢ - صاحبت كل ندى لولا اصابتها
- بصوبه حجر الايام لم يذب
- ٦٣ - لولا جدالك لاضحى الناس كلهم
- شبيه قفر بلا ماء ولا عشب

- (٥٠) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (فالتام) ولا يستقيم معه التاريخ .
- (٥٣) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (سجايا) مكان (نداه) .
- (٥٤) في ح/٧ (يجدى) وفي سائر الاصول عدا خ/٥ (يجري) مكان (بحر) .
- (٥٥) (ملك) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه تاريخ صدر البيت ، واخال الصواب (فلك) . تاريخ عجز البيت غير مستقيم ايضا .
- (٥٦) هذا البيت ، والبيتان التاليان له غير موجودة في خ/٧ .
- (٥٩) اعتبر الشاعر كلمة (محيي) بياء واحدة فتم له العدد المطلوب للتاريخ ، والصواب انها بياءين .
- (٦٠) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (وهز بالعدو) .
- (٦١) في خ/٤ و خ/٥ (أعدت وحي المنى واليسر في صعد) ، وفي سائر الاصول (أعدت حبي منارا ليس في صعد) ، وبما أثبتته استقام التاريخ .

- ٢٨ - لم يشجني الا نواه وانما
فقد الاحبة فوق كل مصاب
- ٢٩ - وارى الحياة لذيدة لكنها
ربما تمل لفرقة الاحباب
- ٣٠ - ذهبوا بواعية القلوب كانما
طارت ركاب القوم بالالباب
- ٣١ - اشكو كما تشكو الكواكب من دجى
ليل اطلال عذابها وعذابي
- ٣٢ - دأبى مسامرة النجوم وانها
نعم المسامر لو وعت لخطابي
- ٣٣ - يأسعد ذرنى من اعادة ما خلا
وتناس ذكر شبيبة وتصاب
- ٣٤ - قم نهب الساعات في طلب العلى
وتناس ذكر سوائف الاحباب
- ٣٥ - ذرنى وبادرة المسير فقد شكا
طول الاقامة في الجفير ذبابى
- ٣٦ - ذرنى انل سبب السعود فانما
دارت رحى الاشياء بالاسباب
- ٣٧ - واكلف الوجناء زورة باسل
خضل البنان مقدس الاحساب
- ٣٨ - هذا سليمان الذي فتحت به
زرق الاسنة مقفل الابواب
- ٣٩ - يرد الوغى فترى الرجال هزيمة
والخيل ناكسة على الاعقاب
- ٤٠ - مستودع في سيفه ويراعه
تنميق كل كتيبة وكتاب
- ٤١ - ملئت كنانته سهام عزائم
باتت تراش بحكمة وصواب
- ٤٢ - فالعز منعقد بيمين يمينه
كالكأس منتظم (بكأس) حباب

- خ/٧ (بدت) ، وفي سائر الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (مرط)
مكان (مرت) .
- (٢٩) ربما (المحففة) وربما (المشددة) بمعنى .
- (٣٠) الواعية ، والوعى : الفهم والادراك . الاباب : القلوب .
- (٣٥) الجفير : جمعة من جلد ، واراد غمد السيف . اللباب :
طرف السيف ، واراد به السيف . في ط و خ/٣ و خ/٦
(بادرة المسير) .
- (٣٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
- (٣٧) الوجناء : الناقة الشديدة . الخضل : الندي الاحساب :
المفاخر التي تصنعها بنفسك .
- (٤١) الكنانة : جمعة تجمل فيها السهام . راش السهم :
الزق عليه الريش .
- (٤٢) (بكأس حباب) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب
(بسلك حباب) .

- ١٥ - قل يا شباب متى تمن بأوبة
ام لا يحل عليك حال مآب
- ١٦ - كن يافؤاد كما عهدتك آنفا
من ذا يلام على هوى وتصاب
- ١٧ - دم في ملازمة الغرام فانما
سبب الدخول دوام قرع الباب
- ١٨ - انسيت اياما خلون كأنها
حور الجنان تطوف بالاكواب
- ١٩ - وبدي الثوية نسمة نجدية
تهدي من النشوات كل عجاب
- ٢٠ - جاءت ممسكة كأن ذبولها
مغمورة بلطائم الاطراب
- ٢١ - جاءتك تحمل نشر كل غديرة
سوداء تسبح في غدير شباب
- ٢٢ - ومن البلية ان علقت بناغم
قيد النواظر شعة الالباب
- ٢٣ - يا مسكري بشراب كأس لحاظه
ما خلط في الاحاظ كأس شراب
- ٢٤ - هيهات ان يصحو فؤاد معربد
ذهبت به عيناك أي ذهاب
- ٢٥ - عاهدتني واخال عهدك صادقا
ما في خلال الروض لمع شراب
- ٢٦ - لم انس ليلة حط عنه لثامه
كالصبح جرد عنه كل نقاب
- ٢٧ - وسكرت من فيه بجمام احمر
مرت الثنايا فيه در رضاب

- كما كنى بالغراب عن سواد لمته في عهد الشباب . في
الاصول عدا خ/٥ و خ/٧ (النار) مكان (الباز) ، وفي
ط (شبابي) مكان (غراب) .
- (١٨) في الاصول عدا خ/٢ و خ/٧ (كانما) مكان (كانها) .
- (١٩) الثوية : موضع بالكوفة ، وقيل قريب منها . في الاصول
عدا خ/٧ (غديرة) مكان (نجدية) ، النشوات ، جمع
النشوة : اول السكر ، والرالحة . في ط ، و خ/١
و خ/٦ و خ/٧ (النشوان) مكان (النشوات) وهو تصحيف .
- (٢٠) لطائم ، جمع لطيمة : الطيب ، ووعاء المسك . الاطراب
(بصيغة الجمع) : نقارة الرباحين .
- (٢١) القديرة : الذؤابة . القدير : القطعة من الماء يفادرها
السييل .
- (٢٢) قلب شماع : تفرقت هممه وآراؤه فلا تنجيه لامر جزم . لا
وجود لهذا البيت في خ/٧ .
- (٢٤) في ط ، و خ/٢ و خ/٣ و خ/٦ (يمناك) مكان (عيناك) .
- (٢٥) في ط (صافيا) مكان (صادقا) .
- (٢٦) في الاصول باستثناء ط ، و خ/٣ (حط فضل لثامه)
و (مسح نقاب) .
- (٢٧) الجام : اناء من فضة (عربي صحيح) . مرت الثنايا :
دوت . الدر : اللبن . الرضاب : الريق المرشوف . في

(٨) وقال في مدحه أيضا (١)

- ١ - ان رمت توطئة المرام الاصب
- ٢ - اربا بنفسك ان تلودك شهوة
- ٣ - لا تكثرن من الشباب وذكره
- ٤ - وتلاف من قبل القوات فربما
- ٥ - مالي وللنفر (الطلاح) تنافروا
- ٦ - لا تنكري حالا تغير منهم
- ٧ - أيروم غيرهم بقلبي مسكنا
- ٨ - كم من أخ لك غير أمك أمه
- ٩ - دارت بشملهم الليالي دورها
- ١٠ - اقمرت ياليل الحجون بأوجه

(١) هذه القصيدة موجودة في جميع الأصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وانفردت بـ ٧ بإيراد قصيدة أخرى مؤلفة من (٣٤) بيتا مطلعها :

يا مسلم لاسلمت سهاك من دمي

كفى مسليتي من العناد المعطب

وعند مطالعة آياتها وجدت (٢٥) بيتا منها بضمنها المطلع منقولة من هذه القصيدة حرفيا او بتغيير طفيف ، ولان كلا القصيدتين في مدح الحاج سليمان الشاوي ، ولانها على روي ووزن واحد اعتقدت جازما انهما قصيدة واحدة ، فعدت الى ادخال الابيات التسعة الزائدة في مواقعها المناسبة من القصيدة ، فكان ترتيب ارقامها (٣١ و٣٢ و٩١ و٩٢ و٩٥ و٩٧ و٩٨ و١٠٧ و١١٤) واحملت الابيات المكررة . غير اني (مراعاة لامانة النقل) ساءت تلك القصيدة في الملحق الثاني للدوان ، كما وردت في خ/٧ مع زيادة في الاضاح .

(۴) غمز العود : جسہ لیختبر صلابتہ .

(٥) (الطلاق) : الذين جهدهم السير ، ولا معنى لها هنا ،
ولعل الصواب (الصباح) . المترب : المسكين اللاصق
بالارض من فقره .

(٦) في الاصول عدا خ/٧ (فاعل) مكان (فالكل) . المكوئب :
الفلك .

(٧) الكناس : بيت الظبي . اسرب : اذهب . في ط ، و خ / ١ (ياسرب هذا من كناسك) وفي خ / ٣ و خ / ٦ (ياسرب هذا كناسك) .

(١٠) الحجون : جبل بمكة المكرمة .

- ٤٣ - ونحن أعطاف الزمان لحكمه
كحنين هاجرة لوصل رباب
٤٤ - وترى وجوه الصيد نحو قبابه
شعنا لظول ترشف الاعتاب
٤٥ - وكأننا رسل المنيا ننبله
تمضي فلم تقنع بغير جواب
٤٦ - علم العلوم يكاد سر يراعسه
يستل تبرأ من حقير تراب
٤٧ - نشوان لم يعث بكأس مدامة
الامدامة حانصة الآداب
٤٨ - مفض على ضرب الطلى لكنه
متململ كتململ الاواب
٤٩ - فلك يموج الدهر من حر كاته
ما بين طعن [مارق] وضراب
٥٠ - بطل يفرض ختام كل كرهية
فيعود من دمها بغير خضاب
٥١ - وترى صروف الدهر تصرف باسمه
كالجن تدحر بانقضاض شهاب
٥٢ - وسمت له الايام في جبهاتها
موشية الاحساب والانساب
٥٣ - لم يبق فضل قط الا ناله
سبحان من يعطي بغير حساب
٥٤ - لم يتخذ الا الجياد سرادقا
وكفى بتلك القب سجع قباب
٥٥ - اسد تملك وجه كل جميلة
اعيت مذهبها على الخطاب
٥٦ - متلاطم العزمات غير مدافع
كاليوم ماج بزخرة وعباب
٥٧ - يلقي انابيب القنا فيعيدها
من بعد حدثها لديه (بناب)
٥٨ - فلك على الدنيا تدير يمينه
فلكين من ذهب ومن اذهب
٥٩ - واتى الزمان حذار سيفك تائبا
مما حنته سوائف الاحقاب

(٤٣) الهاجرة : نصف النهار في القيظ . الرباب : السحاب الابيض .

(٤٨) الطلى : الاعتاق . الاواب : التائب . في خ/٧ (الواب)
مكان (الاواب) .

(٤٩) في خ/٧ (مازق) وفي سائر الاصول (ماذق) والصواب ما أثبتته ، يقال : مرق الرمح في الرمية ، اي نفل فيها وخرج من الجانب الاخر فهو مازق .

(۵۲) في خ/۷ (في جلبابها) مكان (في جبهاتها) .

(٥٤) القلب (بالضم) جمع الالف ، وهو من الخيل الدقيق
الخصر الضامر البطن .

(۵۷) (بناب) کذا ورد في الاصول ، ولا معنى لها ، والصواب (نوابی) ای کلیلة .

- ٢٥ - ياغلوۃ البين التي نزلت بهم
لو طاش سهمك لم يفتني ماري
٢٦ - انكلما فطن الزمان لجيرة
طارت نعماته بذاك الموكب
٢٧ - اهديم لا تنكر بمثل شرابهم
طري ومن يشرب يلذ ويطرب
٢٨ - فاقدح لمحو الصحو اقتداح الطلا
فالزند لولا قدحه لم يثقب
٢٩ - سفها لرأيك أي (ترتيب) على
من كان بفيته الغلام الشرب (كذا)
٣٠ - ممنوع اطراف المرافف عذبا
لولا مضمضة اللها لم تعذب
٣١ - اتلومني والنفس مولعة به
أبعد خطاك بلومه او قرب
٣٢ - واسلك من الاشياء واضح سبلها
ودع الاخير الى الطريق المتعب
٣٣ - ايها فان لكل ضيق فرجة
والفيث تلو البارق المتلهب
٣٤ - لم يشني لاح الح بذكركم
ومن الغباوة ان تميل الى الغبي
٣٥ - اقلقتم كبدى فسامرنى النوى
وصممت عن سمر النديم المطرب
٣٦ - من لم تؤدبه خلايق طبعه
الفيتة بالسيف غير مؤدب
٣٧ - ورايت الحى من لحاني صاحبي
يانفس آن اوان لا تصحبي
٣٨ - وذري العتاب فما هنالك سامع
شرع عليك عتبت أم لم تعتبي

- ١١ - لم انس ظنهم المجد كأنه
يسعى به السلوان سعي القطرب
١٢ - قف ياجهام على ديارهم ونب
عن دمع صبهم بأوظف صيب
١٣ - واحفظ مغيب القوم حفظ حضورهم
انعم بهم من حاضرين وغيب
١٤ - سحرروا الشجي وهم رقاه فمن لنا
بالسحر يقرأ من عيون الربرب
١٥ - بعثوا الخيال نديۃ نفحاته
كالريح لم تعثر بدو مجذب
١٦ - لم انس يوم خلت بها روادها
تجني اسارير السرور وتجتبي
١٧ - وادت بشاشته بنات همومها
فالتام شعب القوم بعد تشعب
١٨ - ايام زاد نتاجها عقم النوى
ومن الغنيمة عقم من لم تنجب
١٩ - ان اخلقت ديباجتي بسلامهم
فمن التثبت بعدهم لم اسلب
٢٠ - لم يسلني بعد الديار ولم [اصغ]
اذنا لهيمنة الفراب الانعب
٢١ - ياساقيي بم التعلل بعدهم
هل في الاناء بقية لم تشرب
٢٢ - غادين لم يدعوا سهولة مغنم
بل اعقبوا نزوان يوم اصعب
٢٣ - تلك الوجوه خلت بكل ملاحه
أعزز بهاتيك الوجوه واجب
٢٤ - كانوا اذا الآفاق قطب نوؤها
نوءا يهلل وجه كل مقطب

- (٢٥) الغلوۃ : مقدار رمية ، وفي اساس البلاغة (هو مني بغلوۃ
سهم) .
(٢٦) النعمة : طائر معروف يضرب به المثل في الاجفال ، ويقال
للرجل اذا فزع او ارتحل (طارت نعمته) .
(٢٧) هديم : اسم شائع عند العرب ، استعاره الشاعر للعاذل .
(٢٩) (ترتيب) كذا وردت الكلمة في الاصول ، والصواب
(تثرير) . الشرب : الكثير الشراب .
(٣٠) المضمضة : تحريك الماء وادارته في الفم . اللها ، جمع
اللهاة : اللحمة المطبوقة في اقصى سقف الفم . في
خ/٢ وخ/٥ وخ/٧ (مضمضة الهوى) وسقطت كلمة (اللها)
او (الهوى) من خ/١ وخ/٣ وخ/٦ .
(٣١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة الوارد ذكرها في
في الفقرة (ا) .
(٣٣) في ط ، وخ/١ وخ/٣ وخ/٧ (تلو) مكان (تلو) .
(٣٤) في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (أن يميل) .
(٣٥) في خ/٢ (وسامرنى الولي) وفي خ/٤ وخ/٧ (وسامرنى
الهوى) .

- (١١) القطرب : اللص ، والدلب الامعط ، ودوية لا تستريح
من الحركة .
(١٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . الاوظف : الدائم السح .
في ط (وين) مكان (ونب) .
(١٥) الدو : المغازاة الواسعة .
(١٧) في ط ، وخ/٢ وخ/٥ وخ/٦ (واوت) مكان (وادت) .
في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ وخ/٧ (صعب القوم) . غيب
تشعب : بعد تفرق .
(١٩) اخلقت : ابلت . الدباجة : الثوب ، ونضارة الوجه .
في الاصل عدا خ/٥ وخ/٧ (سرامم) مكان (بسلامم) .
(٢٠) الهيمنة : الصوت الخفي . في ط ، وخ/٦ (لم اصغ)
وفي سائر الاصول (لم اعر) مكان (لم اصغ) في ط ،
و خ/١ وخ/٣ وخ/٦ (الايفب) مكان (الانعب) .
(٢١) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (ياساقيين) .
(٢٢) النزوان (بالتحريك) : السورة والحدة .
(٢٣) خلت الوجوه بالملاحه : انفردت بها .
(٢٤) النوء : النجم الذي هو مظنة المطر عند العرب . انفردت
خ/٧ بإيراد هذا البيت .

- ٣٩ - وبدا التساوي في المساوي للورى
شبه الأرقام ما خلّت من معطب
- ٤٠ - مه ياخلي عن الشجي ولا تسل
عن موقع الأشياء غير مجرب
- ٤١ - ضاق الخناق بهم ولكن الهوى
يرضي المحب بمثل جحر الارنب
- ٤٢ - يالاحيي ألم يقل لكما الهوى
ان اكتساب الثوم الأم مكسب
- ٤٣ - هل فيكما ان تنشدا لي ساعة
عقلا اضلته عقائل تغلب
- ٤٤ - أو تبردا لي مهجة حرانة
الهبته بشموس آل مهلب
- ٤٥ - ياسلم ما سلمت سهامك من دمي
فالسهم ان يك ذا نفوذ ينشب
- ٤٦ - هذي (الديار) بمقلتيك مطاحة
ان رمت تخضيب البنان فخضبي
- ٤٧ - لا تحسبي ليلى وليلك واحدا
شتان بين منعّم ومعدب
- ٤٨ - بات الكرى اهدى اليك من القطا
وظلت منه ولا كخايط غيهب
- ٤٩ - أنسيت يوم شجّتك وعوعة الوغى
فأجبت داعيها بقلب قلب
- ٥٠ - والسمر ترسب في الكبود كهوبها
والخيل تطفح في الغدير الاصهب
- ٥١ - والنفس مهما عوفيت من تكبة
نسيت مرارتها كان لم تنكب
- ٥٢ - والدهر اتاء بكل عجيبة
من يعرف الايام لم يتعجب
- ٥٣ - لم يبق للاكياس (خرس) في قم
الا واورده مرير المشرب
- ٥٤ - لا تعجبا لفساد كل صحيحة
فالناس في زمن كجلد الاجرب
- ٥٥ - ليس الهوى مني ولست من الهوى
لولا اعتراض السرب يوم محصب
- ٥٦ - هي لحظة بين الحدوج ادرتها
يانظرة كانت خلاف الاصوب
- ٥٧ - عثر الجواد وكان مأمون الخطى
ونبا الحسام وكان صلت المضرب
- ٥٨ - أزف الرحيل فهل صديق صادق
يلقى الخليل بخلة لم تكذب
- ٥٩ - والراقصات بذى الاراك كأنها
حب المدام تراقصت في الاكوب
- ٦٠ - لاروعن الصحصان بسهل
في كل عضو منه همة سلهب
- ٦١ - اي المرام يفوتني وقعيدتي
ريح يقال لها بقية شزب
- ٦٢ - لا تحسبن الأمر مزحة عابث
لاحت طلايعها فياخيل أركبي
- ٦٣ - ماضقت الارض الوساع على امرى
هيئات ما في فجها من مذهب
- ٦٤ - ما للمعالي حاجة في عاجز
يأبى المعرس في هجير السبب

- (٣٩) في الاصول عدا ٧/خ/٣ (ويد التساوي) وفي ٤/خ/ (الاراقص) وفي سائر الاصول باستثناء ٧/خ/ (الاراقص) مكان (الاراقم) .
- (٤٢) اللاحي : اللائم . في الاصول عدا ٧/خ/٣ (بالاحيين) مكان (بالاحيي) .
- (٤٣) العقائل : جمع العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . تغلب : الحي المنسوب الى تغلب بن وائل
- (٤٤) ال مهلب : نسبة الى ابيهم المهلب بن ابي صفرة الامير المشهور المتوفى سنة ٨٣هـ . في ط، وخ/١/٣ (اوبردوا) وفي سائر الاصول عدا ٧/خ/٣ (اوبردا) .
- (٤٥) النفوذ : من نفذ السهم في الرمية : خالط جوفها وخرج طرفه من الشق الاخر . نشب الشيء بالشيء : علق (هذي الديار) كذا ورد في الاصول ، والصواب (هذي الدماء) .
- (٤٨) خايط الغيب : خايط الليل ، وهو الذي يسير فيه على غير هدى . في ط ، وخ/١/٣ (الي) مكان (اليك) .
- (٤٩) الووعة : الضجيج والجلبة ، في ٧/خ/٣ (اوبردا) (ووعة العدى) . القلب : البصر بتقليب الامور .
- (٥٠) ترسب : تستقر . الاصهب الذي يخالط بياضه حمرة . في ط (الغرير) مكان (الغدير) .
- (٥١) في الاصول عدا ٧/خ/٣ (والشمس) مكان (والنفس) .
- (٥٢) كذا ورد صدر البيت في الاصول ، ولعل الاصوب (لم يبق للاكياس خرسا) والضمير يعود الى الدهر .
- (٥٦) في ٥/خ/ (هي نظرة) وفي الاصول عدا ٧/خ/ (هي نظرة بين الحجون) والحجون : جبل في مكة المكرمة .
- (٥٧) نبا الحسام عن الضريبة : كل وارند عنها . الصلت : الصقيل الماضي . في ٥/خ/ (صلب المضرب) .
- (٥٨) أزف الرحيل : دنا . الخلة (بالكسر) (الصداقة) و (بالفتح) : الخصلة .
- (٥٩) الراقصات : الابل . ذو الاراك : يريد وادي الاراك قرب مكة المكرمة .
- (٦٠) الصحصان : الارض الجرداء المستوية . السلهب من الخيل : الطويل . في الاصول (ولاروعن) .
- (٦٢) في ط ، وخ/٣/ (حث) وفي ١/خ/ (حنة) مكان (مزحة) .
- (٦٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، ولعل الصواب (هيئات ، ماني فجها من مذهبي) .
- (٦٤) في الاصول عدا ٧/خ/٣ (مالىالي) مكان (مالىمعالي) . المعرس : المكان الذي يأوي اليه المسافرين اخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . السبب : المغازة .

- ٨٠ - مختالة بدم الفوارس خيله
كالخود ترفل بالطراز المذهب
- ٨١ - أن المعالي في سواء معارة
فكأنهن خضاب فود الاشيب
- ٨٢ - وعلى الملوك له ديون جمعة
بضمان معتدل الشطاط واحدب
- ٨٣ - لبس الخلاعة في الندى لا يرعوي
لطين واش او هرير مؤنب
- ٨٤ - يسخو بما لم يسخ ذو كرم به
أبدا ويعتذر اعتذار المذنب
- ٨٥ - واذا تمردت الفوارس راعها
بطروق أروع كاتقضا الكوكب
- ٨٦ - يفني الالوف بواحد متممر
لم يخش باثقة ولم يتهيب
- ٨٧ - ذبال سابعة يجر ذبولها
بين الاشاس كالمذل المعجب
- ٨٨ - بابي كسوب بالقنا لا ينشني
عن جيش ابرهة اذا لم يكسب
- ٨٩ - شرس المراس يقوم دون محله
كسرى مقام الخائف المتهيب
- ٩٠ - ملك ترعرع في المحامد ناشئا
وعلى رضاع العز والتقوى ربي
- ٩١ - ومهذب لا طعن فيه لطاعن
وكذلك فليك طبع كل مهذب
- ٩٢ - قاد المعالي آخذا بخطامها
أخذا يدين خشونة المستعصب

- ٦٥ - والحزم حيزوم الابي فخذبه
لا ترع شاءك في المكان المذنب
- ٦٦ - واحذر عداوات الرجال ودارها
ان لم تكن جدة لديك فرحب
- ٦٧ - وانظن لادوية الامور فانما
سم الافاعي غير سم العقرب
- ٦٨ - واذا تنكه من مكان ريحه
فتخط منه الى المكان الاطيب
- ٦٩ - نعم المعين على نيوب نوائب
بحديد ناب للشفار ومخلب
- ٧٠ - اني وان امسيت صفر انامل
فمعظم الافلاك غير مكوكب
- ٧١ - ياناق ان حمى سليمان الندى
مرعى الخصيب فيميه لتخصبي
- ٧٢ - هذي منازل فراديس المنى
ومنايع الكرم التي لم تنضب
- ٧٣ - هبي له تصلي الى حرم الفنى
لا بد من سبب لكل مسبب
- ٧٤ - اقليدس الحكماء الا انه
ترمى العدى منه بداء الثعلب
- ٧٥ - متسنم من كل مجد صهوة
ان تركب الشهب السواري يركب
- ٧٦ - طلعت بأبهة العجائب شمسه
باله ياشمس انظري وتعجبي
- ٧٧ - حلال عقد الدهر عاقد حله
بالماضيين مثقف ومثطب
- ٧٨ - صرام ما وصل الملوك من العرى
وصال ما صرم الزمان المستبي
- ٧٩ - متلب بالحزم مدرع به
هتاك سجف الدارع المتلبب

- (٨٠) الخود ، جمع الخود (بسكون الواو) : الشابة من النساء . ترفل : تخطر ، وتبخر . الطراز : علم الثوب (فارسي معرب) .
- (٨٢) معتدل الشطاط : الرمح ، والشطاط : الطول . اراد بالاحدب : السيف .
- (٨٦) في الاصول عدا خ/٧ (يلقى) مكان (يفني) ولعل الاصول (يلقي الالوف) . الباثقة : الداهية ، والشر ، في ط ، وخ/١ وخ/٢ (باقية) مكان (باثقة) .
- (٨٨) ابرهة : قائد حبشي اشتهر ذكره في التاريخ الاسلامي بحملته على مكة المكرمة عام ٥٧٠هـ وقد انتهت حملته بالفشل كما تشير الآية الكريمة (ألم تركب فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل) .
- (٨٩) الشرس المراس : الشديد المعانة والمزاولة . كسرى : اسم يطلق على ملك الفرس .
- (٩١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة التي مر ذكرها انفا في الفقرة (ا) .
- (٩٢) الخطام : كل ما يوضع في انف البعير ليقناده به . يدين : يخضع ، ويدل (بضم اوله وكسر ثانيه) .

- (٦٨) تنكه : تنفس ، ونكه الرجل : تغيرت نكهته من التخمة .
- (٦٩) النيوب ، جمع ناب ، يقال : عضته انياب المصالب ونيوبها . في ط ، وخ/١ وخ/٢ (وثوب) مكان (نيوب) . ارى ان محل هذا البيت بعد البيت (٧٢) .
- (٧٢) في ط ، وخ/١ (هذا) وفي خ/٣ (هذه) مكان (هذي) .
- (٧٤) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعلب ايضا : طرف الرمح الداخلى في جبة السنان .
- (٧٦) الابية : العظمة ، والهجة . في الاصول عدا خ/٥ (بأبهة العجائب) .
- (٧٧) المثقف : المقوم ، ويريد به الرمح . المشطب : يريد به السيف الذي في منته شطب اي طرائق . في ط ، وخ/١ وخ/٣ الحق عجز هذا البيت بصدر البيت السابق واهمل باقي البيتين .
- (٧٩) المتلبب : التحزم بالسلاح . السجف : الستر .

- ١٠٧- فهو النهاية بالمعارف كلها
شرف به دون العوالم قد حيي
- ١٠٨- امطوح الاراء بالحكم التي
كتبت على الالهام ما لم يكتب
- ١٠٩- عجا لخيرك كيف تحمل فارسا
قد زاحم الفلك المحيط بمنكب
- ١١٠- كم صارم جردت منه صوارما
تفنى الشعوب بضربها المشعب
- ١١١- وكتيبة شهاء رعت بها العدى
كالصبح غار على الظلام بأشهب
- ١١٢- بأبيك كم تلهو سيوفك بالطلی
ملهى اضيية بدارة ملهيب
- ١١٣- نهنه ظباك عن العدى (مترفعا)
فالرفق شنشنة السري المنجب
- ١١٤- واذا الامور هفت وضل دليلها
كنت الهدوء لقلبها المتقلب
- ١١٥- انت الفياث اذا النفوس تحشرجت
بمصد من كربها ومصوب
- ١١٦- ومتى تعذر لاین انثى مطلب
الفلك مغناطيس ذاك المطلب
- ١١٧- ياسرحة المعروف ان قلائصي
هربت اليك من الزمان المجذب
- ١١٨- حطت على رغم الحول رحالها
بأبل ناد للمكارم مخصب

الدواب) . في الاصول عدا ٧/خ (غطت) مكان
(عطرت) .

(١٠٧) هذا البيت من الابيات التسعة التي تقدم ذكرها في
الفقرة (ا) .

(١١١) اغار على القوم اغارة وغارة : دفع عليهم الخيل (لسان
العرب) . ولله يريد غار بغور بمعنى دخل ونزل .

(١١٢) اضيية : تصغير ضيبة . الدارة : يريد الساحة
المستديرة . الملهب : موضع ايقاد النار .

(١١٣) في الاصول عدا ٧/خ (الوری) مكان (العدى) (مترفعا)
كذا ورد في الاصول ولله تصحيف (مترفعا) .
الشنشنة : العادة ، والطبيعة . في ط (البري) مكان
(السري) .

(١١٤) هفت : تطايرت لخفتها وطاشت . هذا البيت من
الابيات التسعة المذكورة انفا في الفقرة (ا) .

(١١٥) حشرج الصدر : غرغر عند الموت . في ط ، وخ/اوخ/٣
وخ/٦ (مصعب) مكان (مصوب) .

(١١٧) السرحة : الشجرة العظيمة . القلائص : جمع القلوص :
الشابة من اناث الابل ، والناقة الطويلة القوائم . في
ط ، وخ/١ وخ/٣ وخ/٦ (المزهب) مكان (المجذب) .

- ٩٣- مه يامقل فقد ظفرت بواهب
من منفسات المال ما لم يوهب
- ٩٤- وخذ الامان من الزمان بخادر
ذي مخلب في كل جلد منشب
- ٩٥- متورك فوق الحوادث راكب
من مصعبات الدهر ما لم يركب
- ٩٦- اخذ الرئاسة عن انايب القنا
عما تدبره انامل قعضب
- ٩٧- وقف على اقدامه ونواله
شكر الوشيج ومشكلات المارب
- ٩٨- صفر من الشيم الدنيا مفعم
من كل صالحه وعز مؤشب
- ٩٩- ثاني الاعنة من حوادث دهره
سيان ما صعبت وما لم تصعب
- ١٠٠- قرم تفرست القروم برأيه
كابن تورث ما تورث عن اب
- ١٠١- والعز طورا بالحسام وتارة
بمهند من رأي كل مهذب
- ١٠٢- لا يمتطي الا العويص قيادها
ان الابية مركب الطبع الابي
- ١٠٣- بابي الذي يلقي الكتائب باسمها
والحرب تكشر عن نواجل مغضب
- ١٠٤- والخييل راقصة على نغم القنا
والبيض معجمة لصورة معرب
- ١٠٥- وله على اهل البسيطة كلها
فضل النجوم على سواد الغيهب
- ١٠٦- واذا نشرت ذؤابة من علمه
عطرت نواحي شرقها والمغرب

(٩٣) في ط (براهب) مكان (بواهب) .

(٩٤) الخادر : الاسد المقيم في خدره . منشب : عالق .

(٩٥) تورك على الدابة : تننى رجله ليستربح . هذا البيت
من الزيادة التي تقدم ذكرها في الفقرة (ا) .

(٩٦) قعضب رجل كان يعمل أسنة الرماح ، وقعضب ايضا :
الضخم الجريء الشديد .

(٩٧) الوشيج : الرماح . المارب : الحاجة . هذا البيت
والذي بعده من الابيات التسعة التي مر ذكرها انفا
في الفقرة (ا) .

(٩٨) المقم : الملوذ . المؤشب : الملتف .

(١٠٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ . اعجم الشيء : اخفاه
وايهمه . أعربه : أبانه ووضحه .

(١٠٥) في الاصول عدا ٧/خ (وله على كل البسيطة كلها) .
يريد بالبسيطة : أرض العراق .

(١٠٦) ذؤابة الشيء : اعلاه ، وفي أساس البلاغة (نار ساطعة

(٩) وقال يمدحه ويهنيه بالعيد

- ١٥ - اكافح خيل الدهر لا متقهقرا
لخطب ولا مستسلما لمحارب
- ١٦ - اعاف من الراحة لذة راحها
ورب مدام لا تلذ لشارب
- ١٧ - اذا قلدتني سيف حمير ايتقي
نحوت به سرح الاماني الكواذب
- ١٨ - وسوف لعمرى تعلمين بأنسي
خففت من الايام أعلى المناصب
- ١٩ - فتى الخيل يقربها الملوك بصارم
به كتب التأيد محو الكتاب
- ٢٠ - قضى الله ان ياتي بكل عجيبة
لما راق فيه من فرند العجائب
- ٢١ - متى امه العافون حطت رحالهم
بملتطم امواجه ذي غوارب
- ٢٢ - اذا اختلفت للماردين طوارق
رمى الله منه بالنجوم الثواقب
- ٢٣ - مجربة في كل حال فعالة
وما الناس الا تحت طي التجارب
- ٢٤ - ومن كان من عاداته بذل نفسه
لدى الروع لم يبخل ببذل الرغائب
- ٢٥ - فتى ترد الفتيان من فتكاته
ورود السواري من حياض المغارب
- ٢٦ - فتى تلقح الآمال باسم رجائه
لقاح بنات الاكم بابن السحاب
- ٢٧ - ابو الهندوانيات استاذها الذي
يعلمها كيف انفلال المواكب
- ٢٨ - اذا رنح العود الملوك فانما
يرنح عطفيه (صرير) القواضب

- ١ - اسانح برق من روابي الربائب
بدالك وهنا أم مصاييح راهب
- ٢ - وما هو الا السيف سل ذبابه
فعادت به الافاق حمر الذوائب
- ٣ - تصدى لاجفان المحبين سحرة
فشمر عن زندين كاس وسالب
- ٤ - عرضت له امار ري جوانحي
واي سراب بل غلة شارب
- ٥ - لعمر الهوى لو لم تجانب مودتي
عزيزة ذاك الحي ما ذل جانبي
- ٦ - ولائمة لم تدر فيم قلبي
واي نجيب تنتحيه نجائبي
- ٧ - تقول انخها واسترح من ركوبها
فجز النواصي دون جز السباب
- ٨ - هي النفس لا تحمل عليها فانها
ادق نحولا من خصور الكواعب
- ٩ - ولست لايماض الاماني بشائم
كما لمعت في الليل نار الحباب
- ١٠ - وما المال الا قسمة لا تفوتها
ولو انها نيظت بناب النوايب
- ١١ - ولا تتقاذفك الاماني فانها
[مصاعب] لا تعطي العنان لراكب
- ١٢ - فقلت اقلي العتب يا أم مالك
فليس المعنى للخلي بصاحب
- ١٣ - ذريني اقدھا تمضغ اللجم شزبا
محدقة احداقها للمارب
- ١٤ - الم تعلمي اني امرؤ غير صابر
لضيم ولا راض بادنى المراتب

- (١٧) يريد بسيف حمير : ممدوحه وهو من عليا حمير . السرح :
الابل السائمة ، اي الراعية . في الاصول عدا خ/ ٤ وخ/ ٥
وخ/ ٧ (نحرت بها) .
- (١٨) في ط ، وخ/ ١ وخ/ ٣ وخ/ ٦ (المصائب) مكان (المناصب) .
- (٢٠) راق : اعجب . الفرند : الوشي ، والجوهر .
- (٢٢) في الاصول عدا خ/ ٤ وخ/ ٥ وخ/ ٧ (للماردين) مكان
(للماردين) .
- (٢٥) لعله يريد بالسواوي (هنا) : السحب تأتي ليلا
وبالمغارب ، جمع المغرب : الجهة التي تأتي منها السحب
المطررة ومع ذلك فالبيت مضطرب المعنى .
- (٢٦) الاكم : الروابي ، ويريد بنات الاكم : ما نبت عليها من
اشباب ، وبابن السحاب : المطر .
- (٢٨) (صرير) كذا ورد في الاصول ، والصواب (صليل)
القواضب .

- (١) السانح : الذي يأتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح .
الربائب ، جمع رباب وهو السحاب ، رباعي مقيس
على وزن (فعال) كشمال وشمال . الوهن : نحو
منتصف الليل .
- (٤) امار : اطلب . القلة : شدة العطش .
- (٦) في خ/ ٤ وخ/ ٥ (تقبلوا) مكان (قلبي) . تنتحيه :
تقصده .
- (٧) الجز : القطع . النواصي ، جمع الناصية : الشعر في
مقدم الرأس . السباب : المغازة .
- (٩) الحباب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج .
في خ/ ٧ (الحباب) .
- (١١) المصاعب ، جمع المصعب : الفحل الذي لا يركب . في
خ/ ٧ (مصائب) وفي سائر الاصول (مصائب) وهو تصحيف
(١٣) تمضغ اللجم : تلوكها . الشرب من الخيل : الضامرة .

- ٢٩ - من القوم لم تجمع عليهم رئاسة أولئك أكفاء لتلك المطالب
- ٣٠ - اذا ازور بأس او تنمر حادث فانك رام كل جزع بشاقب
- ٣١ - تظن ملوك الارض انك كفؤها ومن قال ان الشمس كفؤ الكواكب
- ٣٢ - قرعتهم حتى تركت سيوفهم مضاربها مفلولة كالضرائب
- ٣٣ - طلبت العلى حتى اطمأنت نواشز قضى في هواها طالب بعد طالب
- ٣٤ - اذا العرب العرباء طالت مناسبا فانك منها في صميم المناسب
- ٣٥ - لعمر لك كم اوردتها سورة القنا وللطن كاس لا تلذ لشارب
- ٣٦ - فاطر بها ذاك الورود وما درت اكانت وطيسا أم ندي ملاعب
- ٣٧ - لقد صلت في سعد السعود بذابح هو السيف لا ينفل في كف ضارب
- ٣٨ - اذا انجذبت شوقا الى قربك العلى فانك مغناطيس طبع المناقب
- ٣٩ - وما طيبات الفعل الا لاهلها وانت بحمد الله طيب الاطاييب
- ٤٠ - اذا نحن اوردنا حياضك عيسنا فلا بد ان يصدرن بجر الحقائق
- ٤١ - ارى الدهر خفاق الجوانح كلما اشرت بذي حدين ماضي المضارب
- ٤٢ - وكم حجب للملك اوسعت خرقتها بعين سداد لم تكفكف بحاجب

- ٤٣ - (حنانيك) بالعيد الذي انت عيده ومورده الكأس اللذيذ لشارب
- ٤٤ - تحييه باليمن الذي يلد المنى ويقبل بالاقبال من كل جانب
- ٤٥ - تناهت بك الدنيا سرورا فأرخوا حوى منك هذا العيد اسنى المطالب
- ١١٣٦١٢١٦١١٥٦٧٠٦١١٠٦٢٤
= ١١٨٩ هـ

(٤٣) (حنانيك) كذا ورد في الاصول ولا معنى لهذه الكلمة هنا ، ولعل الصواب (أهنيك) . هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في خ/٧ .

(٤٥) اوردت الاصول عدا خ/٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولاعتقادي ان الناظم قد اسقطه وختم القصيدة بهذا البيت (بدليل احتوائه على التاريخ وتكرار القافية في البيتين) فقد رجحت نقله من المتن الى الهامش ، وهو :

جزيت من العلياء خيرا فانها رعت بك من نسوار كل المطالب

(١٠) وقال

- ١ - أبى الشعر الا ان يحل بساحتي فيأكل من زادي ويشرب من شربي
- ٢ - اذا انا لم أعبا به عمر ساعة توهم هجراني فلاذ الى جنبتي
- ٣ - وليكنني لما رايت مضاء مضاء العوالي والمهندة القضب
- ٤ - غزوت به بعض الاعادي فاصبحوا من الطعن قتلى لا من الطعن والضرب
- ٥ - ومن عادة الايام اضمار حرها كما سترت بالقشر جوهرة اللب

- (٤) الطعن (الاول) : القدح والدم .
- (٥) في خ/٤ (اضمال) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (اضماد) مكان (اضمار) .

(١١) وقال (١)

- ١ - يا أبا أحمد رويدا رويدا أنا في الشعر صاحب المعجزات

- (١) لا وجود لهذه القطعة في خ/٧ .
- (١) يا أبا أحمد : احتمل انه يخاطب الحاج سليمان الشاوي .

- (٢٩) في خ/١ ، وخ/٤ ، وخ/٥ ، وخ/٧ (لم تجمع) مكان (لم تجمع) .
- (٣٠) الجزع (بالكسر) : محلة القوم ، ومنعطف الوادي ، والمكان المشرف من الارض ، و (بالفتح) : الخرز اليماني .
- (٣٢) الضرائب ، جمع الضريبة : الرجل المضروب بالسيف ، وموضع الضربة من جسد المضروب .
- (٣٣) النواشز ، جمع الناشز : المرتفع ، والمستعصية على زوجها . في خ/٧ (فواشز) وهو تصحيف .
- (٣٧) سعد السعود ، وسعد الدابح : نجمان من منازل القمر ، استعار الاول لليمن والثاني للسيف . في خ/٧ (بدالج) مكان (بدابح) وهو تصحيف . في الاصول باستثناء ط ، وخ/٦ (في يد ضارب) .
- (٣٨) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .
- (٣٩) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .
- (٤٠) البجر (بالضم) جمع البجاء : المتثلثة . في خ/٥ (فلزود) وفي خ/٦ (فلاد) مكان (فلاید) .

- ٢ - أن شعر الألى غريب المعاني
رنق غير رائق الكلمات
- ٣ - لو يريد الإنسان أمثال هذا
لأتى بالآلوف لا بالمئات
- ٤ - فلهذا صددت عنه صدودا
وتعوضت عنه بالبينات
- ٥ - كنقاخ وطحلب وجفاح
وسنير وشبرق وطخات
- ٦ - لا أرى مركب الجموح صوابا
ليس قول الفلاة [كالوماة]

- ٦ - يا حادي اللذات دونك فاحدها
بسياط صوت للغناء مهزج
- ٧ - أجعل معارك للحميا لا الحمى
فمعرج الاقداح خير معرج
- ٨ - حسنت معاشرة الحسان فانها
مفتاح باب للهموم مفرج
- ٩ - لله أيام خلون كأنها
حبك النجوم منمنمات المنسج
- ١٠ - أيام سورنا الزمان ولغنا
ما بين خلخال أرن ودملج
- ١١ - ثلجت على رغم الشبية نارها
ومن أنزوت عنه الشبية يثلج
- ١٢ - لا ترج فائنة الصبا ان الصبا
وابيك يذهب مثل امس ولا يجي
- ١٣ - أسفي لما حجب السرى من جوهر
أصداف لؤلئسه أكلة هودج
- ١٤ - لهجوا بخوض دمي وبين جوانحي
قلب بغير هواهم لم يلهج
- ١٥ - وسرى نسيمهم فقلت لصبوتي
يا نار مسك نافخ فتأججي
- ١٦ - بأبي الاهلة في القباب كأنما
سمكوا لها فلكا من الفيروزج
- ١٧ - عرب تحملن الجمال لصونه
لاقدست حسناء ذات تبرج
- ١٨ - كذب الهوى من بات ينشد دمنة
ماذا الوقوف على يباب سجسج

- (٣) في ط ، و/خ ١/و/خ ٢ (دون المئات) .
- (٥) النقاخ : الماء البارد ، والعذب الصافي . الطحلب : خضرة
تملو الماء الراكد . الجفاح : الانتخار والتكبر . السنير :
السوء الخلق . الشبرق : نبات غض ، وقيل هو نبات
كاغفار الهر فاذا كان رطبا فهو شبرق ، واذا يبس فهو
الصريع . والشبرق ايضا : ولد الهرة . الطخات :
الليالي المظلمة .
- (٦) المومة : المغارة الواسعة ، في خ/ع ٤ (كالومياة) وفي خ/ه
(كالومساء) وفي سائر الاصول (كالوسمات) والصواب
ما أثبتته .

(١٢) وقال في الغزل والحماسة

- ١ - طرقتك صاحبة المحيا الإبلج
تختال بين تجمعد وتدعج
- ٢ - لم أنس أذ لعب الصبا بقوامها
لعب الصبي بمحجن من صولج
- ٣ - فأتت تهز معاطفا رجراجة
كالتضب بين تكسر وترجرج
- ٤ - لم أنسها والخال يلثم خدها
كالدرد صافحه صفيح زبردج
- ٥ - لمياء لولا قدرة من قادر
كانت من الأرحام لم تتبرج

- (٦) المهزج : المرنم في الاصول عدا خ/١ و/خ ٤/و/خ ٧ (بإحادي
النشوان) .
- (٧) في ط ، و/خ ٢/و/خ ٦ (للحمى) مكان (لا الحمى) .
- (٩) الحبك : الطرائق . المنمنم : المزخرف والمزين . في
الاصول عدا خ/٤ و/خ ٧ (منمنمات المنسج) .
- (١٠) سوره : جعل له سورا ، وألبسه سوارا ، الأرن : ذو
الصوت . الدملج : حلي يلبس في المعصم .
- (١٢) في الاصول عدا خ/٤ (لؤلؤة) . الأكلة ، جمع الاكليل
وهو كل ما احتف بالشئ من جوانبه .
- (١٥) في خ/٤ و/خ ٥ (نامخ) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (فافج)
مكان (نافخ) .
- (١٦) الفيروزج : حجر كريم (مغرب بيروزة) . انغردت خ/١
و/خ ٧ بإيراد هذا البيت ، وكان ترتيبه في خ/٧ بعد
البيت (١٣) وروايته مقابلة لما في خ/١ كالآتي :
لم أنسها بين القباب مصونة
كالدرد في حق من الفيروزج
- (١٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ و/خ ٧ .
- (١٨) الدمنة : آثار الدار . الباب : الخراب . السجسج :
الأرض ليست بعالية ولا سفلة . في ط (سباسب) وفي
خ/٧ (ماب) مكان (يباب) . وفي خ/٧ ايضا (دمة)
مكان (دمنة) .

- (١) التجمد : تجمد الشعر . التدمج ، من الدعجة : سواد
العين مع سمعتها .
- (٢) المحجن : المعصا المنقطعة الرأس كالصولجان . في الاصول
عدا خ/٧ (لعب الهوى برشيقتها) .
- (٣) المعاطف : مواضع الانعطاف من جسم الإنسان ، وهو
من قولك : انعطفت فلان في مشيه ، حرك رأسه وتهادى
وتبختر . التكسر : التثني .
- (٤) الصفيح : كالصفيحة : وجه كل شيء عريض . الزبردج :
من الاحجار الكريمة ، مغرب فارسيته (زبرجد) .

- ٣٢ - لله أفلاك السرور قطعتهما
في ليلة والصبح لم يتبلج
٣٣ - والشهب ترفع في السماء كأنها
عانات عين في رياض بنفسج
٣٤ - واغن ينضح بالحميا خده
ويمج مسكا من خلال مفلج
٣٥ - بأبي الصبح تقول لي وجناته
أنعم صباحا بالفلام الأبلج
٣٦ - ولرب منتقب يميظ تقابه
عن ناعم بدم القلوب مضرج
٣٧ - لما اطل على حوانيت الطلا
شفت شفيف الجو عن متبلج
٣٨ - وترى الكؤوس على اختلاف صباغها
كالزهر بين مورش ومسج
٣٩ - ويصبها ياقوتة بمفضض
كالدرة البيضاء لا بمزجج
٤٠ - حمراء تمشي في أكف سقاتها
مشي الكواكب في مجاري الأبرج
٤١ - (ايها لعيشك) يانديم ادر لنا
صرف الحميا او بريقك فامزج
٤٢ - برزت اليك من الدنان مليكة
بسوى حصى الياقوت لم تتوج
٤٣ - جهمية الاخلاق لو زوجتها
غير ابن نوء السحب لم تتزوج

- (٢٣) العانات : القطعان . العين بقر الوحش . في الاصول
عدا خ/٧ (في بياض) مكان (في رياض) .
(٢٥) في خ/٧ (بالصباح) مكان (بالفلام) .
(٣٦) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٧ (من ناعم) .
(٢٨) مورش : أصفر . مسج : أسود . في خ/٥ (مسلج)
مكان (مسج) .
(٣٩) يريد بالياقوتة : الخمرة بلون الياقوتة ، وبالمزجج :
الاناء من الزجاج .
(٤١) (ايها) : بمعنى اكفف ، ولعل الاصل (ايه بعيشك) اي
زدني بحق عيشك .
(٤٢) الدنان ، جمع الدن (بالفتح) : اناء كبير للخمر . يريد
بحصى الياقوت : الحباب الذي يطفو على الشراب .
(٤٣) جهمية : نسبة الى الجهمة (بالفتح او الفس) : الفلظة
والعبوس ، والجهمية : فرقة من الجبرية تنسب الى جهم
بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨ هـ . النوء (هنا) : المطر .

- ١٩ - هي شقة الوادي فما في جوها
نسم ولا في طيها من مدرج
٢٠ - يا صاحب الكوماء القحها السرى
بنوى سوى غلل الجوى لم تنتج
٢١ - هل للنواعج اوبة فتجد لي
ذكرى اغيلمة بدارة منعج
٢٢ - رحلوا فلي في كل واد صرعية
بسلاف ذكرهم الذي لم يمزج
٢٣ - واقول للارض التي ذكروا بها
هذا النسيم نسيمهم فتأرجي
٢٤ - اني لاذكركم فتعثر لوعتي
بالقلة الحمراء والقلب الشجي
٢٥ - لا تحسبوا مقتي يزيغها النوى
كم خالص بين الرفاق وبهرج
٢٦ - ولقد سددت على سواكم مقلتي
فالنوم ليس له بها من منهج
٢٧ - فمتى يفيق من الهموم مدله
درج الزمان وامره لم يدرج
٢٨ - جمعت مذاكي الحادثات فهل ترى
من ملجم يوما لها او مسرج
٢٩ - ضاق الخناق وكل ضيق بعده
فرج واية كربة لم تفرج
٣٠ - ولقد جريت مع الهوى وجرى معي
خلين ما قلقا لبين مزعج
٣١ - ما عز بذل النفس دون لقائكم
والجود بذل حشاشة لازبرج

- (١٩) الجو : ما بين السماء والارض . المدرج : المسلك .
(٢٠) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الفلل : شدة المطش .
في خ/٧ (بنوى السرى غلل بدارة منعج) .
(٢١) النواعج : النساء ، والنياق البيض . اغيلمة ، تصغير
اغلمة ، جمع غلام . منعج (كمجلس) : موضع . لا وجود
لهذا البيت في خ/٧ .
(٢٥) المقة : المحبة . في خ/٧ (حبي) مكان (مقتي) . البهرج :
الردى .
(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (كالنوم) مكان (فالنوم) . وفي ط ،
وخ/٣ وخ/٦ (ليس بها) .
(٢٧) درج : انطوى . في ط ، وخ/٧ (موله) وفي خ/٢ (متدله)
مكان (مدله) .
(٣١) الازبرج : اللعب . في خ/١ (ولقد بدلت النفس دون
لقائهم) .

- ٥٦ - دخلت على علم مداخل حربنا
لكنها جهلت سبيل المخرج
- ٥٧ - قرنت حماقتها بجرأة أسدنا
والحمق من خلق البعير الاهوج
- ٥٨ - سلبتهم الخيلاء خيل اقبلت
تختال بالخلق البهي (الاسمج)
- ٥٩ - خيل اذا ذكر الوغى طربت لها
طرب السمند بكل ذات تأجج
- ٦٠ - وانا الذي يهوى القنا فتروقه
هبوات (ليل بالقناة) مرهج
- ٦١ - جربت ايامي فلم أر صاحباً
الا يراقب فرصة او يرتجي
- ٦٢ - والحر بالجلي يزيد تحنكا
لولا احتراق العود لم يتأرج
- ٦٣ - ولرب اعزل لو دعت يد الوغى
لاجاب عن شاكى السلاح مدجج
- ٦٤ - ولقد تركناها جمادا في الفلا
والروح في سر الدم المترجرج
- ٦٥ - ثم اثنيينا رابحين ترائها
الا الجسم لناعب او أخرج
- ٦٦ - كم من يدي أسد اطار كليهما
ضرب وهام للملوك مدحرج
- ٦٧ - ركبوا الفرار فللقنا بظهورهم
وقع كصوت البارق المتأجج
- ٦٨ - فتقطعوا مثني هناك وموحدا
كقطيع وحش في القفار مهيج

- ٤٤ - وكأنها اذ يستدير حبابها
صفحات نهر بالرياض مدبج
- ٤٥ - قم هاتها من عصر عاد عصرها
لا خير في الثمرات ما لم تنضج
- ٤٦ - ولقد مننت بخلوة فجعلتها
كجمالك الفرد الذي لم يزوج
- ٤٧ - ماذا يضرك ان تمن بأختها
ان الكريم لدى رجاء المرتجي
- ٤٨ - واذا سألتك ان تمن بقبله
فامنن علي بها ولا تتبجج
- ٤٩ - صلني بواحدة وثن بأختها
كرما لجوهرك الذي لم يزوج
- ٥٠ - لا در درك يامدام فاني
نشوان من قدح الفلام الادمع
- ٥١ - وطوارق ادلجتها لجاشع
كانت كطارقة القضاء المدلج
- ٥٢ - لم انس صلصلة الحديد بمأرق
زجل الرعود بخرقه لم يولج
- ٥٣ - ايام تعتصر الكماة [ظباتنا]
والخمر لولا العصر لم تستخرج
- ٥٤ - والشوس تزبد والسيوف زواخر
والخيل تسبح في القنا المتموج
- ٥٥ - وكأن طائرة النبال اذا هوت
قبسات ضوء الكوكب المتوهج

- (٤٥) عاد : اسم رجل من قدماء العرب ، والى قومه ارسل الله نبيه هودا عليه السلام .
- (٤٦) لم يزوج (بكسر الواو) : مفرد ليس له منيل .
- (٤٨) التبيج : من البجاجة : الرديء . لا وجود لهذا البيت في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .
- (٤٩) لم يزوج (بفتح الواو) : يريد لا يقبل الانقسام كالجواهر الفرد . هذا البيت مشابه للبيت (٤٦) ولعل الشاعر كان قد اسقط احدهما ، وهو ايضا غير موجود في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .
- (٥١) الطوارق : جمع الطارقة : عشيرة الرجل . ادلجتها : سيرتها في الدلجة . مجاشع : بطن من تميم . الطارقة : الداهية . في ط ، وخ/٣ (المدمج) مكان (المدلج) .
- (٥٢) صلصلة الحديد : صوته . المأرق : المضيق ، وموضع الحرب . الخرق : الفرجة .
- (٥٣) في خ/٧ (ظباءها) وفي سائر الاصول (ظباؤنا) والصواب ما أثبتته .

- (٥٦) في الاصول عدا خ/٧ (دخلت على غرر) .
- (٥٨) (الاسمج) كذا وردت الكلمة في الاصول ، ولا معنى لها هنا ، ولعل الصواب (السجج) وهو المعتدل من كل شيء .
- (٥٩) السمند : طائر قيل : انه يستلذ بالنار ولا يحترق بها . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣ وخ/٦ .
- (٦٠) الهبوات ، جمع الهبوة : الفيرة . المرهج : المنفر . (ليل بالقناة) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (يوم بالقتال) .
- (٦٤) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .
- (٦٥) الناعب : الغراب . الاخرج : كل ذي لونين من بياض وسواد ، كالغراب الايقع .
- (٦٧) في الاصول عدا خ/٧ (كسوط) مكان (كصوت) .

- ٨٠ - نختال في الحرب العبوس كاننا
نختال في يوم القنيس المبهج
٨١ - واذا القساطل زاحمت لهواتنا
كانت لنا كون الهوى للمحوج
٨٢ - والارض ان طابت محارث تربها
نبتت بابهي ما يكون وابهج
٨٣ - والضيم ياأبانا وثأبي وخزّه
كيف المبيت على شيك العوسج
٨٤ - لا تحسبوا بالغى يصفو شربكم
فمتاع أهل الغي غير مروج
٨٥ - كذبت عيونكم المنى بمخائل
كالآل بين تدفق وتموج
٨٦ - نبهتم الاسياف بعد رقودها
فعل الملح بقرع باب مرتج
٨٧ - وحسبتم الهيجاء مزحة عابث
لكنما الهيجاء ذات توهج
٨٨ - غرتكم مدح الرعاع بهجرها
من كان ممدوح الرعاع فقد هجي
٨٩ - او ما درى من شام فقد شمو سنا
ان فارق الكون الغزالة يثلج
٩٠ - سفها لرايكم الغوى اما درى
من قامر الحظ المؤيد يفلج
٩١ - او لم تحدثكم مثقفة القنا
ان الاذلة بالاعزّة تلتجي

- ٦٩ - ولقد أبخناها الفرار تكرما
وابن الكرام يصون كل مبهرج
٧٠ - والجود تمقته مشائم الورى
مقت الخنافس كل ذات تأرج
٧١ - بعدا لبارقة الشحيح فانها
رحم العقيمة ما لها من منتج
٧٢ - كم غاظنا ملك فعاد متوجبا
بحدود ضرب لا ضروب تتوج
٧٣ - نسج الطعان لنا بتسدية القنا
مجدا على منواله لم ينسج
٧٤ - طعن يسل من الملوك حقوقنا
والخمر لولا العصر لم تستخرج
٧٥ - تهوى مواقنا الوغى فنقودها
قب الاياطل من عقائل اعوج
٧٦ - لا نستحيل عن الاسنة والندى
كالنجم عن افلاكه لم يخرج
٧٧ - او ما ترى المعتاد عودي الشذا
لا يطمئن الى دخان العرفج
٧٨ - جئنا من الحذب الظهور بحجة
لم تبق وجهها قط للمتجج
٧٩ - رنت المطامع ان تروم لحاقنا
كم غاية لا يرتجها المرتجي

- (٦٩) المبهرج : الذي هدر دمه . في خ/٣ (مبهرج) .
(٧٠) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (والجور) مكان (والجود) .
مشائم ، جمع مشئوم ضد ميون . في الاصول عدا
خ/٥ وخ/٧ (مشائم) مكان (مشائم) . وفي ط (الورى)
وفي خ/٧ (الهوى) مكان (الورى) .
(٧٢) في خ/١ وخ/٢ (فراح متوجا) . وفي ط ، وخ/٣ وخ/٦
(مجد ويضرب لا ضروب تتوج) .
(٧٣) سقطت كلمة (لنا) من ط وخ/٣ . التسدية : مد سدى
الثوب . المنوال : خشبة الحائك .
(٧٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ ، وقد كرر الشاعر فيه
عجز البيت (٥٣) .
(٧٥) القلب ، جمع الاقب : الضامر . الاياطل ، جمع الاياطل :
الخاصرة . اعوج : فرس أصيل لبني هلال تنسب اليه
الاعوجيات . في ط ، وخ/٣ (الهوى) مكان
(الوغى) .
(٧٦) لا نستحيل : لا نتحول .
(٧٧) عودي : نسبة الى العود وهو ضرب من الطيب يتبخر به .
المرنج : شجر ينبت في السهل وقيل هو القتاد .
(٧٨) الحذب : السيوف . انفردت خ/١ بإيراد هذا البيت
والبيتين اللذين بعده .

(١٣) وقال (١)

- ١ - هي حزوى ونشرها الفياح
كل قلب للذكرها يرتاح
- ٢ - مرضت سلوتي وصح غرامي
بلحاظ هي المراض الصحاح
- ٣ - ليت شعري وللهمى عطفات
هل يياح الدنو او لا يياح
- ٤ - عجا كيف لا يياح دنوي
عند قوم وقتل مثلي مباح
- ٥ - كل سر لهم بقلبي مصون
غير ان الهوى لدي مباح
- ٦ - يانسيم الصبا بروضة (خد)
لك منها اذا اعتلت ارتياح
- ٧ - جز بحزوى فشم عالم لطيف
من بقايا اجسامه الارواح
- ٨ - هجروا والهوى وصال وهجر
هكذا سنت الغرام الملاح
- ٩ - ايها الورق ليس وجدك وجدي
اين من ذي الصبابة المرتاح
- ١٠ - بت في الروض لا محاجر قرعى
من دموع ولا فؤاد متاح
- ١١ - لك داب الفنا ولي النوح داب
اين من نشوة الفناء النواح

- (١) في ط (وقال يمدح سليمان بيك الشاوي) ، والقعيدة عارية عن المديح . وفي خ/٧ (وله في الغزل) . ووردت في سائر الاصول غير معنونة .
- (١) حزوى : موضع بنجد في ديار بني تميم .
- (٤) في خ/٤ (عنه) وفي سائر الاصول عدا خ/١ (منه) مكان (عند) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
- (٥) مباح : مداع . انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيت .
- (٦) (خد) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (خاخ) وروضة خاخ بين مكة والمدينة وقد اكثر الشعراء من ذكرها (معجم البلدان) .
- (٧) في ط (اجسامها) مكان (اجسامه) .
- (١٠) المتاح : الواقع في البلايا . في ط ، وخ/٢ وخ/٦ (من دموعي) ، وفي خ/٧ (مراح) مكان (متاح) .
- (١١) الداب : العادة ، والشأن . لا وجود لهذا البيت في ط . في خ/١ وخ/٢ وخ/٧ (نشأة) مكان (نشوة) .

٩٢ - لا تدعوا ما ندعيه وايقنوا

- ان الصموت احق بالمستبج
- ٩٣ - نحن الالى لو لم تفت حركاتهم
سكنات عين الدهر لم تترجرج
- ٩٤ - افصت سماؤهم الفتوق فما ترى
للطالبين عروجها من معرج
- ٩٥ - طاف الوفود بهم وزممت المنى
ولغير بيتهم الحجا لم يحجج
- ٩٦ - تهدي الرماح اليهم مما فرت
نفحات عنبر طيبها المتأرج
- ٩٧ - تترادف الطعنات من (اسلافهم)
فيقوم مفردها مقام المزوج
- ٩٨ - توج وجودك بالآثر والعلى
فالراء بالاكليلى غير متوج
- ٩٩ - واذا دعيت الى النهوض بحاجة
فاحجج لها عجلا ولا تتحجج
- ١٠٠ - والنفس جوهرة الكمال اذا خلت
من غش طبع بالبطالة مدمج
- ١٠١ - والعلم لج لا يصيب وفوده
ظما فبورك راي كل ملجج
- ١٠٢ - كن كيف شئت مكوبا او مركزا
ما الجواهر النوري كالثقل الدجي
- ١٠٣ - لا تلزمني باختلال معاصري
فالورد ينبت في خلال العوسج

- (٩٢) يريد بالمستبج : الذي يدعي البلج ، أي وضوح الحجة . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (تدعوا لنا ما ندعيه) .
- (٩٣) في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ (تفت) مكان (تفت) .
- (٩٤) افصت (بالصاد المهملة) : سدت ، ازالته . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (اما ترى) .
- (٩٧) (اسلافهم) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (اسلاتهم) جمع أسلة : نصل الرمح ، ومستندق الدراع .
- (٩٩) أجمج : اقصد ، واقدم ، في خ/٧ (فاسرع) مكان (فاحجج) . التحجج : تلفيق الحجج والاعذار .
- (١٠٠) مدمج : ملفوف ، ومتداخل . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣ وخ/٦ .
- (١٠١) الملجج : راكب اللجج . في ط (العلم نور) . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (ملجج) مكان (ملجج) .
- (١٠٢) الكوكب : الفلك . المركز : القطب . الجواهر : الشيء القائم بذاته ، يقابله العرض وهو ما عبر عنه بالثقل الدجي أي الظلم .

- ٢٥ - ومن الظلم ان تلام ببخل
انما البخل في الملاح سماح
٢٦ - غر لين القوام منك اناسا
ومن البأس ان تلين الرماح
٢٧ - ان الله اسهما في العيون الـ
نجل لم تندمل لهن جراح
٢٨ - يا ظما الوجد ما ارى لك ريا
بعد ثفر لماه للراح راح
٢٩ - يا حمام الاراك بلغ سلامي
اهل ودي فما عليك جناح
٣٠ - كيف لا تملك الجاذر رقي
وقضاء الهوى قضاء متاح
٣١ - قل لهم هل رأيتم الليث ملقى
صافحته من اللحاظ صفاح
٣٢ - تتعاطاه راحة الوجد حتى
لا هدوء له ولا مستراح
٣٣ - صدني عنه من تمنطق بالاج
ناد لكن له القلوب مراح
٣٤ - بين جنبيه للصبابة واد
كل آن حمامه نواح
٣٥ - لاجواه يفنى ولا الصبر باق
كيف يفنى جد ويبقى مزاح
٣٦ - ان في القلب حاجة هي في الصد
ر غليل وفي الضلوع جراح
٣٧ - ما نعتني عنها رماح قدود
بعد ما صاحت الامان الرماح

- ١٢ - عرجي بالنقا على دار قوم
عندهم يحسد المساء الصباح
١٣ - وقفي منهم بوادي سلام
فيه تاوي الارواح والاشباح
١٤ - واذكريني بأفصح الذكر في تلـ
ك المفاني ان امكن الافصاح
١٥ - لا تنوحي الا علي لديهم
ما على كل من يموت يناح
١٦ - ووراء الكتيب (سرحة) عين
ما لها في سوى القلوب سراح
١٧ - كل قد للفتك فيه مجال
تتلوى به القنا والصفاح
١٨ - قدفتها النوى فغابت شمس
أوجه العيش بعدهن قباح
١٩ - ليت شعري ما للفراق وللأحـ
باب ان الفراق وجه وقاح
٢٠ - وبذلك اللمى احاديث ورد
شرحها للمتممين انشراح
٢١ - ان هدى (فرعه) أضل بفرع
أهو الليل أم هو الا صباح
٢٢ - قمر ماس تحته خيزران
كل روح اليهما تروح
٢٣ - يا غزال الصريم يهنيك رقي
ولثلي على الاسود جمناح
٢٤ - لا تلمني على اباحة سري
كل عشق لاهله فضاح

- (١٢) في ط ، وخ/٣ (عرجى بي على) وفي خ/٢ (بالنوى)
مكان (بالنقا) وفي خ/٧ (واد) وفي سائر الاصول عدا خ/١
(ناد) مكان (دار) .
(١٤) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ (في أفصح) .
(١٦) السرحة : الشجرة ، والعرب تكنى عن المرأة بالسرحة
(اللسان) ، ولعل الاصوب (مسرح عين)
العين (بالكسر) : بقر الوحش ، وجمع العيناء : الواصة
العين في خ/٤ وخ/٥ (ان دون الكتيب) وفي خ/١ (مراح)
مكان (سراح) .
(١٧) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بإيراد هذا البيت .
(١٩) في ط (ان فارقوا وجه وقاح) .
(٢٠) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (للمتممين فيه انشراح) .
(٢١) (فرعه) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (فرقه) ،
والفرق : الطريق في شعر الرأس ما بين الجبين الى الدائرة .
الفرع : الشعر . في خ/١ (ان بدا فرعه أضواء بفرع)
وفي الاصول عدا خ/٧ (ام هو الصباح) .
(٢٣) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ (الرقيم) مكان (الصريم) .

- (٢٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧
(٢٧) النجل ، جمع النجلاء : الواصة . لا وجود لهذا البيت
في خ/٧ .
(٢٨) في خ/٥ (باشجى القلب) مكان (ياظما الوجد) . لا وجود
لهذا البيت في خ/٤ .
(٢٢) تتعاطاه : تتناول ، وتتنازع . الراحة : الكف .
(٢٣) تمنطق بالاجناد : يريد احاط نفسه بحزام من الجند .
لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .
(٢٤) في الاصول عدا خ/٧ (كم بجنبه) .
(٢٥) المراح (بالضم) الاسم اما المراح بالكسر فهو مصدر
(مازحه) : دابه . في الاصول عدا خ/١ وخ/٧ (يفنى
جوى) .
(٣٦) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بإيراد هذا البيت والذي بعده .

- ٤٨ - جدا ليلة برامة صفت
(ذهب) العيش لي بها الافراح
٤٩ - ليلة كان لي بها الف صبح
يا ترى ما الذي اراد الصباح
٥٠ - نسفتها ايدي الحوادث نسفا
مثلما تنسف الرمال الرياح
٥١ - زار افق السماء ريحان فجر
غاب عن افقنا به التفاح
٥٢ - ياغليل الفؤاد صبرا جميلا
ربما يعقب الفساد الصلاح

(٤٨) رامة : منزل لبني تميم في طريق البصرة الى مكة .
(ذهب العيش) كذا ورد في الاصول ، واخال الصواب
(ضرب العيش) أي حلاوة العيش ، والضرب : العسل .
لا وجود لهذا البيت في ٧/خ .
(٥٠) هذا البيت غير موجود ايضا في ٧/خ .
(٥١) في الاصول عدا ١/خ و ٧/خ (بها) مكان (به) .

(١٤) وقال يمدح سليمان الشاوي (*)

- ١ - نسخ العهود وعهده لا ينسخ
حدث حديث الحسن عنه ينسخ
٢ - يا للرجال لمن اتاح يد النسوى
وسما كوسم النار لا يتبوخ
٣ - قذفت اليه النظرة الاولى هوى
اين الرواسخ منه بل هو ارسخ
٤ - كم بات بالعتبي يلطخ ثوبه
عتبا ولا ذنب به يتلطح
٥ - عف على العلات لم يعلق به
ريب لاردية العفاف يوسخ
٦ - نفحات وجرة هلممي لشجوننا
غوئي اليك كأنها تستصرخ

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .
(١) ينسخ (الاولى) من نسخ الشيء : ابطله ، وازالة .
و (الثانية) : يكتب . في الاصول عدا ٤/خ و ٥/خ و ٧/خ
(لم ينسخ) .
(٢) لا يتبوخ : لا يخمد ، لا ينطفئ . في الاصول عدا ٤/خ
(رسما كرسم النار) .
(٦) وجرة : موضع في طريق البصرة الى مكة ، هلممي

- ٣٨ - هكذا الحب ذلة والتياع
وكذا الحسن غرة ومراح
٣٩ - جد مزح الهوى فاضنى وافنى
وكذا اول الحسروب مزاح
٤٠ - وتسلمت بالعزاء فما اغ
نى ولكن نعم المعين السلاح
٤١ - اي عيش بغير قربك يغني
ان فضل الكؤوس لا شك راح
٤٢ - ياشجا القلب اين روض [المنى أم]
اين مني نسيمه الفياح
٤٣ - وعلى الابرقين معهد (صب)
ساكنوه لقتل عهدي ابا حوا
٤٤ - عذبوا مهجتي باحياء وجدي
ما عليهم بقتله لو اراحوا
٤٥ - يا ليالي الوصال هل من بلوغ
فلقد آن مني الافتضاح
٤٦ - اين منك الذي تمنطق بالاب
صار لكن له القلوب وشاح
٤٧ - عليني يواضح من لماء
كان منه لك اللما الواضح

(٣٨) الفرة : الغفلة . المراح : الاثر والبطر . لا وجود لهذا
البيت في ٥/خ و ٦/خ و ٧/خ .
(٣٩) لا وجود لهذا البيت في ٧/خ ، ولانه مماثل للبيت (٣٥)
معنى وقافية ، احتمال ان الشاعر كان قد اسقط احدهما
فانتهما النساخ معا .
(٤٠) العزاء : حسن الصبر . لا وجود لهذا البيت والذي بعده
في ٧/خ .
(٤١) في ط (يهني) مكان (يغني) وفيها وفي ٥/خ (افضل)
مكان (فضل) .
(٤٢) في الاصول (روض الثنايا) والتصويب من اعيان الشيعة
١٠٨/٤٣ . لا وجود لهذا البيت في ٥/خ و ٧/خ .
(٤٣) الابرقان : ماء لبني جعفر ، ومنزل في طرق البصرة الى
مكة المكرمة . المعهد : المنزل . كذا ورد في
الاصول وهو تصحيف والصواب (حب) اي محبوب .
المعهد : المودة ، واللمة ، والوفاء . هذا البيت والابيات
الاربعة التي من بعده غير موجودة في ٢/خ و ٤/خ و ٥/خ
و ٦/خ و ٧/خ .
(٤٦) تمنطق بالابصار : يريد ضربت عليه العيون نطاقا .
الوشاح (بالضم ويكسر) : شبه قلادة ينسج من اديم
عريض ، ويرصع بالجوهر ، تشبه المرأة بين عاتقها
وكشحيها .

- ٢١ - لي فيك برح جوى كان رسيه
لم يكف عذالي عليك فوبخوا
- ٢٢ - كان الزمان وكانت الدار التي
كنا لنسكنها نسكنها
- ٢٣ - كنا وحاشية العناق تلفنا
والهم يسفر والاماني نوح
- ٢٤ - والمرء كالعنقود يضحك ثفره
والعاصرات به تعج وتصرخ
- ٢٥ - عز المعين فلا معين كانما
بين الجميل ورائديه برزخ
- ٢٦ - كبتا لوجه الدهر لولا واحد
هو للجميل بوجنتيه مؤرخ
- ٢٧ - ولقد عفوت عن الزمان لاجله
فليشكرن يداله لا تشرح
- ٢٨ - هذا سليمان الذي لقامه
ريح الجبارة الشداد تروح
- ٢٩ - اسد اذا انفسخت عزائم غيره
كانت عزائمه التي لا تفسخ
- ٣٠ - وتحط آمال الرجال بداره
فكانها بزل الجمال تنوخ
- ٣١ - دار بمختلفات انعم ربها
يرقى اللديغ وينجد المستصرخ
- ٣٢ - لقحت به عقم الممالك وارعوى
بعد المشيب لها الشباب الاشرخ

- (٢١) الرئيس : الشيء الثابت ، وابتداء الحمى ، وبخوا :
لاموا ، وانبوا .
- (٢٦) كبتا : دعاء بان يكبه الله على وجهه . في خ/٧ (تبا لوجه
الدهر) وفي ط ، وخ/٢ وخ/٣ (كتبنا لوجه الدهر) ،
و (هذا) مكان (هو) لم يرد هذا البيت في خ/١ .
- (٢٧) لا تشرح : ليس لها شرح ، والشرح : التل .
- (٢٨) تروح : تكون رخاء (بالضم) وهي الريح اللينة التي
لا تحرك ساكنا .
- (٣١) رب الدار : صاحبها . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (بمختلفات
القم ودبها) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
- (٣٢) ارعوى : رجع . شباب اشرخ : في اوله ، وريعانه .

- ٧ - نتنت افأويه الوداد بغيرهم
لكنها بغيرهم تتلخلخ
- ٨ - غني بهم وتحذني ان الهوى
قطب بغير هواهم لا يرسخ
- ٩ - ياليت شعري من اباح لهم دمي
والى متى وانا البريء اوبسح
- ١٠ - حاولت (من نحوي) ارتياد رياضكم
وهتفت بالنخوات منكم فانتخوا
- ١١ - وملكتم ملك الجمال فانصفوا
ان الكريم بأنفسه لا يشمخ
- ١٢ - ولسوف يدرك كل باغ بغيه
المرء ينسى والزمان يؤرخ
- ١٣ - ولنا على يبرين من شرقيه
يوم كقادمة الحمامة افتخ
- ١٤ - يا منزلا كانت لنا في حانه
اكواب عيش بالبطالة تنضخ
- ١٥ - لا تعتب الايام كيف تقلبت
ماذا على الافلاك فيما ينسخ
- ١٦ - قالوا المدام فقلت حسبي ريقه
هي اخت ماء الخلد وهو لها اخ
- ١٧ - تلك العقار صفت لنا فيخ نج
لا عيش من دون المقار يبخج
- ١٨ - بحياة حبك سيدي لا تسقني
الا التي بلهيب خذك تطبخ
- ١٩ - خطب الفرام بركبه حتى اذا
وجدوا مناخ الحسن عندك نوخوا
- ٢٠ - لا يطفينك ما يروق من الصبا
ان المشيب لكل رأس يشلدخ

- لشجوننا : ادعيها بهلمي ، في ط (هلمن لشجوننا) ،
وفي خ/٧ (هل يلم بشجوننا) . غوثي اليك : تناديك
واغوثاه .
- (٧) الافأويه : انواع الطيب ، الواحد (فوه) . لخلخه :
طيبه بالخلخة ، وهي ضرب من الطيوب . في الاصول
عدا خ/٥ (انادية) مكان (افأويه) .
- (١٠) (من نحوي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب
(من وجدي) .
- (١٣) يبرين : موضع بعداء الاحساء . افتخ : لين .

- ٤٢ - أن ضيعوا الحسنى ففير عجيبة
ربما اضاع القطر واد مسبخ
٤٣ - والقار قار لا يطيب نسيمه
ولو انه بالمدلي مضمخ
٤٤ - قرعوا قواه بضعفهم وتوهموا
ان الحجارة بالزجاجة ترضخ
٤٥ - صيرت هامهم وكورا للقنا
وكيدا الحمام لمرفهاتك افرخ
٤٦ - واعدت هاتيك البقاع كانها
جلباب وشي بالخلق ملطخ
٤٧ - وانساب سيفك بالعدو كانه
سم بطابعه الحجارة تفشخ
٤٨ - ولقد جريت فكل شبر اذرع
لك في العلاء وكل خطو فرسخ
٤٩ - خاقت من الذكر الجميل لك النهى
بردا كبرد الشمس لا يتوسخ
٥٠ - حظ الملوك وراء حظك جازر
فليستمدوا منك وليستصرخوا
٥١ - ان آمنوا وان لم يؤمنوا
٥٢ - في كل زند غير زندك كبسوة
ولكل ذكر غير ذكرك منسخ

✱

- (٤٣) المندلي : من اجود انواع العود الذي يتبخر به .
(٤٥) الحمام ، جمع الحمة (بالكسر) : المنية .
(٤٦) الجلباب : القميص ، وقيل هو ما تغطي المرأة به ثيابها ، وفي الصحاح : الجلباب : الملحفة . في الاصول عدا خ/٧ (جلبات) وهو تصحيف . الخلق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه من الزعفران .
(٤٧) الطابع : كالطبيعة ، أي السجية ، وطابع السيف صانعه تفشخ : تضرب ، والمامة تقول : فشخ رأسه : اذا جرحه ، ولا يقال الا في جرح الرأس ، ولعل الاصل : تفشخ ، او تشدخ .
(٥٠) جازر : راجع . استمد : طلب المدد .
(٥٢) الزند : العود الاعلى الذي يقتدح به النار . كبا الزند : لم يور .

- ٣٣ - اعنى المشايخ من فلاسف دهره
سن له حدث وراي اششيخ
٣٤ - من كان في الرتب الشوامخ صاعدا
فمكانه منها الاشم الاشمخ
٣٥ - لقد استخف الملك غير وقاره
وأخو الكمال بزقه لا ينفخ
٣٦ - لم يحكه والحرب تسجر بالقنا
الا السمندل في السمعير يفرخ
٣٧ - بابي الذي نهضت به من حمير
فئة لتاريخ المكارم ارخوا
٣٨ - يا باذخ الحسين حسبك محتد
من دونه نسب السماك الابذخ
٣٩ - جمعت بالطائي في حلب الندى
ونسخت ابنية (التي) لا تنسخ
٤٠ - وهزرت (آجال) الخوارج هزه
كادت تدك لها العقول الرسخ
٤١ - لم يقبلوا التوبخ الا بالطبى
ما للثام سوى الحسام موبخ

- (٣٣) اعنى المشايخ : اخضعها لارادته وآرائه .
(٣٥) الرزق : السقاء ، وقبل اسم عام للظرف . وزق الحداد : كبره .
(٣٦) السمندل ، وسماه الجوهري (السندل) بدون ميم ، وابن خلكان (السمند) بدون لام : طائر بالهند ، قيل انه بيض ويفرخ في النار (حياة الحيوان للدميري ٢/٣٣) .
(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ .
(٣٨) المحتد : الاصل . السماك : كوكب نير ، وهما سماكان : الرامح والاعزل .
(٣٩) جمع به : حبسه ، وكفه عن الدهاب . الطائي : حاتم ، الجواد المشهور . ابنية ، جمع بناء (التي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (له) والضمير يعود للطائي . نسخ الشيء : ازاله وابطله . واقام شيئا اخر مقامه .
(٤٠) (آجال) كذا وردت الكلمة في الاصول ، وهي جمع (اجل) : وقت الموت ، وجمع (اجل) : القطيع من بقر الوحش . واخالها مصحفة عن (آجام) وهي الحصون ، واحدها اجم .

(١٥) وقال (١) مادحا القاضي امين (*)

- ٨ - ذريني أقدها تمضغ اللجم شربا
يفور بها غور وينجدها نجد
٩ - اذا لم أجردها ليوم كفاحها
فقل لي لماذا تربط الضمر الجرد
١٠ - ذريني اذق حر الزمان وبرده
فلا خير فيمن عاقه الحر والبرد
١١ - اذا المرء لم يترك قرارة داره
فما هو الا الميت غيبه اللحد
١٢ - أرى السيف لم يقطع وان كان ماضيا
اذا لم تفارقه الحمائل والغمد
١٣ - ولا السهم لولا رأي راميه صائب
ولا السيف يغري الهام لكنه الزند
١٤ - ذريني أطرق كل حي بصاحب
أبى الله الا ان يدوم له عهد
١٥ - من البيض لا في نصحه الفس كامن
ولا بين جنبه على صاحب حقد
١٦ - أرى العقل لم يجمعه والمال جامع
وللضد طبع لا يلائمه الضد
١٧ - اذا لم تجد من صاحب ماهويته
وفوق الذي تهوى فقد كذب الود
١٨ - ومن يسأ التجريب عن كل صاحب
يجبه جواب القبح عما هو الرد
١٩ - ذريني ادرك بالمتاعب راحتني
فلا نوم الا بعد ان يفرط السهد
٢٠ - وما انا الا من عرفن فعاله
سل القدحة الصماء عما حوى الزند
٢١ - وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا أبق العبد

- ١ - هو السعد لم يصلد لقادحه الزند
فمن لم يعنه الجند لم يفنه الجند
٢ - عن السعد حدثنا وكرر حديثه
ومهما ادعى شيئا فقل صدق السعد
٣ - وان ناب دهر فاقتحمها عضوة
فليس لجاني الورد من شوكة بد
٤ - سأركبها اما لحتف معجل
واما لعز عيش صاحبه رغد
٥ - واترك اخلاط الاماني لاهلها
فان التمني جهد من لا له جهد
٦ - والطم وجه الصحصان بحافر
يطير جدا اذا تحته الحجر الصلد
٧ - اذا لم اشمر زند احوس باسل
فلاضا جعني البيض والسمر الملد

(١) عدد ابيات هذه القصيدة في خ/٧ (٤٥) بيتا ، وفي سائر
الاصول (٧٢) بيتا . اما الباقي من القصيدة بالنسبة
لـ خ/٧ وهو (٢٧) بيتا فقد ورد ضمن قصيدة اخرى
انفردت خ/٧ بايرادها ، سأبثها بعد هذه مباشرة ،
ومطلعا :

اذا الجد لم يسعدك لم ينفع الجد
هو السيف لا ما ارعفت حده الهند

وقد وضع لي انها في مدح حمد الحمود امير خراة .
لذلك فقد عولت على خ/٧ في عدد ابيات هذه القصيدة ،
واتبعت نسخ الديوان الاخرى في ترتيب تسلسل ابياتها
لانه اكثر انسجاما .

(*) القاضي امين : كذا ورد اسم المدوح في ط . واورد الشاعر
اسمه في البيتين (٣٦) و (٤٤) ونعنه بقاضي المسلمين
(البيت/٣٥) ونص على كونه من آل بيت النبي (البيت/
٣٨) . ولكني لم اتوصل الى معرفته . اما المخطوطات
السبعة التي اعتمدتها في التحقيق فقد اغفلت اسم
المدوح .

- (١) السعد : اليمن . صلد الزند : صوت ولم بور . الجد
(بالفتح) : الحظ ، و (بالكسر) : الاجتهاد .
(٣) العضوة : الداهية ، والحرب الشديدة .
(٦) الصحصان : المستوي من الارض الجرداء . الجذاذ :
القطع المكسرة . الصلد : الصلب الاملس .
(٧) الاحوس : الجريء الذي لا يهوله شيء . السمر الملد :
الرماح الناعمة ، والمعتدلة القوام .

- (٨) الشرب : الخيل الضامرة . الغور : ما انخفض من
الارض ، وخلافه النجد .
(١٣) لا وجود لهذا البيت في خ/٢ . في خ/١ وخ/٥ (يبري)
مكان (يغري) .
(١٤) اطرق كل حي : اجعله طريقا وممرا . يريد بالصاحب :
سيفه .
(١٦) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٣ (للمال) مكان (والمال) .
(١٩) في ط ، وخ/٢ (أترك) مكان (ادرك) .
(٢١) أبق العبد : هرب من سيده .

٣٣ - وبين الردى والعيش والفهم والفنى
مناكرة والضد ينكره الضد

٣٤ - اشكو زمانا فيه للجود باذل
أبى الله الا ان يدوم به (الوفد)

٣٥ - اذا جزرت مدا يد اليمن والمنى
فمن نوء قاضي المسلمين لها مد

٣٦ - أمين كنوز الفضل عيبة سرها
هو العالم العلوي والجوهر الفرد

٣٧ - اذا لم يفث (غيث) العلوم بكشفه
فواحيرة المشتاق عاث به صد

٣٨ - نزارية احسبه مضرية
يطرزها تاج النبوة والبرد

٣٩ - ربيع من الآلاء يمطره النهى
فينبت في حافاتهما الحمد والمجد

٤٠ - فتى طبق الآفاق جم علومه
واوشك منها ذو الغواية ينقد

٤١ - من القائدين الخيل خوصالى الوغى
خماصا عليها الاسد اقواتها الاسد

٤٢ - ملوك المعالي والعوالي كأنهم
سهام الردى لا يسطاع لها رد

٤٣ - اخذت بايدي العلم والحلم والحجا
وكانت عليها كل عادية تعدو

٤٤ - اليك أمين الله زمت ركابنا
وحاديك من حسن الشناء بها يحدو

٤٥ - اثرها ولا تسأل عن الحال مفصحا
وما حالة الحلفاء جدّ بها وقد

٢٢ - وهيهات ان الهو عن المجد بالهوى
وكيف بطين القار يستبدل الند

٢٣ - تعد أميم وجه رشدي ضلالة
لعل ضلالي يا أميم هو الرشيد

٢٤ - أمثلي من يخشى وان شب جمرها
وليس بضرار على الذهب الوقد

٢٥ - الى المجد غيري كم تخلق سبيله
وكم عاطل يبكي على جيده العقد

٢٦ - ولو كان قرما من ينزع همتي
لهونت ما القسى ولكنه وغد

٢٧ - يرى نفسه ليث العرين (لشدة)
نرا نزوانا بين اثوابه القرد

٢٨ - أقول لدهري حين انكر جوهري
اعد نظرا فيه فقد فاتك النقد

٢٩ - اتحسب ان السيف يخترم الطلى
جهلت وايم الله لكنه الزند

٣٠ - وليل كيوم الصب راقبت هوله
كان به شهب الدجى حدق رمد

٣١ - اسائر فيه الغول شعنا عوابسا
كأنى ملك بينها وهي الجنيد

٣٢ - توهمتها يا سعد تدرك بالونى
اذا كان هذا رأي سعد فلا سعد

(٢٤) ورد في ط ، ٤ / وخ / ٢ / وخ / ٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولانه لا يختلف عن البيت (٢٥) معنى وقافية رجحت نقله من المتن الى الهامش على احتمال انه مما اسقطه الشاعر ، وهو :

يرى نفسه في همة اسدية

وكم عنق عطلاء يشنقها المقد

(٢٥) في ط ، ٤ / وخ / ١ / وخ / ٢ / وخ / ٤ / وخ / ٦ (لو تجلى) وفي خ / ٣ (لم تجلى) مكان (كم تجلى) وما أثبتته عن خ / ٥ / وخ / ٧ .

(٢٧) (لشدة) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (لشد ما) اي (لحتا) يقال : شد ما انك ذاهب ، أي حقا انك ذاهب . نرا نزوانا : وثب ولوبا .

(٢٨) في الاصول عدا خ / ٥ (لدهر) مكان (لدهري) .

(٢٩) يخترم : يستأصل . الطلى : الاعناق . الزند : موصل طرف الدراع بالكف .

(٢٤) (الوفد) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (الردف) وهو العون ، والعتاء .

(٣٦) في خ / ٧ (العالم القدسي) . الجوهر الفرد : الجزء الذي لا يقبل الانقسام .

(٣٧) (غيث) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (غيب) . في ط ، ٤ / وخ / ١ ، ٣ / وخ / ٣ (عاث به الضد) .

(٣٨) في الاصول باستثناء ط ، ٤ / وخ / ١ (يطرزها) مكان (يطرزها) .

(٤٤) زمت الركاب : خطمت . في ط ، ٤ / وخ / ٢ / وخ / ٦ (به) مكان (بها) .

رحلة

المواطن العراقي « إلياس الموصل »

أول سائح عربي يصل الأمريكتين

اخراج

ابتهاج عمر طاهر الرازي

فالسائح نفسه خوري انحدر من عائلة دينية فقد كان والده قسيسا . وهو الياس بن حنا ويسمي نفسه الموصل الكلداني وينحدر من عائلة بيت عمودة ويظهر ان عائلته كانت تنقل بين الموصل وحلب حيث كان يطيب له الإقامة في حلب كثيرا وله اقارب فيها واصدقاء ، ولم اتمكن من الحصول على اية معلومات اخرى عن افراد عائلته سوى ان له ابن اخ يدعى يونان يخبرنا هو عنه في رحلته انه قد اكمل في سنة ١٦٧٠ تحصيله الديني في روما وقفل راجعا الى حلب . ويظهر ان الياس تبوأ مركزا مرموقا في الكنيسة الكاثوليكية بدليل ما انعمت عليه من الالقاب الدينية الكثيرة امثال روتونو تاريو رسولي Protonotarius Apostolius وحامل صليب مار بطرس Staurophorus d. Petri ثم كونت بالاتينو وكاهن كنيسة ملك اسبانيا . وعينته الكنيسة مشرفا على كنيسة بغداد الكاثوليكية .

ونعرف من كتابه هذا انه كان مؤمنا حريصا على اتباع تعاليم دينه ، وذا شخصية محبوبة قليل الخبرة والمعرفة باللغة العربية ضعيف الانشاء لذا جاء أسلوبه ركيكا حافلا بالكلمات الدارجة والاصطلاحات المتعارف عليها آنذاك في اللغتين التركية والفارسية . وقد جاء في كتابه عن سياحته الكثير من الاخطاء النحوية والتي يقول المحقق انه أصلح الفاحشة منها . ونرى تدينه وتقواه ينعكس في كتاباته فهو يفسر الكثير من الاحداث تفسيراً تافها يدل على مدى بساطته وسذاجة تفكيره .

بينما كان زوجي الدكتور سامي سعيد الاحمد يحاضر في جامعة واشنطن بالولايات المتحدة في شباط ١٩٧٣ جلب الدكتور فرحات زيادة رئيس قسم الدراسات الشرقية بتلك الجامعة نظره ، الى حقيقة كون أول سائح وصل اميركا من الشرق (آسيا وأفريقيا) هو عراقي من مدينة الموصل ، وان مذكراته عن تلك السفارة قد حققها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرها في سلسلة مقالات بمجلة المشرق اللبنانية^(١) . واهتم زوجي بالموضوع فترجم المقالات المذكورة الى اللغة الانكليزية . واسترعت ترجمته اهتمام صديقه الاستاذ الكسيكي الدكتور انطون لويرا من قسم الدراسات الاسبانية والبرتغالية بجامعة كاليفورنيا - لوس انجيلوس الذي ينكب الان على مطابقة ما جاء برحلة السائح العراقي مع جغرافية واحوال المناطق التي زارها حاليا وما كتبه الرحالة الاسبان والبرتغال الأوائل عنها . وسوف تظهر الترجمة والدراسة في الولايات المتحدة قريبا . وولعت أنا بالموضوع اشد الولع فجمعت ما تمكنت من جمعه عن السائح وعائلته وحياته وأسفاره وان لم يكن كثيرا . وفي هذه الدراسة سوف اقدم ماتيسر لي الحصول عليه من معلومات تتعلق به ، مع النص الكامل لهذه الرحلة الشاقة مثقلة بالشرح والتعليقات التي تركها المحقق الاب رباط .

(١) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة أول سائح شرقي الى اميركا ، المشرق ، المجلد الثامن (١٩٥٥) ص ٨٢١ - ص ٨٣٤ ، ٨٧٥-٨٨٦ ، ٩٣١-٩٤٢ ، ٩٧٤-٩٨٣ ، ١٠٢٢-١٠٣٣ ، ١٠٨٠-١٠٨٨ ، ١١١٨-١١٢٩ .

والمخطوطة الاصلية التي حققها الاب رباط بطول ٣١ سم وعرض ١٥ سم وبكل صفحة ٢١ سطرا وهي تقع في ٢٦٩ صفحة . ونحن سنكتفي بالمائة صفحة الاولى منها فقط والتي تتعلق بوصوله الى اوربا وسفرته الى الاميركتين (اميركا الجنوبية والوسطى والقسم الجنوبي من الولايات المتحدة) . اما الصفحات ١٠١ - ٢١٤ فيتحدث فيها المؤلف عن اكتشاف اميركا واخبار شعوبها وحكامها ثم العاديات والآثار والكنائس المسيحية فيها . والقسم الاخير من ص ٢١٤ - ص ٢٦٩ خصه المؤلف برحلة سعيد باشا سفير الدولة العثمانية الى فرنسا في سنة ١١٣٢هـ (١٧١٩) . علما بأن الكتابة ليست بخط المؤلف ولم يذكر ناسخها اسمه ولا تاريخ استنساخه لها من النص الاصيل للرحلة .

وبدا الخوري الياس سفرته التي استغرقت خمس عشرة سنة في سنة ١٦٦٨ عندما غادر بغداد الى القدس للزيارة ومن ثم سافر الى حلب حيث بقي بها فترة من الزمن ثم غادرها الى الاسكندرونه التي أبحر منها الى البندقية وفرنسا واسبانيا والبرتغال وصقلية . وفي سفرته الثانية الى اسبانيا تمكن من الحصول على سماح خاص من الجهات العليا للسفر الى اميركا . ويظهر انه لم يكن يسمح بدخول تلك المناطق (الاميركتين) لاحد الا بأذن من ملك اسبانيا . وفي طريقه الى القارة الجديدة مر في جزر الخالدات (الكناري) ومنها سارت بهم السفن الى اميركا الجنوبية ، واستغرقت تلك الرحلة خمسة وخمسين يوما . وقد زار السائح العراقي في تلك القارة بعض اجزاء بناما وكولومبيا وبسرو وبوليفيه وشيلي . وبقي في برو مدة من الزمن أنهى خلالها كتابة القسم الاول من مذكراته عن سفرته ومشاهداته في اقاماته ، ثم خرج الى المكسيك (التي

يسمىها ينكي دنيا) مارا بالاجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة الحالية . وترك المكسيك سنة ١٦٨٠ عائدا الى اسبانيا فروما حيث قابل فيها البابا اينوسنسوس (انوسنت) الحادي عشر (١٦٧٦ - ١٦٨٩) الذي اكرم وفادته (٢) . ويظهر انه قد جمع اموالا طائلة خلال سفرته هذه وسنعرف من خلال تفاصيلها انه تمكن ان يخرج كتابا وينفق على طبعه من ماله الخاص وهذا ليس بالامر الهين آنذاك دون شك نظرا لكون الطباعة في مراحلها الاولى واخراج كتاب يحتاج الى مبالغ طائلة من المال . ولا نعرف السنة التي توفي بها الخوري الياس ولكن يبدو انه كان حيا سنة ١٦٩٢ وهي السنة التي طبع بها كتابه حيث لم تقرا فيه كون المؤلف ميتا وان كان قد وقف على طبعه صديقه عبيدالله اندروس ابن مقدسي عبدالله الكلداني الموصللي الساكن في حلب (٣) ويظهر القسم الثالث من مخطوطته بأنه بقي حيا الى ما بعد سنة ١٧١٩ بحيث كتب عن رحلة السفير العثماني الى فرنسا بتلك السنة ان لم يكن هذا القسم منسوباً الى الخوري الياس وهذا ما أرجحه انا على الغلب وان لم يكن لدي دليل على ذلك (٤) .

(٢) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة اول سائح شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٨ (١٩٠٥) عدد ١٨ ص ٨٢١ - ص ٨٢٣ .

(٣) الاب انطون رباط اليسوعي ، اثر جديد لاول رحالة شرقي الى امركه ، المشرق ، مجلد ٩ العدد العاشر (٩٠٦) ص ٤٧٠ - ص ٤٧٤ . وذكر تفاصيل من الكتاب الاستاذ شتورر Schnurrer في كتابه المكتبة العربية (ببليويثيكا ارابيكا (Bibliotheca Arabica)) المطبوع في هاله - بالمانيا سنة ١٨١١ .

(٤) وهناك معلومات مستفيضة تناولت الياس الموصللي ورحلته ، استطاع الوقوف عليها في الجزء الثاني من تاريخ الادب الجغرافي (الترجمة العربية) للمشرق السوفيتي كراتشكوفسكي (المورد) .

دياجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمته . واخترع الموجودات بامرته وكلمته . وصور الانسان على شبهه ومثاله وسلطه على سائر المخلوقات بفضلته وانعامه . ونهاه عن ثمر لا ياكله لئلا يموت مونا . فهذا المخلوق الضعيف لما خالف امر خالقه واكل من المنهي عنه تجرد من النعمة التي كان متسربلا بها وصار مطرودا مع ذريته من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن . الى ان تحن عليه سبحانه وتعالى وشاء اعتناقه فارسل ابنه الحبيب الاقنوم الثاني وكلمته الازلية الى بشول عنراء طاهرة واشرف المخلوقات وحل في احشائها حلولا لا يدرك وليس منها جسدا كاملا وصار انسانا ما خلا الخطيئة وتردد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثم اختار له تلاميذ اناسا سذجا صيادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشروا بكراسة الانجيل الطاهر قائلا لهم (متى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وقال لهم ايضا (متى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم أيضا عند صعوده انه يرسل لهم الروح المعزي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعوده وجلوسه عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحل عليهم كالسنة نار فصاروا يتكلمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لافعالهم فقوم منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسمعت اصواتهم في اقطار المسكونة كانوا عاززين منضاقين مطرودين محقورين لاسبين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعة انوارهم تشرق وتير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرائتهم طهروا المسكونة من عبادة الوثان وارجعوه من الضلالة والطفيان واختاروا لهم تلاميذ واخلاقا وخولوهم تلك المواهب وانعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلا بعد جيل متداومين الى انقضاء العالين .

فاما الكنيسة المقدسة عروس السيد المسيح التي جعل مار بطرس الصخرة رأسها ومديرتها من بعد صعوده المجيد . ومن بعده للذين يخلفونه فلم تزل تمتد اطنابها وتتوسع اكنافها حتى انه لم يخل مكان واقل من اربعة اطراف المسكونة الا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرقة . واما اللعين الثلاب . عدو الخير والثواب . فلم يزل مجتهدا ومختوسا على تزعزع ضمائر المؤمنين حتى يطفئهم ويطرهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكه وفخاخه وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانية ولرئيسها ومديرتها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادين بعضهم بعضا حتى انه تبارك وتعالى سلط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيله المقدس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبا اليهود قائلا (١) : اذا رايتم ابراهيم واسحق

(١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأ . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف .

ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فما هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اولين . فلما تفرقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم اناسا مختلفي الاجناس والطباع . غربيي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال سالكين بيمشة وحشية لا فرق بينهم وبين البهايم معذبن ومتقادين بضلالة الشيطان فقوم منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيا عن الابصار ومستورا عن الافكار حتى ان القديس العظيم معلم الكنيسة المقدسة مار اغسطينوس كان يظن ان هذا الاقليم هو غير مسكون من البشرين . فسيلا ان نبرهن ونبين رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حسبوا من جملة القديسين . واما هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنه فهو ممتد الطول والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الاخرى المعروفة باسميا وافريكا واوروبا طولا وعرضا وقد جعلوا له اسما جديدا وسموه ميريكسا مسلوبا (٢) وسوف نتكلم عنه في مكانه ونحور سبب كشفه وبيانه ونرقم كل شيء في حينه واوانه . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لان ذلك يوجد في كل انسان

١ - من بغداد الى البندقية :

فاقول أنا الحقير في الكهنة اني في تاريخ سنة ألف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدا زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمى ميخائيل آغا (٣)

(٢) بقوله ان « اسم امركه مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفه كان حقه ان يسمى باسم مكتشفه كريستوف كولومبس . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمه امريكو من ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخص تلك الارض وهنودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذ سميت تلك الارض ميريكسا . . . وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانه كان المتبدى والمجتهد في هذا الامر . لكن بعدما انتشر هذا التكني في افواه الخلاق وشاع على مسامع الناس جميعا لم يكن ممكنا ان يتغير فيقيت تسمي ميريكسا » .

(٣) هو ميخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدير الطوبخانات الشاهانية في الشام وحلب وبغداد . الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بأمر الحكومة السنية ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مرارا المرسلون في رسائلهم لما كان عليه من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبية وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد النيرة . وقد ذكره بالثناء مرارا الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ والمخ الى اسفاره الى بغداد . وكان لميخائيل آغا اولاد وكل بهم الاب هرونيموس كيو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق ليتلقوا منه التعليم المسيحي والعلوم الادبية ويدرسوا اللغة اليونانية

ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينا لصوص مقدار مائة نفر وصار بيننا حرب فظفرتنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددا اثني عشر نفسا . لكن بقوة آلات الحرب من التفنك (٤) انتصرنا عليهم . ومن هناك أخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرفت بزيارة تلك الاماكن المقدسة .

ثم ذهبت الى مدينة حلب . وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمى اسكندرونة فمن هناك ركبنا في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوربة . فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس غازار واخلته مريم ومرتا (٥) ومن هذه الجزيرة رحلنا . وبعد ايام جزنا على جزنا على جزيرة قريطش التي تسمى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين اخريين قريبتين منها تسميان كورفو وسافولونية وهما ايضا في حكم البندقية التي تسمى باللسان التركي واتاديك (٦) المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا .

وبعد ايام عبرنا الى ميناء البندقية المذكورة . وكانت عدة الايام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوما من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء (٧) ثم اخرجونا من

التي كان يلقيها عندئذ الاب كيو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين .

(٤) التفنك كلمة تركية معناها قسبة ثم جرى استعمالها باللغة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة أو البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان .

(٥) يعرف القراء ان مكان قبر مريم المجدلية ومرتا ولما زار من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حله فالفرنساويون وسكان اقليم پرونسة خاصة يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قلة يحج اليها الزوار متبركين وهي قلة سنت بوم (Sainte-Beaume) أما سائر

المؤرخين لاسيما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه اللخائر . ومن البراهين التي يشق بها الفرنسيون تقليد يعزونه الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيه ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلا عن تقليد قديم ان لغاز ومرتتا ومريم دفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الرأي استنادا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيسان ١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في اس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحالتنا يذهب مذهبا آخر يتناقله اليوم أهل قبرص الروم وهم يكرمون قبر القديس العازر في كنيستهم الكبرى . والله اعلم بالصواب .

(٦) واتاديك اسم البندقية أو فينيقية باللغة التركية .

(٧) كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع رأسا المسافة بين اسكندر سورية والبندقية بثلاثين يوما وقد كانوا يلفونها بخمسة عشر أو عشرين يوما اذا ساعدتهم الرياح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانئ جزائر البحر المتوسط كثيرا ما كانت تؤخر وصولهم الى شبرين أو أكثر .

المركب وجعلونا في بيت التطهر الذي يسمى نازاريت (٨) باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحدا واربعين يوما كالرسوم . وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصرى خوفا من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوما اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستورنا ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوما متنزها وزرت كنائسهم والغنى الذي نلناه في كنيسة ما رمرقس الانجيلي (٩) هو شيء لا يوصف .

ثم من بعد تلك الايام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستة اشهر وزرت الاماكن المقدسة خصوصا كنيسة مار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجت قاصدا بلاد فرنسة فمررت على أرض امير يسمى كران دوكه توسكانا (١٠) وه ويسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدا ذو مال وخزان ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمى ليفورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد ايام قليلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاته . وهذا البلد شريف بالامارات غني بالاموال .

٢ - سياحته في فرنسة :

ومن هناك ايضا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثم خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوتيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا (١١) وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيال كانت تسحب السفينة ضد جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة .

ثم اني اجتمعت هناك مع رجل قديس يسمى موسسيو

(٨) نازاريت بالاطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيه يقضي القادمون من البلاد الموبوءة حجرهم الصحي مدة اربعين يوما والكلمة مشتقة من اسم لغاز (Lazare) ويد سميت في الاجيال المتوسطة ماوي المصابين باليرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقية يدعى سانت ماري دي نازاريت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماه المؤلف نازاريت لا لازاريت .

(٩) هي الكنيسة الكاثدرائية الشهيرة في البندقية .

(١٠) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane)

وكان اسمه اذ ذلك الدوك فردينان الثاني (١٦٢١ - ١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاساكن في ذلك العهد .

(١١) مدينة اقينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنطس السادس من حنة ملكة صقلية وكونتس پرونسة سنة ١٣٤٨ واقام فيه الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الفرنسية فاقطعها الناثرون سنة ١٧٨٩ وتملكوها عليها .

في الشركة المباركة وتسمى هذه الشركة باللسان الفرنسي شاريتيه (charité) (١٥) اعني مجمع الخيرات . هذا قد أسسوه من القديم . وايضا الارامل قد تركن مقتناتهن في هذه الشركة . وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمنة عند اناس الربح (١٦) وفي كل سنة تربح مليونين أي عشرين كرونة من المال . ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرة ويقسمن هذه الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضا على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضا يتصدقن لبعض بنات فقراء وزوجتهن من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثم وفيما أنا هناك والا أقبل قاصدا من عند السلطان محمد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمى باللسان التركي والفارسي ايلجي (١٧) فانا رحت زرت هذا ايلجي عدة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر .

٣ - اسبانية ايطالية :

ثم بعده خرجت من هناك قاصدا بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمى بونراس (١٨) ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمى بوردويس (Bordeaux) التي هي على شاطئ نهر كبير . وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخط البحر من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين (١٩) ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوما انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحد بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمى سان جوان دي لوكا (St Jean de Lux) من حكم فرنسة .

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمى

(١٥) هي جمعية راحات المحبة التي أسسها القديس منصور دي بول فانتشرت في انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق يعرف فضائلها وخدمتها للمساكين .

(١٦) يريد المصارف .

(١٧) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس . مدة كان فيها المسيو دارفييه (d'Arvieux) رفيقا له .

(١٨) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطئ نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه .

(١٩) يشير الى الاشغال التي انجزت بأمر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيرون (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر المتدين حول الارض المسماة « ما بين البحرين (Entre-deux-mers) » .

بيكيت (١٢) فهذا الرجل الشريف كان سابقا قنصلا في حلب وبعد رجوعه من حلب ارتسم اسقفا على مدينة بغداد وكانت وفاته في المعجم في بلد امان (١٣) . وما لنا زمان لتسكلم عن فضائله وحسن سيرته . ثم بعد ايام خرجت من ليون وسرت الى مدينة باريس تحت ملك فرنسة فدخلتها ورحلت زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم انني زرت اخاه امير اورليانوس (Duc d'Orléans) وأهديته سيفا وقدسنت له في الكنيسة التي في سرائيه . فاكرمني زائد الاكرام . ثم رحت زرت اميرا يسمى سانتينيان (St Aignan) ودفعت له مكتوبا كان اعطاني اياه عمه البادري حنا الراهب الكبوجي (١٤) الصالح الذكر الذي كان رئيسا في حلب فعمل لي عزا واکراما جزيلا لاجل وصية عمه البادري المذكور .

ثم اني نزلت في المكان وبقيت انزله في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبة اهاليها للغرباء . وقد نظرت امرا يستوجب الذكر والمدح لفعالهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدة نساء عددن سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهم عذارى وبعضهن ارامل . اما العذارى فقد تزهدن عن الدنيا وتركن كل نقدهن

(١٢) فرنسوا بيكه (François Picquet) ولد في ليون

١٢ نيسان ١٦٦٦ وجعل قنصلا لدولة فرنسة وهولادة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقوية مثال الفضيلة والفيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدته للكاتوليكين نخس بالذكر ما صنعه لاقامة اندراوس بطريرك كاتوليكيا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبه واکرامه لما ازدان به من السجاية . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثمان سنوات ثم سيم اسقفا على سزاروبليس Césarople ثم على بابل ونالها رسولا على المعجم واختاره لويس الرابع عشر سفيرا له لدى جلالة شاه المعجم فعاد الى سورية ومنها ذهب الى المعجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همدان بآيران في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطاب حياته باللعنة الافرنسية

Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy

(évêque de Grasse) اطاب أيضا كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. t.I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co à Londres et Harrassowitz à Leipzig).

صفحة ٩٦ و ١٠٣ و ١٠٤ . الخ .

(١٣) يريد همدان من مدن ايران .

(١٤) هو الاب يوحنا دي سنت اينيان

(Jean-Baptiste de St Aignan)

الكبوشي كان مرسلا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة وكتب رسائل لاتزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها . ومن معاصريه الكبوشيين الغيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونقلته اخاه وقد وجدنا توقيعها مرارا في الرسائل المقدمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسية مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنا بطرس والاب يوسف ملاك .

فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palermo) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال له ايضا وي الري . فعرضت عليه الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انه يعطيني اياها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب . وانا لما نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاضي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعت الى نابولي لالحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاول مثل ما كان وعدني فهذا ايضا جاوبني قائلا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئا ولا عندي دراهم .

ثم اني رجعت مرة اخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليقورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة . ومنها جئت الى سراكوزا ورايت هناك اخا الملك المذكور فاخبرته بما جرى لي من الانتاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجهر . فشق ذلك عليه وكان صحتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمه يوسف القتال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصدا بلاد البرتغال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجودا في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (sola Terceira) وذلك لعدم نسله بعد ان تبتت معه امراته ثلاث سنين . واما هذه الشقية فكانت فرنساوية وزوجها الاول كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI)

ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدوا فمع انه جلس في مكانه لكن لم يسموه ملكا لكن امرا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوجها رزق بنتا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلمت معه وبقيت في هذا البلد سبعة أشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكان هذه البلدة فمنهم اناس اجواد كرماء وكاثوليكيو الايمان . وايضا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملة اليهود المنتصرين وهم مطعون عند الكل وما يتزوجوا من النصارى القدامى والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلما يتحققون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحرق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر الراكب الى هند الشرق الى بلاد كوا التي من حكم البرتغال .

٤ - اهبة السفر الى امركة :

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقية الاصحاب اكرام زائد واحسدي السيدات تسمى ميركزا ده لوزوبلس التي ربت الملك عملت لي اكراما عظيما وطلبت من الملك دستورا ان اقدس له فكان معي شماس رومي وكنت علمته بخدم قداسي . فدخلت كنيسة الملك وقدمت امامه وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسالني اي شيء اطلب حتى تهني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فاشاروا علي ان اطلب اجازة وامرا قاطما حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب (٢٧) فصعب

(٢٧) كانوا يسمون بلاد امركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقية .

فونته اربيا (Fuenterrabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هناك قصدت بلدة تسمى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تحت ملك اسبانية وعبرت على بلدة تسمى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيه صلوات السيد المسيح الذي يسمى في اللسان السبتيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (٢٠) ويظهر منه عجائب كثيرة وايضا نظرت هناك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني (٢١) الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (٢) وكتابة قبره باللسان الارمني . ثم من هناك سافرت وجزنا على مدن لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تحت الملك فتي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امرأة الملك (٢٢) فيليب الرابع لانه كان قد توفي الملك وخلف ابنا صغيرا يسمى كارلوا الثاني . ثم اني قدمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فامرت ان يعطوني الف غرش (٢٣) من حاكم سيسيلية والالف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرا على تحصيل الدراهم .

فخرجت من مدريد قاصدا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمى سراكوزا (Sarragosse) حيث يتوج ملوك اسبانية ... حينئذ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرته فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدا البحر . فوصلت الى مدينة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منها في البحر مع جكتريات (٢٤) ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج وبقينا هناك خمسة وعشرين يوما بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لان المجاز من هناك خطر عظيم .

ثم بعد زمان نهار الاحد قدسنا واقلمنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشماس يونان (٢٥) قد ختم قرامته في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزه المجمع المقدس من كتب وأشياء أخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال له وي ارلي (٢٦) فقراه وجاوبني قائلا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش

(٢٠) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم .

(٢١) لا نعرف عن هذا الملك شيئا .

(٢٢) اي حنة النمساوية (Marie-Anne d'Autriche)

امراة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنه اربع سنوات فقط فاقبمت امه على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدة ولما مات عادت الملكة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشداه .

(٢٣) كان الغرش عندئذ يعادل الدينار ecu قيمة .

(٢٤) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن .

(٢٥) لا نعرف شيئا عن هذا الشماس ونظنه دوس في مدرسة البروباغندا (التبشير) .

(٢٦) وبالاسبانية (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

علي هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليه وطلبت الامر . لانه لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معه امر من الملك . وكان في ذلك الزمان التونسي الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكريدينال ماريكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح .

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها علي . فاما الامير الذي كنت نازلا عنده في الدار فجهزني بكل ما اعتازه في السفر واعطاني مكاتيب وصية الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجته من الملكة كان وصيتها علي الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقويت بالرّب واعصمت باسم والدته مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يوما في البر دخلت اليها فرايت مراكب الهند مهيّنة ومستعدة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدمت امر الملكة فسجلوه لي واعطوني امرا ثانيا بموجبه .

ولما كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدمت امري مع المكاتيب الى جنرال الفلايين (٨) دون نيقلاوس ده كوردووا . فجهني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كاهنه اي اوضة في مركبه فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الفليون هو الرئيس على سائر الفلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسا من طائفة الروم مولودا في اتيانس لاني ما وجدت احدا من ملتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحتني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم .

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلنا ونصبنا الاقلام وسرنا . وكان عدد الفلايين ستة عشر فليون . فتودعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودق الابواق ونصبوا الاعلام والرايات .

٥ - السفر الى امركة الجنوبية :

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي دنيا لكي يحضروا من هناك خزنة الملك . وايضا التجار يوسقون الفلايين من كل اجناس البضايح ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انسانا غريبا عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجرا ولا كاهنا ان لم يكن معه امر من الملك مثل ما ذكرنا سابقا . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من ايام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد البحر حيث على عهده فتحوا بلاد الهند . وهذه الفلايين تعود بالفنائيم الفضة والذهب بقيمة عشرين او خمسة وعشرين مليون وكل مليون قدره عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة ايام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس انيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذي دخل

(٢٨) جمع غليون اي السفن (Galion)

عليه مات في تلك الليلة . فربطوا برجليه جرار مملوءة ماء وحدفوه بالبحر لكي يغرق الى اسفل ولا يعود على وجه الماء وتاكله الحيتان . فلما حدفوه ضربوا له ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهبا مقدم ديوان كيتو (Quito) (٢٩) ومن بعد ثلاثة ايام اشرفنا على جزيرة اسمها كنارياس Canaries (٣٠) من حكم اسبانية ولازلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركبا انكليزيا موسوقا من العبيد السود عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتغال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند .

٦ - الوصول الى امركة :

وفي اليوم الرابع (٣١) كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان اي ناحية في البحر . فتأمل النواخذة (٣٢) في الماء . فلما نظروا لونها متغيرا علموا انها ماء النهر وعرفوا في اي مكان وصلوا لانه يتحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقداره اربعين فرسخا ولا تحدره وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيه نحو اربعين فرسخا . ثم الى هذا الحد تتخلط ماء في البحر ولا يوجد مثله نهر في الدنيا (٣٣) ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٣٤) ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مكاريتا (Marguerite) (٣٥) من حكم اسبانية . وذكرنا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الفطاسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صفد اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فذات يوم بينما كانوا يستخرجونه نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونه في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونه الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤا كبيرا غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غدا يكون على اسم العذراء وايضا غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوه احسن وابلق من الاول . فطمعوا كذلك وقالوا نهار غد نفي نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الفطاسون كماداتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئا ابدا والى يومنا هذا ما بقيوا يجسدون لؤلؤا في ذلك البحر .

(٢٩) عاصمة بلاد الاكواتور او خط الاستواء .

(٣٠) هي الجزائر الخالدات غربي افريقية الشمالية قبال بلاد مراكش .

(٣١) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولمسه اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس .

(٣٢) نواخذة كلمة فارسية مفردها تاخذة ومعناها ملاك السفينة او رئيسها .

(٣٣) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس بأعظم من نهر الامازون .

(٣٤) كراكاس عاصمة بلاد فنيزولا (Vénézuéla)

(٣٥) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) فجاء كراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في اواخر سنة ١٤٩٩ اشترى من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليه بابر ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلؤ (Las Perlas)

٧ - السير حذاء شطوط فيزيولا :

فترجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كوماننا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هذا الميناء يتدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية (٣٦) ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي اهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصون (Curacao) وهي من حكم الاولنديفر (الهولنديين) ثم ان حاكم هذه الجزيرة ايضا ارسل لنا شخصورا ملآن فواكه وبوزه لاجل المشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن ايضا ردينا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى تورتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة ازيد من ذراعين طولاً وعرضا . والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لاجل زوادة (٣٧) . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركبا صفرا فرنساويا . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانية وفرنسة ونحن كننا سبعة عشر غليوناً . ولما رأى الفرنسيون اننا احطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغا فاخذت مراكبنا المركب فرأيناهم موسوقا زلاحف ملحقة . واما الناس الذين هربوا وخلصوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة أميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركبا بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من أعدائهم .

٨ - وصف قرطجنة :

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène) (٣٨) وكان السفر الذي سافرناه سعيدا لاننا بخمسة وخمسين يوما دخلنا الى هذه الاسكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يوم

(٣٦) الجلالية لعلها كلمة (Guérillas) ومعناها العصابات التي تقايل قتالا غير قانوني .

(٣٧) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي أرضها عندما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣ .

(٣٨) قرطجنة بلدة عظيمة يسكنها وتجارها لانها تعتبر مرفأ امركة الجنوبية اليها تأتي السفن التجارية ومنها تطلع محملة كنوزا وبضائع . وقد كانت عندئذ سوقا عامسا للرفى يأتي التجاسون بالعبيد المساكين من الكونغو والغويان وغيرهما من بلاد افريقية فيبيعونهم ببيع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا ويتبرأ عقولهم بشعور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعمية . وقد اشتهر بين ذري الغيرة المسيحية على هؤلاء المتكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافر اليسوعي الذي قضى نحو من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة فكان لهم ابا حنونا اكتسب منهم الى المسيح عددا لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة ألف ونيّف ومات سنة ١٦٥٤ .

للبر نهار جمعة الالام واسترحنا من انهابنا . وايضا تشرفنا بالزيارات القامة يومئذ لالام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر اغنياء جدا وديوان من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبانيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنا في المراكب وقد عمل لي عزا عظيما واكراما جزيلاً . فرسينا في هذه البلدة اربعين يوما حتى جاءت المكاتب مع الاولاد (٣٩) من بلدة ليما التي هي تحت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتوبلو (٤٠) وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين لكاً (٤١) وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبين التجار السبنيولية اربعين يوما . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنسي السابق ذكره وفنصر (٤٢) . وفي ليلة من الليالي طف على الشخورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عدة المال مائتين ألف غرش . فالصبح لما سمع اصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفهم . فراحوا على من راحت وراح الصيادون الفرنسيون المذكورون وهم يزمرون ويدقون بالدفوف . ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتوبلو شيء من جنس الدبابات اصغر من البرغوث وسمى في اللسان الهندي بتكوا . فهذه الدبابة اذا تقافل عنها الانسان تجوز في جسده ومن بعد اربعة او خمسة ايام تكبر وتضيق قدر الحصاة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بآبرة من غير ان يفتقوها ويحطونها على بصة نار فتطلق مثل الفرقعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفتقوها فتقع ميتة على لحم الانسان فيتورم ويفقع ويموت ذلك الانسان (٤٣) وايضا في ذلك البلد يحصل خفاش كبير يجي الى الانسان وهو نائم ويبدأ بفصده ويمص دمه ويستغفره ويجتاحه يهوي على ذلك الانسان ليطيّب له النوم . ولا يزال ينفذ ويتقي الدم الى ان يقيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منه (٤٤) . وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة اربعين يوم

(٣٨) اولاق كلمة تركية معناها السماء .

(٣٩) بورتوبلو وقد كتبها سائحنا مرارا بورتو ويلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى ايضا (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Charge) وهناك ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر .

(٤٠) لك كناية عن عشرة ملايين .

(٤١) قنصر هي كلمة (ancrer) أي ارسى وردت في رسائل بعض معاصري السائح .

(٤٢) نلثنه يريد الدبابة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcophylla penetrans) فان وصفها عندهم بطريق ما جاء به الكاتب (اطلب Dr. Moniez p 612) وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضا جديا شبيها ساء الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملّة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتبلى يشابه الحية يزداد ان سكان قرطجنة وبورتوبلو يذهبون اليه بالحقيقة حية أو دبابة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبابة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

(٤٣) هو وصف الخفاش المسمى Vampire

والتجار يبيعون بضائعهم . فلما ادخلوا خزينة الملك الى هذه الاسكلة أرسلني الجنرال حتى اتفرج عليها فرأيت شيئا لا يحصى من الفضة والذهب .

٩ - السفر الى باناما :

ومن بعد ذلك قصدت ان اركب سفينة واتوجه الى بلاد صانتافه (٤٤) التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد فلكن جنرال الفلايين نصحتني ومنعني عن ذلك قائلا ان في تلك الارض يوجد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وايضا المسافة بعيدة فانا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تلك البلاد . ثم اني طأعت شوره وقصرت عن الرواح . ثم من بعد اربعين يوما طلعتنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الفلايين . ومن بعد عشرين يوما وصلنا الى ميناء يسمى سان فيليه ده بورتو بلو فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تاتي من بلاد البيروه في البحر القبلي الذي يسمى مارسوريجوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عسكري واسقف ودبورة رهبان وراهبان . وهذه البلدة لطيفة جدا . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشر فرسخا في جبال وحرش ما بين البحرين بحر القبله وبحر الشمال وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزلوا خزينة الملك محملة على بغال الى بورتو بلو وايضا احمال التجار والمسافة دون ثلاثة ايام وياخذون الكروا ثلاثين غرضا على كل بغل ويصير موسم التجار اربعين يوما ويتسوقون البضائع التي مع الفلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليوناً وكل مليون عشر كرات وكل كرة مائة ألف غرش . فاما هذه الخزينة ما تاتي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علافاً (٤٥) على ارباب الوظائف والى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفون أيضا على الفلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم . وهذا الميناء هو ارض حامية جدا وكثيرة الامراض . ففي تلك السنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقدار ألف نفس والباقي مرضوا وانا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحبي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضائعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والفلايين اخذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك بسموه بيكونيا (٤٦) وايضا كاكاو الذي يشبه القوة بالرائحة والطعم لكن زايد الدسم (٤٧) فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا الى جزيرة لاوانا (٤٨) وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها .

١٠ - السفر الى باناما :

فاما انا الحقير قصدت مرافقة هؤلاء التجار للبيروه . فاستكرت ثلاثة بغال بتسعين غرضا فاما الحاكم ما اراد يخليني ان اروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع . فلما يمر عليه رجل ابيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان . ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنه لا يدقر الهندود العبيد ولا يضرهم . فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلت له لا اصدق ان لم ار بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيه هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رأيت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة اذرع عن الدرب الا وارتفع وامد ان يجي يلدغني . فخرج الاحمر صاح عليه دونك ياكلب فلمسا صاح عليه وقع على الارض وانا شاهدت ذلك بعيني (٤٩) . وايضا في هذا الجبل رأيت اغصانا ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رأيت داخلها حمامة بيضاء بجناحها ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثير من حكام السبنيولية ارادوا ان يحضروا منها ويذرعوها في اسبانية فما قدروا (٥٠) . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكن محجر فميشينا فيه ثلاث ساعات (٥١) . ومن بعد ذلك صعدنا الى رأس جبل لترقد تلك الليلة . وهذا المنزل سمي بوركافون . وثاني يوم سافرنا ورفدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى باناما الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمة (٥٢) ولما وصلت الى البلد رأيت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة ورأيت رجلا قديسا فصار لي معه صداقة عظيمة حتى تغاونا مع بعضنا البعض فهو اعطاني خاتمه وانا ايضا اعطيته خاتمي . وهذا الاسقف النبيل كان اسمه دون انطونيو ده ليون واعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يده . وبقيت في هذه البلدة مقدار شهر .

١١ - من باناما الى غوايا كيل في بلاد البيرو :

ثم ركبنا في مركب وسافرنا في بحر القبله الذي يسمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبيل هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة من الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفت برفقنتنا في المركب رجلا خيرا يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال

(٤٩) نستغرب هذا الوصف فقد طالعتنا رحلات معاصره ونقرنا في كتب العلم فلم نر اثباتا لما ادعى صاحبنا انه رآه رأى العين وقد يكون هناك خزعبلات اراد بها الحاكم ان يمنع سائحنا عن السفر اللهم ان لم نأول كلامه فننزوه الى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نسجت تفرقت بدوي كدوي اطلاق بارودة .

(٥٠) لعلها الزهرة المسماة (Polygala) مع المبالغة في وصفها .

(٥١) هو نهر شاغر (Chagre)

(٥٢) آثار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan)

سنة ١٦٧٠ على باناما فنهوها وأحرقوها فأعاد الاسبانيون اعمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة .

(٤٤) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

(٤٥) علائف بمعنى روائب واجور .

(٤٦) صوف التفتيك (بيكونيا) لعله يريد النبات المعروف باسم بيتونيا او بيكونيا وهو أنواع ومنه نوع قطني .

(٤٧) سباني وصفه .

(٤٨) يريد مدينة لاغوانا (La Havana) عاصمة كوبا (Cuba)

١٢- وصف التمساح المعروف باسم قيما (Caïman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلا وخرجنا مع الهند قاصدين كورة واياكيل (Guayaquil) وهي ايضا ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة ايام . والدرب حشر وأشجار وبعض أنهر صفار ويوجد فيها حيوان كمثل التنين يسمى قيما كالتمساح وفمه واسع وطويل مقدار خمسة اشبار وطول جسده خمسة اذرع . هذا اذا صادف انسانا يبتله في الحياة ولكن الانسان الميت لا ياكله فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انسانا ام حيوانا بالحياة يبتله ويركض على يديه ورجليه كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس ام ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليه ويسحبه من مناخيره وبوديه فيجتمع عليه البعض من هؤلاء الحيوانات ويقطوه وياكلوه . فاذا اراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولاً على حفة النهر فيسمع هذا الحيوان صوتهم فيخرج ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكلاب هارين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلهم ان القيما هو في المكان الذي نبخوا . هكذا يتحائل الكلاب على القيما . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هذا الحيوان فالاولى هي انهم ياخلون عودا قدره نصف ذراع ورأسا العود منحوتان تحت رقيقا ويربطون في نصف العود حبلا متينا . وهذا العود يشوونه ويصقلونه مثل السيف حتى يبقى صلبا مثل الفولاذ ثم يروح أحد الهنود ويجلس كامنا على جانب النهر فلما يخرج هذا الحيوان وينظر الهندي فيقصد ابتلاعه ويفتح فاه ليبتله حينئذ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكة بيده فلما يقصد ان يطبق فاه يفرس في فمه من الطرفين وكلما بعض عليه يفرس في لحمه ثم يسحبونه بعزم شديد الى الارض ويجاهدون ان يقلبوه على ظهره ليمنعوه عن المشي حينئذ يقطعونه شقفا . واما الحيلة الثانية التي يصطادونها بها فهي ان أحد الهنود ينزل في النهر وفي يده حبل ويفطس تحت السماء ويصل الى هذا القيما وهو طاف على وجه الماء ويرمي خربوته (كبة) الحبل على نصف ظهره وهو تحت بطنه يحكمك له وهو لاط الى بينما يرتبط في بطنه بالحبل من نصفه ثم الهندي يسبح هاربا منه لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفرس شيئا تحت الماء لكن خارج الماء فاذا خرج الهندي من النهر حينئذ يجتمع الرجال ويسحبون هذا الحيوان مربوط الى خارج الماء ويقتلونه وانا نظرت بعيني لما اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحدا من الحيوانات كان قد ابتلع صبيا من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك . وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وأمر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فخرجوها وأخذها الخوري فدفعها . وهؤلاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبه على الارض وفهم مفتوح الى الهواء فيأتي عصفور صغير ويدخل في فمه ويبدأ ينقر من وسخ اسنانه فيشبع العصفور ويرجع طابرا والحيوان يطيب له بتنظيف اسنانه .

١٣- من غوايا كيل الى كيتو :

ثم وصلنا بعد اربعة ايام الى بلدة غواياكيل المذكورة .

حريقا » وذكر غيره انه قاس منا فكان عرضها ثلاث اصابع وطولها اربع اصابع . وهذا يشبه كلام سائحنا . لكنها عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية .

لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هو صهري فطاوعته ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهذا الكلك هو خمسة خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعممة . فانا لما نظرت روعي في الماء فخطبت وتطلعت بالكلك بتلك المكازة التي كان اعطاني اياهـ الاسقف . وهكذا اعاننا الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة وسكننا هنا ثلاثة ايام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضا يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه أمر عسير الى وقت ما تاتي ربح عاصفة تخرجه من هناك والا يهلك اناسه من الجوع . وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شدة امواجه يسمى البحر المعجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيه مفقود والخارج منه مولود فلولا عناية الله الذي اعاننا حتى اننا خلاصنا من شر امواجه فبقينا على وجه الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباردي عز وجل اسمه فوصلنا الى ميناء يسمى سانتا ايلينا (Hélène) يعني قديسة هيلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كرماء رايعين ليحكموا كل واحد في منصبه . فعند ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة ايام من خوف من شر البحر قصصنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيم لبعد الدرب .

حينئذ اخبروني في هذا الميناء عن رجل من الهنود عمره مائة وخمسون سنة فقصدت ان اروح انوره فنظرته صحيح الجسم عتيق الايام . فابتدى يحكي لنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلا ان بالقرب من هذا الميناء يفرسخ واحد يوجد مقبرة كبيرة وهناك مدفونون اناس من الجابرة وايضا اخبرني بسان والده كان حكى له ان لما وصلت مراكب السبنيولية الى تلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان ذلك الحين ما كانوا راوا مركبا . ولما كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيها كانوا يظنون ان الفرس وراكبيها شققة واحدة . ثم اني لما سمعت عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عيانا فاخذت معي رفقاء من الهنود اثني عشر نفرا مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المقبرة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المقبرة فعبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلا في يده الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيقي مسلول في يدي . ثم اني وصلت حيث موضوعة العظام فنظرتها نخينة واما الجماجم فهي كبيرة جدا فقلت قلت من احدى الجماجم سنا اي فرسا كان هذا قد كبره حتى انه كان يزن مائة مثقال لثقله . وايضا تأملت في عظم الساق وقست احدها فكان طوله خمسة اشبار . ففي بعض البلاد عمل أحد المصورين قياسا وتخميناً لهذا الجسم فوجد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرا . ثم خرجنا من المقبرة متعجبين جدا مما نظرنا وانا اخذت معي الفرس المذكور (٥٢) .

(٥٣) ذكر مرارا السائحون في بيرو عظام الجابرة القدم . قال كوربال من معاصري رحالتنا في سفرته الى ضواحي غوايا كيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان توما من الجابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء وابادهـم بالثار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها

وجاء سريما زارني وهو مفتناظ وعاتبني على ذلك . فقلت له : « تعلم يا حبيبي ان الرهبان خرجوا للافاتني قناتين (٥٦) وأتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سرايتك » . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم وانقضى معه وفي الليل مع الرئيس وارقد في فلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقا معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنت اوجبه وصرنا اصحابا بالصدق وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنية بالاموال ومزخرفة بالكنايس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيا جدا لكن عديم الكرم بخيلا في العطاء . واما الماء الذي يشربونه في هذه البلدة فهو عاقل . فتجد اكثر الناس يصبر لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلقهم . ويسكن في هذه البلدة هتود وايضا سينيول فيقيت فيها شهرين . واما ذلك الفرس المذكور الذي كنست اخرجته من عظام الجبابرة الذين بمغارة سائنا ايليئا فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل علي حتى يريسه لبنته . فانا طاوخته كصاحب وسلّمته الفرس فلما رآه الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مضيعوه (اخفوه) وما عدت وجدته ورمى اسقف البلد حرما حتى يظهره فما صار ذلك ممكنا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض نزيف الدم ثمانين سنين . فلما اصابني الاسقف عنده طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلت له : انا قرأت في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم نزيف الدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربت منه سبعة ايام فبرئت من علتها . وايضا رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخا مثل جوخ اللوندرا (٥٧) . لندن . وايضا حكوا لنا عن جبل عندهم ان منه خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيدا عن الجبل مقدار اربعين فرسخا (٥٨) .

وذكروا لنا ايضا ان من سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبه جدا في الرؤيا . فاخذها الى بيته واخفاها في صندوق له . فلما جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيته . فثالث يوم جاء ايضا ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدة مرار وما أمكنه ان يضبطها في بيته . ثم انه اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذ الاسقف واستقبلها باكرام واخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمى كنيسة مريم العذراء جيكاواه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولما يحدث في هذه البلدة طاعون ياخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد

(٥٦) قنات (قونق) كلمة تركية معناها نزل السفر أو المرحلة بعد قطع السفر .

(٥٧) هو الجوخ العادي المصنوع أولا في لندن ثم في جنوبي فرنسا وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللندوق (Languedoc) في فرنسا التي كانت توفد الى الموانئ الشرقية في كل سنة نحو من خمسة عشر ألف قطعة أو ثوبا ثمن القطعة أو الثوب مايتا فرنك. اطاب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

(٥٨) هو جبل بيشنشا pichincha وقد انفجر انفجارا مهولا سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي .

وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسينيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولاسيما من رهبان مار عبد الاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة ايام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابا (Baba) مسكونة من الهنود والسيتيولية وهي ارض سخنة ويوجد هناك بساتين فيها جنس اشجار كاشجار التوت تحمل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منها الجيكولاتا (Chocolat) وهذا الثمر تراه مثل البطيخ متعلقا وملصقا على جسم الشجرة . فلما يبلغ ويصفر ياخذونه ويقطعونه ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب اخشن من الفستق ثم ييسونه حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامته يصير مثل المعجن ويضيفون اليه من السكر على قدر الحاجة وكذلك ايضا من القرفة والعنبرخام ويجلبونه عجينا ويجعلونه اقراصا وينشفونه بالفيء . ومن هذه الاقراص يغلون الجيكولاتا ويشربونها مثل القهوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصرى باتون به من هناك ويبيعونه .

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دي سان انطون هيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعا وثخن القصبه اغلظ من مطواة نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهذا القصب يجعلونه صواري اعني غطاء لسقف البيوت والبعض منه ممثلي ماء ابيض وحلو وانا شربت منه . ثم اني امرت المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوءة ويحملها على بغل (٥٩) . وايضا يوجد في هذا الدرب اجناس وحوش كمثل السمندان واليمون ألوان واشكال . وايضا من قسم الطيور يوجد الضره التي تتكلم وطير اخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير . لكن ريشه ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كوتللو . ومن بعد اربعة فراسخ عدينا على قرية تسمى انبات وايضا يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان (٥٩) (بركان) . ففي احد السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرمع عظيم وصار دخان زايد ورماد حتى غطى الجو وما بقي تيان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الفيم وحرق كل شيء وجد من الحشائش على وجه الارض وعكر الانهر ومن هذا الشيء صار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم ثم . اننا وصلنا الى قرية تسمى نشتيت ومنها رحنا الى قرية اخرى تسمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبات من طائفة الكرملتانيين قد بناه رجل صالح وهو اسقف بلد كيتو . وصرف على عمارته واقامته مائتين وخمسة وعشرين الف غرش . وهذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي اربعة رهبان من رهبنة مار عبد الاحد ارسلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو (Quito) وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تشييت هذا الرئيس من جنرالهم الذي في رومية .

١٤ - كيتو وضواحيها :

ثم اني استقرت في دير رهبان مار عبد الاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قديمي ونزولي في الدير فخلى سرايته

(٥٩) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من فواياكيل الى كيتو ووصفه موافقا لما قال الكاتب .

(٥٥) هي جبال (Catoqaxi) و (Cargairaso) وفيها قمم بركانية .

كيتو فتبقى عندهم تسعة أيام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد . ثم يرجعونها أيضا بزجاج الى كنيستها في الضيعة المذكورة .

وايضا ذكروا لنا ان خارجا عن هذه البلدة درب أربعة وعشرين فرسخا نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الأرض من قلب الجبل رملا مخلوطا بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيه النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويغربلون النهر ويعزلونه من الذهب فانا نويت ان ابصره بعيني . فأشار علي اناس ان لا أروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جدا لاجل ذلك قصرت المسير اليه لكنني اشتريت من ذلك الذهب في بلد كيتو .

ثم اتى بعدما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجت قاصدا قرية تسمى اوطاولو وفوق هذه القرية خيل يسمى في حكم الاندالا باللسان الفرنسي لينيا (Linea) (٥٩) وتوجد سكان هذه القرية عديمي اللون مورمي البطون وذكروا ان في بعض الأيام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد في غير ظل الاشجار والشمس دائمة لا تغيب . وايضا ذكروا لنا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخا يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح فسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرقة . ولكن ما يوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيء من هند الشرق لانه حاد يحرق والهنود لا يريدون ان يكتشف عليه السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم . وايضا ذكروا لنا انه يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونه وهو أخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونه الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونه للانكليز والاولنديز ولللسبنيولية . وايضا في تلك الكورة دائما صواعق وأمطار شديدة .

١٥- من كيتو الى كوانكا - وصف عيد الثور :

ومن هناك رجعت الى بلد كيتو ومنها خرجت قاصدا القرية لا تاكونكا (La Tacunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو . ومنها الى بلد تسمى ريو بانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس واناسها اغنياء وأشرف فنزلت في دير مار عبد الاحد وقبولتي بفرح عظيم مع زائد الاكرام . وفدست هناك . وعوائد قداس هذه الرهينة تشاكل بعض عوائد قداسنا فلماذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قداسي (٦٠) وأنا بعد ذلك بقيت هناك ثمانية أيام . ثم خرجت قاصدا بلدة تسمى كونسكا (Cuenca) فبعد سبعة أيام وصلنا اليها وكان دربنا جبالا وتلوجا وتسمى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدة البرد الذي هناك . ففي هذا الدرب يوجد نهر متحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنايك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى ان وصلوا الى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية فيبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحملين قفلا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل

(٥٩) معنى لينيا الخط يريد به خط الاستواء .

(٦٠) لرهبان مار عبد الاحد (الدومنيكان) بعض طقوس قديمة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقرب من عوائد الشرقيين وهي لاتزال مرغية عندهم الى أيامنا .

احمالهم وانهمزوا لخوفهم من القتل . ثم ان الهنود فتحوا الاحمال وأخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصا من ذهب . فأتى أهل القفل وأخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم .

واما أنا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار دراجي ضعيفا وبقيت مطروحا في الفراش عشرة أيام معالجا من الالقاء . لكن شافية المرضي مريم العذراء اعطتني العافية . وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانه كان رفيقنا في المركب لما سافرنا من اسبانية فأراد ان يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمونه في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع : أولا يحوطون ساحة برفوف وخشب ثم يضعون خوانات شيئا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة . وبعد ذلك ياتون الى تلك الساحة بثور من الثيران البرية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجونا . فعندما يفلتونه على غفلة في تسلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعا وما ينظر له دربا ينفذ منه . فبعد ذلك يدخل اليه خيال وفي يده رمح ويتلاعب مع الثور والثور بهجم عليه فيهرب منه وبعد ذلك يقتل الثور . والثور ايضا بعض أحيانا يقتل الفرس وفارسها بقوة قرويه ، وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنوه في موسم كل عام .

١٦- معادن الذهب :

ومن بعد ذلك خرجت من هناك قاصدا قرية تسمى خاوخا (٦١) فسرنا في صعوبة الامطار ليلا مع نهار مقدار ثلاثة أيام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوما وليلة من شدة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجت منها قاصدا الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمى صارونا (Zaruma) فسرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة أيام . ووصلت الى تلك القرية المذكورة وهي على رأس جبل وحولها المعادن الذهبية . فنظرت جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . أولا يطلعون الحجارة من المدين ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذ يغسلون ذلك التراب السحق ويغطفون منه الذهب بتصويله في الماء . ثم يذوبونه ويسكبونه اقراصا . وأنا اشتريت من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة أيام أردت ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو أحسن من دربك لكنه درب فقر خال من الناس والقرى فتحتاج ان تأخذ معك زوادة كفاية خمسة أيام . فوقفت لشوره وطعت لقوله وحملت معي ما احتاج من الزوادة وأخذت معي رفيقين أغني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امه هندية وابوه اسبنيولي .

١٧- أسفار واطار :

ثم سرنا في درب عاظم بين الجبال يوما وليلة . فأراد الشيطان ان يطفي ذلك المكاري المستيسو لانه كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيته على يد خادمي فأخذت منه السلاح وبقيت متحذرا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقربة لبعضها الواحدة تسمى باسيليك والثانية جونجونامه

(٦١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخرائط لوخا (Loja)

والثالثة واكاناما فلما نظرتي سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة اما انك نبي أو قديس . وقسوسهم أيضا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بمض شمعات ثابتة في حنكهم . وانسا لاجل اني كنت رجلا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جرت تلك البلاد .

ثم ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمى طابيه (Amotané) فبينما ذاك ليلة وانا نائم تحت الغيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورا وتدبيرا على قتلي وانا كان مهني صبي صغير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشا الي وفيقتني وأعلمتني بذلك الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بفعل من البغال وظل هاربا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسسو المذكور يركض خلفه طول الليل ورجع به عند طنوع الشمس . فذاك الوقت اخذت منهما اسلحتهما لان ما كان مهني سلاح ومن خوفي من مكروهما اخذت السيف بيدي وناديت المستيسسو وقالت له : ابرك(٦٢) داني ركبتيك واصدقني كيف طردك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فافر معترفا و طالبا مني ان اغفر له واسامحه . ثم بعد خمسة ايام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار حرب هذان الثغثان من خوفهما وتركنا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثم اني حكيت له عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاه من شرهم لان اخي هكذا قتلوه في هذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر سمي نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زائد وهو كنهر الدجلة . فذاك اليوم جرت هذا النهر ووصلت الى بلد يسمى كولان (Ville de Colan) كله هنود . ثم نزلت في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدس ثاني يوم وكل التندر الذي يقدم للخوري يكون لي انا . فقدمت ثاني يوم وحضر جميع الهنود قداسي وكان عددهم اربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القداس جلست على كرسي وعملت بركة اعني خبزا مباركا . فبقي الناس يجيئون يوسون يدي وياخذون البركة ويرمسون التندر في الصينية . فبعد خلوص ذلك نظرت اجتمع من التندر مقدار مائتين وخمسين غرشا .

١٨- مفارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبت الى حاكم بلد بيوره ان يرسل لي تختروان الذي يسمى بلسان السبنيولي ليتيرا(٦٣) لان هذا الحاكم كان مرافقنا من اسبانية مع عياله . ففي حال وصول مكتوبي اليه ارسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحل النهر يسمى بايتا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بادة تسمى بيوره درب اربعة عشر فرسخا . فتزلت في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة .

(٦٢) اي اجلس وهي كلمة حلبية .

(٦٣) Litera وبالفرنسية Litière وتختروان كلمة فارسية مركبة من لفظتين معناها سرير السفر .

وذكروا لنا ان من مدة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيا وما له سوى بنت واحدة . فيوما من الايام سافر أبوها الى غير بلد . فالبنت المذكورة نظرت رجلا لابسا ثيابا حقيرة فقالت له : ما بالك لابسا هذه الثياب الدنية . فاجابها قائلا : لشدة فقري وعازني . فاجابته قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخسرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعده هذه البنت ان لا يحين الليل يجيء ينتظرها في المكان الظلامي فتأخذه الى مفارة ابيها التي هي خارج البلد ثم انها اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادته الى المفارة المذكورة كغريب . فلما وصلا الى المفارة حملته من اقراص الذهب على قدر ما يقدر حملة ورجعت الى قرب الرب وقت الرباط عن عيابه واطفقت به سبيله . فلما جاء أبوها من سفره قصد ذات يوم المسير الى المفارة ونظر في باب المفارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنته فسفاها سما وماتت وهو أيضا مات على غلة والى اليوم يستقرون المفارة وما قدرنا ان يلاقوها .

١٩- من بايتا الى طروخيليو :

وبعد ان مكثت هناك عشرة ايام خرجت قاصدا قرية تسمى ليملوا فسرنا في درب مقفر عديم الماء وكله رمل مثل أرض مصر وكل اهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقية نصارى من خوفهم . وثاني يوم خرجت قاصدا بلدة الهنود تسمى ليمباك (Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية . فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى داره وطلب مني ان اقدس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسان السبنيولي . فقدمت نهار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيسا ومقدار ثلاثة آلاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهيت لهم مساجح وصلبان من القدس . ثم بعد خمسة ايام خرجت من هناك قاصدا بلدة تسمى سانبا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيولي . وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنت اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروانا.

فذاك ليلة تغافل المكاري ونعس ففعل البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين الاشجار وهذا الحرش داخله نظيم لا له اول ولا آخر . فلما فقت على ذلك امرت خدامي ان ينزل هناك ثلثا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لآخرين . فلما صار الصبح قلت للمكاري الهندي ان يعمل نارا كثيرة ودخانا عظيما . فاما رفقاتنا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلما نظروا اننا تعوقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسا ليفتشدوا علينا . فانا قلت للمكاري ان يصعد الى رأس شجرة عالية وينشر علما ابيض يعني يرفقا فثاني يوم قرب نصف النهار وصل اليها اولئك المفتشون فراؤنا هناك على نيشان ذلك البسرق واغتافوا على المكاري كيف انه حاد عن الدرب . واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جدا قدر الرمان وحبه قوي صغير لكن شجرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح ياخذ قطنا على قدر حاجته . وينسجون منه ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمة فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنه اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيت هناك اربعة ايام بعض واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثم خرجت من هناك

قاصدا بلدا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة أيام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنت قد أخذت معي ما اعتاز اليه من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلة يدك (١٤) لما يكون الوقت بروده كنت اركب عليهما واذا وغلث وتعبت من الركب كنت ادخل الى التختروان . فجرت الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليا . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنة مار اينياسيوس اليسوعية وأيضا فسوس وخوارنة جميعهم مقدار ألفي كاهن . ففمنسي رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مزار افرنسيس الذي دائما يحكم في تشرين الاول . فرحت قدسست هناك فكانت الكنيسة مملئة من الناس فانشروا كثيرا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان انعم علي بها سيدنا البابا . وكان نيشانه وخته مرسوما عليها . وكان الناس يأتون وينباركون منها .

٢٠ - سفر الى ليما :

فمن بعد ان بقيت في هذه البلدة عشرة أيام رجعت قاصدا بلد خامار (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة أيام وأروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتله الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجت من هذا البلد قاصدا بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فتزلت من الجبل قاصدا البلدة المذكورة ومن بعد أربعة أيام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما له مجاز فيجوزونه بشدة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئا للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكا فيجمعون قرات يابسات ويربطونها ببعضها مثل تلك ثم يعملون عليها خشبا وفوق الخشب حشيشا مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعه سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدته مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على اراضي قصب السكر وعلى المصامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة له يد . فالاول كان جنديا وانقطعت يده بالحرب مع الهنود والآخر كان لدغته حية في يده فقطعها له .

٢١ - الإقامة في ليما :

فمن بعد ثمانية أيام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الاتيچيدور (Inquisidor) أعني رئيس ديوان الايمان لانه كان صاحبي من اسبانية . وكنت دينته ألف واربعماية غرش في مدينة بورتوبيلو فاعطاني فائدة عن كل مائة غرش أربعين غرشا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحت قابلت الوزير وقدمت له امر الملك ومكاتب الوصية التي احضرتها معي من اسبانية . وهذا الوزير كان رجلا مباركا اسمه دون بغدسار وبلاكوكونده ده كستيليارو مريكز ده ماراكون من اكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انه يساعدني في جميع الذي اعتاز به . ثم اني دخلت

(٦٤) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثائية يستعملها الخيال عند الحاجة (احتياط) .

زرت امراته فاقبلتني ايضا بالاكرام . وهذا الوزير البارك كان قد تزوج منذ أربع عشرة سنة وما رزق ولدا وستاتي بعد هذا بحكايته . ثم اني رجعت فزرت كبير الكهنة الذي يسمى ارشيدياقون مع جملة ارفاقه الكهنة لما كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خاليا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين ألف غرش وتحت يده مائة وعشرون خوريا وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتيا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوما وقعت مريضا في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يوما بشفاة ام الرحمة مريم العذراء . فقامت ورحلت عند الوزير وتلافيت معه ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واکرام . ولما كنت مريضا كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احوال من الحلاويات المتفخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انه يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيقا . فلما امتحنوا صنته وجدوها اختراعا كاذبا . وانا كنت حاضرا ونظرت ذلك عيانا .

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان أحد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لما يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم . وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهم ورماح ومقاليص لحذف الحجارة . الحجارة . وما كان لهم مواشي أعني مثل افراس وبغال وحمر ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحديثه في في صدره يحملون عليه وبأكلون لحمه لكنه ما يسافر بعيدا . وكل يوم قنائه أربعة فراسخ لا غير فلما يتعب ينام ويزيد ويتفل على أصحابه . وهؤلاء الهنود لما كان يموت أحد منهم كانوا يصنعون له قبرا عاليا علو ذراعين وطول ثلاثة أذرع وكانوا يضعون في قبره آلة صنته مع شربة من خمر اللدة .

٢٢ - وصف ليما :

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزير وعندي ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند . وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمه بوصيهم علي بالاكرام . وفي ليما عدة ديورة وكنايس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنايس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار المستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسى (Mercl) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن ألف راهبة (٦٥) . وأيضا أربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستانا كبيرا على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار اندراوس وكانوا يخدموني لاقدر في الكنايس والديورة ويكرمونني غاية الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديوان الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلاكاترا يعني

(٦٥) مبالغة أو خطأ من الناقل .

يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلا كاهنا وما أراد ان اصرف شيئا على الماكول والمشروب . وهذه البلدة غالية الماش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشا ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقاة الكهنة الذي يسمى كبيدو (Cabiido) (٦٨) يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوازنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراما لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدمت لهم قداسا باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديوانا بآياتهم (مع بعضهم) وارسلوا الي ألف غرش وكذلك ايضا في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون الي شيئا كثيرا وانا كان لي عجلة يعني عرباني(٦٩) بأربعة بغال مع عبد اسود خادمها .

٢٣- السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازة من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فاطعني الوزير واصفى لظليتي وكتب لسي مكاتب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحست حكمه وصية علي بان يعزوني ويكرموني وارسل رفيقا رجلا من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهيئ لي ما احتاج من الماكول والمشروب والمزل في بيت حاكم القرية . فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي فاصدين بلدة تسمى خوان كاباليكا(Guancavalica) ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدا . فابتدأت تنغير امزجتنا وتقيانا من سبب اننا خرجنا من ارض شديدة السخونة وجزنا عاجلا الى ارض باردة . ثم بعدما صعدنا الى أعلى الجبل سرنا من مكان يسمى بوناده برياكاكاي يعني زمهرير السكر (٧٠) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يقال له برونسيال (Provincial) فسألني عن السندرب فحكيت له ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب آخر . ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمى نهر بوني وعليه جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال الكتنب ومربوط بالاشجار ففتنا عليه بصعوبة واخذنا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر . ومن بعد عشرة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية . وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاثة مرات في النهار ووقت العصر دائما تمطر . وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيه معدن حجر الزبيق لانه مسلط على البلد .

٢٤- معادن الزبيق :

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرايت هذا المعدن وعظمته ونظرت ايضا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم اروني كيف يخرجون الزبيق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضه ابغاشا (نقوبا) ملصوقة

(٦٦) وبلافرنسية (Chapitre) اي الفرع .

(٦٧) اي مركبة .

بعضها موضوعا في كل منها برنج(٦٨) والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفا صفوفا ولها فم واحد منصوب الى فوق والغم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران . فيضمون حجارة الزبيق بصنعة مصفوفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك ايضا يضعون الحجارة على البرانج . وهذا البيت له سقف مغطى لكن قوي عالي وفيه ابغاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون به النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قوية ويجري منها الزيت هاربا ومنحدرا داخل تلك البرانج . فعند ذلك يفهم معلو الزيت فيهدئون النار ويغلونه يوما وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونه (يلقونه) خارجا ويطلعون الزيت من تلك البرانج . وهناك وكيل من جانب الملك يضبطه للملك . وهو يوفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشا حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري(٦٩) ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشا لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك ايضا . ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم(٧٠) وقدم لي اصحاب المعدن بشكاس(٧١) مندر خمسين قنطار من الزيت وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيت من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور . فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكلا ليستلم منهم الزيت وقتما يستخرجونه لكن عليه يسق(٧٢) من الملك ان لا أحد من اصحاب المعدن يقدر يبيع زيتا ولا أحد يقدر يشتريه . وان تجاوز أحد هذا الشرط ينهبوا ماله ويحل عليه القتل .

٢٥- مياه محجرة - وصف الصببر :

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونه اسمر يجعلونه في وسط صناديق ويبقى ثمانية ايام في الهواء فيجمد حينئذ ويصير حجرا يعمرون به البيوت وانا نظرت ذلك عيانا . واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت اربعين يوما فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حاله خشبة وانا اهداني أحد رهبان اليسوعية صليبا من هذا الجنس(٧٣) .

(٦٨) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنها بمعنى الخابية والبرنية .

(٦٩) الخندكار لفظة مائة بالفارسية معناها السلطان .

(٧٠) قرأنا في كتب الاب فولية (Feuillée) المرسل الفرنسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفا مسها لهذه المناجم قال : ان مناجم الزبيق الشهير في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكافاليكا (Guancavalica) وهي ممتدة تحت الجبل حفر فيه منازل ودروب ومعبد . والمناجم مضاعة بعدد لا يحصى من الشموع . ثم وصف استخراج المعدن وصفا لا يكاد يفتقر عما جاء في متن رحلتنا سوى انه قال ان سمر القنطار ثمانين غرشا .

(٧١) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة ان معناها الهدية أو البخشيش .

(٧٢) يسق كلمة تركية معناها مانع أو محذور .

(٧٣) ذكر الاب فولية المذكور هذه المياه المحجرة قال : ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجه ويتحجر سريعا اذا ما سال في الحقول . ومن حجاره يبني البنساؤون

وبعد عشرة أيام خرجت من هذه البلد وصحبتني أربعة عشر رجلا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وأنا اخذت دربي قاصدا بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanka) وفي هذا الدرب يوجد اشجار مختلفة الاجناس وأكثرها اشجار يسمونها توكال أوراقها سماء كفن وما لها أغصان لكن الأوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهندو تونس وهذا الثمر كقندر البيض الدجاج لكن أصله وداخله حار كطم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شدة ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسه بيده الا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا مثليء منه البرد والجبال في ذلك الاقليم (٧٤) .

٢٦- الوصول الى اكوامانكا :

ثم بعد أربعة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلا صالحا وكان قد أرسل لهم مكاتب يوصيهم الى ان يزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان اسقف غني جدا لانه كان أولا رئيسا لديوان الزمان ويسمى الاسقف دون كريستولو دي كستيلو . وبعد ان استقرت في الدير تلك الليلة جاءني في الفد قسيسان من جانب الاسقف بهتاني بوصولي . فثاني يوم باكرا رحنا أنا ذرتهم فقام مسيو أيضا بنفسه والتفاني وسألني عن حالي وعزمتي الى داره حتى انقضى ذلك اليوم مع فداوته وتقديت معه . ومن بعد المأكل اتهم علي بجنون ذهب يسوي مايتي غرش . فلما سمع أكابر البلد بالاكرام الذي عمله لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعا زاروني . ومن بعد أربعة أيام خرجت مع راشين يسوعيين ورحنا ذرتهم وأوفيتهم زيارتهم كمادة تلك البلاد . ثم الاسقف أرسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا أسماء الذين زاروني واحدا واحدا . وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنية جدا . فمن بعد ما ذرتهم وارتحت ثمانية أيام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميدية يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنسي سان ايليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميدية هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف أعطى خاتمه لعروسته وشق الحيط وطلع راح يسوع في الدنيا (٧٥) . فحضرنا هذا التقليد وشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوما في غاية ما يكون من الانشراح .

٢٧- السفر الى كوسكو :

ثم خرجت من هناك قاصدا بلد كوسكو (Cusco) وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفاقه وغير أصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وأنا ظليت (ظلت) مسافرا . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوروما (Apuirima) وكان على هذا النهر جسر

المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون وتقاشو التماثيل اذا أرادوا نقش تماثيل فاذا ما اتوا القالب وسكبوا فيه الماء جاء التماثيل حجرا بديما يتحوتونه قليلا زيادة في لعانه .

(٧٤) هو وصف شجرة الصبر المعروفة .

(٧٥) اخبار مار ريشا المشهورة .

ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضه ذراع اقل ام ازيد وطوله عشرين ذراعا . فجذانه بصناعة عظيمة مع خسوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن الابل والبغال والهندو على ظهرهم الى جانب الآخر واحدا بعد واحد . وأما البغال فينظفونها من جلالها ويجوزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب المتد على ذلك الجسر حينئذ يخلعون رؤوس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح وينتوي الى الجانب الآخر . فهذا الشعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوج ويتعرج كالهدى لا يدوس الانسان عليه فلما حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهندو بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احداهم في الماء يخرج سالما . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا اجناسا من الحيوانات منها خيل وافراس وحشية وبقر ايل وبغال وحير وغير اجناس آخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لها اصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيوان قوي انيس لما ينظر اناسا او دوابا مجتازين يتحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وأما كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقلت بعضا من هذه الحيوانات ولحمها لا ياكله غير الهندو وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منه البرانيط أي الشبقات وهو شبه التفتيك (٧٦) لكن اونه تسلي كلون الغزال (٧٧) وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كليتيه . فيخرجونه ويبعونه بثمان غال لانه نافع للموم (٧٨) .

٢٨- السفر الى ابانكاى (Abancay)

وبعد ثلاثة أيام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمى الارض شبنكاى . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها

(٧٦) الشقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) اما التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم .

(٧٧) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمى (la Visuna) في كثير من الاسفار الامريكية وكانوا يستخدمونه لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها .

(٧٨) البازهر أو البازهر كلمة فارسية معناها الترياق (من پاو - نظف . وزهر - سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين اطباء العرب وامتدت شهرته مع اسمه الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية أو (Bezoard)

بالفرنسية . قال التيفاشي : هذا الحجر بأيدي الناس صنفان احدهما حيواني والآخر معدني ومعدنه بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منه حجارة كبار وهو حجر رخو ابيض الحكاكة . وأما الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش أصفر منقطة نقطا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحل سريعا اذا حك ومحاك الى البياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل يؤتى به من بلاد فارس من تخوم الصين والحيوان الذي يوجد فيه البازهر هو الابل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي أصله في لغة الفرس باكرهر أي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات بأجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت . الخ . وقد اعتبر في القرون الماضية كأعظم الادوية وذلك خرافة لم يشتها العلم .

كل سنة ثلاثين ألف خندكاري من السكر . والفلاحين الذين يفلحون كلهم عبيد سود ويشغلون في عمل السكر .

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة ايام فوصلنا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمى وازاوليا انيكا أخو الملك واسارينكا المذكور فلما وصلنا قريبا من اسبند وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا امامي وأخذوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديما قصر الملك المذكور ووسع هذا الدير مع بستانه قدر نصف بلد . ودير الراهبات أيضا هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجارين الحديدية . وهي مشغولة بثياصة الرستاق (٧٩) .

وسكان هذه البلدة يومئذ أربعة آلاف بيت سبنيولين وثلاثة آلاف بيت هنود ولهم اسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل اولاد السبنيولية ومدرسة أخرى بناها اليسوعية لاجل اولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البلد بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاسقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين وأخذوني الى البلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصدا اني انزل في داره لكن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البلد ان ينزلني في داره لكنني أبيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانيا رفقة . وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوز (تزوج) من بنت أعطته نقدا مائة وخمسين ألف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقدا للرجل حسب حالها والاشراف كشرهم . وفي اليوم الثاني جاء أسقف البلد زارني وجاء أيضا باقي الاشراف ورؤساء الديورة . ومن بعد اربعسة ايام خرجت أنا واثنتان من الرهبان اليسوعية في عربائي (٨٠) وأوفيت زيارتهم .

الحين وتلك الساعة صارت أيضا زلزلة في بلدة ليما وخرج الناس من البلدة لخوفهم لانه سقطت منازل كثيرة مع بعضها كئاس .

وفي ذلك الحين جرى أمر من ملك اسبانية في عزل الوزير صاحبي المذكور وأنا بقيت خمسة اشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر انديمسة المجاز .

٣٠ - هنود بوقرتنبو (Pacurambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجها الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة ايام وصلنا اليها وفي الستة الايام المذكورة كنت انام كل ليلة في ضيعة وعند دخولي الى هذه البلدة خرج بعض أناس مع رهبان مار عبد الواحد وحاكم البلد للالائي . فأخذوني الى داخل البلد بالترحيب فنزلت في بيت الحاكم لانه كان خادم الوزير صاحبي . وهذه البلدة هي ستر يعني حدا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية والهنود يأخذون الرجال والنساء والاطفال الى ارضهم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد أم عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية ويشوونه ويأكلونه . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (٨١) . وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى درر مصر (الذرة) (٨٢) ويجعلون من هذه الدرر بوزة ويشربونها فتسكرهم كالمرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العد شديدا القوة وما يقدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهم ساكنون في جبال شسامخة وعليهم أمير مدبر وهو الذي يحكم عليهم .

٣١ - معادن اللفضة :

ثم بعد ثلاثة ايام خرجت من هذه البلدة متوجها الى معدن اللفضة المسمى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنا اليه . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت أمكت هناك غير ثلاثة ايام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك اللفضة . وفيها تفرجنا على اخراج اللفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيه الزبيق وطول النهار يحركونه مقدار عشرة ايام أو اثني عشر يوما والزبيق يجمع اللفضة ويلتصق بها . ومن بعد الايام المذكورة يفسلونه في حوض مجلد بجلود البقر والماء يأخذ التراب ويوديه . واللفضة ترسخ (ترسب) الى أسفل . هذه الصنعة تفرجت عليها عيانا

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعملون كنيسة جديدة وقسيسهم اسبنيولي له عندهم مقدار ثلاثين سنة . وهذا القسيس غني جدا فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيسة

(٨١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية اعضاء الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال أحد الرحالة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا انه يجد فيها طعاما وشرابا ودواء .

(٨٢) درر ولعلها ذرة مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في أيامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية .

٢٩ - وصف ابانكاي :

ثم طلبوا مني ان اقدس في الكنيسة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدمت لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وأيضا أهل الديورة والكنايس بقوا يجيئون يأخذوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شماسان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير أماكن وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هدية لائقة وارسل لي أيضا أسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض اصحاب اعطاني عربائي لآخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء . فمن جملة ما نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهم على وجه الارض ويعمرون فوقه قبرا مرتفعا جدا بعلو ذراعين وعرضه ذراع ونصف وطوله ثلاثة أذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب .

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جار فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض وأهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك

(٧٩) الرستاق أو الرزداق السطر من النخل والصف من الناس معرب راسه التي معناها الخط التقويم بالفارسية وتأتي في اللغة العامية بمعنى ترتيب ونظام .

(٨٠) أو عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة .

مايتي ألف غرش . ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن آخر يسمى بونو .

٣٢- مقتل احد المتمولين ظلما :

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمه دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية ألف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة آلاف غرش . فحسده بعض اعدائه واقاموا عليه بهتاناً وشهدوا زورا قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكما في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك . فقام الوزير وجاء اليه الى جبل يسمى معادن بونا حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكه واخذه معه الى بلد ليما وشق من اصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط اموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط ايضا المعدن للملك وضبط ايضا الحجارة التي كانوا طالموها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة آلاف قنطار . وجبسه الوزير في السجن والزموا عليه القتل فطلب من الوزير قائلا : اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان امر يقتلي فاقبلوني وان امر باعتافي فاعتفوني وأنا افي جميع ما فريت فيه وها أنا في حبسكم مضبوط . فلم يسمع الوزير والديوان لاقواله بـل سجلوا عليه القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصه لانه كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين ألف غرش وأمر الوزير القاضي القلب بخنقه نصف الليل وبعد قتله أرسلوا معلمين ليندبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلما القوا في النار ظهرت اشارة الله وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عظيما للناظرين والسامعين . واما المعدن الذي كان يخرج منه حجارة الفضة فطاف بالاء وغرق وعمدوه . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتله ظلما فبعد خمسة عشر يوما بينما هو داخل الى مخدعه تراءى له ذلك المقتول ظلما كأنه واقف على الباب فلما نظره اعتراه الخوف والرجفة ودخل مرتعدا من ذلك المنظر فسألته امراته السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضا وبعد ستة أيام مات وصارت هذه ايضا اعجوبة ثالثة أمام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتله انشلت بعد أيام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخبراته لا توصف وكان ابا للايام والارامل وشقوقا على الفقراء والمساكين ومفتقدا الدبورة بكل الصدقات والنذرة وكان ينقد البسات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمره في عمل الخيرات حتى انه في جمعة الآلام أرسل مع أخيه الى بلد الكوسكو سبعين ألف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء .

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يقتل بمدة قليلة أقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقه في المركب لما جاء من اسبانية فعرفه عن اقنومه وعرض عليه حال فقره وكثرة عياله . فلما علم ان هذا كان رفيقه تحنن عليه وزعق (دعا) وكبل ماله واعطاه مفاتيح الخزنة وقال له : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركه يأخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلما حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثني عشر بارة (٨٦) وكل بارة تسوى ألف وفلائمية

(٨٣) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعله أراد البذرة من المال .

غرش واخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخبر ذلك الفني فسأل الفني وكيل ماله قائلا : كم بارة فضة اخذ هذا الفقير . فقال له : اثني عشرة . فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تأخذ ازيد من هذا العدد . ثم انه استكثر بخيره وانصرف . وله على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان له أخ مختلف فلما جاء وزير آخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلما . فصعب ذلك على الملك والديوان لانه كان له نجم سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج امر من الملك بالانعام على أخيه المختفي وان يعطيه الوزير خمسين ألف غرش من خزينة الملك وأمره ان يرجع يفتح معدن أخيه .

فاما أنا ما لحقت ذلك المقتول في أيام حياته لكن تصاحبت مع أخيه الذي يسمى دون كسيار دوسلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالمجل أصبر هذه السنة حتى ننظف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن أنا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المزعول الذي كان راجعا الى اسبانية وهذا صار السبب المانع .

٣٣- سبك الفضة :

أما نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن فصدنا بلدة تسمى جكويت (Chuchuito) وكان الحاكم هناك ابن أخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمى دون اندريس ده برناتجيا من بلاد بسكاي . ومن بعد أربعة أيام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبه لجمع الفضة التي تخرج من المعدن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذوبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدفونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رملية ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك .

٣٤- سكان البلاد الاقدمون :

ومن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها سستون فرسخا (٨٤) وذكروا لنا ان الهنود اتوا في هذه البحيرة جزيرا من الذهب كان يخص الملك انبكا المذكور لما قتله السبنيولية وذلك الجزير كان يحمله أربعة آلاف رجل . وعندما كان يعمل الملك لعبا كانوا يمدون هذا الجزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجزير أو خارجا عنه كانوا يضحكون عليه . والان لا يعلم السبنيولية في أي جانب من البحيرة القوه .

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنابر لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئا بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كفرة يعبدون جبلا منصوبا امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم آلة الحرب كرمح وسهام ومقالبع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويسارون السبنيولية ويأخذون البغال الدكورة ليذبوها ويأكلوها . فامر هذا الوزير المذكور صاحبي ان يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار أربعة آلاف نفس وعملوا اربعين كلكا وجعلوا فيهم اكياسا ملووة ترابا وايضا بعض افراس ثم اخذوا في ايديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة

(٨٤) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

وختموا . فبعدما دفنوه أتى أصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دما لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لأن عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلما . فلما علم بذلك مطران البلد أرسل يوصيهم أن يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار له اهتمام عظيم عند الناس .

٣٧- السفر الى اورورو وبوتوسي :

وأنا بعد ثمانية أيام خرجت متوجها الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة أيام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونسو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان يأكل الا كروش البقر . وخارجا عن هذه البلاد ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جدا لأن هذه الفضة يستخرجونها من غير زئبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد أصلح من هذه الفضة . ثم أتت رحلتنا الى المعدن المذكور واشترت من الفضة الرمية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية أيام سافرت قاصدا بلد بوتوسي (Potosi) وبنا أول مرحلة في قرية هنود وكان عندي أمر أن يعطوني بغالا من قرية الى قرية وكنت أغرم الكروة مثلما يفرم الملك فناديت شيخ الهنود أن يحضر لي دواب وناولته الكراء بشرط أن يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحين الوقت واشترق الصبح وطلع النهار وما أحضر الدواب لترحل . فارسلت افئس عليه فاتوني به سكران فكنت أكله باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فأمرت أن يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن أول ضربة السياط طلب أن يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلا : أن الدواب مربوطة عنده في السدار . فسألته لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت مذاق السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاول السبنيولية أن لم يضربونا .

ثم رحلت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منه ماء سخن ورائحة ماء الكبريت ويأتي بعض المرضى من أماكن مختلفة ليفتسلوا فيه . وبعد اغتسالهم يشفون من داءهم . واسم هذا المكان طارابايا . ومن بعد ستة أيام وصلنا الى بلدة برتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجا عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعته واستقبلني بغاية الاحرام . وهذا الحاكم هو من أقرباء امرأة الوزير اوصاه بي في مكانيه . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض أناس زاروني وأنا أيضا رحلت زرتهم .

٣٨- زيارة السكتخانة ومعدن الفضة :

ثم في ذات يوم رحلت الى البيت الذي يضربون فيه سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت السكتخانة أربعون عبدا يشتغلون وأنا عشر رجلا اسبنيوليا فرأينا الفروش مكومة مثل التل في جانب والانصاف في جانب وانصاف الارباع في جانب مكومة على الأرض ويدوسونها بأرجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة له .

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا لزيادة غناه لأن قد أخرجوا منه أموالا لا يحصى عددها منذ مائة وأربعين عاما من أربعة أطرافه وقد

على الكلك فلما اقتربوا من الأرض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهم والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص وألقوا أكياس التراب على ساحل الجزيرة لتفسد الخيل تخرج الى البر لأن هناك وحلا شديدا . فلما وصلوا الى الأرض ركبوا خيلهم وركب أيضا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرا واستأسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والأطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم أخرجوهم من تلك الجزيرة وأتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من أسقف البلد أن يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد إيمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . أما أنا فبقيت في هذا البلد ثمانية أيام .

٣٥- إطلاق سبيل بعض المسجونين - معدن مرمر :

ثم خرجت قاصدا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كويكاوانا تعمل معجزات عظيمة يأتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصدا قرية تسمى بارنيكيلا وكان تتبعني أربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فأعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمه دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسسوس وعوام واخذوني الى بيته . فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكي لي قائلا : أن في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقممت نزلت الى الحبس وفي بيدي ورقة كتبت عليها اسمائهم وناديت الحباس أن يفتح الباب ففتحه وناديتهم واحدا واحدا الى خارج الحبس واعتفتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى رأسك وشرفتنا بقدمك .

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عال به معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا الحاكم أن يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثلية صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنه توفي قبل ما يكمل عمله .

٣٦- المال المجموع ظلما :

وبعد ثمانية أيام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصدا بلدا يسمى سيكاسيك (Sicasica) وفي ذلك الصقع كان يحكم أحد غلمان الوزير صاحبي وكنت دينته ألفي غرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيد منها بعض اجناس الطيور الى بعد العصر . ثم اتنا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاحرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ أربع سنين . فهذا القسيس كان خوريا متفردا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع له أموالا كثيرة من الظلم . فقبل مماته اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلا انه طمر تحت فرشته خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهبا . وأيضا عمل وصيته على يد القاضي أن هذا المال يكون ميراثا لاخته وأخته . وأنا كنت أعرف أخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف وأخته تسمى دونيا اينيس . فبعد أن مات أخرجوه من البيت وسكروا الباب

الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي مائة مثقال باثني عشر غرشا ونصف فلمسا يسكونها تصير ستة عشر غرشا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورا للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتا كثيرة لكن الناس سلموا . وأنا بقيت في هذه البلدة خمسة واربعين يوما .

٤٠- السفر الى جوكيساكا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجها الى بلدة تسمى جوكز . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيساكا (٨٦) . فاول يوم وصلنا الى مكان فيه حمامات ماء سخن خلقة يخرج من الارض يسميه السبنيوية لوس بانينوس كاليينتوس (Los Baños Calientes) فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدير البلاد . لثتهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران له معبود في كل سنة مائة وعشرين ألف غرش وهذا كان سابقا أسقفا على بلدة اكومانكا المذكورة وكان قد اهدانا هدية في اسقيته وبعد ذلك انعم الملك عليه واعطاه هذه المطرانية . فثاني يوم رحلت فابلته فاكرمني اكراما زائدا . واما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني ايضا بواسطة الوزير صاحبي لانه كان صديقه وكان يسمى دون برتلماوس ده باويدا . فارسل من قبله رجلا ليزورني . وجاء ايضا من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية ايام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام .

وبعد اثني عشر يوما طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البذلة وغير اشياء كان انعم علي بها البابا اكليمنطوس التاسع ومن بعد ذلك عزمي رئيس ديوان الملك لافس في كنيسة الديوان التي هي في سرايته واهداني هدية ازيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان رؤساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من اهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقتي من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء امر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما وياخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي .

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني ان اروح ازورها وان كنت أعلم بشيء من احوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض اجزاء مناسبة لعلتها وسسقيتها درهما من رماد العقاريق (٨٧) فبقدره الله تعالى تماقت . وكانت ايضا راهبة اخرى في الدير مريضة فارسل الي المطران دستوروا حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر ان يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجتها الراهبة فبحكمة الله وعنايته طابست وتماقت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا ان يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكنا .

(٨٦) وتسمى الان لاباز (La Paz)

(٨٧) المقاريق جمع مقروق لفظة سريالية

منماها الضفادع .

احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفله ليخرجوا الفضة ولقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندا من كل جانب لئلا يستغل الجبل لانه من خارج بيان صحيحا لكنه فارغ من داخل . ويستغل في باطنه في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصه من الملك لان لكل معدني بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنه وفي امر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجلا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرض حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم . ولما يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن .

٣٩- وصف استخراج الفضة :

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلا ونهارا ما عدا ايام الاحاد والاعياد وبعدها يطحنون الحجارة ناعما ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسسين قنطارا ويجعلونه كومة ثم يجبلونه بالماء مثل ما ذكرنا سابقا ويضيفون اليه الزيت قدر الحاجة ثم يجبلونه ويحركونه بالمجارف عدة مرات وان طلب زيتا ازيد فيطعمونه حتى يكمل . فان كانت طبيعته باردة فيخلطون فيه نحاسا حتى يسخن وان كانت طبيعته سخنة فيضيفون اليه الرصاص حتى يسرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن ام بارد هو انهم ياخذون منه في شقف فخار ويفسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيت فيملسه (يدلكه) باصبعه على شقف الفخار المذكور فاذا تفرط (تفرط) فهو سخن واذا انطلس (لصق) فهو بارد واذا كان مطبوخا ومعتدلا كاملا فيجى معتدلا على الفخار ومبرقا . ثم يجعلونه في حوض ماء والماء جار عليه يتحركونه بالماء بمصعة . فالفضة مع الزيت يرسخان الى اسفل والتراب ياخذ الماء الى خارج . فلما يكملون غسل تلك الجبله كلها يسدن ويقطعون الماء الفائض عليه وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيت الراتنين جميعا تسم يجعلونه في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيت من الاكياس ويقع في تلك الصناديق الجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايح اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليها بالماء مثل الطواحين وغيرها .

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والده قائلا انه كان لوالده معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموه ويسدوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منه . ففعلوا كما امرهم وسدوه وبدوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدلت في تلك الايام واستوت كالشجرة فاخرجوها واخذوا فشتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم هذا الجبل الفضة مسلط عليه نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبع الفضة (٨٨) .

ورأيت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه اقطع الدنانير وكل جمعة يشغل احدهم الترخانة ويقطع في الجمعة مائتي ألف غرش وازيد لانهم يشترون

(٨٨) هذا من الخرافات القديمة .

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توکومان (٨٨) ولهم هناك ديورة . واستسقف تلك البلد كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان ادوح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوتز . ويروح في هذا الدرب كللات البر وينصبون لهم اقلاع فالريح يودهم . ووعدني ان طاوعته ورحت معه وجبرت في خاطره يعطيني الف بغل . لان المواشي في تلك البلاد شيء كثير وعديدة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت من الرواح معه بسبب طول المسافة . وأيضا في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قهرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جدا . وهو أكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانه قليلون وفيه ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها ارض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) وهذه البلدة هي على البحر المحيط قرية من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشا يسمى ايريا دبال بايل كواي وجميع التولدين في تلك البلاد يشربون من ذلك الحشيش المذكور مغليا مع سكر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهم فتجأنا واحدا ينفعه واذا اراد ان يتقيأ يشرب منه أكثر فيدلق جميع ماعنده من العفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا .

وعن يمين هذه البلدة جوتز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واستسقف . ومنها يتحدرون سائر في البحر مقدار خمسمائة فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبله وجلويه ولدوبويه . وفي هذه البلدة جبله استسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنرال وهم دائما في حرب مع الهنود والكفرة لان هؤلاء الهنود من قبل ماكانوا يعلمون احوال الحرب لكن بعدما تعاشرنا مع السبنيولية تعلموا مثلهم . وما كان لهم اولا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبها . فلان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيولية دائما واذا مسكوا احدا منهم يشوونه ويأكلون لحمه واما الراس فيقطعون جمجمته ويعملونها طاسة ويشربون بها نبيذا من نبيذ بلادهم وهؤلاء عصاة وشديدون وقساء القلب وهم مضادون السبنيول وصية من آباؤهم واجدادهم الا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية .

فمن بعد خمسة واربعين يوما خرجت من هذه البلدة صحبة القاضي دون خوان المرقوم ليروح يأخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المزعول من ليما ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة . ولما كنت في بلد جوتز كان عندي صورة رأس ووجه المسيح كنت قد جبتها (أخضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلما وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتها عندي في الصندوق فبقيت متحيرة مع خدامي ورفقائي من هذه العجيبة فلما سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تاويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديته اياها على ظني انها ترجع ثاني مرة فما رجعت .

(٨٨) يريد مقاطعة توکومان وبونس ايرس التي كانت تسمى رسالة الباراغواي الشهيرة في تاريخ العالم الجديد .

فلان نرجع نتكلم من الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوه بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانه الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر . وهذا الوزير المزعول كان سعى في هذا المطران حتى عمله مطران ليما . ولما انزل صار المطران عدوا له كبيرا . واما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهند كانوا كتبوا ضده الى الملك والى أخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق .

فبعد وصول المعارض من الهند الى اسبانية حصلت في يد أخي الملك الذي كان عدوا كبيرا للوزير بسبب ان اخا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزله . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف الليل تاهت البغال فتمنا تلك الليلة في شدة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنا الى البلدة المذكورة . فتلاقت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكاذه وخلصتني من الفريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كاخ له بجز واکرام فهناك حكا لي عن هندي له معدن قوي غني وما اكتشف عليه السبنيولية فكان يروح هو وابنه الى المعدن سرا في الليل ويقطعان حجارة الفضة ويأتيان بها الى داره ويصفيانها بالنار فلما حكا لي انه اعطى حسنة قداس أربعين ألف غرش أرسلت وراءه ودعوته عندي وقلت له : أخبرني لاجل أي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى اولاد اولادك من فرائض ومراتب الحكم في هذه البلدة . فاجابني قائلا : رايت هنودا أقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا أخيرا تحت العذابات . هو هو السبب فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرهم يعملونه على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة ايام الى وقت ما حصل لنا مركب .

ثم سافرنا في البحر ثمانية ايام حتى انتهينا الى ميناء ليما التي تسمى الكليا El-Callao وهي تبعد عن البلد فرسخين . والفضة الرملية التي كانت معي لو تكون بيد غري لكانوا اخذوها للملك لكن ما ارادوا ان يفتحوا احمالي . ثم دخلنا الى بلد ليما في عربة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . واما المطران الموكل على الحكم ضاد هذا القاضي الذي جاء يأخذ المحاسبة وحجسه في داره قائلا : اولا تنفي الوزير الى مكان بعيد مقدار مائتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوى الناس فاحضروا الوزير وعرضوا عليه امر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لما يعزل حاكم ينفونه الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقا فأمر بنفيه الى مائتين فرسخ . فطاع امر الملك وخرج متوجها الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى باننا وهي ارض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد فرسخين وبقيت امراته وخدامها خارج ليما فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طالعت في رفقة الوزير مع بعض اصحاب لتودعه الى ميناء الكليا . وهذا الرجل كانت امانته زائدة في العذراء فقال : ولو سقوني السم ما بضرني بقوة الاله ووالدته القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبه مسافرا ونحن رجعنا الى البلد .

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معه وقلت له : كيف يحل من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو

رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت . فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نقتد الرضى ونزورهم ولا نظردهم وننفهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قائلا : انا مفتاض على امراته لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفى زوجها الى ذلك المكان . وكان الوزير لما ودعته امرني ان ادير بالي على بيته وعلى امراته لخوفه من الاعداء ان يسقوها سما وانا بقيت سنة وشهرتين مهتما بعائلته .

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورنا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلا . فمن بعد ذلك اعطاه دستورنا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الالام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقة اوراقا بان الوزير المعزول تقرر ان ليس عليه ذنب ولا اثبات بعله من العلل بل خالص من جميع المصاريف والزلل . فلما سمع المطران حزن وخرق نياحه من الله . حينئذ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليما . فخرج ملاقاته من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوه الى القرية حيث كانت امراته وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعه سالما . ومنحه الله بعد رجوعه ولدا ذكرا سماه فردينبندو ديلا كورا كونده كستيليا ومركز دي ماراكون .

٤٣- صداقة السائح للمظلوم :

ولما كان الوزير منفيا ارسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب انت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال الي واتركه وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تمتاز . فقلت له : كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبته لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انه معزول والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف اصله وشرف جنسه لا يترك صديقه الاول عند عزله بل يساعده ويسليه في كربه وضييقته . وانا واقف ايضا في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضا صديقك . فقال لي : اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين ارسل المطران يدعوني فعندما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكى لي فقال لي : اذهب اليه وكلمه بكل ما في خاطرك . فرحت اليه وتكلمت معه فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت له : اذا اردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمتني والان ما لي نية ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت له : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر واقترب عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي له وانا ما تحبني مثله . فقلت له : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونه وتكمل وصايا الله الذي اوصانا قائلا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واحبك واحب قريبي . ثم قام من كرسية وجاء احتضنني قائلا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافصالك تشهد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكى لي ما جرى ففرح وفرحت ايضا امرأة الوزير وقالت : الله تعالى برحم والديك الذين خلفوك وزيد اصلك .

٤٤- عودة الرحالة من البيروه الى باناما :

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجا عن البلد

بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانه كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية . وكنت ايضا في ذلك الزمان اكتب تواريخ سفري . فلما وصلت المراكب جاء معهم وزير جديد . وصار لي في هذه البلاد ست سنوات لسبب صاحبي الوزير المعزول لانه كان وعدني انه يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الي يده . فلما نظرت ان وزيرا جديدا قدم قطعت امل . فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلو ورست هناك امر مطران ليما الذي كان يومتد متوليا وحاكما على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليما الخزنة على المراكب التي تخص الملك ويتحدروا الى بورتو بلو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لا تصل القلايين من اسبانية الى بورتو بلو وتتحد المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلو على مقدار الف بفصل ولا يزالون ينقلونها مدة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخا . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونه بشختروات يسمونها كتاوس (Chatas) موسوقة الى بورتو بلو ويصير الموسم حينئذ مدة اربعين يوما لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء .

فلترجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم وصار ذلك اليوم عظيما بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمى الكلياو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكلياو وصلنا في خمسة ايام الى ميناء يسمى ياتساف (Amotape) واشترينا كل ما نحتاج اليه من الزودة فهناك الدجاجة تسوى غرشا ونصف والغنمة تسوى خمسة غروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة ايام الى مكان في البحر يسمى المورتوخاده (Amortajada) يعني المحنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق ويتحدر الماء ويسوق المراكب على انحراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدته الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) تزعجا وتدفعنا للارض حتى تاملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف (٨٩) . فطار عقلنا وقمنا عموما انتصينا للصلاة والتكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتفزع بتخشع لله ولوالدته مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة وراونا من بعد لان الهواء كان هامدا والبحر جامدا لما راونا قادمين اليهم بالهواء تمجبوا جدا . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا الينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوما ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملا اثني عشر مليون مسن فلما وصل الينا الجنرال امرنا بالخروج من هذه الاسكلة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما يائنين واربعين يوما وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود اسبانية جاءوا من ينكي دنيا ليقتشوا على قرصان البحر

(٨٩) نظنه اراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلا عن السرياني والمعنى العربي معروف وهو المفارة او البيت المنثور في الجبل .

يعني اللصوص الجليلية (٩٠) الذين في البحر القلبي . فاشبار علي صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانه استحق مني بسبب انه ما قدر يعمل معي شيئا من الذي وعدني به واستعد ان يجهزني بكل ما اعتاز ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربه

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم ونؤرخ اخبار

سفرتي الى بلاد ينكي دنيا (٩١) .

٤٥- السفر من باناما . جزيرة سليمان :

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنا في المركب الكبير الذي يسمى قبطانا وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة ايام وملأنا ماء وتسوقنا خضرا وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى رياليجو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينا الريح وبقينا اثني عشر يوما لا يتحرك المركب . وكان ايضا بجانبنا جزيرة اخرى تسمى ايسلاده لوس لادرونس (Isla de los Ladrones) اعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركبا سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابته ريح مخالفة ورمته في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرن بعض اشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطمعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملا ليملاوا الحوض الذي يطبخون عليه ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطباخ مثل العادة فاراد ان يعركش النار فرأى الرمل كالحجر فقلعه فاذا هو قرص ذهب فلما علموا ارادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهم لم يكونوا اكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمى في كتب القدماء ايسلاده سليمان (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بان سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والان السبنيولية ما لهم نشاط واتفاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة (٩٢) وبعد الزمان المذكور سهلت لنا الريح السفر فسافرنا وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى ميناء يسمى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لان هناك يجري نهر ماء حلو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملا الماء وانا خرجت معهم الى الارض لشدة الحر

(٩٠) أي العصابات .

(٩١) يريد بلاد المكسيك أي العالم الجديد .

(٩٢) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحالتنا لكن كثيرين من الكتبة ينفون صدقه سيما بعدما سمع اسبانية سنين طويلة في تحقيقه ولم تبلغ المرام . فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيته اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالته . وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سمى انطوان دي مدينة وغيره من البحارة من البارة في البحث المدقق فذهبت مساعيهم ادراج الرياح . على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانه استجلب منها الذهب اختلاق لم يبن على اساس .

وابتدأت اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي . وهذا النهر عمقه ذراع فقط ورايت رمله مخلوطا بالذهب فاربته رئيس المركب الذي كان مولودا في تلك البلاد فقال لي : لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب . لكن السبنيولية لا يتجرون على المجيء لاستخراجه لسبب الهندود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبال لان في ذلك الصقع يوجد هندود بغير عدد . وفيما نحن راؤون حدث علينا اضطراب عظيم في البحر ومن شدة الاضطراب انقطع جبل المرساة مرتين .

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة ايام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة ايام الى ميناء اسمه كلديره (La Caldera) أي ميناء التنجيره (الطاجن) فرسينا هناك . فقلت لسكر المركب ان يحوشوا لي من البحر صفدا فاتوا بنسج صفدات ففتحتهما واحدة واحدة لتاكل ما فيها ففتحت واحدة ورأيت داخلها حبة لولو قدر الحمصة . فقلت للجنيرال : ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونه . فقال لي : هذا ايضا لغوفنا من الهندود الكفرة . وبقينا في الميناء يوما وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطرا سخنا . وبعد خمسة ايام انتهينا قرب جبل يسمى باباكايو (Papagio) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري المركب ثلاث شقف فبقينا من القاطعين الرجاء وايسنا من الغلاص لاجل الاضطراب الذي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هديء البحر وهمدت الريح .

٤٦- بلاد نيكاراغا :

وبعد ستة ايام وصلنا الى ميناء رياليجو (Realejo و Rialexo) ونزلنا الى الارض فبقينا هناك يوما وليلة فكتب الجنيرال الى اسقف مدينة ليون (Leon) التي تبعد عن هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمه بقدمي فلما سمع فرح فرحا عظيما لانه لما كنت في باريس كان تصاحب معي وكان له دعوى مع الرهبان في باريس وهو ايضا كان راهبا من طائفة المرسه (Merici) فحين كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليه ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصدا مدينة ليون ولما اقتربت رايت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثم اخذني الى بيته وبقيت عنده ثمانية ايام . وهناك صادفت رجلا صاحبي كنت نظرتة وتعارفت معه في ليما . فهذا الرجل المبارك اهداني بقلعة جيدة والاسقف ايضا اهداني بقلعة اكراما .

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى سلواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويجو (Nuestra Senora del Vejo) يعني ضيعة ستننا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لاسيما مع المسافرين في البحر ولما كنا في لعاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقا كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها اقدس لها تسعة ايام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوما ووفيت لنذري (٩٣) وايضا كنت انتظر سنبكا الذي يسمى كاتوه

(٩٣) ذكر المؤرخون هذا المعبد ووصفوا المعبد ووصفوا المعجزات التي تجربها فيه العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو أو الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

(Canoa) وبالفرنساوي (Canot) لتجوز هناك في مضيق البحر وهو نحو أربعة وثلاثين فرسخا . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبى في هذا المضيق لانه مخطر جدا وفيه تفرق سفن كثيرة . لكنني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك .

٤٧- بلاد سان سلفادور - وصف نباتات انبيل :

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الاخر ونزلت في قرية تسمى اماپالا (Amapala) وهي أربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيوليا آتيا من ينكي دنيا وذاها للبروه . فعلم لي انه باع فرسه لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانه كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسه بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية ايام اربعين فرسخا فوصلنا الى قرية هنود تسمى اموشايو . ومن هناك رحلنا وسرنا ثمانية فرسخ فوصلنا الى قرية تسمى سان ميكايل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فرسخ الى قرية تسمى زرواكن . ومنها سرنا ستة فرسخ فوصلنا الى قرية تسمى استيبك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فرسخ فوصلنا الى قرية تسمى كوكينبيت . ومنها رحلنا الى قرية سان مرتين (S. Martin) ثمانية فرسخ . ومن هناك الى سان سلوادور (S. Salvador) وفي هذه التخوم يزرعون النبل . وهذا النبل يشبه النخله اي الفصه التي يطعمونها للخليل وكل واحد منهم له مزرعة فيزرعون النبل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامه انسان فيرخس في ينكي دنيا بعدما يكمل زمان حصاده يحصلون ذلك الحشيش ويرمونه في حوض عظيم فيحمي وياكل بعضه البعض وفي ذلك الحوض دوايب ليخطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزيد فياخذون في اياديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونها في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نبل فروتي والاسفل يعملونه نبل التخته .

٤٨- بلاد غواتيمالا :

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالايا وهو خمسة فرسخ . ومن هناك الى قرية تسمى اوبيكو سبعة فرسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فرسخ وهذه القرية يسكنها مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وام سودا وهؤلاء هم سمر لا ببيض ولا عبيد . ومن هناك الى قرية اسكلوس عشرة فرسخ . ومن هناك الى قرية بيتايا اثني عشر فرسخا . ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فرسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عيالا احد قبطوني بفرح عظيم . وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) يرأسه واحد يسمى برزبدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضا في هذه البلدة اسقف غني جدا اسمه دون خوان اوتيكا فرحت زرته وجاء هو ايضا زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافه فراح حكى له عن حلة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحا عظيما وامر اثنين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفا في خدمة قداسي عندما اقدس . وبقيت في هذه البلدة أربعة وثلاثين يوما معزوزا ومكرما من الجميع وقدست في جملة الكنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقه . وكان ايام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية .

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقتني انسان من جوايش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة بميل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وأنا سرت مسافرا ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتاليينا بجاكو . ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ . ومن هناك الى قرية باسيما طولوز سبعة فراسخ . ومن هناك الى سان انطون جيشتيك (St. Antoine de Suchitepec)

اثني عشر فرسخا . وهذه القصبه كان لها حاكم من مدينة سيويليا فاشتكى عليه الهنود الى ديوان واتيمالا حتى يعزلوه فقامت انا توسطت له وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكايل ده اهورتو . وهذا الرجل قوي مسيحي ومحب للكهنة ولما كنت اروح أزوره كان يبرك على ركبتيه ويوس يدي . وفي هذه القصبه المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفونه جيكلاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جدا وقد جعلوا أربعة آلاف غرش رهنا حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يعرضون من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبة . ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فرسخ . ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فرسخ . ومنها الى قرية سان كريستوفل ثلاثة فرسخ . ثم الى سان فرنسيسكو الاطو ستة فرسخ . ثم الى قرية خواتيلس ستة فرسخ . ثم الى رانجو قرية سان رايون خمسة فرسخ . ثم الى اكوكتينسا انكو فرسخان . ثم الى قرية بيانطو فرسخان . ثم الى قرية كوكومانداس عشرة فرسخ . ثم الى قرية سان مرتين ثلاثة فرسخ ثم الى قرية بيقيطان فرسخان . ثم الى قرية صان انطون بوسكين خمسة فرسخ . ثم الى قرية وسيتنام . ثم الى قرية اسكيتانكو (Isquintanango) سبعة فرسخ . ثم الى قرية سوسويتانكو سبعة فرسخ . ثم الى قرية بينولا ثلاثة فرسخ . ثم الى قرية توبيسيا (Teopisca) خمسة فرسخ . ثم الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فرسخ . ثم الى بيلكانا فرسخان . ثم الى قرية استايا ستة فرسخ . ثم الى خيايا خمسة فرسخ ثم الى بلد جيايا (Chiapa) السبنيول فرسخان .

٤٩- بلاد شيابا (Chiapa) - رسول السلام :

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمى دون الونسو براوو كان متخاصما مع برونسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عيالا احد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلما نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهم تأملت كثيرا فتكلمت مع الاسقف ومع البرونسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدس مصودا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسه قامت انا من الكرسي واخذت معي البرونسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت له : قال السيد المسيح سلامي اتركه لكم وامرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الغبيشة والحقن ونبدلها بالحب والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا . فقام الاسقف رفع يده وبارك عليهما وهو يضحك قائلا : تبارك

ثم الى سان سابستيان خمسة فراسخ . ثم الى قرية نيوكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبك خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيباكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انجلوس يعني مدينة شعب الملائكة (La Puebla de los Angeles) ستة فراسخ فجرت الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعماير وغنية بالكنايس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمى دون عمانويل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله وله معبر في كل سنة ثمانون الف غرش . وايضا في هذا البلد دبورة من جميع طوائف الرهبان .

٥١- وصف مكسيكو :

ثم بعد يومين خرجت متوجها الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخا فوصلت اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب له من بلد واتيامالا فقبلني بالعرش والاكرام . فمن بعد يوم وقعت مريضا وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت له مكتوبا من قريه الوزير صاحبي الذي كان في البروه . فبقي يرسل الي حكماؤه ليشرفوا علي . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بمحبة ووجه بشوش وعرض علي الوزير ان اسكن عنده في السرايا فاستكرت بخيره وشكرت فضله على ذلك وما اردت انزل عنده بل استكرت لي بيتا بثلاثمائة وستين غرشا في السنة واشترت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشا ثم ابتديت اروح اזור الاشراف فزرت اولاً مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالطران اعطاني دستورا ان اقدس اينما اشتهي خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح القش (اتحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واما هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابضة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطرا زائدا ففرقت البلدة وكثير من البيوت امتلأت ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنايس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بناؤها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة دبورة لرهبان مار الفرنسيس وديرين لرهبان مار عبدالاحد وديرين لرهبان اليسوعية وثلاثة دبورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان المرمي ومارستانات لسداواة المرمى وسبعة عشر ديرا للراهبان وديرا للرهبان الكرملتانيين . والكنيسة الكبيرة وغير كنايس اخر عديدة .

٥٢- كنيسة العذراء العجائية :

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمى وادلوبي (Guadeloupe) وذكروا لنا انه بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمى خوان ديكو دائرا خارج البلد اذ ظهرت له امرأة جليلة بنية في غاية الجمال وقالت له اذهب الى مطران البلد وقل له ان يبني لي بيتا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلا مثل مارسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت به . فلما تأمل المطران في هذا الهندي وفي حالته الزرية وثيابه الحقيرة امر بطرده فرجع هذا المسكين خائبا ومطرودا الى المكان الذي تكلمت معه تلك السيدة الجليلة . فظهرت له مرة ثانية . في المكان المذكور وقالت له

اسم الرب هاندنا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذ حل حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين الى الغداء فبعدما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور اهداني بقلعة جيدة وايضا البرونسيال اهداني هدية وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسألوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوما سافرت قاصدا قرية تسمى توستا وهي على فرسخين ومنها الى قرية اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثم الى قرية بيانتيك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexico او Mejiro) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيامالا (Guatemala) لان حكم واتيامالا قائم وحده .

٥٣- الذهاب الى مكسيكو (Mexico) او (Mejiro)

- وصف القرمز :

ثم سافرنا الى قرية سانانتيك التي تبعد ستة فراسخ ثم الى قرية استيتيك تسعة فراسخ ومنها الى قرية افانتيك ثم الى بلد خلايا وفي هذا البلد كان حاكم يسمى دون خوان بيتيا وهذا كان عمه كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولما سمع بقدمي خرج فرسخين خارج البلد للاقاني واستقبلني بعز واکرام وانزلني في داره وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفرائني في ميسر ذلك الجبل . فمبرناه بمعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخا ثم الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكائيل عشرة فراسخ ثم الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثم الى بسلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية له اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوبا الى اخيه الذي في واخاكا . فلما قربت من هذه البلدة ارسلت له المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البسلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد وانزلني في بيت كان هياه لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغا وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لما كان آتيا من الهند الى اسبانية وقع اسيرا في الجزائر فسهل له الله فاعتق وصار رئيسا على قسوس هذه البلدة وكانت لي معه صحبة واکرمي غاية الاكرام وكان اسمه دون ديونسيو . واما هذه البلدة فهي غنية بالعمائر والكنايس لاسيما دير مار عبدالاحد وباقي دبورة الرهبان ومارستانات المرمى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنايس اخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوق لي بها فرما لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقا فيلتهق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدرى ثم في حين بلوغه يستخرجونه ويضعونه في فرن حام فيببس وينطفئ . وبعد ذلك يبيسونه .

ومن بعد خمسة عشر يوما خرجت من هذا البلد قاصدا ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ابيتا ومن ابيتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانتيك خمسة فراسخ ثم الى قرية صان انطوان فرسخان ثم قرية كوس خمسة فراسخ .

وابتدأوا يتهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة أيام . ثم أخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مسال النهية وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيدا نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المركب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء نحو فرسخ وانزلوهم هناك وقالوا لهم اما ان تعتقوا ارواحكم او تقتلكم جميعا . وقطعوا عليهم مائة وخمسين ألف غرش فارسل هؤلاء المساكين من جانبهم الى مدينة اليويلا المذكورة (Puebla)

ليحضروا عناقهم . فمن بعد عشرة أيام قدموا لهم المائنة والخمسين ألف غرش فاعتقوا الناس السببوية وأخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوه من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هؤلاء القرصان الجلالية ستمائة نازر والسببوية مع عبيدهم كانوا أزيد من أربعة آلاف نفس . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي له رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسييلو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسييلو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضه رئيسا على القرصان . وأنا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريته من واخاكا بألف غرش فنهوه من جملة الاموال . وبينما هؤلاء القرصان في تلك الجزيرة أتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء أرسل الوزير فاعلم الجنرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء أولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنرال بيرقا ليجتمع عنده رؤساء كل المراكب ويعملوا ديوانا ويحطوا خطوط أباديهم حتى لا يكون الجنرال مذنباً وحده لأن مراكبه كانت موسوفة بضائع فخاف أن يفرق له مركب او يحترق في المحاربة . فلما ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظروا اليهم نسييلو فنصب قلاعه وسافر وهو يضحك على المراكب السببوية وخرج امامهم من غير خوف بعدما أخذ معه أزيد من ألفي أسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحية .

٥٤- من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين :

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فأروا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدة قسوس ورهبان وتلمنوا أناسها وروبوهم من الوثنية الى ايمان المسيح (٩٤) .

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بشمانية أشهر لكنه في العودة يرجع بثلاثة أشهر (٩٥) وأيضا كل

(٩٤) لم يصب مؤرخنا المرمى في تعيينه لزمان اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لويس دي فيلاولوس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يملك عليها الاسبانول الا في سنة ١٥٦٠- ١٥٧٠ وقد عرفت مد ذلك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية .

(٩٥) لما توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيرة والمكسيك) والشرقي (الهند وجزائر الفيلبين .. الخ) أورد التجار في كل من مدن مانيل (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهنديين معا بطريق البحر

كقولها الاول ان يرجع الى المطران ويقول له كما امرته فاطاع . وراح ثانية عند المطران وعرض عليه كل ما امرته تلك الست فاحتقره ايضا المطران وأمر بتهجيجه وطرده فرجع محزوناً ومطرودا الى ذلك المكان . فظهرت له الست ثالث مرة وقالت له : لماذا لم تعمل الذي امرتك به . فأجابها قائلاً : يا ستي قد فعلت مرسومك ورحمت مرتين عند المطران وعرضت عليه كل ما امرتي لكن هججني وما صدقتني . فقالت له : امض اليه ثالث مرة وقل له كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذه معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولته الورد وكان غير آوانه . فأخذ ذلك الهندي الورد وجعله في الرداء الذي كان ملتصقا به وقصد بيت المطران فلما نظره الخدام وعرفوه هججوه وطردهوه . فقال لهم : لأجل الله اتركوني اكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها له . فاعلموا المطران بذلك فأمر بدخوله فلما وقف بين يديه قال له : يا سيدي الست أرسلتني اليك ثلاث مرات وتقول لك ان تبني لها بيتا في المكان الفلاني وها قد أرسلت لك هذا الورد حتى تصدق قسولي وتتيقن انها هي أرسلتني اليك . فلما رمى الهندي الورد من ردايه ونظر المطران لهذا العجب لانه ما كان زمان الورد وزاد عجبه اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذ جثا المطران على ركبتيه امام هذا الهندي وطلب منه الغفران وعاجلا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردايه ثم شلحه المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضع في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وأمر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيه للهندي المذكور وسمها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتيج مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنية جدا بالفضة والذهب والبدلات الممثلة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوه من فضة والعواميد التي على المذبح أيضا من فضة فمن حد هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ام تلك الارض في أيام الصيف لما تمطر تغمر كلها بحيرة فما يمشون الا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من أول شهر ايار الى آخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا .

٥٣- هجوم الهراطقة على أسكلة ويراكروس :

وأنا فقيت مرتاحا في هذه البلدة نحو ستة أشهر حتى وصل مركب من اسبانية وأحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسه انه قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين ويأخذ محاسنة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفا في قلوب كثيرين من المذنبين . أما الوزير فانه لما سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معه فما أراد ان يظهر أوامره فعلم الوزير انه كاذب محتال فارسل خلفه جنودا ليحرسوه فوجدوه وأمر الوزير بحبسهم . وبذلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى ميناء ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل أجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيدا عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوه . وبعد ذلك دخلوا وأخرجوا الناس رجالا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراسا على الابواب

٥٥- اخبار الصين والفليبيين :

وذكروا لنا ان من مدة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعهم من الوثنية الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان اتى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وأمر بتحضير مركب وعسكر ليسافر الى جزيرة فيليبيناس (Philippines) فلما نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف كونهم قليلين وغير مستعدين فمالهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فمبروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدس وخرجوا بازيح والصلاة الى محاربة الاعداء بقوة الله وعدالته التي لا تتغلى عن القاصدين اليه بامانة حاج البحر على تلك المركب وشنت شملها وحطمها وبادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركبا . فلما سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابه حزن حزنا عظيما ومن حزنه هلك عاجلا واوصى ابنه الكبير التولي الحكم بعده ان يهيئ عسكر آخر بمواكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلما اهتم ابنه المذكور وجمع العساكر وجهاز المركب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبسأدوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضا ما عرض لوالده ومات فقعا لعزته . فخلفه اخوه الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيئ عساكر ومراكب فاشارت عليه والدته ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري له ما جرى لابييه واخيه بل الافضل ان يصالحهم ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه . والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وأنا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلما جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكي لي جميع هذه الامور والمعجز التي صارت في فيليبيناس . وهذا الرجل صادق بقوله وايضا شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تشبثا صادقا واضحا تلك المصيبة (١٠٠) .

٥٦- جزائر ماريان :

ومن مدة خمسين سنة اكتشف ايضا السبنيولية (الاسبان) على جزيرة قريبة من فيليبيناس وفتحوها وكان سكانها هندو عابدي الاصنام فلما ملكوها نصروا وعمدوا اهلها وسموها على اسم الملكة امراة الملك فيليه الرابع (Philippe IV) وام هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie An-ne d'Au-striche) التي هي اخت الامبارادور ليوبولد فعملوا اسم تلك الجزيرة ايسزلا ده مارياناس (Mariannes) ولا كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيليبيناس وجاء معه راهبان من رهبان مار عبد الاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهؤلاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانية في مركب واحد حينئذ اروني العرض حالات حتى اعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعها قضاة فيليبيناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم من الرهبان اليسوعية وطلب منهم العشور فما اطاعوه ولا ارادوا يؤدوا له ذلك (١٠١) فبسبب هذا احشوا عليه (قام) قضاة البلد

(١٠٠) لا تدري كيف لخص مؤلفنا هذه الاخبار ونظنه خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان .

(١٠١) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثرا غيرهم من الرهبان

سنة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط (١١) الى تجار ارمين يسمون جلفاليه (١٢) ساكنين في هذه الجزيرة - وهم اثنان - ياخلون مال هذا المركب ويدبونه للسبنيولية لوعدة سنة . ففي كمال السنة يجي مركب من سورط فياخلون من السبنيولية درايم العام الاول ويعطونهم ايضا لمثل هذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفالية فقط . وكان لي نية ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلاد (١٣) لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهبا ليحكم في تلك الجزيرة (١٤) فطلب مني ان ادبته عشرة آلاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانه مديون وعليه مائتان الف غرش دين . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية .

تسهلا للمواصلات التجارية وتقريبا للمسافات الشاسعة . فنجح سعيهم وجعلت المركب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي ما امتازت به من المحصولات والفضة والذهب تقودا وسياك فتعود محملة بضائع الصين من مصافات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا ياتون منها كل سنة بخمسين الف زوج . اما مدة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالو (Callao) في اواسط آذار متتبعا للرياح الموسمية المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مائلا في اقل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهرا فأرشدتهم احد الابهاء اليسوعيين الى الانتفاع من الاريح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالاريح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شسوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر كانون اول كانون الثاني فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك .

(١٦) نظنه يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاه ابن بطوطة كنيات وقد وصف مدينة بهذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورط او سورات فهي مدينة حديثة لم يكدر ياتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث أصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والفرنسية والهولندية فروعا مهمة وكان فيها رسالات دينية لليسوعيين وغيرهم .

(١٧) ربما يريد النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اصفهان بناء شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان أصبحت مدينة مهمة امتدت الكثرة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين .

(١٨) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد من طريق ايران متتابعة كما جاء مرارا في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وباليث رحالتنا عاد الى بلاده من طريق الفيلبين والهند والعجم وكانت سفرته غريبة لم يسبقه أحد اليها .

(١٩) الفليبين جزائر لا جزيرة واحدة .

فارسوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخا . وهذا المطران كان راهبا من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتعلة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنمه القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليپاس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاههم وماتوا متفين تحت الحرم .

٥٧- الرجوع الى أوروبا :

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان اخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكسرون الاوضة ذراعين وعرضها ذراع وثلاث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايتنه طلب ألف غرش صعب علي لكن فصبا عني رضىت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديوانا ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى اسبانية في هذه الاشهر وموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركبا صغيرا مع مكاتب واخبار تلك البلاد وارسلوه قبلهم سيقا الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارة وماءها عاقل وهواها اتس . حينئذ استنهيتم وركبت في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوه الى اسبانية فاصدا السفر معه الى جزيرة تسمى لاوانسا (La Havana) (هافانا) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي دنيا التي يقال لها الفلوتا (Flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس وأشار علي ان اشترى حقلين يصل يابس وصندوقين تفاح لاجل ارمغانات (١٠٧) فاشتريت وعملت بشوره وسافرتنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوما وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدعت له البصل والتفاح ارمغانا فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز

مغفون من اداء المشور لرؤساء الابريشيات على اننا قلنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبسلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا بأربعين سنة فطلب المشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اما بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينو جولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ . الخ) والثاني ارتان غريرو مطران مانيلا في الفلبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه انه دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم وأعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليه من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتينو جولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ . الخ) .

(١٠٢) ارمغانات أي هدايا وهي كلمة فارسية الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين .

البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذئاب الفار واذا تركوه حتى يكبر يتخ ويبيس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيب واناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاني بشاكيش (١٠٦) عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبات (١٠٤) الربى وانا كنت استكرت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين قرشا وسافرنا . فبعمونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من ظلم زيادة الريح ودام احد عشر يوما وتشتتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحسات في المراكب وتدورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوما المذكورة سهل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفئارات حتى لا يتيهوا ويضيئوا بعضهم عن بعض وايضا حتى لا يقرىوا كثيرا الى بعضهم لئلا يخطب مركب في مركب ويتكسروا . حينئذ جاءتنا ربح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس فمن بعد اثني عشر يوما كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جدا حتى في نصف النهار .

٥٨- من اسبانية الى روسية :

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي ملك فرنسا راسية خارج الاسكلة وايضا مراكب الحرب التي ملك اسبانية راسية قبائلهم . فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردت مراكب فرنسا واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصاد الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا الميناء ورسينا فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سناكب طالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوها ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) اشبيلية لاخلص الفري غرش من قبطان مركب كان تدينها مني ليشترى عازة مركبه . فلما وصل الى كادس يسقوا على المركب واخفوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادعيت فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانه لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكرت مع مركب هولندي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درات وهي الطيسور التي تسمى في لسان الفرنجي باباكي (ببغاء) (Perrouet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضا فنديل فضة يسماوي الف واربعمائة وخمسين قرشا وصنعته غريبة فقدمته الى سيدنا البابا والى كنيسة المجمع فلما رآه الكردينالية فرحوا فرحا عظيما بلطافة صياغته . وفي ذلك الحين انعم علي سيدنا البابا اينوسنسوس العادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقا لها . والحمد لله الى الابد آمين .

(١٠٣) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقاله واراد بها البخشيش . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيو بمعنى اعطى وغفر .

(١٠٤) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والمقايير وغيرها .

ملاح الأرواح في شرح مراح الأرواح

تأليف

العلامة بدرالدين محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥هـ

حققه وعلق عليه

عبدالستار جواد

القسم الاول

الحسبة بالقاهرة سنة ٨٠١هـ ثم نظر الاحباس ثم قضاء الحنفية ودرس الحديث بالمدرسة المؤيدية وتقدم عند الملك برسبائي فاختمى به وارتفع شأنه بحيث كان يقرأ له التاريخ الذي جمعه بالعربية ويفسره له بالتركية لتقدمه باللغتين .

ولم يزل العلامة العيني ملازما للجمع والتصنيف حتى مات ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ ودفن من القصر بمدرسته التي أنشأها وهي المدرسة البدرية بناها بمقابلة داره في حارة كناسة بالقرب من الجامع الأزهر .

ويروى أنه كانت بين العيني وشيخ الاسلام ابن حجر منافسة واتفق أن مالت مثلثة المدرسة المؤيدية التي كانت على البرج الشمالي لباب زويلة وكان العيني شيخ الحديث فيها فقال ابن حجر :

لجامع مولانا المؤيد رونق

منارته بالحسن تزهو وبالزین

تقول وقد مالت عليهم تمهلوا

فليس على هدمي أضر من العين (١)

فرد بدر الدين عليه بقوله :

منارة كمروس الحسن اذ جليت

وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا : أصيبت بعين قلت : ذا غلط

ما أوجب الهدم الا خسة الحجر (٢)

وكان الناظر على عمارتها من قبل بهاء الدين البرجي وقد

عرض به تقي الدين بن حجة الحموي بقوله :

على البرج من بابي زويلة انشئت

منارة بيت الله للعمل المنجي

فاخنى بها البرج الملعن أمالهـا

الا صرحوا يا قوم باللعن للبرج (٣)

تقديم

بدرالدين العيني (١)

٧٦٢هـ - ٨٥٥هـ

هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود فاضى القضاة الحلبي الأصل ، ولد بعين تاب سنة ٧٦٢هـ ونشأ بها وكان أبوه قاضيا . قرأ مراح الأرواح في التصريف على الشمس محمد الراعي ابن الزاهد والشافعية وشرح الشمسية ورمز الكون للأدي ، ثم قرأ الفصل في النحو والتوضيح على العلامة جبريل بن صالح البغدادي تلميذ التفتازاني ، والمصباح في النحو على الشيخ خيرالدين القصير وتفقه بابيه وكان مولد والده سنة ٧٢٥هـ بحلب ووفاته سنة ٧٨٤هـ . وكان بدرالدين مشاركا في الفنون لا يمل من الطالعة والكتابة ، كتب بخطه وصنف الكثير وكتابه حسنة ظريفة مع السرعة وكان عارفا بالعربية والتصريف حافظا للغة كثير الاستعمال لحوشياها .

قال عنه السخاوي : « حدث وأفتى ودرس مع لطف العشرة والتواضع وأخذ الفضلاء عنه من كل مذهب وقد قرأت عليه الأربعين التي انتقاها شياخي من صحيح مسلم ، وقرض لي بعض تصانيفي ، ومن تصانيفه ملاح الأرواح وقال أنه أول تصانيفه وله من العمر تسع عشرة سنة » . لقد ولي العيني نظر

(١) الثبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ٣٧٥ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٨٦ وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٧٠ والفوائد البهية ٨٦ وتاريخ أبي إياس ٢ - ٣٣ وروضات الجنات ٤ - ٢١٥ ومفتاح السعادة ٢٢٥ .

مؤلفاته :

- ١ - شرح الهداية (فقه حنفي) آتمه سنة ٨٥٠هـ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، وقد سماه صاحب كشف الظنون « النهاية » ونقل عنه بروكلمان ج ٢ صحيفة ٥٣ .
- ٢ - رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق ، طبع في بولاق سنة ١٢٨٥هـ في جزئين وطبع في مصر سنة ١٢٩٩هـ .
- ٣ - عمدة القاري في صحيح البخاري . طبع في الاستانة سنة ١٣٠٨هـ .
- ٤ - فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد [الشواهد الصغرى] طبع في مصر سنة ١٢٩٧هـ .
- ٥ - المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية [الشواهد الكبرى] . طبع على هامش خزنة الادب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي في مصر سنة ١٢٩٩هـ .
- ٦ - عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان . منه بعض اجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ومنه نسخة في ٢٤ جزءا في مكتبة بايزيد بالقسطنطينية ومنه نبذة طبعت ضمن تواريخ الحروب الصليبية .
- ٧ - سيرة الملك المؤيد . منظومة . وقد جرد منها ابن حجر الابيات الركبة والتي بلا وزن قبلت نحو اربعمائة بيت في كتاب سماه : « قذى العين من نظم غراب العين » .
- ٨ - شرح معاني الآثار .
- ٩ - شرح الكنز .
- ١٠ - شرح المجموع .
- ١١ - شرح عروض الساري .
- ١٢ - طبقات الحنفية .
- ١٣ - طبقات الشعراء .
- ١٤ - مختصر تاريخ ابن عساكر .
- ١٥ - شرح درر البحار .
- ١٦ - تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر .
- ١٧ - ملاح الاطوار في شرح مراح الاطوار وقد ذكره السخاوي في ذيل السلوك صحيفة ٣٧٨ وقال ان العيني ألفه وهو ابن تسع عشر سنة ، وهو كتابنا هذا الذي نقدمه .

ملاح الاطوار :

لعل هذا الكتاب من احسن الكتب التي ألقت في الصرف فقد جمع فيه المؤلف قوانين هذا الفن بأسلوب لطيف وجمع للفوائد والفرائد من نحو وصرف .

وكتابنا هذا شرح للمختصر المشهور « مراح الاطوار » الذي ألفه احمد بن علي بن مسعود أحد علماء القرن الثامن أو التاسع للهجرة وقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة صحيفة ١٥١ أنه مصنف المراح لكنه لم يقف على ترجمته . وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من « مراح الاطوار » كتبت سنة ٨٤٠هـ .

وقد شرح « المراح » عدة علماء عبد العيني أشهرهم علاء الدين ابن الاسود سماه : المراح في شرح مراح الاطوار ومنه نسخة جميلة في مكتبة المتحف العراقي . وشرحه أيضا احمد ديكقوز وقد طبع شرحه مرارا وهناك أيضا في مكتبة المتحف شرح جيد للمراح مؤلف مجهول .

أما ملاح الاطوار فهو أفضل هذه الشروح وأوسعها .

نسخة الشرح الوحيدة :

النسخة التي بين يدي من « ملاح الاطوار » نسخة فريدة في عالم المخطوطات ولم أوفق في العثور على نسخة أخرى من هذا الشرح في جميع فهارس المخطوطات والمصورات ، وهذا مما يجعل مهمة المحقق غاية في الصعوبة اذا كان هناك تصحيف أو تحريف في النسخ ، وهو ما موجود فعلا في هذه النسخة ويظهر مقدار ذلك بالنظر الى الحواشي التي كتبتها عليه .

عدد أوراق هذه المخطوطة ١١٨ ورقة كتب في كل صفحة ٢١ سطرا وحجمها ٢١×١٥ س . كتبت بخط جيد وعلى ورق أبيض سنة ١٠٩٢هـ ، ويقول ناسخها : « وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب في ليلة الاحد من شهر صفر المبارك من شهور سنة اثنين وتسعين وألف على يد اضعف العباد ، الى رحمة ربه الغني الجواد الفقير الشيخ محمد الحموي الامام في المليات ضاعف الله له الحسنات وعفا عن السيئات وغفر له وللمسلمين آمين يا رب العالمين » . وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة « كتاب شرح المراح في التصريف » للشيخ الامام العيني رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا به آمين . وربما كانت الصفحات من ١١ الى ١٨ كتبت بخط رجل آخر غير الحموي .

ويذكر العيني في نهاية الكتاب بانه فرغ من تسويده وتثنيقه في العشر الاول من شهر ربيع الاخر من شهور سنة ٧٨٢هـ وهو ابن احدى وعشرين سنة .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ا) وربما ذكرت كلمة « الاصل » اشارة اليها .

وقد اعتمدت في تحقيق متن الكتاب وهو « مراح الاطوار » ل احمد بن علي بن مسعود على النسخ التالية :

١ - نسخة رمزت لها بالحرف (م) وهي موجودة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ٢٢٢٢ وعدد أوراقها ١٢١ ورقة من الحجم المتوسط ، كتبت سنة ١٠٩٦هـ وهي متن لشرح علاء الدين ابن الاسود المسمى « المراح في شرح مراح الاطوار » .

٢ - نسخة رمزت لها بالحرف (ق) موجودة في مكتبة الاوقاف تحت عنوان : مجموع صرف ، ورقم ١٢٣٤ وحجمها ٢٢×١٦ س كتبت بخط جميل وورق مذهب دون ذكر لتاريخ نسخها ومعها في هذا المجموع متن العزي والمقصود والامثلة .

٣ - نسخة رمزت لها بالحرف (ح) وهي مجموعة الصرف التي طبعت في اسطنبول سنة ١٢٧٦هـ وفيها شافية ابن الحاجب ومراح الاطوار وتصريف العزي والمقصود والبناء والامثلة .

التحقيق :

لما كانت هذه النسخة من شرح العيني وحيدة فقد اعتمدت في ضبط نصوصها على أهمات كتب الصرف والنحو كشرح الشافية للرعي وشرح التصريف الزنجاني للتفتازاني وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري والنصف في شرح تصريف المازني لابن جني وعلى كتاب سيبويه وغيرها من المصادر ذكرت أهمها في نهاية الكتاب .

وقد كتبت عليه تعليقات تعزز الشرح بالشواهد وتنضم اليه لطيف الفوائد واصلحت تحريفات الناسخ مشيرا الى ذلك في الحاشية . وقد عملت له فهرسا للالفاظ اللغوية والصرفية اضافة الى الفهارس المعهودة تسهلا للراغب والله ولي التوفيق .

مقدمة المؤلف :

الحمد لله على توالي نعمه ، وترادف عفوه وكرمه والصلاة على نبيه الكريم ، محمد الحسيم الحظ في النعيم ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، مطهري الدين ومؤيدي الاسلام ، ما فاح مسك وأوراق عود ، وما لمع برق على الخدود ، والرضوان على علماء الدين ، ما قرىء المثاني والتين (١) .

أما بعد : فإن العبد الفقير الى رحمة ربه الفني ، محمود بن احمد العيني يقول : لما رأيت كتاب المراح الذي صنفه الشيخ الامام العالم الفاضل احمد بن علي بن مسعود نور الله مضجعهم وجعل الجنة مثوانهم ، كتاباً مشتملاً على قواعد خمسة من قواعد التصريف وأبحاث كثيرة ، وفوائد لطيفة ، وأنه عار عن الشرح وهو محتاج اليه فاستخرت الله تعالى وأنشأت له شرحاً لطيفاً يذلل الصعاب ، ويكشف عن مخدراته النقاب ، مع قصوري في هذا الفن من ثلاث جهات ، الاولى : قصور العلم والمادة ، والثانية : عدم الاهلية في هذه الصناعة ، والثالثة : كلال الدهن وقلة الفطنة . فهذا هو الذي يظهر عذري وبسبب اعتذاري ، ولكنه يسر لي في انمامه ، ووفق في اختتامه (٢) ، أنه ميسر قدير وموفق جدير . فسميته بكتاب : (ملاح الالواح في شرح مراح الارواح) (٣) واستعيذه من حقد الحقود ، وطعن الطعان وحسد الحسود ، وأرجو أن يجعل سعبي مشكوراً وذنبى مغفوراً ونصبي مبروراً ، أنه غفار للذنوب وستار للعيوب .

قوله : « قال المفتقر الى الله الودود » .

اقول : اعلم ان المفتقر اسم فاعل من افتقر يفتقر أي احتاج ، وهو صفة موصوفها محذوف تقديره : العبد المفتقر . الالف واللام فيه بمعنى الذي لان الالف واللام في اسم الفاعل واسم

(١) قال في مختار الصحاح : « المثاني من القرآن : ما كان أقل من المئين وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تثنى في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقتراح آية الرحمة بآية العذاب » .

(٢) كذا في الأصل ولعله أراد « اختتامه » بتأوين وهو من اختتم الشيء إذا بلغ خاتمته ، ويحتمل أنه أراد ختامه باختلاس الالف .

(٣) لا تخفى المجانسة بين « مراح » و « ملاح » وهو ما يسمى بالجناس اللاحق .

المفعول (٤) تكون بمعنى الذي تقديره : الذي افتقر فلذلك قدر الموصوف وهو من الموصولات الاسمية فلا بد له من صلة وعائد ، وموصول حرفي (٥) عند المازني ومن وافقه ، وحرف تعريف عند أبي الحسن (٦) فان قيل : ما الصلة في ذلك ، قيل له : الصلة في ذلك اسم الفاعل لان صلة الالف واللام التي بمعنى الذي ، لا تكون الا اسم فاعل او اسم مفعول مثال ذلك في التنزيل : الزانية والزاني والسارق والسارقة . أي : التي زنت والذي زنى والذي سرق والتي سرت . فان قيل : فلم قلت ان لابد له من صلة ، قيل له : لان الموصولات لا تفهم معناها بأنفسها ، الا ترى أنك اذا قلت الذي مثلاً من غير صلة لم يفهم المعنى بنفسه الا بعد أن تضم اليه شيئاً من الجمل أو الظروف . فان قيل : فلم قلت ان لابد من الانضمام الى الجمل أو الظروف ؟ قيل له : لان الموصولات مبهمات والمقصود من الصلة التبيين والتوضيح كالصفة ، وهو بالجملة أكثر من المفرد لانه لا يعرف ولا يوضح مثل الجمل ، وأما الظروف فكذلك في معنى الجملة مثل : الذي في الدار زيد ، تقديره : الذي استقر فكان مقدراً بالجملة لا بالمفرد فان قيل فلم قلت ان لابد له من عائد قيل له : لان الجملة مستقلة بنفسها مستغنية عن غيرها فلا بد من رابطة لتربطها بما قبلها ، وتلك هي الضمير اللهم الا ان يكون الموصول حرفياً مثل أن المصدرية الناصبة للأفعال وأن الثقيلة الناصبة للأسماء ، لان الصلة تجري مجرى الصفة والحرف لا يوصف وإنما يوصف الاسم فاذن لا يحتاج الى ضمير يعود اليه لانه « لا يعود (٧) » الا الى شيء يصح الاخبار عنه ، والحرف لا يصح الاخبار عنه فلا يعود اليه الضمير .

(٤) سكنت عن الصفة المشبهة لان ال الداخلة عليها نحو : الحسن - حرف تعريف ، ولابن هشام الانصاري رحمه الله كلام طريف فيها . ومعلوم ان ابن مالك هو الذي قال بالصفة المشبهة .

(٥) رد كثير من النحاة على المازني ومن وافقه بأنها لا تؤول بالمصدر ، وان الضمير يعود عليها كقولك « قد أفلح المتقي ربه » والضمير لا يعود الا على الاسماء . وقد رد المازني بأن الضمير يعود على موصوف محذوف ، وهو كلام لا ضرورة توجيه .

(٦) قال الصبان : « ولو كانت كذلك لمنعت من افعال اسمي الفاعل والمفعول بمعنى الاستقبال أو الحال ، لا يعادها لهما عن شبه الفعل كالتصغير ، وبدخولها على الجملة . وحجة أبي الحسن الاخفش ان العامل يتخطاها نحو : جاء الضارب كما يتخطاها مع الجامد نحو : جاء الرجل . ولا موضع لال فيما ذكرنا من أمثلة ولو كانت اسماً لكان موضع . وكان العلامة ابن يعيش يقول بحرفيتها . زيادة يقتضيها السياق . (٧)

(فوائد) من خصائص الموصولات عدم جواز تقديم الصلة على الموصول لأنها كالجُزء المتأخر عنه أعني العجز ، والجُزء المتأخر لا يتقدم على الكل ولا بعضها أيضا لأنه إذا لم يجز تقديم الصلة عليه فكذلك لا يجوز تقديم بعضها عليه لأن جزء الكلمة لا يتقدم على الكلمة . ومنها عدم جواز الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي لأنها كالكلمة الواحدة . ومنها عدم أعمال الصلة فيه ، وذلك لأنهما كالشيء الواحد فلو جُوز أعمالها فيه يلزم تقديمها عليه لأن رتبة العامل قبل رتبة المفعول ، فيلزم أن تكون الصلة قبل الموصول وذلك محال . ومنها (٨) عدم أعمالها في شيء قبله لأنها إنما تعمل فيما قبله (٩) لو جاز تقديمها عليه فلما لم يجز لم تعمل . ومنها جواز حذف العائد إذا كان مفعولا كقوله عز وعلا (الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (١٠) كحصول العلم بدونه مع كونه فضلة . فان قيل لم اختار المصنف لفظ الافتقار قيل له ، تأسيا وتبركا بقوله تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء) (١١) التوصيف بالفقراء أعم وأشمل من غيره نحو المحتاج والضعيف والمسكين فان قيل ينبغي أن يقول : إلى الله الغني للمناسبة ، قيل له : أجل لكنه إنما أتى به ليوافق الودود بالمسعود لاقامة السجع فان قيل لم اختار لفظة الله (١٢) ، قيل له لأنه اسم الذات وهو مستجمع لجميع الصفات وأنه أشهر أسماء الرب وأعلاها محلا في الذكر والدعاء ولذلك جعل أمام سائر الأسماء وخصت به كلمة الإخلاص ووقعت به الشهادة فصار شعار الإيمان وهو اسم ممنوع لم يسم به أحد وقد قبض الله عنه اللسان فلم يدع به شيء سواه وقد كاد يتعاطاه المشركون أسما لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها فصرفه الله إلى اللات صيانة لحق هذا الاسم وذبا عنه .

وسائر الأسماء الربانية تحمل عليه ولا يحمل هو عليها ، ولا يوصف هو بها دون عكسه فيقال : الله غفور رحيم كريم ولا يقال : الغفور الله فعلم أنه اسم ذات الذات للمعبود بالحق ، ليس بالحق وليس بصفة فان قيل : هل هو مشتق أو اسم موضوع قيل له : اختلف العلماء فيه فروي عن الخليل بن أحمد روايتان ، أحدهما : أنه اسم

علم ليس بمشتق وهو قول الزجاج ومحمد بن الحسن والشافعي رحمهم الله . وهذه هي الأصح ، ولا يجوز حذف الالف واللام منه كما يجوز من الرحمن الرحيم . والثانية وهي رواية سيبويه : أنه اسم مشتق من اله ياله بفتح العين فيها الإله ومعناه : عَبْدٌ يَعْبُدُ عِبَادَةً ، ومنه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ويذكر والهتك) (١٣) بالكسر ، قال أي عبادتك والاله على وزن فِعَالٍ بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود فيسمى الأله كما يسمى الرجل أمما إذا أم الناس فاتموا به وكما يسمى الثوب رداء ولحافا إذا ارتدي به والتحف به ثم لما كان اسما لعظيم ليس كمثله شيء أرادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الالف واللام لأنهم أفردوه لهذا الاسم دون غيره فقالوا الإله واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالها فيها وفي وسط الكلام ضغطة شديدة فحذفوها ثم ادغموا اللام في اللام فصار الاسم كما نزل به القرآن . وقال بعضهم أصله من اله ياله بكسر العين في الماضي ، وفتحها في الغابر اله يفتح الفاء والعين أي سكن يسكن سكنا . إنما سمي الله اله لسكون الخلق إليه في كل حوائجهم ، وقال بعضهم من تاله يتأله تألها أي تضرع يتضرع تضرعا ، وإنما سمي الله اله لتضرع الخلق إليه . وقال بعضهم من لاه يلوه أي : احتجب ، إنما سمي الله إلها لأنه احتجب عن أدراك الأبصار والأفكار لقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (١٤) وقال الشاعر :

لاه ربي عن الخلائق طيرا

خالق الخلق لا يرى ويرانسا (١٥)

ولهذا قيل الإلهام تنحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الطغيان وقيل النظر الصحيح . ومعاني جميع الأقوال التي سبق ذكرها موجودة في ذات الله تعالى ، فانه تعالى معبود في جميع عوالم الملك والمملوك والجبروت وسكون جميع الخلائق إليه وكل الخلائق يولعون (١٦) إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم ويضرعون إليه في

(١٣) الآية ١٢٧ من سورة الاعراف .

(١٤) الآية ١٠٣ من سورة الانعام .

(١٥) قال ابن يعيش : وزن لاه : فَعَلٌ واشتقاقه من لاه يله إذا تشر كأنه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه عن ادراك الأبصار والاف لا منقلبة عن ياء بدل على ذلك قولهم . « لهي أبوك » .

(١٦) حكاه على الأصل وهو إليه وبابه طَرِبَ ومعناه فرغ إليه .

(٨) في الأصل بعد قبله « ان » وهي زائدة وقد أسقطتها .

(٩) ١ : فلم « وهو تحريف من الناسخ » .

(١٠) الآية ٢٦ من سورة الرعد .

(١١) الآية ٣٨ من سورة محمد .

(١٢) هو اسم مرتجل للعلمية غير مشتق وهو مذهب سيبويه وعليه صاحب القاموس وقد اختلف فيه العلماء على أكثر من ثلاثين قولاً ذكرها شراح البسطة .

كل ما يصيبهم من المصائب كما يوله كل طفل الى امه عند وجود هذه الاشياء . الودود : على وزن فعول وهو اسم مأخوذ من الود فيه وجهان ، أحدهما أن يكون فعولا في محل مفعول كما رجل هبوب بمعنى مهيب وفرس ركوب بمعنى مركوب ، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفون من احسانه اليهم وكثرة عوائده عندهم . الوجه الثاني : أن يكون الودود بمعنى الواد أي انه يود عباده الصالحين بمعنى أن يرضى عنهم بقبول أعمالهم وقد يكون معناه أن يودهم الى خلقه كقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (١٧) .

قوله : « احمد بن علي بن مسعود » أقول :

احمد : مرفوع بأنه عطف ببيان من قوله المفتقر وهو اسم غير صفة توضح ، ابن : مرفوع بأنه وقع صفة . علي : مجرور باضافة ابن اليه ، والابن الثاني أيضا مجرور لكونه صفة لعلي ، والمضاف : كل اسم أضيف الى اسم آخر فان الاول يجر الثاني ويسمى الاول مضافا والثاني مضاف اليه . والاضافة على ضربين : معنوية ، أي مفيدة في المضاف تعريفا وتخصيصا ، ولفظية ، وهي اضافة اسم الفاعل الى مفعوله والصفة المشبهة الى فاعلها نحو : الضارب زيد وحسن الوجه . والاولى تجيء على ثلاثة أقسام ، بمعنى اللام وبمعنى من ، وبمعنى في . قال المالكي رحمه الله : وما قالوا ان الاضافة بمعنى في قليل - غير حسن فيه تسامح لانها ثابتة في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح كقوله عز وعلا : « وهو الد الخصام » (١٨) وقوله : « للذين يولون من نسائهم تربص أربعة أشهر » (١٩) وقوله : « يا صاحبي السجن » (٢٠) وقوله : « بل مكر الليل والنهار » (٢١) وكقوله عليه السلام : « فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة » وقول العرب : شهيد الدار ، وقتيل كربلاء . فان قيل : ما الفرق بين الاضافة بمعنى اللام وبمعنى من ؟ قيل له : ان المضاف في الاضافة التي بمعنى من يكون من جنس المضاف اليه كقولك : « خاتم فضة » لان الخاتم مصنوع من الفضة ، وكقولك : « ثوب خز » لان الثوب من جنس الخز ، ولا كذلك في الاضافة بمعنى اللام ، او ان الاضافة التي بمعنى

اللام لا يصح فيها ان تنصب الثاني على التمييز فلا يصح ان يقال : « هذا غلام زيدا » والتي بمعنى من يصح فيها ذلك ، فنقول : « هذا ثوب خز » على التمييز لانه تمييز عن سائر الاجناس ، او ان الاضافة التي بمعنى من يجوز فيها ان يوصف فيها المضاف بالمضاف اليه عند الفك ، كقولك : خاتم فضة ، على الوصفية ، ولا كذلك في التي بمعنى اللام . فان قيل : ماوجه الانحصار في ذلك الى ثلاثة أقسام ؟ قيل له : ان المضاف لا يخلو اما ان يكون من جنس المضاف اليه ، أو لم يكن ، أو كان المضاف اليه طرف المضاف فالاول بمعنى : من ، والثاني بمعنى : اللام ، والثالث بمعنى : في .

قوله : « غفر الله له ولوالديه ، وأحسن

اليهما واليه » أقول :

غفر : فعل ماضي ، الله : فاعله . هذه جملة لا محل لها من الاعراب لانها جملة واقعة موقع الدعاء ، اخبار بمعنى الانشاء ، تقديره : اللهم اغفر له . والجمل أنواع ، منها ما لا يكون لها موضع من الاعراب كالجملة المفسرة والمعتضة ، والجملة الدعائية ، والصلة البدوءة . ومنها ما لا يكون لها موضع (من) (٢٢) الاعراب كالجملة الوصفية والحالية والخبرية والجزائية والمضاف اليها .

ولوالديه : معطوف على له ، وأحسن : عطف على غفر . العطف : تابع مقصود بالنسبة مع متبوعة ووجب أن يكون المعطوف في حكم المعطوف عليه ، في كل ما جاز وامتنع ، وليس المعطوف في حكم المعطوف عليه في جميع الاشياء وإلا لم يجز ان يقال : يازيد والحارث « ورب شاة وسخلتها » ويعطف الماضي على الماضي والمضارع ولا يعكس الامر الا لئلا . فان قيل : ما قلتم في قوله تعالى ، « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله » (٢٣) قيل تقديره : وصدوا ، والمضارع ينقلب الى الماضي كما بالعكس ، فان قيل : لم قدم نفسه بالفقران ، وآخر في الاحسان ، قيل له : اتباعا لخليل الرحمن ، حيث قال في القرآن « رب اغفر لي ولوالدي » (٢٤) حيث قدم نفسه في الفقران . او لانه انما قدم نفسه في الدعاء ليكون مستجاب الدعوة ، وأما أنه آخر نفسه في الاحسان ، فللادب . فان قيل : كيف جاز لابراهيم عليه السلام ان يستغفر لابويه وكانا كافرين ؟ قيل له : وما كان استغفار ابراهيم

(١٧) الآية ٩٦ من سورة مريم .

(١٨) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة .

(١٩) الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٢٠) الآية ٤١ من سورة يوسف .

(٢١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٣) الآية ٢٥ من سورة الحج .

(٢٤) الآية ٢٨ من سورة نوح .

لابيه الا عن وعدة وعدها اياه ، وقيل أراد بوالديه
آدم وحوى صلوات الله عليهم اجمعين .

قوله : « اعلم ان الصرف (٢٥) ام العلوم
والنحو ابوها » اقول :

اعلم ان العلوم الادبية منحصرة في اثني عشر
قسما وهي مذكورة في المطولات ومن جملتها علم
(الصرف) (٢٦) وهو : يعرف به احوال ابنية الكلم
التي ليست باعراب . ثم اعلم بأن لكل علم سواء
كان من العلوم العقلية أو من غيرها ، اجزاء ثلاثة -
وهي : الموضوع والمبادئ والمسائل ، هذا على رأي
البعض (٢٧) ، فموضوع كل علم ، ما يبحث فيه
عن اغراضه الذاتية ، ومبادئه : هي ما تتوقف عليه
مسائل كحدود الموضوعات ، وحدود اجزائها
وحود اغراضها . والمسائل : هي التصديقات
التي يبرهن عليها في العلم اذا كانت كسبية ،
فنتقول : موضوع التصريف اما بنفس ابنية الكلم
وهو الاصح ، أو احوالها كما يشعر به كلام الشيخ
ابن الحاجب في تعريفه للتصريف (٢٨) . اما على
الوجه الاول فالاعراض الذاتية له ، هي كون البناء
ماضيا ومضارعا وأمرًا واسم فاعل واسم مفعول
والصفة المشبهة الى آخر ما ذكره الشيخ ابن
الحاجب .

وأما على الوجه الثاني : فالاعراض الذاتية له
هي عوارض تلك الاحوال لكونها ثلاثية ورباعية
ومجردة ومزيدة وصحيحة ومعتلة الى غير ذلك .
وأما مبادئه : فكحد نفس بناء الكلمة ، وحد
عوارضه كحد الماضي والمضارع والامر واسم الفاعل
الى غير ذلك من تصنيفات احوال ابنية الكلم .

وأما مسائلة : فكالحكم على بناء الكلمة بأنه
قد يكون ثلاثيا وقد يكون رباعيا وقد يكون مجردا
وقد يكون مزيدا فيه وقد يكون صحيحا وقد
يكون معتلا وقد يكون مضاعفا وقد يكون مهموزا
الى غير ذلك من الاحوال التي يحكم بها في علم
التصريف على ابنية الكلم أو على نوع ابنية الكلم ،
أو على اعراضها أو عليها جميعا ، فقد تحقق من
هذا التحرير تعريف كل من الموضوعات والمبادئ
والمسائل . ثم التصريف مشتمل على العلل الاربع .

(٢٥) ١ - التصريف .

(٢٦) الزيادة من ب .

(٢٧) لعله يريد الشريف الجرجاني صاحب التعريفات وهذا

كلامه بعينه . تعريفات ص (٢١٢) .

(٢٨) تعريف ابن الحاجب للصرف هو : « علم باصول تعرف
بها احوال ابنية الكلم التي ليست باعراب » .

الفاعلية وهي الشخص المستنبط له من لفظة
العرب بسبب الاستقرار والمقنن له والمدون اياه
بواسطة قوة العاقلة ، والفائبة : وهي ما لاجل
الشيء وهي ههنا الاطلاع على الاحوال الجزئية
لابنية الكلم في المواد الجزئية والاحتراز عن الخطأ
في اللفظ فيما يرجع الى بنائه . والمادية : وهي
اجزائه الثلاثة التي ذكرنا في المبادئ والمسائل
والموضوع . والصورية : وهي الهيئة الطارئة على
تلك الاجزاء الثلاثة والصورة الوجدانية العارضة
لها عند التدوين والجمع . ثم اعلم ان قراءة اللفظة
والتصريف والنحو لازمة ، وكذلك تقديم مقدمة
منها على سائر العلوم لان لكل علم رتبة ، ورعاية
كل شيء في مرتبته لازمة ، ورتبة اللفظة والتصريف
تقديمها على النحو ورتبة النحو تقديمه على الفقه
والحديث والتفسير وغيرها . لانها آلات ووسائل
خصوصا علم النحو ، لان معرفة كلام الله تعالى
وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم - الدالين على
ذاته وصفاته كلها محتاجة الى النحو . والتفسير
مجموعة بالروايات عن سيبويه والاختش والفراء
والكسائي وغيرهم من البصريين والكوفيين وكذا
افتقار الفقه اليه بَيِّن لا يدفع وظاهر لا يقنع ، لان
معظم ابوابه يبحث عن الاستثناء بأنه نحو ، وعن
التعريفين - تعريف الجنس وتعريف العهد - فانه
نحو ، وعن الحروف كالواو والفاء وثم وغير ذلك ،
وعن الفرق بين « ان » و « ان » و « اذا » و « متى »
و « كلما » وما ضاهاها فان ذلك كله نحو . وجاء
في الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « رحم الله امرأً أصلح لسانه » وقال :
« اعرّبوا في الكلام لتعرّبوا في القرآن فان الله يحب
أن تعرب آياته » ، وقال عمر رضي الله عنه :
تعلموا العربية فانها تزيد في العقل والمروءة . وقال
حماد بن سلمة رضي الله عنه : من طلب الحديث
ولم يتعلم النحو ، فهو مثل الحمار تتعلق عليه
المخلّة وليس فيها علف . والجمال يحصل به فان
العباس رضي الله عنه قال : « فيم الجمال يارسول
الله ؟ فقال عليه السلام : في اللسان يا عمي » .
جنّا الى حل الالفاظ - فقلوه : اعلم - امرٌ من
عَلِمَ يَعْلَمُ وفيه ضمير مستتر فاعل له ، وهو
من افعال القلوب يستدعي المفعولين الممتنع
الاقتصار على أحدهما . وأن : حرف من
الحروف (٢٩) المشبهة بالفعل وهي ستة (٣٠) : أن

(٢٩) ١ : حروف .

(٣٠) وقيل ثمانية بزيادة عسى ، ولا التبرئة ، وكان سيبويه

يعدّها خمسة لان المفتوحة فرع المكسورة على رايه .

والنصب والجر لاهل النحو ، والتركيب والترتيب والتمثيل لاهل التصريف وغير ذلك .

الاصطلاح : مواصفات في العلوم يستدل بها علماءها على مقاصدهم ، فان قيل : ما المراد من الام ؟ المراد من الام هو الاصل كما في قوله تعالى « أم الكتاب » (٣٦) أي أصل الكتاب . فان قيل : لم سمي علم التصريف أم العلوم وعلم النحو أبوها ؟ قيل له : كما ان الام تتولد منها (٣٧) الاولاد فكذلك التصريف تتولد منه الالفاظ ، وكما ان الاب سبب لاصلاح الفراش فكذلك النحو سبب لاصلاح اللفظ وكما ان الاب يمنع اولاده من الوقوع في الفساد ، فكذلك النحو يمنع المتكلم من الوقوع في الفساد أعني : الخطأ في الاعراب . فان قيل لم قدم التصريف على النحو ؟ قيل له : لان الكتاب في التصريف ، او لان في التصريف بنية الكلمة وبالنحو حالها ، وبنية الكلمة بمنزلة الذات ، وحالها بمنزلة الصفة ومعرفة الذات مقدمة على معرفة الصفات . والنحو في اللغة عبارة عن القصد يقال : نحوته أي قصدته ، والنحو : الطريق ويقال : نحو ذلك ، أي مثل ذلك ، وفي الاصطلاح : النحو علم مستنبط بمقاييس كلام العرب مختص بآخر الكلمة يعرف به (٣٨) صحة تأليف كلامهم وفساده .

قوله : « ويقوى في الدرايات داروها ، ويطنى في الروايات عاروها » .

أقول : أي يعتقد في الادراكات عالموها ، ويضل في المنقولات جاهلونها ، ومحل الهاء في داروها وعاروها الجر بأنها وقعت مضافا إليها ، يدل عليها سقوط النون من دارون وعارون ، اصلهما داريون وعاريون كرامون أصله : راميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الراء بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لاجتماع الساكنين وهما الياء وواو الضمير ، وكذلك اعلال رامون فصرن على زنة « فاعون » والضمير فيهما عائدا الى التعريف ، وانما انشأه باعتبار الام لانه قال : ان التصريف أم العلوم او باعتبار القواعد .

قوله : « فجمعت فيه كتابا موسوما (٣٩) بمراح الارواح ، وهو للصبي جناح النجاح ، وراح

وان ولكن وليت ولعل وكان ، وهي من دواخل المبتدأ والخبر أن ههنا مع اسمها خبرها ساد مسد المفعولين لأعلم . فان قيل بأنها من افعال القلوب ؟ قيل له : لانها للشك أو اليقين ، فكلاهما من خصائص القلوب فان قيل : فلم قلت انها مشبهات بالفعل ؟ قيل له لانها اشبهت الفعل من حيث ملازمتها للاسماء وكون اواخرها مبنية على الفتح كالأفعال الماضية ، ولانها على ثلاثة أحرف فصاعدا كالفعل ، فلما اشبهت الفعل من هذه الوجوه أجريت مجراه في أن جعل لها مرفوع ومنصوب . فان قيل : قال أعلم ولم يقل أفهم أو غير ذلك ؟ قيل له : لان لفظة أعلم كلمة بينة (٣١) تستعمل في أوائل الكتب ليتبينه القارئ في الأبحاث الآتية . ثم التصريف في اللغة عبارة عن التفسير ومنه تصريف الرياح وهو تحويلها من حال الى حال جنوبا أو شمالا وصبا ودبورا ، وفي الاصطلاح التعريف : تحويل الاصل الواحد اسما الى التوحيد أي حال كونه اسما الى التوحيد والتثنية والجمع ونحو ذلك مصدرا الى ألفاظ مختلفة كالماضي والمضارع والامر والنهي والنفي والجحد واسمي الفاعل والمفعول . وقيل : التصريف عبارة عن القواعد الموصلة الى احوال الابنية غير النحوية ، كما انك اذا علمت ان الحرفين المتجانسين متى اجتمعا ، فهو من صور الادغام اما وجوبا كمد أو جوارا كلم (٣٢) تمد واما امتناعا كيمدون ، وكذلك اذا علمت ان الحروف الجازمة اذا دخلت في الكلمة لا بد ان تسقط اما حركة ، أو ما يقوم مقامها وغير ذلك من الامثال . فان قيل لم اختار التصريف على الصرف ؟ قيل له : لان علم التصريف علم شريف وفيه تصرفات كثيرة وذكره بلفظ فيه مبالغة أو لانه أتبع قوله تعالى وهو أفصح الكلام والمبالغة (٣٣) « وتصريف الرياح » (٣٤) فان قيل : فقد جاء لفظ الصرف أيضا في قوله تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن » (٣٥) فمن أين الترجيح قيل له : الجواب ما ذكر والترجيح بالمبالغة وهي وجود الفائدة الزائدة فان قيل : ما اللغة ؟ قيل له : اللغة ما يعبر كل قوم عن أغراضهم ، وقيل اللغة : ما يفهم عن طريق وضع العرب . والاصطلاح عبارة عن الفاظ مخصوصة بطائفة من طوائف أهل العلم مثل : الرفع

(٣١) ١ : بينة بتقديم النون على الياء وهو تحريف .

(٣٢) ١ : لكم وهو تحريف .

(٣٣) ١ : وأبلغ .

(٣٤) الآية ١٩ من سورة الفرقان .

(٣٥) الآية ٤١ من سورة الاسراء .

(٣٦) الآية ٧ من سورة آل عمران ، وكذلك وردت في الآية ٣٩ من سورة الرعد والآية ٧٤ من سورة الزخرف .

(٣٧) ١ : منه .

(٣٨) ١ : بها .

(٣٩) ق : مرسوما بالراء المهملة .

رحراح (٤٠) وفي معدته (٤١) راح مثل تفاح أو راح .

أقول : أي إذا تمهد هذا ، فجمعت فيه : أي في التصريف الفاء : للسببية . موسوما ، أي مسمى ، نصبه على الوصفية . الكتاب مصدر لكن المراد منه المكتوب ، كما أن المراد من الحساب المحسوب . الجار والمجرور في بمرح الأرواح تتعلق بموسوما . المراح : يجوز أن يكون مصدرا ميميا من راح يروح ، كمقال من قال يقول ، وإن يكون اسم موضح . وبكسر الميم النشاط لكن الميم أصلية ويكون من مرح يمرح إذا فرح ونشط ، كما في التنزيل « ولا تمشي في الأرض مراحا » (٤٢) الأرواح : جمع روح ، والروح والرواح - بضم الراء وفتحها - والراحة : كلها من الاستراحة . ويقال : يوم رَوْح أي طيب . قال الله تعالى « فَرَّوْح وريحان » (٤٣) أي رحمة طيبة . النجاح هو الفوز والنجاة ، وهو مبتدا وجناح النجاح خبره ، والمراد في الصبي : المبتدئ لأن الصبيان غالبا يقرؤون مثل هذا المختصر ، والصبي - على زنة « فعيل » من صبا يصبو إذا مال فلذلك يسمى الصبي صبيا لأنه يميل إلى كل شيء ، من لعب إلى لعب ، وقيل لأنه يميل إلى جهل . وقوله : وراح : أي طريق رحراح أي واسع والراح والرحراحان بمعنى واحد وهو الطريق الواسع . ويقال : عيش رحراح أي واسع طيب والراح : تجيء جمع راحة وهي الكف . وقوله : وفي معدته حين راح : أي (٤٤) حين بات والضمير في معدته عائد إلى الصبي . والراح : الخمر واساميتها كثيرة (٤٥) منها : الراح والقسررق والشمول والقهوة والخندريس وبنت كرم والسلاف والعذراء والمدام . وإنما شبه التعريف بالتفاح الراح لأن التفاح له منافع كثيرة وأغلب ما يكون من الأشربة من مائه لقوة منفعته ، ولكثرة فائدته ولشدة صفائه حتى قيل : عجبت لمن راح وفي معدته تفاح أو راح ، والمشابهة هي الاشتراك بين الشئين في وصف ظاهر . والتشبيه على أربعة أقسام : تشبيه المحسوس بالمحسوس نحو « خذ زيد

كالورد » وتشبيه المعقول بالمعقول نحو « العلم كالحياة » وتشبيه المعقول بالمحسوس نحو « التصريف في الكلام كالنفاح في المعدة » و « النحو في الكلام كالمالح في الطعام » وتشبيه المحسوس بالمعقول نحو « العطر كخلق الكريم » .

قوله : « وبالله اعتصم مهابا (٤٦) يصم واستعين وهو نعم المولى ونعم النصير » (٤٧) .

أقول : الجار والمجرور متعلقة بأعتصم وتأخير الفعل يدل على الاختصاص ، وذلك لأن الاختصاص إنما يحصل بتقديم الاسم وتأخير الفعل كما في قوله تعالى « أياك نعبد وأياك نستعين » (٤٨) فإن قيل : فلم قدم الفعل على الاسم في قوله تعالى « اقرا باسم ربك » (٤٩) قيل له : إنما قدم الفعل على الاسم هناك لأن تقديم الفعل فيه أهم لأنها أول سورة نزلت في القرآن وكان الأمر بالقراءة أهم لأن المقصود ، هو القراءة لتبليغ الرسالة وأظهر المجزة . والعصمة : هي الثقة - يقال : مال معصوم : أي موثوق ومحفوظ . والاعتصام مأمور به في قوله تعالى « واعتصموا » (٥٠) ومن اعتصم بالله فقد هدى لقوله تعالى « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » (٥١) والوصم : هو العيب ، أي وبالله اعتصم من كل ما يصم أي يعيب - أصله « يوصم » حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة ، كما في يعد . واستعين : أي اطلب العون من الله ، والسعين للسؤال . أو استعين على عبادتك أو على ما خلقتنا له من عبادتك ، أو على محاربة الشيطان الذي يمنعا عن عبادتك ، أو استعين في أمورنا بما يصلحنا في ديننا ودنيانا وهو نعم المولى ونعم النصير . واعلم : أن - نعم - من أفعال المدح كما أن بشس - من أفعال الذم ، وهما فعلا ماض عند البصريين (٥٢) والكسائي ، وعند

(٤٦) ق : عما .

(٤٧) ق ، م : المعين .

(٤٨) الآية ٥ سورة الفاتحة .

(٤٩) الآية ١ سورة العلق .

(٥٠) الآية ١٠٣ سورة آل عمران .

(٥١) الآية ١٠١ سورة آل عمران .

(٥٢) استدلوا على فعليتهما بدليل اتصال تاء التأنيث الساكنة بهما كقوله - ص - من توضع يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل قالغسل أفضل ، واستدل الكوفيون على اسميتهما بدخول حرف الجر كقول بعض العرب وقد بشر بيئت « والله ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة » وقول أحدهم وقد سار إلى محبوبته على حمار بطيء « نعم السير على بشس العير » ورد الجمهور على

(٤٠) ق : رحراح بالتصغير .

(٤١) ق : معدته بالتصغير .

(٤٢) الآية ٣٧ سورة الأسراء .

(٤٣) الآية ٨٩ سورة الواقعة .

(٤٤) ١ : إلى .

(٤٥) ذكر الشيخ شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٥٩ هـ في « حلبة الكعب » أكثر من مئة ولاتين أسما لها .

الصحيح والمضاعف والمهموز والمثال والاجوف والناقص واللفيف .

اقول : اسعد : فعل ماضي ، وكأنه خطاب للقارئ ، مفعول . والله : فاعل له ، ولا محل لها من الاعراب لما مرببانه ، فان قيل ان الصراف يحتاج الى التصريف ولا يحتاج الى معرفة الاوزان (٦١) - قيل باعتبار ما يؤول اليه كما في قوله تعالى « اني اراني اعصر خمرا » (٦٢) ونظم الكلام يقتضي ان يقال عنبا لكن ذكره باعتبار ما يؤول اليه وهذا طريق من المجاز .

الاوزان : جمع وزن والوزن والزنة ما يوزن به الكلام ، فان قيل ما وجه الانحصار الى سبعة ؟ قيل له : الكلمة لا تخلو اما ان تكون فيها حرف علة او همزة او تضعيف او لا ، فان لم يكن فهي الصحيح ، فان كان فلا يخلو اما ان يكون همزة او تضعيفا او حرف علة . فان كان همزة او تضعيفا فهي المهموز والمضاعف وان كان حرف علة فلا يخلو اما ان تكون واحدة او اكثر فان كانت واحدة فلا يخلو اما ان تكون في الاول او في الوسط او في الاخير فان كان في الاول فهو « المثال » وان كان في الوسط فهو « الاجوف » وان كان في الاخير فهو « الناقص » . وان كان اكثر فهو « اللفيف » . واللفيف ايضا قسمان : لفيف مفروق ولفيف مقرون ، لانه اذا افترقا فهو المفروق واذا اقترنا فهو المقرون .

قوله : « واشتقاق (٦٣) تسعة اشياء من كل مصدر وهي : الماضي والمستقبل والامر والنهي واسما (٦٤) الفاعل والمفعول والمكان والزمان والآلة (٦٥) وكسوته (٦٦) على سبعة ابواب » .

اقول : هذا عطف على قوله سبعة ابواب ، اي الصراف يحتاج ايضا الى معرفة اشتقاق تسعة اشياء وهي : الماضي والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان واسم الآلة . فان قيل ما وجه الانحصار ؟ قيل له المشتق لا يخلو اما ان يكون فعلا او اسما ، فان كان فعلا فلا يخلو اما ان يكون اخباريا او انشائيا ، فان كان

الفراء هما اسمان بدليل قول العرب : « يا نعم المولى » و « يا نعم النصير » وان لم يكن اسما لما دخل عليه حرف النداء وحجتهم على فعليتها جواز دخول تاء التانيث الساكنة عليهما نحو « نعمت » و « بئست » والجواب عن قوله ان المنادي ها هنا محذوف تقديره : يا الله نعم المولى وبيا الله نعم النصير . فان قيل : لم خص الماضي للمدح والذم ؟ قيل له : لان المضارع يشترك فيه الحال والاستقبال وهو على شرف الزوال والانتقال فلا يصلح ان (يكون) (٥٣) للدلالة على الثبوت والاستقرار لان المراد فيهما (الثبوت) (٥٤) والاستقرار . واما الماضي فهو ماض ابدا ، فهو بمعنى الاستقرار (٥٤) اصلح وبمعنى الدلالة على الثبوت ادل . ومن حكمهما ان لا بد لهما من اسم مرفوع وهو فاعلهما ، ومن اسم آخر . وهو المخصوص بالمدح او الذم ، فالفاعل اذا كان مظهرا وجب ان يكون اسما معرفا باللام (٥٥) او مضافا الى ما فيه لام الجنس نحو « نعم صاحب » او « نعم صاحب القوم زيد » واذا كان مضمر يميز بنكرة منصوبة نحو قوله تعالى « فنعما هي » (٥٦) نعم فيه : مسند الى الفاعل المضمر ويميز ما هي نكرة لا موصولة ولا موصوفة ، والتقدير : فنعما شيئا هي ، وقد يجمع بين الفاعل الظاهر وبين المميز تأكيدا فيقال : « نعم الرجل رجلا زيدا » (٥٧) .

قوله : « اعلم اسعدك الله (٥٨) ان الصراف (٥٩) يحتاج في (٦٠) معرفة الاوزان الى سبعة ابواب :

هذا القول بان الاصل في ذلك « ماهي بولد مقول فيه نم الولد » فحذف الموصوف وصفته واقيم معمول الصفة مقامها . راجع الانصاف في مسائل الخلاف لابي الانباري فقد بسط القول فيها .

(٥٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٥٤) ١ : الاستمرار ، تحريف .
(٥٥) ١ : بلام .
(٥٦) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .
(٥٧) اجاز المبرد وابن السراج والفارسي وابن مالك الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر للتوكيد كقول الشاعر :
نعم الفتاة فتاة هند لو بدلت
رد التحية نطقا او بايحاء

ومنع ذلك سيبويه والسراي وحجتهم ان التمييز لرفع الابهام ، ولا ابهام مع ظهور الفاعل ، وقول الاخطل :
والثقلبيون بش الفحل فحلهم
فحلا وامهم زلاء منطبق
وقيل « فحلا » حال مؤكدة .

(٥٨) م : اسعدك الله تعالى في الدارين .
(٥٩) ١ : الصراف .
(٦٠) ١ : الى .

(٦١) ١ : ان الصراف يحتاج والصراف لا يحتاج الى معرفة الاوزان ، ولعل الصواب ما اثبت .
(٦٢) الآية ٣٦ من سورة يوسف .
(٦٣) ق بعده : في .
(٦٤) ق ، م : اسم .
(٦٥) ق : ولاله . تحريف .
(٦٦) ق ، م : فكسوته .

بضرب لامرين : احدهما أنها من ذوات الثلاثة وأقل ما يكون الفعل عليه ثلاثة حروف ، والقليل أصل والكثير فرع عليه ولذا ابتدا بالاصل .

والثاني انه ليس في مقابلة الفاء والعين واللام من « ضرب » حرف علة .

واعلم ان الكلمة اذا أريد وزنها تقابل أصولها بالفاء والعين واللام ، مع اعطاء التحرك والسكون الاصليين ، فيقال في وزن ضرب فعلل ويقال في وزن فلس « فعل » بسكون العين ، وفي وزن باع من الاجوف ومد من المضاعف « فعل » بفتح العين فيهما لان اصلهما قبل القلب والادغام بيع ومدد بفتح العين فيهما . وكذلك يقال في وزن هاب من الاجوف ومل من المضاعف « فعل » بكسر العين ، لان الاصل هيب وملل بكسر العين . فان بقي من اصول الكلمة شيء زدت لاما ثانية فتقول في وزن عقر من الرباعي « فعلل » وتزيد لاما اخرى في الخماسي فتقول في وزن حجرمش « فعللل » بلامات ثلاث . هذا مذهب البصريين وهو الصحيح ، اما الكوفيون فقد قالوا ان مازاد على الثلاثة زائد) ويعبر عن الزائد بلفظه ، أي بلفظ ذلك الزائد الا المبدل من تاء (٧٢) الافتعال في نحو ضرب وطرده وصلاح اذا نقلتهما (٧٣) الى باب الافتعال قلبت تاء الافتعال فيهما طاء فتعين فيهما تاء (٧٤) الافتعال الذي هو مبدل منه لا بالطاء الذي هو المبدل ، فيقال (٧٥) اضطرب واطرد واصطلح على وزن « افتعل » لمجيء افتعل وعدم « افطل » (٧٦) ، ولان افتعل أخف من افطعل فالمصير الى ما هو أخف أولى ، الا المكسر لللاحاق او التكرير فانك تعبر عن الحرف المكرر بما تعبر عن الحرف الاصلي لا بلفظ ذلك المكرر فتقول : جلبب على وزن « فعلل » لا على وزن « فعلب » واحمر على وزن افعل « لا على وزن » افعلر « وعلم على وزن فعل « لا على وزن » فعلل « وذلك لكون الحرف الملحق جاريا مجرى الصحيح فيعبر عنه (٧٧) بما يعبر عن الحرف الاصلي ، واعلم ان ما لا يقابل بمثله على قسمين : احدهما المبدل من تاء (٧٨) الافتعال ، فانه يقابل بتاء الافتعال على ما سبق

اخباريا فلا يخلو اما ان تتعاقب في اوله احدي الزوائد الاربع (٦٧) أولا فان لم تتعاقب فهو الماضي ، وان تعاقبت (٦٨) فهو المضارع . وان كان انشائيا فلا يخلو اما ان يدل على طلب الفعل او على طلب ترك الفعل – فالاول هو الامر والثاني هو النهي . وان كان اسما فلا يخلو اما أن يكون مشتقا من فعل لمن قام به ، بمعنى الحدوث ، أو يكون مشتقا من فعل لمن وقع عليه ، أو يكون دالا على ما يعالج به الفاعل المفعول ، لوصل الاثر اليه ، أو يكون دالا على ما وقع الفعل فيه ، فالاول هو اسم الفاعل والثاني هو اسم المفعول ، والثالث هو اسم الآلة والرابع هو أسماء الزمان والمكان . فان قيل أين النفي والجحد مع انهما من المشتقات ؟ قيل له : ان النفي يشبه النهي بصورته والجحد يشبهه بمعناه ، فحينئذ لا يقتقر الى ذكرها ، وقوله : وكسرتة أي جمعته وطويته وجعلته مشتقلا على سبعة ابواب ، وهو مستعار من كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما اليه وانتقض للوقوع .

الباب الاول

- في الصحيح -

قوله : « الصحيح هو الذي ليس في مقابلة الفاء والعين واللام حرف علة وتضعيف (٦٩) وهمزة نحو : ضرب (٧٠) » .

اقول : هذا شروع في المقصود ، والباب : هو النوع – قال عليه السلام : « من فتح بابا من العلم » أي نوعا . الباب : رفع بانه مبتدا والجار والمجرور في (٧١) (محل الرفع خبره ، والجملة لا محل لها من الاعراب لكونها ابتدائية ، والالف واللام في – باب – للعهد وليس للجنس لانه لا يراد به معنى لفظ الباب ، ولا للاستغراق لانه لم يرد كل ماصدق عليه الباب من افراده ، والاول صفة للباب . ومثل

(٦٧) هي الحروف الداخلة على المضارع ويجمعها قولهم « نابت » .

(٦٨) في الاصل : تعاقب .

(٦٩) ق : والتضعيف .

(٧٠) هذا عند الصرفيين ، اما عند النحاة فهو اسم لم يكن في آخره حرف علة .

(٧١) سقط بعد حرف الجر من اصل المخطوط مقدار ورقة ورغم البحث الطويل لم أوفق في العثور عليها والنسخة التي عندي نسخة يتيمة ، على ان الكلام الساقط لم يؤثر في الشرح لانه معقود لكيفية الوزن وقد أتممت ما نقص وحصرت كلامي بين المعقوفين والله أعلم .

(٧٢) أ : ياء .

(٧٣) نقلهما في أ .

(٧٤) أ : بناء .

(٧٥) أ : فلا يقال فهو تحريف .

(٧٦) أجاز العلامة الرضي ذلك .

(٧٧) أ : عنها .

(٧٨) أ : ياء بالوحدة التحتانية .

حتى يكون فيه من حروف الشفة والوسط
والحلق (٩٠) شيء» .

أقول : هذه اشارة الى علة اختصاص كلمة
« فعل » للوزن وذلك انما اختص للزنة لانه لا يوجد
فيه من حروف الشفة والحلق لان الفاء من الشفة ،
والعين من الحلق ، واللام من الوسط ومخارج
الحروف لا تنفك عن هذه الثلاثة لما يجيء بيانه
ان شاء الله تعالى . فان قيل : لم لا يوضع غير هذا
مثل علم وصنع والمقصود يحصل منهما أيضا ؟
قيل له : أجل لكن « فعل » اعم الافعال معنى لانه
يصح استعماله في معنى كل فعل ، سواء كان ذلك
الفعل علاجيا او غير علاجى ، تقول : فعل الضرب
والشتم وفعل النصر فلذلك استعمل في مكان الاداء
والاعطاء في قوله تعالى « والذين هم للزكاة
فاعلون » (٩١) أي مؤدون ، فكان اعم الافعال معنى .

قوله : « فقولنا (٩٢) الضرب مصدر تتولد منه
الاشياء التسعة وهو اصل في الاشتقاق عند البصريين
لان مفهومه واحد ومفهوم الفعل متعدد لدلالته (٩٣)
على الحديث والزمان ، والواحد قبل المتعدد ، واذا
كان أصلا للافعال (٩٤) يكون أصلا لمتعلقاتها او لانه
اسم والاسم مستغن عن الفعل (في الافادة) (٩٥)
وايضا يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر
عنه » .

أقول : هذا شروع في بيان الاختلاف الواقع
بين النحاة في المصدر من حيث الاصلية والفرعية
وانما قدمه بالذكر ، لان سائر الاحكام في التصاريف
تنشعب منه ، وتتولد عنه . كما قال : الضرب
مصدر تتولد منه الاشياء التسعة وهي الماضي
والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول
اسم الزمان والمكان والآلة . وقوله « وهو اصل »
أي المصدر اصل في الاشتقاق يحتز به عن العمل
لان الفعل اصل ما يبنى عليه غيره والفرع يبنى على
غيره . وقوله « لان مفهومه واحد » اشارة الى دلائل
البصريين في اصاله المصدر وذلك انهم استدلوا
عليها بثلاثة دلائل . الاول : ان مفهوم المصدر واحد

- (٩٠) ق : واطلق - وهو تحريف .
(٩١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .
(٩٢) ا : قلنا .
(٩٣) ا : لدلالة .
(٩٤) ق : في الافعال .
(٩٥) الزيادة من ب وهي ساقطة في ق .

والثاني - المكرر سواء كان للالحاق (٧٩) كجلب
وقردد (٨٠) او غير الالحاق كعلم وسواء كان من
حروف « هويت السمان » ، أي التي لا تكون
الزيادة لغير الالحاق والتكرير الامتها نحو حلتيت (٨١)
وسحنون (٨٢) وعثنون (٨٣) او من غيرها كما سبق
في جلب وقردد فان الاوزان كلها بما يقابل مقدمها
كان التكرار يقتضي الحكم على المكرر بزنة ما قبله
ان لم يمنع مانع ، ومن ثم كان حلتيت (٨٤) « فعليلا »
لا فعليتا ، وسحنون وعثنون « فعلول » لافعلون ،
لمجيء الفعلول ولعدم الفعلول . وأما عفريت (٨٥)
وكبريت فنادران ، وسحنون وان صح فتح السين
ففعلون كحمدون (٨٦) لافعلول وضعفوق (٨٧)
وخزنوب ضعيفان وسمنان (٨٨) فعلان لا فعلال
وخزعال (٨٩) نادر وبطنان « فعلان » لافعلال ،
وقرطاس ضعيف والقياس كسر القاف مع انه تقيض
ظهر ان بضم الظاء .

والحلتيت ما سقط من الاشجار وسحنون
- ضما وفتحا - رجل ، وعثنون : رأس الحية ،
وصعقوق : اسم رجل ، وسمنان : اسم موضع ،
وخزعال : ناقة ، وبطنان اسم لباطن الرأس وظهران
اسم لظاهره .

قوله : « واختص الفاء والعين واللام للوزن

- (٧٩) ا : الالحاق .
(٨٠) قردد : اسم جبل .
(٨١) ا : جلنت ، فهو تحريف وحلتيت هو صمغ الانجلدان ،
وقيل نبات ينبت بين بست وبلاد العيقان . راجع اللسان .
(٨٢) ا : سمون ، وسحنون اول المطر والريح ، ذكر ذلك
الشيخ خالد الازهري والجاربردي ولا توجد في القاموس .
وشرحه للزبيدي .
(٨٣) قال في القاموس « العثنون الملحية ، او ما فضل منها
بعد العارضين او ما نبت على الدفن ، وشعيرات طوال
تحت حنك البعير ، ومن المطر والريح اولهما » .
(٨٤) ا : حلتيت بالهاء المثلثة الفوقانية .
(٨٥) العفريت النافذ في الامر المبالغ فيه مع دهاء .
(٨٦) بعده في ا : كحمد وهو زيادة من الناسخ .
(٨٧) قال الازهري : كل ما جاء على فعلول فهو مضموم الاول
مثل زنبور وبهلول وعمرس وما اشبه ذلك الا حرفا جاء
نادرا وهو بنوصعقوق لخلو باليمامة ، وزاد بعضهم
صعقول لضرب من الكماة وقيل غير معروف ، وبمكوكة
الوادي لجانبه ، والاخرة ذكرها السرياني بالضم .
(٨٨) سمنان اسم موضع من ارض نجد قال الحماسي زياد بن
منقذ والمراد بالحكم اخواه : نحو الاميلح من سمنان
مبتكرا بفتية فيهم المراد والحكم . والاميلح ماء لبنى
ربيمة .
(٨٩) قيل هو ظلع يصيب الناقة .

لانه لا يبدل الا على حدث فقط ومفهوم الفعل متعدد لدلالته على الحدث والزمان وما دل على المعنى الواحد أصل بالنسبة الى ما دل على المعنيين . وقوله « واذا كان أصلا للأفعال » اذا كان المصدر أصلا للأفعال مثل الماضي والمضارع والامر ، يكون أصلا كذلك لمترقاتها وهي : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل واسم الزمان والمكان والآلة . والثاني : ان المصدر اسم يحتاج الى الاسم ، وجعل المحتاج اليه أصلا أولى من جعل المحتاج . والثالث : انما يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر عنه ، أي الاشياء التسعة المذكورة فاذا كان كذلك يكون المصدر عنه أولى بالأصالة من المصدر ، لانا وجدنا مصادر لا فعل لها لا لفظا ولا تقديرا وذلك نحو : ويح وويل وويب ، فلو كان الفعل أصلا لكانت هذه المصادر فروعاً لا أصولاً لها وذلك محال (٩٦) .

قوله : « والاشتقاق (٩٧) ان تجد بين اللفظين

تناسبا في اللفظ والمعنى » .

أقول : ان من جملة الالفاظ المصطلحة ، الاشتقاق فلا بد من ذكره وانما ذكره متخللاً بين كلام البصريين وبين كلام الكوفيين ، لان أصل الخلاف والمنازعة تنشأ من الاشتقاق كما قال وهو أصل في الاشتقاق . ثم ان الاشتقاق في اللغة عبارة عن النزع ، وفي الاصطلاح عبارة عن وجود التناسب بين الكلمتين في اللفظ والمعنى ، ووجود المناسبة بين الكلمتين كونهما مشتركين في الدلالة على المعنى ، وبه احترز عن الالفاظ المشاركة في اللفظ دون المعنى ، كذهب الذي يقابل الفضة وذهب الذي هو فعل ماضي من الذهاب ، فلا يقال ان احدهما مشتق من الآخر لعدم اشتراكهما في الدلالة على المعنى الأصلي . وللاشتقاق أربعة شرائط :

الاول : هو ان يكون بينهما تناسب معنوي وهو عبارة عن ان يكون ما في المشتق منه من المعنى ، يكون في المشتق من دون العكس ، فان معنى الضرب موجود في الضارب وهو نفس الفعل ، وليس معنى الضارب موجوداً فيه .

والثاني : ان يكون بينهما تناسب تركيبى ،

(٩٦) راجع الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الانباري كمال الدين ابي البركات فقد بسط القول في هذه المسألة .

(٩٧) ق : بدون الواو .

معناه ان كل ما هو من الحروف في المشتق منه ، ينبغي ان يكون موجوداً في المشتق دون العكس كالضرب والضارب فان الضرب « فعل » والضارب « فاعل » فلا يقال : الضرب مشتق من سرحان وان وجد بينهما تناسب معنوي ومغايرة الصيغة لعدم الزيادة والتناسب التركيبى . ولا يكون ذهب مشتق من ذهب وان وجد بينهما تركيبى لعدم الشرائط الثلاثة : وهي تناسب المعنى ومغايرة الصيغة ، وكون المشتق زائداً بشيء على المشتق منه . ولا يكون ضرب الامير الذي هو مستعار عن الضرب مشتقاً من الضرب الذي هو مصدر وان وجد تناسب المعنى وتناسب التركيب لعدم زيادة المشتق بشيء على الاصل ومغايرة الصيغة . ولا يكون شاهد مشتق من شهيد وان وجد تغاير الصيغة لعدم الشرائط الباقية (٩٨) ان قلنا : الشهيد بمعنى المقتول ، والا ففيه تناسب المعنى لانه يكون كلاهما من الشهادة ، فعلى هذا عدم الشيطان ، احدهما مغايرة الصيغة والاخر كون المشتق زائداً على المشتق منه .

قوله : « وهو ثلاثة أنواع : صغير - وهو ان

يكون بينهما تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب ، وكبير : وهو ان يكون بينهما تناسب في اللفظ (٩٩) دون الترتيب نحو : جذب من الجذب . وأكبر : وهو ان يكون بينهما تناسب في المخرج نحو : نطق (١٠٠) من النطق ، المراد من الاشتقاق المذكور (ههنا) (١٠١) اشتقاق صغير (١٠٢) » .

أقول : أي الاشتقاق على ثلاثة أنواع : صغير -

وهو ان يكون بينهما ، أي بين المشتق والمشتق منه تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب . فان قيل لم سمي مثل هذا الاشتقاق صغيراً ؟ قيل له : لانه أقرب الى الفهم من غيره ، لان البعد بين المشتق والمشتق (منه) (١٠٣) صغير أي قليل . وانما قدمه بالذكر على اخويه لكثرة الاستعمال فيه ، لان الاشتقاق المعهود بين التعريفين هو الصغير كما قال والمراد من الاشتقاق المذكور ،

(٩٨) مكررة في الاصل .

(٩٩) ١ : الحروف .

(١٠٠) ق : نطق بالغاء .

(١٠١) زيادة من المطبوعة .

(١٠٢) م : الاشتقاق الصغير .

(١٠٣) زيادة يقتضيها البيان .

الفعل كما قالوا مشرب عذب ، ومركب فاره (١٠٧)
اي مشروب ومركوب (١٠٨) » .

اقول : لما فرغ من كلام البصريين ، شرع في كلام الكوفيين ولما زعم البصريون اصاله المصدر واستدلوا عليها بثلاث وجوه ، فكذلك زعم الكوفيون اصاله الفعل واستدلوا عليها بثلاثة وجوه . الاول : ان اعلال الفعل مدار لاعلال المصدر ، من حيث الوجود ومن حيث العدم . اما من حيث الوجود ففي بعد عدة وقام قياما - اذ أصل يعد يعد حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة - وكذلك أصل عدة وعدة فحذفت الواو منها اتباعا له . واصل قيام قوم ، قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . وكذلك أصل قيام - قوام - فقلب الواو ياء لتحركها وانكسار ما قبلها اتباعا له . واما من حيث العدم ففي : يوجل وجلا وقاوم قواما فلم يحذف الواو من يوجل لعدم العلة المقتضية وهي وقوع الواو بين الياء والكسرة ، فكذلك لم تحذف من وجل ، ولم تقلب الواو الفا في قاوم بسكون ما قبل الواو ، فكذلك لم تقلب في قوام اتباعا له . وهذه المدارية والتبعية تدل على اصاله الفعل ، لان المصدر اتباع الفعل في الاعلال وعدمه ، فصار تابعا له ، وصار الفعل متبوعا ، والمتبوع أصل بالنسبة الى التابع . الثاني : ان الفعل يؤكد بالمصدر نحو : ضربت ضربا وهو بمنزلة ضربت فيكون الفعل عاملا في المصدر ، ولاشك ان رتبة العامل قبل رتبة المفعول ، والفعل هو المؤكّد والمصدر هو المؤكّد والمؤكّد بفتح الكاف أصل بالنسبة الى المؤكّد بكسر الكاف . الثالث : انه يقال له مصدر لكونه مصدورا عن الفعل ، لانه « مفعّل » لكنه على معنى المفعول كما قالوا : مشرب عذب ومركب فاره اي مشروب ومركوب (١٠٩) ، يعني يذكر المفعول ويراد به المفعول ، واذا كان المصدر مصدورا عن الفعل ، كان فرعاً بالنسبة الى المصدر عنه وهو الفعل .

قوله : « قلنا في جوابهم : اعلال المصدر للمشكلة لا للمدارية كحذف الواو في « تعد » والهمزة في « يكرم » والمؤكدية لاتدل على الاصاله (١١٠) في الاشتقاق « بل في الاعراب » (١١١) كما في جاءني

(١٠٧) ق : فاهرة . تحريف .

(١٠٨) في الاصل مركوب ومشروب والسياق يقتضي العكس وتصويه من ق ، م .

(١٠٩) في ١ : تقديمه على مشروب .

(١١٠) ق : اصاله .

(١١١) زيادة من ق .

اشتقاق صغير وقوله « وكبير » أي الثاني منهما اشتقاق كبير : وهو ان يكون بين المشتق والمشتق منه تناسب في اللفظ دون التريب نحو : جبد من الجذب ، ومعنى كل واحد منهما من جذبت الشيء لان جبد مقلوب جذب كما ان فسر مقلوب سفر فان قيل : لم سمي هذا كبيرا ؟ قيل له لان المشتق والمشتق منه ، كبير بالنسبة الى الصغير ولان معرفته تحصل بفكر اكثر من فكر معرفة الصغير ، وانما قدمه على الاكبر لانه وان كان اقل وقوعا بالنسبة الى الصغير ، لكنه اكثر وقوعا بالنسبة الى الاكبر .

وقوله « وأكبر » أي - القسم الثالث منها اكبر : وهو ان يكون بين المشتق والمشتق منه تناسب في المخرج فقط ، نحو : نعق من النهق ، اناسبة بينهما في حرف الحلق وقلب الهاء عينا . النهق : صوت الحمار وقد نهق ينهق نهاقا . والنهق : صوت الراعي - من نعق غنمه نهقا ونهقا اذا زجرها وصاح بها ، والناعقان : الكوكبان . فان قيل : لم سمي هذا اكبر ؟ قيل له لان اشتقاقه يحصل بالعسر وبفكر أكبر منهما ، ولان البعد بين المشتق والمشتق منه اكبر . فان قيل : ما الفرق بين الاشتقاق والعدل مع أن كل واحد منهما خرج من صيغة الى صيغة ؟ قيل له : العدل - شرط الاتحاد بين المعدول والمعدول عنه - ولا ذاك شرط الاشتقاق .

والاشتقاق (١٠٤) اما أن يكون مطردا كاسم الفاعل والمفعول وافعل التفضيل والصفة المشبهة ، فان كلا منهما كلما وجد ، وجد الاشتقاق بينه وبين اصله . واما ان لا يكون مطردا ، كالقارورة والدبران - وهما مشتقان من حيث اللغة من القرار والدبور ، وبحسب الاستعمال اختصت القارورة باسم الآلة المخصوصة ، والدبران بالكوكب المخصوص .

قوله : « قال الكوفيون : ينبغي أن يكون الفعل اصلا لان اعلاله مدار لا لعلل المصدر وجودا ، او عدما . اما وجودا ففي بعد عدة وقام قياما ، واما عدما ففي يوجل وجلا وقاوم قواما ، ومداريته تدل على اصله (١٠٥) وايضا يؤكد الفعل به نحو : ضربت ضربا (١٠٦) وهو بمنزلة ضربت ضربت . والمؤكد اصل دون المؤكد يقال له مصدر لكونه مصدرا عن

(١٠٤) هذه العبارة الى آخرها مسوقة في الاصل وكأنها من كلام المصنف والصحيح انها من كلام الشارح .

(١٠٥) م : اصاله .

(١٠٦) ضربا ساقطة من م .

زيد زيد . وقولهم مشرب عذب ومركب فاره : من باب جرى النهر وسال الميزاب .

اقول : هذه اشارة الى جواب عن كلام الكوفيين نصرة لمذهب البصريين ، وذلك بثلاثة اجوبة . الجواب الاول : ان اعلال المصدر للمشاكله ، يعني للموافقة بان يطرد الباب لا للمدارية ، يعني لا لعللة الاصاله ، كحذف الواو في « يعد » والهزمة في « يكرم » مع عدم العلة المقتضية للحذف فيهما . لكنهما حذفنا اطرادا للباب وحفظا للقاعدة عن الاختلاف . الجواب الثاني : ان المؤكدية لا تدل على الاصاله في الاشتقاق ، بل تدل في الاعراب كما في « جاءني زيد زيد » وكلامنا في الاشتقاق لا في الاعراب .

الجواب الثالث : ان قولهم « مشرب عذب » ومركب فاره » من باب جرى النهر وسال الميزاب (١١٢) يعني من باب المجاز العقلي وهو ذكر المحل والارادة هي الحال ، لان النهر لا يجري والميزاب لا يسيل ، ولكن ماؤهما - يجري ويسيل - فاذن لا يكون هذا حجة لان الاصول لا تثبت بالاحتمالات .

قوله : « ومصدر الثلاثي كثير وعند سيبويه يرتقي الى اثنين وثلاثين نحو : قتل وفسق وشغل ورحمة ونشدة وكدره ودعوى وذكري وبشري وليان وحرمان وغفران ونزوان (١١٣) وطلب وخنق وصغر وهدي وغلبة وسرقة وذهاب وصراف وسؤال وزهادة ودراية ودخول وقبول ووجيف وصهوبة ومدخل ومرجع ومسعاة ومحمدة » .

اقول : هذا شروع في بيان تعداد المصادر ، ومصادر الثلاثي كثيرة ولكن ذكر سيبويه انها ترتقي الى اثنين وثلاثين بناء نحو « قتل » من قتل يقتل و « فسق » من فسق يفسق (١١٤) و « شغل » من شغل يشغل و « رحمة » من رحم يرحم و « نشدة » من نشدت الضالة انشدها و « كدره » من كدر الماء

(١١٢) في ا - الواو والتصويب من ب (الهامش) وقال في الفاموس « وُزِبَ الماء يَترَبُّ وُزْبًا سَالٌ ومنه الميزاب ، وهو فارسي ومعناه بثل الماء فعربوه بالهزمة ولهذا جمعوه ما زيب ، والوزاب ككتان اللص الحاذق ، وأوُزِبَ في الارض ذهب فيها .

(١١٣) ١ : أو نزوان .

(١١٤) وفيه لغة أخرى من باب جلس .

يكدر ، و « دعوى » من دعا يدعو في المال وفي النسب يقال : دعى دعوة بكسر الدال . وفي الضيافة ونحوها دعى دعوة - بضم الدال ، و « ذكرى » من ذكر يذكر ، و « بشرى » من بشرت الرجل ابشيرة - بالضم - و « ليان » (١١٥) من لوى يلوى ، اصله - لويان - اجتمعت الواو والياء (١١٦) و « حرمان » من حرمه اذا منعه ، و « غفران من غفر يغفر » ، و « نزوان » من نرى الفحل ينزو ، و « طلب » من طلب يطلب و « خنق » من خنق يخنق و « صفر » من صفر الرجل يصفر ، و « هدى » من هداه يهديه ، و « غلبة » من غلب يغلب ، و « سرقة » من سرق يسرق ، و « ذهاب » من ذهب يذهب و « صراف » من صرفت الكلية تصرف - اذا اشتهت الفحل ، و « سؤال » من سأل يسأل ، و « زهادة » من زهد يزهد ، و « دراية » من درى يدري و « دخول » من دخل يدخل و « قبول » من قبل يقبل ، و « وجيف » من وجف البعير يجف ، والوجيف ضرب من سير الابل ، و « صهوبة » من صهب الشعر اذا احمر حمرة صافية ، و « مدخل » من دخل يدخل ، و « مرجع » (١١٧) من رجع يرجع ، و « مسعاة » من سعى يسعى ، و « محمدة » (١١٨) من حمد يحمد . وقد زاد عليه الشيخ ابن الحاجب « بفاية » و « كراهية » من بغي الشيء اذا طلبه ومن كره يكره كراهة وكراهية .

ويجيء المصدر في الصنائع على « فعالة » نحو : كتب كتابة ، وفي الاضطراب على « فعلان » نحو : خفق خفقانا ، ومن الاصوات على « فعال » نحو : صراخ وبكاء عند الخليل قياسا على الصراخ ، وبالقصر عند غيره قياسا على الحزن لانه بمعناه .

قوله : « ويجيء على وزن اسمي (١١٩) الفاعل والمفعول ، نحو : قمت قائما ، ونحو قوله تعالى

(١١٥) قال ذو الرمة :

تطيلن لياني وانت مليئة
واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

والاصل « لويان » اجتمعت الواو مع الياء وسبق احدهما بالسكون ثم ادغمت الياء في الياء ، وروى عن أبي زيد ليان بالكسر .

(١١٦) نقلت الواو ياء وادغمت في اختها .

(١١٧) بكسر الجيم من المصادر الشاذة لان فعل يفعل يكون مصدره الفتح ومنه قوله تعالى « الى ربكم مرجعكم » .

(١١٨) ذكره الرمخشري رحمه الله بكسر الميم الثانية وقيل فتحها لغة ايضا .

(١١٩) ح ، ق : اسم .

« (بايكم المفتون) (١٢٠) ويجيء للمبالغة نحو :
التهدار (١٢١) والتلعاب والحيشى والدليلي (١٢٢) .

اقول : يجيء على زنة اسم الفاعل نحو : قمت قائما أي قياما ، كما ان اسم الفاعل يجيء على زنة المصدر نحو قولك : رجل عدل أي عادل ، ويجيء على اسم المفعول أيضا نحو قوله تعالى « بأيسكم المفتون » أي الفتنة ان قلنا ان الياء ليست بزايدة ، وليس منه ان قلنا انها زائدة ، وكذلك المفعول فانه مصدر بمعنى العقل ، قال سيبويه (١٢٣) : انه صفة معناه عقل له شيء أي حبس ، كالمحلول فانه مصدر حلف يحلف حلفا ومحلولا . وكذلك المعسور والميسور بمعنى العسر واليسر . قال سيبويه : هما صفتان معناهما دعه الى زمان يأسر فيه والى زمان يعسر فيه ، لانه يمنع مجيء المصدر عنده على زنة « مفعول » وكذلك المرفوع والموضوع بمعنى الرفع والوضع ، وقال سيبويه : هما صفتان يعني : هذا مرفوعي وموضوعي - هذا اما ارفعه واما أضعه . « ويجيء للمبالغة » أي يجيء المصدر للمبالغة نحو التهذار (١٢٤) للهدر وهو كثرة الكلام ، والتلعاب للعب والترداد للرد والتكرار للكر ، والتصفاق للصفق ، والتقتال للقتل والتجوال للجولان وهو قياس مطرد ، والفراء وغيره من الكوفيين يجعلون - التفعال - بمنزلة « التفعيل » والفتنة بضمزة ياء - التكرير وكذلك الدليلي والحيشي والرميا لتكثير الفعل الثلاثي والمبالغة ، والدليلي كثرة العلم بالدلالة والرسوخ منها ، واذا كان بين القوم حدث كثير يقال : الحيشي واذا كان الترامي كثيرا يقال : الرمي .

المصدر يجيء أيضا على زنة « فاعلة » كالعافية نحو : عافاه الله عافية كالعافية نحو : عقب فلان

(١٢٠) بعد قائما . ساقط من م . الآية ٦ سورة القلم .

(١٢١) التهذار بالبدال المهملة ، وق . التهزاب .

(١٢٢) قال الرضي « أما الفعلي فليس قياسا ، فالحيشي والرميا والحجيزي مبالغة التحات والترامي والتعاجز ، أي لا يكون من واحد ، وقد يجيء منه ما يكون مبالغة المصدر الثلاثي كالدليلي والنميسي والهجري والخليفي ، أي مبالغ كثرة الدلالة والنميمة والهجر أي الهدم والخلافة واجاز بعظم المد في جميع ذلك والاولى المنع وقد حكى الكسائي خصيصا بالمد وأنكره الفراء . الشافية ج - ١ من ١٦٨ .

(١٢٣) ج ٢ من ٢٥٠ .

(١٢٤) في شرح المفصل لابن يعيش ج ٦ من ٥٦ : يقال الشراب يهدر هدرا وتهذارا اذا غلى فالتهدار « بالبدال المهملة » « الهدر الكثير » وقد ساق بقية المصادر التي ذكرها الشارح .

مكان أبيه عاقبة وكالباقية لقوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية » (١٢٥) أي بقاء وكالكاذبة لقوله تعالى : « ليس لوقعتها كاذبة » (١٢٦) أي كذب .

قوله : « ومصدر غير الثلاثي يجيء على سنن واحد الا في كلم (١٢٧) كلاما وفي قاتل قتالا وقيتالا وفي تحمل تحملا وفي زلزل زلزالا » .

اقول : مصدر غير الثلاثي لا يختلف ، بل يجيء على وثيرة واحدة ، سواء كان رباعيا مجردا او مزيدا او ثلاثيا مزيدا فيه ، فمصدر أفعل على افعال نحو : اخرج على اخراج ومصدر فعل - على تفعيل نحو : كرم على تكريم وسلم على تسليم ومصدر فعملل على فعلة نحو : دحرج على دحرجة وزلزل على زلزلة ومصدر تفعّل على تفعّل نحو : تقبّل على تقبّل الا ان في كلّم يجيء كلاما ، وفي كذب كذابا ، قال الله تعالى : « وكذبوا بآياتنا كذابا » (١٢٨) . وفي قاتل قتالا وقيتالا في لغة اهل اليمن ، وفي تحمل تحملا وفي زلزل زلزالا ، قال الله تعالى : « اذا زلزلت الارض زلزالها » (١٢٩) وتجيء ايضا من - فعل - على مفعّل نحو قوله تعالى « ومزقناهم كل ممزق » (١٣٠) بمعنى تمزيق وعلى « فعال » نحو : سلام وسراح وبلاغ قال الله تعالى : « وسرحوهن سراجا جميلا » (١٣١) ، « وما على الرسول الا البلاغ المبين » (١٣٢) . وتجيء ايضا من - تفعّل - على « تفعال » نحو : تملق تملقا ، قال الشاعر :

ثلاثة احباب فحب علاقة
وحب تملق وحب هو القتل (١٣٣)

ومعنى البيت : الاحباب للانسان ثلاثة انواع ، حب يظهره الرجل وهو موجود فيه ، وحب يظهره ولا حقيقة له ، وحب هو قتل الاعادي . ثلاثة احباب : رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره

(١٢٥) الآية ٨ سورة الحاقة .

(١٢٦) الآية ٢ سورة الواقعة .

(١٢٧) في ق ، م : بعده يجيء كلاما .

(١٢٨) الآية ٢٨ سورة النبا .

(١٢٩) الآية ١ من سورة الزلزلة .

(١٣٠) الآية ١٩ من سورة سبا .

(١٣١) الآية ٤٩ من سورة الاحزاب .

(١٣٢) الآية ٥٤ من سورة النور كذلك الآية ١٨ من سورة

التكوير .

(١٣٣) لم ينسب أحد هذا الشاهد الى قائل معين وقال ابن يعيش

ج ٦ من ٤٨ : أنشده ثعلب في أماليه عن الاعرابي ،

والشاهد فيه قول « تملق » جاء به على تملق مطاوع

مكّث ، ويزوي فحب علاقة بالثنوين وغير ثنوين « ا هـ .

فيما بينهم ثلاثة احباب - ، فحب رفع بأنه خبر
والمبتدأ محذوف تقديره - حب علاقة كذا خبر
المبتدأ المحذوف تقديره - وحب هو علاقة -
والجملة صفة للنكرة وهكذا تقدير الباقية .

قوله : « الافعال التي تشتق من المصدر : هي
خمس و ثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي (المجرد) (١٣٤)
نحو : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، وعلم يعلم ،
وفتح يفتح ، وكرم يكرم وحسب يحسب » .

اقول : لما فرغ عن بيان المصادر ، شرع في بيان
الافعال المشتقة من المصدر ، والافعال التي تشتق
من المصدر خمسة و ثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي
المجرد نحو : ضرب يضرب - بفتح العين في الماضي
وكسرها في الغابر - ، وقتل يقتل - بفتح العين في
الماضي وضمها في الغابر ، وعلم يعلم - بكسر العين في
الماضي وفتحها في الغابر - ، وفتح يفتح ، بالفتح
فيهما ، وكرم يكرم - بالضم فيهما ، وحسب
يحسب بالكسر فيهما - فان قيل ما وجه الانحصار
على ستة ابواب ؟ قيل له لان الفاء لها اربعة احوال :
الفتح والضم والكسر والسكون ، ولا يمكن ان يكون
ساكنا لامتناع الابتداء بالسكن ، ولا يكون مضموما
ولا مكسورا للاشتغال ، فبقيت لها حالة واحدة
وهي الفتح .

والعين لها اربعة احوال ايضا ، وقد سقط
منها السكون ، لانه اذا اتصل بالفعل ضمير المتكلم
والمخاطب او جمع المؤنث ، وجب سكون اللام لشدة
اتصال الفاعل به ، وليلد على ان الفاعل كالجزء من
الكلمة ، فان سكن العين التقى ساكنان على غير
حده . فان قيل : هل لا يجوز ان يحذف احدهما ؟
قيل له : لا يجوز ان يحذف احدهما لانه لو حذف
احدهما لم يدل شيء على حذفه فبقيت لها ثلاثة
احوال .

واللام ايضا لها اربعة احوال ، وقد سقط
منها الضم والكسر للاشتغال لما فيه من الكلفة بخلاف
الفتحة لانها اخف الحركات ، والطباع تميل اليها ،
وقد سقط منها السكون ايضا لان الماضي مبني
وبناؤه على الفتح لانه اخ السكون ، لان الفتحة
جزء الالف ، ولما كانت للفاء حالة واحدة واللام (١٣٥)
حالة واحدة فصار اثنين وللعين ثلاثة احوال فاضرب
الاثنين في الثلاثة فصار الاثنين في الثلاثة فصارت
ستة وهي الامثلة المذكورة في المتن .

(١٣٤) زيادة من ج .

(١٣٥) ١ : واللام . تحريف .

قوله : « وتسمى (١٣٦) الثلاثة الاول : دعائم
الابواب لاختلاف حركاتهن في الماضي والمستقبل
وكثرتهن ، وفتح يفتح لا يدخل في الدعائم ،
لانعدام (١٣٧) اختلاف الحركات ، ولانعدام (١٣٨)
مجيئه بغير حرف انحلقت » .

اقول : الثلاثة الاولى هي : ضرب يضرب ،
وقتل يقتل ، وعلم يعلم وانما سميت هذه الامثلة
الثلاثة دعائم الابواب ، لاختلاف حركاتهن في الماضي
والمستقبل ، والاختلاف يدل على القوة ، والقوة
تدل على الاصاله .

وقوله « وكثرتهن » اي وكثرة استعمالهن .
الدعائم : جمع دعامة وهي عمود البيت ، وقيل
دعامة الشيء أصله ، واما فتح يفتح لا يدخل في دعائم
الابواب لانعدام اختلاف الحركات ، لانها في الماضي
والمستقبل تجيء على سنن واحدة ولانعدام مجيئه
بغير حرف الحلق ، لان فعل يفعل بالفتح فيهما -
لا يجيء الا شرط ان يكون فيه حرفا من حروف
الحلق .

قوله : « واما ركن يركن وأبى يأبى فمن (١٣٨)
اللغات المتداخلة واما بقى يبقى وفنى يفنى وقلي
يقلى ، فلفات طيبة قد فروا من (١٣٩) الكسرة (الى
الفتحة) (١٤٠) وكرم يكرم لا يدخل في الدعائم لانه
لا يجيء الا عن الطبائع والنعوت ، وكذلك (١٤١)
حسب يحسب لا يدخل في الدعائم لقلته (١٤٢) » .

اقول : هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره -
إنكم قلتم ان فعل يفعل بالفتح فيهما لا يجيء الا
بحرف الحلق وقد جاء بغير حرف الحلق مثل : ركن
يركن وأبى يأبى ، فالجواب عنه بقوله : فمن اللغات
المتداخلة . بيانه ان ركن يركن - بفتح العين في الماضي
وضمها في الغابر - مثل نصر ينصر وركن يركن -
بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر مثل علم يعلم ،
فأخذ الماضي من اللغة الاولى ، والمضارع من اللغة
الثانية وأبى يأبى وقيل انه شاذ لا يعتد به . وقوله
« واما بقى يبقى وفنى يفنى وقلي يقلى » فكذلك عن

(١٣٦) ١ : وسمى والتصويب من ق .

(١٣٧) ١ : وانعدام ، وفي م ، ق : لعدم .

(١٣٨) ق : فهي من .

(١٣٩) ١ ، ق : من .

(١٤٠) زيادة من ج .

(١٤١) ساقطة من ق ، م .

(١٤٢) ق : تملته ، وفي ح : قللة استعماله .

سؤال مقدر تقديره : فعل يفعل - بالفتح فيهما - لا يجيء الا بحرف الحلق - وقد جاء مثل بقی يبقى الى آخره ، فأجاب عنه بأنها لغات طيء قد فروا من الكسرة ، أي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة أي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة مع الياء وكذلك طيء تقول في دعي دعيا وفي بني بنا ومنه قول شاعرهم على لفهم .

نستوقد النبيل بالحضيض

ونصطاد نفوساً بنيت على الكرم (١٤٣)

النبيل هو السهم والحضيض : اسم موضع ، وقال بعضهم ان قلّى يقتلى لغة في قلبي يقتلى - بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر - فان صح هذا كان قلّى يقتلى بالفتح فيهما أيضا من اللغة المتداخلة . وقوله « كرم يكرم لا يدخل في الدعائم » أي في دعائم الابواب ، لانه لا يجيء الا من الطبايع والنعوت ، فكان غير قوي لتقيد مجيئه بالطبع والنعوت - فكانت القوة علة للدخول في الدعائم ، وعدمها علة لعدم الدخول ، وقد علم بذلك ان كل فعل جاء من الطبايع والنعوت والصفات لا يدخل في الدعائم ، وحسب يحسب أيضا لا يدخل في دعائم الابواب لقلته وشذوذه ، والقلّة لا توصف بالقوة حتى لا تدخل في الدعائم .

قوله : « وقد جاء فعل يفعل على لغة من قال كدنت تكاد وهي شاذة كفضل يفضل ودمت تدوم » .

اقول : قد جاء فعل يفعل - بضم العين في الماضي وفتحها في الغابر - على لغة من قال : كدت تكاد - بضم الكاف - لكنها شاذة كفضل يفضل ودمت تدوم ومت تموت في معتل العين ، فحاصل الكلام ان فعل بضم العين ، مستقبلي يجيء على يفعل بالضم قياسا لا يختلف نحو : كرم يكرم ، وشرق يشرق الا انهم قالوا قد جاء فيه فعل يفعل - بالضم في الماضي والفتح في الغابر - نحو فضل يفضل في الصحيح ودمت تدوم ومت تموت (١٤٤) في الاجوف على لغة من كسر الدال والميم ، لكن كلها شاذة ، وحكي دمت تدام على حد : خفت تخاف ، ونمت

(١٤٣) هو من المنسرح : وقاله رجل من بني القين بن جسر ، والحضيض فرار الجبل أو أسفله ، أراد انهم يرمون السهام بشدة فتخرج النار لصلابة سواعدهم وأراد بقوله « نفوسا بنت على الكرم » السادة الرؤساء . (١٤٤) أ : تموة بالناء القصيرة .

تنام واذا كان كذلك فيمكن ان يحمل هذا على التداخل كاخواته ، واصل دمت - دومت - نقلت حركة الواو الى الدال بعد سلب حركتها فالتقى ساكنا فحذفت الواو ، فقررت الكسرة على الدال فصار دمت تدام ، اصله - تدوم - فقلت الواو الى الدال ثم قلبت الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها ، فصار تدام ، واما فضل يفضل فمن تداخل اللفتين عند البعض لان العرب تقول فضل يفضل بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر - وفضل يفضل - بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر - ومثل ذلك نعم نعم ، فان سئل عن الشاذ والقليل والنادر والضعيف والكثير والغالب ، اجيب بان الشاذ : ما يكون وجوده كثيرا ولكن يكون على خلاف القياس ، والقليل ما ينحصر وجوده على القياس على وجه القلة ، والنادر ما قل وجوده وان لم يكن بخلاف القياس ، ولا فرق بين القليل والنادر في الحقيقة ، والضعف هو الذي لم يصل حكمه الى الثبوت (١٤٥) والكثير ما شاع وجوده ، والغالب كون الشيء على تلك الصفة والحالة .

قوله : « واثنان (١٤٦) عشر لمتشعبة الثلاثي نحو : اكرم وقطع وقاتل وتفضل وتضارب وانصرف واحتقر واستخرج واخشوشن اجلوذ واحمار واحمر (١٤٧) اصلهما : احمار واحمر - فادغما للجنسية ويدل عليه ارعوى وهو ليفيف (١٤٨) من باب افعل ولا يدغم لعدم الجنسية »

اقول : لما فرغ من بيان الثلاثي ، شرع في بيان متشعبة الثلاثي ، وذلك اثنا عشر بابا من خمسة وثلاثين . والمتشعبة : اسم فاعل من انشعب ينشعب ، والانشعب في اللغة - عبارة عن خروج الفصن من الشجرة ، وفي الاصطلاح هو الابنية المتفرعة على اصل اما بالحاق حرف ، او بتكرير الكلمة ، فالاول نحو : اكرم ، الالف فيه زائدة ، والثاني نحو : قطع التضعيف فيه زائد والمكرر هو الحرف الثاني عند البعض ، وعند الخليل الاول ، وعند سيبويه يجوز الامران . وجه قول البعض ان الآخر محكوم عليه بالاحكام ، فالاولى ان يكون هو ووجه قول الخليل ان الزائد بالاول اولى لان الثاني مقصود للتضعيف ، فلما تعارض الدليلان ، توقف

(١٤٥) أ : الثبوة .

(١٤٦) في ق ، أ : انى .

(١٤٧) م : احمر واحمار .

(١٤٨) ق : اللفيف .

والعيوب ، وهذا البغ من افعال في المعنى واصل احمر واحمار - احمر ، واحمارر أدغمت الراء في الراء للجنسية . وقوله « ويدل عليه ارعوى » اي يدل على ترك ادغام ارعوى لعدم الجنسية ، على ان ادغام احمار واحمر للجنسية وعلى ان اصلهما احمارر (١٥٠) واحمر ، فأدغمت الراء في الراء لوجود علة الادغام وهي اجتماع الحرفين التماثلين . واما ارعوى اصله - ارعوو - من الرعو وهو الرجوع يقال : فلان رعا عن فعله القبيح اذا رجع منه رجوعا حسنا ، واصله رعو ، كفرو قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار - رعا - كفرا ، ثم نقل الى باب « افعال » فصار ارعوو فاجتمع فيه شرط الاعلال وشرط الادغام ، ولكن الاعلال مقدم على الادغام لان سبب الاعلال موجب لسبب الادغام ، لكن المراد من الادغام الخفة والخفة في الاعلال اكثر من الخفة في الادغام ، فاذا كان كذلك قلبت الواو الثانية الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار ارعوى وبعد قلب الواو الثانية الفا لا تدغم ايضا لعدم الجنسية .

قوله : « وواحدة (١٥١) للرباعي نحو دحرج وثلاثة لمنشعبة الرباعي نحو : تدحرج واهرنجم واقشعر ، وستة للمحق دحرج نحو : شمل وحوقل وبيطر وجهور وقلنس وقلسى (١٥٢) وخمسة للمحق تدحرج نحو : تجلبب وتجورب وتشبيطن وترهوك وتمسكن ، واثنان للمحق اهرنجم نحو إقفنس واسلنقى ، ومصادق الالحاق (١٥٣) اتماد المصدرين » .

اقول : باب واحدة للرباعي المجرد نحو : دحرج ، ولم يتصرفوا فيه كما تصرفوا في الثلاثي المجرد من فتح عينه وكسرها وضما لثقل الرباعي ، وانما جوزوا استعمال الفتحات الثلاث فيه لخفتها ، وانما سكنوا الثلاثي طلبا للخفة لانه ليس في كلامهم اربع حركات متواليات في كلمة واحدة ، لما فيه من الاستثقال وانما كان الثاني اولى بالسكون لانه تعذر تسكين الاول لامتناع الابتداء بالسكن وكذا الرابع لوجوب بناء الماضي على الفتح . فلم يتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك ، وكذا الثالث لانه يلزم النقاء الساكنين على غير حده لانه قد يسكن الرابع وذلك اذا اتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك . والرباعي

سببويه فما حكم برجحان احدهما على الآخر ، والضابط في ذلك : أن الامثال الزائدة على ثلاثة احرف اصول ، على ثلاثة اقسام : الاول : يزداد فيه حرف واحد ، والثاني ما يزداد فيه حرفان ، والثالث ما يزداد فيه ثلاثة احرف . اما الذي يزداد فيه حرف واحد ، فثلاثة ابواب ، الاول : - افعال نحو اكرم الهمزة فيه ازئدة ، فهذا البناء للتعدية غالبا ، وكسرت الالف في مصدره فرقا بينه وبين الجمع كالادبار والادبار ولم يكسب الامر ، لان الجمع اثقل من المفرد فالخفة اولى به . والثاني : - نحو قطع التضعيف فيه زائد . والثالث : - فاعل - نحو قاتل الالف فيه زائدة ، وهذا البناء (١٤٩) للمشاركة بين الاثنين - بفعل كل واحد منهما ما يفعل الآخر ، الا ما شذ نحو : « قاتلهم الله » و « عافاك الله » . واما الذي يزداد فيه حرفان ، فخمسة ابواب : الاول - تفعل - نحو : تفضل . التاء والتشديد فيسه زائدتان - واصله التكليف في تحصيل المطلوب شيئا بعد شيء نحو : تعلم وتجرع . والثاني : - تفاعل - نحو تضارب التاء والالف فيه زائدتان ، واصله ان يكون بين اثنين فصاعدا نحو تخاصم زيد وعمر وتصلح القوم والثالث - انفعل - نحو : انصرف - الالف والنون فيه زائدتان - واصله ان يكون مطاوعا لفعل نحو : قطعته فانقطع والرابع : افتعل - نحو : احتقر الالف والتاء فيه زائدتان والخامس - افعال نحو : احمر - الالف واحدى الرائي زائدتان . وهذه تختص بما فيه الالوان والعيوب نحو : اصفر واعور . واما الذي يزداد فيه ثلاثة احرف ، فاربعة ابواب :

الاول : استفعل نحو : استخرج - الالف والسين والتاء فيه زوائد ، واصله ان يكون لطلب الفعل نحو : استغفر الله اي اساله المغفرة .

والثاني : افعول نحو : اخشوشن ، الالف والواو واحدى الشينين فيه زوائد ، وهذا الباب يفيد المبالغة ، فاذا قلت اخشوشن واعشوشب كان ابلغ من قولك : خشن وعشب من اخشوشنت الارض واعشوشبت اي : صارت ذات خشن وعشب .

والثالث : افعل نحو : اجلوذ ، واخروط من جلد : اذا اسرع - الالف والواو والتشديد فيه زوائد . فهذه ايضا للمبالغة .

والرابع : افعال نحو : احمار اي صار ذا حمرة الالفان والتشديد فيه زوائد ، فهذا البناء للالوان

(١٥٠) ١ : احمار براء واحدة .
(١٥١) ق ، م ، ح : وواحد .
(١٥٢) م : قلنس .
(١٥٣) م : الحاق .

وهما : تفاقل وتكلم وعشرة منها غير ملحقة نحو :
أخرج وجرب وقاتل وانطلق واقتدر واستخرج
واشهب واشهب إذا ارتفع على رجليه ، واغدودن
يقال اغدودن - الشعر إذا طال واسترخی ، واعلوط
من اعلوط البعير إذا تعلق بعنقه وعلاه ، وقيل اعلوط
البعير إذا ركبته (١٥٧) عريانا . واعلم ان شملل وما
بعده موازن لتدحرج وملحق به ، وان اقعنسس
واسقلنى موازنان لآحرنجم وملحقات به ، وان
أخرج وجرب وقاتل موازنة لدحرج غير ملحقة به
وان استخرج موازن لآحرنجم غير ملحق به ، وقوله
« ومصدقاى اللاحق اتحاد المصدرين » أي : حقيقة
اللاحق في اتحاد المصدرين ، ومصدقاى الشيء ، ما
يدل على صدق ذلك الشيء ، فلذلك حكموا بأن
شملل ملحق بدحرج دون أخرج ، لان شرط اللاحق
توافق المصدرين . وقالوا : شملل شمللة كما قالوا
دحرج دحرجة ولم يجيء مصدر أخرج على ذلك فان
قيل : فقد قالوا : أخرج اخراجا كما قالوا دحرج
دحرجا ، قيل له : الاعتبار انما هو بالفعللة لاطرادها
وعومها في جميع صور - فعلل - واما الفعلل ، فلا
اعتداد به وانما هو دخيل فيه غير مطرد ومجيئه
في بعض الصور فانهم لم يقولوا قحطابا وعربادا بل
قحطبة وعريدة ، يقال : قحطبة أي صرعة ، ورجل
معربد أي يؤدي نديمه في سكره .

فصل : في الماضي

قوله : « وهو يجيء على أربعة عشر وجهها
نحو : ضرب الى ... ضربنا » وأنما (١٥٨) « بني
الماضي لفوات (١٥٩) موجب الاعراب ، وعلى الحركة
المشابهة بالاسم في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت
برجل ضرب وضارب ، وعلى الفتح (١٦٠) لأنه (١٦١)
أخ السكون لان الفتح جزء الالف » .

أقول : لما فرغ من بيان أبواب الأفعال
والمحقات وغيرها ، شرع في بيان أبنية كل واحد
منها . ثم الفصل مصدر لكنه جعل ههنا بمعنى اسم
الفاعل ، أعني الفاصل والفارق ، يقال فصلت بين
الشئيين إذا فرقت بينهما ، وفي الاصطلاح الفصل :

(١٥٧) ١ : ركبها .

(١٥٨) الواو زيادة من ج .

(١٥٩) ق : لغواب بالوحدة التحتانية وهو تحريف .

(١٦٠) م ، ق : الفتح .

(١٦١) ١ : لان .

المجرد قد يكون متعديا نحو : دحرجت الحجر ،
وقد يكون غير متعد نحو : دربح الرجل إذا طأطأ
رأسه وبسط ظهره . وقوله « ثلاثة لمنشعبة الرباعي »
أي (١٥٤) ثلاثة أبواب لمنشعبة الرباعي أحدها : « تفعلل »
نحو : تدحرج (١٥٥) التاء فيه زائدة ، والثاني :
« إفعئل » نحو : آحرنجم - الالف والنون فيه
زائدتان - يقال حرجمت الأبل فآحرنجمت إذا
اجتمعت وتردد بعضها الى بعض . والثالث :
« أفعلل » نحو : اقشعر ، أصله قشعر - الالف
والتضعيف فيها زائدتان والاقشعرار : الارتعاد
والارتعاش . وهذه الأبنية الثلاثة لازمة بالاستقراء ،
وانما لم يضعف الرباعي المزيد فيه أكثر من ثلاثة ،
طلباً للتخفيف وروماً للسهولة . وقوله « وستة
للمحق دحرج » أي ستة أبواب للمحق دحرج ،
واللاحق : جعل مثال على مثال أزيد منه ليعامل
معاملته أي ليوازن موازنته ، ثم اللاحق على ضربين :
ملحق موازن وملحق غير موازن ، وعلى كلاً التقديرين
أما ملحق بالرباعي المجرد أو بالرباعي المزيد فيه ،
وجملته خمسة وعشرون بناء . ستة منها للمحق
بالرباعي المجرد نحو شملل من شملل إذا أسرع ،
وحوقل من حقل إذا ضعف ، وبيطر من بطر أي عمل
البيطرة ، والبطر : هو الشيق ومنه البيطار ،
وجهور : من جهر ، وقلنس من قلنس إذا لبس
القلنسوة ، وقلسى كذلك من قلنس زبدت فيه الياء
للاحق الرباعي فصار قلسى كدحرج ثم قلت الياء
الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . قلسى : وزنه -
فعلل - (١٥٦) لا فعلى فافهم . وخمسة منها للمحق
بمزيد الرباعي نحو : تجلبب إذا لبس الجلباب
وتجورب إذا لبس الجورب ، وتشيطن إذا فعل
فعلا مكروها وترهوك إذا تبختر ، وتمسكن إذا أظهر
الدلة والحاجة .

وإثنا للمحق باحرنجم نحو اقعنسس من
القعنسس وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد
الاحذب - اسلنقى من سلق أي وقع على القفا .
وإثنا منها للمحق بمزيد الرباعي عدهما ابن الحاجب

(١٥٤) ١ : مكررة .

(١٥٥) من ملحقات بدحرج : فعال نحو برال الديك إذا نفش
برائله وهو ما استندار حول عنقه من الريش ، وفنعمل
نحو : دتقع الرجل أي انتقر ، وفعلن نحو : فرصن أي
قطع ، وفنعمل نحو جلبط الرجل أي حلق شعره ، وفنعم
نحو : فرصم الشيء إذا قطعه وفنعمل نحو : هلقسم
الشيء إذا ابتلعه ، نحو اهرنمع الرجل إذا أسرع
في مشيته ، وهذه من النوادر .

(١٥٦) والحقوا بفعل « شريف » أي قطع شرياف الزرع وهو
ورقه إذا طال .

الفعل الماضي شابه الاسم مشابهة ما . وهي وقوعه موقع الاسم في قولك : زيد قائم ، وزيد قام ، فقام وقع موقع قائم ، فلاجل هذا خرج الماضي عن أصل البناء وهو السكون ، فلم يصل الى الاعراب لعدم المشابهة التامة ، فبني على الحركة كذلك المعنى ، وهذا معنى قوله « وعلى الحركة » أي بني على الحركة المشابهة بالاسم ، أي باسم الفاعل في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت برجل ضرب وضارب . وحاصل الكلام : ان المضارع لما شابه الاسم مشابهة تامة من كل وجه ، أعرب ، والماضي لما كانت مشابهته من وجه دون وجه ، لم يعرب ، ولكن عدل عن أصل البناء الذي هو السكون الى الحركة .

والامر لما لم يشابه الاسم بوجه ما ، ترك على الأصل ، وهو البناء (١٦٤) على السكون . وقوله « وعلى الفتح » إشارة الى علة بناء الماضي على الفتح دون الضم والكسر ، وذلك لان الفتحة أخ السكون ، لان الفتحة جزء الالف ، لانها بالاتباع تصير الفا ، والالف ساكن دائما أو لان الفعل ثقيل ، فاخترت الفتحة من بين الحركات لخفتها ، فهو مفتوح أبدا ، الا ان يعرض ما يوجب سكونه أو ضمه . اما السكون فعند الإعلال نحو : دعى ورمى أصلهما دعو ورمى ، قلبت الواو والياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلهما ، وكذا عند لحوق بعض الضمائر ، نحو : ضربن وضربت - الى آخره .

وانما سكن عند لحوق هذه الضمائر ، فرارا عن توالي الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة أعني الفعل وفاعله إذ الفاعل كالجزم من الفعل ، وأما الضم في نحو : ضربوا فلان الواو اذا كانت مدة ، فما قبلها مضموم أبدا .

قوله : « ولم يعرب لان اسم الفاعل ، لم يؤخذ منه العمل بخلاف المستقبل ، لان اسم الفاعل أخذ منه العمل فاعطي الاعراب له عوضا (١٦٥) أو لكثرة (١٦٦) مشابهته له ، يعني (١٦٧) يعرب

(١٦٤) ذهب الكوفيون والاعراب من البصريين الى ان الامر معرب مجزوم بلام الامر المحذوفة حذفاً مستمرا في نحو : قم ، عد وأصله عندهم لتقم ولتعد ، وحذف اللام للتخفيف ، ورد قولهم بأن البناء بالحذف غير معهود عند العرب ، واحتجوا بأن العرب قد نطقوا بالأصل كقول الشاعر :

لقيم أنت يا ابن خير قريش
كي لتقضي حوائج المسلمين

(١٦٥) في ق بعده : عنه وهي ساقطة من م .

(١٦٦) ق : كسرة .

(١٦٧) م : مشابهة له ، والجار والمجرور ساقطة من أ و م .

هو الحاجز بين الحكمين . الفصل ، مهما فصل لا ينون ، ومهما وصل ينون لان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما قدم فصل الماضي على غيره ، لانه خال عن الزيادة ، والمضارع والامر لا يخلوان عن الزيادة ، وقد علم ان المنجرد مقدم على المتلبس . والماضي : ما دل على معنى وجد في الزمان الماضي ، كذلك : كتبت هذا الكتاب ، فان زمان الكتابة مقدم على زمانك الماضي ، لا جميع زمانك . وقال بعضهم : الماضي : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك ، ولكن قيل في هذه العبارة تساهل ، لان زمانك مبهم ، لانه يتناول جميع حياتك ، بل العبارة المنقحة ان يقال : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمان تلفظك بالفعل ، كما تقول : قام يدل على حدوث القيام من زيد في زمان قبل الزمان الذي قلت فيه : قام زيد . ثم الماضي على نوعين : مبني للفاعل ، ومبني للمفعول . والمبني للفاعل : ما كان له فاعل سواء كان ظاهرا أو مضمرا ، وعلامته ان يكون اوله مفتوحا ، أو أول متحرك منه مفتوحا ، والمبني للمفعول : ما كان له مفعول يقوم مقام الفاعل ، وعلامته ان يكون اوله مضموما أو أول متحرك منه مضموما ، وهو في الفاعل والمفعول يجيء على أربعة عشر وجها نحو : « ضرب (١٦٢) ، ضربا ، ضربوا ضربت ضربتا ضربن ضربت ضربتما ضربتم ، ضربت ضربتما ضربتن ضربت ضربنا وكذلك المجهول نحو : ضرب ضربنا ضربوا . . الى آخره ستة منها للقائب وستة للمخاطب واثنا للمتكلم . واحدا أو مشاركا وقوله « انما بني الماضي » إشارة الى بيان علة بناء الماضي ، وذلك لقوات موجب الاعراب بكسر الجيم - وهو الفاعلية والمفعولية والإضافة ، وذلك ان الأصل في الأفعال ، البناء ، لانه مستغن عن الاعراب ، لان لكل واحد من معاني الأفعال ، صيغة بآزائه ولا يعرض له معنى (١٦٣) يوجب تغيير لفظه اظهارة لذلك المعنى كما يعرض للاسم معنى يقتضي تغيير آخره ، وهو الفاعلية والمفعولية والإضافة ، ولا صيغة للاسم بآزاء تلك المعنى ، فاختص الاعراب بالاسم ، والبناء بالفعل والحرف . وأصل الاعراب بالحركات لانها بعض حروف المد واللين وكل موضع يحصل للمطلوب بالبعض ، فاستعمال الكل لذلك المطلوب فيه خارج عن الحكمة ، فوجب ان يكون أصل البناء السكون لانه ضد الحركة ، كما ان الاعراب ضد البناء ، فأعطى الضد الضد ، فثبت ان أصل الفعل ان يبنى على السكون ، كما ان الامر كذلك الا ان

(١٦٢) الزيادة من ب .

(١٦٣) أ : معني بالعين المعجمة وهو تحريف .

المضارع لكثرة مشابهته « لاسم الفاعل » (١٦٨) وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته « له » وبني الامر على السكون ، لعدم مشابهته « له » .

اقول : انما لم يعرب الماضي لان اسم الفاعل اخذ منه العمل ، فأعطى الاعراب للمستقبل عرضا عن ذلك ، والدليل على ذلك ثلاثة وجود ، اوجهه الاول : ان المستقبل يقع موقع الاسم ، نحو : زيد قائم ، وزيد يقوم . والوجه الثاني : ان لام الابتداء تدخل على كل واحد منهما نحو : ان زيدا لقائم ، وان زيدا ليقوم . والوجه الثالث : ان المستقبل يشابه الاسم من جهة اللفظ او اوزنه (١٦٩) اسم الفاعل في الحركات والسكنات نحو : ضارب ويضرب ، ومدحرج ومدحرج ، وأما المعنى ، فمن أربعة اوجه : الاول - ان المضارع مشترك بين الحال والاستقبال فصار شائعا ، ثم يختص لاحدهما بدخول اللام والسين أو سوف كما ان (اسم) (١٧٠) الجنس شائع في أمته ، ثم يختص بواحد بعينه بدخول لام العهد ، والثاني : انه يكون شائعا ، قد شابه الاسم في كونه صالحا للفاعلية والمفعولية والاضافة واختصاصه بواحد منها عند دخول أحد العوامل ، والضابط فيه ، ان الاسم له صلاحية الفاعلية والمفعولية والاضافة ، فاذا دخل عليه العامل المقتضي للفاعل - يكون فاعلا مثل : « جاء زيد » ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للمفعول ، يصير مفعولا مثل : ضربت زيدا ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للضافة ، يكون مضافا اليه ، مثل : غلام زيد ، وكذلك الفعل المضارع ، له صلاحية للحالية والاستقبالية ، فاذا دخل عليه مخصص الحال - كاللام - يكون للحال ، واذا دخل عليه مخصص الاستقبال وهو السين أو سوف - يكون للاستقبال .

والثالث : ان المضارع بالشيوع قد أشبهه الاسماء المشتركة كالعين ونحوه .

والرابع : ان الفهم يبادر في كل واحد منهما ، اعني في اسم الفاعل والفعل المضارع ، الى الحال عند الاطلاق ، نحو : زيد مصلي ، وزيد يصلي ، وهذه كلها معنى قوله « أو لكثرة مشابهته » أي يعرب المستقبل لكثرة مشابهته باسم الفاعل ، وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته ، وبني الامر على السكون لعدم المشابهة بينه وبين الاسم ، على ما سبقت الإشارة إليها .

(١٦٨) ما بين القوسين ساقط من ق ، ١ .

(١٦٩) ١ : فلو ازنه وهو تعريف والصواب ما انبه .

(١٧٠) الزيادة من ب .

قوله : « زيدت الالف والواو والنون ، في آخره ، حتى يدلن على هما وهموا وهن ، وضم الحرف الطرقي » (١٧١) في ضربوا لاجل الواو بخلاف (١٧٢) رموا لان الميم ليست بما قبلها وضم في رضوا وان لم يكن الضاد ما قبلها (١٧٣) حتى لا يلزم الخروج من الكسرة الى الضمة » .

اقول : هذا شروع في بيان علة زيادة الالف والواو والنون في آخر الماضي ، وذلك انما (١٧٤) زيدت الالف في التثنية نحو : ضربا حتى تدل على هما ، وزيدت الواو في الجمع ، نحو : ضربوا حتى تدل على هموا ، وزيدت النون في الجمع المؤنث نحو : ضربن ، حتى تدل على هن لان هن (١٧٥) مستكنة تحتين . وقيل انما زيدت النون في ضربن ، للفرق بينه وبين الجمع المذكر ولم يعكس الامر لان النون من المخرج الثاني ، والمؤنث أيضا ثان في التخليق ، وزيدت الالف في التثنية ، للفرق بينها وبين المفرد ولم يعكس الامر لان الالف أخف ، والتثنية كثيرة الاستعمال . وانما اختص الجمع بالواو لان الالف أسبق على الواو ، والتثنية أسبق على الجمع ، فأعطى الاسبق الاسبق ، فاخصت بالالف كما ان الجمع اختص بالواو ، وانما لم يعكس الامر لان الجمع ، أعني جمع المذكر ، اشرف الجموع والواو أيضا اشرف الحروف ، فأعطى الاشرف الاشرف .

وقوله « وضم الباء الطرقي في ضربوا » كانه جواب على سؤال مقدر ، تقديره : لم ضم الباء الطرقي في ضربوا لان الماضي مبني على الفتح ؟ فقال . وضم الباء لاجل الواو ، لان الواو اذا كانت مدة ، يقتضي ان يكون ما قبلها ضمة بخلاف « رموا » لان الميم ليست ما قبلها في الاصل ، اذ أصله « رميوا » فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الالف فصار « رموا » على زنة - فعوا ، فان قيل لم لا تتحرك الواو في ضربوا ؟ قيل له . لئلا يلزم توالي الحركات فيما يشبه الكلمة الواحدة . وقوله « وضم في رضوا » كذلك جواب عن سؤال مقدر تقديره : ان يقال : لم ضم الحرف الطرقي في رضوا مع ان الضاد ليست بما قبل الواو في الاصل ؟ فأجاب عنه بقوله ، وضم في رضوا واذا

(١٧١) ق : الباء .

(١٧٢) ق : وبخلاف .

(١٧٣) ق : بما .

(١٧٤) ١ : اذ ما .

(١٧٥) في ١ : لانين .

لم تكن الضاد بما قبلها في الاصل ، حتى لا يلزم الخروج من الكسرة الى الضمة ، لما فيه من الثقل العظيم . واصله رضوا فقلبت حركة الياء الى الضاد ، بعد سلب حركتها ، فالتقى ساكنان (١٧٦) ، فحذفت الياء ، فصار رضوا على زنة « فعوا » .

قوله : « كتب الالف في ضربوا للفرق (١٧٧) بين واو الجمع وواو العطف في مثل : حضر وتكلم زيد ، وقيل للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لم يدعوا (١٧٨) ولم يدعوا » .

اقول : لما التبس الواوان في العطف والجمع ، كتبت الالف للفرق بينهما في مثل : حضر وتكلم زيد ، لانه اذا لم يكتب الالف ، لم يعلم أن المراد منه ، ان القوم حضروا تكلم زيد ، بأن يكون فاعل تكلم زيدا ، وفاعل حضروا ، القوم ، أو زيد حضر وتكلم بان يكون الفاعل فيهما زيدا . وقيل : انما كتبت للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لم يدعوا ، لم يدعوا (١٧٩) ، لانه اذا لم يكتب ، لم يعلم أن الفاعل فيه مفرد أو جمع ، وفي كلامه نظر ، لان الفرق بين هذه الصورة واضح ، لان الواو التي في ضربوا ، متصلة بما قبلها ، والواو التي للعطف منفصلة ، ولو قال : كتبت الالف في مثل : زادوا وساروا وقعدوا للفرق ، وحمل ضربوا وقتلوا وغيرهما عليه ، لكان أجيد واصوب ، فان قيل : قول القائل الثاني مرفوع ، لان الواو في المفرد نحو : لم يدع سقط بالجازم ، فمن أين الالتباس حتى تكتب الالف للفرق ؟ قيل له : سقوط الواو من المفرد بالجازم ليس على الاطلاق ، بل قد جاء ثبوته في بعض الصور عند بعض أهل اللغة ، وعليه قول الشاعر :

هجوت زبانا ثم جئت معتذرا
من هجو زبانا لم تهجو (١٨٠) ولم تدع (١٨١)

(١٧٦) هما الياء والواو .

(١٧٧) في ق : المرفوق بين وواو . وهي مضطربة هناك .

(١٧٨) ق : يدعوا والالف زائدة لان الفعل مفرد .

(١٧٩) ا : يدعوا بزيادة الالف .

(١٨٠) ا : تهجو بزيادة الالف ليس بشيء .

(١٨١) لم أفق على نسبة هذا البيت لقائل معين ، وقيل هو لأبي عمرو بن العلاء واسمه زبانا ، ومنهم من يرويه لشاعر كان يهاجي أبا عمرو بن العلاء . والافعال كلها بصيغة الخطاب والشاهد في قوله « لم أهجو » باثبات السواو الساكنة مع الجازم وذلك شاذ . وزبانا بالزاي المعجمة الموحدة مأخوذ من الربيب وهو طول الشعر وكثرته وقد علمت ان الواو والياء والالف اللاتي يقمن في آخر المضارع

حيث أثبتت الواو في قوله لم تهجو ، والقياس حذف الواو لدخول الجازم وهذا السؤال والجواب ، على ان تكون كلمة لم ، في قوله « لم يدعوا » ، لم الجازمة ، وأما اذا كانت كلمة الاستفهام بكسر اللام وفتح الميم - فحينئذ لا سؤال ، فلا جواب - على ان الصواب هذا وبيانه على هذا ان الالف ، اذا لم تكسر في لم يدعوا - الذي هو الجمع المذكور المجزوم بلم - التبس بالمفرد الذي دخل عليه الاستفهام .

فائدة : كتبت الالف في مائة فرقا بينها بين منه فافهم .

قوله : « جعلت التاء علامة للمؤنث في ضربت لان التاء من المخرج الثاني (١٨٢) ، والمؤنث ايضا ثان (١٨٣) في التخليق ، وهذه التاء ليست بضمير لما (١٨٤) سيجيء (١٨٥) (بعد) (١٨٦) واسكنت الباء في مثل ضربن وضربت ، حتى لا يجتمع اربع حركات (متواليات) (١٨٧) فيما (هو) (١٨٨) كالكلمة الواحدة ، ومن ثم لا يجوز العطف على الضمير (١٨٩) (المرفوع

يحدث عند الجزم نحو لم يخش ولم يرم ، واثباته شاذ الا في الضرورة . وعليه ايضا قول قيس بن زهير العبسي :

الم يأتيك والانباء تنمي

بما لاقت ليون بني زياد

(١٨٢) ق : التاء .

(١٨٣) ا : يأتي .

(١٨٤) ق : كما .

(١٨٥) ا : يجيء .

(١٨٦) زيادة من ج وفي ق : من بعد .

فائدة : قال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح التصريف الزنجاني . « وزادوا تاء في نصرت للدلالة على التأنيث كما في الاسم ناصرة ، واختصوا المتحركة بالاسم والساكنة بالفعل تعادلا بينهما اذ الفعل انقل ، وحركوها في التنثية لالتقاء الساكنين ، وزادوا ألفا وواو علامة للفاعل في الاثنين والجماعة ، وقد يحذف الواو في النكرة كقوله :

« فلو ان الاطبا كان حولى

وكان مع الاطباء الشفاء »

وزادوا تاء للمخاطب وتاء للمخاطبة وتاء للمتكلم وحركوها في الجمع خوفا للبس بتاء التأنيث ، وضموها للمتكلم لان الضم أقوى والمتكلم مقدم في الرتبة ، وفتحوها للمخاطب لعدم اللبس بالمتكلم ولخفة الفتحة ، فثبتت الكسرة للمخاطبة . ا هـ بتصريف قليل .

(١٨٧) من ح . وهي ساقطة من ق .

(١٨٨) زيادة من ج .

(١٨٩) ق : م : ضميره .

المتصل) (١٩٠) لغير (١٩١) التأكيد . لا يقال : ضربت وزيد بل يقال : ضربت انا (١٩٢) وزيد بخلاف ضربتنا . لان التاء فيه في حكم السكون ، ومن ثم تسقط الالف في رمتا (لكون الحركة فيه) (١٩٣) عارضية الا في لغة رديئة يقول أهلها رمتا (١٩٤) وبخلاف (١٩٥) ضربك ، لانه ليس كالكلمة الواحدة ، لانه ضمير منصوب (١٩٦) ، وبخلاف هدد (وعلبط) (١٩٧) لان أصلهما هداهد (وعلابط) ثم قصر كما في مخيط أصله مخياط .

أقول : لما التبس الاخبار في حق المخبر اليه بأن المخبر به ، هل هو مذكر أم مؤنث ؟ جعلت التاء علامة للمؤنث ليندفع الالتباس ، وانما خصت التاء للعلامة ، لانها من المخرج الثاني ، والمؤنث أيضا ثان في التخليق ، لان الله - تبارك وتعالى - خلق آدم أولا ثم خلق منه حواء ، صلوات الله وسلامه عليهما .

وهذه التاء ، ليست بضمير لما سنقف عليه ان شاء الله تعالى - وقوله : واسكنت الياء في ضربن أي : لما اتصلت نون الجماعة وتاء المخاطب بضرب ، أسكنت الياء ، لئلا يلزم أربع حركات متواليات فيما هو كالكلمة الواحدة ، وذلك يؤدي الى الثقل العظيم . وقوله « ومن ثم لا يجوز » أي ومن أجل ان الضمير كحرف من حروف الكلمة ، لا يجوز العطف على ضميرها الا بالتأكيد ، كما لا يجوز العطف على حرف من حروفها (١٩٨) ، لانه يلزم منه عطف الاسم على الفعل ، وذلك غير حسن فلا يقال : ضربت وزيد ، بل يؤكد ويقال : ضربت أنت وزيد ،

(١٩٠) زيادة من ج .

(١٩١) ح . ق : بغير .

(١٩٢) م ، أنت وفي هامشها أنا .

(١٩٣) فيه : ساقطة من ق ، م .

(١٩٤) ما بين القوسين ساقط من ا .

(١٩٥) في ق ، م بعده : مثل .

(١٩٦) ق . ج لان ضميره ضمير منصوب .

(١٩٧) ساقطة من ق ، ا وفي م . بالعين المعجمة ، واعلم ان الهديد من الالفاظ التي استعملت اسما وصفة لا فعل له ، وذهب الجوهري الى تفسيره بالعمش نقلا عن بعض ائمة اللغة ، وقيل هو المشاء والخفش ، وكان عرب الجاهلية اذا أصاب أحدهم المشاء وهو ضعف البصر ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وفلاهما وقال عند كل لقمة بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابتيه :

فيا سناما وكبد الا اذهب بالهديد

ليس شفاء الهديد الا السنام والكبد

وهم يزعمون أنه بذهب المشاء بذلك .

(١٩٨) ا . حروف .

وقمت انا وزيد ، ولو قلت : قمت وزيد من غير توكيد لم يجز عند البصريين . وقال الكوفيون يجوز من غير توكيد ، واحتجوا بقوله تعالى (ما أشركنا ولا آباؤنا) (١٩٩) فنا : ضمير متصل بالفعل ، ويقول الشاعر :

قلت اذ أقبلت وزهر تهادي

كنعاج الملا تعسفن رملا (٢٠٠)

وحجتهم انه اذا عطف من غير توكيد ، يلزم فيه عطف الاسم على الفعل وذلك غير جائز ، فاذا أكد بضمير منفصل ، قوي ذلك الضمير ثم عطف عليه فيكون كأنه عطف الاسم ، لانه صار كالظاهر لقوته بالتأكيد فيؤكد اما بمنفصل كما ذكرنا ، أو ما يسد مسده . والجواب عن الآية ، أن لا يسد مسد التوكيد لطول الكلام ، فكلمة طال الكلام وكثرت (٢٠١) حروفه ، كان أحسن . واما الشعر فقليل فيه : ان الواو للحال ، وليست بعاطفة ، وزهر : مبتدأ لا معطوف ، وقيل هو شاذ ، اضطر الشاعر الى اسقاط المؤكد لوزن الشعر ، فلا يقاس عليه غيره ، بيان زهر : جمع زهراء . تهادي (٢٠٢) أي تتبختر ، أصله تهادي ، فحذفت إحدى التائين (٢٠٣) كما في قوله تعالى : « نارا تلتظي » (٢٠٤) أصله : تلتظي . الملا ، الصحراء ، النعاج : جمع نعجة ، تعسفن : أي ملن عن الطريق . معناه : قلت اذ أقبلت الحبيبة مع نسوة يتبخترن كنعاج الصحراء حين ملن عن الطريق في الرمل . قلت . جملة فعلية ، اذ ظرف ، وأقبلت : فعل فاعله مستتر يعود الى الحبيبة ، وزهر : اما مبتدأ أو عطف على الاختلاف . وتهادي : فاعله مستتر ، والجملة رفع لكونها صفة لقوله « زهر » على تقدير أن يكون وزهر عطفا على الضمير الذي في

(١٩٩) الآية ١٤٨ من سورة الانعام .

(٢٠٠) هو لعمر بن أبي ربيعة من كلمة يقولها في حميدة جارية ابن ماجه مطلعها .

حمل القلب من حميدة نقلا ان في ذاك للفؤاد لشغلا

والشاهد في البيت : عطف زهر على الضمير المستتر في « أقبلت » من غير أن يفصل بينهما بالضمير البارز وهو

من ضرورات الشعر عند البصريين وجوزه الكوفيون . والملا موضع يقول فيه ذو الرمة :

الا حبذا أهل الملا غير أنه اذا ذكرت مي فلا حباها

وقد رواء الشارح « الملا » وهو بمعناه .

ومثل هذا البيت قول جرير :

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه مالم يكن وأب له لينالا

(٢٠١) ا : كثر .

(٢٠٢) ا : نهاري .

(٢٠٣) ا : الناس .

(٢٠٤) الآية ١٤ من سورة الليل .

قوله « اذ أقبلت » . واذا كان الواو في زهر للحال ، يكون زهر ، مبتدأ والجملة . أعني قوله تهادى ، خبره ، والجملة محلها النصب على الحال . قوله : تعسفن : فعل فاعله النون والجملة حال عن النعاج ، والعامل فيها تهادى . رملا : نصب على الظرف . وقوله « بخلاف ضربتا » جواب على سؤال مقدر تقديره : أن يقال : أسكنت الباء في مثل ضربتن وضربت (للعة) (٢٠٥) الموجبة فلم لا تسكن في ضربتا مع أنه يلزم منها أربع حركات متواليات فيما هو كاللمة الواحدة ؟ فأجاب عنه بقوله بخلاف ضربتا ، لأن التاء فيه في حكم السكون لأن حركتها عارضية لأنها حركت لأجل الالف ، والعارض كالمعدوم وقوله « ومن ثم تسقط الالف في رمتا » أي ومن أجل ذلك ان الالف في رمتا سقطت ، لأن أصله « رميتا » على زنة - فعلتا - فقلبت الياء لثبوتهما وانفتاح ما قبلها ، فصار « رماتا » ثم حذفت الالف المنقلبة عن الياء لأمرين : أحدهما : أن حركة التاء في رماتا عارضية بسبب الالف ، فحذفت لئلا يلزم التقاء الساكنين ، والحركة العارضية غير معتد بها .

والثاني : أن رمتا تشنية وهو فرع لرمت ، وقد حذفت الالف في رمت الذي هو الاصل ، ولو لم يحذف من الفرع ، يلزم المخالفة بين الاصل والفرع ، فحذفت من التشنية الحاقا للفرع بالاصل .

ومن العرب من يقول : رماتا وغزاتا على أصلهما ، نظرا الى اللفظ وقوله « بخلاف ضربك » عطف على قوله « بخلاف ضربتا » أي لم تسكن الياء في ضربك لأنها (٢٠٦) ليست كاللمة الواحدة ، لأن ضرب كلمة برأسها ، والكاف ضمير منصوب ، فاذن لا يلزم أربع حركات متواليات ، فيما هو كاللمة الواحدة ، بخلاف « هديد » أيضا لأن هديد أصله هدايد (٢٠٧) فلا يلزم أربع حركات متواليات ، لكنه قصر طلبا للتخفيف ، كما حذفت الالف عن مخيط ، أصله مخياط ، روما للخفة ، وهديد : هو اللبن الخائر .

(٢٠٥) الزيادة من الهامش .

(٢٠٦) لأنه .

(٢٠٧) ومثله : علبط وعكمس وخزخر وذللل وزلزل وعسرتن وأصلها : ملابط وعكامس وخزأخر وذلاذل وزلازل . فهذه كلها محذوفات الالف ، وقد نطقوا بها تامة كقول الراجز :

أعددت للورد إذا الورد خفر

غربا جرورا وجلالا خزخر

وكقوله :

ما راعني الا جناح هابطا على البيوت قوطه العلابا

وقال سيبويه « انك لا تجد فعلا لا ويروي فيه

فعال » . اهـ .

قوله : « وحذفت التاء في (٢٠٨) ضربن حتى لا يجتمع علامتا تأنيث (٢٠٩) ، كما في مسلمات ، وان لم يكونا من جنس واحد لثقل الفعل بخلاف حبلبات (٢١٠) وسوي بين تشيتي المخاطب والمخاطبة وبين الاخبارات لقلة الاستعمال في التشنية ، ووضع الضمائر للايجاز ، وعدم الالتباس (٢١١) في الاخبارات » .

اقول : لما جمع ضربت على ضربن ، حذفت الياء منه لئلا يجتمع علامتا تأنيث أحدهما : التاء ، والاخرى : النون وذلك يؤدي الى الثقل العظيم ، كما حذفت في « مسلمات » اذا أصلها : مسلمتات . بخلاف « حبلبات » لأنها جمع حبل ، فقد جمعوا فيها بين علامتي التأنيث ، وهما الالف والتاء لأن الالف في حبل للتأنيث ، فلما جمعوها ، قلبوا الالف ياء ولم يحذفوها لأن الالف تنزل منزلة حرف من نفس الكلمة لأنها صيغت عليها في أول وضعها بخلاف التاء ، فانها ما صيغت عليها الكلمة في أول حالها ، بل أنت للفرق بين المذكر والمؤنث ، فهي غير لازمة للكلمة في جميع أحوالها بل تفارقها بخلاف الالف ، فانها لازمة لأنها تأنيث لازم ، والتاء بمنزلة ضم اسم الى اسم كحضر موت وبعليك فلاجل هذا لم يحذفوها للزوم الكلمة ، وانما قلبت ياء (٢١٢) ، لأنها اجتمعت مع الالف التي قبل تاء الجمع ، وهي ساكنة والفاء حبل أيضا ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، فلو لم تقلب لادى الى حذفها . فان قيل : لم قلبت ياء دون الواو ؟ قيل له : لأن الياء علامة التأنيث في بعض المواضع في مثل : أنت تقومين وتقعدين . أو لأن الياء أشبه بالالف من الواو ، ولقربها من الالف في خفتها وخفائها ، أما الواو فثقيلة لا تشبه الالف ، فقلبها الى الاخف أولى من قلبها الى الاثقل . وكذلك الكلام في - سعاديات - وحباريات - جمع سعادى - وحبارى ، وقوله « وسوي بين (٢١٣) تشيتي المخاطب والمخاطبة » أي سوى بين التثنيتين في الماضي ، تشية المخاطب وتثنية المخاطبة ، لقلة الاستعمال في التثنية .

وقوله « وبين الاخبارات » أي سوى المذكر والمؤنث والجمع في الاخبارات لعدم الالتباس فيها ،

(٢٠٨) بعده في م : مثل .

(٢٠٩) م ، ق : التأنيث .

(٢١٠) بعده في م : لعدم الجنسية .

(٢١١) ا : الالباس .

(٢١٢) ا : باء بالموحدة .

(٢١٣) زيادة يقتضيها السياق .

أقول : لما قصدوا التثنية زادوا في آخر المفرد ميمًا ، حتى لا يلتبس بالف الاشباع في مثل قول الشاعر :

أخوك أخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف أنتما

أقول : لانه لو لم تزد الميم فلا يحصل الفرق ، ولا يعلم بأنه مفرد مشبع بالالف ، أو تثنية ؟ والالف في قول الشاعر : الف الاشباع لا الف التثنية ، الكسر والضحك بمعنى واحد ، وقيل ، الكسر انما يستعمل في ضحك مع فرح وبشاشة . أخوك مرفوع بالابتداء ، وأخو مكاشرة مضاف ومضاف اليه خبر عنه ، وضحك : عطف ، وحياك الاله جملة من الفعل والفاعل والمفعول لا محل لها من الاعراب ، لانها جملة دعائية في موقع المدح . وكيف سؤال على الحال ، مبني لتضمنه همزة الاستفهام وهو من ظروف الزمان لانه سؤال عن الحال ، أي حال المسؤول عنه في الحال ، وهو يقتضي صدر الكلام ، لانه مغير .

وقوله خصت الميم ، كانه جواب عن سؤال مقدر ، تقديره أن يقال : لم خصت الميم بالزيادة ؟ فأجاب عنه بقوله : خصت الميم لان تحته أنتم مضمرة ، وأدخلت الميم في انتما لقرب الميم من التاء في المخرج ، ولان الميم تدل على المجاورة ، وكأنك جاوزت عن المفرد الى التثنية عند قصدك اليها وانما ضمت هذه التاء لانها ضمير الفاعل ، والضمير اذا كان الفاعل ، يكون مضموما ، كضربت ، ولا يرد عليه ضربت ، لان كسرتيه للفرق بين المذكر والمؤنث ، ولا ضربت بالفتح في الواحد المخاطب - لان المتكلم مضموم التاء ، ولا التباس في التثنية .

قوله « وقيل اتباعا لهما » أي لضمير التثنية الذي في ضربا ، فان هما مستتر فيه ، فلما كان ضمير التثنية هناك بالميم ، فكذلك زيدت في نحو : ضربتما - لهما - ، وهو بكسر اللام ، لانها حرف جر دخلت على هما الذي هو اسم ضمير التثنية فانهم .

وقيل : انما ضمت التاء ، اتباعا للميم ، لان الميم شفوية ، فجعلوا حركة التاء من جنسها ، وهو الضم الشفوي ، لان الجنسية مطلوبة عندهم . واتباعا : منصوب بأنه مفعول له .

قوله : « (و) زيدت الميم في ضربتم حتى تطرد لتثنيته (٢٢٦) ، وضمير الجمع فيه محذوف وهو

(٢٢٦) م . ح . بتثنيته .

لان المتكلم يرى في اكثر الاحوال فيعلم بالصوت والنطق ، فالحاصل في ذلك . ان المذكر والمؤنث اشتركا في التكلم والخطاب ، ولم يشتركا في الجمع ، لان التثنية لما كانت موضوعة لمعنى واحد ، وهو الدلالة على الاثنين ، صلحت لها ، والجمع لما لم يكن كذلك فلم تتحد الصيغة ، فانه يختلف بالكثرة ، فان نصرتا لا اختلاف فيه ، ونصرتم ونصرتن فيه اختلاف فان الضمائر بالحقيقة ليست من الجمع . لعدم صدق حد الجمع عليها ، لكن هي علامة الجمع فيصبح ان يكون المفهوم من احدهما اكثر أو اقل أو مساويا من الاخر في الاعداد ، اذ اللفظ لا يدل على الاتحاد كالتثنية .

وقوله « ووضع الضمائر للإيجاز » أي : وضع الضمائر في التثنية للاختصار واذا كان كذلك ، فلا ينبغي أن يوضع ضميران لتثنية المخاطب والمخاطبة مع قلة استعمالهما ، وقلة استعمالهما تجعلهما بمنزلة لفظ واحد للمعنيين .

قوله : « (و) زيدت (٢١٤) الميم في ضربتما حتى لا يلتبس بالف (٢١٥) الاشباع في مثل قول الشاعر : أخوك أخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف (٢١٦) أنتما (٢١٧)

خصت الميم (في ضربتما) (٢١٨) لان تحته انتم مضمرة وادخلت (٢١٩) في انتما لقرب الميم (٢٢٠) من التاء في المخرج (الشفوي) (٢٢١) وقيل (٢٢٢) اتباعا لهما لما (٢٢٣) يجيء ، وضمت التاء لانها ضمير الفاعل ، وفتحت (٢٢٤) في الواحد خوفا من الالتباس (٢٢٥) ، ولا التباس في التثنية ، وقيل اتباعا للميم لان الميم شفوية فجعلوا حركة التاء من جنسها وهو الضم الشفوي » .

(٢١٤) ق : فزيدت .

(٢١٥) ق : الالف .

(٢١٦) ق : وكيف .

(٢١٧) هكذا بدون تعليق !! (المورد) .

(٢١٨) زيادة من ب .

(٢١٩) م ، ق : بعدها الميم .

(٢٢٠) ق : لقرب الميم من ضربتما الى التاء في المخرج ، وقيل

تبعا لهما كما يجيء .

(٢٢١) زيادة من : م ، ح .

(٢٢٢) بعده في ١ : تبعا .

(٢٢٣) م : كما .

(٢٢٤) بعده في ق : التاء .

(٢٢٥) بعده في م . بالتكلم .

الشقاوة لم تقلب واوها همزة ، لخروجها عن
الطرفية بسبب الهاء . والعظاية (٢٣٥) : دويبة
أكبر من الوزغة - دويبة أصغر من السام الأبرص
ورأسها مدورة ، وجثتها عريضة وذنبها مثل ذنب
الفارة .

قوله : « وشدد نون ضربتن دون ضربن ،
لأن أصله ضربتمن ، فأدغم (٢٣٧) الميم في النون ،
لقرب الميم من النون ، ومن ثم تبدل الميم من النون
في (مثل) عمبر (٢٣٨) ، وقيل أصله ضربتن (٢٣٩) ،
فأريد أن يكون ما قبل النون ساكنا (٢٤٠) ، ليترد
بجميع نونات النساء (٢٤١) ، ولا يمكن اسكان تاء
الخطاب (٢٤٢) لاجتماع الساكنين ولا يمكن حذفها
لأنها علامة ، والعلامة لا تحذف ، فادخل النون
لقرب النون من النون ثم ادغم » .

أقول : إنما شدد نون ضربتن دون ضربن لأن
أصل ضربتن : ضربتمن ، فأدغم الميم في النون ،
لقرب الميم من النون في المخرج ، ومن ثم تبدل الميم
من النون ، أي ومن أجل أن النون والميم متقاربان
في المخرج ، أبدل الميم من النون في « عمبر » أصله
- عمبر - وكذلك « شماء » أصله - شمناء - ،
وقيل إنما أبدل النون ميمًا في نحو : عمبر ، لأنه
لو ترك نونا والحرف الذي بعده من الحروف
الشفوية ، فإن أظهر استقبح ، وإن خفى استثقل ؛
وإن ادغم ذهب ما في النون من الغنة ، فوجه قلبه
ميمًا ليوافق الميم من النون في الغنة . وقيل :
أصله : ضربتن (٢٤٣) - بتخفيف النون - فأريد أن
يكون ما قبل النون ساكنا ليترد بجميع نونات
النساء ، أي ليكون جاريا مجرى جميع نونات
النساء ، لأن ما قبل جميع نونات النساء ساكن ،
كقولك : ضربن يضربن أضربن ، ولا يمكن اسكان
تاء الخطاب ، لأنه على تقدير السكون ، يلزم التقاء
الساكنين على غير حده ولا يمكن حذفها أيضا
لأنها علامة ، والعلامة لا تحذف ، لأنها جيئت

الواو ، وأصله (٢٢٧) - ضربتموا - فحذفت الواو
لأن الميم بمنزلة الاسم ، ولا يوجد في آخر الاسم
واو ما قبلها ضمة (٢٢٨) إلا هو ومن ثم (٢٢٩) يقال
في جمع دلو : أدل - (أصله أدلو) (٢٣٠) - بخلاف
ضربوا ، لأن باءه (٢٣١) ليست (٢٣٢) بمنزلة الاسم ،
وبخلاف ضربتموه لأن الواو خرج من الطرف بسبب
الضمير كما في العظاية » .

أقول : لما قصدوا صيغة الجمع في الماضي ،
زادوا الميم في آخره ، حتى تترد تثنيته أي حتى
يصير جاريا على طريق التثنية ، ولا يختلف
البناء ، والاطراد مطلوب عندهم ،
وأما ضمير الجمع فيه ، فمحذوف الواو لأن الميم
بمنزلة الاسم في آخره ، ولا يوجد في آخر الاسم واو
ما قبلها مضموم ، إلا هو ، الذي هو ضمير الواحد
المذكر .

وقوله : « ومن ثم يقال في جمع دلو ، أدل »
أي ومن أجل أن الواو لا يوجد في آخر الاسم مضموما
ما قبلها . قيل في جمع دلو - أدل ، والقياس أدلو ،
لأنه جمع قلة ، والقياس في جمع القلة - أفعل -
إلا أنهم أبدلوا ضمة اللام كسرة ، ثم قلبوا الواو
ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها ، فصار أدلي ،
فاستثقلت الضمة على الياء ، فحذفت ، فالتقى
ساكنان ، فحذفت الياء فصار أدل على زنة - أفعل .

وجمع القلة (٢٣٣) : أفعل وأفعل وأفعل وفعله
والصحيح وما عدا ذلك فمجموع كثرة ، وقوله
« بخلاف ضربوا » لأن باءه ليست بمنزلة الاسم ،
لأنه جزء الكلمة ، وكذلك ضربتموه ، لأن الواو خرج
من الطرفية بسبب الضمير ، وهو الهاء . وقوله
« كما في العظاية » أي : كما أن الياء في العظاية ،
خرجت من الطرفية بسبب الهاء ، لأن القاعدة هي :
أن تقلب (٢٣٤) الياء المتطرفة الواقعة بعد ألف ساكنة ،
همزة - كرداء ، وكذلك الواو ككساء ، لكنه لم تقلب
هنا لخروج الياء عن الطرفية ، بسبب الهاء ، وكذلك

(٢٣٥) : ١ : القظاية بالظاف المشاة فوقانية .

(٢٣٦) : ١ : ح : النون في .

(٢٣٧) : م فابدلت الميم من النون .

(٢٣٨) : بعده في ق : لأن .

(٢٣٩) : ١ : ضربتمن ، ق : ضربتم .

(٢٤٠) : ١ : ساكنة .

(٢٤١) : ق : النساء .

(٢٤٢) : ق : المخاطبة .

(٢٤٣) : مكرر في الأصل .

(٢٢٧) : م : لأن أصله .

(٢٢٨) : م : ح : مضموم .

(٢٢٩) : م : شاذ .

(٢٣٠) : زيادة من ج : م : ق .

(٢٣١) : ١ : بابه وفي ١ : الياء .

(٢٣٢) : ١ : ليس .

(٢٣٣) : جمعها بعضهم في قوله :

بأنفعل وبأفعل وأفعل
وفعلة يعرف الأدني من العدد

(٢٣٤) : ١ : نقلت وهو تحريف .

لمعنى ، وما جيئت لا تحذف ، فأدخل النون لقرب النون من النون ، ثم ادغم النون في النون .

وقد اعترض بعضهم على المصنف في قوله « لقرب النون من النون » وذلك انما يقال : هذا الحرف قريب من هذا الحرف ، اذا كان بينهما مغايرة في الذات ولكن يكون احدهما قريبا من الآخر ، اذا كان بينهما قرب في المخرج ، وههنا ليس كذلك ، لان النونين هي نون واحدة ، فيصير معنى قوله « لقرب النون من النون » لقرب الشيء من نفسه ، وهذا كما ترى لا يجوز ، والجواب على ذلك : ان معنا ههنا نونين ، احدهما النون الذي هو علامة جمع المؤنث ، والنون الاخر هو الذي اني به من خارج ، وهو النون المطلق والاول هو النون المقيد ، فلما كانا متغايرين بحسب الصيغة ، جملا كانهما متغايرين بحسب الذات ، لكن بينهما قرب وهو كونهما من واو واحد ، فصح قوله « لقرب النون من النون » اي لقرب النون المطلق الذي زيد في « ضربتن » من خارج ، من النون الذي هو كجزء الكلمة في ضربتن الدال على جماعة الاناث ، فلما اجتمعت نونان احدهما علامة والاخرى زائدة ، ادغمت احدهما في الاخرى ، فافهم .

قوله : « (زيدت التاء (٢٤٤) في ضربت لان تحته انا) مضمر ولا يمكن الزيادة من حروفه للالتباس » فاختر التاء لوجوده (٢٤٥) في اخواته (و) (٢٤٦) زيدت النون في ضربنا لان تحته « نحن » مضمر ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس وقيل لان تحته « انا مضمر » .

اقول : لما ارادوا الاخبار عن النفس ، زادوا في آخر الماضي تاء ، نحو : ضربت لان تحته « انا » مضمر ، ولكن لا يمكن الزيادة في حروف انسا للالتباس ، لانه اذا زيد الالف يلتبس بالثنائية ، واذا زيد النون ، يلتبس بالجمع ، نحو : ضربين ، فاختر التاء لوجوده في اخواته ، اي في المخاطب والمخاطبة والغائب . وزيدت النون في - ضربنا - لان تحته « نحن » مضمر ، فأخذ النون من نحن ، فزيد في آخر الماضي للاخبار عن الانفس المشاركة في الفعل ، او عن النفس الواحد العظيم ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس بضربن فصار ضربنا ،

(٢٤٤) ا : الفا .

(٢٤٥) ق : وجودها .

(٢٤٦) الواو ساقطة من ا ، ق .

وقيل : تحته انا مضمر ، فأخذ النون والالف من انا وزيدتا في آخره .

فائدة : انا موضوع للكناية عن الواحد ، ونحن جمعه من غير لفظه ، كنساء جمع مرأة .

قوله : « وتدخل المضمرات في الماضي واخواته ، وهي ترتقي الى ستين نوعا ، لانها في الاصل (٢٤٧) ثلاثة : مرفوع ومنصوب ومجرور ، ثم يصير كل واحد منها الى اثنين ، نظرا الى اتصاله وانفصاله ، فاضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير (٢٤٨) ستة ، ثم اخرج الجورر والمنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، فيبقى لك خمسة (٢٤٩) : مرفوع متصل ومنفصل ، ومنصوب متصل ومنفصل ، ومجرور متصل ، ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في العقل ، ستة (٢٥٠) في الغيبة (٢٥١) وستة في المخاطبة ، وستة في الحكاية (٢٥٢) . واكتفي بخمسة في الغيبة باشتراك الثنية لقلة استعمالها ، وكذلك في المخاطبة (٢٥٣) ، وفي المتكلم (٢٥٤) ، بلفظين ، لان المتكلم يرى في أكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت انه مذكر أو مؤنث ، فيبقى لك اثنا (٢٥٥) عشر نوعا . واذا صار قسم واحد من (٢٥٦) تلك القسمة اثني عشر (٢٥٧) فيصير كل واحد منها (٢٥٨) مثل ذلك ، فيحصل (٢٥٩) لك بضرب الخمسة في اثني عشر (٢٦٠) ستون نوعا ، اثنا (٢٦١) عشر للمرفوع المتصل نحو : ضرب ... الى ضربنا .

(٢٤٧) في الاصل : ساقطة من م .

(٢٤٨) بعده في ق : لك .

(٢٤٩) ق : خمسة أنواع .

(٢٥٠) ا : ست وكذلك في البواني .

(٢٥١) ق : وردت في ق هكذا - « ستا في المخاطب مع المخاطبة ، وستا في الحكاية وستا للغائب مع الغائبة » .

(٢٥٢) الحكاية اراد بها انا او نحن .

(٢٥٣) ا : في المخاطب والمخاطبة .

(٢٥٤) م : ق : الحكاية .

(٢٥٥) ا ، م : انى والتصويب من ق .

(٢٥٦) م : بياض .

(٢٥٧) بعده في م ، ق : نوعا .

(٢٥٨) م : ساقطة .

(٢٥٩) ق : فحصل .

(٢٦٠) ا : اثنا وهو خطأ ، وفي ق : باثني .

(٢٦١) ا : اثني .

اقول : لما فرغ عن بيان الماضي بأقسامه واحكامه واحواله ، شرع في بيان المضمرات التي تضمير في الماضي وغيره .

المضمرات : جمع مضمير ، الضمير (٢٦٢) في اللغة عبارة عن الستر ، وفي الاصطلاح الضمير : هو الاسم الذي يعود الى ظاهر قبله لفظا أو تقديرا فان قيل : ما المقصود من المضمرات ؟ قيل له : المقصود من ذلك هو الاختصار ، وازالة الالتباس ، وذلك أنك لو اعدت لفظ الظاهر ، لم يعلم ان الثاني هو الاول ، أو لا ؟ مثاله : قولك - جاءني زيد فقلت له - ولو قلت جاءني زيد وقلت لزيد ، لم يعلم ان « زيد » الثاني هو الاول ، ثم المضمرات ترتقي أي تصعد الى ستين نوعا ، لانها في الاصل أي لان المضمرات في أصل الوضع ثلاثة ، مرفوع ومنصوب ومجرور . ثم اضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير ستة ، ثم اخرج المجرور المنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، لان تقديم المجرور على (الجار) (٢٦٣) ، فصل والفصل بين الجار والمجرور غير جائز ، لا يقال : ما مررت بالا زيد وزيد ، فحينئذ يبقى لك خمسة ، مرفوع متصل ، ومرفوع منفصل ، ومنصوب متصل ومنصوب منفصل ، ومجرور منفصل .

ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في القسمة العقلية ، ستا في الفيبة ، وستا في المخاطبة ، وستا في الحكاية ، لأن الخطاب والفيبة والحكاية ، ثلاثة ، وكل واحد من هذه الثلاثة ، اما أن يكون مفردا أو مثنى أو مجموعا ، فصارت تسعة . ثم كل واحد من التسعة اما أن يكون مذكرا أو مؤنثا ، فاضرب الاثنين في التسعة ، فصارت ثمانية عشر قسما . ولكن اكتفى بخمسة في الفيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقله استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى بخمسة في الفيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقله استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى في المخاطبة بخمسة ، لاشتراك ضمير

(٢٦٢) الضمير : اسم مفعول من اضميرته أي سترته واطلاقه على البارز توسع أو حقيقة عرفية ، وهو بمعنى المضمير كقولك عقدت العسل فهو عقيد أي معقود ، والضمير من اصطلاحات البصريين ، والكوفيون يسمونه كناية أو مكنيا لانه ليس باسم صريح ، وقال البصريون كل مضمير مكني وليس كل مكني مضمرا ، فالكتابة اقامة اسم مقام اسم تورية وإيجازا .

(٢٦٣) زيادة يقتضيها السياق .

المخاطب والمخاطبة ، فيبقى لك ستة عشر قسما ، ثم كذلك اكتفى في الحكاية بلفظين ، لان المتكلم يرى في أكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت انه مذكر أو مؤنث ، مفردا أو ثنية ، فسقط عنها أربعة فيبقى لك اثنا (٢٦٤) عشر قسما وهي : هو هما هم هي هن أنت انتما أنتم أنت أنتن أنا نحن .

واذا صار قسم من تلك القسمة اثني عشر ، فكذلك يصير كل واحد منها مثل ذلك ، أي من المنصوب المتصل والمنفصل ، والمرفوع والمجرور المتصل فيحصل لك بضرب الخمسة في اثني عشر ستون نوعا ، اثني عشر (٢٦٥) منها للضمير المرفوع المتصل نحو : ضرب . - الى ضربنا ، لما مر تعديده .

قوله : « واثني عشر (للمرفوع) (٢٦٦) المنفصل ، نحو : هو ضرب الى نحن ضربنا ، والاصل (٢٦٧) هو ان يقال : هو ، هوا ، هووا (٢٦٨) ولكن (٢٦٩) جعل الواو ميم في الجمع لاتحاد مخرجهما ، واجتماع الواوين فصار هووا (٢٧٠) ، ثم ، حذفت الواو لما (٢٧١) مر في ضربتموا ، وحملت (٢٧٢) التثنية عليه وقيل (٢٧٣) حتى تقع الفتحة على الميم القوي ، وادخل الميم في انما كما في ضربتموا وحمل الجمع عليه ، ولا تحذف واو هو لقله حروفه من القدر (٢٧٤) الصالح ، وتحذف (٢٧٥) اذا تعاقب شيء آخر لحصول كثرة الحروف بالمعاقبة ووقوع (٢٧٦) الواو على الطرف ، ويبقى السواو مضموما على حاله ، نحو له ، وتكسر (٢٧٧) اذا كان ما قبله (٢٧٨) مكسورا أو ياء ساكنة حتى لا يلزم

- (٢٦٤) ا : اثني .
(٢٦٥) يعني تكون اثني عشر منها ... الخ ولذا نصب .
(٢٦٦) زيادة من م ، ح .
(٢٦٧) الاصل باختلاس الواو .
(٢٦٨) ق : هوا .
(٢٦٩) ق : ولك .
(٢٧٠) ق : هوو .
(٢٧١) م ، ق : كما .
(٢٧٢) ا ، م : حمل .
(٢٧٣) بعده في م : قلبوا .
(٢٧٤) ق : قدر .
(٢٧٥) بعده في م ، ق : واو هو .
(٢٧٦) في ق : مع وقوع .
(٢٧٧) في م ، ح : وتكسر الهاء .
(٢٧٨) ق : اذا كانت ما قبلها .

الخروج من الكسرة الى الضمة في نحو : غلامه
وفيه وتجعل ياء - هي - الفا(٢٧٩) ، كما تجعل
في - ياغلامي يا (غلاما) (٢٨٠) وفي بادية باداة(٢٨١)
وتجعل(٢٨٢) ميم في التثنية حتى لا تقع الفتحة
على الضعيف مع ضعفها ، وشدد نون « هن »
كما(٢٨٣) مر في ضربتين » .

اقول : اثنا(٢٨٤) عشر من المضمرات للمرفوع
المنفصل نحو : هو ضرب ، هما ضربا ، هم ضربوا ،
هي ضربت ، هن ضربن ، أنت ضربت ، أنتم
ضربتما ، أنتم ضربتم ، أنتِ ضربت ، أنتن
ضربتن ، نحن ضربنا .

الاصل في « هو » ان يقال : هوَ هوَوا ،
لكن جعلت الواو ميمًا في الجمع ، لاتحاد مخرج
الواو والميم او لاجتماع الواوين ، ثم صار هموا
ثم حذفت الواو لما مر من انه لا يوجد في آخر الاسم
واو قبلها مضموم ، ثم حذفت في ضربتموا فصار
- هم - وضربتم ، وحمل التثنية عليه للأطراد
لثلاثا يختلف البناء وقيل حتى تقع الفتحة على الميم
القوى ، لان الميم قوى بالنسبة الى الواو ، لان
الواو من حروف العلة ، وهي ضعيفة بالنسبة
الى الحروف الصحيحة ، فلو حملت عليها الفتحة
لازدادت ضعفا على ضعف ، بخلاف الميم فانها
من الحروف الصحيحة ، فلا تضعف عن تحمिल
الحركات .

قوله « (وادخل) (٢٨٥) الميم (في) (٢٨٥)
أنتم كما ادخل في ضربتما » لان المتكلم لما قصد
أن يخاطب اثنين ، جاء بالميم لان الميم يدل على
المجازة ، فكأنه جاوز عن الواحد الى الاثنين ،
وكانت الميم أولى بالزيادة تشبيها بالواو التي هي
حرف مد ، وحمل الجمع عليه ، فان قيل : ما
الفائدة في اعادة هذا البحث هنا ؟ قيل له : انما
اعاد هنا لجواب سؤال مقدر تقديره : السؤال
ان يقال : انكم حملتم التثنية في هما على جمعه ،
ولم تحملوا التثنية في أنتم على الجمع ، فكأنه

(٢٧٩) ق : بعده كما في ياء هي .

(٢٨٠) م : ياغلاما والزيادة من ج ، م .

(٢٨١) في ا : بادات ، وفي ق : يابادية ياباداة .

(٢٨٢) بعده في ق : ياء هي .

(٢٨٣) ق : م : لا .

(٢٨٤) م : انى .

(٢٨٥) زيادة يقتضيا السياق .

اجاب وقال : انما حملنا التثنية في هما على جمعه ،
لان علة قلب الواو ميمًا هنا موجودة في الجمع ،
وهي اجتماع الواوين ، وهناك علة القلب موجودة
في التثنية ، وهي الالتباس بألف الاشباع ، فلذلك
حملنا التثنية في - هما - على الجمع ، والجمع
في انتما على التثنية .

وقوله « ولا يحذف واو هو من غير ان يتعاقب
بشيء » أي من غير أن يتصل بشيء لانه اذا حذف
بغير الاعتناق بقي أقل من القدر الصالح ، ولكن
انما يجوز حذفها ، اذا تعاقب بشيء لحصول كثرة
الحروف حينئذ بالمعاقبة ، ووقوعها على الطرف ،
ولكن يبقى الهاء مضموما على حاله نحو : له ،
وعليه - على قراءة البعض(٢٨٦) - وقد جاء في
الشعر حذف الواو من غير أن يتعاقب بشيء كقوله :

فبيناه يشرى رحله قال قائل

لمن جمل رخو الملاط نجيب(٢٨٧)

اصله : فبيناه هو ، الملاط : الجنب ،

(٢٨٦) قال العلامة أبو البقاء المكي في أملاء ما من به الرحمن
ح ١ ص ٩ في فصل عقده لهاء الضمير . « الاصل في هذه
الهاء الضم لانها تظم بعد الفتحة والضمة والسكون نحو :
انه وله وغلامه ويسمعه وفيه ، وانما يجوز كسرهما بعد
الياء نحو : عليهم وايديهم ، وبعد الكسر نحو : به
وبداره وضمها في الموضعين جائز لانه الاصل ، وانما
كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة وبكل قد
قرئ .

(٢٨٧) البيت للمخلب - بضم الميم وفتح الخاء ولام مشددة -
الهلالى ، وقيل هو للعجير شاعر من شعراء الدولة الاموية
وسبب هذا الخط ما ذكره ابن الاعرابي من ان للمخلب
قصيدة ليس في الارض بدوي الا وهو يحفظها ومنها هذا
البيت ثم قال : وقد سلك العجير السلوكي طريقة المخلب
الهلالى وأدرج معاني قطعته في شعره ، والقصيدتان
لاميتان وروى سيبويه : لمن جمل رخو الملاط نجيب ،
فتبعه النحاة وانما هو : لمن جمل رخو الملاط ذلول .
قوله - يشرى - أراد يبيع فهو من الاضداد ، والرحل :
ما أعد للرحيل ، والملاط : الجنب او جانب السنام ،
ويقال للهلل : ابن ملاط ، ورخو الملاط : سهله واملسه
وفي قصيدة العجير ، رسل الملاط طويل .

الشاهد : ان واو هو قد يحذف ، وهو دليل الكوفيين
بان الواو زائدة وان الضمير هو الهاء فقط . وقال
البصريون ان ذلك ضرورة . وقال الاعلم : أراد الشاعر :
بيناه هو فسكن الواو ضرورة ثم حذفها ضرورة على ضرورة
تشبيها للواو الاصلية بواو الصلة في نحو : منه وعنه
ومثله قول الشاعر :

بيناه في دار صدق قد أقام بها

حينما يعلننا وما نعلنه

والملاطان : الجنبان ، النجيب من الرجال : هو الكريم .

وقوله « ويكسر » أي : يكسر هاء هو اذا كان ما قبلها مكسورا ، أو ياء ساكنة بعد المعانقة بشيء ، حتى لا يلزم الخروج من الكسرة الى الضمة نحو : بفلامه وفيه وعليه ، كما في الخروج من الكسرة الى الضمة من الثقل العظيم . ويجوز في - هو - تشديد الواو كما جاء في قوله :

وأن لساني شهدة يشتفى بها

وهو على من صبه الله علقم (٢٨٨)

والشهدة : العسل المشمع . والعلقم : الحنظل ، ويقال لكل مر : علقم وقوله (٢٨٩) « ويجعل ياء هي الفا » أي : تقلب ياء هي الفا كما تقلب في ياغلامي وهو ياغلاما ، وفي بادية يقال : باداة (٢٩٠) وقد تحذف ياء هي (٢٩١) كقوله :

(هل تعرف الدار على تبراكا

دار لسعدى اذه من هواكا (٢٩٢)

(٢٨٨) لم أف على نسبة هذا البيت الى قائل معين . الشهدة بالضم العسل . والعلقم الحنظل ، وهو نبات مر والمراد هنا شديد أو صعب ليتسنى تعلق الجار والمجرور به . وقيل هذه لغة همدان من قبائل اليمن وهم يشددون الواو والياء في هو وهي وعليه قول الشاعر :

والنفس ما أمرت بالعنف آبيسة

وهي ان أمرت باللطف تأتتير

(٢٨٩) في : أ مكررة .

(٢٩٠) بعده في أ : في بادة .

(٢٩١) أ : هي في كقوله ، وحرف الجر معم .

(٢٩٢) لم أف على نسبة هذا البيت ، وتبراك . بكسر التاء وسكون الياء : ماء لبني العنبر وقيل : احدى بلاد بني عمير قال الشاعر :

اذا جلست نساء بني عمير

وسعدى : اسم امرأة .

الشاهد في قوله « اذه » أراد اذ هي فحذف الياء ضرورة . ومثله قول الشاعر :

اذاه سيم الخسف آلى يقسم

بالله لا يأخذ الا ما احتكم

وقد بسط أبو البركات ابن الانباري في هذه المسألة قوله في « الانصاف في مسائل الخلاف » بما لا مزيد عليه .

وقال ابن يعيش ح ٣ ص ٩٧ : وفيها ثلاث لغات : هي - بتخفيف الياء ، وفصحها لما اردناه من ارادة تقوية الاسم ، وهي - بتشديد الياء - مبالغة في التقوية

اصله : اذ هي . وقوله « وتجعل ميمًا في

التثنية » أي تجعل ياء هي ميمًا في حالة التثنية ، حتى لا تقع الفتحة على الياء الضعيفة مع ضعف الفتحة ، وشدد نون - هن - كما تشدد النون (٢٩٣) في ضربتن (٢٩٤) واصله همن ، فأبدل الميم نونا ، وأدغمت النون .

قوله : « واثننا (٢٩٥) عشر للمنصوب المتصل

نحو ضربه ... الى ضربنا ، ولا يجوز فيه اجتماع ضميري (٢٩٦) الفاعل والمفعول في مثل : ضربتك وضربتي حتى لا يصير الشخص الواحد فاعلا ومفعولا في حالة واحدة الا في أفعال القلوب نحو (٢٩٧) علمتك فاضلا وعلمتني (فاضلا) (٢٩٨) ، لان المفعول الاول ليس بمفعول على الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلي (٢٩٩) واثننا عشر للمنصوب المنفصل نحو : اياه ضرب .. الى ايانا ضرب (٣٠٠) » .

اقول : اثننا عشر من المضمرات للمفعول (٣٠١) ، نحو : ضربه ، ضربهما ضربهم ، ضربها ضربهن ضربك ضربكما ضربكم ، ضربك ضربكن ضربني ضربنا . ولا يجوز في الضمير المنصوب المتصل اجتماع ضمير الفاعل وضمير المفعول ، لانه يلزم منه أن يصير الشخص الواحد فاعلا ومفعولا في حالة واحدة ، وهو ممتنع الا في أفعال القلوب ، نحو علمتك فاضلا ، وعلمتني فاضلا ، لان المفعول الاول في أفعال القلوب ، ليس بمفعول في الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلك ، وعلمت فضلي .

ولتصير على أبنية الظاهر ، وهي بالاسكان تخفيفا وهي اضعف لغاتها « آه » ورواية ابن يعيش « ديار » سعدى .

(٢٩٣) أ : نون .

(٢٩٤) أ : ضربن .

(٢٩٥) انى .

(٢٩٦) ق : ضمير .

(٢٩٧) ق ، م : في .

(٢٩٨) زيادة من ق ، ح .

(٢٩٩) م : علمت فضلك وعلمت فضلي وفي ق : علمت فضلي وعلمت فضلك .

(٣٠٠) م ، ق : ضربنا .

(٣٠١) أ : المفعول بحذف الجار .

**وليضرب ولا يضرب ، وفي الغائبة نحو : ضربت
ونضرب ولتضرب ولا تضرب ، وفي المخاطب الذي
في غير الماضي نحو : تضرب واضرب ولا تضرب » .**

اقول : لما فرغ عن بيان تعداد المضمرات ، شرع
في بيان استنارها ، في أي موضع تستتر ، وأي
ضمير يستتر . وأعلم أن الضمير المرفوع المتصل
يستتر في خمسة مواضع : الاول : يستتر في الغائب
نحو : ضرب ويضرب وليضرب ولا يضرب ، فإن
« هو » مستكن فيها . والثاني : يستتر في الغائبة
نحو : ضربت وتضرب ولتضرب ولا تضرب ، فإن هي
- مستكن فيها . والثالث في المخاطب الذي في غير
الماضي نحو : تضرب واضرب ، فإن - أنت - مستكن
فيها . والرابع والخامس يأتیان في موضعهما ان شاء
الله وفيه بحث : وهو أن الضمير المرفوع المتصل على
ضريين : مستكن أي مستتر ، وبارز أي ظاهر
والمستكن أيضا على ضريين : لازم الاستكنان ، وغير
لازم .

فاللازم أربعة أفعال : أفعل ، وتفعّل ، وأفعّل
ونفعل ، لأنها لا تستند الى الظاهر ولا الى المضمر
البارز لاستغنائها (٣٠٧) عنهما وبقيت مستكنة وأيضاً
اول هذه الافعال ، تدل على الفاعل فلا تحتاج الى
إبرازه . وغير اللازم على ضريين : أفعال واسماء ،
فالافعال أربعة أيضاً : فعل ويفعل وفعلت وتفعّل ،
فأسنادها على أربعة أقسام ، أحدها : ان تستند
الى المظهر ، كقولك : ضرب زيد ، وضربت هند ،
والثاني : ان يسند الى الضمير البارز ، كقولك : ما
ضرب الا هو ، وما ضربت الا هي . والثالث : ان
يسند الى المتصل كقولك ، ضرب وضربت .
والرابع : ان يسند الى المستكن كقولك ، زيد ضرب ،
وهند ضربت ، وفي هذين الفعلين ضمير مستتر
عائد الى الاسم الاول ، والدليل عليه قولك ، الزيدان
ضربا والهندان (٣٠٨) ضربتا ، ولو لم يكن فيهما
ضمير لم يكن إبرازهما .

والاسماء على ثلاثة أقسام : اسم الفاعل
واسم المفعول والصفة المشبهة (٣٠٩) ، فأسناد هذه
الاسماء ، كأسناد الافعال ، تسند الى الظاهر كقولك

وأفعال القلوب سبعة : حسبت ، وخلت ،
وظننت ، وعلمت ، ورأيت ، ووجدت ، وزعمت .
وهذه الافعال تسمى أفعال القلوب ، لان الثلاثة
الاولى للشك ، وهو من خصائص القلوب ، وزعمت
مرة للشك ومرة لليقين ، فهو كذلك أيضاً . ومن
خصائصها انها تستدعي المفعولين ، اذا كانت بمعنى
معرفة الشيء على صفة كقولك : علمت أخاك كريماً ،
ورأيتته جواداً ، ووجدت زيدا ذا الحفاظ ، واذا
كانت ظننت بمعنى اتهمت ، وعلمت بمعنى عرفت ،
ورأيت بمعنى أبصرت ، تكتفي بمفعول واحد ، وفيه
بحث طويل . الدليل يعرف في كتب النحو .

وقوله « واثني عشر للمنصوب المفضل » أي :
اثنا عشر من المضمرات للمنصوب المنفصل نحو آياه
ضرب ، آياهما ضرب ، آياهم ضرب ، آياها ضرب ،
آياهن ضرب ، آياك ضرب ، آياكم ضرب ، آياك
ضرب ، آياكن ضرب ، آياي ضرب ، آيانا ضرب .

قوله : « واثنا عشر للمجرور المتصل نحو :
ضاربه ... الى ضاربنا (٣٠٢) وفي مثل ضاربون (٣٠٣)
جعل الواو ياء ثم ادغم كما في مهدي (٣٠٤) » .

اقول : اثنا عشر (٣٠٥) من المضمرات للمجرور
المتصل نحو ضاربه ، ضاربهما ضاربهم ، ضاربها .
ضاربهن ، ضاربك ، ضاربكم ، ضاربك ، ضاربكن ،
ضاربني ، ضاربنا .

وقوله « وفي مثل ضاربوي - أصله : ضاربون
فلما اضيف الى الضمير المجرور ، سقط منه النون ،
فصار ضاربوي فاجتمعت الواو والياء وسبقت
احداهما بالسكون على الاخرى ، فقلبت الواو ياء ،
وادغمت الياء في الياء ، كما ادغم في مهدي ، أصله :
مهدوي ، فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما
بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار
مهدى ، ثم أبدلت ضمة الدال كسرة لاقتضاء ما قبل
الياء مكسوراً فصار مهدي .

قوله : « والمرفوع المتصل يستتر في خمسة
مواضع : في الغائب نحو : ضرب ويضرب (٣٠٦) ،

(٣٠٢) ١ : ضاربة .

(٣٠٣) ١ : في كما .

(٣٠٤) في ق ، م ، ح زيادة بعده هي : « أصله مهدي » .

(٣٠٥) ١ : اثني .

(٣٠٦) ساقطة من ق .

(٣٠٧) ١ : لاستغناء بها .

(٣٠٨) ١ : هند .

(٣٠٩) ١ : والمشبّهة .

(زيد ضارب غلامه) والى المضمر المستكن كقولك :
زيد ضارب ، والى البارز كقولك : زيد عمرو ضاربه
هو ، وضاربه مسند الى الضمير المنفصل ، ليدل
على ان الفعل لزيد جرى على عمرو .

قوله : (وياء - تضربين (٣١٠) - علامة الخطاب
وفاعله مستتر عند الاخفش ، وعند العامة هي (٣١١)
ضمير بارز للفاعل ، كواو يضربون ، وعين (٣١٢) الياء
في تضربين للتأنيث (٣١٣) لمجيئه في « هذي امة (٣١٤)
الله » للتأنيث ، ولم يزد في تضربين من حروف
« آيت » للالتباس بالتثنية في زيادة (٣١٥) الالف
واجتماع النون (٣١٦) في النون ، وتكرار التاء (٣١٧) .
في زيادة التاء وأبرز (٣١٨) للفرق بينه وبين جمعه ،
ولم يفرق بحركة ما قبل النون حتى لا يلتبس
بالنون (٣١٩) الثقيلة في الصورة (٣٢٠) ، ولا تحذف
النون حتى لا يلتبس بالمذكر) .

أقول : يا تضربين علامة للخطاب للمؤنث عند
الاخفش والمازني ، وهي حرف يدل على (٣٢١) تأنيث
الفاعل ، والفاعل مستكن كاستكنانه في زيد فعل
وهند فعلت وكذلك الواو والالف والياء ، حروف
تدل على أحوال الفاعل عند المازني ، والفاعل
مستكن ، وعند الجمهور - ان الياء ضمير بارز
للفاعل كواو يضربون ، وهي اسم اسند الفعل اليها
ودلت على مسماها ، كدلالة النون والالف من
- فعلنا - والتاء من - فعلت - وفعلت -
لانه اذا كان الياء علامة الخطاب ، يلزم منه اجتماع
العلامتين ، وهما ، الياء والتاء وهو ممتنع .

وقوله « عين الياء لمجيئه » كأنه جواب عن
سؤال مقدر ، تقديره أن يقال - لم عين الياء بالزيادة

للفاعل ؟ فأجاب عنه بقوله - وعين الياء لمجيئه في
« هذي » للتأنيث ، لان هذه للتأنيث في الإشارة ولم
يزد من حروف - آيت - للالتباس ، لانه لا يخلو
أما ان يزد الالف والنون أو التاء ، فلم تكن زيادة
الالف لان في زيادتها يحصل الالتباس بالتثنية ، ولا
زيادة النون أيضا ، لانه يلزم منه اجتماع النونين
في زيادة النون ، وهو ممتنع ، ولا زيادة التاء أيضا
لانه اذا زيدت لزم تكرار التاءين ، فحينئذ تتوجه
زيادة الياء لمجيئه في هذه للتأنيث .

وقوله - « وأبرز » أي أظهر الياء في الصورة
للفرق بينه وبين جمعه ، لانه اذا لم يبرز ، لم يعلم
انه مخاطبة واحدة أم مخاطبة جمع . وقوله « ولم
يفرق بحركة ما قبل النون » كأنه جواب عن سؤال
مقدر تقديره أن يقال - لم (٣٢٢) لا يحصل الفرق
بحركة ما قبله وهي كسرة الياء في الواحدة وضممتها
في الجمع ؟ ! فأجاب عنه بقوله (٣٢٣) لانه يلتبس
بهذا التقدير بالنون الثقيلة في الصورة ؟ يعني يلتبس
- بضربتن - على تقدير الاكتفاء بحركة ما قبل الياء ،
بالواحد المخاطب الذي لحقته نون التأكيد وقوله
« ولا تحذف النون » أي - ولا يفرق أيضا بحذف
النون لانه على هذا التقدير ، يعني - على تقدير
حذف النون ، يلتبس بالمذكر يعني بالمفرد المذكر
فافهم .

(وفي المتكلم المضارع نحو : أضرب ونضرب ،
وفي الصفة نحو : ضارب وضاربان وضاربون الى
آخره (٣٢٤) .

القسم الرابع في المضارع ، نحو - أضرب
ونضرب فان تحتها ضمير مرفوع متصل وهو أنا
ونحن . فان قيل - لم وضع أنا للمتكلم ؟ قيل له -
المتكلم له مبدأ الكلام ، والهمزة لها مبدأ المخارج
لأنها من أقصى الحلق ، فخصت به لهذه المناسبة
وزيدت معها نون لأنها ناسبت حروف المد واللين ،
من حيث أنها متولدة منها ويمكن زيادتها ههنا
لأنها تحتل الحركة ، ثم زيدت معها الف لبيان
الفتحة ، فان قيل - كيف الاصل في « نحن » ؟ قيل
له ، أصله - أنا - زيدت النون في أوله ليكون مختصا
بالجمع فصار - نأنا - ثم سكنت الهمزة لئلا يجتمع
ثلاث حركات متواليات فصار - نأنا - فاستقبلوا
صوت الهمزة الساكنة لانه يشبه صوت القائي ،

(٣٢٢) أ : أما ، تحريف .

(٣٢٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٢٤) واو العطف ساقطة من م ، ق .

(٣١٠) أ : تضربين .

(٣١١) ق : هو .

(٣١٢) ق : وعينت .

(٣١٣) ق : للفاعل .

(٣١٤) ق : امة .

(٣١٥) ساقطة من م .

(٣١٦) م ، ق - النونين .

(٣١٧) ق : التاءين .

(٣١٨) ق : وأبرز .

(٣١٩) نون التوكيد .

(٣٢٠) ساقطة من م .

(٣٢١) زيادة يقتضيها السياق .

فأبدلت حاء ليزول هذا ، وهو أيضا من حروف الحلق . فان قيل - لم حرك والاصل في البناء السكون ؟ وعلى الضم ، والاصل في الساكن اذا حرك ان يحرك بالكسرة ؟ قيل له - حرك لالتقاء (٣٢٥) الساكنين ، وعلى الضم لانه يدل على المعنيين التشية والجمع ، والضممة بعض الواو ، والواو يدل على الجمع ، فيبنى (٣٢٦) على الضمة ليدل عليه . والقسم الخامس من الاستتار - في الصفة نحو : ضارب أي : هو وضاربان ، أي هما ، وضاربون أي هم ، وكذلك اسم المفعول نحو : زيد مضروب أي هو ، ففي مضروب ضمير متصل مرفوع الموضع ، لانه في تقدير يضرب ، لان اسم المفعول يعمل على مالم يسم فاعله ، وكذلك الصفة المشبهة نحو : مررت برجل حسن . أي هو ، ومررت بامرأة كريمة أي - هي ، وكذلك افعال التفضيل نحو قولك : زيد أكرم منك ، أي هو وكذا باقي الأمثلة .

فائدة : اعلم ان الضمير في اسم الفاعل والمفعول ليس كالضمير في الافعال ، لان الفعل يصلح صلة للموصول بضميره ، لان الفعل مع ضميره جملة ، واسم الفاعل مع ضميره ليس بجملة ، فلا يصلح ان يكون جملة ، وليس لهذا الضمير صيغة يدل عليها كالياء والالف والواو في الافعال .

قوله : « واستتر (في) (٣٢٧) المرفوع دون المنصوب والمجرور لانه بمنزلة جزء الفعل (٣٢٨) واستتر في الغائب والغائبة (٣٢٩) دون التثنية والجمع ، لان الاستتار خفيف (٣٣٠) واعطاء (٣٣١) الخفيف للمفرد السابق (٣٣٢) أولى ، ودون (٣٣٣) التكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة ضعيفة والابرار قرينة قوية ، فاعطاء الابرار القوى للمتكلم (٣٣٤) القوى والمخاطب القوى أولى ، واستتر

في مخاطب (٣٣٥) المستقبل ومتكلمه (٣٣٦) للفرق ، وقيل يستتر في هذه المواضع دون غيرها لوجود الدليل فيها (٣٣٧) وهو عدم الابرار في مثل ضرب والتاء في مثل ضربت والياء في مثل يضرب والتاء في مثل تضرب والهمزة في مثل اضرب والنون في مثل نضرب (٣٣٨) وانصفة في مثل : ضارب وضاربان وضاربون (٣٣٩) .

اقول : هذا شروع في بيان علة الاستتار في المرفوع دون المنصوب والمجرور ، وذلك انما استتر في المرفوع لانه أي : لان الضمير المرفوع بمنزلة جزء الفعل لان علة الاستتار ، دلالة الفعل على ما هو كجزئه ، وذا لا يتحقق الا في الضمير المرفوع المتصل واما بيان وجه استتار الضمير المرفوع في الغائب والغائبة ، فهو ان الاستتار خفيف والغائب أو الغائبة ضعيف ، فالخفة الحاصلة بالاستتار مناسبة له ، والغائب مفرد والمفرد سابق ، واعطاء الخفيف للمفرد السابق أولى .

وقوله : « ودون المتكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة - أي علامة - ضعيفة والابرار علامة قوية ، واعطاء الابرار القوي للمتكلم والمخاطب القويان أولى ، وانما قيد بقوله « اللذين في الماضي » لانه احتراز عن اللذين في المضارع ، لان الضمير يستتر في متكلم المضارع ومخاطبه . وقوله « واستتر في مخاطب المستقبل » أي : استتار الضمير المتصل في مخاطب المستقبل ومتكلمه للفرق ، أي : للفرق بين المخاطب والمخاطبة لو قيل فهما تقوم مثلا ، وفي التكلم في المستقبل للفرق بين المتكلم اذا قيل اضرب ، بين المفرد المذكر الذي في الماضي ، الذي ادخل فيه همزة الاستفهام وقيل ضرب . وما بعده غني عن الشرح لوضوحه .

وقوله : « ولا يجوز ان يكون تاء ضربت ضميرا كتاب ضربت ، لوجود عدم حذفها بالفاعل الظاهر (٣٤٠) نحو : ضربت هند ، ولا يجوز ان يكون الف

(٣٢٥) أ : لالتقاء .

(٣٢٦) أ : مبنى .

(٣٢٧) زيادة من ق ، ح .

(٣٢٨) ق : قبله ، الكلمة .

(٣٢٩) ساقطة من ق .

(٣٣٠) بعده في ق : والفرد سابق .

(٣٣١) أ : فاعطاء .

(٣٣٢) أ : السائر ، وهو تحريف .

(٣٣٣) الواو ساقطة من ق .

(٣٣٤) ق : المتكلم .

(٣٣٥) ق : المخاطب .

(٣٣٦) ق : والمتكلم بينهما .

(٣٣٧) الجار والمجرور ، ساقط من ق .

(٣٣٨) بعده في ق ، وهي حروف ليست بأسماء ، وفي النسخة

الطبعة (وهذه الحروف ليست بأسماء) وهي ساقطة

في م .

(٣٣٩) ساقط من : م ، ق .

(٣٤٠) م : الفاعل ، بحذف الياء ، وفي المطبعة - الفاعلة

الظاهرة .

– ضاربان – ضميرا لانه يتغير في حال النصب والجر (٣٤١) ، والضمير لا يتغير كالف يضربان ، والاستتار واجب في مثل : – افعل ، وتفعل وافعل ونفعل ، لدلالة الصيغة عليه وعدم الاستعمال ، وقبح (٣٤٢) افعل زيد وتفعل زيد وافعل زيد ونفعل زيدون .

اقول : لا يجوز ان يكون تاء ضربت ضميرا لتاء ضربت ، لوجود عدم حذف التاء بالفاعلة الظاهرة نحو : ضربت هند ولو كانت هذه التاء ضميرا لوجب حذفها بالفاعلة الظاهرة ، لكنها للتأنيث ، وكذلك

(٣٤١) ساقطة من م .

(٣٤٢) ق : فيفتح ، تحريف .

لا يجوز ان يكون الف – ضاربان – ضميرا ولا واو – ضربوا – لانهما يدلان على ضمير مستثنى مستتر وضمير جمع مستتر ، والذي يدل على انهما ليسا ضميرين . انهما ينقلبان عن الياء في النصب والجر ، اذا قلت رأيت ضاربين ومررت بضاربين – بفتح الياء في التثنية وكسرهما في الجمع – ولو كانا ضميرين لم يتغيرا ، لان الضمير لا يجوز ان يتغير صورته كالف يضربان وواو يضربون . ثم استتار الضمير المرفوع واجب في الافعال الاربعة . امر المخاطب والمفرد المخاطب والمتكلم وحده ومع الغير لان الصيغ تدل عليها ، فلما كان كذلك ، قبح (٣٤٣) افعل زيد ونفعل زيدون وقد مر تحقيقه .

(٣٤٣) ا : فتح .



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامي

فہارس المخطوطات والبلیو غرافیات

مرکز تحقیقات کمپیوٹر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المخطوطات العربية

في مكتبة طوب قايي سرايى باستانبول

ترجمة واعداد

فاضل مهدي بيات

— القسم الاول —

اما مكتبة (طوب قايي سرايى) ، التي سنكرس هذا المقال
لحتوياتها من المخطوطات العربية ، فانها قد أصدرت في السنوات
الاخيرة فهرسا حافلا بمخطوطاتها العربية في ثلاثة مجلدات ضخمة
تحت اسم :

Topkapi Sarayi muzesi Kutuphanesi, Arapca
yazmalar katalogu

اعداد : Fehmi Edhem Karatay
istanbul, 1966.

(من منشورات متحف طوب قايي سرايى)

وكان علي ، وانا اعول عليه في كتابة هذا الفهرست ، ان
ابدا من المجلد الاول واترجمه للقارئ المورد الغراء ، غير ان
حيي العميق للتاريخ جعلني ألزم المجلد الثالث ، واعدت القارئ
باني ان احول دون معرفته بما يضم المجلدان الباقيان . وتسهيلا
لعمل اتبعت الرموز التالية :

ت = توفى ، المتوفى .

سم = سانتيمتر .

هـ = هجري .

م = ميلادي .

ع س = عدد السطور في كل صفحة .

ط س = طول السطر .

ن ق س = نفس القياس السابق .

ن ع س ط = نفس عدد السطور وطولها .

اما الرقم المتبع في ترقيم المخطوطات فان الرقم الاول هو
تسلسل المخطوطة في المجلدات الثلاثة . اما الرقم الثاني فانه
رقم المخطوطة في المكتبة المذكورة .

تخر مدينة استانبول بامهات المخطوطات المكتوبة باللغات
الشرقية ، ولا غرو في هذا ، اذا علمنا ان العثمانيين حكموا
الشرق بما فيه الدول العربية قرونا عديدة ، كان لهم النصيب
الوافر في الحصول على هذه المخطوطات ، وبشمن زهيد ، والتي
توزعت اليوم في كبريات المكتبات التي يؤمها الباحثون والعلماء
من كافة ارجاء المعمورة . وقد اتبع في حفظ المخطوطات ، كافة
الاساليب الحديثة لكي لا تعرف الكوارث والآفات طريقا اليها .
والجدير بالذكر ان سلاطين وامراء آل عثمان وولاتهم ، كانوا
يسعون ، ما في وسعهم ، الى جمع كمية هائلة من المخطوطات
وايداعها في مكتباتهم الخاصة ، لم يدخلها في أيامهم غير القلائل
من الذين لهم شأن يذكر في هذه القصور . وبلغ من حب
السلاطين الى جمع المخطوطات انهم كانوا يكتبون الى ولاتهم
وقادتهم المتواجدين في البلدان العربية ان يرسلوا اليهم ما في
بلدانهم من المخطوطات دون التمييز في لغتها .

واليوم ، وبعد الغاء الخلافة العثمانية وتأسيس الجمهورية
التركية نقلت أكثر هذه المخطوطات الى مكتبات عامة او بقيت
في أماكنها بعد ان حولوا أبنيتها الى مكتبات عامة ثم الحقت بها
المخطوطات المتواجدة في الجوامع والتكايا المنتشرة في تركيا .
وبالرغم من ان مدينة استانبول تأتي على رأس المدن التي تمتلك
المخطوطات العربية ، فان هذه المخطوطات لم تحظ بأهمية
الباحثين العرب فلم يكلّفوا أنفسهم دراستها أو صنع فهرس لها
.. واعتقد اني لا ابوح سرا اذا قلت ان هناك مكتبات في تركيا
لم يؤمها أي عربي ولم يوضع لحتوياتها أي فهرس . وحينما
كنت في تركيا ، يوم كنت أدرس فيها وارتددت الى مكتباتها ،
وددت لو القيت عصاي في قاعة إحدى المكتبات لأدون ما أشاهده
.. غير ان الحظ لم يحالفني ، اذ ان دراستي العليا لم تهيء لي
أية فرصة ...

وصف مجمل

لمكتبة طوب قابى سرايى ومخطوطاتها (١) :

طوب قابى سرايى ، أي قصر باب الطوب ، هو القصر الذي بناه السلطان العثماني محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية في استانبول في منطقة (سراي بورنو) في القرن الخامس عشر للميلاد . ولم تحافظ بشاية القصر على شكلها ، بل أجريت فيها اصلاحات و اضافات متعددة عبر العصور ، من قبل سلاطين وامراء آل عثمان .

اما المكتبة فقد بنيت خلال المرحلة الاولى للبناء في القرن الخامس عشر . وقد اسس محمد الفاتح أول مكتبة في القصر في قاعات مدرسة اندرون . ومكتبة طوب قابى سرايى تقع في القسم الثالث من القصر أي في القسم المسمى ببيدان اندرون . وقد بنيت المكتبة على شكل يضم بقاء الكتب التي تضمها ، بعيدة عن الكوارث التي تلحق بها كالرطوبة والحرائق والزلازل . وفي منتصف قاعاتها كتابة باللغة العربية تبين تاريخ انشائها .

تتكون مكتبة طوب قابى سرايى من تسع مكتبات صغيرة وهي :

١ - مجموعة كتب روان كوشكو [الكوشك بمعنى الفيلا وقد سماه الامير شكيپ أرسلان بـ المغنى] : وروان كوشكو بناء السلطان مراد الرابع ويسمى بـ صوفائي هماييون وزين من الخارج بالخزف التركي . اما الكتب الموجودة في هذا القسم فقد أودعها السلطان محمد الثاني . ثم اضيفت اليه كتب أخرى من قبل السلطانين عثمان الثالث ومصطفى الثالث . وكافة الكتب المودعة في هذا القسم ختمت باختام هؤلاء السلاطين الثلاثة . وتضم هذه المجموعة ٢٠٨٣ أثرًا فيما .

٢ - كتب الخزينة :

جمعت كتب هذه المجموعة من أماكن متعددة وتضم أكثر من ٢٩٩٩ كتابا ، أكثرها كتب تاريخية وأدبية . وتضمن هذه الكتب ، ١٤٠ كتابا يضم روائع المنمنمات والمرفعات . وعدد هذه المنمنمات ٧٢٢٣ منها ٢٨٨٢ منمنمة تركية ،

(١) اعتمدت في كتابة هذا الوصف المجمل على كتاب :
istanbul ve Ankara kutuphaneleri

Neriman Malkoc, Ozturkmen
Ankara, 1957. مؤلفه :

٢٣١ منمنمة هندية ومغولية وعربية . اما الالبوم الذي يضم مجموعة صور السلطان محمد الفاتح فانه يعتبر رائعة من روائع الفن الانساني .

٣ - مجموعة كتب احمد الثالث او مجموعة كتب اندرون : تضم ٩٦٨ أثرًا . من بينها ٤٩٢ كتابا مخطوطا أما الـ ١٤٦ الباقية فمطبوعة . وا قدم هذه الكتب يعود الى القرن الحادي عشر . وأكثرها باللغة العربية اذ يبلغ مجموعها ٤٣٢٩ كتابا . اما البقية الباقية منها ف : ٣١٨ كتابا بالتركية ، و ٩٨ كتابا بالفارسية و ٨٨ كتابا باللغات الفرية .

٤ - مكتبة بغداد كوشكو (مكتبة مغنى بغداد) : ومغنى بغداد انشاء السلطان عبدالحميد الاول واكملها السلطان سليم الثالث . وتحمل كافة الكتب الموجودة فيه ختمي هذين السلطانين .

٥ - مكتبة المدينة :

جمعت فيها كتب السلطان عبدالحميد الاول والسلطان محمد الثاني وأمير دار السعادة حاجي بشير آغا وشيخ الاسلام عارف حكمت . والكتب التي تضمها هذه المكتبة جلبت من المدينة المنورة من قبل الجنرال فخرالدين ترکان خلال الحرب العالمية الاولى . وجميعها كتب عربية وعددها ٥٦٦ كتابا ، أكثرها كتب دينية .

٦ - مكتبة خزنة الامانه (امانت خزينهسى) : انشأها السلطان محمود الاول . وروعي في حفظ كتبها الدقة والعناية وهي غير مختومة . وفيها ٣١١٩ كتابا بالتركية والعربية والفارسية . وفيها نسخ كثيرة من التفسيران واجازات الكتاتيب .

٧ - مكتبة قوغوشلار (قوغوشلار = ردهات) : فيها ١٢٣٥ كتابا أكثرها نسخ كاملة من القرآن الكريم واجزاء متفرقة منه بالإضافة الى كتب دينية أخرى ككتب الحديث والتفسير والفقه .

٨ - مكتبة محمد رشاد وتريال خانم : وتضم الكتب الشخصية العائدة الى السلطان محمد رشاد (محمد الخامس) وكتب تريال خانم من جوارى السلطان محمود الثاني . فيها ٣١٣ كتابا منها ٢٣ كتابا مطبوعا .

٩ - قسم الكتب الحديثة : ويضم الكتب التي جمعت بعد اعلان الجمهورية في تركيا . وفيه ٢٨١٤ كتابا .

المخطوطات التاريخية

١- التواريخ الاسلامية العامة

غاية الرسائل الى معرفة الاوائل

لإسماعيل هبة الله بن أبي الرضا الموصلي
(كان في خدمة الانابك طفرل سنة ٦٣١ هـ ١٢٣٣ م)
يبحث عن اوائل الاشياء ومن وجدها
واستخدمها لأول مرة .

أوله : الحمد لله أولا وأخيرا والصلاة على
علي محمد المبعوث الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ..
تاريخها : ٨٨٥ هـ ١٤٨٠ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٦٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط
س ١١٥ سم .

رقمها : 5725 A.2957

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٥٩٨:١ .

كتاب الوسائل الى معرفة الاوائل :

وهو مختصر كتاب الاوائل لأبي الهلال الحسن
ابن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ
١٠٠٥ م) ، اختصره جلال الدين السيوطي .
أوله : الحمد لله الاول فليس له آخر وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ... وبعد فهذا
كتاب لطيف جامع الاوائل لخصت فيه كتاب الاوائل
للعسكري ... وسميته الوسائل الى معرفة
الاوائل ...

٢٧×١٧ سم ، ٣١ ورقة . ع س ٣٣ ، ط
س ١٢ سم .

رقمها : 5726 A.2343

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١٩٤:١ ، ١٩٧:٢
(٣٠٣) .

ومنه نسخة أخرى من المرجح أنها نسخت في
القرن ١١ هـ ١٧ م .

٢١×١٥ سم ، ٤١ ورقة ، ع س ٢٥ ،
ط س ١٠ سم .

رقمها : 5727 A.3054

وأخرى نسخت لطومباي .

٢١×٢١ سم ، ١٦٠ ورقة . ع س ٩ ،
ط س ١٤ سم .

رقمها : 5728 A.2437

نديم الكرام ونسيم الفرام

لمحمد بن [أبي] فضائل بن عبد الساتر .
يتناول تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين
والعباسيين .

أوله : الحمد لله الذي لا راد لما اراده ولا صاد
عما سبقت به منه ارادة ... نسخة فريدة ، يرجح
أنها نسخت في القرن ٩ هـ ١٤ م .

٢٧×١٩ سم ، ١٢٩ ورقة . ع س ٢١ ، ط
س ١٤ سم .

رقمها : 5729 A.2973

تاريخ الطبري

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ
٩٢٢ م) . وهو تاريخه المسمى تاريخ الامم والملوك
أو أخبار الرسل والملوك .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من بدء
الخليقة حتى زمر افراسياب وكيكاوس بين ايران
وطوران .

أوله : الحمد لله الاول قبل كل اول والآخر
بعد كل آخر والدائم بلا زوال والقائم على كل شيء .
نهايتها ناقصة . يرجح أنها نسخت في القرن
٨ هـ ١٤ م .

٢٥×١٦ سم ، ٢٣٨ ورقة . ع س ١٧ ،
ط س ١١ سم .

رقمها : 5730 A.2929/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢١٧:١ ، كشف
الظنون : ٢٩٧ .

المجلد التاسع : يتناول حوادث ٦٥-٨٠ هـ .

أوله : ثم دخلت سنة خمس وستين ...
ن ق س ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س
١٢ سم .

رقمها : 5731 A.2929/9

المجلد (١١) : يتناول حوادث ١١٨-١٣٣ هـ .

أوله : ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ...
ن ق س ، ٢٣٨ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها : 5732 A.2929/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٢٠٤-٢٥١ هـ .

أوله : ثم دخلت سنة اربع ومائتين ذكر الخبر

عما كان فيها من الاحداث فمما كان فيها من ذلك
قدوم المأمون العراق ...

٢٥٥×١٧ سم ، ٢٥٦ ورقة . ع س ١٩ ،
ط س ١١ سم .

رقمها : 5733 A.2929/12

المجلد (١٣) : يتناول احداث ١٦٢-١٩٨ هـ .
أوله : ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة
ذكر الاحداث الجليلة التي كانت فيها ...

ن ق س ، ٢١١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5734 A.2929/13

مجلد آخر من التاريخ يتناول حوادث ٢٥٥-
٢٩٨ هـ .

أوله : ثم ركب ابن طاهر فيما قبل لاربع
عشرة نقيب من ذى الحجة من هذه السنة ...

تاريخها : ٦٥٠ هـ ١٢٥٢ م .

٢٥٥×١٧ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ١٩ ،
ط س ١١ سم .

رقمها : 5734 A.2929/13

كتاب الفتوح

لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ
٩٢٦ م) . يتناول تاريخ الفتوحات الاسلامية من
عصر الخلفاء الراشدين حتى عهد يزيد . كتب برأي
شيعي على شكل قصة .

المجلد الاول : اوله : قال ابو محمد احمد بن
الكوفي حدثني ابو الحسين علي بن محمد القرشي ..

تاريخها : ٨٧٣ هـ ١٤٦٨ م .

٢٦٥×١٨ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها : 5736 A.2956/1

المجلد الثاني : اوله : ذكر وقعة خروج المختار
قال وخرج ابراهيم بن الاشر ثلك الليلة ...

نسخ من قبل نفس الناسخ وفي نفس التاريخ .

ن ق س ، ٢٧٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5737 A.2956/2

مروج الذهب ومعادن الجوهر

لابي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت
٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) . يتناول تاريخ الاسلام من البداية
حتى زمانه .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله اهل الحمد

ومستوجب الثناء والمجد ... اما بعد فانا صنفنا
كتابنا في اخبار الزمان فقدمنا القول فيه في هيئة
الارض ...

بخط : عبدالعزيز بن يوسف المنهجي سنة
٤٢٨ هـ ١٤٢٣ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط
س ١٢ سم .

رقمها : 5738 A.2950/1

راجع بروكلمان ، الدليل ٢٢٠ : ١ (٣) .

المجلد الثاني : اوله : ذكر جامع التاريخ من
بداء العالم الى مولد النبي واتصل بهذا المعنى قد
ذكرنا فيما سلف كتبنا ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٦ هـ ١٤٢٣ م .

ن ق س ، ٢٣٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5739 A.2950/2

المجلد الثالث : اوله : ذكر خلافة هارون
الرشيد وبويع هارون ابن المهدي يوم الجمعة ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٤ م .

ن ق س ، ٢٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5740 A.2950/3

وللمجلد الاول نسخة اخرى :

٣١×٢١ سم ، ٢١٠ ورقة . ع س ٣١ ، ط
س ١٣٣ سم .

رقمها : 5741 M.528

واخرى للمجلد الثاني تاريخها ١١٣٣ هـ
١٧٢٠ م .

٣١×٢١ سم ، ٢٢٥ ورقة . ع س ٣١ ، ط
س ١٣٣ سم .

رقمها : 5742 M.529

المختار من رسائل (مكاتيب) ابي اسحق الصابي

وهو مختارات من رسائل ابي اسحق ابراهيم
ابن هلال بن ابراهيم الحراني الصابي (ت ٣٨٤ هـ
٩٩٤ م) . الرسالة الاولى تتعلق باسترداد بغداد
سنة ٣٦٤ هـ ٨٧٤ م من الاتراك .

أوله : نسخة كتاب انشاء ابو اسحق بن هلال
الصابي عند فتح بغداد وانهازم الاتراك ...

٢١×١٤ سم ، ٢٣٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط
س ٧٥ سم .

رقمها : 5743 R.1599

راجع : بروكلمان ، الدليل ١ ، ١٥٣-١٥٤ .

عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف

لابي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن احمد بن حكيمون القضاعي (ت ٤٥٤ هـ ١٠٦٢ م) يتناول تاريخ الانبياء والخلفاء .

أوله : الحمد لله المبدي كل شيء الوارث المعيد كل حي ...

بخط : محمد بن محمد بن حسن القمي القرشي في سنة ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م .

١٧×٢٥ سم ، ١٢٠ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5744 A.2898

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٩٤ (١) .

ذيل تجارب الامم وعواقب الهمم

لمحمد بن الحسين بن عبدالله بن ابراهيم بن ظاهرالدين ابي شجاع الرذراواري (ت ٤٨٨ هـ ١٠٩٥ م) . ذيله كتاب تجارب الامم لابي علي احمد ابن محمد بن يعقوب بن مسكويه (ت ٤٢١ هـ ١٠٣٠ م) .

يتناول حوادث ٤٦٩-٤٨٩ هـ .

أوله : اما بعد حمدا لله سبحانه والثناء عليه اهل الحمد والثناء ...

يرجع انها نسخت في حوالي سنة ٧٥٠ هـ .

١٧×٢٤ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5745 A.2899

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٣٨ (٢) .

حوادث السنين

لمؤلف مجهول . يتناول تاريخ الاسلام من مولد النبي (ص) حتى سنة ٥٢٦ هـ ١١٣٢ م على ترتيب السنين .

أوله : الحمد لله رب العالمين ... اما بعد فهذه نبذة من التاريخ لخصتها وجمعتها على سنين الهجرة النبوية واولها مولد رسول الله ...

الورقة الاولى كتبت فيما بعد .

١٧×٢٥ سم ، ١٦٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5746 A.2981

لباب الانساب

لعزالدين بن الاثير (ت ٦٣٠ هـ ١٢٥٢ م) . وهو مختصر كتاب الانساب لابي سعد عبدالكريم ابن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م) .

أوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ...

يرجع انها نسخت في بداية القرن ٩ هـ ١٤ م .

١٧×٢٥ سم ، ٢٢٨ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5747 A.2980

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٥ (١٢) .

البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان

لمحمد بن محمد بن حامد بن عبدالله بن علي ابن محمود الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م) وهو تاريخ اسلامي عام مختصر .. يتناول الحوادث حتى سنة ٦٣٦ هـ رغم ان المؤلف قد توفي سنة ٩٧ هـ ، والراجح انه قد ذيل من قبل شخص آخر .

أوله : الحمد لله خالق الامم وباري النسم ومعلم الانسان مالم يعلم ...

بخط : علي بن أبي القاسم بن خليل سنة ٧٤٤ هـ ١٣٤٣ م .

١٧×٢٥ سم ، ٢١٤ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5748 A.2959

راجع عن المؤلف : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٤٨ .

المنتظم في تواريخ الملوك والامم

لجمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن عمر ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م) . وقد ورد في بروكلمان بشكل « المنتظم في ملقط المتزم » .

المجلد الثاني : أوله : فصل ولما مات الاسكندر عرض ملكه على ابنه ...

يرجع انها نسخت في القرن ٩ هـ ١٥ م .

١٧×٢٥ سم ، ١٤٩ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5749 A.2908/2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٩١٥ ، كشف
الظنون : ١٨٥٠ .

المجلد الثالث : اوله : فصل واختلف العلماء
في سبب نقض الصحيفة على قولين ...

بخط علي بن ابراهيم بن الياس الواسطي
٥٥٥×١٧ سم ، ١٥٣ ورقة . ع س ٢١ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5750 A.2908/3

المجلد الرابع : اوله : وفي سنة عشر من
الهجرة أيضا ...

٥٥٥×١٦ سم ، ١٤٩ ورقة ع س ٢١ ط س
١١٥ سم .

رقمها 5751 A.2908/4

المجلد الخامس : اوله : وفي هذه السنة
فتحت ارمينية على يدي جيب ابن مسلمه الفهري
في قول الواقدي ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٤٤ ورقة . ع س ٢٢ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5752 A.2908/5

المجلد السادس : اوله : شبيب ابن عثمان
ابن ابي طلحه اخبرنا ابو بكر بن ابي طاهر ...

٥٥٥×١٦ سم ، ١٤٥ ورقة . ع س ٢٢ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5753 A.2908/6

المجلد السابع : اوله : ذكر وفاة الحجاج ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٥٥ ورقة . ع س ٢١ ط س
١٢٥ سم .

رقمها 5754 A.2908/7

المجلد الثامن : اوله : ثم دخلت سنة سبع
وثلاثين ومائة فمن الحوادث فيها ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٥٨ ورقة . ع س ٢١ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها 5755 A.2908/8

المجلد التاسع : اوله : ثم دخلت سنة اربع
وسبعين ومائة فمن الحوادث فيها ان الرشيد ولى
اسحق بن سليمان الهاشمي ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٢٨ ورقة . ع س ٢٠ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها 5756 A.2908/9

المجلد العاشر : اوله : ثم دخلت سنة اربع
وتسعين ومائة ومن الحوادث فيها مخالفة أهل
حمص عاملهم اسحق بن سليمان ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٣٥ ورقة . ع س ٢٢ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها 5757 A.2908/10

المجلد (١١) اوله : ثم دخلت سنة سبع عشرة
ومائتين فمن الحوادث فيها ورد المأمون الى مصر ..

٥٥٥×١٦ سم ، ١٥٢ ورقة . ع س .
مختلف : ط س ١١٥ سم .

رقمها 5758 A.2908/11

المجلد (١٢) : اوله : ثم دخلت سنة ثمان
واربعين ومائتين فمن الحوادث فيها ان المنتصر اغزا
وصيفا التركي الصايغه ارض الروم ...

٥٥٥×١٦ سم ، ١٥٥ ورقة ، ع س مختلف
ط س ١١٥ سم .

رقمها 5759 A.2908/12

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٢٤٨ - ٣٢٩ هـ
اوله : باب ذكر خلافة المكتفي بالله واسمه
علي بن المعتضد ...

٥٥٥×١٧ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف
ط س ١٢ سم .

رقمها 5760 A.2908/13

المجلد (١٤) : يتناول حوادث ٣٢٩ - ٣٨٧ هـ
اوله : باب خلافة المكتفي لله واسمه ابراهيم
ابن المكتدر ...

تاريخها : ٨٠٥ هـ ١٤٠٢ م .

٥٥٥×١٦ سم ، ١٥٤ ورقة . ع س
مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها 5761 A.2908/14

المجلد (١٥) : يتناول حوادث ٣٨٧ - ٤٤٧ هـ .
اوله : احمد بن اسمعيل بن عنبس بن اسمعيل
ابن الحسين المعروف بابن شمعون ...

تاريخها : ٨٠٥ هـ ١٤٠٢ م .

٥٥٥×١٦ سم ، ١٦٠ ورقة . ع س مختلف
ط س ١٢ سم .

رقمها 5762 A.3742

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ٤٤٨-٤٨٥ هـ .
 اوله : ثم دخلت سنة ثمان واربعين واربعمائة
 فمن الحوادث فيها انه في مستهل المحرم عقد عميد
 الملك الكندري وزير طغرل بك ...
 تاريخها : ٨٠٦ هـ ١٤٠٣ م .
 ١٧×٢٦ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ،
 ط س ١٢ سم .
 رقمها : 5763 A.2908/16

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٤٨٦-٥٣٣ هـ .
 اوله : ثم دخلت سنة ستة وثمانين واربعمائة
 فمن الحوادث فيها انه كان قد قدم الى بغداد في
 شوال سنة خمس وثمانين رجل من اهل مرو ...
 تاريخها : ٨٠٦ هـ ١٤٠٣ م .
 ٢٥٥×١٦ سم ، ١٥١ ورقة . ع س
 مختلف ، ط س ١٢ سم .
 رقمها : 5764 A.2908/17

المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٥٣٤-٥٧٤ هـ .
 اوله : ثم دخلت سنة اربع وثلثين وخمسين
 مائة فمن الحوادث فيها انه بدا بهم بهروز ...
 تاريخها : ٨٠٦ هـ ١٤٠٣ م .
 ١٧×٢٥ سم ، ١٢٢ ورقة . ع س مختلف
 ط س ١٢ سم .

رقمها : 5765 A.2908/18
 وهناك نسخ اخرى لمجلدات الكتاب :

المجلد الاول : يتناول الاحداث من خلق آدم
 حتى شعيب (ع) .

اوله : الحمد لله الذي كشف عن قلوب اوليائه
 حجاب الغفلة وانهج لهم الى محبته واكتساب
 علومه ... اما بعد فهذا مجموع يحتوي على شيء
 من مبدأ الخلق ومنتهاه ثم شيء منى (من) قصص
 الانبياء ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩ هـ ١٤ م .
 ١٨×٢٧ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط
 س ١٣ سم .
 رقمها : 5766 A.2909/1
 المجلد الثاني : اوله : قصة موسى وخضر
 عليهما السلام ...
 تاريخها ٨١٥ هـ ١٤١٢ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط
 س ١٣ سم .
 رقمها : 5767 A.2909/2
 المجلد الثالث : اوله : ازواج النبي صلعم
 اختلفوا [في] عددهن فاكثروا قالوا سبع عشرة
 امرأة مهره سوا السراري ...
 ٢٦×١٧ سم ، ٢٥٩ ورقة . ع س ١٥ ،
 ط س ١٣ سم .
 رقمها : 5768 A.2909/3

تحفة الظرفاء في أخبار الانبياء والخلفاء .

لابي الحسن علي بن ابي السرور بن عبدالله
 الروحي .
 وهو مختصر تاريخ الاسلام يتناول الوقائع
 من البداية حتى سنة ٥٦٧ هـ .
 اوله : الحمد لله رب العالمين ... اما بعد
 فاني ذاكر في كتاب [ي] هذا نسب رسول الله .
 يرجح انها نسخت في القرن ٩ هـ ١٥ م .
 ٢٥×١٨ سم ، ١٦٨ ورقة . ع س ١١ ، ط
 س ١٢ سم .
 رقمها : 5769 A.3047
 راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٨ .

الكامل في التاريخ

لابي الحسن علي بن ابي الكرم اثير الدين محمد
 ابن عبدالكريم عز الدين ابن الاثير (٦٣٠ هـ ١٢٢٣ م) .
 هذا المجلد يتناول الاحداث من البداية حتى
 سنة ٦٢٣ هـ .
 اوله : الحمد لله القديم فلا اول لوجوده
 الدائم الكريم ...
 بخط ابي حامد محمد بن علي سنة ٧٠٥ هـ
 ١٣٠٥ م .
 ٢٩×١٩ سم ، ٨٤١ ورقة . ع س ٢٣ ، ط
 س ١٤ سم .
 رقمها : 5770 A.2971
 راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٨ .
 ومنه اجزاء متفرقة .
 مجلد يتناول حوادث ٤١-٢٠٠ هـ .
 بخط علي بن حمزة بن الحسن عماد الشيرازي
 سنة ٧١٠ هـ ١٣١٠ م .

المجلد السادس : أوله : السنة التاسعة
والستون فيها شرع عبدالملك بن مروان ...
ن ق س ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س
١٢ سم .

رقمها 5778 A.2907/6

المجلد السابع : أوله : ذكر وفاة عمر بن عبد
العزيز ... قال أبو سليم الهذلي خطب عمر بن عبد
العزيز فقال أما بعد ...
ن ق س ، ٢٩٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5779 A.2907/7

المجلد الثامن : أوله : عبدالله بن عبدالرحمن
ابن عتبة ويعرف بابن حجدم الفهري ...
ن ق س ، ٣٣٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5780 A.2907/8

المجلد التاسع : أوله : السنة المائتان فيها في
أول يوم من المحرم لما انصرف الحاج من مكة ...
ن ق س ، ٢٩٤ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5781 A.2907/9

المجلد العاشر : أوله : السنة السادسة
والخمسون بعد المائتين فيها قدم موسى بن يفسا
سامرا ...
ن ق س ، ٢٧٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5782 A.2907/10

المجلد (١١) : أوله : السنة الثلاثون وثلثمائة
في يوم الأحد لثمان خلون من المحرم وجد كورتيين
الدلمي في درب سليمان ...

ن ق س ، ٢٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5783 A.2907/11

المجلد (١٢) : أوله : السنة الخامسة
والاربعمائة في خامس المحرم ورد كتاب من مكة مع
بدويين ...

ن ق س ، ٢٦٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س
١٢ سم .

رقمها 5784 A.2907/12

المجلد (١٣) : أوله : السنة الرابعة والستون
والاربعمائة فيها استولى النواكيه الذين هربوا من
أب أرسلان على الشام ...

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س
١٢ سم .

رقمها 5785 A.2907/13

٣٧×٢٥٥ ، ٢٦٦ ورقة ، ع س ٣١ ، ط س
١٧٥ سم .

رقمها 5771 A.2934

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٢٩٥ - ٣٦٩ هـ
تاريخها ٧٦٤ هـ ١٣٦٣ م .

٢٥٥×١٧ سم ، ٢٤٣ ورقة ، ع س ٢١ ط
س ١٢٥ سم .

رقمها 5772 R.1563

مرآت (كذا) الزمان في تاريخ الاعيان

لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قسز
أوغلو بن عبدالله سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ
١٢٥٧ م) .

المجلد الاول : أوله : الحمد لله الواحد القديم
المنان الماجد العظيم المنان ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩ هـ ١٤ م .
٢٧×١٧٥ ، ٣٥٥ ورقة ، ع س ١٣ ، ط س
١٢ سم .

رقمها 5773 A.2907/1

راجع : بروكلمان ، الدليل ، ١ : ٥٨٩ .
المجلد الثاني : أوله : ثم ان شعيبا اقام في
أهل الايكة يدعوهم الى الله ...

ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5774 A.2907/2

المجلد الثالث : أوله : ومنها يوم مبايض كان
الفرسان اذا كانت ايام عكاظ في الشهر الحرام ...
ن ق س ، ٢٤٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5775 A.2907/3

المجلد الرابع : أوله : عبيد الله بن قيس بن
الربيع بن قيس بن عامر الخزرجي من الطبقة
الاولى ...

ن ق س ، ٣٠٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5776 A.2907/4

المجلد الخامس : أوله : السنة الرابعة عشر
فيها كانت وقعة القادسية ...

تاريخها ٨٦٩ هـ ١٤٦٥ م .

ن ق س ، ٣٣٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5777 A.2907/5

المجلد (١٤) : أوله : السنة السابعة والاربعون وخمسمائة قال ابو العباس الواسطي في تاسع المحرم ...

ن ق س ، ٢٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5786 A.2907/14

وهناك نسخ اخرى متفرقة لمرآة الزمان :

المجلد الثامن : أوله : السنة السابعة والاربعون بعد المائة خلع فيها ابو جعفر ابن اخيه ..
٢٧٥×١٨٥ سم ، ٢٧٠ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5787 A.2907/b.8

المجلد الاول : أوله : الحمد لله الواحد القديم المنان ...

٢٧٥×١٨ سم ، ١٩٥ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5788 A.2907/c.1

المجلد الثالث : أوله : ذكر من استشهد يوم بدر من المسلمين . عاقل بن الكبير ...

تاريخها ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5798 A.2907/c.3

المجلد الرابع : أوله : السنة الثانية والعشرون وفيها كتبه عمر رضوان الله عليه الى معاوية بن أبي سفيان ...

تاريخها ٨٧٩ هـ ١٤٦٤ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٥٣ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5790 A.2907/c.4

المجلد السادس : أوله : السنة الثانية والسبعين فيها كمل بناء قبة الصخرة ...

بخط أبي الخير محمد بن احمد بن محمد المعجمي سنة ٨٧٩ هـ ١٤٧٤ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٨١ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5791/2907/c.6

المجلد السابع : أوله : السنة الخامسة بعد المائة فيها قطع مسلم بن سعيد والي خراسان ...

بخط أبي الحسن علي بن حسن سنة ٨٧٩ هـ ١٤٧٩ م .

ن ق س ، ٢٦٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5792/2907/c.7

المجلد الثامن : أوله : السنة الستون بعد المائة فيها خلع المهدي عيسى بن موسى قد ذكرنا امتناعه فبعث اليه قائدا من قواده ...

ن ق س ، ٢٩٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5793 A.2907/c.8

المجلد (١٣) : أوله : السنة الحادية والعشرون وخمسمائة في المحرم جاء عسكر السلطان محمود الى باب النوبي ...

٢٧٥×١٨ سم ، ٣٩٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5794 A.2907/c.13

مختصر مرآة الزمان

أوسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) .

المجلد الثاني : أوله : يا قوم ان شعبا مرسل فدعوا عنكم سميرا وعمران بن شداد ...

٢٥×١٨ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5795 A.2907/d.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الخامس : أوله : السنة الثالثة عشر فيها كانت وقعة القادسية ..

الاوراق الاخيرة من هذا المجلد وضعت في نهاية المجلد الثالث من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، الرقم A.5925

٢٥×١٨ سم ، ٢٢٨ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5796 A.2907/d.5

المجلد الثامن : أوله : عبدالله بن عبدالرحمن ابن عتبة ويعرف بن [بائن] حجدم الفهري ...

بخط احمد بن العليم الحكيمي سنة ٧١٨ هـ ١٣١٨ م .

٢٥×١٨ سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5797 A.2907/d.8

المجلد العاشر : اوله : السنة الخامسة عشر
بعد المائة فيها وقع بخراسان قحط شديد
ومجاعة ...

نفس الناسخ سنة ٧١٨ هـ ١٣١٨ م .

ن ق س ، ٢٤٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5798 A.2907/d.10

المجلد (١٢) : اوله : ذكر اقوال الناس في
البرامكة ومراثيهم ...

نفس الناسخ سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م .

ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ع س ٢١ ، ط س
١٢٥ سم .

رقمها 5799 A.2907/d.12

المجلد (١٧) : اوله : السنة الحادية والاربعمئة
فيها خطب أبو المنيع قرواش بن المقلد معتمد
الدولة ...

بخط : احمد بن العليم سنة ٧٢٣ هـ ١٣٢٣ م

٢٦×١٨ سم ، ٢٥٠ ورقة . ع س ٢١ ،

ط س ١٣ سم .

رقمها 5800 A.2907/d.17

المجلد (١٩) : اوله : ذكر وفاة عبدالله بن
ابراهيم بن عبدالله أبو حكيم ...

٢٥×١٨ سم ، ٢٤٧ ورقة ، ع س ٢١ ،

ط س ١٣ سم .

رقمها 5801 A.2907/d.19

ذيل على مرآة الزمان :

لمؤلف مجهول .

المجلد الثاني : اوله : وفيها توفي علي بن عمر
ابن بنا ...

تاريخها : سنة ٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٥ ،

ط س ١٢ سم .

رقمها 5808 A.2907/I.2

المجلد الثالث : اوله : السنة التسعون
وستمئة استهلكت هذه السنة والخليفة الامام الحاكم
بأمر الله ابو العباس احمد العباس وسلطان الديار
المصرية ...

٢٧×١٨ سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ٢٥ ،

ط س ١٢ سم .

رقمها 5803 A.2907/I.2

المجلد الرابع : اوله : السنة الثانية والسبع
مائة دخلت هذه السنة وخليفة المسلمين يومئذ
الامام المستكفي بالله ...

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ط س

١٢ سم .

رقمها 5804 A.2907/I.4

ذيل على مرآت (كذا) الزمان

لموسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبي

(ت ٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) .

المجلد الثاني : اوله : فبقى متوليا الخطابة
والامامة بجامع دمشق ...

بخط خالد بن يوسف بن نوح سنة ٧٢٢ هـ

١٣٢٢ م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩٨ ورقة ع س ٢٠ ، ط س

١٣ سم .

رقمها : 5805 A.2907/F.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الثالث : اوله : السنة الرابعة والستون
والستمائة من حوادثها وتوجه الملك الظاهر محفر
خليج الاسكندرية ...

٢٦×١٨ سم ، ١٩٦ ورقة . ع س ١٧ ط س

١٣٥ سم .

رقمها 5806 A.2907/F.3

المجلد الرابع : اوله : الانابك ختن البر وانه

هل كانوا موافقين ...

تاريخها ٧٢٢ هـ ١٣٢٢ م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ١٧ ، ط

س ١٣ سم .

رقمها 5807 A.2907/F.4

المجلد الخامس : اوله : السنة الثمانون

والستمائة ...

ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5808 A.2907/F.5

المجلد الاول :

بخط علي بن عيسى .

٢٧×١٨ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢٧ ،

ط س ١٢ سم .

رقمها 5809 A.2907/g.1

المجلد (١٣) : اوله : السنة الحادية والستون وخمسائة ...

تاريخها : ٨٨٨ هـ ١٤٨٣ م .

ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5810 A.2907/g.13

المجلد (١١) : يتناول حوادث ٢٦١ - ٣٢٦ هـ

اوله : السنة الحادية والستون بعد المائتين ..

٢٧٥ × ١٩٥ سم ، ١٩٧ ورقة . ع سم ٢١

ط س ١٤٥ سم .

رقمها 5811 A.2907/h.11

المجلد الثالث : اوله : وفيها في يوم الاثنين

سبع وعشرين شهر رجب توفي الامير جمال الدين

ابو الحسن علي بن درباش بن يوسف ...

٢٦ × ١٩ سم ، ٢٨٧ ورقة . ع س ١٩ ، ط

س ١٢٥ سم .

رقمها 5812 A.2907/I.3

المجلدات (٤-١) اولها : الحمد لله الواحد

القديم المنان ...

٢٦ × ٢٢ سم ، ٤١٥ ورقة . ع س ٢١ ،

ط س ١٣ سم .

رقمها 5813 A.2931/1-4

المجلدات (٨-٥) اولها : السنة الرابعة من

الهجرة فيها كانت سرية ...

ن ق س ، ٣٩٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5814 A.2931/5-8

المجلدات (١٣-١٦) : اولها : السنة الثانية

والثلثون بعد المائة وفيها هلك قحطبة بن شبيب بن

خالد بن معدان ...

ن ق س ، ٣٧٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5815 A.2931/13-16

المجلد (١٨) : اوله : السنة الخامسة والثلثون

وثمانمائة وفيها توفي الحسن بن حمويه بن

الحسين ...

ن ق س ، ١٥٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5816 A.2931/18

مختصر تاريخ البشر

لابي الفداء اسماعيل بن علي بن محمود بن

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب الايوبي (ت

٧٣٢ هـ ١٣٣١ م) .

يتناول الاحداث من البداية حتى ٧١٠ هـ .

اوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار

بالاجال ...

يرجع انها نسخت في القرن ٨ هـ ١٤ م .

٣٦ × ٢٥ سم ، ٣١٨ ورقة . ع س ٢٣ ، ط

س ١٩٥ سم .

رقمها 5817 A.2933

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ ، كشف

الظنون ، ١٦٢٩ .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من البداية

حتى ٤٤١ هـ .

اوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار

بالاجال ...

٢٥ × ٣٥ سم ، ١٨٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٩٥ سم .

رقمها 5818 A.2936/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٤٤٢ - ٧٠٩ م .

اوله : معه ذكر وفاة مودود في هذه السنة

من رجب ...

ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5819 A.2936/2

ومنه نسخة اخرى :

٢٤ × ١٧ سم ، ٢٧٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط

س ١١٥ سم .

رقمها 5820 R.1067

كنز الدرر وجامع الفرر :

لابي بكر بن عبدالله بن آبيك الدواداري (ت

٧٣٢ هـ ١٣٣١ م) .

وهو خلاصة لكتاب المؤلف الموسوم « درر

التيجان وقرر تواريخ الزمان » .

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ .

المجلد الثالث : اوله : الحمد لله الذي لا تراه

العيون بمشاهدة العيان ...

تاريخها ٧٣٣ هـ ١٣٣٣ م .

٢٤ × ٢٥ سم ، ١٦٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط

س ١٧ سم .

رقمها 5821 A.2932/3

المجلد السادس : يتناول تاريخ الدولة

الفاطمية من حسن بن علي حتى سنة ٥٥٤ هـ .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الباقي بعد
فناء خلقه الكافي من توكل عليه ...
يرجع انها نسخت في النصف الاول من القرن
٨هـ ١٤م .

٢٤×١٦ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط
س ١١ سم .

رقمها 5827 A.2917/1

راجع بروكلمان ، الدليل ، ٢ : ٤٥ .

المجلد الثاني : يتناول شمائل النبي وحوادث
سنة ٦٧هـ .

اوله : باب آخر سورة نزلت ...

ن ق س ، ٢٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5828 A.2917/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٦٨-١٢هـ

اوله : ذكر وقعة الخازر ...

ن ق س ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5829 A.2917/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ١٢٤ - ١٥٠هـ

اوله : ذكر رجال هذه الطبقة على الحروف ..

ن ق س ، ٢٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5830 A.2917/4

المجلد الخامس : يتناول حوادث ١٥٠-٢٠٠هـ

اوله : بقية الطبقة ...

ن ق س ، ٣٠٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5831 A.2917/5

المجلد السادس : اوله : اسمعيل بن ابراهيم
.. الاسدي ...

ن ق س ، ٢٨٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5832 A.2917/6

المجلد السابع : يتناول وفيات سنة ٢٣٢هـ .

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5833 A.2917/7

المجلد الثامن : يتناول وفيات سنة ٢٦٢هـ .

اوله : الطبقة السابعة والعشرون .

ن ق س ، ٣١٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5834 A.2917/8

المجلد التاسع : يتناول وفيات سنوات ٣٠٠ -
٥٥٠هـ .

اوله : الحمد لله الذي خصنا بالاسلام وشرقنا
اذ جعلنا من انه محمد البدر التمام ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5822 A.2932/6

المجلد السابع : يتناول تاريخ الدولة الايوبية
من ٦٤٨هـ - ٦٥٥هـ .

وله : الحمد لله انشاء الجنين في الاحشاء ..

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5823 A.2932/7

المجلد الثامن : يتناول تاريخ الدول التركية
من ٦٤٧ - ٦٩٦هـ .

اوله : الحمد لله الذي اطفى فآحمد جمرة
الاشراك ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٧٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5824 A.2942/8

المجلد التاسع : يتناول ترجمة الملك الناصر
من ٦٩٩ - ٧٣٥هـ .

اوله : الحمد لله الملك الناصر مولانا السلطان
الملك الناصر ...

تاريخها ٧٣٦هـ ١٣٣٥م .

ن ق س ، ١٧١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5825 A.2932/9

الخير في اخبار البشر [ممن عبر]

للذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) . وهو مختصر
تاريخه الاسلامي ، هذا المجلد يتناول حوادث
٢٤٠-١هـ .

اوله : الحمد لله مميت الاحياء ومحبي الاموات
ومبدي الاشيا ومبيد البريات ...

٢٧×١٨ سم ، ٢٦٩ ورقة . ع س ٢٧ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5826 A.3030

راجع بروكلمان ، الدليل ، ٢ : ٤٦ .

تاريخ [دولة] الاسلام

لمحمد بن احمد بن عثمان بن قايمان الذهبي
(ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) .

أوله : الطبقة الحادية والثلاثون المتوفون سنة
أحدى وثلاثمائة ...

ن ق س ، ٢٥٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5835 A.2917/9

المجلد العاشر : من ٣٣١ - ٤١٦ هـ .

أوله : الطبقة السادسة والثلاثون أحدى
وخمسين وثلاثمائة ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٣١٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5836 A.2917/10

المجلد (١١) : يتناول سنوات ٤١٦ - ٤٧٨ هـ

أوله : علي بن عبدالله أبو القاسم ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١١ سم .

رقمها 5837 A.2917/11

المجلد (١٢) : يتناول ٤٧٨ - ٥٢٤ هـ .

أوله : علي بن محمد أبو الحسن الفزنوي ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١١ سم .

رقمها 5838 A.2917/12

المجلد (١٣) : يتناول ٥٢٥ - ٥٦٤ هـ .

أوله : محمد بن عبدالله بن توموت بن عبدالله .

٢٤ × ١٦ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ٢٧ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5839 A.2917/13

المجلد (١٤) : يتناول ٥٦٥ - ٦٠٠ هـ .

أوله : أحمد بن صالح بن سام بن طاهر أبو

الفضل ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5840 A.2917/14

المجلد (١٥) : يتناول ٣٠١ - ٦٧٠ هـ .

أوله : القرن الرابع وما جرى فيه من

الحوادث الكبار من كلام ابن الجوزي وغيره الطبقة

الحادية والثلاثون سنة أحدى وثلاثمائة ...

٢٥ × ١٧ سم ، ٣٤٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5841 A.2917/15

المجلد (١٦) : أوله : الطبقة الحادية (كذا)

والستون سنة أحدى وستمائة أحمد بن سالم بن

أبي عبدالله أبو العباس المقدسي ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٤ ، ط

س ١١ سم .

رقمها 5842 A.2917/16

المجلد (١٧) : أوله : أحمد بن أبي الفتح أحمد

بن موسى الشريف أبو العباس الجعفري البغدادي .

٢٥ × ١٦ سم ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٣ سم .

رقمها 5843 A.2917/17

المجلد (١٨) : أوله : سنة ثمان وأربعين

وستمائة ... أحمد بن محمد بن عبدالعزيز بن

الحسين بن عبدالله ...

٢٥ × ١٦ سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5844 A.2917/18

النسخ الأخرى من الكتاب :

المجلد الأول : أوله : قال الشيخ ... شمس

الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الكافي ...

بخط : محمد بن هبة الله بن عبدالرحمن في

دمشق سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م .

٢٦ × ١٨ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5845 A.2917/b.1

المجلد الثاني : أوله : خلافة الصديق رضي

الله عنه ... قال هشام بن عروة عن أبيه عن

عائشه ..

بخط نفس الناسخ في دمشق سنة ٧٣٧ هـ

١٣٣٦ م .

٢٦ × ١٨ سم ، ٣١٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5846 A.2917/b.2

المجلد الثالث : أوله : الطبقة الثانية عشر ذكر

سنة أحدى عشرة ومائة ...

٢٦ × ١٨ سم ، ٣٠٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٢ سم .

رقمها 5847 A.2917/b.3

المجلد الرابع : أوله : الطبقة الحادية

والعشرون سنة أحدى ومائتين ...

٢٦ × ١٨ سم ، ٣٢٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط

س ١٤ سم .

رقمها 5848 A.2917/b.4

المجلد الخامس : اوله : سنة اثنتين وثمانين
وثلاثمائة ...
٢٦٥ × ١٨٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٤ سم .
رقمها 5849 A.2917/b.5

مختصر تاريخ الاسلام

لمحمد بن عثمان بن قايمار الذهبي (ت ٧٤٨ هـ
١٣٤٨ م) . وهو مختصر كتابه الكبير تاريخ الاسلام
من صنع المؤلف نفسه . يتناول الاحداث من
البداية حتى ٨١٦ هـ .
اوله : الحمد لله العلي الكبير على الحمد له
فانه نعم المولى ونعم النصير ...
٢٧٣ × ١٨ سم ، ٣٧٣ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٣ سم .
رقمها 5850 A.2918
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٥ .

تتمة المختصر في اخبار البشر

لابي حفص بن المظفر بن عمر القرشي البكري
المعري زين الدين ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ ١٣٤٩ م) .
وهو تتممة كتاب أبي الفداء الأنف الذكر .
اوله : الحمد لله المنفرد بالبقاء والقدم المنزه
عن الفناء والعدم ... بخط أبي بكر بن احمد سنة
٨٦٩ هـ ١٣٤٨ م .
٢٧٥ × ١٧ سم ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ .
رقمها : 5851 A.2961
راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٥ .

الجزء الثاني من كتاب المعرفة والتاريخ

لابي يوسف يعقوب بن سفيان القسوي (ت
حوالي سنة ٧٥٠ هـ ١٣٥٠ م) . كتبه بالاسناد الى
رواية أبي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه
(ت ٣٤٦ هـ ٩٥٦ م) .
اوله : أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين
ابن الفضل القطان ببغداد ...
راجع عن التراجم : بروكلمان ، الذيل ، ١ :
١٧٤ ، الجزء الثالث من هذا الكتاب ضمن مجموعة
اسعد افندي رقمه (٢٣٩١) .
يرجح انها نسخت في القرن ٨ هـ ١٤ م .
٢٧٥ × ١٨ سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ،
ط س ١١ سم .
رقمها 5852 R.1554

عيون التواريخ

لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ ١٣٣٦ م) .
المجلد الاول : من بداية الاسلام حتى وفاة
النبي .
اوله : الحمد لله الذي منحنا مزيد الاحسان
وخصص بالنطق والهداية نوع الانسان ... بخط
المؤلف .
٢١٥ × ١٥ سم ، ١٧٧ ورقة . ع س ١٩ ،
ط س ١١ سم .
رقمها 5853 A.2922/1
المجلد الثاني : من خلافة أبي بكر حتى سنة
٥٣ هـ .
اوله : قال سيف الدين بن عمر عن سهل بن
يوسف عن عمرو بن يحيى ...
ن ق س ، ١٧١ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5854 A.2922/2
المجلد الثالث : يتناول حوادث ٥٤-٩٥ هـ .
اوله : السنة الرابعة والخمسون فيها عزل
معاوية سعيد بن العاص عن المدينة ...
ن ق س ، ١٧٤ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5855 A.2922/3
المجلد الرابع : يتناول حوادث ٩٦-١٢٠ هـ .
اوله : السنة السادسة والتسعون فيها
تكامل بناء جامع الاموي بدمشق ...
ن ق س ، ١٦٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5856 A.2922/4
المجلد السادس : يتناول حوادث ١٤٤ -
١٨٥ هـ .
اوله : ثم دخلت سنة اربع واربعين ومائة
فيها قدم محمد المهدي على أبيه ...
ن ق س ، ١٧٦ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5857 A.2922/6
المجلد السابع : يتناول حوادث ١٨٦-٢١٧ هـ
اوله : ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة
فيها خرج علي عيسى بن ماهان في مرو ...
ن ق س ، ١٧٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5858 A.2922/7
المجلد العاشر : يتناول حوادث ٢٩٧-٣٣٧ هـ
اوله : السنة السابعة والتسعون بعد المائتين
فيها غزا القاسم بن ...

ن ق س ، ١٧١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5859 A.2922/10

المجلد (١١) : يتناول ٣٣٨-٣٧٢ هـ .

أوله : السنة الثامنة والثلاثون والثلاثمائة في ربيع الأول فيها وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة ...

ن ق س ، ١٧٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5860 A.2922/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٠٥-٥٤٠ هـ .

أوله : السنة الخامسة والخمسمائة فيها بعث السلطان غياث الدين محمد جيشا كثيفا ...

ن ق س ، ١٧٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5861 A.2922/12

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٥٤١-٥٦٩ هـ .

أوله : ذكر من توفي في هذه السنة [من] الأعيان وهي السنة الحادية والأربعون والخمسمائة .

ن ق س ، ١٦٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5862 A.2922/17

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٦٧١-٦٨٧ هـ .

أوله : السنة الحادية والسبعين والستمائة استهلكت هذه السنة والخليفة والملوك على القاعدة المستقرة ...

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5863 A.2934

المجلد (٢٢) : يتناول حوادث ٦٨٨-٧٣٠ هـ .

أوله : السنة الثامنة والثمانون والستمائة استهلكت هذه السنة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله ...

ن ق س ، ١٧٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5864 A.2922/22

المجلد (٢٤) : يتناول حوادث ٧٣١-٧٥٩ هـ .

ن ق س ، ١٥٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5865 A.2922/24

المجلد الثاني من تاريخ الياضي المسمى بمرآت الجنان

لعفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (ت ٧٦٨ هـ ١٣٦٧ م) . يتناول الحوادث حتى سنة ٤٠١ هـ .

أوله : سنة إحدى وأربع مائة فيها أقام

صاحب الموصل الدعوة ببلده للحاكم أحد خلفاء الباطنية ...

يخط : محمد بن سالم بن صلاح سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ .

٢٧٥ × ١٨٥ سم ، ٣٢٤ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5866 A.2970

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٢٢٨ (١٣) ، كشف الظنون ١٦٤٧ .

البداية والنهاية :

لأبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين ابن الخطيب القرشي (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م) .

المجلد الأول : من بدء الخليفة حتى قصص بني إسرائيل .

أوله : الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر . تاريخها ٨٤٠ هـ ١٤٣٧ م .

١٨٥ × ١٣٥ سم ، ٢٥٢ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ٩ .

رقمها 5867 A.2923

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٤٨ (١) .

المجلد الثاني : أوله : كتاب أخبار العرب قيل أن جميع العرب المنتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ...

يرجح أنها نسخت في القرن ٩ هـ ١٥ م .

٢٧ × ١٩ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5868 K.884

المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٦-٤٠ هـ .

أوله : ذكر فتح المداين التي هي مستقر مملكة الأكاسرة ...

تاريخها ٨٤٠ هـ ١٤٣٧ م .

١٨ × ١٣ سم ، ٢٤٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5869 A.2923/a.8

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٦٣-٩٤ هـ .

أوله : وممن توفي فيها عبدالمطلب بن ربيعة ابن الحارث .

تاريخها ٨٤٢ هـ ١٤٣٨ م .

أوله : كتاب جامع الاخبار (كذا) الا - ...
المتقدمين ...

بخط احمد بن علوي بن حمزة .
٢١٥ × ١٥ سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ١٧ ،
ط س ١١ سم .

رقمها 5876 A.2923/d.4

المجلد الخامس : يتناول قسما من تاريخ
السيرة النبوية .

أوله : وقد قال الامام احمد ...

١٧٥ × ٢٦ سم ، ٢٧٤ ورقة . ع س ٢٣ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5877 A.2923/I.5

المجلد السادس : يتناول السيرة النبوية .

أوله : سنة احدى عشر من الهجرة ...

٢٦ × ١٧ سم ، ٢٣٠ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5878 A.2923/f.6

المجلد الاول : من بدء الخليقة حتى النبي يحيى

أوله : الحمد لله الاول والآخر .

٢٧٣ × ١٨ سم ، ٢٤١ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٤ سم .

رقمها 5879 A.2923/g.1

المجلد الاول : من البداية حتى نهاية تاريخ
الانبياء .

بخط محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي
سنة ٧٧٢ هـ ١٢٧٠ م .

٢٥٥ × ١٨ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٢٥ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها : 5880 A.2923/h1

المجلدان الاول والثاني :

٢٥٥ × ١٧ سم ، ٢٦٧ ورقة . ع س ٣٥ ،
ط س ١٥ سم .

رقمها : 5881 A.2923/I1-2

مجلد آخر يحوي اجزاء مختلفة من تاريخ
ابن كثير .

٢٧٥ × ١٨ سم ، ٣١٤ ورقة . ع س ٢٣ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5882 A.2923/J.1

١٨ × ١٣ سم ، ٢٤٥ ورقة . ع س ١٧ .

رقمها 5870 A.2923/a.10

المجلد الرابع : أوله : فصل في اسلام عمر ابن
الماص وخالد بن الوليد ...

بخط : يوسف بن حسن بدرالدين عبدالهادي
سنة ٨٦٨ هـ ١٤٦٤ م . رديئة الكتابة .

٢٧٥ × ١٨ سم ، ٢٢٩ ورقة . ع س
مختلف ، ط س ١٧ سم .

رقمها 5871 A.2923/b.4

المجلد الخامس : أوله : فصل ومما يتعلق
بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة ...

بخط نفس الناسخ .

رديئة الكتابة .

٢٧٥ × ١٨ سم ، ٢١٨ ورقة . ع س
مختلف . ط س ١٧ سم .

رقمها 5872/2923/b.5

المجلد السادس : يتناول حوادث ٣٥-٥٥ هـ .

أوله : خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

يرجع انها نسخت في القرن ٩ هـ ١٥ م .

٢٧٥ × ١٨ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ٢٧ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5873 A.2923/b.6

المجلد السابع : يتناول حوادث ٣٤-٦٣ م .

أوله : ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ... قال

أبو معشر فيها كانت غزوة الصواري ...

نقلت عن النسخة الاصلية سنة ٨٧١ هـ
١٤٦٦ م .

٢٧٣ × ١٨ سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢١ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5874 A.2923/c.7

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٦٤-١٠١ هـ .

أوله : اماره عبدالله بن زبير وعند ابن حزم

وطائفة انه امير المؤمنين في هذا الحين ...

بخط يوسف بن ابراهيم سنة ٨٧٠ هـ ١٤٦٥ م
٢٧ × ١٨ سم ، ٢٥٤ ورقة . ع س ٢٣ ،
١٣ سم .

رقمها 5875 A.2923/c.8

المجلد الرابع : يتناول تاريخ الانبياء

مقدمة تاريخ ابن خلدون - العبر وديوان المبتدا والخبر

لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م) .

المجلد الاول : اوله : يقول العبد الفقير عبداً الرحمن بن محمد بن خلدون . . الحمد الذي (كذا) له العزة والجبروت . . .

٢٦٥ × ١٨٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5883 A.3042

مجلد من تاريخ ابن خلدون يتناول تاريخ الامويين والخلفاء المنصورين في مصر بعد انقراض الخلافة في بغداد .

٣١٥ × ٢٢ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣٥ ، ط س ١٥ سم .

رقمها 5884 A.3042/b.1

مجلد آخر منه يتناول حكام اثريقيا والاناضول (بلاد الروم) .

ن ق س ، ١٩٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5885 A.3042/b.1a

(الظاهري) في العبر والمعجم والبربر

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م) وهو تاريخه الموسوم بالعبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر واسم الكتاب محرف واضيف اليه اسم الظاهري .

المجلد الثالث : اوله : الكتاب الثاني في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليفة الى هذه العهد . . .

يرجح انها نسخت في القرن ١٠ هـ ١٦ م .

٢٧ × ١٨ سم ، ٤٣٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5886 A.2924/3-4

راجع بروكلمان ، الدليل ، ٢ : ٣٤٣ .

ومنه مجلد يضم الجزئين الثالث والرابع يبحث عن الطبقة الرابعة من العرب المسماة بالعرب المستعجمة ودخول بني هلال الى المغرب الاقصى واحوال البربر ورؤساء بني ثابت في طرابلس .

الجزء الثالث منه يتناول تاريخ العرب

والبابليين والنبطيين والسريان والقبسط وبني اسرائيل والفرس وملوك الطوائف واليونان والروم .

والجزء الرابع منه يتناول الطبقة الرابعة من العرب وانسابهم من ظهور الاسلام حتى شهادة علي .

ن ق س ، ١٩٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5887 A.3042/3

ومجلد آخر يضم الجزئين الخامس والسادس

الجزء الخامس : يتناول حوادث ٤١ (٦٦١) - ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

اوله : الخبر عن الدولة الاسلامية . . .

الجزء السادس : يتناول حوادث ٢٤٧ (٨٦١) - ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) .

٢٧ × ١٨ سم ، ٤٢٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5888 A.2924/5-6

ومجلد آخر يضم الجزئين السابع والثامن :

الجزء السابع : اوله : اخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس . . .

الجزء الثامن : اوله : الخبر عن ملوك المعجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الاسلام المستبدين على الخلفاء . . .

ن ق س ، ٥٠٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5889 A.2924/7-8

ومجلد آخر يضم الجزئين التاسع والعاشر

الجزء التاسع : اوله : الخبر عن دولسة السلجوقية من الترك المستوليين على ممالك الاسلام . . .

الجزء العاشر : اوله : الخبر عن دولة بني ايوب القائمين بالدعوة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب . . .

ن ق س ، ٤٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5890 A.2924/9-10

ومجلد آخر يضم الجزئين (١١ - ١٢) :

الجزء (١١) : اوله : الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجمة . . .

الجزء (١٢) : اوله : الخبر على اهل جبال درن بالمغرب الاقصى . . .

ن ق س ، ٣٧٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5891 A.2924/11-12

ومجلد آخر يضم الجزئين (١٣ - ١٤) :

الجزء (١٣) : أوله : الخبر عن زمانه من قبائل

البربر ...

الجزء (١٤) : أوله : الخبر عن بني مديين

وأنسابهم وشعوبهم ...

ن ق س ، ٣٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5892 A.2924/13-14

الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطانين

لابراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين

المصري (ت ٨٠٩ هـ ١٤٠٧ م) .

أوله : السنة الاولى من الهجرة ... قدم

صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين من شهر

ربيع الاول ...

تاريخها : ٨٧٣ هـ ١٤٦٨ م .

٢٧٣×١٨ سم ، ١٣٠ ورقة . ن ع س ط ،

ط س ١١ سم .

رقمها 5893 A.2903

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٠ (٢) .

روضة المناظر في أخبار الاوائل والاواخر

لابي الوليد محمد بن كمال الدين محمد بن

محمود بن شحنة الحلبي (ت ٨١٥ هـ ١٤١٢ م)

يتناول التاريخ العام من آدم حتى سنة ٨٠٦ هـ .

أوله : لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ

خلق ...

بخط محمد بن عبدالرحمن بن حبيب سنة

٩٨٦ هـ ١٥٧٨ م .

١٦٥×١٠٥ سم ، ٢١٦ ورقة . ن ع س ط ،

ط س ٥٥ سم .

رقمها 5894 H.1602

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٧ (١٢) .

تاريخ الشهابي والقمر النير :

لابي القاسم شهاب الدين احمد بن احمد بن

موسى العينتابي . ويبدو ان المؤلف هو شقيق

العينتابي العيني صاحب كتاب عقد الحجمالين

[الحمالين] . ولم يصلنا من تاريخ الشهابي غير

الاجزاء ، (٢ ، ٣ ، ٦) . وهي نسخ فريدة .

المجلد الثاني : يتناول حتى فتح الشام .

أوله : فصل في قصة هجرة من هاجر من

اصحاب رسول الله ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٤ هـ ١٤٣١ م .

٢٨×١٨ سم ، ١٨٦ ورقة . ن ع س ط ،

ط س ١٤ سم .

رقمها 5895 A.2952/2

المجلد الثالث : أوله : ذكر فتح دمشق اعلم

انا نذكر أولا ما ذكره الواقدي ...

آخره : هدم الكعبة وبنائها شرفها الله تعالى

في ايام ابن الزبير ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٣ هـ ١٤٣٠ م .

ن ق س ، ١٨٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5896 A.2952/3

المجلد السادس : يتناول الحوادث حتى سنة

٥٧٠ هـ ونهايته ناقصة .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة

السابعة والعشرين بعد الاربعمائة ... نفس تاريخ

النسخ .

ن ق س ، ١٤٠ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5897 A.2925/6

مختصر اسلام تاريخي (مختصر تاريخ الاسلام)

لألف مجهول وقد سقط عنوانه ، يتناول

وباختصار التاريخ الاسلامي مبتدئا بمولد النبي

والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ثم المماليك

في مصر حتى الملك الظاهر سيف الدين قحماق الى

سنة ٨٤٢ هـ ١٤٣٨ م .

أوله : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم

على سبيل الاختصار ...

نسخ لسيفي خاير (من امراء مصر) سنة

٩١١ هـ ١٥٠٥ م .

٢٧٥×١٨ سم ، ١٢٤ ورقة . ن ع س ط ،

ط س ١٣ سم .

رقمها 5898 A.2970

كتاب الخبر عن البشر :

لابي عباس احمد بن علي بن عبدالقادر تقسي

الدين المقريري (ت ٨٤٥ هـ ١٤٤٢ م) المجلد الاول :

أوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ

خلق الانسان من طين ...

١٤٤١م). يتناول الحوادث الواقعة بين سنتي ٥٧٧-٨٤٤هـ .

المجلد الاول : يتناول حوادث ٥٧٧ - ٧١٠هـ .

أوله : قل اللهم مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ...

تاريخها ٨٨٣هـ ١٤٧٨م .

٢٧ر٥ × ١٨ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ط ، ٢٧ ط س ١٣ سم .

رقمها 5906 A.2928/1

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٣٦ ، كشف الظنون ، ١٠٠٠

المجلد الثاني : يتناول وقائع ٧١١ - ٧٦١هـ .

أوله : سنة احدى عشرة وسبعمائة مستهل المحرم وصل الامير ارغون الدوادار الى دمشق ...

تاريخها ٨٨٨هـ ١٤٨٣م .

ن ق س ، ٢٦٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5907 A.2928/2

المجلد الثالث : يتناول احداث ٧٦٢ - ٨١٠هـ

أوله : سنة اثنتين وستين وسبع مائة اهلت والامراض بالبارده فاشية في الناس .

ن ق س ، ٢٩١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5908 A.2928/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٨١١ - ٨٤٤هـ

أوله : سنة احدى عشرة وثمانى مائة اهلت والامير نوروز مستولى على البلاد الشامية ..

ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5909 A.2928/4

وهناك مجلد آخر من الكتاب يتناول حوادث ٧٤٠ - ٧٨٣هـ .

بخط عبدالقادر بن حسن بن زين الدين سنة ٩٥٠هـ ١٥٤٣م .

٢٧ر٥ × ١٨ سم ، ٣٥٧ ورقة . ع س ط ، ٢٥ ط س ١٢ سم .

رقمها 5910 H. 1431

ومنه نسخ اخرى :

المجلد الاول : بخط ابي الفضل الاعرج سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م .

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٧ر٥ × ١٨ سم ، ٢٠٣ ورقة . ع س ط ، ٢٧ ط س ١٣ سم .

رقمها 5899 A.2926/1

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٣٧ (١٠) .

المجلد الثاني : اوله : فصل في ذكر التبابعة ملوك يمن ...

تاريخها ٨٩٢هـ ١٤٣٧م

ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5900 A.2926/2

المجلد الثالث : اوله : ذكر بني عدنان وانسابهم وتوابعهم وما كان لهم من الدولة والملك ..

ن ق س ، ٢٢٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5901 A.2926/3

المجلد الرابع : اوله : ذكر ايام الفجار الفجار بكسر الفا بمعنى المفاخرة كالقتال ...

بخط عمر بن عبدالله بن محمد المنظوري

ن ق س ، ١٦٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5902 A.2926/4

المجلد الخامس : اوله : ذكر مقتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المري ...

ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5903 A.2926/5

المجلد السادس : اوله : قال في صحاح الجوهري والنبا الخبر تقول نبا ونبأ وانبأ اي اخبر ...

ن ق س ، ٢٤٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5904 A.2926/6

وهناك مجلد آخر يكمن الجزء الثالث من هذا التاريخ .

بخط عمر بن عبدالله بن محمد المنظراوي سنة ٨٩٤هـ ١٤٨٩م .

٢٦ر٥ × ١٨ سم ، ٢١٩ ورقة . ع س ط ، ٢٧ ط س ١٢ سم .

رقمها 5905 R.1561

السلوك لمعرفة دول الملوك :

تقي الدين احمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ

المجلد الثاني : ن ق س ، ٢٧٥ ورقة . ن ع
س ط .

رقمها 5917 A.2942/2

المجلد الاول : بخط عمر بن عبدالله المنظراوي
سنة ٨٦٨ هـ ١٤٦٤ م .

٢٦٥ × ١٧٥ سم ، ٢٣٩ ورقة . ع س ٢٧ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها 5918 M.522

المجلد الثاني : ٢٦٥ × ١٧٥ سم ، ٢٣٦
ورقة ن ع س ط .

رقمها 5919 M.523

عقد الجمان في تاريخ الزمان :

لابي محمد ابي الثناء محمود بن احمد بن
موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بدر الدين
العيني العيني (ت ٨٥٥ هـ ١٤٥١ م) .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليفة
حتى قصة أصحاب الرس .

اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيته
الكائنات وعلم وحدانيته اختلاف الليل والنهار ...
بخط المؤلف سنة ٨٢٥ هـ ١٤٢٢ م .

٢٧٥ × ١٨ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣١ ،
ط س ١٢ سم .

رقمها 5920 A.2911/a.1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١ .

المجلد الثاني : من قصة ابراهيم حتى قريش
اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥ هـ ١٤٥٣ م .

ن ق س ، ٢٣٨ ورقة . ع س ٣١ ، ط س
١٢ سم .

رقمها 5921 A.2911/a.2

المجلد الثالث : من ايام الفترة الى الباب
الرابع .

اوله : فصل فيمن كان في ايام الفترة وقبل
البعثة وأوائلها ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥ هـ ١٤٢٣ م .

ن ق س ، ٢٩٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5922 A.2911/a.3

٢١ × ٣١ سم ، ٣٩٧ ورقة . ع س ١٣ ، ط
س ١٣ سم

رقمها 5911 K.905

المجلد العاشر : تاريخ نسخه ٨٣٩ هـ ١٤٣٥ م
٢١ × ٣١ سم ، ٣٦٢ ورقة . ع س ١٣ ، ط س سم

رقمها 5912 K.90

التبر المسبوك في ذيل السلوك

لمحمد شمس الدين بن عبدالرحمن السنحاي
(ت ٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م) ذيله على كتاب السلوك .

المجلد الثاني : يتناول وقائع ٨٥١ - ٨٥٧ هـ .

اوله : سنة احدى وخمسين وثمان مائة
استهلت واكثر من سبق على حاله الا الشافعي ...
بخط ابي الفضل الاعرج السنباطي ٨٨٠ هـ
١٤٧٥ م .

٢١ × ٣٠ سم ، ٢٨٨ ورقة . ع س ١٣ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5913 K.1008

انباء الفجر بانباء العصر

لشهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ
١٤٤٩) وهو تاريخه الذي يتناول حوادث ٧٧٣ -
٨٤٩ م .

المجلد الاول : الحمد لله الباقي وكل مخلوق
يفنى الواقي ولو اعرض عبده لما استغنى ...

تاريخها ٨٨٠ هـ ١٤٧٥ م .

٢٦٥ × ١٨ سم ، ١٨٧ ورقة . ع س ٢٩ ، ط
س ١٣ سم

رقمها 5914 A.2941/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٧٤ (٤١) .

المجلد الثاني : اوله : سنة انتى عشرة
وثمان مائة ...

نفس تاريخ النسخ .

ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5915/A.2941/2

ومنه نسخ اخرى :

المجلد الاول : ٢٧٥ × ١٨ سم ، ٢٧٧ ورقة
ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم

رقمها 5916 A.2942/1

المجلد السادس : يتناول وقائع ٦١ - ٩٥ هـ .
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 الحادية والستين ...
 بخط المؤلف سنة ٨٢٨ هـ ١٤٢٥ م .
 ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5923 A.2911/b.6
 المجلد السابع : يتناول وقائع ٩٦ - ١٥٠ هـ .
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 السادسة والتسعين ...
 ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5924 A.2911/b.7
 المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٥١ - ٢٥٥ هـ
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 الحادية والخمسين بعد المائة ...
 بخط المؤلف سنة ٨٣ هـ ١٤٢٧ م .
 ن ق س ، ٢١٨ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5925 A.2911/a.8
 المجلد التاسع : يتناول احداث ٢٢٦ - ٣٣٠ هـ
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 السادسة والعشرين بعد المائتين ...
 بخط المؤلف في نفس السنة السابقة .
 ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5926 A.2911/a.11
 المجلد العاشر : يتناول حوادث ٣٣١ - ٤٣٠ هـ
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 الحادية والثلاثين بعد الثلاثمائة ...
 بخط المؤلف سنة ٨٣١ هـ ١٤٢٨ م .
 ن ق س ، ٢٢٨ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5927 A.2911/a.10
 المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٢١ - ٥٧٨ هـ .
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 الحادية والعشرين بعد الخمسمائة ...
 بخط المؤلف سنة ٨٣١ هـ ١٤٢٨ م .
 ن ق س ، ٢٢٧ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5928 A.2911/a.12
 المجلد (١٧) : يتناول وقائع ٧٢٥ - ٧٤٥ هـ .
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 الخامسة والعشرين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ١٨٧ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5929 A.2911/a.17
 المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٧٢٧ - ٨٣٥ هـ .
 اوله : وفي السنة السابعة والعشرين بعد
 السبعمائة ...
 ن ق س ، ٢١٧ ورقة . ع س ٣١ ، ط س
 ١٢ سم .
 رقمها 5930 A.2911/a.18
 المجلد (١٩) : يتناول وقائع ٧٩٩ - ٨٤٩ هـ .
 اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
 التاسعة والتسعين بعد السبعمائة ...
 ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5931 A.2911/a.19
 النسخ الاخرى من عقد الجمان :
 المجلد الثاني : يتناول حوادث ٩٥ - ٥٢٠ هـ .
 اوله : وفي السنة الخامسة والتسعين ...
 ٢٧ × ١٨ سم ، ٢٣٣ ورقة . ع س ٣١ ،
 ط س ١٢ سم .
 رقمها 5932 A.2911/b.2
 المجلد الاول : من الخليفة حتى الفصل التاسع
 والعشرين من بحث السودان ...
 اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيتته
 الكائنات ...
 ٢٧ × ١٨ سم ، ٢٥١ ورقة . ع س ١٩ ،
 ط س ١١ سم .
 رقمها 5933 A.2911/c.1
 المجلد الثاني : يتناول الوقائع من قصصة
 ابراهيم حتى نهاية مبحث الانساب الشريفة للنبي .
 اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ع . س .
 تاريخها ٨٩٦ هـ ١٤٩٠ م .
 ن ق س ، ٢٧٤ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5934 A.2911/c.2
 المجلد الثالث : من زمن الفترة حتى نهاية
 السنة الرابعة للهجرة .
 اوله : فصل فيمن كان في ايام الفترة وقبل
 البعثة ...
 ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .
 رقمها 5935 A.2911/c.3

المجلد الرابع : من خلافة أبي بكر الصديق
حتى سنة ٢٣ هـ .

أوله : ذكر خلافة أبي بكر الصديق ...

بخط محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد
الانصاري سنة ٨٩٣ هـ ١٤٨٧ م .

ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5936 A.2911/c.4

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٩٦ - ١٢٦ هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
السادسة والتسعين ...

ن ق س ، ٢٦٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5937 A.2911/c.13

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ١٩٣ - ٢٢٦ هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
الثالثة والتسعين بعد المائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5938 A.2911/c.16

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٤٣١ - ٤٨١ هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
الحادية والثلاثين بعد الأربع مائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5939 A.2911/c.21

المجلد (٣٤) : يتناول وقائع ٧٣٦ - ٧٤٦ هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
السادسة والثلاثين بعد السبع مائة ...

ن ق س ، ٢٧٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5940 A.2911/c.34

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقة

حتى سنة ١١ هـ . أول هذه النسخة لا يتفق مع
أول النسخ الاخرى .

أوله : الحمد لله الذي انشأ جميع الموجودات
من العدم ...

بخط المؤلف سنة ٧٩٩ هـ ١٣٩٦ م .

٢٧ × ١٨ سم ، ٢٨٢ ورقة . ع س ٣٠ ، ط

س ١٣٥ سم .

رقمها 5941 A.2911/d.1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ١١ - ٦٦ هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة
الحادية عشر من الهجرة ...

ن ق س ، ٢٩٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5942 A.2911/d.2

المجلد الثاني : بخط مصطفى بن محمد بن

زكريا بن حسن العطار سنة ١١٤٣ هـ ١٧٢٢ م .

٢٢ × ١٦ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٣١ ،

ط س ١٠ سم .

رقمها 5943 B.273

ونسخة اخرى من نفس المجلد بخط علي بن

ابراهيم بن محمد سنة ١١٢٧ هـ ١٧١٥ م

٢٧ × ١٩ سم ، ٢٠٠ ورقة . ع س ٣١ ،

ط س ١٢ سم .

رقمها 5944 R.1557

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقة

حتى ٢١ هـ .

يرجع انها نسخت في القرن العاشر (١٦ م) .

٢٢ × ٢١ سم ، ٥٦٤ ورقة . ع س ٣٥ ،

ط س ١٣ سم .

رقمها 5945 A.2912/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٢٢ - ٣٣٢ هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٦٠٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5945 A.2912/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٣٣٢ - ٦٢٣ هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٣٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5947 A.2912/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٦٢٤ - ٨٥٠ هـ

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5948 A.2912/4

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي :

لابن تغري بردى (ت ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م) الفه

بعد الاستفادة من كتاب الوافي للصفدي . يتناول

فيها تاريخ السلاطين والامراء .

وهذه النسخة كاملة ، تضم اجزاء الكتاب

السبعة .

أوله : الحمد لله مدبر الدهور ومدور الاعمار

والشهور .

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة
(م١٥) .

٣٠×١٧سم ، ٨٩٤ ورقة . ع س ٣١ ،
ط س ١٠سم .

رقمها 5949 A.3018

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٠ (٦) .

مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة

لجمال الدين يوسف بن تفرى بردى (ت
٨٧٤هـ ١٤٦٩م) . وهو مختصر لتاريخ الاسلام .

أوله : الحمد لله الذي جعل الدول مؤيدة
بالخلفاء الراشدين وجعل مددهم شاملا باقامة
الملوك والسلاطين ...

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة
(م١٥) .

٣×١٨سم ، ٢٤٣ ورقة . ع س ١٥ ،
ط س ٩سم .

رقمها 5950 A.3035

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٩ (٢) .

ومنه نسخة اخرى ، نسخت في القرن التاسع
للهجرة (م١٥) .

٢٧×١٨سم ، ٨٤ ورقة . ع س ٢٩ ، ط
س ١٢سم .

رقمها 5951 A.3036

واخرى ، يرجح انها نسخت في القرن
٩هـ ١٥م .

٢٧×١٨سم ، ١٥٠ ورقة . ع س ١٩ ،
ط س ١٢سم .

رقمها 5952 A.3038

تاريخ الخلفاء

لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ ١٥١٥م) .
أوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى
وأوعد فنفى ...

نسخت في القرن ١١هـ ١٧م .

١٨×١٣سم ، ١٨٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط
س ٧سم .

رقمها 5953 H.1559

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ١٩٦ (٢٧٨) ،
كشف الظنون ، ٢٣٩ .

ومنه نسخة اخرى نسخت في نفس القرن .

٢٠×١١سم ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ،
ط س ٦سم .

رقمها 5954 M.516

ونسخة اخرى ، تاريخها ٩٥٢هـ (١٥٤٥م)
قوبلت على غيرها من النسخ سنة ٩٥٣هـ .

٢١×١٥سم ، ١٣٦ ورقة . ع س ٢٧ ،
ط س ١١سم .

رقمها 5955 R.1572

مجموع يضم :

١ - كتاب أنساب العرب من آدم الى النبي ،
المنسوب الى عبدالرحمن السيوطي (ت
٩١١هـ ١٥٠٥م) .

أوله : اما بعد حمدا لله على تواتر نعمائه ...
٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي .

أوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى
وأوعد فعفا ...

نسخ القسم الاولى منه في سنة ١٠٠٢هـ
١٥٩٣م .

٣×٢١سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط
س ١٢سم .

رقمها 5956 R.1552

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٩٦
(الوسط) .

تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس :

لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري
(ت ٩٩٠هـ ١٥٨٢م) . وهو تاريخ اسلامي يتناول
الحوادث من البداية حتى سنة ٨٥٩هـ .

أوله : الحمد لله الذي خلق نور نبيه قبل
كل أوائل ...

نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٩×١٥سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٣ ،
ط س ١٠سم .

رقمها 5957 A.3044

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١٤ (١) .

ومنه نسخة اخرى ، تاريخها ١٠٠٨هـ
١٦٠٠م .

٣٢×٢١سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٩ ، ط
س ١٢سم .

رقمها 5958 A.3045

ونسخة أخرى ، بخط فخرالدين بن يحيى
سنة ١١٢٦ هـ ١٧١٤ م .
٣١×٢٠ سم ، ٣٦٣ ورقة . ع س ٣٣ ،
ط س ١١٥ سم .

رقمها 5959 R.1652

تاريخ جنابي - العيلم الزاخر في احوال الاوائل والاواخر

لابي محمد مصطفى بن حسن بن سنان بن
احمد الحسيني الهاشمي الجنابي الاماسي (ت
٩٩٩ هـ ١٥٩٠ م) . وهو تاريخ اسلامي عام ،
كرست فصوله الاخيرة للسلاجقة والعثمانيين وملوك
الطوائف . ويتناول الحوادث من البداية حتى
٩٨٦ هـ .

أوله : اشرف كلام يتضوع نشره ورياه
واحسن مقال يتفوح طيبه وشده . . .

تاريخها ١٠٠٨ هـ ١٥٩٩ م .

٣٠×١٨ سم ، ٧٠٩ ورقة . ع س ٣١ ،
ط س ١٠٧ سم .

رقمها 5960 A.2958

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١١ .

ومنه نسخة أخرى ، يرجح انها نسخت في
القرن ١٠ هـ ١٦ م .

٢٥×١٨ سم ، ٣٠٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط
س ١١٥ سم .

رقمها 5961 A.2966

ونسخة أخرى ، تاريخها ٩٩٦ هـ ١٥٨٨ م .

٢٥×١٥ سم ، ٥١٩ ورقة ، ع س ٢٥ ،
ط س ٨٢ سم .

رقمها 5962 R.1568

اخبار الدول وآثار الاول

لابي العباس احمد بن يوسف سنان بن احمد
الدمشقي القرماني (ت ١٠١٩ هـ ١٦١١ م) . اختصر
فيه تاريخ الجنابي وذيل عليه وقدم له وقد قسمه
الى ٥٥ بابا .

أوله : الحمد لله عند تصارييف العبر وعند
استماع التواريخ والسير . . .

تاريخها ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م .

٢٢×١٥ سم ، ٣٤٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط
س ١١٥ سم .

رقمها 5963 K.886

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١٢ ، كشف
الظنون : ٢٦ .

ومنه نسخة أخرى بخط حميدي سنة
١٠٢٧ هـ ١٦١٨ م .

٢٩×٢٠ سم ، ١٨٩ ورقة . ع س ٣٣ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5964 R.1553

كشف الغم عن اخبار الامم

لمحمد بن ابراهيم بن محمد بن ظاهر الحنفي
يتناول التاريخ الاسلامي العام .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الواحد العادل
في أفعاله المنعم على خلقه . . .

نسخة فريدة . لم يصادف للمؤلف في أي
مكان .

٢٠×١٧ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٧ ،
ط س ١٣ سم .

رقمها 5965 R.1559

جامع الدول - صحائف الاخبار في وقائع الاعصار

لرئيس المنجمين احمد بن لطف الله المولوي
(ت ١١١٣ هـ ١٧٠١ م) .

يتناول في قسمه الاخير تاريخ العثمانيين حق
محمد الرابع (١٠٨٣ هـ ١٦٧٢ م) وقد ترجم هذا
الكتاب الى التركية من قبل الشاعر احمد نديم
تحت اسم صحائف الاخبار وطبع في استانبول .

المجلد الاول : اوله : احمد لله حمد متفكر
في مخلوقاته معتبر بشواهد مصنوعاته منزله لذاته
وصفاته عن الكيفية . . .

تاريخها ١١١٦ هـ ١٧٠٤ م .

رقمها 5966 A.2954/1

راجع : كشف الظنون ، ١ : ٦٤ ، عثمانلي
مؤلفري ٣ : ١٤٢ .

المجلد الثاني : اوله : الكلمة الرابعة من الفقرة
الثانية في ذكر الموالي . . .

بخط محمد بن احمد معزالدين زاده سنة
١١١٧ هـ ١٧٠٥ م .

ن ق س ، ٦٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5967 A.2954/2

مكتبة كوبنهاغن الملكية

ومخطوطاتها العربية

اعداد

الدكتور رزوق فرج رزوق

والعربية والمغولية والتبتية والبالية ، وفيها ما هو من نواذر
المخطوطات ونفاستها (1) .

فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة كوبنهاغن الملكية :

طبع هذا الفهرس باجزائه الثلاثة في كوبنهاغن سنة
١٨٤٦-١٨٥٧ ، باللغة اللاتينية :

CODICES ORIENTALES BIBLIOTHECA REGIAE
HAENIENSIS, HAFNIAE, 1846-1857.

وقد اعد هذا الفهرس ثلاثة من المستشرقين هم :
وسترمارك واوتهاوزن ومهرن . وتم طبع الجزء الثاني سنة ١٨٥١
وصدر في ١٨٨ صفحة كبيرة . وفي معظم هذا الجزء وصف لما في
المكتبة من مخطوطات عربية في موضوعات شتى ، وعددها ٢٠٩
(ص ٣٥-١٨٨) . وقد اعد هذا الجزء مهرن .

وفيما يأتي بيان لتقسيم المخطوطات وفقا لموضوعاتها
وتسلسلها ، وعدد مخطوطات كل موضوع :

الديانات ٨-١ (٨٠ مخطوطا)

الرياضيات والفلك والهندسة ٨١-٩١ (١١ مخطوطا)

الجغرافية والتاريخ الطبيعي ٩٢-١٠٤ (١٣ مخطوطا)

تاريخ الحيوان ١٠٥-١٠٧ (٣ مخطوطات)

الطب ١٠٨-١١٥ (٨ مخطوطات)

التاريخ ١١٦-١٢٤ (٤٩ مخطوطا)

الانساب ١٦٥-١٦٧ (٣ مخطوطات)

تاريخ الادب والسير ١٦٨-١٧٢ (٥ مخطوطات)

السياسة ١٧٣ (مخطوط واحد)

النحو ١٧٥-١٩٥ (٢١ مخطوطا)

المجمعات ١٩٦-١٩٩ (٤ مخطوطات)

(1) The Royal Library — Copenhagen — A Brief
Introduction, PP. 5, 23, 27.

لا يعرف الا القليل عن مكتبات الملوك الدانمركيين قبل
عهد الملك كرستيان الثالث (١٢٤٥-١٢٥٩) فقد كان هذا
الملك معروفا بحبه للكتب ، وما من شك في ان معظم الكتب التي
اهداها حفيده كرستيان الخامس سنة ١٦٠٥ الى مكتبة جامعة
كوبنهاغن (اسست سنة ١٤٧٩) والتي نيفت على الف مجلد كان
قد جمعها كرستيان الثالث . وكان الموضوع الرئيس الذي دارت
حوله هذه الكتب اللاهوت ، وتلاه الادب الالمانى .

وازدهرت المكتبة ايما ازدهار في عهد فردريك الثالث
(١٦٤٨ - ١٦٧٠) الذي كان عالما كلفا بالعلم والادب . ويمكن ان
يعد بحق مؤسس المكتبة الملكية الحاضرة .

وحين عاد الرحالة الدانمركي المعروف كارستن نيبور من
رحلته الشرقية التي استمرت من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٦٧
اضيف ما جلبه من مخطوطات شرقية الى مجموعات المكتبة الخطية
فباتت ذات حجم ملحوظ . وفي الحقب التالية تسلمت المكتبة
اعدادا من المخطوطات كان يمتلكها كراتزنشتاين ، واوتو توت ،
وزوهم ، ومولدهنافر وسواهم . ومثلما كانت الحال مع معظم
مجاميع المخطوطات الشرقية في المكتبات الاوربية الكبيرة كانت
المخطوطات العربية والفارسية والعبرانية ابرز المجموعات في
المكتبة .

ولكن الوضع تغير كثيرا بعد ما عاد اللغوي الدانمركي
رامسيس راسك من رحلة شرقية طويلة جالبا معه مجموعة كبيرة
من المخطوطات المتنوعة اللغات ولا سيما ما كان منها بلغة بالي
وبالغة السنغالية .

وخلال القرن الحالي استمرت المجموعات الشرقية في النمو
واضيف اليها عدد كبير من المخطوطات الفارسية والعربية .

وتتألف المكتبة اليوم من الاقسام الآتية :

القسم الدانمركي . القسم الاجنبي . قسم الخرائط .
قسم الموسيقى . قسم المخطوطات - وهو يضم المخطوطات المختلفة
ما عدا الشرقية ويبلغ عددها قرابة اربعين الف مجلد . القسم
الشرقي - وهو يحتوي على كتب مطبوعة ومخطوطات شرقية
يبلغ مجموعها الكلي حوالي ثلاثين الف ، اما عدد المخطوطات
فزهاء اربعة آلاف ، واكثر من نصفها باللغات السنسكريتية

الابل - للاصمعي

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى - جاء في
اول المخطوط انه « من تأليفات الامام
السيوطي الشافعي » ونسبه حاجي خليفة الى
كمال الدين محمد بن محمد أبي شريف
الشافعي المصري (كشف الظنون ١ : ٦٥) .
والراجح انه لسيوطي اخر غير جلال الدين
السيوطي المعني بما جاء في اول المخطوط ،
هو محمد بن احمد المنهاجي السيوطي .
انظر معجم المطبوعات العربية والمعرية ١٠٨٦
والاعلام ٦ : ٢٣٢ .

اخبار الدول وآثار الاول - لابي العباس احمد بن
يوسف الدمشقي

٣٠٠ ق . رقمه ١٢٨

اخبار مجنون ليلى واشعاره

٤٨ ق . رقمه ٢٣٥

ازهار الروضتين في اخبار الدولتين - لابي شامة

٢١٨+٢٧٣+١٨٧ ق . جزءان وذيل ارقامها
١٥٤-١٥٦

الاشتقاق (الجزء الاول) - لابن دريد

٥١٣ ق . رقمه ١٦٥

الاشربة - لابن قتيبة

٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

الاعجاز والايجاز - لابي منصور الثعالبي

٣٧ ق . رقمه ٢٠٧

((اغانة العارفين وغاية مني الواصلين للفوت الاعظم

سيدنا عبدالقادر الجيلاني قدس سره))

٦ ق . رقمه ٥٢

الاغاني - لابي الفرج الاصفهاني

٢٤٠ ق . رقمه ١٦٩

الافتتاح في شرح المصباح - لحسن باشا بن علاء

الدين الاسود

٨٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٧٧

انواع جنسي التعاليم الرياضية - مؤلف مجهول

١٢٨ ق . رقمه ٨٢

بحث الطالب وحث الطالب - لجبرائيل بن فرحات

الماروني

١٥٦ ق . رقمه ١٩٤

البلاغة ٢٠٠-٢٠٩ (١٠ مخطوطات)

الجامع ٢١٠-٢٢٣ (١٤ مخطوطا)

النقص والمقامات والرسائل ٢٢٤-٢٣٦ (١٢ مخطوطا)

الشعر ٢٣٧-٢٨٦ (٥٠ مخطوطا)

الحب ٢٨٧-٢٩٢ (٦ مخطوطات)

موضوعات اخرى ٢٩٣-٣٠٩ (١٧ مخطوطا)

ومن ميزات هذا الفهرس انه وصفي يتضمن بيانات وافية
عن كل مخطوط ، فهو يذكر عدد الاوراق ونوع الخط واسم المؤلف
واول المخطوط وآخره واسم الناسخ وتاريخ النسخ (ان وجد)
وقد يضيف ، في وصف طائفة من المخطوطات ، بيانات ومعلومات
غير ما تقدم ذكره .

اما معد هذا الفهرس ، آوگست فرديناند مهران (او ميران) ،
فمستشرق دانمركي ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٩٨ . أخذ
العربية عن المستشرق الالمانى فلايشر (١٨٨٨-١٨٠١) وعلم
اللغات الشرقية في كوبنهاغن نحو خمسين سنة . له : المنقولات
من تلخيص المفتاح وشرحه المختصر تليها منقولات من عقود
الجمان - في علم البلاغة . جمعه والحق به ذبلا ادبيا تاريخيا
بالالمانية عن بلاغة العرب . وعني بنشر كتب ، منها : رسالة حي
بن يقظان ورسالة القدر لابن سينا . نخبة الدهر في عجائب البر
والبحر لشمس الدين الدمشقي . وتبيين كذب المفتري لابن
عساكر (انظر الاعلام للزركلي ١ : ١٩ ومعجم المطبوعات العربية
والمعرية لسركيس ص ١٨١٣) .

وقد شعر القيمون على امر المكتبة ، في السنوات الاخيرة ،
بالحاجة الى فهرس جديدة لمخطوطات مكتبتهم الشرقية بعد ان
قدم العهد بالفهارس السابقة ونيف عمر بعضها على قرن
كامل ، فعهدوا بمهمات اعداد الفهارس الجديدة الى اساتذة
من اهل العلم والاختصاص ، وفقا لخطة عمل وضعتها لجنة
خاصة برئاسة المرحوم البروفسور كار غرونبيتش
Karre Gronbech .

وقد صدر بعض هذه الفهارس . وما تزال طائفة منها قيد
الاعداد او الطبع ، ومنها فهرس للمخطوطات العربية وثمان
للمخطوطات الفارسية وثالث للمخطوطات الهندية .

ولقد نظرت في فهرس مهران الوصفي ، اللاتيني ، القديم ،
فاقتبست منه فهرسا عربيا ، موجزا ضمته عناوين طائفة كبيرة
مما جاء فيه من الكتب والرسائل والجاميع الخطية - مرتبة على
حروف الهجاء ، وذكرت اسماء المؤلفين ، وعدد اوراق كل
مخطوط (عدا مخطوطات قليلة) - رامزا بالحرف ق لكلمة
ورقة ، وارقام المخطوطات في الفهرس اللاتيني ، واستعنت
بكشف الظنون لحاجي خليفة ، ومعجم المطبوعات العربية
والمعرية ليوسف اليان سركيس ، والاعلام للزركلي للتعليق على
طائفة من عناوين المخطوطات واسماء المؤلفين .

وها هو ذا الفهرس المقتبس اوردته للمعينين بالتراث العربي ،
ولا سيما اهل الوراقة والبحث والتحقيق املا ان يجدوا فيه
ما ينفعهم .

✱

بدائع البدائه - لابن ظافر الازدي

٢٣١ ق . رقمه ١٦٩

برء الساعة - لابي بكر الرازي

١٣ ق . رقمه ١٠٨

البرق اليماني والفتح العثماني - لقطب الدين محمد بن احمد المكي

٢٢٦ ق . رقمه ١٤٠

بغية المستفيد في اخبار مدينة زييد - لوجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن عباس المعروف بابن الديع اليميني

٨٩ ق . رقمه ١٤١

بغية المتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس - لاحمد بن يحيى الضبي

رقمه ١٦٣

تاريخ الاسلام - لشمس الدين الذهبي

٦٦٢ ق . رقمه ١١٣

تاريخ الامم - لحمزة بن الحسن الاصفهاني

رقمه ١١٩

تاريخ الخلفاء - لجلال الدين السيوطي

٣٢٣ ق . رقمه ١٣٦

تاريخ الخميس - لحسين بن احمد الديار بكري

٣٧٣ ق . رقمه ١٣٢

تاريخ مختصر الدول - لابي الفرج بن العبري

١٦٩ ق . رقمه ١٢١

تاريخ مصر (من سنة ١١٠٠ هـ الى سنة ١١٥٢ هـ)

- للحاج مصطفى بن ابراهيم

٢١٦ ق . رقمه ١٥٩

تحفة الالباب ونخبة الاعجاب - لابي عبدالله محمد بن عبدالرحيم الاندلسي الفرناطي

٣٠ ق . رقمه ٩٢

التحفة البهية في تملك بني عثمان الديار المصرية -

لمحمد بن محمد ابي السرور البكري الصديقي

١٠١ ق . رقمه ٩٢

تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء - (ارجوزة

تاريخية) - لمحمد بن احمد بن ناصر الباعوني

١٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٦

تحفة العروس ونزهة النفوس - لابي عبدالله محمد

بن احمد البجائي

١٧٦ ق . رقمه ٢٨٨

تحفة الكرام باخبار البلد الحرام - لتقي الدين محمد

بن احمد الحسن الفاسي

١٧٢ ق . رقمه ١٣٩

ترغيب اهل الاسلام في سكنى الشام - لعزالدين

عبدالعزیز بن عبدالسلام الشافعي

٦ ق . رقمه ٢٩٦

نسخة ثانية في مجموع خطي

رقمه ٧٤

تزيين الاسواق بترتيب احوال العشاق - لداود بن

عمر الانطاكي

٣٠٤ ق . رقمه ٢٨٨

تشنيف السمع في وصف الدمع - لصلاح الدين

الصفدي . وقد طبع بعنوان : تشنيف السمع

بانسكاب الدمع (انظر معجم المطبوعات

ص ١٢١٢)

٨٨ ق . رقمه ٢٩٧

تصوير صور الكواكب - لعبدالرحمن بن عمر

الصوفي . وقد طبع بعنوان : الكواكب ابثابة

(أو) صور الكواكب

(انظر معجم المطبوعات ص ١٢٨٠)

١٢٦ ق . رقمه ٨٣

تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج - اختيار ابن نباتة

١٢٢ ق . رقمه ٢٦٠

التنوير في اسقاط التدبير - لابي العباس احمد بن

عطا الله الاسكندري

٢٧ ق . رقمه ٨٣

نسخة ثانية في مجموع خطي

رقمه ٧٢

توضيح لطيف على الرسالة الموضوعية في العمل بالربع

المجيب - لبدر الدين المارديني

١٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

ثمرات الاوراق - لابن حجة احموي

١٩١ ق . رقمه ٢١٥

الجمال والامكنة والمياه - لجار الله الزمخشري

في مجموع خطي رقمه ١٢٠

الجمان في مختصر اخبار الزمان - لشهاب الدين

المقري الفاسي

١٣٢ ق . رقمه ١٢٦

جواهر البحور ووقائع الامور وعجائب الدهور في

اخبار الديار المصرية - لابراهيم بن وصيف شاه

٦٥ ق . رقمه ١٤٩

الجواهر النقي في الرد على البيهقي - لعلاء الدين أبي الحسن علي بن فخر الدين عثمان المارديني
١٩٥ ق . رقمه ٥٤

الجوهرة اللامعة والنتيجة الجامعة - لرضوان أفندي الفلكي المصري
٩٤ ق . رقمه ٨٨

حاشية مولانا عصام الدين علي تفسير القاضي البيضاوي
٤٢ ق . رقمه ٤٥

حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات - لبدر الدين محمد بن محمد المارديني
٤٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

الحجج المبينة في التفصيل بين مكة والمدينة - لجلال الدين السيوطي
١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٣١

حديث ابليس مع نوح

٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث ارم ذات العماد

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث الفتى الجني مع المرأة الساحرة

٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حديث الورد في الاكام

١٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - لجلال الدين السيوطي

٣٧ ق . رقمه ١٤٨

حكاية وضاح اليماني مع خير القصور ابنة الملك مكاييد الدهور واسمه زهر الرياض

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣٤

حلبة الكميت - لشمس الدين النواجي

٢٩٠ ق . رقمه ٢٩٩

الحماسة - لابي تمام

٢٠٩ ق . رقمه ٢٣٧

نسخة ثانية رقمها ٢٣٨

الحماسة - للبحثري

رقمه ٢٣٩

حياة الحيوان الكبرى (جزان) - للدميري

٤٠٢+٥٨٨ ق . رقما هما ١٠٥-١٠٦

خريدة العجائب وفريدة الغرائب - لابن الوردي

٢١٣ ق . رقمه ٩٣

الخطب - لابن نباتة

٢٥ ق . في مجموع خطي رقمه ٧١

خطبة المتزوجين - لبعض الظرفاء

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٦

الدر المنتخب في تاريخ مدينة حلب - لعلي بن محمد الجبريني

١٧٨ ق . رقمه ١٤٢

الدر المنتقى - لعبدالقادر بن ابي بكر بن خضر الدماصي

٧٨ ق . رقمه ٢٧٨

الدر المنصود في عجائب الوجود - مؤلف مجهول

١٢٥ ق . رقمه ٩٧

الدر النفيس والخل الانيس - لشهاب الدين الخفاجي

١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٢٠

الدرة المنتخبة في الادوية الجربة - لابي بكر الفارسي
كما جاء في المخطوط ، ولنصر بن نصر كما جاء في كشف الظنون ص ٧٤٤ .

٤٦ ق . في مجموع خطي رقمه ١١٥

الدرة المنيرة في مناظرة الجسر والجزيرة - لابي الفتح محمد الازهري

١٨ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الدر الفاخرات في العمل بربع المقنطرات في جميع الاقطار والجهات - لاحمد بن محمد بن عبد السلام الشرقي

٢٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

دلائل الخيرات - لابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن الجزولي

٥٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٤٩

ديوان احمد بن ابي القاسم الخلوف الاندلسي

٧٤ ق . رقمه ٢٨٤

ديوان ابن الخياط (في هامشه نصيحة الملوك للفرزالي)

١٣٧ ق . رقمه ٢٦٤

ديوان ابن الفارض

٩٤ ق . رقمه ٢٦٨

نسخة ثانية - ١٢٤ ق . رقمها ٢٦٩

ديوان ابن المعتز (جزءان)
٢٤٥ ق . رقما هما ٢٥١-٢٥٢

ديوان منجك باشا
٣٩ ق . رقمه ٢٨٥

ديوان ابن النبيه
٤٧ ق . رقمه ٢٦٧

ديوان ابي بكر الارجاني
٢٩٧ ق . رقمه ٢٦٥

ديوان ابي الحسن عمارة بن ابي الحسن اليميني
٢١٥ ق . رقمه ٢٦٦

ديوان جرير (الجزء الاول)
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠

ديوان شهاب الدين احمد العليف المدني الشهير
بشاعر البطحاء
١٤٣ ق . رقمه ٢٤٤

ديوان شهاب الدين الخفاجي
٢٣٥ ق . رقمه ٢٨٣

ديوان الصبابة - لابن ابي حجلة
١١٠ ق . رقمه ٢١٤

ديوان صفي الدين الحلبي
٢٦٣ ق . رقمه ٢٧٥

ديوان طهمان بن عمرو الكلابي
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠

ديوان مامي الرومي
٤٠٣ ق . رقمه ٢٨١

ديوان محمد وفا الشاذلي
٨٨ ق . رقمه ٢٧٧

الديوان النبوي - لشمس الدين محمد الصالحى
الدمشقي
٧٤ ق . رقمه ٢٨٢

ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس - لابن سودون
اليشبغاوي

وقد طبع بعنوان : نزهة النفوس ومضحك
العبوس . طبع حجر ، بمصر سنة ١٢٨٠ هـ
١١٥ ق . رقمه ٢٢٣

ديوان هذيل - شرح ابي سعيد السكري
رقمه ٢٤٠

ذيل على خريدة القصر وجريدة العصر
٨٩ ق . رقمه ١٦٩

ذيل لب الباب - لاحمد بن احمد العجمي
٦٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٧

ذيل نفحة الريحانة لمحمد بن محمود السؤالاتي
الحنفي العثماني
١٥٤ ق . رقمه ١٧٠

رسالة السكين - لابن حجة الحموي
١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية - لجلال الدين محمد بن اسعد
الدواني

٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية - لعلي چلبى أفندي الشهير بقناني
قاضي العسكر المنصور

٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

روضة المناظر في علم الاوائل والاواخر - لابن الشحنة
١٥٤ ق . رقمه ١٢٤

نسخة ثانية - ٣٤٤ ق . رقمها ١٢٥

ريخان الالباب وريخان الشباب في مراتب الاداب -
لابي القاسم محمد بن ابراهيم المواعيني

٢٦٨ ق . رقمه ٢١١

زاد المسافر في علاج الادواء التي تعرض في الجسد -
لابي جعفر احمد بن ابراهيم الجزار

٣٦٨ ق . رقمه ١٠٩

سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والامراء - لابي
بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي

١٨٣ ق . رقمه ١٧٣

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون - لابن نباتة
١٧٤ ق . رقمه ٢٢٩

سكردان مولانا السلطان - لابن ابي حجلة
١٧٧ ق . رقمه ١٤٤

الشاء - للاصمعي
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

شرح القاضي ابي يحيى زكريا الانصاري على متن
ايساغوجي في المنطق

١٦ ق . رقمه ١٧٤

شرح ديوان المتنبي - للواحيدي
٤٣٧ ق . رقمه ٢٥٥

نسخة ثانية - ٢١٥ ق . رقمها ٢٥٦

شرح مقصورة حازم بن محمد القرطاجني - لابي
عبدالله محمد بن احمد الشريف الفرناطي

٣٧٦ ق . رقمه ٢٨٦

الصاحح - للجوهري

٢٩٩ ق . رقمه ١٩٦

نسخة ثانية تتضمن باب الرأء رقمها ١٩٧

الطب - لابن البيطار

١٦ ق . رقمه ١١٤

طبقات الشافعية - للسبكي

في مجموع خطي رقمه ١١٨

العرر والفرر في علم الاخلاق (جزءان) - لمحمد بن

ابراهيم الكتبي

٣٠١ ق . في مجموع خطي . رقمها ٦٨-٦٩

عماد البلاغة (مختصر المضاف والمنسوب للثعالبي) -

لعبدالرؤوف المناوي

٨٢ ق . رقمه ٢٠٦

عيون الانباء في طبقات الاطباء - لابن ابي اصيبعة

رقمه ١٧١

غيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم -

لصلاح الدين الصفدي

٣٠٣ ق . رقمه ٢٦٣

فتوح العراق - للواقدي

١٤٥ ق . رقمه ١٣٧

فتوح بهنسا وما وقع للصحابه مع البطلوس - لابي

عبدالله محمد المقرئ

١١٨ ق . رقمه ١٣٨

فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد - لبدالدين

محمود بن احمد العيني

١١٦ ق . رقمه ١٨٧

فصول التماثيل في تبشير السرور - لابن المعتز

٧١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

فضائل مصر - لعمر بن محمد بن يوسف الكندي

٢٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٤٧

الفوائد العلية في تأييد الفوائد الضيائية - لمحمد بن

محرم التكوني

٤٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٨٣

فوائد في معرفة العمل بنصف دائرة المعدل - مؤلف

مجهول

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

القوائد التوتريات - لمحمد بن ابي بكر بن رشيد

الواعظ البغدادي

٦٧ ق . رقمه ٢٧١

قصائد ، هي :

١ - القصيدة الطنطرانية - لمعين الدين ابي

نصر احمد بن عبدالرزاق الطنطراي

٢ - قصيدة البردة - للبوصيري

٣ - قصيدة بائية - لتاج الدين السبكي

٤ - قصيدة بانث سعاد - لكعب بن زهير

٥ - القصيدة المنفرجة - لابن النحوي

٦ - قصيدة نونية - لابي الفتح البستي

٧ - قصيدة يقول العبد - لسراج الدين بن

علي بن عثمان الاوشي في مجموع خطي

رقمه ٢٤١

قصة ليلى العامرية مع عشيقها قيس بن اللوح

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٨٨

الكافية - لابن الحاجب

١٢٠ ق رقمه ١٧٩

نسخة ثانية تتضمن قسما مشروحا من الكافية

٣٧ ق . رقمها ١٨٠

نسخة ثالثة تتضمن قسما مشروحا ايضا

١٢١ ق . رقمها ١٨١

كشف الحال في وصف الخال - لصلاح الدين الصفدي

٤٨ ق . رقمه ٢٩٣

نسخة ثانية ٥٨ ق رقمها ٢٩٤

كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع - لبدالدين

محمد بن محمد المارديني

١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

الكلم النواغ - لجار الله الزمخشري . ويعرف

ايضا بنواغ الكلم ، وقد طبع بهذا العنوان .

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

((كناش فيه بعض الوثائق - الفساظ ما يكتب في

الرسوم وهم (كذا) العقود))

١٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

((كناش مجتمع على عجائب وغرائب)) - مجموعة

شعرية لم يذكر اسم جامعها

١١٤ ق . رقمه ٢٤٧

((كناش مجموع فيه بعض مطالع اول الفاظ الرسائل

للملوك واولادهم والعلماء والفقهاء والصالحين))

١٥ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

((كناش محتو على مقطعات اشعار وقصائد للمتنبى

ابي الطيب ولغيره وبعض صنيعات وتوشيح

واعروبي وموال وغير ذلك مما لم يذكر
والسلام)) لم يذكر اسم جامعه .
٨٥ ق . رقمه ٢٤٣

لب الباب في تحرير الانساب - لجلال الدين
السيوطي

١٧٨ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٧

لوعة الشاكي ودعة الباكي - لصالح الدين الصفدي
٥٠ ق . رقمه ٢٩٠

نسخة ثانية - ٦٩ ق . رقمها ٢٩١

مبارق الازهار في شرح مشارق الانوار في صحاح
الاخبار - لعبد اللطيف عبدالعزيز المعروف
بابن ملك

٣١١ ق . رقمه ٥١

مختصر تاريخ الخلفاء - لابي محمد اسماعيل بن علي
الخطبي

٥٨ ق . رقمه ١٣٥

المختصر في احوال البشر - لابي الفداء

١٠٢٩ ق . رقمه ١٢٢

الدهش في المحاضرات والمواعظ - لابن الجوزي

١٧٨ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٠

مراح الارواح - لاحمد بن علي بن مسعود

٤٧ ق . في مجموع خطي رقمه ١٩١

المرجل - لابن الجوزي

٤٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٠

الرقص والمطرب - لنور الدين علي بن موسى بن
محمد الاندلسي

٣٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٣

المسائل الشهابية في الصناعة الطبية - لشهاب الدين

احمد بن عيسى الحلبي

٧٨ ق . رقمه ١١١

مصاييح السنة - للبغوي

٣٨٢ ق . رقمه ٥٥

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - للفيومي

٤٩٠ ق . رقمه ١٩٩

المعارف في اخبار العرب وانسابهم - لابن قتيبة

٤١٩ ق . رقمه ١١٦

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص -

لعبد الرحيم العباسي

٢٢٨ ق . رقمه ٢٠٢

معجم البلدان - لياقوت الحموي

٣٧٨ ق . رقمه ١٠٠

معدن العلوم ومرسل الهموم - كتاب ديني مؤلف

مجهول

٣٠ ق . رقمه ٦٠

المعلقات السبع - شرح ابي يحيى التبريزي

رقمه ٢٤١

مفاخرة السيف والقلم - لابن الوردي

٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

المفاخرة بين السيف والقلم - لابن نباتة

٩ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

المفصل - لجار الله الزمخشري

٢٠٦ ق . رقمه ١٧٦

مقالات من كتاب اقليدس في الاصول

٢١٤ ق . رقمه ٨١

مقامات الحريري

٣٤٠ ق . رقمه ٢٢٥

نسخة ثانية . رقمها ٢٢٦

نسخة ثالثة . رقمها ٢٢٧

نسخة رابعة . رقمها ٢٢٨

مقامات الهمذاني

٨١ ق . رقمه ٢٢٤

المقامة الروضية

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٩

المقدمة - لابن خلدون

٣٣ ق (غير تام) . رقمه ١٢٣

مقصودة ابن دريد

١٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

ملخص تضمنين الملحة

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢١٧

منظومة النسفي في الخلاف

١٤٢ ق . رقمه ٦٧

منهاج البيان - ليحيى بن جزلة

٣٤٠ ق . رقمه ١١٣

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار - للمقرزي

٢٣ ق (غير تام) . رقمه ١٤٦

مئة كلمة من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض)

٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٧

نتيجة الافكار في اعمال الليل والنهار - لمحمد بن محمد اللاذقي

٢٦ ق . رقمه ٨٩

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - لشمس الدين محمد بن ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي شيخ الربوة

١٥٨ ق . رقمه ٩٦

نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب - لاحمد التيفاشي المغربي المالكي .

وذكر حاجي خليفة كتاب « نزهة الالباب فيما لا يوجد في الكتاب » لعزالدين بن بدرالدين المعروف بابن جماعة (كشف الظنون ص ١٩٤٠) والراجع انهما كتابان مختلفان .

١٤٢ ق . رقمه ٢٩٢

نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين - لرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي .

وسماه حاجي خليفة : نزهة الناظرين في تاريخ من تولى مصر بعد فتح الصحابة من الامراء والسلاطين الى آل عثمان - مختصر . (كشف الظنون ص ١٩٤٨) . وذكره الزركلي وقال انه ما يزال خطيا .

٦٦ ق . رقمه ١٥١

نسب عدنان وقحطان - للمبرد

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٦

النصيحة الرضية الى الطريقة المحمدية وهي شرح تائية الشيخ محمد العلمي .

٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٢

نصيحة الملوك - للغزالي

في هامش المخطوط : ديوان ابن الخياط ، وقد سبق ذكره في حرف الدال .

نهاية الارب في فنون الادب

نسختان غير تامتين رقماهما ١٢٩ ، ٢١٣

((هدية العبد القادر الى الملك الناصر - كتاب فيه ترتيب مصالح المملكة المصرية فيما تعتمد عليه الملوك في مصالح المسلمين على التمام والكمال)) - لعبد الصمد بن يحيى بن احمد بن يحيى الشافعي ١١ ق . مجموع خطي رقمه ١٤٧

((ورد حضرة سلطان المشايخ السيد يحيى الشرواني قدس الله تعالى سره))

١٦ ق . رقمه ٥١

((وصية الامام الاعظم المجتهد ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لابي يوسف رضي الله عنهما))

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - لابن خلكان

٤٤٢ ق . رقمه ١٣٤

المصادر والمراجع

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ،

١٩٤١-١٩٤٣ .

الزركلي ، خير الدين بن محمود

الاعلام - قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة بالافست ،

بيروت ، ١٩٦٦ .

سركيس ، يوسف اليان

معجم المطبوعات العربية والعربية ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

Mehren, A.F.

مهرن ، أ . ف .

Codices Orientales Bibliotheca Regiae Hafniensis, Hafniae, 1851.

The Royal Library — Copenhagen — A Brief Introduction, Copenhagen, 1951.

مخطوطة أخرى في الموصل

لرسالة الحنين الى الاوطان

يقلم

غربي الحاج احمد

الجاحظ رحمة الله عليه ثم بسم الله الرحمن الرحيم وبسبه نستعين (٢) .

وجاء في خاتمتها : الرسالة من كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بعون الله تعالى ومنه ولطف الله الموفق للصواب واليه الرجوع والثاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين .

وقع الفراغ من تنميته في نصف شهر جمادي الاخر من سنة ثلاثة وثمانين ومائة والف على يد اضعف العباد قاسم بن مراد راوية بمدرسة اليكتاشية بالموصل المحمية .

والمخطوطة تقع في ١٧ صفحة في كل صفحة ١٩ سطرا خطها رديء والتصحيح والتحريف فيها كثير يكاد يطمس معالم الرسالة ويفقدها معانيها ، مما يدل على ان نازلها (اضعف العباد قاسم بن مراد) لا يفهم من الادب واللغة شيئا ، وانه قد كلف بنقلها عن مخطوطة اخرى دون ان تراجع على الاصل او تفهم فهمها سليما .

ومن مقارنتها بالرسالة التي نشرها الاستاذ هارون نستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة منقولة عن المخطوطة التيمورية وذلك للاسباب :

اولا - ان المخطوطة التيمورية مكتوبة بتاريخ ١١٧١هـ ويخط امين العمري ، والكاتب امين العمري موصلني اذن فالمخطوطة التيمورية مخطوطة موصلية انتقلت شأنها شأن كثير من مخطوطات الموصل الى مكتبات كثيرة وبعيدة ، والمخطوطة الموجودة الآن في الموصل قد كتبت بتاريخ ١١٨٣ اي بعد المخطوطة التيمورية بالثني عشرة سنة .

ثانيا - ان المخطوطة التيمورية - كما اشار الاستاذ هارون - تحتوي على رسائل عدة للشعالي ومخطوطتنا هي الاخرى تحتوي على مجموعة من هذه الرسائل وهي : -

- ١ - رسالة في مدح الشيء وذمه من جمع الشيخ القدسي لرسالة الطوائف واللطائف ورسالة اليواقيت في بعض المواقيت .
 - ٢ - الفرائد والقلائد
 - ٣ - في التشابه
 - ٤ - مرآة المروءات
 - ٥ - الميهج
 - ٦ - الكلام الافلاطونية
 - ٧ - سحر البلاغة وكلها للشعالي
- (٢) لاحظ صورة الصفحتين الاولى والاخرة من المخطوطة .

١ - في كتاب (تاريخ الادب العربي) مؤلفه الاستاذ كارل بروكلمان (ج٢) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار (ص ١١٦) اشارة الى ان من كتب الجاحظ (الحنين الى الاوطان) والى انه مخطوط مجموعة داماد ابراهيم ٩٤٩ : ١٧ ومخطوطة الموصل ١٢٦ ، ٦/٢٣٣ و ٢٦٥ : ١٥ وانه قد نشر بالقاهرة سنة ١٣٣٣هـ وفي كتابه رشر ٤٨٨ وذكر السندوبي في الرسائل ١٥٣ انه منحول وذكر بروكلمان (ص ١٢٨) اما اتهم السندوبي في الرسائل ١٥٣ لكتاب الحنين الى الاوطان بانه منحول للجاحظ فهو امر يعسر القطع به .

٢ - قال الاستاذ عبدالسلام هارون في كتابه (رسائل الجاحظ) (ج٢ ص ٢٨٠) : رسالة الحنين الى الاوطان ذكرها بروكلمان مخطوطة داماد ابراهيم ونسخة الموصل التي اشرنا اليها .

وقال : لم يبق من مخطوطات هذا الكتاب الا مخطوطة داماد ابراهيم واما نسخة الموصل وهي التي كانت محفوظة في مكتبة امين الجليلي فقد فقدت لم يعرف مصيرها كما ذكر الدكتور داود الجليلي في كتابه مخطوطات الموصل (١)

ويقول الاستاذ هارون (ص ٢٨١) واما بعد فان لهذا الكتاب اصلين هما :

- ١ - الاصل الاول نسخة داماد وهي المعبر عنها بالاصل
- ٢ - الاصل الثاني النسخة التيمورية الملحقة بدار الكتب برقم (٢٥١ ادب المجاميع) وهي مجموعة تشتمل على كتاب الميهج للشعالي والمتشابه للشعالي ، رسالة الحنين الى الاوطان ، الوصي المرفوم في حل المنقول لابي الاثير والطوائف واللطائف للشعالي ، وضم اليه القدسي كتاب اليواقيت ومرآة المروءات للشعالي .

والمجموعة بخط امين العمري سنة ١١٧١هـ وفيها نصوص من المقابلة على الاصول التي نقل عنها .

٣ - وقد عثرت في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل على مخطوطة اخرى لرسالة الحنين الى الاوطان ، هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجليلي وهي رسالة وردت في مجموعة سميت (من المدح والذم والاضداد) من وقف مدرسة الحسينية ١٢٣٢هـ مختومة بختم (حسن باشا الجليلي) وقد جاء في مقدمتها :

رسالة الحنين الى الاوطان تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر

فليس من الصدف ان تكون رسالة الحنين الى الاوطان ضمن مجموعة الثعالب في المخطوطة التيمورية وتكون ضمن مجموعة الثعالب في مخطوطة الموصل .

ثالثا - ومما يقطع الشك باليقين ان الخلافات بين مخطوطة الداماد ابراهيم وبين المخطوطة التيمورية التي اشار اليها الاستاذ المحقق هارون في هوامشه هي الخلافات نفسها مع مخطوطة الموصل .

ونستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل هي غير المخطوطة التي اشار اليها الرحوم داود الجلي ، فقد ذكرنا اوصاف المخطوطة الموجودة في حين ان اوصاف المخطوطة المفقودة كما ينقلها الاستاذ هارون تختلف من حيث التاريخ اذ انها منقولة عن مخطوطة الداماد ابراهيم او ان الاخيرة منقولة عنها ، فهي مكتوبة في حدود القرن السادس الهجري ، بينما المخطوطة الموجودة كتبت سنة ١١٨٢هـ ، وتختلف من حيث المضمون اذ ان المفقودة تضم رسائل عديدة (١٨ رسالة) من رسائل الجاحظ بينما الموجودة تضم رسالة الحنين الى الاوطان من رسائل الجاحظ الى مجموعة كتب للثعالب .

٤ - وقد قيل في رسالة الحنين الى الاوطان بمخطوطاتها جميعا انها لابي حيان التوحيدي او انها للجاحظ او انها منقولة له فاي الاقوال يمكن ترجيعه والاطمئنان اليه ؟

١ - يقول ياقوت الحموي في معجم الادباء (ج ١٥ ص ٨) في ترجمة التوحيدي : ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الرسالة في الحنين الى الاوطان .

وقد ذكر كتب الجاحظ (ج ١٦ ص ١٠٦) ولم يذكر هذه الرسالة من ضمنها .

ب - يقول الدكتور احمد محمد الحوي في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ١٠ ج ٢) : اما كتب التوحيدي التي يلقب على الظن انها مفقودة فهي الرسالة في الحنين الى الاوطان .

ج - يقول الاستاذ عبد الرزاق محي الدين في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ٢٥٦) والحنين الى الاوطان ذكره ياقوت في معجمه لم اعرف له نسخة ولا مائورا في نقل ولعله الله ايام اقترابه بشيراز .

د - يقول الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ١٠١) الرسالة في الحنين الى الاوطان من انتاج التوحيدي ومن الكتب التي ذكرها الحموي في معجمه .

هـ - يقول الاستاذ حسن السندي في كتاب (المقابسات) (ص ١٨) ان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مؤلفات التوحيدي ولم يذكر السندي هذا الكتاب من ضمن كتب الجاحظ في مقدمة (البيان والتبيين) الطبعة الاولى سنة ١٩٢٦ ويقول مودة ثالثة في الرسائل (ص ١٥٣) انه منحول للجاحظ .

و - يؤكد الاستاذان بروكلمان وعبد السلام محمد هارون ان رسالة الحنين الى الاوطان من مؤلفات الجاحظ .

٥ - ان ابا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠-٢٥٥هـ) من ادباء القرن الثالث الهجري ، وان ابا حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس (٣١٠-٤٠٠هـ) من ادباء القرن الرابع الهجري في حين ان اول من اشار الى كتاب الحنين الى الاوطان هو ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦هـ) من ادباء القرن السادس الهجري وقد نسب الكتاب الى التوحيدي ومنه نقل الادباء والمفكرون ذلك .

وان مخطوطة الداماد ابراهيم هي اول من اشارت الى ان هذا الكتاب من تأليف الجاحظ ، ومن هذه المخطوطة يقول الاستاذ هارون (ص ١٠ ج ١) من كتاب (رسائل الجاحظ) : وليس لهذه النسخة تاريخ وان كان المرجح ان خطها من خطوط القرن السادس ، فهي بشكل غير مؤكد معاصرة لمعجم الادباء ، او قبله او بعده بقليل . وسواء صحت رواية (الحموي) او رواية (مخطوطة الداماد) فان الروايتين متاخرتان بقرنين عن عصر التوحيدي وبثلاثة قرون عن عصر الجاحظ ، وهي فترة زمنية طويلة توصي بعدم الاطمئنان الى الاقوال المسموعة وتفتح ابواب الشكوك على مصاريعها وقبول القول بالانتحال والتصنيع في عهود لم تكن منزهة عن التصنيع والانتحال فقد ذكر عن الجاحظ (انه في اول عهده بالتصنيف كان يطلب راجا لكتبه فينسخها الى بعض العلماء المشهورين على ما حكاها ايضا في بعض رسائله) (٣) ويعترف الجاحظ نفسه بذلك فيقول : (ربما الفت الكتاب الذي هو دوله في معانيه والفاظه ، طارجه باسم قريي واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعنابي ومن اشبهه هؤلاء من مؤلفي الكتب) (٤) .

الا ان ما ورد من اشارات في كتاب (الحنين الى الاوطان) توحي بأنه من مصنفات الجاحظ وتدفع عنه شبهة الانتحال . وان الاسباب التي ذكرها الاستاذ هارون ترجع نسبته الى الجاحظ :

١ - لان الكتاب جار على طريفته في التأليف ونهجه ، وهو اختيارات مختلفة تتعلق بموضوع الحنين الى الاوطان يربط بينها الجاحظ بذلك التيوب الساذج .

٢ - ليس في نصوص الكتاب ولا في رجاله ولا في حوادثه ما يتجاوز زمنه زمان الجاحظ .

٣ - في الكتاب نصوص مشتركة بينه وبين سائر كتبه الاخرى ، وتلك سمة نعرفها من سمات الجاحظ في تأليفه .

٤ - ذكر اقوال الفرس وكلام الحكماء والفلاسفة ونوادير الاعراب واهل البادية فيما يعني من مناسبة نعت جاحظ لمعروف .

اما ما قد يقال بان رسالة الحنين قد تكون لابي حيان التوحيدي لتشابه أسلوبه بأسلوب الجاحظ فالرد عليه : ان الميزة البارزة بين أسلوب الجاحظ والتوحيدي هي ان الاول يكثر من الاستشهاد بالاشعار في حين ان الثاني قليل الاستشهاد بها ، يضاف الى ذلك ان ما ورد في الرسالة من حوادث ورجال لا يتجاوز زمنها زمان الجاحظ ولو كانت للتوحيدي لضاف اليها حوادث ورجالا قد تجاوزوا هذا الزمان والفاوق الزمني بين الرجلين قرابة القرن وهو عهد حافل بالادباء والشعراء .

لذلك كله فنحن مع الاستاذ عبد السلام هارون في قوله بان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مصنفات الجاحظ ، وليست للتوحيدي .

(٣) تاريخ الادب العربي لبروكلمان (ج ٣ ص ١٠٧) ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(٤) رسالة فصل ما بين العداوة والحسد - كراوس والحاجري مجموعة رسائل الجاحظ (ص ١٠٦) القاهرة سنة ١٩٤٣ .



العرض والعدد والتعريف



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ترجمة مصادر « الجاحظ »

بقلم الدكتور

علي جواد الطاهر

١ - ان المسيو پلا يقول عن المسعودي ...
(أساسي) ، ولكن الدكتور الكيلاني لم ينقل ذلك .
٢ - وقال المسيو پلا : ابن الجوزي ... ينظر
سبط ، ولكن الدكتور الكيلاني لم يترجم ذلك .

٣ - وقال المؤلف Farmer ب F فقال
المترجم فارمر كان الاسم مبدوء ب V .

٤ - قال المؤلف : « علي بن قاسم (الخوافي
Al-Huwāfi) . (وفي الاصل نجد ال H
تحتها سبعة صغيرة ، وهي في مصطلح المستشرقين
الخاء العربية) الاديب : شاعر ، ينظر
السمعاني ، الانساب ٢١٠ ، السيوطي ، البغية
٣٦٤ . » وقال المترجم : علي بن القاسم الحوفي ...

٥ - عقب المؤلف على قائمة المصادر بقوله :
La richesse apparante de cette liste ne
doit pas faire illusion.

وترجمة ذلك : يجب الا يخدعنا الغنى الظاهري
لهذه القائمة . ولكن الدكتور الكيلاني اهمل ترجمة
« الظاهري » على ما لها من دلالة ..

وقدم المؤلف للفصل الاول من كتابه : « البصرة
في القرنين الاول والثاني » بدراسة مصادر الفصل
وائنى على كتابين من آثار المستشرق كياتاني : الاول
Annali وهو نافع حتى عام ٤٠ ، والثاني
Chronographia وهو نافع حتى سقوط
الدولة الاموية سنة ١٣٢ .

ولكن المترجم تحدث عن كياتاني وكان له
كتابا واحدا فظهر الاضطراب على عباراته اذ قال :
« ان حويلات المستشرق كياتاني Annali de Caetani
حتى سنة ٤٠ هـ اداة ثمينة للعمل تعطينا مجموعة
من المعلومات المفيدة جدا حتى سقوط الامويين
سنة ١٣٢ هـ »

للمستشرق الفرنسي شارل پلا عناية خاصة
بالجاحظ ، وقد ألف كتابا قيما بعنوان « الوسط
البصري وتكوين الجاحظ »

LE MILIEU BASRIEN ET LA
FORMATION DE GAHIZ

اصدره بباريس سنة ١٩٣٥ وهو مدرس
بمدرسة اللغات الشرقية .

وقد اعجب الدكتور ابراهيم الكيلاني
(مدير وزارة الثقافة والارشاد القومي - الاقليم
الشمالي) بهذه الدراسة فنقلها الى العربية بعد ان
زاد عليها بحثا آخر للمستشرق نفسه عن الجاحظ
في سامراء ، وصدرت الترجمة من دار البقعة بدمشق
سنة ١٩٦١ .

واول ما نلاحظ على شكل هذه الترجمة ان
المترجم غير عنوان الكتاب فجعله « الجاحظ في
البصرة وبغداد وسامراء » . وقال عن المؤلف انه
« الدكتور شارل بلات استاذ في جامعة الصوريون »
وهذا غير دقيق لان الفرنسيين الحاصلين على
الدكتوراه لا يكتبون قبل اسمهم : « الدكتور » ،
وان صحيح بلات : پلا Pellat اي ان التساء
لا تلفظ وهذا يقتضي اهمالها في الكتابة العربية حلدا
من ان يلفظها القارئ العربي - وهذا الذي وقع ،
وقال المترجم : جامعة الصوريون ، والصوريون
(او السوريون) ليس الجامعة ، واما الجامعة
جامعة باريس ، والصوريون قسم منها ، واذا اراد
الفرنسيون ان يستعملوا كلمة (الصوريون) قالوا :
استاذ في الصوريون .

قدم المؤلف لكتابه ب Avertissement
سماها المترجم « تمهيدا » واعقب المؤلف مقدمته
بحديث موجز عن (المصادر) رتبها زمنيا مع تعليق
يهم دارس الجاحظ بوجه خاص ، وقد نقل المترجم
هذه المصادر الى العربية ولكنه لم يلتزم في ترجمة
التعليقات . ومن ذلك :

تعقيبات

الدكتور نوري حودي القيسي

اجفانهم حرصا على الثائر الزعوم ، ويشيحون بوجوههم عن كل الفصص والآلام التي خلقها هذا البطل ، ويطمسون كل السطور الدامية التي كتبها هذا (الثائر) ويقفون معجبين امام السنة النار التي حرقت الشيوخ والاطفال والمدن والقرى وتلد لهم روافد الدم والعبرات وهي تروي الارض العربية اعجابا بهذا الثائر البطل ..

ان صاحب الزنج سيظل بطلا وقائدا وثائرا في عرف بعض الدارسين ، ولكن كيف تكون البطولة ، وكيف تكون القيادة ، وكيف تكون الثورة .. هذه الاسئلة ستبقى اجوبتها محصورة في اذهان هؤلاء الدارسين الذين لم يجدوا لها من الاسانيد ما يؤكد ما .. ان الاساليب الانشائية التي غلبت على هذا النثر لا يمكن ان تشكل بعدا في عصر الحقائق العلمية .. فاذا كان صاحب الزنج قلدا فكيف يكون ... ؟ واذا كان صاحب الزنج ثائرا فما هو بُعد الثورة التي نادى بها ... ؟

ان استباحة الدماء العربية فوق ثرى الارض العربية لا يشكل ثورة تستحق مثل هذا التبرجيل ، وان انفلات المرتقة الحاقدين على اصالة هذه الامة لا تستاهل هذا التقدير .. فاذا قُدر لكل الفارقين في حقدهم ان يوضعوا في مثل هذه المواضع فتلك اكذوبة كبرى من اكاذيب التاريخ . وقد آن لاجيال الامة الصابرة ، ولحملة تراثها الخير ان يصفروا الناس بامثال هذه الحقائق ليكونوا على معرفة بها ...

قد تكون هذه المقدمة لها صلة ولو من بعيد بما كتبه السيد احمد النجدي عن اشعار صاحب الزنج ، فالدافع الحقيقي الذي دفعني هو هذا الخلط الذي وقفت عليه في هذه الاشعار .. وسأكتفي بالاشارة الى خطأ النسبة وبيان المواضع التي وردت فيها الابيات منسوبة لغير صاحب الزنج ..

١ - القطعة الثانية الصفحة ١٦٨/ بيت واحد وضع في اشعار صاحب الزنج نقلا عن المختار من شعر بشار / ٨٠ ، وعند مراجعتي لكتاب المختار وجدت البيت منسوباً للعلوي البصري . والمعروف ان اشعار صاحب الزنج تميز عن غيرها في النسبة فيقال لعلبي بن محمد صاحب الزنج ... وقد وجدت البيت المنسوب لصاحب الزنج من قصيدة لبنتها السيد محمد حسين الاعرجي ناشر ديوان علي بن محمد الحماني (المورد - العدد الثاني - المجلد الثالث / ١٢٩٤-١٩٧٤) ضمن قصيدة ثابتة النسبة للحماني وقد خرجها المحقق بما ثبت صحة نسبتها للحماني وليست لصاحب الزنج .

٢ - القطعة الرابعة ، خمسة ابيات ، اشار المحقق الى نقلها عن الوافي الذي نشر في مجلة المورد .. ومن الغريب ان تترك الابيات على هيئتها ويسلم المحقق بنسبتها دون الرجوع

١- حول اشعار صاحب الزنج

في العدد الثالث من المجلد الثالث من مجلة المسود ١٢٩٤-١٩٧٤ نشر السيد احمد جاسم النجدي اشعار صاحب الزنج . وقد قدم لهذه الاشعار بمقدمة قصيرة لم يكشف لنا فيها عن القيمة الشعرية لهذا الشاعر او القيمة الفنية لشعره ، ولكنه اقتصر على عبارات اطلقها على صاحب الزنج حيث بدا مقالته بقوله : عرف على بن محمد الوردني ثائرا وفائدا « لثورة الزنج » ثم عاد بعد ثلاثة اسطر فقال « وكتب الدارسون المحدثون عنها وعن قائدها كثيرا من الدراسات والمقالات جعلت من صاحب الزنج - ثائرا - شخصية معروفة لدى الكثيرين ..

اقول لقد ذكر السيد احمد جاسم النجدي هذه العبارات في صدر مقدمته وقد انتفع كما اشار من نشرة الدكتور عبد الجبار ناجي لمخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي حيث نشر القسم المتعلق بترجمة صاحب الزنج واخبار ثورته ... وكنت امل ان يقف السيد المحقق عند ما كتبه عن المقال في العدد الاول من المجلد الثاني ١٢٩٢ - ١٩٧٢ حيث انتهيت الى افتقار الجانب الانساني عند هذا الرجل لان النص الذي نشره الدكتور عبد الجبار ناجي يبطل كل الحجج التي تجعل منه رجلا انسانيا ... فهو يحرق نصف الدنيا ويغرب البصرة وينهب البحرين ويأخذ اموالها ويستولي على غلمان الناس ، ينهب ويقتل ويعبت ويفسد ويفتك بالخلق الكثير ويستبيح المدن ليومين متتالين .. هذا بعض ما قام به هذا الرجل فهل يجوز ان نظل ساثرين في حلقة الانسانية البائسة التي اصبح بطلها صاحب الزنج دون سند علمي ...

اما الجانب الاقتصادي فيحدثنا النص الذي اعتمد عليه محقق شعره بانه استأثر بالمال والجواهر واستحوذ عليها ووزعها على نسائه (وهم كثر) واولاده وعندما انكر عليه جماعته قال : نسائي ليس كنسائكم .. وهذا يعني انه اباح لنفسه ما حرمة على الآخرين .. وعندما كثرت حاشيته كف ايدي الزنج عن النخل والزرايع وجبي الخراج منهم والصدقة وصرفه الى اصحابه فتقلت قلوب الزنج فسادت احوالهم وهموا بالوثوب عليه ...

هذا ما حدثنا به النص ، وهذا ما حدثنا به الكتب .. فاي ثائر بعد كل هذا ... واي قائد بعد كل هذا الاستحواذ ... هو صاحب الزنج .

ان صفحات التاريخ ستبقى تحدثنا بهذه الاخبار، وسيبقى قسم من الباحثين غارقين في اوهام ثورة صاحب الزنج وغارقين في اساطير صاحب الزنج .. تمر عليهم النصوص فيطبقون

ابن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين ويوصل به بيت خامس وهو :

وإذا الفارس عدت ابطالها

عدوه في ابطالهم بالخصر

هـ - وعند مراجعة ديوان الحماني المنشور في مجلة المورد العدد الثاني - المجلد الثاني / ٢١٨ وجدت الابيات في اشعاره وتخريجها في عمدة الطالب / ٢٨٦ عدا الخامس (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) والبيتان (« هـ ، ») في مجموعة المعاني : ٢٨ (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) ونسبا لصاحب الزنج ، والابيات « هـ ، » ، ٢ ، ٣ ، اعيان الشيعة / ٤٢ : ٥٢ منسوبة للحماني ..

و - القطعة (٢٥) بيت واحد اشار المحقق الى نسبته لصاحب الزنج نقلا عن بهجة المجالس/ ٢٩٦ .. فاذا كان المحقق قد انتفع من مجموعة المعاني في تخريج القطعة السابقة فلم لم ينتفع من مجموعة المعاني في هذا البيت وهو مذكور مع بيت آخر في الكتاب / ٩٠ وقد نسبنا لملي بن محمد العلوي .. وهما من الابيات التي رجع نسبتهما الى الحماني محقق ديوانه والبيتان مع اختلاف في الرواية في النصف الثاني من الزهرة الورقة / ١٦ وفي نسمة السحر ١٥٥/٢-١٥٦ ويضاف اليهما تخريجهما في ديوان الحماني .. وهذا يعني ان البيت لملي بن محمد الكوفي وليس لصاحب الزنج .. علما بان المحقق قد ترك البيت دون ان يشير الى تدافع النسبة حوله .

٦ - القطعة (٢٨) ثلاثة أبيات اشار المحقق الى ان تخريجها في جمع الجواهر/ ١٩٢ وشرح نهج البلاغة ١٦١٥/٢ والمعروف ان البيتين الاول والثاني لملي بن محمد العلوي كما نسبهما صاحب الزهرة الورقة / ٥٢ وكذلك نسبهما العسكري في ديوان المعاني ٥٠/٢ للحماني وكذلك هم في نسمة السحر ١٥٦/٢ .

ورجع نسبتهما للحماني محقق شعره بعد ان اورد قائمة بمواقع التخرّيج التي نسبتهما له . ولعل صاحب مجموعته المعاني الوحيد الذي رجع نسبة الابيات لصاحب الزنج الى جانب صاحب جمع الجواهر .. وكان الاولى في مثل هذه الاحوال ان يشار الى اختلاف الروايات في النسبة وترجيح النسبة الصحيحة من خلال الاستبطان الداخلي للنص ودراسة النفس الشعري ..

٧ - القطعة (٢٧) وهي ستة اشطار من الرجز نسبها السيد المحقق الى صاحب الزنج نقلا عن ديوان المعاني ١٢٠/١ ومجموعة المعاني / ٤٧ ، وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الاشطار منسوبة لملي بن محمد وهذا لا يعني انها لصاحب الزنج وانما هي لملي بن محمد الحماني والذي يؤكد صحة هذه النسبة ورود الاشطار منسوبة الى علي بن محمد العلوي في النصف الثاني من الزهرة الورقة / ٥٤ وفي رواية بعض الالفاظ اختلاف ..

انني لم احاول ان افهم مع المحقق لمناقشة المنهج الذي سلكه لانني لم اجد السيد المحقق قد اتبع حتى ابسط المسائل البديهية المعروفة في عملية التحقيق وسأكتفي بالاشارة الى هذه البديهيات التي لم يلتزم بها وهي :

الى المصادر القديمة .. والابيات من قطعة مشهورة لسعد بن ناشب المازني فهي من تسعة أبيات في حماسة ابي نمام (الرزوقي) ٦٧/١ وعيون الاخبار ١٨٧/١ ومن سبعة أبيات في الشعر والشعراء/ ٥٨٥ والقسم المخطوط من كتاب الزهرة الورقة/ ١٨٢ ومن خمسة أبيات في امالي القالي ١٧٥/٢ ومجموعة المعاني/ ٢٣ ومن بيتين في بهجة المجالس ٤٥٧/١ ونسبت في كل المصادر الى سعد بن ناشب المازني الا في عيون الاخبار حيث جاءت بلا عزو ونسبها المحقق في الهامش الى سعد بن ناشب .. ومن الغريب ان يغفل المحقق هذه القصيدة وهي على شهرتها فينسبها الى صاحب الزنج مكتفيا باشارة واحدة ظفر بها في الدراسة التي قدمها الدكتور عبد الجبار ناجي في مقدمة نص الصفي الذي تحدث فيه عن ثورة الزنج .. واذا رغب في زيادة تخريج البيت الرابع فعليه بقواعد الشعر / ٤٩ علما بان البيتين الرابع والخامس وبيتا اخر اوردهما صاحب جمع الجواهر منسوبين الى سعد بن ناشب .

٢ - القطعة الثامنة ثلاثة أبيات نسبها المحقق الى صاحب الزنج ومصدره الوحيد فيها ديوان المعاني ١٠٨-١٠٩ . وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الابيات منسوبة الى علي بن محمد البصري وهو غير صاحب الزنج ومما يؤكد نسبتها الى علي بن محمد العلوي وجودها في النصف الثاني من الزهرة الورقة/ ٥٤ منسوبة اليه وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .

٤ - القطعة (١٧) سبعة أبيات اشار المحقق الى المراجع التي نسبها الى صاحب الزنج وهذه المصادر هي الامالي ٤٢/١ ، عمدة الطالب/ ٢٨٦ مجموعة المعاني/ ٢٨ ، صبح الاعشى ٢٠٥/١٣ والمفروض ان هذه المراجع تنسب القطعة الى صاحب الزنج ، لان المحقق لم يشر في تخريجه الى أية ملاحظة تتعلق باختلاف رواية او اختلاف نسبة او زيادة أبيات ، والمفروض ايضا ان هذه الابيات السبعة مذكورة في هذه المصادر دون زيادة او نقصان .. الا ان الحقيقة تخالف ما ذهبت اليه من مراجع المحقق للاسباب الآتية :

١ - الابيات التي ذكرها كتاب الامالي ٤٢/١ هي الرابع والخامس والسادس والسابع وهذا يعني ان اربعة أبيات فقط من القطعة مذكورة في المصدر .

ب - في الابيات الاربعة المذكورة في امالي القالي اختلافات لم يتعرض لها المحقق ..

ج - الابيات الاربعة المذكورة في الامالي لم تنسب وانما قدم لها بقوله : ومما اخترته ودفعته الى ابي بكر فقراه علي :

د - المعروف ان كثيرا من الابيات التي يذكرها القالي يعرض لها البكري في السمعط لشرح ما اغفله القالي ، وبين من معاني منظومها ومنثورها ما اشكل ، ويوصل من شواهدا وسائر أبياتها ما قطع ، وينسب من ذلك الى قائله ما اهل .. وهذا يعني ان البكري سيعرض لهذه الابيات الغفل ، وعند مراجعتي لكتاب السمعط وجدت الرابع وبيتا اخر جديدا لم يذكر في ابيات المحقق / ١٨٢ وقال البكري بعد ان ذكر البيت الرابع : وهذا الشعر نسب الى ابن المولى محمد بن عبدالله

١ - ان التحقيق خال من الدراسة التي يجب ان يقدم بها لكل شاعر ، حتى يكون القارئ على علم بحياة الشاعر وخصائص شعره واهم الجوانب الشعرية التي عالجها ، وبرز المسائل الادبية التي وقف عندها . وتقويم الظاهرة الشعرية التي استطاع ان يبرزها من خلال وضعه الشعري ومظاهر اخرى قد يقف عندها الباحث .

٢ - اغفال الظاهرة المتميزة التي برزت بروزا واضحا في شعر هذا الشاعر ، وهي اختلاط شعره ودراسة اسباب هذه الظاهرة والعوامل التي ادت اليها ، ومحاولة الوقوف عند الاشعار التي يمكن ان تكون له ، او لفهره . وهي ظاهرة يستطيع المحقق اعطاء الحكم الصحيح فيها لانه اقدر من غيره على تمييزها .

٣ - تثبيت الاختلاف الذي لم يلتفت اليه المحقق واكتفى بايراد المصادر مجردة ، وهذا يعني ان الابيات وردت في كل هذه المصادر متشابهة في الوقت الذي كانت فيه الابيات مختلفة في رواية بعض الفاظها ، وتثبيت الاختلاف اصبح من اصول التحقيق العلمي ، والعمل الذي لا يلتزم به يفقد اهميته العلمية ويخرج عن الاطار التراثري الذي يسعى الى تقديمه المحقق .

٤ - تثبيت عدد الابيات في المصادر التي تحتويها .. ان أي بديهية من هذه البديهيات تعد اساسا من اساس التحقيق فكيف يمكننا ان نمر على قصيدة عدد ابياتها تسعة مثلا ، ونكتفي بايراد المصادر التي وردت القصيدة فيها او وردت بعض ابياتها فيها ، دون الإشارة الى عدد الابيات التي وردت في كل مصدر . فربما يكون المصدر قد ذكر تسعة ابيات ومصدر اخر ذكر ستة ابيات وثالث روى اربعة ورابع ذكر خمسة باختلاف وهكذا ... فمن اين يستطيع الباحث او القارئ ادراك هذه الحقيقة اذا كان المحقق قد اجمل المصادر التي ادت على ذكر القصيدة دون ايضاح بعدد الابيات التي احتجتها كل مصدر ... ان العمل العلمي يحتاج الى الدقة والضبط .

٥ - تمييز الابيات المنسوبة والابيات غير المنسوبة ، او ايضاح النسبة كما ورد في المصادر وهذه قضية اخرى اغفلها المحقق واكتفى بايراد المصادر ، علما بان بعض الابيات كانت تنسب الى علي بن محمد ، او علي بن محمد العلوي ، او علي ابن محمد البصري او الحماني ، ولكن السيد المحقق لم يشير الى هذه النسبة بمد ان جعلها واحدة ومتساوية في النسبة ، وهي قضية خطيرة في عالم التحقيق لانها تدخل في باب (تحوير النص) ونسبته الى غير صاحبه . وامانة التحقيق الاولى هي اخراج النص كما اراد له المؤلف ان يكون . فكيف بنا ونحن نغفل الاسماء الحقيقية التي صنعت النص ؟ اظن الاخ النجدي يوافقني في ذلك .

٦ - الانتفاع من المصادر .. لقد وقفت وانا اتابع بعض القطع عند نص اوردته صاحب مجموعة المعاني ولكن الاخ المحقق لم يقف عليه ، في الوقت الذي وجدته ينتفع من الكتاب في موضع اخر ، وهذه آفة اخرى من آفات المحققين .. فالذي نعلمه ان مراجعة المصادر تكون دقيقة ، والوقوف عندها يكون مضبوطا فاذا كانت الطريقة التي سلكها الاخ المحقق بهذه الشكالة فانها تمثل ظاهرة اخرى من افلات كثير من النصوص

التي يمكن الاستفادة منها على الرغم من توفرها في المصدر الذي ظفر به المحقق . ولعل المثال الاخر الذي يؤكد هذه الظاهرة هو ورود البيتين الرابع والخامس من القطعة الرابعة التي نسبها لصاحب الزنج قد وردا في جميع الجواهر ٧٩/ ولم يشر اليهما المحقق مع اعتماده المصدر في اكثر من قطعة .

٧ - من الغريب ان يكون المحقق جريئا الى الحد الذي يجعله يقدم على اخراج النص وهو لم يستكمل حتى بعض المصادر القريبة .. او بيت في نسبة ابيات دون الرجوع الى بعض المصادر الواقعة في متناول اليد وقد وقع المحقق في كثير من هذا كما ذكرت في عرض للديوان .. وهي جراءة ومغامرة في ميدان يحتاج الى كثير من الصبر والجهد والثابرة .. وهي صفة لو لازمت الفرد لحكم على كثير من أعماله ببعدها عن الاطار العلمي .

٨ - ترتيب المصادر ترتيبا زمنيا .. ولعل هذه الظاهرة هي جانب اخر ابتعد عنه المحقق في كثير من أعماله كما وقع في هامش القطعة (١٧) والهامش (٣٧) .

انني كما قلت لا اريد ان اقف طويلا عند منهج الاستدلال المحقق لان العملية تحتاج الى دراسة مفصلة ولكني أثرت ان اضع خطوطا عامة لمنهج التحقيق لتكون نموذجا لمن يريد ان يسلك هذا المسلك حتى تكتمل له اداة العمل وتتوفر له وسيلة التحقيق والسلام .

ملاحظة مهمة ...

لقد نشر الاستاذ مزهر السوداني شعر علي بن محمد الحماني الى جانب نشرة الاستاذ محمد حسين الاعرجي لهذا الديوان ، وكانت اشاراتي في التعليق مقتصره على نشرة الاعرجي لانها نشرت في المودود وهذا يسهل تداولها في الايدي ، ومع هذا فحاول الإشارة الى الابيات المختلطة التي اوردتها محقق اشعار الزنج مقابلة مع نشرة الاستاذ مزهر السوداني لينتفع بها من وقعت في يده هذه النسخة كذلك ..

١ - البيت في الديوان ٢٩٥/ من قصيدة في المحاسن والمساويء ١٠٣/ والمحاسن والاصداد ١٠٤/ .

٢ - الابيات الثلاثة من القطعة الثامنة ذكرت في الديوان ٢٩٩/ نقلا عن الزهرة المخطوط .

٣ - القطعة (١٧) الابيات الاربعة الاخيرة منها ذكرت في الديوان ٣١٥/ نقلا عن اعيان الشيعة ٥٢/٤٢ ، وعمدة الطالب ٢٢٢/ (٢-٤) منسوبة لصاحب الزنج علي بن محمد .

٤ - القطعة (٢٥) البيت واخر ذكرها في الديوان ٣٢٢/ وذكرت مراجعة وقد انفرد صاحب بهجة المجالس بنسبة البيت الى صاحب الزنج .

٥ - القطعة (٢٨) ورد البيتان الاول والثاني في الديوان ٣٢٢/ وفي جميع مراجع التخرينج لم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٦ - القطعة (٣٧) ذكرت في الديوان ٣٣٢/ نقلا عن الزهرة المخطوط ومجموعة المعاني ٤٧/ ولم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٢- تعقيب حول كتابين تراثيين ... (١)

من المبهج ان يتابع المهتمون بشؤون التراث ما ينشر من نصوص وما يجمع من دواوين (١) ومن المبهج حقا ان تكون (بعض جوانب) هذه المتابعة متسمة بالدقة والاهتمام والاستقصاء الذي لا يأتي الا نتيجة جهد متواصل ، وانصراف كلي ، واقتدار متمكن . وهاتان الظاهرتان تكفلان للاعمال الادبية النمو ، وتمنحانها الحياة ، وتضيفان عليها رداء القدرة على تقديم كل عطاء وايضاح كل جانب تاهت في طوايا الزمن ابعاده ..

كنت احس هذا الاحساس وانا اقرأ تعقيب الاخ محمد جبار المعيد وهو يكتب عن صنعتي لشعر المراد بن الفقصي في العدد الثاني (المجلد الثالث) من مجلة المورد ، وهو تعقيب شعرت بما بذله الاستاذ المعيد - وهو يشير في ملاحظاته القيمة - من غناء كبير ، ومراجعة طويلة ، وكان يودى ان يقع هذا الجهد في الموقع الذي اراده له الاستاذ المعيد ، ليعطي الفائدة الكاملة ، ولكنه كما يبدو اخفق في جانب كبير مما اراد. وفي هذه الاشارات التي وقفت عندها ايضاح لهذا الاخفاق ، وتبيان لما لم يفلح تحقيقه ..

١ - في الملاحظة الرابعة قال الاستاذ المعقب . قال : والبيتان (٤-٥) في الحماسة البصرية ٣٦٢/٢ . والصواب : الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ...

اقول : البيت السادس الذي اشار اليه الاستاذ المعيد لم يكن له وجود في الحماسة ، وانما المذكور العاشر. اما الثالث الذي اشار اليه فرواية الحماسة رواية مغايرة له .

٢ - في الملاحظة السابعة قال الاستاذ المعقب : ورواية البيت في المصدر الوحيد الذي خرج فيه ام لعينيك .. «

اقول : ورواية البيت بالشكل الذي اختاره محقق حماسة ابن الشجري بعيد عن المعنى ، ولو كلف الاخ المعقب نفسه ونظر الى هامش الحماسة البصرية لوجد فيه رواية اخرى مطابقة لروايتي التي رجحتها ، وهي رواية ثانية لنسخة اخرى من المخطوطة ، فمحقق الحماسة اختصار (لعينيك) واخترت (بعينيك) وهي اقرب واوفق . وهذا يعني ان رواية البيت لم تكن في المصدر الوحيد وانما في مصدرين اخذ باحدهما صاحب الحماسة البصرية واخذت بالثاني

٣ - في الملاحظة التاسعة قال المعقب : ابياتها الثلاثة تنسب للمتوكل الليثي وهي بشعر المتوكل الليثي اشبه ..

اقول ... ان مصادر التخرج التي ثبتها وهي « بهجة المجالس وحماسة ابن الشجري والصناعتين وصبح الاعشى تجميع على نسبتها الى المراد » وربما اختلف في نسبتها فنسبت الى المتوكل الليثي . او وجدت ضمن قصيدة للمتوكل الليثي ، اما ما ذهب اليه الاستاذ المعقب من انها بشعر المتوكل الليثي اقرب فهو مخالف لاصول البحث التي اجمعت على نسبتها للمراد الفقصي .

٤ - في الملاحظة الحادية عشرة قال المعقب : ارقام صفحات

(١) نشر الاستاذ محمد جبار المعيد تعقيبا في العدد الماضي من مجلة المورد حول المراد بن سعيد الفقصي بتحقيقي .

كتاب الحيوان ... ليست ارقام الطبعة التي اعتمدها (طبعة هارون - انظر المصادر) وانما هي ارقام (طبعة الساسي المغربي) التي اعتمدها اليميني في السمع في تخريجة ابيات المرار نقلها عنه المحقق دون مراجعة الحيوان .. ولو رجع الى طبعة هارون ٦٥/٤ لوجد البيتين (٣-٤) منسوبين للمراد بن منقذ ..

اقول : من الغريب ان يقع الاخ المعيد في موقع لا ارتضيه له وهو يعقب مثل هذا التعقيب لان الاولى ان يتأكد مما كتبت ولا يطلق الكلام بهذا الشكل . فالبيتان وردا في موضعين من الحيوان ، الاول في ١٢١/٣ ونسب البيتان الى الاسدي وهو المرار الفقصي لا العددي كما وهم الاخ المعقب .. والثاني في ٦٥/٤ وأشار محقق الحيوان الى نسبتها للاسدي في الهامش فهل يعني بعد هذا ان البيتين للعدوي ، وهل يعني اني نقلت الهامش دون المراجعة و ...

٥ - في الملاحظة الثانية عشرة قال المعقب : لا معنى لمعجز البيت اذا قرا ..

تريد لعيني الشخص السواجع . وصوابه كما في معاني الاشتاناداني

ترود لعيني الشخص السواجع .. ثم شرح المعنى

ومن الغريب ان يشكر الاخ المعقب رواية ثعلب التي ثبتها ويرتضي رواية الاشتاناداني الذي ثبتها .. والمعنى الاول موافق تمام الموافقة لما يريد الشاعر لما كان يشعر به من هواجس واصبحت هذه النفس تزيد لعينه الشخص وهو معنى طرقة الشعراء كثيرا ...

اما اشارة الاستاذ المعقب « لا معنى لمعجز البيت .. » ففيه خروج عن الطريقة العلمية في المناقشة .. لان هذا يعني ان لا معنى برواية ثعلب وهو اعلم بالروايات المختلفة لكثير من الابيات ، ولكن من الصعب البت في هذا الجزم الذي يوقع صاحبه بالوهم .

٦ - في الملاحظة الثالثة عشرة قال الاستاذ المعقب :

٢ - نسب البيت في المعاني للمرار الفقصي بهذا الشكل (... وكقول المراد « بن سعيد الفقصي ») فزاد محقق المعاني (ابن سعيد الفقصي) بين عصافدين ، دون ان يدل على سبب لهذه الزيادة ثم ذكر في هامشه : (نسبه الزمخشري الى المراد بن منقذ سهوا) .

ب - نسب البيت في اللسان / تشع للمرار مطلقا ، فاذا صحت نسبة البيت للفقصي نقول (وهم الزمخشري) ولا نقول (سها) فكيف والبيت لم تصح نسبته ..

اقول : ان الاستاذ المعقب وقع في اكثر من وهم في هاتين الفقرتين وسأوضح الحقيقة في ذلك ..

١ - لو تفصل الاخ المعيد بقراءة الهامش المثبت تحت القطعة رقم (٦٢) لوجده ينص على ان هذه الابيات وما يليها من ابيات تشكل قصيدة واحدة - اجمع الرواة على نسبتها للمرار الفقصي - ولكنني لم اهتم الى مصدر يجمعها او يجمع بعضها ، ولهذا اثرت ان تكتب على هذه الهيئة ولعل مصدرا من المصادر يعثر عليه فيهدنا الى ترتيبها بالشكل الذي نظمت عليه ... وهي اشارة صريحة الى ان هذه الابيات والبيت الذي اشار اليه المعقب يقع ضمن هذا الاطار .

٢ - لو تفضل الاستاذ المعيد بقراءة مقدمة الديوان (المود ١٥٨/) لوجد نصا يعالج نسبة مثل هذه الابيات وهو « ان ظاهرة اقتصار كثير من كتب الادب عند استشهادها لبعض الابيات على ذكر المرار دون ان تحدد أي المرارين هذا .. تشكل ضياعا لشعر هؤلاء الشعراء واختلاطا في نماذجهم الشعرية ، وفقدانا للخصائص التي يتميز بها كل واحد منهم ، وقد استطعت ان اقتفى هذا الخلط ، واستخلص - الى جانب شعره المنسوب صراحة - تلك المقطعات التي كانت تكتفي بذكر المرار واحدد نسبتها الى المرار الفقهسي الاسدي ، مستعينا بالدليل الذي يثبت صحتها كان تكون من ابيات نسبت صراحة اليه ، او تكملة لابيائ اجمع رواها على نسبتها اليه ، او تكملة لابيائ اجمع رواها على نسبتها اليه ... انتهى النص المثبت في مقدمة الديوان . فماذا يريد الاستاذ المعقب ان اقول .. وما هو عمل المحقق في مثل هذه الاحوال اذا .

٣ - القطع (٦١-٧٣) هي قطعة واحدة وقد ثبت هذا الرأي في المقدمة والهامش المذكور تحت القطعة ، على الرغم من فصلي بينها وقد اجمع القدامى على نسبتها الى المرار الاسدي .

٤ - لم نجد للمرار العدوي قصيدة بهذا الروي حتى نشك في صحة النسبة او نتردد .

٥ - اتفاقا في الغرض والمعنى والنفس والصياغة مع ابيات القطعة التي نسبت ابياتها صراحة اليه ..

٦ - ان الاستاذ المستشرق سالم الكرنكوي محقق المعاني الكبير الذي وضع (بن سعيد الفقهسي) لم يكن من الجهل بحيث يلحق هذه النسبة دون ان يجد ما يعينه عليها . واصل احد المخطوطات او المصادر او نسخة من نسخ المعاني الكبير التي كان يستعين بها هي التي صححت هذه النسبة والا فها الداعي لاضافة ابن سعيد الفقهسي .

٧ - اما محاسنتي على استخدام (سها) ولم استخدم (وهم) فلا اعلق عليه باكثر من قول الشاعر :
وللناس فيما يعشقون مذاهب ..

٧ - في الملاحظة الرابعة عشرة قال الاستاذ المعيد : ذكر البكري في السمط ٧٨٨ البيت الثالث وقال (وهذا البيت ينسب لجبرير ..) وقد تجاوزه المحقق مع انه رجع الى الصفحة المذكورة ..

اقول : يبدو ان الاخ المعيد كان لا يقرأ الا الاصول ، ويتجاوز الهوامش مع انه رجع الى الاصول المذكورة في الصفحة نفسها ، ولو دقق النظر واخفض طرفه الى الاسفل قليلا لوجد ما كان يبحث عنه ولكفى نفسه جهد المشقة ، وبذل المتاعب فقد كتبت القطعة (٩١) ما يلي : قال صاحب السمط وهذا البيت ينسب الى جبرير ، والصحيح انه للمرار الاسدي ، ولم اجد في ديوان جبرير (صادر) . (هذا قول) .. المود ١٧٤ .

فهل اكون حقا قد تجاوزت ملاحظة صاحب السمط يا اخي الكريم ...

٨ - في الملاحظة الخامسة عشرة قال الاستاذ المعقب .. « البيت الاول منها نسبة البكري في السمط ٢٠٤/ للهذلي ، وقد تجاوز المحقق ايضا مع انه رجع الى الصفحة المذكورة » .

اقول : البيت في السمط لم يكن للهذلي كما قال الاخ

المعيد وان الذي اشار اليه هو ما يلي : نسب يعقوب (ابن السكيت) هذا البيت الى الهذلي ، ولا اعلمه في اشعار هذيل ، وقد جمعت منها كل رواية الا ان يكون في شعر ابي خراش الذي اوله ...

وقال الاصمعي . بل قالها خراش قال وهي في رواية بعضهم سبعة ابيات وبعضهم يجعلها في قصيدتين ، فلعل هذا البيت الشاهد في القصيدة الساقطة وهذه القصيدة التي ذكرت اولها ليست فيما رواه ابو علي هي في رواية السكري . وقد روى ابو علي لابن خراش قصيدة اخرى على هذا الروي والعروض ..

انتهى قول البكري .. « الذي في الاصلاح ٢٠٦/ انه لاسدي وهو المرار الفقهسي كما في اللسان (غفر) عن ابن بري .. وهو الذي ثبته في تخرج القطعة . و

فالبيت اذا عند البكري لم يكن منسوباً للهذلي مطلقاً لانه نفى الرواية في قوله : ولا اعلمه في اشعار هذيل .. والبيت لم يكن منسوباً الى الهذلي حتى عند ابن السكيت كما ثبته الميمني وكما هو مذكور في الاصلاح وهذا ما جعلني اتجاوز النسبة الى الهذلي لعدم اثباتها فماذا يقول الاخ المعقب بعد كل هذا هل ان صاحب السمط نسب الى الهذلي ؟ .. وهل ان البيت للهذلي ، واي الهذلين هذا الذي يعنيه الاخ المعيد ؟ انني لم اتجاوز رواية السمط وانما احلت اليه في التخرج كما مثبت (المود ١٨٣) نظرا لهذا الخلط والوهم العجيب والتفي القاطع في اخراجه عن دائرة شعر الهذليين . ولكن الاخ المعيد التمس عليه الامر فتصور التجاوز واقعا .

في الملاحظة العشرين قال الاستاذ المعقب .. « عثرت على ابيات اربت على الخمسين بيتا لم ترد في ما جمعه الدكتور القيسي » .

اقول .. من الغريب ان يفتتح الاخ المعيد هذه الملاحظة - وهو في صدد الحديث عن الابيات الجديدة التي لم ترد في جمعي .. بهذه العبارة المثيرة التي تجافي الحقيقة العلمية . ولا اكون مغاليا - اذا كانت طريقتي شبيهة بطريقة الاخ المعيد - ان اقول اذا كنت معقبا .. عثرت على خمسمائة بيت لم ترد في ما جمعه الدكتور القيسي . وربما استطيع ان اتجاوز هذا العدد الى الضعف اذا كنت اضيف كل شعر المرارين الى المرار الفقهسي واذا كنت اضيف كل اشعار المرار العدوي الذي اجمع الرواة على نسبتها اليه الى المرار الفقهسي ، واذا كنت اضيف كل زعم او افتراض زعمه بعض الضعفاء من الرواة في نسبة قصائد مشهورة الى شعر المرار الفقهسي .. اذا كان الحديث بهذا الشكل فانا استغرب من الاخ المعيد ان يكتفي بهذا القدر من الابيات التي عثر عليها ، ولم لم يجعل الاخ المعيد المفضلية التي ذكر ثلاثة ابيات من الابيات التي استندركها ضمن هذه القائمة ليقتصر العدد الى المائة والخمسين، لان المفضلية كما اوردها المفضل تجاوزت التسعين بيتا ..

الاخ المعيد لم يكن غريبا عن التحقيق ، وقد اصبح الامر في هذه المسائل من البديهيات في موضوع التحقيق ، فما فائدة ابيات اوردها في المجموع واقول عنها انها للمرار العدوي .. لم تصادف الاخ المعيد مثل هذه المصادفات فيعزف عنها لانها واضحة الزيف ، بينة التلفيق ، . ولا اريد ان اذهب بعيدا وانما اقول : ان الاخ المعقب قال وهو يذكر بيتين .. نسبهما البكري في السمط ٨٣٢/ للمرار بن منقذ العدوي . ثم قال

او قد نسب هذا الشعر الى المرار بن سعيد الفقمسي الاسدي .
وقال المعقب : والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العدوي في
المفصليات ..

اقول : ماذا ينتظر مني الاخ المعيب ان اقول وهو
يعقب .. والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العدوي في
المفصليات .. فاذا كان المفصل ، وقائمة التخريج المذكورة
في المفصليات وهي كبيرة - تجزم بنسبتها الى المرار العدوي
فماذا يريد مني ان اقول : هل يريد مني الحاق ابياتها بشعر
المرار الاسدي وانا اعلم علم اليقين بتوثيق نسبتها الى المرار
العدوي . هذا قول في الملاحظتين (٣ ، ٤) .

اما القصيدة التي الحققها الاستاذ المعقب وعدتها (٤٣) بيتا
من الخمسين التي افتتح بها الاستاذ المعقب ملاحظته فلي عليها
اكثر من ملاحظة ..

١ - قال الاستاذ المعقب « القصيدة التالية في (٤٣) بيتا،
اختلف في نسبتها ، فقد نسبها البغدادي في الخزانة ٣٩٦/٢
للمرار بن سعيد الفقمسي عن شرح ديوان مسلم بن الوليد
للخالدين » ..

اقول : الذي في الخزانة ٣٩٦/٢ « وزعم الاصفهاني في
الاغاني والخالديان في شرح ديوان مسلم بن الوليد ان هذه
القصيدة للمرار بن سعيد الفقمسي .. وعليه فصاحب الخزانة

لم ينسبها الى المرار بن سعيد وانما هو وهم من المعقب ..
وان صاحب الخزانة قال بعد هذا الزعم . والصواب انها
لزباد بن منقذ العدوي .. فمن اين استطاع التوصل الى ان
البغدادي نسبها في الخزانة ٣٩٦/٢ للمرار بن سعيد الفقمسي .

اذا اسقطنا هذه الاشارة التي وهم بها المعقب لم نجد
مصدرا من المصادر تذكر نسبتها الى المرار الفقمسي ، فهل
يجوز لنا بعد هذا الوهم - وببعد اجماع المصادر على نسبتها
الى المرار بن منقذ العدوي والتي اوردها الاستاذ المعقب ان
نذهب الى ما ذهب اليه الاخ المعيب فنحشر في شعر الفقمسي
اشعار كل المرادين على الرغم من علمنا بخطا النسبة وخطل
الحاقها بشعره ..

اذا اسقطنا هذه القصيدة (٤٣) بيتا ، واسقطنا الثلاثة
الايات الاخرى التي اجمع الثقة من الرواة على نسبتها الى
العدوي . واسقطنا البيتين اللذين اطلع عليهما الاستاذ المعيب
قبل اطلامي على مسودة التعقيب فماذا بقي من الخمسين ..
كنت امل الا يقع الاخ المعيب ، وهو المحقق الثبت في هذا الوهم،
فيلحق اشعار العدوي بالفقمسي وهو يعلم صحة النسبة .

بعد نهاية التعقيب . اشكر الاخ المعيب على هذه الدقة
في بعض جوانبها ، واشكره على هذه المتابعة في بعض احوالها ،
وآمل الا تكون التعقيبات على هذه الشاكلة من الوهم وشكرا .



مركز تحقيقات كافي في علوم اسلامی

تعقيب وعرض

بقلم

الدكتورة ابتسام الصغار

(١) تعقيب على شعر الجاحظ

اعتقد ان تحقيق اشعار القدماء وجمع دواوينهم مساهمة كبيرة في بعث تراثنا العربي القديم ، وبعث جديد للدور الذي قام به رواة الشعر الاوائل . ولكنه بعث ، يجب ان يوجه نحو الشعراء الذين كان لهم دور كبير في اغناء الفكر العربي والانساني ونحو الشعراء الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في مجتمهم واحداث امتهم .

ان ما يتركه شعر الجاحظ اول وهلة هو تشويه الصورة الرائعة التي عرفناها عن الجاحظ لتحل محلها الفاظ سوقية ومعان مبتذلة مثل ما ورد في شعره من ذكر فصاع الاحزان ، ولوزينج النفوس (٢٢) ، وبرايث الوجسد (٢٣) ، ومعلف الكبد (٢٥) ، وبنات وردان ، وبريخ الهوى (٢٨) ، وروث الحب ، وخنافس الهجران ، وسلج البين (٢٩) ، وزنبيل البين وليفة الصد (٧) . الى غير ذلك مما ينبو عن ذكره اللوق السليم والفن الرفيع ، فكيف به وهو ينسب للجاحظ امام النثر والبيان وذوافة الشعر والنثر .

واخيرا اقول يكفي ادبنا العربي فخرا ما قدمه الجاحظ للفكر والادب من نتاج ثر اصيل ، والجاحظ في شموخه الادبي لا يحتاج الى شهادة شعر نشبتها له .

ومعذرة للاستاذ المحقق فهو معروف بتحقيقاته القيمة ، ومزبدا من النتاج الذي يخدم فكرنا وامتنا .

قرات ضمن النصوص المحققة في مجلة المورد العدد الثالث المجلد الثالث شعر الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر للاستاذ محمد جبار الميبد . وقد اعجبتني الدراسة التي مهد بها الباحث الفاضل لشعر الجاحظ : لانه اوضح لنا ان الجاحظ لم يكن شاعرا - وان قال بعض الشعر - (ولم يبلغ الشاعرية المستوى الذي يجلنا نعه من شعراء العصر المرموقين) اما الروايات التي نقلها الباحث في نقد شعر الجاحظ فهي مهمة جدا توضح اراء القدماء فيه ، وانهم لسم يعتبروه شاعرا مرموقا كان او غير مرموق . انما نبغ الجاحظ نبوغا رائعا في ميدان النثر كتابة وتاليفا حتى ألف اسمه عبر العصور وصار امام عصره في البيان ، وكفينا ما نقله الباحث الفاضل من رواية ابي هفان حين احجم عن هجاء الجاحظ فقال : امثلي يخدع عن عقله ! والله لو وضع رسالة في اربعة انفه لما طن منها بيت في الف سنة .

اما الاشعار التي اثبتها المحقق الفاضل للجاحظ فهي قليلة لم تتجاوز (٤٢) بيتا متفرقة في القسم الاول ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، البقية متنازع عليها . اما القسم الثاني فلا يمكن ان نطلق عليه اسم الشعر ، لان الجاحظ قاله على السنة بعض الناس مما اقتضته رسالة صناعة القواد التي ألفها ، وبما عرف به الجاحظ من قدرة فائقة في الدفاع عن وجهات النظر المختلفة اذا عرض لذكرها او مناقشتها .

قراءة هذا الشعر اثار في نفسي تساؤلا ؟ ما الفائدة من تحقيق الشعر ؟

(٢) مع كتاب « تحفة الوزراء » للشمالي

الكتاب مخطوط وتوجد منه اربعة نسخ خطية :
الاولى : نسخة مكتبة فيض الله رقم ٢١٣٣ وتاريخ نسخها ١٤ رمضان ١٠٢٨ . وعنها نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية وتقع هذه النسخة في ٤٠ ورقة .
الثانية : نسخة مكتبة امانة خزينة برقم ١٧٢٦ وهي مكتوبة سنة ١١٣١ هـ بخط يوسف بن محمد بن الوكيل المالوي

اود ان اتحدث عن كتاب مهم من كتب الشمالي ابي منصور عبد الملك ابن اسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . والكتاب يعرض جانباً حياً من جوانب الحضارة الاسلامية ، ويعالج قضية مهمة لها مساس مباشر بالحياة السياسية والعامة للمجتمع العربي الاسلامي : وهو موضوع الوزارة وما ينبغي ان تكون عليه او شروطها ، وواجباتها ، ومقوماتها .

وتقع في ٤٤ ورقة وقد نسخها عن الاصل الاستاذ حسين علي الدافوقي للاستاذ حبيب الراوي (١) وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية .

الثالثة : نسخة مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وعليها تملك للفقيه احمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده ، وهي نسخة متأخرة ايضا .

رابعة : نسخة مكررة ايضا كتبت سنة ١٢٠٠ هـ

هذه النسخ الاربعة تبدو متقولة عن اصل واحد ، اذ لا فرق بينها في النصوص والاخبار ، وكل ما نجد من فروق هو في رسم بعض الحروف ، وزيادة بعضها ونقصان الآخر ، او في تحريف بعض مما يقع عادة عند كثير من النساخ .

مادة الكتاب :

رتب كتاب تحفة الوزراء بشكل ابواب خمسة ، وكل باب مقسم على جملة فصول . والابواب هي :

الباب الاول : في اصل الوزارة واشتقاقها

الباب الثاني : في فضائلها ومنافعها

الباب الثالث : في ادابها وحقوقها

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها .

الباب الخامس : في ذكر كفائهم ونكت الفاظهم وعفوفهم ومدايحهم .

الباب الاول :

تحدث فيه المؤلف عن اشتقاق كلمة الوزارة ، وورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي ، اشد به ازري واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ، قال قد اوتيت سؤلوك يا موسى .) . ومن هنا يعتبر المؤلف هارون اخا النبي موسى اول وزير سمي بهذا الاسم . ثم يبحث اشتقاق كلمة الوزر فيذكر اشتقاقين : الاول وهو الثقل ، لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزر له . ومنه قوله تعالى : (ولكننا حملنا اوزارا من زينة القوم) . اي اقلنا من امتعتهم وحليهم .

اما الاشتقاق الثاني فهو الازر بمعنى المعاونة ، لان الوزير يعين الملك على ما هو بصدده من اعباء السياسة ، ومنه قوله تعالى : (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشد به ازري) اي اشد بمعاونته ، ومساعدته . ثم يذكر رأيا اخر يعتبر فيه كلمة الوزارة غير عربية وهي من الزور بالفارسية ومعناها عندهم اسم للشدة والقوة فاستعمر وعرب . والمعنى فيه انه يشد صاحب الدولة ، ويقويه ويعينه على ما هو بصدده .

وبرجح المؤلف ان يكون اسم الوزارة مشتقا من معنى المساعدة والاعانة . ثم يبدأ بالحديث عن الوزارة عند اليونان والفرس حيث يذكر انه قلما كان من عظماء ملوك الفرس الا وكان له ثلاثة وزراء واكثر الى سبعة او عشرة . واهل الهند يقولون : امثل ما ينبغي ان يكون للملك اربعة وزراء . واخيرا يتحدث عن اهمية الوزراء ، وضرورة وجود الوزراء في تدبير

(١) لقد اوشكنا على الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب بالاشتراك مع الاستاذ حبيب الراوي

شؤون الماليك متمثلا باقوال البلقاء والمشهورين من الخلفاء والوزراء وبذلك ينتهي الفصل الاول من الباب الاول .

وبعد ذلك يبدأ فصل في الوزير الصالح ، وقد افترضه المؤلف بقول النبي صلى الله عليه وسلم : اذا اراد الله بملك خيرا فبفضله وزيار صالحا ان نسي ذكره ، وان نوى خيرا اعانه ، وان اراد شرا كفه .

وعنده الرأي عند المؤلف في استئزار الوزير ان يكون شريفا لا وضيعا مجهولا وبضرب لذلك مثلا بقوله (الورقة ٦) :

وعنده الامر في الوزارة ان يستوزر الشريف المذكور ، ولا يؤمل لها الوضيع المجهول ، كما فعل غير واحد من الملوك ، فجنوا على ملوكهم ، وأراقوا دماء دولتهم ، وهدموا ركن سياستهم ، ومنهم عز الدين بختيار فانه استوزر صاحب مطبخه ابا طاهر محمد بن بقية ، وكان الى اليوم الذي خلع عليه يقدم الطعام اليه ، ويحمل الفضائير بيديه ، ويتشجع بمناويل الفخر ، ويذوق الالوان عند تقديمه اياها كما يفعل من يتنقل المطبخ ، ولما استوزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار ، وتعجب الناس من وزارته . وقال قائلهم (من الفضارة الى الوزارة) . ولم تكن عينه تقع الا على من كان فوقه من اصغار القوم . فاما اكابرهم واوساطهم فلم يكن ممن يكلموه . وزادت به دولة بختيار اخلاقا وعارا ، وتضاحك الناس به قربا وبعدا ، وكان كل واحد منهما ساعيا في عاقبة امره ، وسبب هلاكه .

فصل فيما يوجبه حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد . وقد ذكر فيه المؤلف اقوالا وامثالا في هذا الباب تؤيد فكرة الاقتصار على وزير واحد وبذلك يخالف ما ذكره في اول هذا الباب من تعدد الوزراء .

الباب الثاني : في فضائل الوزارة ومنافعها . وقد ذكر فيه ايات واحاديث واقوالا ابتدأها بوصايا ملوك الفرس ، ثم ذكر اقوال بعض وزراء بني العباس مبتدأ بالفصل بن سهل ، الا انه عاد فتمثل بقول قديم في الوزارة وهو القول المنسوب لارسطو عن الاسكندر الذي انتخب سبعة وزراء يصحبونه ويتكفون مصالح دولته . ثم يذكر نصيحة الاسكندر لهؤلاء الوزراء .

الباب الثالث : في آداب الوزارة وحقوقها ، ابتداء بقوله (الورقة ٩) :

ينبغي ان يختار للوزارة من اجتمعت فيه الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة ، وعرف بالاراء السديدة ، وجودة التدبير ، وصواب الآراء المفيدة فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة . واذا كان زمان الصلح والهدنة يصلح ان يكون الوزير حليما ساكنا واذا كان زمان الفتى والحروب يصلح ان يكون شجاعا صارما .

ثم ينقل اقوالا عن بعضهم في شروط الوزير الصالح فينقل خبرا عن ابي زيد البلخي وعن آخر ، وعن بعض الحكماء ، ثم يذكر ما كانت الاكاسرة تشترطه في اتخاذ الوزير الصالح . ويختم حديثه ببيتين من الشعر لبعض الشعراء في من نال الوزارة وهو عري من هذه الخلل (الورقة العاشرة)

لا كمال لا جمال لا بيان لا عبارة
هكذا الرسم لديك اين آلات الوزارة

بعد ذلك يخصص المؤلف فصولا تدرج تحت هذا الباب

وفصل في كتمان الاسرار ، وكيفية المشورة . وفي هذا الفصل اخبار تاريخية عن الوزراء والحكام العرب .

ثم فصل في احتياج الملك الى معاونة الوزير وفصل في وجوب النصح بالاستشارة .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم (الوزراء) ونكت الفاظهم

يبتداء بفصل في الكفاءة : تحدث فيه عن الوزراء الذين جمعوا بين البلاغة والسياسة وبعدد منهم عمرو بن العاص الذي اشتهر بالدهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدير الحروب ، ومنهم زياد بن ابيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ويوسف بن عمر والمهلب بن ابي صفرة ، وابنه يزيد والمختار . اما في الدولة العباسية فيبدأ بذكر ابي مسلم الخراساني ويصفه بأنه احد رجال الدنيا سياسة وهمة وبلاغة ، ثم يذكر من بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير المتصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد والمأمون . ويستطرد فيعدد كفاءة الولاة والوزراء من ينسب اليهم كابي سلمة الخلال ، وابي ايوب الموراني ويعقوب بن داود ، والفضل بن سهل ...

ثم فصل في نيد ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم . ويكاد أن يكون هذا الفصل أطول الفصول لكثرة الاخبار والافعال التي نقلها المؤلف عن الوزراء العرب المشهورين .

وبعد فصل في محاسن ابي الفضل بن العبيد ورقعة استيزاده الى بعض اخوانه . ثم يذكر فصلا آخر علقته هذه الاحرف حيث ينقل بعد هذه الفقرة اقوالا عن مشهوري الوزراء العرب ، ويستمر بذكر لطائف الوزراء يتبعها بذكر تواقيع الوزراء وفصولهم .

ثم فصل في العفو وما يجري مجراه ، ثم فصل لابن ثوبة من كتاب الى وال ، وفيه يتحدث عن عقاب المجرمين ، وايداعهم السجون ، وعن ضرورة اشراف الوزير على حال السجناء ، وتنبهه لآخبارهم ، ومعرفة من اظهر التوبة والعفو منهم . ويتبعه بفصل لابن ثوبة ايضا من كتب الى وال . ومع انه سمي هذا الفصل باسم ابن ثوبة فان الكتاب لم يكن مرسلا الى وزير وانما هو مرسل الى وال ولكنه يدخل ضمن السياق العام الذي يتحدث فيه المؤلف ، وهو حديث الجرائم والسجناء ، وفيه يأمر امير المؤمنين باحصاء من في الحبوس من ارباب الجرائم الذين لا يسوغ اخراجهم ولا لهم مال ينفقونه فيشت اسماءهم ويتنازع لكل رجل منهم قميصا وسراويل وقلنسوة ، وللراة رداء وخمارا وقميصا ، على ان يولي الوالي على هذه الامور امانة عارفين بذلك مباشرين له .

وبعد هذا الكتاب يستمر المؤلف ضمن فصل ابن ثوبة بذكر نكت واخبار من تواقيع الوزراء ، واخبارهم مع السجناء ورعايتهم لهم .

ثم فصل في التهنتة بالخلاص من السجن والنكبات . ويبدو هذا الفصل غير متسجم مع الفصول الاخرى ، اذ انه لا علاقة له بالوزارة والوزراء وكل ما فيه بيتان للمهلب من قصيدة ، وآخران للبحري حيث يختم الفصل فليبه فصل في استعطاف الملوك والوزراء ، والعفو والرضا ، وما يحسن في ذلك ، ويحمد . ثم يختم الباب بفصل في بعض مدائح الوزراء فيذكر اشعارا لعمر الربيب في مدح آل برمك ، ولابي الحجاج نصيب ولسلم الخاسر ، ولابي الفرج البشاه وغيرهم من الشعراء حيث يكون هذا الفصل خاتمة الكتاب .

فيبدأ بفصل لعمرو ابن مسعدة في وصف الوزير ، ومع ذلك فانه يدرج مع قول ابن مسعدة بيتين لابي الفتح البستي في صاحب بن عباد ، ثم يذكر فصلا في حق الملك على الوزير . وينتقل في توضيح هذا الحق بين اقوال الحكماء العرب واليونان واقوال بعض الخلفاء من بني امية وبني العباس ثم جزء لعبد الحميد الكاتب في الوزير ويلييه فصل في حقوق الوزراء على الملك . ويضع المؤلف هذه الحقوق في اربعة شروط ينقل خلالها بعض الاخبار التاريخية . بعد هذا الفصل يذكر فصلا يشمل على نيد جرت بين الملوك والوزراء . وفيه خبرين الاول عن المأمون . والثاني عن الوزير عون الدين ابن هبيرة والخليفة المستنجد (وهذا الخبر موضع شك سنتناوله بالمنافسة فيما بعد) .

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها :

وهذا الباب مهم جدا يوضح اقسام الوزارة وميزاتها فهي تنقسم الى وزارة مطلقة واخرى مفيدة . فاما المطلقة فهي وزارة التفويض وهي اكمل انواع الولايات لاشتمالها النظر في امور المملكة وهي لا تحتل الشركة ، لانها وزارة تامة .

ويقسم المؤلف هذا الباب الى فصول ايضا فيذكر فصلا في الخصال التي ينبغي ان تجتمع في هذا الوزير (وزير التفويض او المطلق) مع ما تقدم وصفه من الشرائط والاداب .

ويخصص فصلا اخر في وزير التفويض الصالح ايضا وما يجب عليه عند توليه الوزارة كضرورة انتدابه الولاة الصالحين ممن يتفقدون احوال الولايات ، دقيقتها وجليها ، وضرورة النظر في الاموال ، وامر الاجناد ، متتبعا امورهم واحوالهم ، مموصا ما تلف من خيلهم وقوتهم .

ثم يتحدث عن النظر في اموال الدولة ، وكيف ان العناية يجب ان تكون بتشمير الاموال اكثر من العناية بجمعها . وعلى وزير التفويض ايضا الا يهمل صفار الامور او لا يخور ، ولا يرتاع اذا دهمه امر عظيم ، وبفته خطب جليل . ويتمثل المؤلف بقول لابي زيد البلخي في الوزير الذي يتصف بالخلل الحميدة التي تؤهله لوزارة التفويض .

بعد هذا الحديث الفصل عن وزير التفويض يختتم الثعالبى هذا الفصل باربعة اسطر فقط عن الوزير الثاني الذي يسميه بالوزير الخاص او المقيد والذي يعرف بوزير التنفيذ وذلك لانه يتعين عليه ان لا يغيب عن موضع الملك ، لانه يحتاج الى مشورته ومراجته في اكثر الامور الحوادث فلا يبعد عنه لا ليلا ، ولا نهارا (الورقة ١٥) .

ثم يبدأ فصل في الفرق بين الوزارتين المذكورتين ثم فصل في ذكر رسوم وزارة التفويض فيتحدث فيه عن وظائف هذا الوزير ، وكيف انه يجب ان ينظر في جميع الدواوين يستعرض حساباتهم واعمالهم ، ويقوم معوجهم ، ويصلح فاسسدهم ، ويعرض على الملك الجمل من ذلك ، ولا يعزل الولاة ولا يصرف من كان على رؤوس الدواوين ، والاعمال الجليلة الا بامر الملك ، لانه كالواسطة بين الملك والرعية . وبهذا يوضح المؤلف الفرق بين الوزيرين .

بعد ذلك فصل في ذكر المشورة : ويذكر فيه اقوالا مختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية واقسوالا لبعض العلماء والحكماء في فضل المشورة .

ثم فصل فيمن ينبغي ان يستشار ومن لا يستشار .

نسبة الكتاب :

لا بد ان نتساءل عن صحة نسبة الكتاب للثعالبي : ولنبدا بالهيكل العام الذي استعرضناه قبل قليل لنعرف ما اذا كان منسجما مع طريقة الثعالبي ام لا ! وهل كل ما ورد في الكتاب هو للثعالبي ام لا ؟

ان قراءة الكتاب والاطلاع على منهج المؤلف يعطينا صورة منسجمة مع منهج الثعالبي في تأليفه . فالثعالبي يضع خطة معينة يلتزم بها في كل كتاب فهو يقسم كتبه الى ابواب ثم الى فصول تاركا تسمية بعض الفصول او يسميها باسم من يذكر له خبرا او شعرا ، وقد يسميها باسم الموضوع الذي يتناوله ، وهذا ما وجدناه في الكتاب الذي بين ايدينا .

اما فحص مادة الكتاب والاعلام والاخبار الواردة فيه فانها تضعنا امام احتمالين لكل منهما مبرراته في رفض نسبة الكتاب الى الثعالبي او ترجيح نسبتها اليه .

حين نتصفح الكتاب نتجابهك اسماء اعلام لشخصيات متأخرة عن عصر الثعالبي ، واخبار عن حوادث وقعت بعد عصره بقرن او قرنين ومعلوم ان الثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ لذا يجب ان نتنبع هذه الاعلام والاخبار .

١ - ينقل المؤلف في الورقة (٨) وضمن الباب الثاني (في فضائلها ومنافعها) ينقل خبرا من كتاب اخبار الدولة السلجوقية يذكر فيه ان السلطان ملكشاه تغير على وزيره نظام الملك الحسن بن علي بن اسحاق وارسل اليه خادمه صندل ليليفه رايه فيه ويطلب منه ان يقصر عما هو عليه ويهدده ان لم يستجب له .

ونظام الملك المذكور في النص هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الوزير الاديب المشهور . استوزره السلطان الب ارسلان ، وبقي في خدمته عشر سنين ، ومات الب ارسلان فاستخلفه ولده ملك شاه ، فصار الامر لنظام الملك . واخيرا اغتيل على مقربة من نهاوند سنة ٤٨٥ هـ (٢) .

وفي الورقة ٩ ابيات لابن الموصلاني في مدح نظام الملك مطلعها :

دراها في ازمنتها تهادي وعاد بها الشنايا والوهادا
ولما ان تفرد بالمصالي وادرك في مداها ما ارادا

وابن الموصلاني هذا شاعر من كبار الكتاب في العصر العباسي وكان يقال له منشيء دار الخلافة ، خدم الخلفاء خمسا وستين سنة ابتداء من امر القائم بامر الله سنة ٤٣٢ هـ حتى توفي سنة ٤٩٧ هـ (٣) . وابياته المذكورة اعلاه تنمة للخبر السابق حيث ان الحديث مستمر عن نظام الملك ووصف اخلاقه ومزاياه فيقول : وكان نظام الملك من نوادر الزمان ... ثم يذكر الابيات .

٢ - في الباب الثالث فصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء ويصرح المؤلف بأنه سمع الكمال بن جبير يحكي ان الوزير عون الدين ابن هبيرة كتب الى الخليفة المستنجد بالله يتودد اليه ويشكره بقوله :

اقسمت بالآيات والكلمات في نص الكتاب

وباسط الارض القرار وسامك السبع العلاب
اني اجبك مخلصا من غير شك وارتباب
واحب ملكك للدنيا ما بين بمد واقتراب
فلا نصحنك ما حييت واجعلن رضائك دابي
ولانفق فيك الحياة واشركك في التراب

وعون الدين ابن هبيرة اسمه يحيى ، وكنيته ابو المظفر وزير للخليفة المقتفي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ . ولما انقضت ايام المقتفي ، وبويع بالخلافة للخليفة المستنجد اقر ابن هبيرة على وزارته حيث توفي ابن هبيرة سنة ٥٦٠ هـ (٤) .

٣ - في الورقة ١٧ نص يقول فيه :

سمعت القاضي الفاضل ينشد مذاكرة :
اذا ما انجلي السراي فاحكم به
ولا تحكمن بما يشتهيه
ونبئه فؤادك عن غفلة
فان الموفق من ينتبئه

وقال : يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من العلماء ، ولا يستشار اهل الحرب كالزند يستنبط منه النار فانه يصليها ولا يصطليها .

والقاضي الفاضل الذي ينص المؤلف على انه سمعه هو مجيد الدين ابو علي عبدالرحيم المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وكان وزير السلطان صلاح الدين الايوبي وكتابه (٥) .

بعد هذا الخبر مباشرة وفي نفس الورقة خبر اخر يقول فيه :

وقرات في رسالة كتبها عبدالله بن حمزة العلوي باليمن تتضمن وصيته الى عاملين من عماله ...
وعبدالله بن حمزة العلوي هذا احد ائمة الزيدية ...
بويج له سنة ٥٩٣ هـ وتوفى سنة ٦١٤ هـ (٦) .

٤ - في الورقة ٢٥ وضمن الباب الخامس في ذكر كفاة الوزراء ، وتكت الفاظهم يعدد المؤلف الوزراء الكفاة في الدولة الاموية والعباسية . ويعدد من وزراء الدولة العباسية ابا سلمة الخلال ، و ابا ايوب المورياني ، ويعقوب بن داود والبرامكة ... ثم يعدد العوائل التي وليت الوزارة فيذكر بني الفرات وبني مقله ثم يذكر اسميين لعائلتين تولتا الوزارة تستوقف الانتباه وتستدعي المناقشة وهما بنو جبير وبنو رئيس الرؤساء .

ثم يعدد الوزراء الذين وزروا للعجم فيذكر منهم الطفراني ونظام الملك ويسميههم الذين وزروا للعجم تمييزا لهم عن الوزراء الذين وزروا للخلفاء بينما تولى هؤلاء الوزراء الامراء السلاجقة .

وحين يعدد وزراء ملوك المغرب يذكر ضمنهم ابن حزم وابن زيدون وابن عباد .

(٤) وفيات الاعيان ٦ : ٢٣٠-٢٤٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢٢٩ .

(٥) انظر الكنى واللقاب ٣ : ٤٧٠

(٦) انظر الاعلام ٤ : ٢١٣ .

(٢) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨-١٣١

(٣) المنتظم ٩ : ١٤١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٨

على الاثلاث الواديين سلام
وبعض تحايا الزائرين غرام
هم شرعوا ان الجفاء محلل
وهم حكموا ان الوفاء حرام

وذكر منها في الاستعطف :

اجلك ان القالك بالعذر صادقاً

وبعض اعتذار المذنبين خصام

وقد مر بنا ان الطغراني شاعر توفي بعد عصر الشعالبي بقرن
حيث توفي سنة ٥١٢ هـ .

* * *

هذه هي المآخذ التي تؤخذ على نسبة الكتاب للشعالبي
وتشكك فيه لان النصوص المذكورة متعلقة بفترات متأخرة عن
عصر الشعالبي . وبعد دراسة هذه النصوص ومكان ورودها مع
دراسة نصوص المخطوط ونقدها يتوضح لنا انها زيادات ليست
من اصل كتاب تحفة الوزراء ، ذلك ان مقارنة نسخ الكتاب
المختلفة تهدينا الى حقيقة كونها عدة نسخ لاصل واحد نسخته
ناسخ متأخر ، واصناف اليه هذه الزيادات ودليلنا على هذا
القول مستند على دراستين ، الاولى دراسة النصوص المضافة
والثانية دراسة النصوص الاخرى الواردة في الكتاب .

ان تتبع هذه الزيادات يبين لنا انها اضيفت في نهايات
وخواتيم بعض الفصول وكان الناسخ كان يضيف بعض ما يخطر
بباله من نصوص متعلقة بالفصل ناسيا لجهله انها نصوص
متأخرة عن عصر الشعالبي الذي ينسخ كتابه .

فالنصان المدرجان تحت رقم (١) اضيفا في خاتمة الفصل
الاول من الباب الثاني حيث يأتي بعده الباب الثالث .

اما النص رقم (٢) فانه في خاتمة فصل سماء بفصل يشتمل
على نبذ جرت بين الملوك والوزراء حيث لم يذكر المؤلف فيه الا
خبراً عن المأمون ووزيره الحسن بن سهل وكان الناسخ وقد
خطر بباله خبر عن المستنجد بالله اضاف له يزيد طول هذا
الفصل بما يتسجم مع الفصول الاخرى . وان كانت مسالة
طول الفصول وقصرها عند الشعالبي غير خاضعة لخطئة معينة
حيث يزيد طول بعضها فيتجاوز الصفحات ، ويقصر بعضها الاخر
فلا يتجاوز الخبر الواحد او الشخص الواحد .

اما الخبران المدرجان تحت رقم (٣) فانهما الوحيدان
اللذان وجدناهما وسط فصل ، وليس في خاتمة كما افترضنا
ان تكون ازيادات . الا ان اقامها يبدو واضحاً وسط اخبار
واشعار متناثرة لفترات متقدمة حيث يبدو فيها ورود الخبرين
المتأخرين غير منسجم ابداً .

اما مجموعة الاعلام الواردة ضمن الفقرة (٤) فانها تصدق
عليها فرضية كونها زيادة من الناسخ ، لانها ايضا وقعت في
خاتمة الباب الخامس وكان الناسخ وهو يكتب ويستعرض مع
المؤلف اسماء كافة الوزراء ومشهورهم والمواثل التي وليت
الوزارة اراد لجهله ان يتم الفائدة فاضاف في نهاية الباب ما بلغ
علمه من الوزراء الذين تلت فتراتهم فترة حياة الشعالبي المؤلف
حيث يأتي بعده فصل جديد في نبذ وتكت لطائف السوزراء
ومحاسن الفاظهم .

ورب معترض يعترض على نفي هذه الشكوك ومناقشتها

ونأتي الان لاستعراض هذه الاسماء فنجد ان المؤلف ينتسب
اسماء الوزراء تاريخياً ، ويذكرهم بتسلسل من عهد الامويين ثم
العباسيين منذ ايام نشوء دعوتهم ودولتهم ، الا ان ذكر بني
جهر وبين رئيس الرؤساء هو الذي يثير التساؤل ، لان بني جهر
عرفوا بعد وفاة الشعالبي وهم ينسبون الى ابيهم ابن جهر
وهو محمد بن محمد بن جهر الملقب بفخر الدولة
مؤيد الدين ابو نصر ، استوزره الامير نصر الدين احمد
ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم استوزره الخليفة
وتوفي سنة ٤٩٣ هـ .

ومن بني جهر ابو منصور عميد الدولة . ولي الوزارة
ببغداد لثلاثة من الخلفاء ، سجنه الخليفة المستظهر بالله ،
الى ان امر بقتله سنة ٤٩٣ هـ (٧) .

ومن ولي الوزارة من بني جهر ايضا نظام الملك ابو نصر
الظفري بن علي ابن محمد وزير المقتفي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ .
ولم تطل ايامه (٨) .

اما بنو رئيس الرؤساء فهم من الموائل التي وليت
الوزارة بعد وفاة الشعالبي ايضا وهم ينسبون الى رئيس
الرؤساء علي بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر وزير
القائم قبل ابن جهر . ومن اجله وقعت فتنة البساسيري حيث
قتله البساسيري لما دخل بغداد ومثل به سنة ٤٥٠ هـ (٩) .

اما الوزراء الذين وزروا للعجم والذي ذكر منهم اسم
نظام الملك والطغراني فقد مرت بنا ترجمة نظام الملك . اما
الطغراني فانه متأخر وهو اسماعيل بن الحسين بن علي بن
محمد بن عبد الصمد مؤيد الدين المتوفى سنة ٥١٢ هـ من الوزراء
الكتاب المشهورين وصاحب القصيدة المشهورة بلامية العجم
والتي مطلعها :

اصالة الراي خانتني عن الخطل (١٠)

اما وزراء المغرب فقد ذكر منهم ابن حزم الوزير والعالم
الاندلسي المشهور واسمه علي بن احمد بن سعيد كانت له ولاية
الوزارة ثم زهد عنها ، وانصرف الى العلم وتوفي سنة
٥٦٦ هـ (١١) .

ومن وزراء المغرب الذي ذكرهم ابن زيدون احمد بن
عبدالله بن احمد الشاعر الاندلسي المعروف وكان من اهل
قرطبة انقطع الى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالاندلس) ،
فكان سفيره الى ملوك الاندلس . ثم اتصل بالعتصم صاحب
اشبيلية فولاه الوزارة الى ان توفي باشبيلية في ايام العتصم
على الله سنة ٤٦٣ (١٢)

٥ - في الورقة (٣٦) مقطوعة لابي اسماعيل الطغراني من
قصيدة اولها :

(٧) وفيات الاعيان ٥ : ١٢٧-١٣٤ ، الفخري في الاداب
السلطانية : ٢١٤ .

(٨) الفخري : ٢١٥

(٩) الفخري : ٢١٥ ، تاريخ الخلفاء : ٤١٨

(١٠) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٨٥-١٩٠

(١١) ارشاد الارب ٥ : ٨٦-٩٧ ، وفيات الاعيان ٣ :
٣٢٥-٣٣٠ .

(١٢) وفيات الاعيان ١ : ١٣٩-١٤١ ، وانظر دائرة المعارف
الاسلامية ١ : ١٨٦ .

(وقال لي يوما ابو الفتح البستي الكاتب : لم اسلم الى
البارجة ان ابا اسحاق انصاري اكتب الناس وابلغهم ولولا
الديانة لقلت اعقلهم فاني عثرت ...)

وابو الفتح هذا اديب معاصر للثعالبي اسمه علي بن محمد
ابن الحسين توفي سنة ٤٠٠هـ ، خدم السلطان يمين الدولة
محمود بن سبكتكين ثم اخرجته هذا الى ما وراء النهر فمات
هناك (١٦) .. وقد ترجم له الثعالبي ترجمة طويلة وذكر
كثيرا من اشعاره وقرر اقواله واخباره (١٧) .

ثالثا :

في الورقة (هـ) يستمر حديث المؤلف عن ابي الفتح البستي
فيقول :

وقال لي يوما بنيسابور وقد اخلفنا باطراف الاحاديث بيتنا:
ما احوج الامير سيف الدولة يعني السلطان العظيم يمين الدولة
وامين الملة اعز الله تعالى انصاره ، لانه كان اذ ذاك صاحب
الجيش للامير الرضي نوح ابن منصور (الساماني) رضي الله
تعالى عنه - ويلقب بسيف الدولة - الى وزير كما انشدتني
لنفسك :

كتب الامير كتاب في المعركة
والراي منه طبيب داء المملكة
واذا رمى بالظن خطبا مشكلا
اضحت ستورا لغيره عنه مهنته

ومنجم ، كما انشدتني لنفسك :

صديق لنا عالم بالتجوم
يحدثنا بلسان الملك
ويكتسم اسرار سلطانه
ولكن ينم بسر الفلك

انتهى النص)

من المعلوم ان يمين الدولة وامين الملة صاحب الجيش هو
ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين الذي اهدى له كتابه
الاقتباس (١٨) .

اما نوح بن منصور فهو امير ما وراء النهر ولي الامارة بعد
وفاة ابيه سنة ٣٦٦هـ وهو صبي وتوفي ببغداد سنة ٣٨٧ (١٩)
وقد اتصل به الثعالبي ايضا وبصرح النص بسماع المؤلف كلام
البستي مباشرة وحديثه عن فترة عاشها الثعالبي ايضا .

والبيتان الاخيران هما للثعالبي نفسه كما ورد في كتبه
الآخري (٢٠) .

(١٦) انظر وفيات الاعيان ٣ : ٢٧٦-٢٧٨

(١٧) انظر بتيمة الدهر ٤ : ٣٠٣-٣٤٦

(١٨) الورقة (١) من كتاب الاقتباس وقد انتهت من تحقيق
هذا الكتاب واخذ طريقه الى الطبع في مطبعة الحكومة
ببغداد .

(١٩) مختصر الدول : ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، البداية والنهاية
١ : ٣٢٣ ، طبقات سلاطين الاسلام : ١٢٨ .

(٢٠) انظر ثمار القلوب : ٦٧٩ ، احسن ما سمعت : ١٦٢ ،
من غاب عنه المطرب ٢٢٢ ، خاص الخاص : ٢٤٩ .

قالا : ومن ادراك ان هذه النصوص زيادات وليست اصلا
لمؤلف متأخر سمى كتابه بنفس اسم كتاب الثعالبي ، ثم وهم
بعض النسخ فابدلوا اسمه باسم الثعالبي لشهرته ؟!

اقول ان هذا الاعتراض مرفوض لادلة اخرى اعتمدنا فيها
على دراسة المخطوطة نفسه ، ونقد نصوصه واخباره وهي :

اولا - يذكر المؤلف في مقدمة كتابه انه ألف هذا الكتاب
واهداه الى الوزير ابي عبدالله الحمدوني بعد ان خدم مولاه
خوارزمشاه واهداه كتابه الملوكي يقول (الورقة ٢) .

وبعد : فاني حين خدمت مولانا ملك الزمان وفريد العصر
والاوان خوارزم شاه ثبت الله ملكه ، وجعل الدنيا كلها
ملكه بالكتاب المسمى بالملوكي ، خطر لي ان اخدم وزيره الاعظم ،
ومشيريه الافخم ابي عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسة
الوزراء ، وان كان مقامه الشريف مستغن عن ذلك لسلكه تلك
المسالك ، وانما قصدت به استجداء مواهبه الجسام ، ومكارمه
العظام . ووسمته بنخبة الوزراء ..

وخوارزمشاه هذا امير اتصل به الثعالبي فآكرمه واثابه
وتوطدت العلاقة بينهما فذكره الثعالبي في اكثر من كتاب . قال
الثعالبي في مقدمة كتابه نثر النظم وحل العقد (١٣) .

(ايام مولانا الملك المؤيد ، العالم المسدد ، ولي النعم
ابي العباس خوارزمشاه ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه
مواقيت الشرف ...) ثم صرح باسمه الكامل في مقدمة كتابه
الكتاية والتعريض حين قال (عونك اللهم على شكر نعمتك في
ملك كملك ، ويحر في قصر ، وبدر في دست ، وغيث يصدر
عن لبت ، وعالم في ثوب عالم ، وسلطان بين حسن واحسان :

لولا عجائب صنع الله ما نيت

تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تفني عن التسمية ، ولا تحوج الى التكنية اذ
هي مختصة بمولانا الامير السيد الملك المؤيد ولي النعم ابي
العباس مامون بن مامون خوارزم شاه مولى امير المؤمنين ادام
الله سلطانه ... (١٤)

وحين نبحت عن ترجمة خوارزم شاه مامون بن مامون نجد
ذكر له حيث نقل البيهقي في تاريخه عن كتاب مسامرة خوارزم
لابي الريحان البيروني ترجمة خوارزم شاه هذا حيث وصفه
بانه كان اخر امراء اسرته حيث انتهت بوفاته دولة المامونيين
وانه كان رجلا فاضلا ، شهما ، نشيطا اديبا يرعى الادباء
والعلماء . ثم ينقل خبرا (البيروني) عن حديثه عن الثعالبي
يعكي فيه حديثا جرى بينه وبين خوارزم شاه فيصف الثعالبي
قبل ذكره لخبره بقوله (وكان قد رحل الى خوارزم شاه فترة
والف باسمه كتبا كثيرة سمعته يقول : كنا ذات يوم في مجلس
الشراة نتحدث في الادب فجري الحديث عن نظر ثقبال
خوارزمشاه الى اخر النص (١٥) .

ثانيا :

ورد في الورقة الرابعة ما يلي :

(١٣) كذا في الاصل ويبدو ان كلمة أو جملة سقطت من أول
النص . انظر نثر النظم ص ٢ .

(١٤) الكناية والتعريض : ١

(١٥) تاريخ البيهقي : ٧٣٤

ثالثا :

في الورقة ٢٧ يقول :

(وحدثنى عون الهمداني قال : سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استؤذن على فخر الدولة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة ...)

وابو عيسى المنجم احد معاصري الثعالي الذين ذكرهم لهم شعرا في يتيمة وذكر له قصائد في مدح الصاحب بن عباد ووصف داره التي بناها في اصبهان (٢١) .

رابعا :

في الورقة ٢٧ نفسها يستمر الحديث عن الصاحب بن عباد فيروي المؤلف رواية عن الهمداني . وبدوا انه يقصد به البديع ، لان بديع الزمان من معاصري الثعالي ايضا وقد لقيه وصحبه ، وكتب عنه ترجمة في اليتيمة (٢٢) ، وقال يافوت عنه انه لم يستفص احد خبره احسن مما اقتضه الثعالي ، وكان قد لقيه وكتب عنه (٢٣) . وكان البديع قد اتصل بالصاحب بن عباد نفسه وعاش في كنفه وظلال كرمه (٢٤) .

خامسا :

ورد في الورقة ٣٤ وضمن فصل بعنوان (في العفو وما يجري مجراه) :

(٢١) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٢١٣

(٢٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦

(٢٣) ارشاد الارب ١ : ٩٦

(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ ، ارشاد الارب ١ : ٩٦

(ولا ينبغي ان يعلن الوزراء بعقوبة من لم يعلن بذنبه فتكثر الاتهام بل يضع للذنب السر عقوبة السر ، وللعقوبة العلانية عقوبة العلانية ، الا في الحدود المأمور بافعالها ، ولتكن عقوبته للادب لا للذنب . وقد ذكرت بعض ما ينبغي من ذلك في كتابي الملوكي المؤلف للملك خوارزم شاه .)

وقد مر بنا الحديث عن خوارزم شاه وصلة الثعالي به ، واهدائه كتابه الملوكي له .

واخيرا اقول ان هذه الادلة كلها تؤكد وتثبت نسبة الكتاب الى الثعالي . اما المآخذ التي ذكرتها فيما هي الا مجرد زيادات اضافها ناسخ متأخر ومن نسخته كتبت نسخ اخرى متعددة فوصلت نسخ الكتاب بشكلها الحالي . وقد وجدت ملاحظة تؤيد ما ذكرناه من اعتبار هذه النصوص زيادات ليست من الاصل وجدت ملاحظة في هامش الورقة ٣٦ من نسخة فيض الله وعند ذكر قصيدة لابي اسماعيل الطغراني الملاحظة هي ما يلي :

(من هنا الى قول الصابي زيادة ليس من رواية الاصل)

وحين تنتهي قصيدة الطغراني تؤكد الملاحظة بهامش اخر هو :

(الى هنا ليس من رواية الاصل)

وبعدها تأتي ابيات للصابي في اشعار العفو .

ومع كل هذه الزيادات التي يمكن ان يهتدي اليها الباحث بالبحث والتمحيص يبقى كتاب تحفة الوزراء للثعالي ارضا قيما من تراث الثعالي الضخم ، وجانبا حيا من جوانب الفكر العربي الاسلامي والحضارة العربية الزاهرة .

مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

• • •

ملاحظات جديدة عن الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

بقلم

عبد اللطيف الراوي

والقارئ للأسف لا يرى في هذه الاحالات معنى وهو يفهم ان الكلام على الاتراك الذي جاء حشوا هو كلام الجاحظ ولا ندري لماذا تكثر الدكتوراة من الاحالة الى مصادر واحد منها يعرض عن البقية ، ثم نسال الدكتوراة هل حقا اثر عامل الخؤولة وحده في دفع المتصم الى تقرب الاتراك او ان هناك عوامل عديدة تحيط بالخلافة وبناتها هي التي دفعت المتصم الى ذلك ؟

٢ - تقول الدكتوراة في معرض حديثها عن الفرس « ولا ننسى ان الفرس بالرغم من تمتعهم ببعض الامتيازات ... الا انهم لم ينسوا ان العرب ازالوا مجدهم السابق فاخذوا يدبرون المؤامرات ضدهم وظهر ذلك في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (٢٥) » وهامش (٢٥) يقول (كانت متمثلة في حركات الشعوبية والزندقة) وجبذا لو ذكرت الاستاذة الفاضلة ما هي حركات الشعوبية والزندقة وكيف تفسر وجود مثل هذه الحركات ؟ وهل تؤمن فعلا بان العصر العباسي كان خاليا من بنائه من الشوائب بحيث تكون الحركات المناهضة حتى وان كانت فارسية حركات شعوبية او زندقية ؟

٣ - في ص ١٥-١٦ ترى الاستاذة ان الفرس اثروا في حياة الخلفاء من حيث البذخ والترف وبناء القصور ... الخ وبقينا ان حياة البذخ والترف كانت معروفة عند اهل مكة وعند البدو قبل ان يختلطوا بالفرس وهذه الحياة هي خلق الترف المادي وعنف الاستغلال الطبقي ، وقد يكون الفرس اثروا في بعض الامور الحضارية كالبناء وغيره اما في عمليات البذخ وغيرها فامر الفرس لا اهمية له .

٤ - الهامش (٣٩) ص ١٧ ، حول اعياد الشيعة ، وانصر البويهيين فيها فقد احوالتنا المؤلفة الى المنتظم ج/٦ ص ٧ وحين رجعنا لم نجد اي خبر في هذا الجزء بمجملة انما وجدناه وبأسلوب مختلف في الجزء السابع ص ١٥ .

٥ - ص ٢٥ ، وضعت الدكتوراة في كتابها هذا النص (يقول ابو حيان التوحيدي : ٨٧ « واحصينا في بغداد جانب الكرخ ستين وثلاثمائة جارية ») ، وتحيلنا الدكتوراة في الهامش (٨٧) الى الامتاع والمؤانسة وحين رجعنا اليه وجدنا ابا حيان يقول : بانه احصى ومعه جماعة من اهل الكرخ ، المغنين والمغنيات الذين عرفوا في بغداد كلها فوجدوا « اربعمائة وستين جارية في

اصدرت الدكتوراة مليحة رحمة الله كتابها - الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع (١) بعد الهجرة ، والكتاب هو اطروحتها التي نالت بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بدرجة الشرف الاولى ، وقد راينا ان نسجل ملاحظات كثيرة نصحح بها معلومات ، او نوضح حقيقة ، او نعيد حقا (مسلوبا) ، ولقد سبقني الاخ الاستاذ بدري محمد فهد بتسجيل مثل هذه الملاحظات واخرج لها كراسا طبعه قبل فترة قصيرة ومع هذا ظلت هناك ملاحظات اخرى كثيرة فانت على الاخ بدري او انه ما اراد ان يتعب قراءه لكثرة ما سجل من ملاحظات ، استغرقت سبعا وعشرين صفحة .

الملاحظة الاولى التي يمكن ان نسجلها هي في منهج البحث ، فالسيدة الفاضلة لم تحاول استقصاء ودراسة مكونات الحياة الاجتماعية ، اي لم تتعرض في بداية كلامها للبنية التحتية للمجتمع (الحياة الاقتصادية) والتي هي اساس البناء الاجتماعي لكل شعوب الارض ، ومن دراستها يمكن استخلاص مجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية ، فقد دخلت الدكتوراة في عناصر المجتمع راسا ودون مقدمات ثم انتقلت الى موضوعات اجتماعية واخذتها بمظهرها السطحي ولم تتعمق فيها ، كما انها نسبت كثيرا من الموضوعات والجوانب الاجتماعية كملاقة الناس فيما بينهم ، وعلاقتهم مع الحكام ، ومظاهر المجون واللهو عند العامة والشذوذ الاخلاقي وانتشار الكدبة والمكدين ، والتصوف والمتصوفين ... الخ من المسائل الكثيرة .

ومع كل هذا المنهج المصفوط السطحي ، المرتبك ، وقعت الاستاذة مليحة في مجمل تناقضات كما وضعت نفسها مواضع اتهام لا يمكن ان تنبرا منها :

١ - تتكلم الاستاذة على استخدام المتصم للاتراك فتقول : « ... وهناك عامل حمل المتصم على استخدام الاتراك ، وهو كون امه تركية مما اثر في طباعه وحمله على حب الاتراك وتقريبهم . وقد وصف الجاحظ الاتراك في رسالته مناقب الترك (٧) بانهم بدو العجم وانهم يتميزون بقدرتهم على تحمل المتاعب ، كما اتصفوا بالشجاعة والقوة (٨) والطاعة في خدمة قوادهم (٩) » .

وتحيل القارئ في هامش (٧) الى رسائل الجاحظ ، وفي (٨) الى ابن حنبل في تفضيل الاتراك وفي (٩) الى المسالك والممالك .

الجانبين ومائة وعشرين حرة وخمسة وتسعين من الصبيان
البدور» !

٦ - ص ٢٥ تقول الدكتورة « وكان للجارية التي تصف
بالجمال الف دينار » وتحيلنا الى ادم متر والذي يفهم من هذا
الكلام انه كان يعطى للجارية على غنائها الف دينار بينما ادم متر
يقول ان الالف دينار هي ثمن شرائها .

٧ - ص ٢٠ : ظهر في العصر العباسي جماعة من المسلمين
تفتخر بقربانيتها من الرسول ونسبها القرشي ... الخ هكذا
تقول المؤلف ، ولا اظن القاريء مهما كان بسيطاً يوافقها على
هذا الرأي ، اذ ان هذه الجماعة لم تظهر في العصر العباسي
طارئة ، فهي امتداد لما سبق ولم تكن تشكل ظاهرة اجتماعية
متميزة .

٨ - ص ٢٣ تقول المؤلف « وكان الاشراف من بني هاشم
باعثارهم اقرباء الرسول يأخذون راتباً معيناً من الحكومة
الاسلامية وقد حرمت عليهم الصدقة » لم تشر المؤلف من اين
اخذت هذا الكلام وهو معلومات خبرية وليس انشاء وقد رجعت
الى ادم متر فوجدت ان الكلام له ، وانه اعتمد على مصادر
عديدة يراجع ادم متر ٢٦٢/١ .

٩ - ص ٣٣ : تقول « وكانت تحدث في بعض الاحيان فتن
بين الطالبين والعباسيين فينحاز الى كل فريق اتباعه ١٢٨ »
وترجعنا الى ابن الاثير وابن الجوزي ، وابن الجوزي اقدم من
ابن الاثير والمفروض ان يقدم في التسطير وقد راجعت ابن
الجوزي فرايت ان خبره يتحدث عن فتنة حدثت بين الدليم
والاثراف لا بين العباسيين والطالبين .

١٠ - ص ٢٥ الهامش ١٤٩ ارجعنا به الى ادم متر ٦٠/١
ولا وجود لمثل هذا النص الذي ذكرته المؤلف في ادم متر .

١١ - ص ٢٨ : ذكرت المؤلف هذا الكلام « ولم يكن النصراني
يرث اليهودي ، ولا اليهودي يرث النصراني ، كما لم يكن
النصراني او اليهودي يرث المسلم ، ولا المسلم يرث غير المسلم ،
يهوديا كان ام نصرانيا » (١٦٤) ، واحالنا في الهامش ١٦٤ الى
كتاب استاذها محمد جمال سرور (الحضارة الاسلامية في الشرق)
وقد وجدت « ومن حسن حظ المؤلف » ان هذا الكلام هو كلام
ادم متر بحدافه وقد جاء في الجزء الاول ص ٥٩ .

١٢ - ص ٢٨ : بعد النص ١٦٤ تقول المؤلف « وان ترد تركة
من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثاً على اهل ملته » ولقد
اوردت المؤلف هذا الكلام بما يوحي انه لها والحقيقة انه نص من
كتاب اصدره الخليفة المقتدر في الوارث عام ٣١١ هـ (ينظر
متر ٥٩/١) .

١٣ - ص ٤١ : تقول المؤلف (وقد كتب للصائبين في
منتصف القرن الرابع كتاب عن امير المؤمنين (المطيع لله) افر
فيه الى جانب صيانتهم وحراستهم والذب عن حريمهم ... الخ)
وقد ظهر للقاريء ان هذا من انشاء المؤلف والحقيقة ان هذا
الكلام ما عدا (المطيع لله) هو من كلام ادم متر ٦٠/١ .

١٤ - ص ٤٢ : تقول المؤلف (ويقول هلال الصابي ١٨٦ « ان
صائبه حران تعبد الكواكب الخ النص الذي فتحت له قوساً
ولم تقفله ولم تنهه ، وارجعنا الى رسوم دار الخلافة مرتين
ص ٦ ، ص ٧ .

ولعلم المؤلف الفاصلة ان ص ٦ ، ص ٧ تقع ضمن المقدمة

الطويلة التي كتبها محقق رسوم دار الخلافة الاستاذ ميخائيل
عواد ، وان هذا الكلام الذي نسبته الى الصابي هو كلام
المحقق على نسب الصابي .

١٥ - ص ٤٧ : في حديث المؤلف عن العلماء تقول (ومنهم من
لعب دوراً كبيراً في توجيه العامة كابي حيان التوحيدي ٢١٤)
وترجعنا الى احمد امين في ظهر الاسلام ، ونحن لا ندري مثل
المؤلف تماماً الى اي شيء يوجه العلماء العامة وماذا كان دور
ابي حيان في عملية التوجيه هذه .

١٦ - ص ٥٤ : في حديث المؤلف عن العيارين ، ترجعنا
في الهامش ٢٦٨ في جملة مصادرها الى تلبيس ابلبس ص ٢٧٨ ولا
وجود لنص في هذه الصفحة يسند قول المؤلف .

١٧ - ص ٥٥ : وفي الحديث ايضا عن هذه الفئة تقول
(وتميزت حركاتها بالطابع الثوري ٢٦٩) وترجعنا الى السعدي
ج ٢/٣١٥ ، والسعدي بريء من هذا النص وهذه اللفظة
(لاحظ الثوري) .

١٨ - ص ٥٦ : الهامش ٢٨٣ ترجعنا فيه الى الاوراق ،
والاوراق اجزاء كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط
ومنها ما هو مفقود فالى اي كتاب من الاوراق نرجع ياترى ؟ ! .

١٩ - ص ٥٩ : تقول (فحدد معز الدولة راتباً قدره خمسة
الاف دينار شهرياً للمستكفي ، وكذلك الحال مع المطيع والطائع
وغير هؤلاء ...) ، ويفهم من هذا الكلام ان معز الدولة حدد
للمطيع والطائع وغيرهما راتباً بقدر راتب المستكفي ، والحقيقة
ان راتب المستكفي ألفي ، واقطع المطيع ومن بعده الطائع
(ولم يعاصر غيرهما) قطعة ارض لتعيش على وارداتها .

٢٠ - ص ٦٥ : كان الاجدر ان تضع حكاية الصولي عن بلخ
الراضي وقد نقلتها نصاً بين قوسين .

٢١ - ص ٦٨ : في حديثها عن الالبسة النسائية ارجعنا
الى الف ليلة وليلة ، وإلى مصادر اخرى ، وهذا المصدر
لا علاقة له بالحياة الاجتماعية في العراق ابداً ، فالف ليلة
متأخر عن العصر الذي تتكلم عليه المؤلف ولم ترجع الى حكاية
ابي القاسم البغدادى فيها ما يغني عن الرجوع الى مصادر
كثيرة .

٢٢ - ص ٧٤ : تقول المؤلف (وكان للوزير ابن مقلبة
قصر كبير انفق على بنائه مائة الف دينار الحق به بستاناً
كبيراً (١١١) والهامش (١١١) يرجعنا الى المنتظم ٢٣١/٦ ، وحين
فتشنا هذه الصفحة لم نجد مثل هذا النص ولا ما يشبهه وقد
وجدنا في صفحة ٢١٠ في الجزء نفسه قول ابن الجوزي (وكان
له بستان عدة اجربة ... الخ) ولم يقل انه ملحق بالدار .

٢٣ - ص ٧٧ : تذكر المؤلف ان المقتدر صادر في جملة من
صادر علي بن عيسى وترجعنا الى المنتظم والى البداية والنهاية
ولم يذكر صاحب المنتظم في الصفحة التي اشارت اليها ٢٨٩/٦
اي شيء عن المقتدر ومصادره لعلي بن عيسى انما (ذكر ان
الخليفة الراضي قد عرض على علي بن عيسى الوزارة فابي
واحاله الى اخيه عبدالرحمن بن عيسى الذي عجز فقبض
عليه ... ويبدو ان المؤلف لم تفرق بين المقتدر وابنه الراضي
وبين علي واخيه عبدالرحمن .

٢٤ - ص ٨٩ : لا حاجة للتشيل بالغناء في عصر الرشيد
وجعله نموذجاً .

٢٥ - ص ٩٢ : في الحديث عن مجالس الغناء تقدم وتؤخر فتذكر مجالس ابن الفرات ثم تعود وتذكر مجالس الوزير قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد وابن الفرات متأخر عن قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد ...

٢٦ - ص ٩٤ : لا داعي للتركيز على المصني الموصلي وعهد الرشيد لان هذا العصر بعيد عن دراستها .

٢٧ - ص ٩٤ : تقول المؤلفة (اما مجالس الطرب والغناء عند العامة فعلى الرغم من انه لم يرد في كتب التاريخ والادب معلومات وفيرة عن مثل هذه المجالس فانه مما لا شك فيه ان بعض العامة من المسلمين كانوا يحضرون حفلات تتناسب مع مستوى معيشتهم (٧٢)) ، والهامش ٧٢ يرجعنا الى نشوار المحاضرة ولا ندرى ماذا يقول صاحب نشوار المحاضرة عن هذا الذي يلصق به .

اننا ننبه المؤلفة الى ان العامة كانت لهم المجالس العديدة ولو راجعت سجل الفتيات عند ابي حيان في الامتاع لعرفت ولع العامة بالغناء وكذلك الامر في حكاية ابي القاسم وهنا لا بد ان اسال لم خست بعض العامة من المسلمين ، والكتاب عام عن المسلمين وغيرهم من الملل والطوائف ..

٢٨ - ص ٩٧ : تقول في حديثها عن القصص (واصبحت مجالسهم عامرة في المساجد ٩٢ او الطرقات ٩٣ او الاسواق ٩٤ بل وفي المقابر ايضا ٩٥) ، وللتاريخ نقول ان المصادر التي اشارت اليها في ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، لم نقل ولم تقرّر مثل هذه الاشياء بالصورة الحاسمة التي قررتها المؤلفة الفاضلة لتأخذ مثلا الهامش ٩٢ والذي ارجعنا فيه المؤلفة الى ابن الجوزي في المنتظم ١٠/٨ وحين رجعنا الى ابن الجوزي وجدناه يقول في حديثه عن علي بن هلال المعروف بابن البواب انه كان (يقص بجامع المدينة) ولم يشر الى ان مجلسه كان عامرا من بعيد او قريب .

٢٩ - ص ٩٩، ١٠٠ : شوهت كلام متر عن الوعاظ (ينظر متر ١١١/٢)

٣٠ - ص ١٠٠ : تقول المؤلفة (وكذلك ابن سميعون الواعظ الذي كان مترفا في حياته ١١٤) والهامش ١١٤ يرجعنا الى المنتظم ١٩٨/٧ والمنتظم لم يذكر حين ترجم لابن سميعون انه كان مترفا .

٣١ - ص ١٠١ : تقول المؤلفة (واتخذ الوعاظ في مجالسهم في امكن متعددة غير المساجد منها المقابر ١١٦ وبعض المحال العامة) (١١٧) ويرجعنا الهامش ١١٦ الى ابن الجوزي في المنتظم ٨٩/٩ ، وحين راجعنا المنتظم في الجزء والصفحة المشار اليهما، وجدنا ابن الجوزي يقول في ترجمته لوزق الله بن عبد الوهاب (وكان يمضي في السنة اربع دفعات في رجب وشعبان وعرفة وعاشوراء الى مقبرة الامام احمد ويفقد هناك مجلسا للوعظ) .

واذا علمنا ان هذا الواعظ قد توفي عام ٤٨٨هـ ادر كنا البون الشاسع بين عصر المؤلفة وزمن الواعظ ، نضيف الى هذا ان مبادرة هذا الواعظ كانت فردية لا تعمم بهذا الشكل ..

اما الهامش ١١٧ فيرجعنا الى المنتظم ٣٠/١٠ والمنتظم هنا يتكلم على شيوخ ووعاظ عاشوا سنة ٥٢٧هـ فانظروا الدقة في البحث .

٢٢ - ص ١٠٢ : تتكلم على المراسيم التي عرفت بالاعتقاد والقادري وتنسبها الى ابن الجوزي في المنتظم وابن الجوزي في الموضع الذي اشارت اليه المؤلفة يتكلم على حوادث سنة ٤٢٠ واظن ان هذه السنة بعيدة عن عصر المؤلفة نوعا ما . وكذلك تتحدث عن الاعتقاد القائي وتقول انه اذيع سنة ٤٢٢هـ وتنسب ذلك الى ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الجوزي في المكان الذي اشارت اليه المؤلفة يتحدث عن اخبار سنة ٤٦٠ للهجرة واظن ايضا ان المؤلفة قد ابتعدت كثيرا عن عصرها .

٢٣ - ص ١١١ : تقول المؤلفة (اما عادات الحزن على الموتى فقد سادت مدن العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء ، فيروى ان ام المقتدر حزنت حزنا شديدا على وفاة ابنها الخليفة المقتدر بالله ، ما هذا الاكتشاف الخطير حول الحزن ؟! اما كان الاجدر بالمؤلفة الفاضلة ان تحدثنا عما يفعلون في المآتم من لطم مثلا او قراءة قرآن او اقامة الفواتح او غير ذلك ، بعد هذا تتساءل ما معنى هذه العبارة (وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء) ايمكن ان يكون الحزن غريزة انسانية بعيدة عن مجتمع نساء الخلفاء فجاءت وشملتهن في هذين القرنين ؟ يجوز !! .

٢٤ - ص ١١١ : ايضا تقول المؤلفة (اما عن ثياب العزاء فان المؤرخين لم يهدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها على اننا نستطيع ان نقول ! انه كان يقلب عليها اللون الاسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر سنة ٦٤٠ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة (٣١))

والهامش (٣١) يرجعنا الى ابن الجوزي في المنتظم ٢٩٥/٨ ولعلم القراء نقول : ان ابن الجوزي توفي سنة (٥٩٧هـ) أي قبل وفاة الخليفة الذي ذكرته بثلاث وأربعين سنة فكيف تسني لابن الجوزي البيت أن يؤرخ للمستنصر ، ربما هذه عجيبه جديدة !! ، ومع هذا رجعنا الى المنتظم ٢٩٥/٨ فوجدنا ان ابن الجوزي يتحدث عن وفاة الخليفة القاسم بامر الله سنة ٤٦٧ هـ ، ولم يذكر ايضا ان رجال الدولة قد لبسوا ثيابا يقلب عليها اللون الاسود ، اظن ان الامر لا يحتاج الى محاجة ..

٣٥ - ص ١١١ : الاقوال التي ذكرتها المؤلفة حول العادات الفارسية ، والتي اعطتها رقم ٢٣٦ ورقم ٢٧ ونسبتها الى البيروني والثعالبي ، وكانت وللحقيقة عملية نقل مشوه عن آدم متر ٢٩٠/٢ ولم تعتمد المؤلفة كما رأيت على البيروني ولا على الثعالبي ابدأ ، اشارت الى المصادر نفسها التي اشار اليها متر ، وحيدا لو تركتها كما وضعها متر ولكنها للأسف غيرت فشوهت ، فقد ذكر متر انه راجع البيروني في الآثار الباقية ص ٢٢٢ وجاءت المؤلفة وقالت انها راجعتها ص ٢٢٢ وذكر متر النهادي وأشار الى اليتيمة ٦٥/٤ فجاءت المؤلفة وابدلت ٦٥/٤ بـ ٢٨١/٢ وشستان بين الرقمين ، حتى وان اختلفت الطباعات .

٣٦ - ص ١١٥ : تقول المؤلفة (كانت مظاهر الاسلام تتجلى في الاحتفال بعيدي الفطر والاضحى في جميع البلاد الاسلامية وبخاصة طرسوس حيث يتوافد اليها غزاة المسلمين من انحاء الدولة الاسلامية ٥٧) .

وترجعنا في هامشها (٥٧) الى استاذها محمد جمال سرور، واذا كان الامر كذلك ، ولا اظنه كذلك فقد توهمت هي واستاذها،

فلم يكن هناك بلدة اسمها طرسوس ، إنما هي طرطوس وهي في سوريا على الساحل وهذا الكلام على ما رأيته منقول نغلا مشوها من آدم متر ٢/٢٩٢ .

ثم لم تبين لنا المؤلف ما علاقة العراقي بطرطوس وحتى ان كانت هناك علاقة فلماذا كانت طرطوس مركزا لابنة هذين العبيدين لماذا لم تفسر ذلك ؟

٣٧ - ص ١١٦ : الهامش ٦٥ اعتمدت فيه على المنتظم ٢٥/١. والجزء العاشر يتكلم فيه ابن الجوزي على حوادث القرن السادس ، فلماذا تستند المؤلف على اخبار القرن السادس في استخلاص قضايا اجتماعية المفروض انها تسجلها للقرنين الثالث والرابع للهجرة .

٣٨ - ص ١٢٣، ١٢١ : الهوامش ١.٣، ١.٤، ١.٥ ، والتي تنسب اقوالها الى تلييس ابليس لم اجدتها في هذا الكتاب بالرغم من مراجعتي الطبعة التي اعتمدتها المؤلف ، ومحاولتي ايجاد تحليل لما وقعت فيه بان اقلب ارقام الهوامش او ابدلها لعل الطباع سها او اغفل لكن هيهات . . وهناك هوامش غير هذه كثيرة نسبتهن المؤلف الى كتب لم اجدتها ، وعزوت ذلك الى خطأ مطبعي او سهو ، او غير ذلك .

هذه ملاحظات قصيرة اردت ان اسجلها على المؤلف الفاضلة راجيا من عملي خدمة الحقيقة التاريخية آملا ان تكون البحوث الادبية والتاريخية الاكاديمية بمستوى المسؤولية .



الأدب العراقي القديم ومصادر رسالة الغفران

بقلم
طراد الكبيسي

لويس عوض في كتابه وعلى هامش الغفران (١) أكثر قربا إلى
اليونان من أي مصدر آخر .

١ - يقترح الدكتور عوض أن المعري حين يحدثنا عن (طعام
الخلود) وشراب الخلود أو « ماء الحيوان » كما جاء في
رسالة الغفران إذ نرى ابن القارح ينتزه في رياض
الجنة على تجيب من در وياقوت ومعه شيء من طعام
الخلود ، ذكر لوالده سعد أو مولود (٢) ومثل هذا شراب
الخلود أو شراب « النكتار » كما يسميه الدقلاء ،

قال المعري :

« وتجرى في أصول ذلك الشجر ، أنهار تخرج من ماء
الحيوان والكوثر يدها في كل أوان ، من شرب منها النخبة
فلا موت ، قد أمن هنالك الفوت ... » (ص ١٤١) .

يقترح الدكتور عوض أن « طعام الخلود » وشراب
الخلود هذا ، وهو ما كان يسمى في الآداب القديمة
« الإمبروزيا » (العنبر) قد استغاه المعري من الآداب اليونانية
طالما أنه ذكر له في المصادر الإسلامية (ص ١٢٤) .

وقد يكون حقاً لا ذكر لهذا في المصادر الإسلامية ولكن له
ذكر في المصادر العراقية القديمة ، وهي أقدم بكثير من المصادر
اليونانية ، ونجد ذلك في قصة - آدابا - السومرية ، التي
تروي أن - آدابا - كان صيادا معنيا بتزويد الآلهة بالسماك ،
وبينما كان يصطاد السمك ذات يوم ، هبت الرياح الجنوبية
فقلبت قارب ، فصرها وكسر جناحها فلم تهبط لسبعة أيام ،
مما لفت نظر الآلهة آنو ، فأرسل في طلب آدابا واستكشف خبره ،
وتقلل أعذاره ، وأراد أن ينعم عليه بالخلود فقدم له خبز
الحياة وماء الحياة ، فرفضه تنغيذا لوصية أبيه (آبا) خشية
أن يكون ما قدم له هو ماء الموت وخبز الموت ، وبذلك أضاع
آدابا فرصة الحصول على الخلود .

يحتل الأدب العراقي القديم (أساطير وملاحم وقصائد
غنائية ..) مكانة خاصة من بين التراث العربي والإنساني .
لدى بعض الشعراء العراقيين المعاصرين (البياتي - السياب -
حسب الشيخ جعفر) وقبلهم بزمان طويل : أبو العلاء المعري
في رسالة الغفران .

والذي نعتقده أولا ، أن تأثر المعري بهذا الأدب كان
تأثرا غير مباشر ، من خلال الموروث الشعبي الشائع . ذلك
أن هذا الأدب ، لابد أنه كان شائعا - دون أن تعرف أصوله -
على شكل حكايات واساطير وخرافات ، ومتداخلا مع مصادر
التراث الإنساني الأخرى : اليوناني والفارسي خاصة .

وقد يبدو وهذا الزعم غريبا ، خاصة وأن الدراسات
التي تناولت رسالة الغفران وكشفت مصادرها ، تجاهلت
هذا الأدب تماما - جلا به أو تجاهلا له - واعتبرت الكثير من
الأساطير والصور التي تصح بها رسالة الغفران ، على أنها
يونانية ..

(دراسات لويس عوض مثلا) بينما هي في حقيقتها ليست
سوى أساطير وصور عراقية شائعة في الموروث الشعبي
الشفاهي ، أو متحولة من صيغتها العراقية إلى صيغة
يونانية أو فينيقية ، وربما فرعونية . فادونيس مثلا وأنيرويس
ليسا إلا رموز البابلي .

وأوديسيوس ليس إلا صورة متحولة لجلجامش بطل
المحكمة المشهورة باسمه . وفينوس هي عشتار ... ونحن هنا ،
وإن كنا لا نجزم بتأثر المعري بالأدب العراقي القديم إلا بقدر ما
يرد الشيء إلى أهله ولكن إذا كان البعض يقترح تأثر المعري
بالآداب اليونانية القديمة استنادا إلى أصول القصائد والخرافات
والصور ، وإذا كانت هذه الصور والمعتقدات عراقية ، وأقدم
وجودا من متشابهاتها في الآداب الأخرى ، وأكثر شبيها ..
فالأولى إذن أن نفترض تأثر المعري بها لأسباب تاريخية وحضارية
وبينية بحيث يبدو الفرض أكثر واقعية من أرجاعه إلى
متشابهات أبعاد .. دون أن ننكر إمكان تأثر المعري بتلك الآداب ،
بل أنه لبيد في كثير من الصور الأخرى والتي أشار إليها الدكتور

(١) كتاب البلال - ع (١٨١) أبريل ١٩٦٦ .

(٢) رسالة الغفران : ت : بنت الشاطئ - دار المصارع
ط ٢ - ص ١٧٦ .

٢ - ويفترض الدكتور عوض أن حالة الارتداد إلى الشباب وارتداء حلة الشباب الدائم التي أشار إليها المعري في أكثر من موضع ، حيث نرى الأعراس مثلا وقد ارتد شابا وسيما . أو بلغة المعري :

« فيبتدى يزهر فيجده شايأ كالزهرة العجينة قد وهب له قهر من ونية ، كأنه ما لبس جلباب هرم ، ولا تألف من التبرم ، وكأنه لم يقل في الميعة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

نمانين حولا ، لا أبالك يسام !

(ص ١٨٢)

ومثل هذا ما حدث لبعض النسوة في الجنة كحمدونه وتوفيق السوداء حيث تستحيل القبيحة إلى حسناء ، والسوداء إلى بيضاء ..

أن الدكتور عوض يفترض أن حالة الارتداد إلى الشباب الدائم وإلى الفتوة الفارغة بفضل شراب العشب السحري ، إنما هي مستقاة من الآداب القديمة - والآداب القديمة لا تعني للدكتور عوض إلا الآداب اليونانية ! - كما حدث لأوديسيوس ورجاله في نعيم التحورية كيركا وحورها . طالما أن هذه الحالة - حالة ارتداد البشر في الجنة إلى حالة الشباب الدائم - ليس لها سند في ابن عباس ولا في المصادر الإسلامية المعتمدة (ص ١٢٦)

ولكننا نجد قبل أوديسيوس الذي صنمته هوميروس في ملحمة ، أن جلجامش في رحلته التي قام بها لزيارة جده - أوتونبشتيم ، تمكن من العثور على « عشب الشباب » ثم عاود فقده . إذ التهمته منه الحية ، جاء في الملحمة :

سافتح لك ، يا جلجامش ، سرا خفيا

أجل ! ساكشف لك عن سر من أسرار الآلهة !

يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه

أنه كالورد شوكة يخز يدك كما يفعل الورد فإذا ما حصلت يدك على هذا النبات وجدت الحياة الخالدة .

وما أن سدع جلجامش هذا القول حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى الحياة العميقة .

وربط بتقديمه أحجارا ثقيلة

ونزل إلى أعماق المياه حيث ابصر النبات

فاخذ النبات الذي يخز يديه

وقطع الأحجار الثقيلة من قدميه

فخرج من الأعماق إلى الشاطئ

ثم قال جلجامش لأور - شنبابي الملاح :

« يا أور - شنبابي - إن هذا النبات نبات عجيب

يستطيع المرء أن يطيل به حياته

لأحمله معي إلى أورك الحمى والسور

وأشرك معي الناس ليأكلوه

وسيكون اسمه : يعود الشيخ إلى صباه كالشباب

وأنا سأكله في آخر أيامي حتى يعود شنبابي .

٣ - أما افتراض شجر الصفصاف باللات - الذي هو

من جملة شجر الجنة ، أنه لابد أن يكون من رواسب ثقافية

المعري اليونانية (ص ٢٦١) فالأولى به أن يكون من « رواسب

المعتقدات الفولكلورية الشائعة في زمانه » سواء أكانت من مصدر

محلي أم عالمي خاصة وأننا نعلم أيضا أن شجر الصفصاف من

الأشجار التي ورد ذكرها كثيرا في الآداب العراقية القديمة .

وقد صنعت منها عشتار أداتين (بكي ومكي) كما جاء في الأسطورة .

وهكذا أيضا شجر العور .

إذن لا يمكن إلا أن تكون لهذه الشجرة مكانة مقدسة أو

خاصة لدى العراقيين القدماء .

تعقيب على «أشعار صاحب الزنج»

بقلم

علي حسن

وايراد (المحقق) لهذا النص ، وهم منه ، اذ ان هذه الابيات مضافة اليها ابيات اخرى ، وقد وردت في مجموعة أبي تمام الطائي ، والمعروفة باسم « الحماسة » (٢) لشاعر آخر ، هو : سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر اسلامي ، ومن شياطين العرب « انظر : الشعر والشعراء ، ٦٧٧ ، والخزانة (٣ : ٤٤٤ : ٤٤٦) . . . » وقد شرحها المرزوقي مع ما شرحه من اشعار « الحماسة » ، وابيات النص الشعري ، الذي وهم فيه احمد جاسم النجدي ، هي هذه :
ساقسل عني العار بالسيف جالبا

علي قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن داري واجعل هدمها
لعرضي من باقي المذلة حاجبا
وبصغر في عيني تلادي اذا انثنت
يعني بادراك الذي كنت طالبا
فان تهدموا بالفدر داري فانها
تراث كريم لا يبالي العواقبا
أخي عزمات لا يرسد على الذي
يهم به من مقطع الامر صاحبا
اذا هم لم تردع عزيمة همه
ولم يات ما ياتي من الامر هائبا
فيال رزام رشحو بن مقدما
الى الموت خواصا اليه الكتائب
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
وتكب عن ذكر العواقب جانبيا
ولم يستشر في أمره غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وبعد ،

فان الذي حدا بي الى هذا الامر ، هو كون هذا النص ، ضمن اشعار لشاعر آخر ، هو صاحب الزنج ، في الوقت الذي هو للشاعر الاسلامي سعد بن ناشب ، لذا اقتضى ازالة الوهم ، ...

في العدد الفائت من « المورد » ظهرت مجموعة اشعار علي بن محمد ، المعروف بصاحب الزنج ، والتي قام بجمعها وتحقيقها احمد جاسم النجدي ، وكنت قد اطلعت قبلها على مقال عبد الجبار ناجي ، (المورد : المجلد الاول ، العددان : الثالث والرابع) - صاحب الزنج الشاعر - ، وعنت لي وقتها بضع ملاحظات جعلتها هامشا جانبيا ، ولم اشيا - وقتها - ان ازيل وهم عبد الجبار ناجي ، عن ايراده قطعة شعرية ، منسوبة لصاحب الزنج ، لولا ان وردت اشعار الآخر ، مجموعة (ومحققة) ومن قبل احمد جاسم النجدي ، وبضمنتها القطعة التي اشرت اليها سابقا .

وظهر لي ان النجدي قد اعتمد على مقالة ناجي ، فيما يخص الشعر . . . وعلى النجدي ذلك يانه لم يتج له الاطلاع على مخطوطة الوافي للصفدي ، بجرتها العشرين (١) . . . ولذلك كان جل اعتماده على ناجي فيما اورد من الاشعار ، نقلا عن مخطوطة الوافي . وهذا القول لا يجرد جامع (ومحقق) اشعار صاحب الزنج ، من تبعية الخطأ ، الذي قد يقع فيه عبد الجبار ناجي ، بل يشترك فيه ، ويقاسمه اياه ، ان لم تكن مسؤوليته فيه اعظم ، لانه (يحقق) شعرا ينبغي الوقوف عليه طويلا قبل تسجيله ونشره بين الناس .

والنص الشعري الذي ضمنه (المحقق) ، مع اشعار صاحب الزنج ، هو النص الرابع ، واليك ، كما اورده (المحقق) :

ساقسل عني العار بالسيف جالبا
علي قضاء الله ما كان جالبا (٢)
واذهل عن داري واجعل نهبا
لعرضي من باقي المذلة حالبيا
فان تهدموا بالفدر داري فانها
تراث كريم لا يبالي العواقبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
وتكب عن ذكر العواقب جانبيا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

(٢) شرح ديوان الحماسة ، لابي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، طبعة احمد امين وعبد السلام هارون - الطبعة الثانية - ١٩٦٧ م - القاهرة / ص ٦٧ .

(١) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث . ص ١٦٧ ، هامش ٣ .

(٢) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ص ١٦٨ .

تصحيح وشكر . .

بقلم

هاشم الطعان

فيمن يجلس مستفيدا من علمه الجهم وخلفه الحميد فأشار ألى أنه قرأ نشرتي لهذه الرسالة وكان من عنايته بها وبى ان لفتت نظره اللفظتان المستعصيتان فادارهما في ذهنه النير واقترح ان تكونا (العترسة) . وهي من الفاظ الحديث .

وقد عدت بعد هذه الاشارة الكريمة الى الفائق في غريب الحديث الزمخشري (تح على محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم - الطبعة الثانية) فوجدت في الجزء الثاني منه ص ٣٠٥ « عمر رضي الله عنه - قال عبدالله بن ابي عمار : كنت في سفر فسرقت عييتي ، ومعنا رجل يتهم ، فاستعديت عليه عمر بن الخطاب وقلت : لقد اردت والله يا امير المؤمنين ان آتي به مصفودا ، فقال : تأتينني به مصفودا تعترسه ! فغضب ولم يقض له بشيء .

اي مقيدا .

والعترسة : الاخذ بالجفاء والغلظة .

ويحتمل ان يقضي بزيادة التاء وتكون من العراس ، وهو ما يوثق به البدان الى العنق : يقال : عرست البعير عرسا .

وقد روي : بغير بينة . وقيل : انه تصحيف ، والصواب تعترسه .

ويكون النص قد استقام بهذا وزال التصحيف شكرا لابي فهر هذه اليد . .

في المورد - المجلد الثالث ، العدد الثاني - كنت قد نشرت رسالة في (مراتب النحويين) عنوانها ل (مخطوط فريد نفيس عن مراتب النحويين) .

وفي خلال ما ورد في هذه الرسالة عن النضر بن شميل جاء ص ١٤٢-١٤٣ « ولم نجد على النضر سقطا في العربية الا شيئا يزعم اهل الحديث انسه اخطأ فيه ويزعمون انه خالف فيه سائر الرواة وهو قوله : **العبرية** فيرده اهل الحديث بغير بينة . والصواب في كلام العرب ما جاء به النضر وذلك ان **العبرية** عند العرب الاخذ بجفاء وغلظ وشدة . وذهب اهل الحديث الى انه بغير بينة وحجة نقل ما نقل .

ومن قال : **القبريئة** اي تاخذه بجفاف وعنف وليس من اخلاق اهل العقل . كانه قال عليك بالرقق به والتؤدة . هذا كلام العرب » .

وعلقت في الهامش على (العبرية) : لم أجد في المعجمات وكتب اللغة هذه الكلمة بهذا المعنى .

وعلقت على (القبريئة) : كذا في الاصل ولم اهتمد لصوابها .

وكان ذلك عذري .

وفي المامة باستاذنا محمود محمد شاكر في داره بمصر الجديدة ، خلال زيارتي لمصر ، جلست اليه

المحتوى

التراثيون والنقد	حدث طه الراوي	٧ - ٨
------------------	----	----	----	----	----	---------------	-------

الابحاث والدراسات

من قضايا النقد الادبي في العصر العباسي	الدكتور جلال الخياط	١١ - ٢٤
تاريخ فن العمارة العربية الاسلامية	٢٥ - ٢٢
فن السخرية في شعر الكنتاب في العراق	٢٤ - ٤٩
طب العيون عند العرب	الدكتور محمود الحاج فاسم محمد	٥٠ - ٥٢
مقدمات جديدة لقراءة الشعر الجاهلي	خالد محيي الدين البرادعي	٥٤ - ٦١
الهيم بن عسدي	هادي حسن حمود	٦٢ - ٦٦
علاقة المندائية بالعربية	٦٧ - ٧٠
ما يتعلق بالعراق من كتاب المعصود	ترجمة يعقوب الفخرام منصور	٧١ - ١٠٠

النصوص المحققة

كتاب الموفقي في النحو لابن كيسان	تحقيق: الدكتور عبدالحسين الفعلي	١٠٣ - ١٢٤
ديوان الشيخ كاظم الاذري	هاشم طه شلاش	١٢٥ - ١٦٦
رحلة المواطن العراقي الياس الموصلي	تحقيق شاكر هادي شكر	١٦٧ - ١٩٤
ملاح الاطواح لبدراالدين العيني	اخراج: ابتهاج عمر طاهر الراضي	١٩٥ - ٢٢٨

فهارس المخطوطات والبيبليوغرافيات

المخطوطات العربية في مكتبة طوب قايي سراي	ترجمة فاضل مهدي بيات	٢٢١ - ٢٥٤
مكتبة كونهان الملكية ومخطوطاتها العربية	اعداد الدكتور فرج رزوق فرج	٢٥٥ - ٢٦٢
مخطوطة اخرى من الموصل لرسالة الحنين الى الاوطان	فربي الحاج احمد	٢٦٣ - ٢٦٤

العرض والنقد والتعريف

ترجمة مصادر الجاحظ	الدكتور علي جواد الطاهر	٢٦٧ - ٢٦٩
تعقيب	الدكتور نوري حمودي القيسي	٢٧٠ - ٢٧٥
وعرض	الدكتورة ابتسام الصفار	٢٧٦ - ٢٨٢
ملاحظات جديدة عن الحالة الاجتماعية في العراق	عبداللطيف الراوي	٢٨٢ - ٢٨٦
الادب العراقي القديم ومصادر رسالة الففران	٢٨٧ - ٢٨٨
تعقيب على اشعار صاحب الزنج	٢٨٩
نصحيح وشيكر	٢٩٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد

(١٠٠ لسنة ١٩٧٥)

مركز تحقيقات كاميونير علوم إرسدي

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٩٧٥

V. REVIEW, CRITICISM AND INTRODUCTION

Translation of Al-Jahidh's references, By Dr. A.J. Al-Tahir	267__269
Comments, By Dr. N.H. Al-Qaisi	270__275
Commentary and Review, By Dr. I. Al-Saffar	276__282
New Notes on the Social Status in Iraq, By A.L. Al-Rawi	283__286
Iraqi Classical Literature and the Origins of "Risalat al-Ghufran", By T. Al-Kubaisi	287__288
Commentary on the Poetry of Sahib al-Zinj, By Ali Hasan	289__
Erratum and Acknowledgement, By H. Al-Taani	290__



CONTENTS

	Page
I. INTRODUCTION	
Heritage writers and criticism, By Harith Taha Al-Rawi	7— 8
II. RESEARCHES AND STUDIES	
Some issues on Literary Criticism in the Abbasid Age, By Dr. Jalal Al-Khayyat	11— 24
History of Arab Islamic Architecture, By Sharcef Yoosif	25— 33
Art of sarcasm in the poetry of scribes in Iraq, By Husain Al-Allaq	34— 49
Arabs and Optical medicine, By Dr. M. Alhaj Q. Muhammed	50— 53
New prefaces for perusing pre-Islamic, By Kh. M. Al-Baradi-ee	54— 61
Al-Haitham Ibn 'Aaday, By H.H. Hmood	62— 66
The Relationship of Mandeian language to Arabic language, By A. Al-Khamisi	67— 70
What Relates to Iraq in "Anabasis" Book, Translated By. Y.F. Mansoor	71—100
III. HERITAGE TEXTS	
Kitab Al-Mowaffaqi Fi Al-Nahw, Edited by Dr. A.H. Al-Falli and T.M. Shlash	103—124
Diwan Al-Sheikh Kudhim Al-Ozri, Edited by Sh. H. Shokor	125—166
Trip of the Iraqi Citizen, Ilias AlMossuli, Edited by I.O.T. Al-Radhi	167—194
Milah Al-Alwah, By Al-Ainy, Edited by A.S. Jawad	195—228
IV. MANUSCRIPT CATALOGUES AND BIBLIOGRAPHIES	
Arabic Manuscripts in the Library of Toup Qapi Serayi, Trans. by F.M. Bayyat	231—254
Copenhagen's Royal Library and its Arabic Manuscript, By Dr. R.F. Razzooq	255—262
Another Manuscript from Mosul pertaining to the Letter on Nostalgia, By GH. H. Ahmed	263—264

AL-MAWRID

A QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY MINISTRY OF INFORMATION

Baghdad – IRAQ



Editor-In-Chief
Abdul Hameed al-Alouchi

Editorial Manager
Harith Taha al-Rawi

Editing Secretary
Munthir al-Joboori

General Supervisor
Mohammed Jameel Shalash

*Rending a Nation Service is a Result of
the Profit Gained from Books that Preserve
the National Heritage and Procreate our
Ancestors Glories.*

Ahmed Hasan Al-Bakr